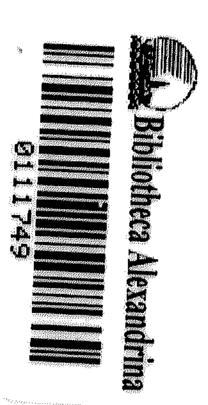
سامي عصاصة

دكتور في العلوم السياسية والاقتصاد

هل انتهت حرب الخليج؟

دراسة جدلية في تناقضات الأزمة




هل
انتهت
حرب الخليج؟
دراسة جدلية في تناقضات الأزمة

نكتب عنــواننــا في المانيـا طمعــاً بــالحصــول على مــلاحظــات من كل قارىء لديه ما يضيف او يصحح في مضمون هذا الكتاب.

Dr. Sami Assassa
Claude Lorrain st.35
81543 München
Fax: 89/668573

سامي عصاصة

دكتور في العلوم السياسية والاقتصاد



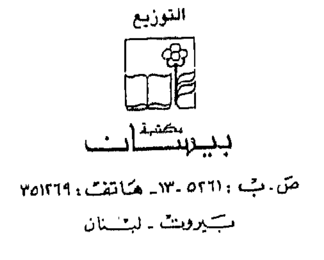


هل انتهت حرب الخليج؟

دراسة جدلية في تناقضات الأزمة

الطبعة الأولى
حزيران - ١٩٩٤م
بيروت

التوزيع



مكتبة بيسان
ص.ب: ٥٢٦١ - ١٣ - هاتف: ٣٥١٢٦٩
بيروت - لبنان

فهرس الكتاب

هل انتهت حرب الخليج ؟
دراسة جدلية في تناقضات الأزمة

<u>صفحة</u>

كلمة شكر وعرفان

أرجو أن يتمكن كتابي من التحدث عن نفسه مُشعراً بالجهد الذي بذلته حتى وصوله الى أيدي القارىء الكريم. وبالرغم من أني مؤلف الكتاب فإن هناك عدداً كبيراً من الأصدقاء القدامى والأصدقاء الذين تعرفت عليهم من خلال الأبحاث من أجله ومن الذين يستحقون الشكر الجزيل.

لا يقتصر شكري على كلمات عرفان لكثير من الأصدقاء في انحاء كل العالم كلفتهم بأمور استعلامية وتأمين كتب ونشرات ومراجع ورجوتهم القيام باستفسارات لا حصر لها في المانيا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة الأميركية وسوريا ولبنان ومصر والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية وتونس والمملكة الأردنية الهاشمية والإمارات العربية المتحدة. ولم أبخل بالاتصالات مع معظمهم بالفاكس والمخابرات الهاتفية الدولية كلما شعرت بحاجة لمرجع او للإستفسار عن نقطة لها أكثر من تأويل وشرح. وأختص بذكر واحدة منها على سبيل المثال عن ورود جملة خلال لقاء بيكر/عزيز في جنيف. فبالرغم من إجماع كل من اتصلنا بهم عن ورودها أثناء الحديث بين الوزيرين نجزم بكذب مضمونها اعتماداً على قرائن لا تقبل التأويل والحلول الوسط.

كل هؤلاء أشكرهم لتعاونهم. ولو بلغ تعاون المسؤولين في البلاد العربية عشر العون الذي مدّه لي هؤلاء الأصدقاء لكان لهذا الكتاب شأن آخر. لقد حاولنا الاتصال بعدد من القادة وأصحاب القرار راجين منح كتابنا شيئاً من المصداقية للحقيقة والتاريخ فأجاب البعض – بدون استجابة – بينما صمت آخرون صمت ابي الهول ، ولم يكلفوا نفسهم عناء تكليف أحدٍ من عديد أعوانهم ليسطر كلمة اعتذار.

لكثير من الأصدقاء فضل على هذا الكتاب بالإضافة الى أم خالد ، زوجتي التي ساعدتني بصبرها أكثر مما بذلته على التصحيح .ولقد تعلمت على الحاسوب (الكومبيوتر) لأستطيع في ميونيخ الكتابة والتصليح والتصحيح والإضافة والحذف. وما أكثر ما احتاج الأمر لمثل ذلك خلال عامين من التقصي المستمر. فكلما وصلت الينا معلومة من مرجعٍ جديد توثّقُ او تَنْقُضُ معلومة سابقة كنا نجري ما يلزم من التعديل.ولا أنسى ذكر الأخ الصديق مصباح الغفري الذي سجنت نفسي وإياه في باريس من أجل تصحيح الأخطاء التي كانت قد تسربت اليه.

د. سامي عصاصة

انني كمؤرخ لم اسهم في صنع الحدث . فقد اخذت الأخبار كغيري من الكتاب من المراجع المختلفة ومن الكتب والنشرات التي ظهرت عن حرب الخليج . ولكنني لم الجأ الى استخدام الخبر فأعدل في نصه قليلاً ثم اورده في كتابي انما فضلت اتباع اسلوب مغاير قليلاً عما وجدته في معظم الكتب الأخرى التي تناولت هذا البحث . ففي كل مكان حساس اوردتُ ما كَتَبَهُ الكتاب الآخرون حرفياً لأفصل بين الخبر والاجتهاد ، بين الخبر والتحليل ، لأنصرف بأكبر أمانة ممكنة الى تمحيص الخبر بعد المقارنة والمفاضلة بين ما جاء لدى الآخرين . فبالتحليل الأمين للأحداث يحيا الكتاب او يموت . لقد بذلت كل الجهد للوصول الى الخبر الصحيح او الأقرب الى الصحة ولم اقتصد في سبيل ذلك لا بالوقت ولا بالمال .واردت ان يتناسب مضمون الكتاب مع الهدف الكبير المتوخى من كتابته : السعي نحو المزيد من الحقيقة ليسهم المضمون في منح الدروس للحاضرين ولأجيال المستقبل.

لا يقتصر مضمون كتابنا على الاستنتاجات التي توصلنا اليها من خلال السبرِ الأمين للمعلومات التي جمعناها ، وانما نورد ايضاً آراء اخرى لا نتفق معها ولا نؤيدها . فنحن كالآخرين من الباحثين معرضون للخطأ والصواب . فهل نحن دوماً على صواب ؟ وهل يشفع حسن النية وحده لاستئصال الرئة الثانية لحياة الشعوب عيشاً كريماً ، الا وهي الديمقراطية ؟ ألا تكمن الذيلية والذل لهذا العالم العربي المتفسخ في ذلك السرّ الصغيرِ الخطيرِ حيث يعتقد كلّ من اصحاب القرار بأنه هو وحده يحمل رايات الحقيقة ؟ مسكينة انت ايتها الحقيقة الواحدة ... فكم تختلف الصور التي ينتحلونها لك بينما انت تقبعين وحيدة ومغايرة لمعظم ما يقولون . إن وأد الشورى الصادقة سوف يمنعنا من الارتقاء على سلم من يستحقون الحياة .

بدأت هذه الكلمة بجملة " انني كمؤرخ لم اسهم في صنع الحدث . " واختتِمُها بتكرارِها .. ولكن مع الأمل بأن يسهم كتابي في التأثير على اصحاب القرار وعلى صانعي الأحداث في الوطن ، لأن استمرار وجود المجتمع العربي في عيشٍ كريمٍ مطروحٌ في مزاد القدر الذي لم يسبق له ان عرف الرحمة . فإن لم تنفتح الأفئدة الى كلمة الحق فإن الذل والانحطاط بل الاندثار سيكون لنا بالمرصاد .

تُرى هل نذكر وجود عرب بائدة تفضح تسميتها انها اندثرت من التاريخ ؟

المؤلف

تقييم لبعض مراجع الكتاب

لا تتناسب قيمة كتاب ببحر المعلومات التي تتوفر ضمن المراجع التي يعتمدها الكاتب فقط وإنما تتأثر جذرياً بطريقة بحثه وتمحيصه لمضمونها وبتحليله لما جاء فيها بالإضافة الى نظرته الى تلك المراجع بل والى مؤلفيها. وانطلاقاً من تلك القناعة نورد فيما يلي تقييماً لمراجع مهمة اعتمدناها ودرسناها في هذا الكتاب عن حرب الخليج:

كتاب محمد حسنين هيكل - "حرب الخليج - أوهام القوة والنصر ."

يشبه هذا الكتاب كتبه الأخرى المطولة والمسترسلة . ولكنها بالرغم من استرسالها تبقى شيقة تجذب القارىء لأنها تحتوي بالإضافة للمعلومات الرئيسية على معلومات ثانوية كثيرة تنبىء عن سعة اطلاع الكاتب الكبير . ولكننا نشكك في ضرورة سردها بالشكل المفصل كما في الكتاب ونرى انه من الممكن اختصار الصفحات الثلاثمائة الاولى منه في أقل من خمسين صفحة دون ان يفقد الكتاب ما يضيره. ولكن ليس هذا هو الأمر الأهم في التقييم وانما لنا مآخذ أساسية على الكتاب.

ترتكز روعة كتب هيكل على قاعدتين رئيسيتين . الأولى هي اتصالاته الشخصية القوية مع قادة ومع سياسيين عرب وأجانب ممن يشغلون الصف الأول من العمل السياسي . فهؤلاء يمنحونه من المعلومات ما لا يتوفر لكتاب آخرين . ونعتقد أن بعض اصحاب القرار او بعض مراكز المعلومات في الأرشيفات "تمـرر" إليه من الوثائق ما يتفق مع مصلحتها لعلمها بأن ايصالها اليه قمين بنشرها علي اوسع نطاق وخاصة في مصر حيث يعيش نصف سكان الوطن العربي تقريباً . وكثيراً ما تُشْطَبُ من الوثائق فقرات يُشار اليها بشكل فراغات ليظن الناس بأن المصدر أمين ، بينما تُحذف لكيلا تنقلب الوثيقة الى ضدها في كثير من الأحيان .

ويوجد في احاديث أصدقاء هيكل اليه كثير من الطرائف والملابسات الثانوية التي لا أهمية لها بحد ذاتها ولكن ايرادها ضمن الكتاب يُمَتِّنُ صفة المصداقية فيه ويمنحه حيوية تميزه عن الجمود الذي تتصف به الوثائق.

اما القاعدة الثانية التي يرتكز عليها هيكل فهي قوة قلمه التي لا يختلف عليها اي ناقد موضوعي . وهذه الملكة لديه تمكنه من التصفيف المنطقي للحجج التي يوردها بشكل يأسر القارىء الاعتيادى ويضعه في الزاوية التي يريدها له هيكل. وهذه الصفة التي يفتخر بها عادة اي كاتب تحمل في طياتها الخطر الأكيد. فحين يُسَخِّرُ قلمه إما لخدمة حاكم او لترسيخ فكرة فإنه يتأرجح على كل الحبال المتوفرة ليصل الى هدفه غير عابىء بأسس الحقيقة الصافية غير المغرضة. ولقد كرسنا في كتابنا عن الوحدة والانفصال بين سورية ومصر الجزء الأكبر من التقديم الذي تعرضنا فيه الى كتاباته وأوردنا خمسة أمثلة موثقة تثبت تزييفه للحقائق والتاريخ.

اما فيما يختص بكتابه عن حرب الخليج فأول ما فوجئنا به هو ما ورد في مقدمته حيث قال:" وقد ظل الكونغرس الأميركي على سبيل المثال يناقش كل الممكنات الى يوم ٦ يناير ١٩٩١ ، اي قبل أيام معدودة من بدء الحرب ليلة ١٧ يناير ١٩٩١ . واما عندنا فقد توقف الحوار بعد ساعات من فجر ٢ اغسطس ١٩٩٠ ".

وإمعانا في منح هذا التقديم قيمة ووزناً تم اختياره لوضعه على الغلاف الخلفي للكتاب .

ولكن كلام هيكل هذا كاذب وخطير! كاذب لأن الجهود التي بذلها العرب وأولهم الملك حسين تفقأ عين التضليل . وقد استمرت جهوده وجهود العديد من قادة العرب حتى آخر اللحظات قبل الهجوم الجبان على العراق. وكلام هيكل خطير لأن مثل هذا الإدعاء قمين بتخدير الجماهير العربية وبإصابتها بالإحباط الشديد مما يجعلهم إما قدريين مستسلمين لما يأتيهم من عند الله او من عند الخواجة ، او ينقلبون الى التطرف فيلجأون الى ممارسة العنف الدموي الذي يؤذي قضيتهم بدلاً من ان يدعمها ويفيدها .

نفتقد في كتاب هيكل معالجة مؤتمر جدة اذ ينمحه ٣٦ سطراً لا تنبىء عما جرى هناك بينما نجده يفصل في حديثه عن اللورد الفلاني والسير البريطاني الفلاني وعن "سلطة عصور الخلافة والمماليك "مفرداً لها صفحات كثيرة لا ضرورة لها اطلاقاً اذا ما قورنت بأحداث مؤتمر جدة. فهذا المؤتمر كان حجر الزاوية الذي انقلب عنده الخلاف من " مناحرات تفاوضية" الى عدوان عراقي عسكري على الكويت.

اننا حين ننتقد هيكل لا ننتقص من أهمية ما يكتب ولا من جودته . ولكننا نشدد على ضرورة الحذر في تقييم استنتاجاته من جهة والتأكد من انه يقول كل الحقيقة وليس النصف. ان فيما يكتبه ثروة وغذاء ولكنها ليست صافية كل الصفاء.

كتاب سعد البزاز - " حرب تلد أخرى "

شغل السيد سعد البزاز منصب المدير العام للاذاعة والتلفزيون في العراق وصار رئيساً لوكالة الأنباء العراقية ثم رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية وكان قريباً جداً من الأحداث الخاصة بحرب الخليج و قريباً من صناعها وملابساتها السابقة للغزو واللاحقة للحرب. يكتسب كتابه أهمية خاصة من خلال كونه يمثل وجهة النظر العراقية الى حد كبير دون ان يتبناها شخصياً بشكل كلي ودون أن يوافق العراق على اعتبارها ممثلة لموقفه الرسمي . فالبزاز لم يلجأ الى استخدام كل الأساليب الديالكتية التي يبدو ان القيادة العراقية كانت تريد منه

ايرادها للدفاع عن وجهة نظرها. قد يبدو الكتاب عراقياً اكثر مما هو جائز بالنسبة للناظر من منطقة الوسط بينما يجد بعض العراقيين ان البزاز لم يضع كل ثقله للدفاع عن مواقف العراق.

وجدنا ان اختيار عنوان الكتاب " حرب تلد أخرى " ناجح جداً لأنه يجسد في وقت مبكر نسبياً المستقبل الحالك الذي علينا توقعه للوطن العربي عموما وللخليج خصوصاً إن لم تحدث المعجزة بيقظة العرب الحالمين على طرفي خندق النزاع . لا شك في ان الجراح اعمق من ان تندمل بمثل هذه السرعة . ولكن بالمقابل نجد ان عدم تجاوز الماضي هو" الكارت بلانش" الذي يمنح ذوي المصالح الكبرى امكانية الاستمرار في التلاعب والعبث بالطرفين على حد سواء.

من يقرأ كتاب البزاز يدرك بسرعة ان الكاتب يعرف اكثر مما سطره قلمه بكثير. ويدرك ايضاً انه يحيط علماً بالعديد من ثغرات وهفوات السياسة العراقية العليا دون ان يتمكن من معالجتها. ولذلك فهو يمر عليها مرور الكرام متفادياً بذلك الدخول بين القبور.

يكمن الفارق بين هيكل والبزاز في ان الأول حين يكون لديه خمسين في المئة من معلومة أو خبر فإنه يتوسع فيما يكتبه عنها ويستفيض مما يوحي بأنه يحيط بالموضوع بشكل كامل. اما البزاز فيما نرى فنجده حين يعرف ذات الخمسين في المئة يكتب عنها بتحفظ ويحسب حساباته ويقلص ما يكتب . انه يضع لنفسه حدوداً يلتزم بها خشية لوم لائم.

كتاب ابراهيم نافع " الفتنة الكبرى "

وجدنا هذا الكتاب شديد السخونة والإندفاع بعيداً عن الموضوعية. إنه يشكل مرافعة تتهجم على العراق دون قيد أو شرط لتدافع عن مواقف الرئيس محمد حسني مبارك دون قيد أو شرط. فالقيادة العراقية بالنسبة لابراهيم نافع هي الشر كله بينما سياسة الرئيس مبارك هي الخير كله. ولا مجال لما هو بين بين. ولم نجد أن دفاعه عن الرئيس مبارك وصل الى المستوى المجدي لأن التناقضات في أمور ذات شأن في الكتاب أضعفت من مصداقيته. وهذا ما شرحناه في المكان المناسب ضمن الفصول ولكننا نورد منها مثلاً: يقول ابراهيم على الصفحة ٥١ من الطبعة " المزيدة والمنقحة " أن الرئيس صدام حسين ادعى أنه تحدث مع الرئيس مبارك في بغداد بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٤ وقال له أنه لن يقوم بعملية الغزو إلا بعد إجتماع جدة. ويعترض نافع على صحة الشرطية التي ذكرها الرئيس صدام وينفيها نفياً باتاً فيقول أن الرئيس صدام تناسى " **أن الحديث في بغداد والكويت وجدة خلال زيارة مبارك لم يكن يتضمن من قريب أو بعيد موضوع إجتماع جدة، وأن إجتماع جدة قد تم الإتفاق عليه**

بعد ذلك، بالإتصالات الهاتفية في وقت لاحق، وهذا يعني التناقض الخطير فيما يقوله صدام حسين."

ومن الغريب أن نكتشف على الصفحة ١١٧ من ذات الطبعة كيف " يلحس " الاستاذ نافع مداد كلماته السابقة. فهو يكتب:" **وفيما بين ذهاب الرئيس حسني مبارك يوم ٢٤ يوليو ١٩٩٠ في محاولته التاريخية لاحتواء الأزمة... واللقاء المغلق المنفرد مع الرئيس صدام حسين والذي أكدّ فيه أنه لن يستخدم القوة العسكرية ولن يغزو الكويت، ثم سافر في نفس اليوم الى الكويت ومنها الى جدة في سعيه الجاد لرأب الصدع، جرت مياه كثيرة في البحر العربي المتلاطم الأمواج العاصف الرياح، أغلبها مياه عكرة ملوثة بالنيات السود، ومن بينها مثلاً تصريحات طارق عزيز، وزير خارجية العراق، وطائرة الرئيس حسني مبارك ما زالت في الجو في طريقها من بغداد الى الكويت، تصريحات خبيثة تقول: إن اللقاء الذي يجمع بين العراق والكويت في جدة هو لقاء بروتوكولي. ولم يرتح الرئيس لكلمة بروتوكولي. وهل كانت رحلة الرئيس الشاقة بين عواصم الدول الثلاث لمجرد أن يجلس العراقيون والكويتيون في لقاء دبلوماسي، لمجرد شرب القهوة وتبادل الكلمات؟"**

إذن فالرئيس مبارك عرف بإجتماع جدة أثناء وجوده عند الرئيس صدام.

وهناك تأكيد قاطع لمعرفة الرئيس مبارك بموضوع مؤتمر جدة نأخذه من لب رسالته التي وجهها الى الرئيس صدام حسين بعد استلامه لرسالة منه أرسلت بتاريخ ١٩/ديسمبر/كانون أول ١٩٩٠ . فقد أعرب الرئيس مبارك عن دهشته من ادعاء الرئيس صدام حسين من وجود شهود من العراقيين والمصريين حين حدثه عن " شرطية " غزو الكويت. ويتابع الرئيس مبارك:" **وترجع دهشتي في المقام الأول الى أن الحديث دار بيننا في هذا اليوم الأول على نحو منفرد، ولم يشارك فيه أحد من أعضاء الوفدين أو غيرهم....... أما عن مضمون الحديث الذي دار بيننا في اللقاء المغلق فأنكر على وجه التحديد أنك قلت لي بالحرف الواحد: يا أبا علاء إن حكام الكويت مذعورون رغم أنني لا أنوي القيام بأي عمل عسكري، وأعتقد أنك تستطيع أن تنتهز الفرصة وتطلب منهم ما تشاء، وأن تطرق الحديد وهو ساخن لأنهم سوف يبادرون للإستجابة لطلبكم....وقد أضفتم الى هذا أنكم سوف تعملون على بحث كافة المسائل المختلف عليها في المحادثات التي اتفقنا على إجرائها في جدة."**

ترى هل قرأ نافع ما كتب في المواقع الثلاثة من كتابه ذاته ؟ هذا وعلى الصفحة ٢٣٥ من كتابه يتابع نافع اقتباس رسالة الرئيس مبارك الى الرئيس صدام حيث يقول :" **ولا**

أستطيع أن أختتم حديثي عن هذه النقطة قبل أن أصحح خطأ آخر وقعت فيه رسالتكم حين ذكرتم في الصفحة الثالثة والثلاثين منها..."

إذن فرسالة صدام أطول من ٣٣ صفحة على كل حال. ولذلك لا نستطيع تفسير ورودها في كتاب نافع في ثمانية صفحات فقط. فإن كان اختصرها فكان عليه الإشارة الى ما فعل.

بوب ودورد كتاب "القادة "

يعتبر هذا الكاتب من افضل من صوّر الخطوات الأميركية قبل الغزو العراقي وبعده. يتصف كتابه بتلك الصراحة والجرأة المألوفة عن الكتاب الأميركيين الذين يبدون وكأنما لا يبالون بشيء ولا يحسبون حسابا لأحد. ورغم ذلك نعتقد بأنه لم يتحدث عن كل شيء يعرفه عن مثالب السياسة الأميركية . اننا نجده يصرح بشيء او بأشياء من التجاوزات الأميركية على القيم الانسانية ليتخذ من صراحته هذه وسيلة للتستر على ما هو أعظم منها.

من يقرأ ودورد يدرك كيف انه ينهل من معين لا ينضب من المعلومات التي وُضعت تحت تصرفه من قبل ساسة اميركيين شاركوا في اتخاذ القرار. ولذلك لا يجوز لباحث في حرب الخليج تجاهل ما جاء في هذا الكتاب . واما التقييم فمتروك للباحث نفسه .

وحين نكتب عن كتابه نجد أنه من الضروري الاشارة الى وجود تعريبين لكتابه في المكتبة العربية. احدها من انجاز محمود برهوم والثاني من انجاز عمار جولاق ومحمود العابد. كلا التعريبين لا يفي الكتاب الأصلي حقه ، ولكن تعريب جولاق/عابد اتعس من تعيس. وربمايستحق العقوبة القانونية لو كان هناك حرص عل القانون. اننا لم ندرس تطابق تعريبهما مع الأصل الانكليزي بالكامل. ولكننا شككنا بمقولتين نُسبتا الى ودورد ولم نصدق بأنه كتبها كما ورد في التعريب . فعدنا للأصل الانكليزي فوجدنا اختلافاً خطيراً في المعنى ربما يقلب الاستنتاجات رأساً على عقب. ونذكر النقطة الأكثر اهمية منها فيما يلي:

قرأنا على الصفحة ١٨٤ من نسخة جولاق/عابد ان الفرق العراقية الثلاثة المتواجدة على الحدود الكويتية فكت سلاسلها في يوم الأربعاء الواقع في ١٩٩٠/٨/١" وتحركت للأمام ثلاثة أميال داخل الحدود الكويتية " . وهذا كلام خطير ! فهل يمكن لأمير الكويت ان يسكت عن اختراق حدوده بهذا الشكل الاستفزازي دون ان يقوم بأي تصرف ؟ وانطلاقا من شكنا عدنا الى الأصل الانكليزي على الصفحة٢١٩ ووجدنا ان الفرق العراقية الثلاثة لم تخترق الحدود وانما اقتربت في التوقيت المذكور الى ما قبل الحدود الكويتية بثلاثة اميال .

وحرصاً على التوثيق اتصلنا بالبزاز وبالعميدين الكويتيين مطر سعيد المطر والدكتور محمد عبد اللطيف الهاشم الذين عالجا هذا الموضوع وتأكدنا من الخطأ الكبير الذي ارتكبه جولاق/عابد.

بيير سالنجر-اريك لوران - " الملف السري لحرب الخليج "

كان بيير سالنجر متحدثاً باسم البيت الأبيض ورئيساً لشبكة تلفزيون ABC الأميركية في اوربا والشرق الأوسط . وايريك لوران محقق صحفي كبير تخصص في امور الشرق الأوسط وفي قضايا المغرب العربي . ولكلاهما اتصالات عميقة بمصادر المعلومات وبأصحاب القرار في بلادهما وفي الشرق العربي.

ميزة كتابهما هي في صدوره بعد الغزو العراقي وقبل الهجوم على العراق. يتصف الكتاب بكثير من الجرأة في نقد السياسة الأميركية. وهو من أوائل من اشار الى مسؤولية واشنطن في توجيه الأحداث نحو الكارثة حين اعطت الرئيس العراقي الأضواء الخضراء المختلفة والتي تحمل معنى: " Go ahead " اي: " أكمل مشوارك "او" تابع تنفيذ مخططك ". وقد حصل سالنجر على معلومات هامة جداً من بغداد مثل محاضر جلسات الرئيس صدام حسين مع السفيرة غلاسبي ومع القائم بالأعمال جوزف ولسون. ولذلك نستطيع وصف الكتاب بأنه يجمع شيئاً من معارضة للسياسة الأميركية مع " ذخيرة حية " عمادها المعلومات التي سربها العراق الى المؤلفين لتظهر وجهة نظره في سوق الإعلام العالمي. ونعتقد بأن العراق سرب المعلومات والوثائق ليجري نشرها قبل نهاية مدة الإنذار عسى الكتاب يؤثر على مسار السياسة الأميركية الى اتجاه لا يؤذي العراق.

عُرِّب الكتاب في مكانين ايضاً. مرة في باريس واخرى من قبل مكتبة مدبولي في القاهرة . ولقد وجدنا بعض الفروق بين التعريبين ولكن ذلك لا يبلغ المدى الخطير الذي وجدناه عند جولاق/عابد.

رامزي كلارك - " النار هذه المرة "

كان كلارك وزيراً للعدل في الولايات المتحدة الأميركية.ويبدو ان شعوره بالعدالة ربط مصيره بمصائر الضحايا والمعذبين في الأرض. يكيل في كتابه الاتهامات العنيفة الى سياسة الولايات المتحدة عموما والى الرئيس جورج بوش بالذات ، ويُثبت بالقرائن وبالحجج

القوية وبالاقتباسات الواضحة تورط السياسة الأميركية في أعمال غير انسانية نابعة عن المصلحة الشخصية التي لا تعبأ بأي وازع.

ومن ألطف ، وربما من أهم هجماته المحقة على القيادة الأميركية هو إثباته الموثق لزيف صور الأقمار الصناعية التي استخدمها البنتاجون لتضليل العاهل السعودي و" لإجباره" على القبول بالانزال الأميركي الكبير حسب تعبير ودورد.

جان بيير شفينمان – " حرب الخليج دفعتني للاستقالة "

شغل شفينمان منصب وزير الدفاع في فرنسا منذ ما قبل حرب الخليج وبدت معارضته لخط السياسة الفرنسية المتماشية مع واشنطن قبل الشروع في الحرب . حاول الرئيس ميتران تنحيته عن منصب وزير الدفاع فعرض عليه حقيبةً وزارية اخرى فلم يقبلها وانما استقال في اثناء الأعمال العسكرية ضد العراق ، تلك الأعمال التي لم يعد ضميره يتحمل ابعادها ومآسيها ، واعتبرها بحق جزءاً من تحامل الدول المتقدمة ضد العراق وضد البلاد العربية وضد دول العالم الثالث ككل.

لقد وضع شفينمان اصبعه في صميم الجرح الدامي فأطلق صيحته الانسانية الداوية التي لا يجوز لها ان تضمحل الا بعد ان تحقق الهدف السامي الذي من اجله ابتعد هذا الوزير عن " سحر المنصب " فكتب كتابه الموضوعي .

ادوارد شيفرنادزة – " سنوات هزت العالم "

كان شيفرنادزة وزير الخارجية للاتحاد السوفياتي في عهد غورباتشوف حيث انفرط عقد الكتلة الشرقية . اننا لم نقرأ مذكرات أضحل مما جاء في هذا الكتاب . فبقدر تشوقنا لالتهام مضمونه صفحة بعد صفحة بحثاً عن المضمون الرصين كان احباطنا بعد انجاز قراءته. ولا نجد الكتاب يستحق العنوان الذي اعطي له على الاطلاق. لا شك في وجود القليل مما يوضح التجويف الداخلي المخيف للاتحاد السوفياتي الذي سبق الانهيار الكبير. ولكن ما ورد عن ذلك لا يستحق هذا الكتاب ولا هو بالخفيّ على القراء .

رولان جاكار – " الأوراق السرية لحرب الخليج "

يتميز هذا الكتاب بصفات جاسوسية مخابراتية واضحة. يدرك قارؤه كيف ان المؤلف ينهل من نبع مُلمّ بالخفايا ومطلع علىالأسرار التي تحيط بالأحداث المظلمة . فهو

يسمي الأماكن والأسماء بمسمياتها . ويتحدث عن التسلح العراقي وعن المدفع العملاق وعن الأوضاع الداخلية لمنظمة التحرير الفلسطينية محدداً بدقة يصعب تجاوزها او نعتها بالسطحية او التزييف.

هذا ولقد اتيح لنا تفحص وتدقيق بعض المعلومات الجريئة التي جاءت في كتابه فإذا بها مطابقة للواقع . وعلى سبيل المثال نذكر ما قاله رولان عن ان الحكومة الكويتية ارسلت العميد مطر سعيد المطر الذي تخصص في بريطانيا على وسائل المخابرات الى القنصلية الكويتية في البصرة لرصد ما يفعله العراق فاذا به يرسل الى الكويت بالشيفرة قبل اسبوع من الغزو التوقيت الدقيق لحدوثه . ولما اتصلنا بالعميد المطر ارسلنا اليه بالفاكس النص الذي ورد عنه لدى جاكار وسألناه عن صحة المضمون فأكد لنا ان المضمون والتوقيت صحيحان، وسيجري التنفيذ اذا فشل مؤتمر جدة.

نورمان شوارتزكوف - " شوارتزكوف في الخليج "

الكتاب هو عبارة عن مذكرات هذا الضابط الأميركي الذي كُلِّف بشن الحرب ضد العراق . فجمع تحت قيادته نصف مليون جندي من ٢٩ دولة وقام بعمله " البطولي. "

يتصف كتابه بحيوية جيدة تنقل القارىء الى اجواء التحضير لهذه الحرب منذ ما قبل اندلاعها بعام ونصف العام . ويتضح للقارىء المتأني كيف ان الولايات المتحدة كانت ترسم للحرب قبل ان يفكر العراق بغزو الكويت . ولا يبخل الجنرال " البطل " علينا بالاعتراف الخطير في التآمر الأميركي على العراق. بل إنه منح الباب الثاني من كتابة العنوان التالي: "الشرك الأميركي للعراق " ولقد جاء في السطر الأول من هذا الفصل :" كان هدفنا هو احداث شرك اميركي للعراق، وهذا هو ما حدث تحديداً "

لم نُخْفِ عن الأصدقاء وعن بعض الزملاء استغرابنا ان وزارة الدفاع الأميركية سمحت بورود مثل هذا النص في مذكرات شوارزكوف . ولم نجد تعليلاً لذلك الا ما قاله الأخ الزميل مصباح الغفري قبل عام او عامين حين قال ان الانسان العربي لا يقرأ ... ولو كان يقرأ لما وقعت البلاد العربية في هذا الكم الضخم من الرزايا والمصائب . فلا حاجة للخصوم والأعداء للحرص على إخفاء ما يبيتون، ولا مانع من ان يخططوا ويدبروا في وضح النهار .

حسن العلوي - " دولة المنظمة السرية " و " دولة الإستعارة القومية "

حين قرأنا الكتاب الأول منهما أصبنا بقشعريرة مـن يشـاهد مشـاهد عنيفـة مـن أفـلام الرعب، ولم نشأ تصديق ما نقرأ الى أن طرحنا أسئلة على مواطنين من مشـارب مختلفـة بمـا في ذلك من يقفون على مقربة من النظام. فكل من عرضنـا عليـه لوائـح المـوت أقـرّ بـأن ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة منها صحيح. ولم نصنف آنذاك الخلفية الفكرية للمؤلف بايجابيـة، وإنمـا نظرنـا اليه من زاوية حقده على النظام. ولكن لما قرأنـا الكتـاب الثـاني لمسـنا مقـدرة فكريـة وتحليليـة جيدة للمؤلف حين لا يتناول حوادث القتل والإعدام. ولمسنا لديه الخلفية الثقافية المناسبة ليعالج المواضيع التي يتناولها في بحثه، وخاصة حين يتعرض الى البرامج التثقيفية " التغريبية " التـي وضع أسسها ساطع الحصـري، وميشـيل عفلـق وقسـطنطين زريـق فـي مقـابل البـرامج التـي اختطها عبد الرحمن الكواكبي وأمثاله. ونعتبر مقارنته بين العلماني العربي والعلماني الأوربـي من أفضل ما قرأناه في هذا الشأن. ولكننا نأخذ عليه أكثر من أمر:

فهل له أن يعود الى كتاباته في تمجيد الرئيس صـدام حسـين قبـل انتقالـه الـى يقينـه الجديد؟ وهناك موضوع أسلوبه فـي التحـدث عـن الملـك فيصـل الأول حيـث يحـرص حرصـاً شديداً على الإساءة اليه والى أقاربه. وهذا مما يُضعف مصداقيته ككل ويجعلنا نعتقد بأنـه دُفـع الى ذلك دفعاً، مما لا يليق به ككاتب يريد الصدق والموضوعية.

ملاحظة: حين ترد الأقواس المكسورة: [ ] يكون النص ضمنها من كلام المؤلف.

مراسلات أجريناها مع رؤساء لدول عربية

حرصا منا على أن يكون كتابنا أقرب الى الحقيقة والموضوعية حاولنا الإتصال مباشرة مع بعض صانعي القرار لنطرح عليهم أسئلة تلقي الإجابات عليها النور على ظلماء التاريخ والتأريخ. وأول من حاولنا الاتصال به هو الرئيس صدام حسين لأن المراجع الإعلامية الجادة عن وجهة نظر العراق قليلة بينما باب الإعلام العالمي مفتوح أمام الآخرين. وسوف يتبين من قراءة رسائلنا اليه أننا لم ننطلق من موقف المحاباة وإنما من منطلق النقد لسياسة العراق. وفيما يلي نورد النصوص الأصلية لما أرسلناه الى الملوك والرؤساء:

ميونيخ ١٩٩٢/١٠/٩

الى سيادة الرئيس صدام حسين، رئيس جمهورية العراق الأكرم ،

بعد السلام والتحية، أرجو لكم ولشعب العراق كل الخير.

يا سيادة الرئيس، إني الآن بصدد كتابة مؤلف شامل عن حرب الخليج. لقد تضاعف عزمي على الكتابة كلما انتهيت من قراءة تعليق أو كتاب عن هذه الحرب التي سميتها في إحدى مقالاتي:" هل هي حرب أم مجزرة" . ومن الكتب التي قرأتها مؤخراً كتاب سالنجر/لوران ، وكتاب بوب ودورد، وكتاب محمد حسنين هيكل، وكتاب محمد جلال كشك، والكتاب الأبيض الذي صدر في عمان، وثمة مجموعة أخرى أقل أهمية وجدية ولكنها تهم الباحث الذي يحاول "مطاردة" الحقيقة الى آخر ملجأ تلوذ اليه. ولا يوجد بين يديَّ أي مرجع جديٍّ صدر عن العراق. [لم أكن قد عرفت بوجود كتاب سعد البزاز]

من هذا المنطلق أسألك يا سيادة الرئيس إن كنت تقبل باستقبالي لأسمع منك مباشرة أجوبة كانت وما زالت تحير المعلقين والمؤرخين. وبهذه المناسبة أودُّ الاعتراف لك يا سيادة الرئيس بمعارضتي للسياسة التي اتبعتها في هذه الأزمة في معظم جوانبها. ولم آخذ ذلك الموقف من باب المعارضة لمجرد المعارضة وإنما من القناعات التي تشكلت لدي بعد الإطلاع على العناصر الظاهرة للعيان من المسببات والنتائج. وإن تكرمت بتقبل أسئلتي غير المتحابية لجعلت من كتابي مصدراً أقرب الى الصدق والموضوعية، وأبعد عن التعامي والتحامل. وإني أعدك صادقاً بأنني لا أهدف الى الأذى وإنما سأبقى ساعياً الى الحقيقة والجوهر. ولربما من واجبي أن أؤكد منذ الآن عدم ارتباطي مع أي حزب من الأحزاب منذ أيام الدراسة في دمشق حتى هذا اليوم.

هل لي أن أتوقع جوابك يا سيادة الرئيس ؟ وهل سيكون ذلك بالايجاب؟

مع أطيب التحية والاحترام

د. سامي عصاصة

ملاحظة: أرسل هذه الرسالة مباشرة الى
العراق ، وأرسل صورة عنها من خلال
سيادة السفير العراقي في بون.

وجاءنا جواب الاعتذار من السفارة العراقية من خلال مخابرة هاتفية ظهر ١٩٩٢/١٠/٢٨ . فكتبنا رسالة أخرى الى السفارة نطلب منها توثيق جواب بغداد فجاءنا فاكس من بون بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٣٠ يؤكد اعتذار بغداد ولكنه يعرض " ترتيب لقاء مع أي جهة رسمية أخرى للإجابة " على أسئلتنا. وهذا نص الفاكس من طرفنا:

الى صاحب السيادة القائم بالأعمال في سفارة العراق في بون المكرم

بعد تقديم وافر التحية والاحترام، اتصل بي ظهر يوم أمس أحد الاخوان من سفارتكم العامرة دون تحديد الاسم، وأعلمني بالأمور الثلاثة التالية جواباً على طلبي مقابلة السيد الرئيس صدام حسين:

١ - اعتذاره عن مقابلتي

٢ - أستطيع توجيه الأسئلة التي يهمني توضيحها كتابياً

٣ - تحديد أسماء من يهمني مقابلتهم من ساسة العراق الأكارم إثر اعتذار سيادة الرئيس

لو كان طرح الأسئلة الكتابية يحل المشكلة لفعلت ذلك دونما تردد. ولكن عمق الموضوع وطبيعة الأسئلة أكثر حيوية من أن أطرح سؤال وأحصل على " غطاء " له. فالحوار هو العنصر الفعال الذي يؤزر البحث العلمي. وهذا ما أرجوه وأبتغيه وأسعى إليه. فإن سُمِحَ لي بمقابلة آخرين من رجالات العراق فأول من يهمني لقاؤه هو سيادة وزير الخارجية خلال الأزمة السيد طارق عزيز، ثم نائب رئيس مجلس الثورة السيد عزت ابراهيم.

أكرر صادقاً رغبتي في التقرب من الحقيقة أكثر ما يمكن من أجل الأجيال الصاعدة ولتاريخ التاريخ.

مع أطيب التحية والاحترام

د. سامي عصاصة

بعد مرور عدة أسابيع دون جواب وجهنا الى بغداد الرسالة التالية:

ميونيخ ١٩٩٢/١٢/٤

يا سيادة الرئيس،

بعد وافر السلام والتحية، أتوجه برسالتي هذه ثانية الى سيادتكم عساني أستطيع تنفيذ رغبتي في أن يكون الكتاب الذي أحضره عن حرب الخليج أكثر موضوعية من كل ما صدر ونشر حتى الآن.

جواباً على رسالتي الأولى الى سيادتكم تلقيت من سفارة العراق في بون رسالة موقعة من قبل السيد القنصل عباس جاسم سلمان. وبناء على جوابه ارسلت الى السفارة رسالة بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٢٨ أرفق صورة عنها وأحدد أسماء من يهمني لقاؤهم. وها هي أسابيع طويلة تنصرم دون أن أحصل على جواب.

يا سيادة الرئيس، إني حين أكرر رغبتي في لقائك لا أنطلق من عنصر الإلحاح المجرد وإنما من رغبتي في ألا يظهر كتابي الا بعد مراعاة وجهة نظركم في جوهر الأحداث. وكم أودّ ألا يصدر كتابي معتمداً فقط على القناعات التي تتشكل لدي من خلال قراءتي لمختلف المراجع التي تم نشرها..لأن وجهة نظركم تشكل حجر الزاوية في المضمون التاريخي الذي سوف نتركه للأجيال. وإن لم يكن لديكم الوقت الكافي للقائي أرجو أن تحددوا أنتم الرجال الذين أستطيع لقاءهم ممن هم على اطلاع حقيقي على مجريات الأمور. هذا وإني لن أسعى وراء معلومات توجه عادة من خلال الإعلام اليومي الى العامة، وإنما سوف أحرص على سبك اللباب الكامنة في قلب الحقيقة بالقدر الذي توافقون على منحي إياه وإطلاعي عليه.

كم أرجو ايجابية الجواب تاركاً لسيادتكم أخذ القرار.

مع أطيب التحية

د. سامي عصاصة

مرفقات.

أرسل نسخة عن هذه الرسالة بالفاكس الى السفارة العراقية في بون.

بعد هذه الرسالة حصلت اتصالات مختلفة مع السفارة في بون كانت خلاصتها رفض اللقاء مع أي من ساسة العراق بعد أن كان قد تم التنويه عن إمكان حصوله. وأصر الجانب العراقي على طرح الأسئلة خطياً فكتبناها على الصورة التالية:

- هل حدث ما أشعركم بأن أميركا تقبل بالعراق بديلاً لرؤساء دول الخليج؟
- هل حدث أن شاركت الـ CIA بدفع وردّ عدة محاولات تستهدفكم لإقناعكم بأن أميركا معكم ؟
- منذ متى بدأتم التحضير لدخول الكويت ؟ إن الدقة والسرعة التي تم بها ذلك تؤكد التنظيم الدقيق المسبق.
- ماذا كانت توقعات بغداد عن رد الفعل الأميركي بعد دخول الكويت ؟
- ما هي الأسباب التي جعلت العراق يختار هذا التوقيت ؟
- في مؤتمر الرئيس بوش الصحفي بتاريخ ١٩٩٠/٨/٨ قال: مهمة القوات ليست إخراج العراق من الكويت، إنما الدفاع عن السعودية. فهل أوحى لكم هذا النص بأن أميركا ربما "ستتقبل" في النهاية عملية الضم ؟
- هل كان ثمة خطة عراقية بالإكتفاء بالدخول الى شمال الكويت والجزيرتين ؟
- لماذا تنازلت لايران عن كل الأوراق الرابحة التي أخذتها منه ؟

- لماذا كان العراق مستعداً للإنسحاب إن لم تتم إدانته من قبل الجامعة العربية؟ وما هو التأثير الذي سيصيب العراق منها؟ فمن هذا المنطلق نرى أن الإدانة التي صدرت عن الرئيس مبارك قبل قرابة ساعتين من موعد الجلسة في القاهرة حصلت بناء على ضغط أميركي غير عادي على مصر لإفشال مبادرة الملك حسين. فهل من تأييد أو شجب لهذا الرأي ؟

- لماذا استخدمت الرهائن الأجانب بالرغم من معرفة مدى الحساسية الإعلامية لهذا العمل، وخاصة بعد عملية الرهائن الايرانية وأثرها على انتخابات الرئاسة الأميركية ؟ ولماذا أطلقتهم بعد ذلك ؟

- لماذا لم يجر تنسيق سابق مع المعارضة الكويتية قبل ١٩٩٠/٨/٢ حسب المقترحات التالية:

١ - إقناع المعارضة بأن سياسة آل الصباح على خطأ وضارة بالعراق .

٢ - يعرض العراق دخول قواته الى الكويت وإجلاء آل الصباح وتسليم الحكم للمعارضة ثم يخرج العراق دون قيد أو شرط. ولا يستهدف سؤالي هذا آل الصباح، ولا نؤيد طريقتكم التي اتبعتموها في تحقيق الوحدة العربية.

- لماذا عومل الكويتيون بعنف إن كان يُطلب منهم قبول الموقف العراقي الجديد ؟ ولما قُطعت اتصالات الكويت مع العالم ؟

- لماذا هددتم اسرائيل بعد أن طلبتم من الأمير بندر ضمان عدم وقوع هجوم اسرائيلي على العراق؟ (ودورد صفحة ٢٨٠ من تعريب جولاق)

- لماذا لم يستخدم الصينيون حق الفيتو في قرار مجلس الأمن ٦٧٨ في ١٩٩٠/١١/٢٩

- ما هو موقفكم بعد اقتراح الرئيس بوش في لقاء الوزير طارق عزيز ولقاء بيكر معكم ؟ منطلقي لهذا السؤال هو ما يلي : بعد صدور قرار مجلس الأمن باستخدام كل الوسائل ضد العراق طلب السفير العراقي في واشنطن لقاء الأمير بندر قبل ظهر اليوم التالي. ولكن اقتراح بوش جعل السفير العراقي يعدل عن لقاء الأمير بندر. فهل معي الحق حين أقول أن العراق حين شعر بالخطر الآتي شاء مفاتحة السعودية لايجاد سبيل للخروج من الأزمة بأقل خسارة ممكنة. ولكن لما أعلن بوش عن مبادرته اطمأن العراق الى أن الحرب لن تقوم ؟

- ما كانت الحكمة من إحراق آبار البترول في الكويت ؟

- لماذا رفضتَ لقاء بيكر الا في ١٩٩١/١/١٢ ؟ إن الإجابة بانشغالكم في أمور أخرى غير مقبول لأنه لم يكن آنذاك من أمر يهم العراق ويقرر مصيره لجيل كامل أهم من ذلك. لا بدَّ من أسباب بدت لكم وجيهةً فما هي ؟

- هل كان موقف الرئيس عرفات غير مؤيد لدخولكم الكويت ثم غير موقفه ؟

- هل كان العراق يتوقع الهجوم في ذلك التاريخ ؟

- إنطلاقاً من قناعتي بأن أميركا هي التي خططت لتقوم الحرب أتوقع وجود تعليمات من الرئيس بوش الى شوارزكوف أن يبدأ الحرب على الفور بمجرد قبول العراق للإنسحاب، خشية أن تزول الأسباب الموجبة التي تتحجج بها أميركا لتدمير العراق. فهل من قرائن تدعم رأيي إن كنت على حق ؟

- هل حصل أي تناغم بينكم وبين الملك فهد على اقتسام الكويت فرفض الملك ذلك ؟

- هل لقصة رغبة الملك حسين في استعادة الحجاز أي نصيب من الصحة؟ إننا نرفض الفكرة أصلاً وفصلاً لأنها لا تتوافق مع جهود الملك حسين العظيمة لتلافي الخطر الجاثم. ولكن من واجبي أن أسألكم هذا السؤال.

- هل قال لكم الملك فهد والملك الحسن أن ينسحب العراق ولا عار عليكم ؟(جلال كشك صفحة ١٠٧)
- لماذا لم يستخدم العراق الغاز ؟ وإن لم يرغب باستخدامه فلماذا تكلف على صنعه ؟ ولا أنطلق في سؤالي من أسفٍ على عدم استخدامه أبداً ولكن عليّ هنا ايضاً أن اسأل، مع العلم بأن لدي جوابين على سؤالي:

الأول هو الأثر الإعلامي العالمي على سمعة العراق مما سيبرر المزيد من وحشية العدوان على العراق.

والثاني هو أن العراق استخدم الغاز ضد ايران حين كانت الأمواج البشرية الايرانية المغرر بها أضخم من أن يمكن ايقافها بالأسلحة التقليدية.

- هل كان العراق يفكر في مهاجمة السعودية ؟ لدي من القرائن ما ينفي ذلك. ولكنني أريد جوابكم.
- إذا كنتم لا تريدون مهاجمة السعودية فلماذا تجاوزت القوات العراقية الحدود معها ثلاث مرات، ولماذا قطع العراق الخط الساخن مع السعودية حين سأل السعوديون عن الاختراقات العراقية ؟ (كشك صفحة ١٤٠)
- رغبة ايران في الانتقام من العراق أكبر من أن يتناساها أحد ! ولكن لماذا لم تستغل ايران الأزمة التي وقع فيها العراق باحتلاله الكويت ؟ بل لماذا ساعدته بالأغذية وربما بأشياء أخرى ؟ هل معي الحق في أن أميركا هددت ايران باللهجة الصارمة الباتة بألا تستغل الموقف وألا تصطاد في الماء العكر لأن تدخلها سوف يجعل الدول العربية التي تمشي مع أميركا تقلب من مواقفها
- لماذا لم يستخدم العراق طيرانه ؟ إن الإجابة بأن التفوق الغربي لم يكن ليسمح بذلك غير مقبولة لأن منطلق تفوق خصوم العراق يسري على كل عناصر الحرب وليس فقط على الطيران.
- كيف أمكن إخراج الطائرات سالمة الى ايران ؟ فإن كانت تمكنت من التحليق لكان بإمكانها ايضاً الاعتراض على المغيرين أو التشويش عليهم.
- ما هي فحوى الاتفاقية مع ايران التي جعلتها تقبل استقبال الطائرات ؟
- ما هي مراسلاتكم غير المعلنة مع الرئيس مبارك ؟
- هل من بروتوكول صوتاً وصورةً مع السفيرة غلاسبي لأثبت أن النص الذي أعلنه العراق هو أمين وكامل؟
- هل لدى العراق صورة عن شهادة غلاسبي أمام الكونغرس في آذار ١٩٩١ ؟
- لماذا رفضتم مقابلة السيد بوز، وزير خارجية اللوكسمبورج ؟
- فشلت محاولة شركات البترول الأميركية في الحصول على الأفضلية في بترول العراق (زيارة كونالي في أوائل كانون الأول ١٩٩٠) رغم وعدهم بمحاولة نزع فتيل الحرب إن وافق العراق. ألم يخطيء العراق في رفضه ؟ أما كان يصبح بالإمكان تأجيل كل العنف عسى يأتي ظرف جديد يسمح للعراق بنيل ما يرغب ؟ لا شك في أن إعطاء الأميركيين تلك الأفضلية كان سيؤدي الى خسارة مادية كبيرة. ولكن ألم يخسر العراق أكثر من ذلك باندلاع الحرب ؟
- كيف قبلتم باستمرار وجود مراسل CNN حتى الرمق الأخير ؟

أرجو من سيادتكم الايعاز للجهة التي ترونها لترسل لي ميكروفيلم عن صحيفة عراقية معتمدة للفترة منذ شهر قبل دخول الكويت حتى انتهاء الحرب. فلسوف اتابع صحافة العراق يوماً فيوم لهذه الفترة دون أن أكتفي بصحافة الآخرين.

ولم أحصل من العراق على أي جواب.

ولكن الأمانة تقتضي الإقرار بأن قادة الدول العربية الآخرين لم يجيبوا ايضا. وفيما يلي الرسالة الى جلالة الملك حسين:

ميونيخ ١٩٩٢/٩/٢

الى صاحب الجلالة الملك حسين أعزّه الله وحماه

بعد جميل السلام وطيب التحية، أرجو لجلالتك الصحة والسعادة، وأرجو أن يطيل الله في عمرك الى أبعد أجل يسمح الله به لعباده في البقاء على هذه الأرض.

يا صاحب الجلالة، ما زالت أحداث حرب الخليج تجرح الأفئدة وتدميها. لقد كتبت قبل اندلاعها وخلالها وبعدها العديد من المقالات الناقدة التي تنحو باللوم على كثيرين دون تسمية أسماء. وقرأت كثيراً من كتابات الآخرين عن هذه الحرب. وآخر ما قرأت هو كتاب الاستاذ محمد حسنين هيكل.

لا شك في أن الاستاذ هيكل من أروع كتاب العربية وأكثرهم علماً واتصالات. وتُفتح له أبواب بيسر بينما توصد في وجوه الآخرين. لكن نتائج أعماله(الطويلة بدون داعٍ حقيقي في كثير من الأحيان) تشمل بعض الغريب المرفوض، وتتناسى أحداثاً هامة يعرفها حتماً لكنه يكتمها او يشوهها. ولذلك يمكن لكتبه أن تشوه التاريخ وأن تسيء إليه بالرغم من الغنى اللغوي والقصصي اللذين يميزان قلمه.

إني بصدد تأليف كتاب عن حرب الخليج أنطلق فيه من الرؤية التي أراها أكثر قرباً من الصدق والحق. ولكن بالرغم من قراءة الكثير عن الموضوع ما زال ينقصني ايضاحات واجابات تأتيني من المراجع الأولى مباشرة لأوثق بها الكتاب. وأنت يا صاحب الجلالة أهم مرجع نبع في هذا الموضوع لأنك أشرف من حاول تفادي الكارثة منذ أول لحظة تبعت احتلال الكويت. فهل لي أن أسألك قبول زيارتي اليك يا صاحب الجلالة ؟

مع أطيب التحية والاحترام

د. سامي عصاصة

ملاحظة: يصلكم أصل الرسالة الى عمان.

وأرسل نسخة عنها الى السفارة في بون .

بعد ثمانية أيام من ارسال الرسالة وصلني من سفير المملكة الأردنية الهاشمية في بون إشعاراً بوصول الرسالة وبأنه حولها الى الجهة المعنية. ولم أحصل على جواب.

هذا وكتبنا التمنيات المشددة بالصحة لجلالة الملك بسبب الأخبار التي أعلنت آنذاك عن إجراء عمليات جراحية له.

ووجهت رسالة الى خادم الحرمين الشريفين ما يلي:

ميونيخ ١٩٩٣/٥/١٢

الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، إني الآن بصدد كتابة مؤلف حديث عن حرب الخليج. لقد تضاعف عزمي على الكتابة كلما انتهيت من قراءة كتاب أو تعليق عن هذه الحرب وعن جذورها. ومن الكتب التي قرأتها مؤخراً كتاب سالنجر/لوران، كتاب بوب ودورد، وكتاب محمد حسنين هيكل الذي لي تحفظات عليه، وكتاب محمد جلال كشك، والكتاب الأبيض الذي صدر في عمان، وكتاب الوزير الفرنسي شفينمان، والروسي يفجيني بريماكوف والجنرال شوارزكوف. ووصلني من الجانب العراقي كتاب له أهمية بالرغم من التحفظات عليه. ولا يوجد أي مرجع سعودي عن الأحداث التي أدّت الى الحرب.

إن دور المملكة العربية السعودية الذي يشبه الدولاب المعدل، كان وما زال يسعى الى التآلف وجمع شمل المختلفين. وهذا الدور المشرف الذي نراه دون أي تحابي أضخم من أن يتعامى عنه المؤرخ الأمين. ولقد كلفها هذا الدور الكثير من الجهد والمال في خضم الخلافات المستعصية.

من هذا المنطلق أسألك يا جلالة الملك إن كنت تقبل باستقبالي لأسمع منك مباشرة أجوبة كانت وما زالت تحير المعلقين والمؤرخين. إني سوف أبذل أكبر جهد ممكن للإلتزام بالموضوعية والشمولية، وسوف أستأنس بمختلف وجهات النظر للفرقاء المشاركين في أحداث الخليج. فإذا سمحت لي بلقائك يا صاحب الجلالة، أو سهلت لي الالتقاء مع من تراه مناسباً من المطلعين على لباب الأمور من المقربين اليك لجعلت من كتابي مرجعاً أقرب ما يكون من الحقيقة والصدق. فالحقيقة الكاملة أجلُ من أن يدركها الإنسان.

يا صاحب الجلالة، إني أؤكد منذ الآن عدم ارتباطي مع أي حزب من الأحزاب منذ أيام الدراسة في دمشق حتى هذا اليوم.

هل لي أن أتوقع الإجابة يا جلالة الملك وخادم الحرمين الشريفين ؟ وهل سيكون ذلك بالايجاب ؟

مع كل الاحترام والتحية

د. سامي عصاصة

ولم نحصل على جواب.

والى الرئيس حسني مبارك ارسلنا ما يلي:

ميونيخ ١٩٩٣/٧/٢

الى صاحب السيادة الرئيس محمد حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية المكرم،

بعد جميل التحية والاحترام، أقدم نفسي لسيادتكم كمواطن سوري مغترب في ألمانيا منذ خمسة وثلاثين عاماً حيث درست السياسة والاقتصاد وحصلت على الدكتوراه في برلين الغربية.

إني أكتب الان كتاباً عن حرب الخليج، أرجو من خلاله التقرب من الحقيقة بقدر الإمكان. لقد طالعت عدداً كبيرا من الكتب التي تم نشرها والتي تمثل مختلف وجهات النظر. ولسوف أقيم مضمونها. ولكن لا شك في وجود بعض التناقضات في روايات مختلف الكتاب مما يفرض على من يريد التأريخ للحدث السعي نحو منابع المعرفة، وأنتم منها يا سيادة الرئيس. فهل تسمحون لي بلقائكم في القاهرة لإجراء حوار يتعلق بنقاط محددة ثلاث:

الاولى عن لقائكم بالرئيس صدام حسين قبل غزو الكويت.

والثانية عن حديثكم مع الملك حسين، إذ يوجد تباين في الروايات له أثره على تقييم الأحداث.

والثالثة تتعلق بلقاء القمة العربية الاستثنائي في ٩ آب/ أغسطس ١٩٩٠.

يا سيادة الرئيس، إن مشاغلكم كرئيس لأكبر بلد عربي أوضح من أن يجهلها أحد. ولكن ربما تسنح فرصة لا تزيد عن ساعة لحوار مكثف ليمكنني الإنصاف في كتابي وللتقرب من الصدق في سرد التأريخ. وإن لم تسمحوا لي بلقائكم فهل لي أن أسأل مكتبكم الزاهر تزويدي بالمذكرات الرسمية المصرية التي صدرت عن الفترة الواقعة بين الاحتلال العراقي وبين قيام الحرب، مع أي نشرات عن هذه الأزمة ؟ وهناك بروتوكول جلسات القمة العربية الذي نشرته جهات فلسطينية. ولكننا نريدها من القاهرة للإطمئنان الى صحة المضمون.

سبق أن نُشر لي في القاهرة كتابان. الأول بعنوان:" عربدة سياسية" وقد كتب عنه الكاتب الكبير محمود عبد المنعم مراد ما أرسله طياً لاطلاعكم الكريم. والكتاب الثاني هو:

" أسرار الإنفصال " الذي يؤرخ للوحدة المصرية السورية والانفصال. وفي مجلة اكتوبر نشر لي الأستاذ صلاح منتصر، وهو يعرفني شخصياً، سلسلة دراسات عن الوحدة الألمانية.

أشكر لكم تقديركم للعلم والإعلام يا سيادة الرئيس.

ودمتم مع أطيب التحية والإحترام

د.سلمي عصاصة

بتاريخ ١٩٩٣/٧/٩ وصلني من سيادة السفير المصري في بون السيد رؤوف غنيم إشعار بوصول الخطاب مع الملحق عن كتاب عربدة سياسية، وأعلمني بأن كل ذلك أرسل الى ديوان السيد رئيس الجمهورية.

ولم نحصل على جواب.

لم تقتصر اتصالاتنا مع المراجع الكويتية على المراسلات والهواتف مع مسؤولين ومع السفارة الكويتية في بون، وإنما بذلنا جهدا مع أصدقاء مقيمين هناك ومع مؤلفين لكتب

كويتية صدرت لهم عن حرب الخليج. كان تجاوب السفارة مقبولا الى حدود غير كافية لأنها ارسلت الينا طرد مطبوعات فيه بعض المفيد والكثير من الدعايات التي لا تصلح للبحث العلمي. ولما كتبنا الى سيادة السفير السيد عبد العزيز الشارخ رسالة فيها أسئلة محددة كتابياً حسب طلبه، لم يصلنا أي جواب. ويبدو أن السبب في ذلك هو توضيح رأينا في أننا نرى في الغزو العراقي غدراً ولكننا نحمل القيادة الكويتية مسؤولية قيامها بأخطاء أيضاً. ويبدو أنه لا مكان لدى بعض المراجع الكويتية لمن لا يرى بأنها على حق مطلق لا يقبل أي نقاش، وكأنما هو منزل.

كان تجاوب الأصدقاء في الكويت أعظم مما أنجزته السفارة. فقد أرسلوا إلينا من الكتب والمنشورات ما هو أكثر أهمية مما جاءنا من السفارة التي حاولنا من خلالها إجراء لقاء مع أمير الكويت أو مع أحد الشيوخ المطلعين على حقائق الأمور فلم ننجح في ذلك.

ومن خلال اتصالاتي حصلت من وزارة الإعلام الكويتية رسالة تحمل تاريخ ٦ أكتوبر ١٩٩٣ وبتوقيع السيدة هالة عبد الله الغانم تقول بأن مركز البحوث والدراسات الكويتية في المرحلة النهائية من إعداد كتاب عن الأزمة وسوف تزودني بنسخة منه حال صدوره. ويبدو أن الكتاب لم يُنجز بعد لأننا لم نحصل عليه.

وربما لا أجنح كثيراً عن هدفي من الكتاب حين أعترف بفضل للكويت عليّ. ففيها عملت كمدرس في مدرسة قتيبة عام ١٩٥٥-١٩٥٦ ووفرت هناك المبلغ من المال الذي سمح لي بالإنطلاق الى ألمانيا من أجل طلب العلم.

هل انتهت حرب الخليج

دراسة جدلية في تناقضات الأزمة

مقدمة:

بكتابي هذا أدلي بدلوي بين الدلاء الكثيرة التي تعّرض اصحابها الى حرب الخليج التي مازالت مشمولة بغموض كبير . سوف يتناول كتابي الأحداث منذ ما قبل الغزو العراقي واحتلال الكويت حتى قيام الحرب العدوانية والغاشمة على العراق والتي جرّها هو على نفسه ولن اتطرق الى الأحداث الحربية إلا في حدود قليلة لاستخدامها في توثيق الآراء التي توصلت اليها.وما سوف اخلص اليه في النهاية ألخصه على هذه الصفحة بإيجاز بينما يبقى على الكتاب أن يقدم بهدوء وتؤدة الدلائل والقرائن الواضحة على أن هذه الحرب هي من صناعة أمريكية بحتة ارادت بها ضرب " رفة " كامل من العصافير بطلقة واحدة واستخدمت لمآربها في تلك الحرب دولاً من مختلف المشارب والاتجاهات، ومن مختلف الأوزان صغيرة وكبيرة، متقدمة ومتأخرة, شرقية وغربية ، شمالية وجنوبية. ولقد "تراقصت" امريكا على كل التناقضات المحلية والعالمية من سياسية الى اقتصادية الى دينية وإجتماعية مسخرةً اياها للوصول الى الأهداف التي تريد.

حاولت صادقا قصارى جهدي التقرب من العلمية والموضوعية ليصبح كتابي مرجعا للعصر الحاضر وللتاريخ. ولكني لااستطيع القفز عن ظلي و لا أنفي صفة اتحلى بها ألا وهي كوني واحداً من البشر المعرضين للخطأ وللصواب. ولا استطيع خلع عنصر العاطفة من تركيبتي الفيزيولوجية، التي لم اتمكن من كبتها كليا على الدوام. فلو شئت حذف بعض المقاطع التي تجيش فيها عواطفي من المرارة والاحباط لنفيت نفسي. ولو نفيت نفسي لضاعت مصداقية كتاباتي.

ولو اردنا التعريف بالأهداف الأمريكية بجملة واحدة لقلنا انها خططت لاحكام الهيمنة على كل العالم للعقود المقبلة من حياة البشرية، بل لأطول وقت ممكن. لقد ربحت أمريكا هذه الحرب. ولكن ربحها غير كامل ولسوف تدفع الثمن وإني لأرى في النصر الأمريكي وميضاً يسبق انهيار امبراطوريتها وسيطرتها على العالم.

لو امعنا النظر لوجدنا أن العراق والرئيس صدام حسين لم يشكلا في اية لحظة من اللحظات هدفا حقيقيا تسعى امريكا الى تحطيمه إنما كان العراق اداة وكبش فداء في وقت واحد إذ استخدمته ثم ضحت به بطريقة لا انسانية لتجعل منه مثلا تُصعق لرؤيته الدول

الأخرى في العالم من محاية الى كبيرة اذا راودها مجرد التفكير في تجاوز المصالح الأمريكية أو المشاغبة عليها.

أفتتح كتابي بمعالجة فصل كتبته قبل وقت طويل بعنوان " اوقفوا شراء السلاح" الذي نشر في القاهرة وفي لندن. بل إن الموضوع اختير موضوعا لخطبة جمعة بالرغم من ان المضمون لايتعرض للدين بأية كلمة. هذا الفصل يشكل الهيكل العظمي الأساسي الذي تعتمده سياسة الدول الكبرى تجاه الوطن العربي وتجاه كل دول العالم الثالث دونما استثناء. وان كان ثمة دولة من دول العالم الثالث، عربية كانت أم أجنبية، تحسب نفسها خارج المخطط الذي اشرحه في المقالة أو انها اعلى مستوى منه أو انها في منجاة منه فهي على ضلال! تتحدث مقالتي هذه عن مؤامرة قائمة ومستمرة يخطط لها قادة العالم الأول بقيادة العراب الأمريكي الأول لاستنزاف واستعباد العالم الثالث دون أن ينسوا التباكي عليه، والحزن وذرف الدموع.

لن يستطيع كتابي اعطاء جواب على كل تساؤل قد يطرحه الباحثون. لكن غياب الجواب لا يعفيني ولايمنعني من اصداره لأن الزمن سوف يتولى الاجابة على الجميع بعد قليل أو كثير، وثمة نقطة أخرى تعمدت ادراجها ، وأقصد سرد بعض القرائن والاستنتاجات في عدة مواضع من الكتاب. في الواقع لم نسهُ عن ذلك لكننا ارتأينا الابقاء عليه لأنه في كل موضع جاء فيه مرتبط بالفكرة التي يجري بحثها.

أهمية صناعة السلاح

لاتوجد صناعة تحمل صفة العالمية وتحقق مقادير خيالية من الارباح لاصحابها مثل صناعة السلاح. فهي مدرارة من وجوه عدة. فصناع السلاح يحصلون على مبالغ كبيرة من ميزانيات دولهم خلال مرحلة الابحاث العلمية من أجل تطوير افضل انواع الاسلحة. ثم يحصلون من دولهم مرة ثانية على مبالغ ضخمة أخرى حين يتقرر شراء الاسلحة الجديدة لتجهيز الجيوش بها. وأخيرا يحصلون على اجزى الصفقات من خلال تصديرهم السلاح الى الدول الأخرى بنوعيها: الدول الصديقة أو الزميلة التي لن تشتري إلا الاسلحة الأحدث مما لديها، ودول العالم الثالث التي تدفع الاثمان الباهظة لتشتري من دول العالم الأول القديم من موجوداتها.وهذا هو القطاع الأهم لأن الدول هذه حين تقع في ازمات عسكرية مع دول أخرى، أو حين ينجح ذوو المصلحة في الوقيعة بينهم وتقوم الحروب سوف تكون مستعدة لدفع أي ثمن لشراء أية قطعة سلاح يمكن لها أن تستخدمها للدفاع عن نفسها إن كان قد اعتُديَ عليها أو لتحقيق أربها إن كانت المعتدية .

تمتاز تجارة السلاح عن التجارة العالمية المدرارة الثانية ، وهي تجارة المخدرات ، بأنها تحمل في معظم مراحلها صفتي القانونية والشرعية بحيث لاتتعرض لمخاطر الملاحقة إلا في حالات اقتتال السماسرة فيما بينهم حين يحاول أحدهم الاستئثار بالعمولات الضخمة. والدول بحاجة دائمة للسلاح ومضطرة لتطويره باستمرار. وتلك الدول بحاجة ماسة للمكاسب الثانوية الناتجة عن الابحاث العلمية لدى تطويرها للاسلحة الجديدة. فمن خلال البحث العلمي يجري اكتشاف مواد وتقنيات جديدة يجري تطبيقها على انتاج الحاجات اليومية اللازمة في كل بيت للاستهلاك الدائم الغزير. أي أن الدولة التي تسود في العلوم التطبيقية سوف تسود على اسواق العالم في الحقول المتفوقة فيها. اما الدول الاخرى في العالم فتبقى في الذيل. وتبقى ملزمة بدفع الغالي والرخيص والكرامة في بعض الحالات للحصول على مايلزمها من السلاح بالطرق الشرعية إن أمكن. وإن لم يمكن تبذل اضعاف الأضعاف لتحصل عليه من سماسرة الاسواق السوداء. وحرصا على استمرار الارباح الخيالية التي يجنيها صناع وتجار السلاح تتصرف الدول المتقدمة مع الدول المسكينة بالشكل الذي اوردناه في مقالة اوقفوا شراء السلاح التي وردت في نهاية الفصل.

منذ الحرب العالمية ترعرعت صناعة وتجارة السلاح وأخذت ابعادا شبه سرطانية وخاصة منذ بروز المعسكرين العملاقين المتناحرين في الغرب وفي الشرق. وبظهورهما انتعشت مخططات اصحاب السلاح ووصلت الى الاوج واستمرت كذلك طالما الشبح الشيوعي بدا وكأنما يهدد حضارة الغرب كما كان يدعي الغرب وكان ذلك يحدث حسب المخطط التالي:

١- يطور الغرب اسلحة جديدة تثير قلق المعسكر الاشتراكي.

٢- يبذل المعسكر الاشتراكي الغالي والرخيص ليلحق بركاب الغرب وليطور أسلحة تشابه أو تجابه ما تم تطويره في الغرب. وتتكلف في سبيل ذلك مبالغ باهظة لشراء التقنيات الحديثة في الغرب أو لأعمال التجسس الصناعي والعلمي إن لم يتمكن من الشراء وهذا من أهم أسباب جشع المعسكر الاشتراكي لعملات الدولة الغربية.

٣- في هذه الاثناء يطور الغرب أسلحة اشد فتكا وأكثر تعقيدا.

٤- يمعن المعسكر الاشتراكي في تسخير قدراته الاقتصادية والعلمية والبشرية لرتق الثغرة الجديدة وذلك على حساب شعوبه المقهورة.

تتجمع من خلال النقاط الأربعة في مستودعات الشرق والغرب كميات هائلة من السلاح. فما العمل؟. فهذا السلاح يشكل رأسمالا نائما من جهة وله تكاليف مستودعات عالية

من جهة أخرى. وتتناقص أهميته وقيمته بمضيّ كل يوم. هنا تظهر ضرورة اندلاع الحروب الموضعية في العالم الثالث لتنقذ الموقف ولتضمن استمرار دوران مخطط النقاط الاربعة. فالحروب الموضعية تقوم بدور البالوعة التي تصرف وتستهلك موجودات المستودعات في الشرق والغرب فتعوض عليهما ما صرفاه وتكلفاه لتبدأ جولة جديدة من سباق التسلح. من هذا المنطلق اريد الادعاء بأن اسياد صناعة وتجارة السلاح في العالم الغربي هم أنفسهم كانوا يسمحون ويسهلون للشيوعيين تصريف سلاحهم في دول العالم الثالث لأن المعادلة ذات البنود الأربعة اعلاه تصل الى طريق مسدود لو لم ينجح الشيوعيون في تصريف ما في مستودعاتهم مقابل الدولار والعملات الحرة الأخرى. وإذا انسد الطريق امامهم اضطروا للتوقف عن تطوير اجيال السلاح التالية فتزول الاسباب الموجبة التي يتخذها سادة صناعة السلاح في الغرب لشفط مليارات جديدة من دولهم ومن انحاء العالم. وقد يعجب القارئ كثيرا حين ادعي أن صفقات السلاح التي انجزتها مصر وسوريا مع المعسكر الشرقي في الخمسينات وما بعدها ما كانت لتحصل لولا تخطيط أميركي وغربي دفع العرب بهذا الاتجاه دفعا خفيا متظاهرا بالغضب ولكن غير عابئ بحصول الشيوعيين على الدولارات لأن الدولارات في يد الشيوعيين لاتعدو كونها صفقات تجارية مؤجلة لصالح الغرب. فالدول الشيوعية سوف تصرف مايتجمع لديها في دول الغرب. ولقد شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا: " عربدة سياسية"

ولما انهارت الشيوعية فجأة في أوربا الشرقية اهتزت المعادلة اعلاه ولم يعد ثمة سبب يبرر للشركات الغربية الامعان في تطوير الاسلحة وكاد ذلك يؤدي الى افلاسات خطيرة في صناعات السلاح الغربي. لذلك تم البحث عن غول جديد بديل يتخذ ذريعة لاحياء المعادلة وتم اختيار الاسلام والاصولية كرمز للخُطر المريع الذي يهدد حضارة الغرب. وسوف يمكن نفخه اعلاميا خلال عقد من السنين ليحل محل الشيوعية. ولكن صناعة السلاح لاتريد الانتظار لسنوات ريثما تتبلور الصورة التي يصنعونها للغول إنما سوف تسعى لاضرام النيران بسرعة لكي يُضمن استمرار المعادلة. وكان العراق هو الوسيلة، وكان الضحية هو العراق وكل العرب وعلى رأسهم دول البترول... وكل البترول.

ربما يزول عجب مواطني دول النفط في انحاء العالم الثالث من الازدواجية الاخلاقية في معاملة الخواجات لهم إذا عرفوا كيف ينظر المتقدمون الى شعوب دول البترول الاغنياء. فمن جهة يتملقونهم أو يتملقون أرقام حساباتهم بكل الوسائل للاستيلاء على أموالهم بالاساليب السلسة ومن خلال بيعهم السلع الاستهلاكية والكمالية. ومن جهة أخرى يزدرونهم سرا وعلنا ويسربون أشنع المقالات والكتب عنهم بل عن قادتهم الى صحافة العالم . لاشك في

أن احترام بعض المتقدمين لبعض أثرياء البترول ينبع من احترام شخصي صادق لتوفر الرقي الحق في انفسهم وفي تصرفاتهم، ولاشك في أن الاساءة لبعضهم تستند الى اعمال شنيعة يرتكبونها. لكن الاتجاه العام في الاساءة الى عرب البترول مقصود ومتعمد.

لاينظر المتقدمون الى الثروات البترولية في العالم الثالث على انها ملك لدول العالم الثالث انما يرون فيها سلعة استراتيجية تؤثر على مصير العالم المتقدم وتتحكم به. ولذلك لايجوز لتلك الدول أن تحتفظ بالبترول ولا أن تتصرف به كما تملي عليها مصالحها الوطنية. بل إن بعض الآراء في الدول المتقدمة ترى أن البترول ملك للجميع ويجب استخدامه والتعامل معه على هذا الأساس وهناك مقولة قديمة مازحة تعود الى أيام الثورة الجزائرية على فرنسا في الخمسينات والستينات حين دعمت اميركا المجاهدين ليس حبا بهم ولا انتصارا للحرية إنما لبتر الاصابع الفرنسية عن الجزائر التي ظهرت فيها تباشير الثروة السوداء. فقد قال سياسي فرنسي متوجعا: " علينا أن نعتب على الله (عز وجل) أنه لم يحقن منطقة من الارض بالبترول إلا وضع عليها بدويا ذا عقال. " واستنادا الى وجهة النظر هذه لايشعر المتقدمون بتأنيب ضمير حين يحتالون على دول البترول ويستولون على كل القيم المتوفرة لديهم، انما يرون في تآمرهم شطارة يأخذون بواسطتها حقوقا هي بالأصل لهم وحدهم كمتقدمين. فدول البترول بالنسبة للدول المتقدمة غير جديرة بهذه الثروة ولاتحسن الاستفادة منها. وما وجود الثروة البترولية في اراضيهم سوى صدفة أو خطأ لايجوز التقيد بها ابدا.

أوقفوا شراء السلاح

أود في هذا المقال الابتعاد قدر الإمكان عن كيل النقد اللاذع الذي يستحقه قادة دول العالم الفقير المسمى بالثالث وبالاخص قادة الدول العربية . فكلهم فقيرا.. وما امتلاك بعضهم لثروات نفطية هائلة سوى ابتعاد مؤقت عن الفقر ريثما تزول نعمة البترول. وسوف احاول قدر استطاعتي وبأبعد ما يمكن عن الغضب تحليل مختلف العوامل التي تجعلني انادي بوقف مشتريات السلاح. ولسوف ابدأ تحليلي بسؤال: لماذا تتسلح المجموعات ذات المصلحة ولماذا تتسلح الدول؟

أما دوافع المجموعات ذات المصلحة مثل الاحزاب والميليشيات أو العصابات أو حتى الافراد للتسلح فلن اتعرض لها لأنها تخرج عن نطاق بحثي واهتمامي هنا إنما سأتناول الدول واستقصي اسبابها للتسلح لأجد ثلاثة اسباب بارزة تبدو وجيهة ومعقولة وتبرر اقتناء وخزن السلاح:

النوع الأول: هو الدول الصناعية الكبرى التي هي أقرب ما تكون من الاستقلال الحقيقي في صنع قراراتها. هذه الدول تصنع معظم سلاحها بنفسها. وإن كانت تسلح جيوشها باسلحة مستوردة من دول زميلة لها فذلك يحصل من باب التخصص وتوزيع المسؤوليات ليس إلا. وهي قادرة على الاكتفاء الذاتي لو تعرضت الى

حصار خارجي مطبق. ولتسلح هذه الدول سببان رئيسيان: الأول هو للاستعمال الشخصي ويهدف الى ضمان الدفاع عن كيانها إن تعرضت لهجوم مسلح أو لو أنها ارتأت لسبب من الاسباب أن تهاجم هي دولة أو دولا أخرى. والهدف الثاني هو تجاري بحت حيث تبيع هذا السلاح الى الدول الأخرى التي لا تنتجه. فتجارة السلاح تأتي بأكبر الارباح وأسرعها، وعمولاتها ضخمة جدا. وإن استهلاك الاسلحة من قبل الدول الاخرى يسمح للدولة الصانعة.. بل يدفعها دفعا الى البحث العلمي المركز والى انتاج المزيد منه مما يسهم في تلافي نقاط الضعف فيه ويضمن تطويره ليصبح ادق واكثر فتكا بالبشرية عما قبل وليصبح سلعة مرغوبة أكثر وأكثر . هذا وتفيد الاختراعات التسلحية في تقدم الاستخدامات في الحقول المدنية فتجعل المخترعين منافسين وتأتي بربح وفير.

والنوع الثاني يتألف من الدول التي كانت الى عهد قريب تشكل المعسكر الشيوعي المندثر التي تتميز عن المجموعة الاولى بالتبعية المطلقة لدولة واحدة قائدة هي الاتحاد السوفيتي الذي كان يشرف على الدول الاعضاء اشرافا كليا ومطلقا لايترك لها حرية في قرار حقيقي، وخاصة على الانجازات في ميادين السلاح لأنه لم يكن ليتقبل استقلال أي عضو في " عائلته " يمكنه من تطوير سلاح متقدم يتفوق به عليه. وكان تصدير السلاح من الكتلة الشرقية يمكنها من الحصول على العملات الصعبة ويسمح لها بتطوير السلاح ويمكنها من ترسيخ دعائم الحكم الديكتاتوري الشيوعي المطلق.

ويتكون النوع الأخير من دول العالم الثالث دونما استثناء من ناحية المبدأ، إنما يجب التمييز بين المستويات المختلفة التي وصلت اليها هذه الدول. فلا يجوز لنا أن نصنف دولة زيمبابوي على ذات الدرجة التي نضع عليها مصر أو الهند أو الباكستان. فزيمبابوي تستورد المسدس وكل طلقة من طلقاته. أما مصر والهند وباكستان فتنتج كثيرا من الاسلحة غير المعقدة ومعظم أنواع الذخيرة. وربما تصنع معدات عسكرية من النوع الوسط والثقيل بل ربما يوجد لديها تطلعات متقدمة وتجارب ايجابية في اسلحة حديثة. لكنها جميعا لاتخرج عن نطاق دول العالم الثالث التي ما زالت تبعد كثيرا عن أن تجاري الدول المتقدمة المذكورة في النقطة الاولى. وقد تمدّ هذه الدول دلاءها لتبيع انتاجها في اسواق السلاح لدول اصغر منها. لكن أحجام ذلك لن تصل الى ما يؤثر على سيادة الدول المتقدمة على السوق إنما العكس هو الاصح. فحين تبيع مجموعة من دول العالم الثالث الانواع التقليدية من السلاح تعفى الدول المتقدمة من اضاعة وقتها الثمين في هذا الباب لترصده للمشاريع الأخطر.

وإن رأينا بعض دول العالم الثالث تبيع اسلحة وذخائر فيها تقنية متقدمة وجدنا أن هذه التقنية مشتراة أصلا من الدول المتقدمة. أي أن دول العالم الثالث تشتري تقنية سلاح حديث بأسعار باهظة، وتصنع الاجزاء الثانوية لهذا السلاح بأسعار زهيدة ثم تبيع الكل المتكامل بأسعار أرخص مما لو باعتها الدول المتقدمة مباشرة. وهذا لايؤذي مؤسسات احتكار السلاح العالمية إنما يدعم انتشارها. وربح الاحتكارات يكون قد تم من بيع التقنية المتقدمة.

وما يهمنا من معالجتنا لتسلح دول العالم الفقير ولتصنيع السلاح لديها هو استنباط الاسباب التي تدعوها الى ذلك. فلماذا تتسلح هذه الدول؟

إذا كانت تفكر بمجابهة مع الدول المتقدمة لوجدناها خاسرة حتما لأن " فرق التوتر " بين الطرفين اكبر من ان يسمح بمجرد التفكير في ذلك.

وإن كانت تتسلح وتصنع السلاح لأسباب تجارية ببيعه لدول العالم الثالث الاخرى فحظها في النجاح محدود لأن الدول العريقة في السوق لن تسمح لها ان تحتل مكانة ذات وزن في السوق. فضباع وحيتان واسود مهنة بيع السلاح ستُحجّم بحزم كل مضارب وستضرب بأيد من حديد على كل طفيلي دخيل يحاول التشويش عليها.

ويبقى سبب وحيد يبدو وكأنما يبرر تسلح دول العالم الثالث ألا وهو استخدام هذا السلاح. ولكن فيم يستخدم لدى دولة من دول العالم الثالث؟. في الواقع هناك حقلان لاستخدامه. الأول هو استعماله في قمع الشعب وقهره واذلاله. فعندما "يفترس" طاغية الحكم افتراسا رغما عن ارادة الشعب يحتاج الى قوى مسلحة كثيرة العدد والعدد لقمع أية ثورة مضادة ولكتم أي نفس يتصدى لموبقات النظام. والحقل الثاني هو الهجوم على دولة مجاورة طمعا في أربِ حقٍّ أو طامعٍ أو في الدفاع عن النفس لدى هجوم دولة مجاورة عليها. وهذه هي الحروب المحلية، وما أكثرها. ولو احصيناها لزادت عن سبعين حربا. ولو جمعنا ثمن وتكاليف ما استهلكته من سلاح وعتاد لوجدناه يزيد عن حرب عالمية كاملة. وثمن كل ذلك " يهاجر" من جيوب الفقراء الى جيوب الاغنياء. من جيوب الذين يحتاجون الى كل شيء الى جيوب من يحصلون على كل شئ. من اقتصاد دول العالم الثالث الذي يعاني من كل اصناف الشح والتأخر الى ثراء وبحبوحة العالم الأول.

ولو كان لهذه الحروب المحلية الكثيرة نتائج سياسية حقيقية تستحق الذكر للدول الصغيرة المعتدية أو المعتدى عليها لأغمضنا عيوننا تجاوزا. لكن هذه الحروب مرسومة النهاية منذ اندلاعها. وهذه النهاية لاتبعد كثيرا عن الخطوط الدقيقة التي يتفق عليها الكبار في دهاليز السياسة العالمية والمصالح الاقتصادية العليا. ولا يوجد خيار للدول الفقيرة المتحاربة في تحديد النتائج لأن الايمان وصدق العقيدة الدافعة للمعركة لايمكن لها أن تكفي لربح الحروب الموضعية طالما يستطيع الكبار التأثير على مجراها ونتائجها بطرق لاحصر لها. فإن اتفق الكبار على عدم انتصار أي من الفريقين لاسباب يسمونها فيما بينهم استراتيجية عالمية فلن ينتصر أحد نصرا ناجزا كما تدلنا الأمثلة التالية من التاريخ القريب:

الحرب العراقية الايرانية:

نظرة موجزة الى هذه الحرب توضح لنا ما يلي:

- تحريض ايراني للعراق ولصدام حسين واثارته بعد سقوط الشاه باعلان تصدير الثورة الاسلامية.. ثم مناوشات "نخز الأبر" على طول الحدود.
- تأييد خارجي ومحلي لصدام وحثه على الاجابة بقوة وحزم وهمس في اذنه بأن هذه هي فرصته لأن التفكك في ايران صار محتملاً وقوة المعارضة العنيفة تسود هناك.
- هجوم عسكري عراقي ناجح مبدئيا، لكنه يقف عند نقطة معينة لايتجاوزها ولا يستطيع التراجع عنها تلقائيا بسهولة.
- اكتشاف العراق وقوعه في ورطة مرسومة.
- رجحان كفة ايران واجبار العراق على التراجع عن معظم ما احتله ثم انسحابه التلقائي من باقي مساحات الاحتلال.
- غزو ايران لأراضي العراق بمعارك دموية واستهلاكية شرسة واحتلال اجزاء هامة من جنوب العراق واعلان قادة ايران بأنهم لن يتراجعوا عن الاراضي التي احتلوها المجاورة للكويت.

- قلق كل عرب الخليج على مصير العراق وبالتالي على مصيرهم مما جعلهم يبذلون المزيد من الجهد والمال لتفادي الكارثة الايرانية البادية للعيان.

- واخيرا ينشط العراق ويحرر جنوبه بمعارك قصيرة حاسمة لاتخلو من عجب ويعود الايرانيون الى حيث كانوا ويبقى العراقيون ضمن حدودهم التي سبقت الحرب وبذلك...وبعد ثمانية أعوام من حرب استهلاكية ضروس صح القول العامي "تيتي تيتي .. مثلما رحت جيتي" مع فارق واحد. فلقد قصمت هذه الحرب ظهر ٨٠٠ مليار دولار خسرها العراق وإيران والعرب وربحها المتقدمون ومات مليون أو أكثر من ايران ومن العراق، بالاضافة الى النتائج الإجتماعية الوخيمة التي اصابت البلدين والمنطقة ككل وازدادت مشاعر العداء وشهوة الانتقام لتصل الى حدود لاتطاق.

حرب الخليج:

وهنا نشاهد ما يلي:

- اعطى الأميركيون صدام حسين الضوء الأخضر ليقوم بالغزو، وأكدوا في الوقت ذاته لقادة الكويت بأنهم لن يتركوهم ابدا طعمة لصدام حسين. فتصلب صدام في مطالباته وتغرطس... بينما تشنج الكويتيون في تمثيل وجهة نظرهم فاندلعت بالتالي الحرب... هذه الحرب المقيتة التي مازالت الايام تتحفنا بخفاياها القذرة. ولكن ماذا حصل في نهاية المطاف؟. لقد كسّروا صلابة العراق وجردوه من معظم مايملك من سلاح وافلسوه كليا بشفط باقي مليارات الاحتياطي... لكنهم ابقوا على صدام الذي اخطأ في حق شعبه وفي حق المنطقة وكأنما يحتفظون به لمهمة مقبلة. واهانوا كرامة الكويتيين وأثاروا القلق لديهم حول استمرار دولتهم واشعروهم بمدى التبعية التي تربطهم مصيريا بقراراتهم خلال الاحتلال العراقي الغاشم وما بعد ذلك، وعادت الكويت محطمة ومحترقة الى الاسرة الحاكمة بعد أن رهنت نفسها وثرواتها الى اعوام مقبلة لدى دول العالم المتحضر، وتسممت العلاقات الانسانية التي كانت تربط العراقيين والكويتين، وُسحق الوجود الفلسطيني فكريا وفعليا في الكويت وبقيت عناصر التوتر بين الكويت والعراق معلقة كما كانت بل أسوأ بكثير وغُرست البذرة التي تكاد تكون حتمية لجولة مقبلة من الصراع الدموي والمالي والإجتماعي يفجرها الاسياد في البيت الابيض في أية لحظة يشاؤون. هذا ولم نتطرق الى التعقيدات والمشاكل والعداوات التي نشأت بين مختلف الدول العربية نتيجة لهذه الحرب التي افتعلها الكبار لاذلال وافقار الصغار دون حسم أي أمر تاركين المشاكل معلقة ترفرف في الأجواء وكأن شيئا لم يحدث.

حرب الهند وباكستان:

وايضا لانجد في هذه الحرب(المرشحة للاندلاع في اية لحظة مجددا) إلا ما يؤيد نظرتنا من سيطرة المتقدمين المطلقة على نتائج المعارك. فبعد اندلاع شرارة الحرب واحتدام المعارك الاستهلاكية وفناء الثروات والارواح تدخل فاعلو الخير الكبار، قلقا على السلام العالمي، وفرضوا وقف الحرب بالرغم من أنها لم تأت بأية نتيجة لصالح أي من الطرفين المتحاربين.

ولوحدث أن ركب أحد الطرفين رأسه رافضا لعملية " تبويس الشوارب" الاجبارية المقترحة من " محبي السلام" الكبار لمارس هؤلاء مختلف أنواع الضغوط حتى يرضخ الطرف المعاند. وآخر أنواع الضغوط هو الاسهام في تمكين الطرف المستسلم لقراراتهم من انجاز انتصارات موضعية ساحقة على الطرف العنيد

ليشعر بأن عناده لن يجدي ولن يفيد. ومن خلال هذه الفكرة نستطيع تفسير جملة الخميني الشهيرة حين قال عند نهاية الحرب مع العراق: " ان تجرع السم لأسهل علي من توقيع هذا النص".

الحروب مع اسرائيل

ولو تطرقنا أخيرا الى كل حروب العرب مع اسرائيل لما اختلف علينا الأمر. فمنذ عام ١٩٤٨ كان المخطط الأميركي يقضي بزرع هذه الجرثومة في قلب الوطن العربي لشل تقدمه وللسيطرة على ثرواته. وكانت اميركا تعتقد بالاصل بأن الاستعدادات العسكرية التي تم توفيرها لأفراد الميلشيات اليهودية منذ تدريبهم على الإرهاب ضد قوات الانتداب الانكليزية حتى اشراكهم في الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا سوف تكفيها وتمكنها من كسب المعركة ضد العرب حتما، لأن مجموع السلاح العربي مع مجموع عدد الجند في الجيوش العربية التي كان يقدر لها أن تحارب كان في الواقع الحسابي الفعلي أقل بكثير مما توفر لليهود الذين كانوا على علم بحدوث المواجهة المقبلة ويعرفون توقيتها ويستعدون لها. ولكن ما أن بدأت المعركة حتى اندفع هؤلاء الجنود العرب على المستعمرات اليهودية بالرغم من كل بدائية تسلحهم وبساطة تدريبهم وكادوا يحسمون المعركة لصالحهم. ولن ننسى أبدا أن الجيش السوري الذي لم يكن يملك سوى ٢٣مدفعا من عيار ٧٥ المصنوعة من اجل الحرب العالمية الأولى، وحيث كان الجندي السوري يحصل على عدد من الطلقات من أجل بنادق ١٩١٥ – ١٩٢٣ وعليه أن يطلقها في المعركة ويجمع فوارغها النحاسية لاعادة ملئها بالبارود من جديد لاستخدامها ثانية وثالثة في المعركة غير المتكافئة، اكتسح المواقع الاسرائيلية الاولى وهدد مايليها. وكذلك كان شأن الجند العرب الذين اشتركوا في الحرب دون الارتباط بقوى الانتداب الاجنبية. ولما تراءت الأزمة التي عانى منها اليهود واضحة فُرضت على العرب الهدنة الأولى فرضا لمدة شهر تم خلاله تزويد الميليشيات اليهودية بأحدث الموجود من السلاح وبالمقاتلين الاجانب من مختلف الجنسيات، وحصلوا على أكثر من قلعة طائرة ضربت بعض العواصم العربية. وبذلك فقط رجحت كفة اليهود عسكريا وتم فرض الهدنة الثانية... وبقيت الأمور معلقة بين العرب واسرائيل الى أن اشتركت الأخيرة في العدوان الثلاثي على مصر، فإذا بالولايات المتحدة ترغم اسرائيل على الانسحاب من غزة وعلى العودة الى ما وراء الحدود. فاميريكا هي سيدة اسرائيل، وهي التي اشعرتها عام ١٩٥٦ بأنها تابعة وانها لن تحصل على أي نصر إن حاولت الاستقلال في اخذ القرار أو اتفقت مع دول اخرى ولو كانت هذه الدول حليفة لأميريكا. (اذن فقناعاتنا تغيرت خلال السنوات الأخيرة ولم نعد نقبل ابدا بان اسرائيل هي سيدة اميركا. وهذا موضوع قائم بذاته نتعرض له في مقال مقبل).

وحربا ١٩٦٧ و ١٩٧٣ مع اسرائيل لم تحسما الأمر ولم ينتصر أحد إنما بقيت الأمور معلقة وازداد التوتر حدة بين كر وفر. ونجد أن اميركا ودول اخرى تهدي اسرائيل السلاح وتمكنها من تطوير الاسلحة المتقدمة ليضطر العرب الى بذل اضعاف الاضعاف لشراء اسلحة جديدة لتتقرض إما صداً أو اثناء جولة جديدة مع اسرائيل لاتحسم الأمور. ولايختلف زعماء اسرائيل عن زعماء العرب كثيرا في كونهم جميعا مربوطي الرقاب بسلاسل من حديد. والدول الكبرى وعلى رأسها اميركا تمسك بأطراف السلاسل بأيد من فولاذ. فإذا انطلق أو أُطلق العرب على اسرائيل أو العكس لتحدد مدى النجاح بطول السلسلة المحكمة في رقبتهم. وفي حرب ١٩٧٣ تحدد المدى الممنوح للعرب بسلاسل خانقة منعتهم من الاجهاز على اسرائيل.

وبذلك نأتي الى المغزى من كل ما أوردناه ونلخصه في موضوعتين واضحتين وضوح الشمس:

الموضوعة الاولى: إن استمرار خلافات وحروب دول العالم الثالث فيما بينها يشكل أهم ثابتة من ثوابت سياسة الدول الكبرى لأنها تخدم مصالحها بمقدار عظيم. ولن تتنازل هذه الدول عن هذه الورقة الرابحة تجاريا وسياسيا عن طيب خاطر أو عن شعور انساني إنما سوف يستمر النزيف طالما الكثير من القادة في دول العالم الثالث غافل .

والموضوعة الثانية نستنبطها مباشرة من الاولى. فباعة السلاح يستطلعون المناطق الساخنة في دول العالم الثالث ويرسلون الخبراء والمستشرقين لتحديد نوعية الخلافات بدقة ثم يشرعون بتغذيتها حتى تحبل المشاعر بالنقمة وحب الثأر ثم تنفجر. وإن تأخر الانفجار الذاتي يطلقون الشرارة الأولى في اللحظة المناسبة لتندلع الحرب. وما ان تندلع حتى يجري التأثير على مجراها وتحديد معاركها ونتائجها. واثناء كل ذلك ينظم تزويد كل الاطراف بالسلاح حسب الأموال المتوفرة وحسب اللزوم.

فإذا كانت الحروب مفتعلة ونتائجها مرسومة فلماذا يحارب الغافلون؟...

أبقى مدينا بجواب أساسي على السؤال التالي الذي سوف يطرحه على القارئ الناقد: لنفرض أنك على حق في أن الدول الكبرى تغذي زيدا وتؤلبه على عمرو فهل يجوز أن يبقى عمرو أعزلا ليسحقه زيد؟.

ان السؤال وجيه، والجواب صعب ومحرج ولكني سوف أحاول الاجابة عليه بموضوعة وتساؤلين عجيبين: ترى ماذا يحصل لو قهرت اسرائيل الدول العربية المجاورة واحتلت بالعنف دمشق وعمان والقاهرة وبغداد؟. ومن أين تأتي بالقوى البشرية التي تحتاجها إن حاولت استمرار قهر الشعب والسيطرة على الشارع العربي؟ وهل ستنجح في ذلك؟. واتولى الاجابة: طبعا لا وحتما لا، لأنه ما زال يجري في شرايين الجماهير العربية دماء كرامة فُقدت من وجوه القادة واستمر جريانها في عروق الشعب بحيث يتربص أفراده لكل محتل غادر في كل سوق وفي كل حي لتطعنه بسكين أو ترميه بحجر أو بعنق زجاجة محطومة إن لم يتوفر لهم أي سلاح. وبذلك يفقد المحتل الشعور بالأمن ولايسير إلا بمجموعات مهددة باستمرار ولاتعرف من أين تأتيها الضربة المقبلة. وسينتهي أجل اسرائيل على هذه الطريقة بأسرع مما تجدي الحروب المرسومة على طاولات التآمر والعمولات والمساومات. فاسرائيل لاتستطيع الانتشار الى فترة طويلة في الانحاء العربية التي قد تحتلها لأن جنودها هم دعائم اقتصادها الفاعلة ولن يمكنها الاستغناء عنهم ولن تتحمل اسرائيل تعريضهم المستمر للأسر أو للموت ضربا أو طعنا الى أمد طويل. وهذا سر قصر مدة حروبها مع العرب. بل إن قصر هذه الحروب مع تكثيف نيرانها وتصعيد نوعيات السلاح غالي الاثمان والابادة الجماعية لهذه الاسلحة لهي من المسلمات الاولى التي يراعي استمرار توفرها اؤلئك الذين زرعوا الجرثومة اسرائيل ليجري تعويض السلاح البائد بمشتريات جديدة تأكل مليارات الدولارات، ولكي لاتيأس جموع اليهود من البقاء في فلسطين لو استمرت الحرب الى أمد طويل. ولاينسى راسمو هذه الحروب منح الجموع اليهودية الشعور الزائف بالفوقية وبأنها هي التي انتصرت وبأنها هي الاقوى والتي تشكل دعامة " التحضر الأميركي الغربي " في المنطقة.. فلو شعر اليهود بأن تواجدهم في فلسطين ميئوس منه مهما طال الزمن لهاجروا كرفوف الطير.

أما الموضوعة التي ذكرتها آنفا فهي تفيد بأن الحرب بين دولتين تعبير عن غضب عارم لدى احداهما والرغبة بالحصول على مكاسب أو استرجاع حق من الدولة الأخرى بعد فقدان الأمل بالتوصل الى ذلك عن طريق المفاوضات. أي أن فشل التفاهم واليأس يؤديان الى الحرب الغاضبة. ولكن هناك مسلمات واتفاقيات متبعة عالميا الى حد كبير تسعى الى " تشذيب " هذا الغضب ووضعه ضمن حواجز واصول بحيث

لايخرج المتحاربون عن طورهم كليا ليبلغوا الابادة الجماعية لشعوب وحضارات بأكملها. أي أن ثمة قواعد وقوانين تسود مجريات المعارك مثل عدم استخدام الغازات السامة والجراثيم والكيماويات، ومثل عدم قتل الاسرى العزل، ومثل عدم استخدام طلقات الدم دم.... فهل يمكن ياترى أن تتفق دول العالم الثالث قياسا على ذلك فيما بينها على ألا تتحارب بأي سلاح مستورد، وإن فعلت تزجرها باقي الدول كلها ؟ بل هل يمكن لها أن تتفق على الاقتصار على السلاح الابيض في حروبها فيما بينها؟. فلو تم ذلك لتفادت الدول الفقيرة شمولية الدمار ولاحتفظت بثرواتها لنفسها.

قبل وصولي الى نهاية مقالي اعترف بأنه ابعد ما يكون عن الكمال. لكني أرى فيه باعثا لينظر العالم الثالث الى اموره ومصالحه من منطلق جديد ومن زاوية تختلف كليا عن المألوف. هذا ولا أنكر توفر عناصر من التفاؤل بل الخيال في الطروحات التي أطرحها. ويضاف الى عنصري التفاؤل والخيال وجود مصالح احتكارات السلاح التي تتربص لمثل هذه الآراء ولتلجم كل رأي يطالب بوقف الإتجار به. ولكن إن لم يمكن التوصل الى القاسم المشترك الذي يضمن تفاهم العالم الثالث على وقف التأثر بالاسلحة وبالقرارات المستوردة فإن هذه الدول تحكم على نفسها بالعبودية والذل والخنوع... ثم الى الفناء.

د. سامي عصاصة

الفصل الاول

التوازن بين قوى الخليج العربي

العراق في أعقاب حرب الخليج الاولى:

خرج العراق من حربه مع ايران منهكا اقتصاديا ومتأثرا إجتماعيا بسبب قتلى الحرب والجرحى والمشوهين ونتيجة لغياب مئات الالوف من رجاله وشبابه لمدة ثماني سنوات عن اهاليهم في ميادين القتال. لكن كل المؤشرات كانت تفيد بأن قواه العسكرية كانت في أوج تسلحها وقدرتها القتالية مع انتهاء الحرب. ويبدو لنا أن نهاية الحرب مع ايران كانت اسرع بكثير واسهل بكثير وأقل ضحايا بكثير مما كان على المتابع توقعه نسبة لضراوة المعارك الطاحنة التي استمرت ثماني سنوات استبسل خلالها الطرفان. فايران الخميني المتكبر كانت أكثر صلفا من أن تصدق أو تتحمل أن ينزل العراق بها تلك الهزيمة فارضا عليها التوقيع المخزي على مايشبه الاستسلام. فالعراق هو الأصغر مساحة والأقل سكانا بينما كان يطلق على الجيش الايراني في عهد الشاه اسطورة رابع او خامس جيش في العالم كما اشيع بعد ذلك على العراق . لقد بذلت ايران المستحيل وضحت بمئات الألوف لتتفادى تلك النتيجة المخزية للحرب وكانت ترمي بعشرات الألوف من الأولاد المستميتين الى رحى المعركة على أمل كسبها مما سبب للقوى العراقية ارباكا شديدا جعلها تلجأ الى وسائل واسلحة غير مشروعة عالميا لتتفادى ان تجتاحها امواج البشر الذين لا يلوون على شيء.

بعيد اندلاع الحرب العراقية الايرانية عادت قنوات التفاهم بين العراق وبين الولايات المتحدة التي سمحت ببيع العراق اسلحة وزودته بمعلومات غزيرة لكيلا تتغلب عليه ايران. ولم تساعد اميركا ومعها دول أخرى من الغرب العراق حبا به ولاكرها بالخميني كما يتخيل الكثيرون إنما لأن الحرب العراقية الايرانية لم تكن سوى حلقة مدروسة من حلقات افقار كل الاطراف المعنية في المنطقة تمهيدا للحلقة التي تلت ذلك، أي حرب الخليج الثانية التي نعالجها في هذا الكتاب. ويدلنا على عدم توفر أي شعور انساني لدى قيادات الدول المتقدمة

تجاه الضحايا في المنطقة، أن الولايات المتحدة دعمت خلال ذات الحرب الجيش الايراني بالسلاح الحديث لضمان استمرار الحرب واستمرار الاستهلاك والابادة[1]

بدأ غرس بذور حرب الخليج الثانية قبل انتهاء الاولى. فدعمُ الغربِ للعراق لتحرير الفاو ولاسترجاع حقول مجنون البترولية تم بسرعة عجيبة لاتتناسب مع فشل كل المحاولات المكثفة السابقة التي كلفت العراق الكثير من الضحايا والاموال وكأنما تعمدت المساعدات الغربية دعم " انتصار" العراق المفاجئ والسريع لتحقيق هدفين:الأول: اقناع ايران بعدم جدوى متابعة الحرب مع عراق قوي بهذا القدر.والثاني: خروج العراق قويا سوف يسهل قلب صورته اعلاميا بالتدريج من قويٍّ الى خطرٍ على جيرانه من العرب بل على حضارة العالم اجمع بعد أن انتهى من ايران. ونحن لانتجنى ولاننتقص من بسالة الجيش العراقي التي لولاها لما أفادت أية مساعدة في حربه مع ايران. ولكننا في ذات الوقت لانستطيع تغيير قناعتنا في أن أمريكا والغرب كانا قادرين على " تقسيط" العون للعراق بحيث تستهلك معارك التحرير كل قواه فلا يعود يصلح ليمثل الدور المرسوم له بأن يكون "الغول" الذي يهدد عرب الخليج مما يسهل دفعهم في اتجاه تحجيم قوى العراق.

اذن فاولى المعطيات التي سبقت حرب الخليج الثانية هي وجود عراق قوي عسكريا ومديون وبحاجة الى ميزانية ضخمة ليعوض على شعبه سنوات الحرمان الطويلة وليتابع خططه التنموية الطموحة التي بدأت تؤتي اكلها وصارت مصدر قلق للقوى التي تريد له أن

---

[1]- يقول كلارك على صفحة ٢٦: وكما هو معروف بصورة واسعة الآن، فقد دأبت الولايات المتحدة حتى عام ١٩٨٦ على تزويد ايران بكميات ضخمة من الاسلحة عن طريق نشاطات اوليفر نورث وعمليات سرية أكبر شاركت فيها اسرائيل والباكستان. وفي عام ١٩٨٥ وكما جاء في شهادات استماع حول فضيحة " ايران – كونترا"، بلغ أوليفر نورث مسؤولين ايرانيين أن الولايات المتحدة ستحاول التخطيط للاحاطة بصدام حسين، وبقرارها الذي أتخذ عام ١٩٨٧ بحماية الناقلات الكويتية في الخليج، أصبحت الولايات المتحدة شريكة مباشرة بالحرب، حيث انحازت وقتها الى جانب العراق. وهكذا كان النفط العراقي يتم تصديره تحت الحماية الاميركية، فيما كانت الطائرات العراقية تهاجم الناقلات الايرانية. كما عمدت الولايات المتحدة الى اغراق سفن دورية ايرانية ودمرت منصات نفط لايران ايضا. ولم يوفر الصراع العراقي الايراني بحد ذاته المبرر للولايات المتحدة لاقامة وجود عسكري دائم في الخليج. ولهذا، ففي آب عام ١٩٨٨ عندما وافقت ايران والعراق على وقف اطلاق النار، تغيرت التكتيكات الاميركية مرة أخرى. فبعد أن تم اضعاف ايران بشكل واضح، وبعد عجز الاتحاد السوفيتي عن الرد، لجأت الولايات المتحدة الى خلق انطباع يركز على قوة العراق العكسرية لتوفر الحجة للتدخل في الشرق الاوسط.

يبقى على الحصير. وكان الجيش الذي حارب ثماني سنوات دون انقطاع يؤثر على العراق في اتجاهين احلاهما مرّ: فهو لايستطيع تسريح قطعاته لانه يعرف تماما بأن ايران - لم تقنع بما لحقها من هزيمة وانها لاتنتظر الى وقف اطلاق النار الذي حصل إلا على أنه فرصة للاعداد لحرب الثأر من العراق. ولو سرح العراق قطعاته لخلق اجواء اقتصادية ضارة. فماذا يعمل كل هؤلاء الجنود بعد التسريح؟ صحيح انه كان لكثير منهم مكان أو وظيفة في العملية الادارية والاقتصادية قبل الحرب ولكن الاعوام الثمانية فصلت هؤلاء عن ارضيتهم في سوق العمالة وجعلتهم اغرابا عنها. ويضاف الى ذلك أن قسما كبيرا جدا من افراد الجيش لم يكن له اي جذور في سوق العمالة فما أن شبوا عن طوق الطفولة حتى انخرطوا في الجيش قبل أن يمارسوا أي مهنة انتاجية اخرى.

لاشك في أن تسريح الجنود وادراجهم في العملية الاقتصادية يؤثر ايجابيا على المجتمع لأنه يقلب الجندي من كائن مستهلك يشكل عبئا على الدولة والمجتمع الى عنصر منتج لصالح الدولة والمجتمع. ولكن اعادة ادراج هذه الاعداد الوفيرة اكبر من أن يستوعبه سوق العمالة والانتاج قبل مضيّ عشر سنوات على اقل تقدير خاصة بعد الاذى والدمار الذي نزل بالمنشآت خلال حرب الثماني سنوات. فحاجة العراق للمال شديدة وأزمته حادة.

وثاني المعطيات هو أن إيران اضحت منهكة بحيث لن تقوم لها قائمة قبل بضعة سنوات مما يجعلها أضعف من أن تتدخل في الخليج فتشوش على مخططي الحرب الثانية التي سيقع عبؤها على جميع العرب. وفي هذه الاثناء تنتعش ايران من جديد وتنسى جراح الحرب وتعود لتعتقد بأن فرصة الثأر قد سنحت فيجري استخدامها لحرب خليج ثالثة.

وثالث المعطيات هو الحساسيات وشعور التخوف التي تبلورت لدى كل قادة دول الخليج بعد هذه النهاية السريعة والمفاجئة للحرب. لانشك في أن كل هؤلاء القادة لم يتمنوا للعراق الهزيمة ولكنهم بالتأكيد لم يرتاحوا لبقاء العراق قويا ولديه قرابة مليون جندي باسلحتهم المتقدمة التي تمرنوا عليها فاكتسبوا خبرات قتالية كبيرة، واصبحوا جاهزين " لأداء مهمات اخرى" إن اقتضى الأمر. فالصورة المثالية التي يرتاح لها عرب الخليج هي في تفاضل القوتين الكبيرتين المطلتين على الخليج واللتين تسعيان للهيمنة عليه: ايران والعراق. فإن انتصرت ايران اصبحت هي العنصر المهدد والذي يخشاه حكام الخليج كما كانت الأمور أيام الشاه. وإن تفوق العراق كما هو الوضع بعد الحرب مع ايران لما نام قادة الخليج قريري العين بصرف النظر عما اذا كان العراق يستهدفهم أم يتركهم بخير. والخلاصة هي أن التوازن أصابه خلل

في الخليج والأفضل والأدعى للاطمئنان بالنسبة لحكام الخليج هو العودة الى وضع التوازن. ومن ألطف ما قرأناه عن قلق حكام الخليج هو ما كتبه سعد البزاز واصفا موقفهم بقوله: "وكان يتردد في الخليج ان الملك فهد والشيخ جابر كانا كلما توجها بالدعاء الى الله عند الصلاة خلال الحرب العراقية الايرانية رددا دعاءهما المفضل : " اللهم اهزم الخميني .. اللهم لا تنصر صدام حسين . فالعراق وايران هما عقربان في انبوبة . وينبغي ان يبقيا خلف سدادها المغلق ، فإما ان يموتا معاً ، او يظل كل منهما متربصاً بالآخر ، منشغلين ببعضهما ، ليرتاح الآخرون منهما ."[٢]

يوجد عدد من الكتاب يجعلون لاسرائيل مكانا بين المعطيات التي سبقت حرب الخليج الثانية. لكننا لسنا من هؤلاء إنما لنا في اسرائيل رأي آخر نفرد له فصلا خاصا . فالعراق لايستطيع تهديد اسرائيل تهديدا حقيقيا إنما العكس هو الصحيح وهو الذي كان يخشاه العراق مما سوف نعالجه في حينه. ولا نقول ذلك استخفافا بالجيش العراقي الذي أثبت وجوده ولم يعد بحاجة لمن يزكي قدراته إنما لأن عملية الدفاع عن اسرائيل لاتعتمد على القوة الاسرائيلية الذاتية – بالرغم من اهميتها دون أي شك – إنما على الضمانات الممنوحة لها من الولايات المتحدة بالدرجة الأولى ومن أوربا الغربية أيضا. ولولا هذا الدعم الذي مُنح لها عام ١٩٧٣ لكانت اسرائيل غابت عن الخارطة في ذاك العام. إن وجود اسرائيل في المنطقة من أرسخ الثوابت في سياسة أميركا والغرب لافقار العرب ولمنعهم من التقدم. ولكن إن ظن البعض بأن اسرائيل تستطيع أن تتصرف باستقلال عن الارادة الأميركية فهو خاطئ. لاشك في أن اميركا تسمح لها بقسط من الدلال والعجرفة ولكن حين تطلب منها أمرًا ذا شأن فلن تستطيع أن تنبس ببنت شفة. ومن هذا المنطلق نرى أن دور اسرائيل في الحرب التي خططتها الولايات المتحدة لتوريط العراق ودول الخليج لم يكن في أي لحظة من اللحظات مجال أخذ ورد إنما كان منذ البدء يفرض على اسرائيل البقاء خارج نطاق الحرب إلا إذا هوجمت من الجيوش العربية المجاورة لها. أما الهجوم بصواريخ سكود العراقية عليها فكان محسوبا الى حد كبير من الدقة. فعدد الموجود منها لدى العراق معروف، وقوة كل صاروخ منها التي لاتبلغ سوى عشر قوة القنابل التي ألقتها أميركا على بغداد معروف أيضا. وعدم دقتها للمسافات البعيدة معروف أيضا[٣] وعدم صلاحيتها لنقل اسلحة كيماوية ايضا . فالاسرائيليون والاميركان

---

[٢] – بزاز صفحة ٢٠٤

[٣] – شوارزكوف صفحة ٢١٤ – ٢١٦

كانوا متيقنين من ان تلك الصواريخ لم تكن لتشكل في المحصلة تهديدا حقيقيا . ولم يلجأ العراق الى اطلاقها في أيام الحرب الا لرغبته في كسب الرأي العام العربي بحيث تهز الشعوب القيادات هناك فينهار التحالف العربي مع الأميركيين مما يعطي فرصة للتخفيف عن العراق الجريح.

وإذا خرجنا عن نطاق الشرق الأوسط لوجدنا في الاتحاد السوفيتي واحدة من أسوأ المعطيات السلبية التي أضرت بالعرب. فخلال نشاط الشيوعية وحيويتها كان على اميركا وعلى الغرب مراعاة تلك القوة الضخمة. فبالرغم من قناعتنا من أن اميركا والغرب ما كانوا يخافون نتيجة حرب مع الكتلة الشيوعية نجد انهم كانوا يحسبون حساب خسائر ضخمة تنزل بهم من مثل هذه الحرب. فلو قامت حرب بين الشرق والغرب في تلك الظروف لاجتاحت القوات الشيوعية غرب اوربا وحطمتها شر تحطيم قبل ان تصل القوات الأميركية بزخمها لرد الشيوعيين ودحرهم .وليس من المستبعد ان تفتعل الولايات المتحدة التأخر متذرعة بمختلف الذرائع ليجري تحطيم الخصم الأوربي على ايدٍ غير أميركية . ولذلك كان الغرب حين يقوم بأية تخطيطيات سياسية أو إقتصادية أو عسكرية في العالم الثالث يحرص على ألا يصل توتر العلاقات مع السوفيات الى حد اندلاع حرب عالمية. وهذا الوضع كان يمنح الاتحاد السوفيتي دورا مؤثرا على مايجري في العالم الثالث. أما بعد الانهيار الشيوعي وتداعيه من الداخل دون تأثيرات خارجية، وبعد ظهور الحقيقة المرعبة عن أن الشيوعية كانت جوفاء من الداخل وفقيرة. وبعد أن أصبح الشيوعيون يتلقون الإعانات الغذائية من الدول الرأسمالية لدفع المجاعة التي تهدد شعوبهم، زالت الشخصية السوفياتية المرعبة ولم يعد هناك موجب لأن يحسب لها الغرب أي حساب. وانفردت أميركا، وهي القطب الوحيد الذي كان يواجه الاتحاد السوفياتي، بأخذ القرارات التي تسير العالم دون أن تسأل عن أحد ودون أن تكترث بأي رأي يعارض الخط الذي تسير فيه. وهذا التطور كان من سوء طالع العراق الذي خسر الحيّز الذي كان متوفرا له للمناورة بين الشرق والغرب قبل سقوط الكتلة الشرقية.

التوازن بين القوى في الخليج:

نعود الأن الى كلمة " التوازن" التي يرغب قادة الخليج بأن يستتب فنتساءل: كيف يمكن لهذا التوازن أن يعود؟. والجواب واحد من إثنين:

- إما أن تعود إيران الى قوتها لتتفاضل القوى.

- أو ،يضعف العراق أو ،يضعف .

أما عودة إيران الى قوتها بعد التوقيع الذليل على وقف الحرب فلن تكون واردة بين عشية وضحاها. وبالاضافة الى ذلك هناك تساؤل: من هو الحاكم الخليجي الذي يسعد لو عادت القوة الى إيران ؟. أوليس من الأفضل أن يضعف العراق أيضا لتزول الكوابيس التي تقلق قادة الخليج الى أجل غير مسمى؟. وإذا استعادت إحداهما القوة بعد سنوات يخلق الله مالا تعلمون.

مواقف بعض قادة دول الخليج من العراق:

لاحاجة لنا لتأكيد رأينا في أن بعض قادة دول الخليج كانوا يرون الحل الأمثل في تحجيم العراق. لكننا نميز بين مواقف ثلاثة:

١- فالكويت - وهي الأقرب الى العراق وهي التي لم تتحدد حدودها معه، وهي التي كانت تشكل جزءاً منه في مطلع القرن - كانت متخوفة منه باستمرار. فلاعجب من أن يساورها قلق عظيم من الجار القوى الذي مازال يطلب منها، بل يطالب بها كلها في سريرته[٤]. وهاهو قد تفرغ الآن بعد الحرب مع إيران لينصرف الى أهدافه الأخرى. ولذلك كانت الكويت الدولة الأكثر استعداداً وتقبلا للتورط في إجراءات أو خطط تُرسم لها لكي تُضعف العراق. وإن الرسالة التي وجدها العراقيون في قصر الأمير بعد احتلالهم الكويت تثبت قطعا ما ذهبنا اليه ونصها كالآتي أخذناه من الكتاب الأميركي الفرنسي بيير سالنجر- إريك لوران،

وهي موجودة في العديد من المراجع الاخرى، ومصورة بالزنكوغراف في كتاب د. عودة بطرس عودة:

سري جدا وخاص

سمو وزير الداخلية الشيخ صباح السالم الصباح

بعد لقائنا المشترك وتنفيذا لأوامر سموكم الصادرة بتاريخ ٢٢(اكتوبر) تشرين الأول ١٩٨٩، قمت بين ١٢و١٨ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٨٩ ، بزيارة مقر وكالة الاستخبارات في الولايات المتحدة بصحبة الكولونيل اسحق عبد الهادي شداد، مدير المباحث في محافظة الأحمدي .

وقد شدد الجانب الأميركي أن تبقى الزيارة سرية جدا، الى حين حل مشكلة حساسية اشقائنا في مجلس التعاون الخليجي من جهة وفي كل من إيران والعراق من جهة ثانية.

---

٤ - سنتناول موضوع تبعية الكويت الى العراق او عدمه في مكان مقبل

وفي هذه الرسالة أضع بين يدي سموكم، النقاط الرئيسية التي اتفقنا عليها مع القاضي وليم وبستر ، مدير وكالة الاستخبارات الأميركية ، وذلك خلال لقائي الخاص معه يوم الثلاثاء في ١٤ (نوفمبر) تشرين الثاني ١٩٨٩.

١- إن الولايات المتحدة، مستعدة لتدريب أشخاص، نختارهم نحن، لحماية سمو الأمير وسمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح . إن الاعداد والتدريب سوف يكونان في مقر وكالة الاستخبارات الأميركية نفسه، هذا مع العلم أن العدد النهائي لهؤلاء الاشخاص هو ١٢٣ شخصا.

وقد اتفقنا أن تناط ببعضهم مهمات خاصة مرتبطه مباشرة بالعائلة الملكية ، هذه المهمات يحددها سمو الأمير ولي العهد.

وحول هذا الموضوع أفادنا الجانب الأميركي، أنهم غير راضين عن كفاءة وقدرات قوات الحرس الملكي أثناء الهجوم الذي تعرض له سمو الأمير.

٢- وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي على أن تتم زيارات متبادلة على كل المستويات بين مديرية الأمن الوطني ووكالة الاستخبارات المركزية ، وأن يتم تبادل معلومات حول تسلح كل من ايران والعراق ، وحول البنى الإجتماعية والسياسية لكليهما .

٣- وقد طلبنا بالحاح مساعدة خبراء الوكالة، لإعادة تكوين بنية مديرية الأمن الوطني، بعد لقائنا معهم، حيث أصبحت هذه القضية من الأولويات الملحة خصوصا بعد الأوامر التي أصدرها سمو الأمير.

إننا ننتظر خبراتهم للشروع في وضع استراتيجية جديدة تتناسب مع الوضع الداخلي في البلاد ومع التغيرات في منطقة الخليج، وذلك عن طريق تركيب نظام معلوماتي وآلي في مديرية الأمن الوطني.

٤- وكما طلبنا نحن، فقد أعلمنا الجانب الأميركي، أنه مستعد لتبادل المعلومات حول نشاطات المجموعات الشيعية المتطرفة داخل البلاد، وفي بعض دول مجلس التعاون الخليجي.

وقد قام السيد وبستر بتهنئتنا على الاحتياطات التي إتخذناها ضد الحركات المدعومة من إيران، وأعلمنا أن الوكالة مستعدة لعمل مشترك معنا، لاستبعاد كل عوامل التوتر في منطقة الخليج.

٥- وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي على أنه من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق، حتى نجبر حكومة هذه البلد على الموافقة على رسم حدودنا المشتركة. وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأميركية وسائل الضغط التي تراها ملائمة . مع التشديد على أنه يجب أن يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل، بشرط أن يتم التنسيق على أعلى المستويات.

٦- يرى الجانب الأميركي، أن تكون علاقتنا بإيران على الشكل التالي: من جهة أن نسعى لتلافي أي إتصال مباشر معهم. وبخلاف ذلك من جهة ثانية، يجب أن نمارس عليهم كل الضغط الاقتصادي الممكن، بنفس الوقت الذي يجب أن نستمر فيه بدعم تحالفهم مع سوريا .

وقد حدد الاتفاق مع الجانب الأميركي، أنه على الكويت تلافي أي تصريح علني ضد إيران، وبالمقابل تقليص دورها ونشاطها في الإجتماعات العربية المختلفة.

٧- لقد اتفقنا مع الجانب الأميركي، أنه من المهم جدا محاربة المخدرات داخل الكويت ، وذلك بعد أن أخبرنا خبراء مكتب المخدرات في الوكالة ، أن جزءا كبيرا من الرأسمال الكويتي ، يستعمل لتشجيع تجارة المخدرات في باكستان وإيران ، وان نموّ هذه التجارة له انعكاسات كارثية على مستقبل الكويت.

٨- لقد وضع الجانب الأميركي بتصرفنا خطا هاتفيا خاصا ، لتشجيع التبادل السريع للافكار والمعلومات التي تتطلب اتصالات مكتوبة.

إن رقم خط الهاتف الخاص العائد للسيد وليام ويبستر هو التالي: ٥٢٤١-٦٥٩(٢٠٢).

إنني أنتظر توجيهات سموكم . وأبعث لسموكم بأفضل التحيات .[5]

العميد فهد أحمد الفهد

مدير عام

مديرية الأمن الوطني

هل الكويت جزء من العراق؟

قبل أن ننتقل الى عرض الموقفين الآخرين نتوقف قليلا أمام المقولة بان الكويت كانت تشكل جزءا من العراق. ونحن بالرغم من اهمية الموضوع لانريد التعرض للتفاصيل التاريخية بشكل يوفي السؤال حقه القانوني الكامل لسببين : الأول هو ان الأخذ والرد في

---

[5] - انكرت المراجع الحكومية الكويتية صحة هذه الرسالة وطعنت بمصدرها برسالة وجهها وزير الخارجية الكويتي صباح الأحمد الى دي كويار بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٢٧ مشيرةً الى ان التعابير والمصطلحات المستخدمة فيها لا تتفق مع المألوف بين المسؤولين في الكويت . وقبل ذلك بسبعة أيام كان الناطق باسم وكالة " سي آي ايه " بيتر ارنست قد أصدر بياناً رسمياً يكذب صحتها ايضاً .(سراج أحمد سراج صفحة ٦٠٥). ونحن بالطبع لا نستطيع الجزم بصحتها ولا بعكسه . ولكننا نميل الى تصديقها مع تحفظ سنذكره ايضا. فلو اراد العراقيون تزييف رسالة كهذه لكلفوا مختصاً في عمليات التزييف لا تفوته هذه الملابسات التي يتحجج بها المرجع الكويتي . ولا نجد نحن مضمون الرسالة بعيداً عن الانسجام مع المخطط العام لحرب ارادتها واشنطن. ويعزز قناعتنا بصحتها ايداع العراق لهذه الوثيقة فيما بعد في الأمم المتحدة وقبول السكرتارية لها هناك وترجمتها . ولو كانت مزيفة لما تجرأ العراق على تقديمها . فعملية تزييف قد " يبتلعها " إعلام ساذج او مُغرض ولن تمر على هيئة الأمم ، وخاصة حين تطعن بصحتها الولايات المتحدة. فالطعن سوف يُعرِّض الوثيقة لفحوص دقيقة لا يمكن التلاعب عليها . اما تحفظنا فتكون لدينا عندما وجدنا ان البزاز الذي حاول جهده تبرير المواقف العراقية بمنطق غير منفعل لم يأت على ذكر هذه الوثيقة. فهل يمكن له ان يتجاهل او يتناسى استخدام وثيقة من هذا الوزن وتمنح التصرف العراقي بعض التغطية لو كانت اصلية؟ ترى الا يعرف من الحقائق المستورة ما جعله يتحاشى ذكرها وخاصة ان الوسائل الأصلية التي استخدمت في كتابتها من أوراق أو أختام وآلات طابعة كانت متوفرة بيد العراقيين بعد الغزو ؟

الحجج التي يبرزها الطرفان سيحتاج الى اكثر من مجلد دون ان يقطع الشك باليقين . والثاني هو أنه لايجوز لموضوع التبعية أن يلعب الدور المُضخم الذي يُعطى لها لأن كل مطلع على مجرى الأمور يدرك ان حجة العراق لغزو الكويت في كونها جزءاً منه هي مجرد ذريعة . فهل الذرائع التي اوردتها الحكومة العراقية لاثبات أن الكويت جزء منها لا تنسحب ايضا على تبعية الأردن الى فلسطين وتبعية كلاهما ومعهما لبنان الى سورية ؟ ان اعتراف العراق الواقعي بالكويت يستمد قوةً لا يمكن تجاهلها ولا ردّها بعد تعامله الفعلي الطويل معها على انها دولة قائمة ومستقلة وذات سيادة . والعراق مشترك مع الكويت في مختلف الهيئات الدولية وفي الجامعة العربية . وحين وجه اول وثيقة لوم الى الكويت ارسلها الى الجامعة العربية ناقدا ولائما لكيان اسمه دولة الكويت . وحين انشأ هناك سفارة عراقية وسمح بانشاء سفارة كويتية في بغداد ، وحين رحب بأمير الكويت واحتفى به اروع احتفاء كرئيس لدولة ناجزة الاستقلال اعترف ، شاء ام ابى بصفة " الدولية " للكويت . ورغم قناعتنا هذه نميز بين تبعية الكويت الجغرافية الى العراق وبين الوضع الدولي الذي هو حتما في صالح الكويت . وفيما يلي سوف نتعرض لهذه النقطة بشكل مكثف وملخص :

من يريد التفاصيل يجدها في مذكرة الأمم المتحدة الصادرة عن مجلس الأمن تحت رقم :S/٢٥٨١١ تاريخ ١٩٩٣/٥/٢١ التي تتألف من ٤٨ صفحة تحوي كل ما يختص بالحدود العراقية الكويتية منذ عام ١٩١٣ . ونحن نوجز هنا ما نراه هاما في تلك الوثيقة التي تكتسب اهميتها من انها صدرت نتيجة لقرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ لترسيم الحدود بين الدولتين والذي صدر بتاريخ ١٩٩١/٤/٣ اي بعد انتهاء الحرب بشهر ونيف . فبناء على هذا القرار تشكلت لجنة من خمسة اعضاء ، ثلاثة منهم خبراء مستقلون عينهم الأمين العام بينما كان احد الاثنين الآخرين ممثلا للكويت والآخر ممثلا للعراق . وقد مثل العراق السفير رياض القيسي ومثل الكويت السفير طارق رزوقي . وفي التقرير الختامي لهذه اللجنة التي حددت الحدود باحداثيات دقيقة ورد ذكر الأسس التي اعتمدتها اللجنة في رسم الحدود . واهم هذه الأسس هو :"المحضر المتفق عليه بين دولة الكويت والجمهورية العراقية بشأن استعادة العلاقات الودية والاعتراف والامور ذات العلاقة الموقع في بغداد بتاريخ ١٩٦٣/١٠/٤ ". وهذا المحضر يشمل على النص التالي:" تعترف الجمهورية العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ٢١تموز/يولية والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في العاشر من آب/اغسطس ١٩٣٢ ". واما النصوص المتبادلة فتحدد الحدود على الشكل التالي ، كما ورد في وثيقة الأمم المتحدة :

" من تقاطع وادي العوجة مع الباطن ثم باتجاه الشمال على طول الباطن الى نقطة تقع جنوبي خط عرض صفوان ؛ ثم باتجاه الشرق لتمر جنوبي آبار صفوان، وجبل سنام، وام قصر تاركة هذه المواقع للعراق وذلك حتى التقاء خور الزبير بخور عبد الله . أما جزر وربة وبوبيان ومسكان (أو مشجان) ، وفيلكة ، وعوهة وكبُر وقاروة ، وأم المرادم فإنها تتبع الكويت ."

هذا وتتعرض الوثيقة الى اتفاقيات سابقة لتاريخ ١٩١٣ و " تتريث " عند عام ١٩٣٢ حيث اضطر رئيس وزراء العراق الى كتابة رسالة الاعتراف بالحدود المذكورة . اذ لم تُقبل عضوية العراق في عصبة الأمم الا بعد ارسال الاعتراف المذكور . وهذا الشرط ورد على الصفحة ١٣ من وثيقة الأمم المتحدة .(فلا حاجة لمزيد من الايضاح على ان موافقة العراق تمت تحت الضغط البريطاني إن لم نقل الابتزاز.) ثم تذكر الوثيقة المحاولات المتبادلة من قبل العراقيين والكويتيين للعبث بالحدود بوضع اللافتات ثم ازالتها ثم اعادتها فاختفائها ثم الى نصب اعمدة من الخرسانة اعتمادا على المعطيات الفلكية لتحديد الاحداثيات . ومن النقاط الهامة في مذكرة الأمم المتحدة عرض من الحكومة العراقية عام ١٩٥١ عن استعدادها للقبول بالحدود مع الكويت شريطة تخليها عن جزيرة وربة . ورفضت الكويت ذلك . وفي عام ١٩٥٣ سحبت الحكومة العراقية ذلك العرض .

ومن الجدير بالذكر فيما يختص بمذكرة الأمم المتحدة هو ان العراق شارك بحضور كل جلسات اللجان ولكنه امتنع كليا عن المشاركة في اي نقاش انما بقي صامتا وكأنما يريد التعبير عن ان ما يجري لا يحظى باعترافه ، او كأنه يقول للمشاركين الكويتيين : افعلوا الآن ما تحبون . ولسوف يأتي يوم آخر .

هذا وهناك كتابان من الكويت يتصفان بقدر كبير من الجدية التي تسعى لأن تكون علمية وموثقة وهما : " ترسيم الحدود الكويتية العراقية " من اعداد لجنة من المختصين ، وكتاب " الكويت في السياسة الدولية المعاصرة " من تأليف الدكتور علي رضا أسيري [٦]. فمن يقرأهما يدرك ان كيان الكويت الذي يتصف " بخصوصية واستقلالية " هو اقدم من دولة

---

[٦] – نأخذ على د. أسيري انه بدأ ايراد وثائقه عن الكيان الكويتي المستقل بمعاهدة الحماية بين بريطانيا والكويت قافزاً عن وثيقة أخرى هامة سابقةً لها تحدد التقسيمات الادارية لولاية البصرة وتذكر الكويت كجزء من اربعة اجزاء تتكون منها ولاية البصرة . أورد هذه الوثيقة المؤلف فيصل محمد الأرحيم في كتابه " تطور العراق تحت حكم الاتحاديين." أصل الوثيقة في: " سالنامة دولت علية عثمانية لعام ١٣٢٧ هـ صفحة ٥٧٦ ."

العراق التى رسمت حدودها اتفقاية سايكس بيكو الاستعمارية. ولكن ادراكنا هذا يثير لدينا تساؤلين:

– فهل كان مفعول هذه الاستقلالية يسري على مدينة الكويت داخل السور وما يحيط بهذا السور من الأماكن القريبة ، أم إنه كان مرتبطاً بالمساحة الجغرافية الحالية ؟

– وهل تبرر يا ترى هذه "الاستقلالية " تأسيس دولة منفصلة عما يحيط بها من كيانات سياسية ؟ ألم تسهم بريطانيا في ابراز ودعم " الاستقلالية والخصوصية " انطلاقا من مبدأ فرق تسد ومن مبدأ التجزئة بالاكثار من الحكام في الخليج ليتعلق كل منهم بسيادته فيدافع عنها ليبقى حاكما على مجموعة من السكان الذين لا يجوز اعطاؤهم صفة " شعب " ؟ ألم تتبلور وتقوى مصلحة بريطانيا في تعزيزمظاهر فصل الكويت عن الخلافة العثمانية وبالتالي عن البصرة وعن العراق منذ ظهور " نكهة " البترول ؟ وهل كانت العائلة الحاكمة في الكويت لتستطيع التمسك والتمتع بهذه الاستقلالية لولا الدعم البريطاني الذي فاوض بالنيابة عنها الحكومة العثمانية فارضاً الشروط البريطانية ؟ ألم يحصل اعتراف نوري السعيد بالحدود الكويتية نتيجة للضغط البريطاني عليه كما جاء في مذكرة الأمم المتحدة التي تعرضنا لها قبل قليل ؟ ألم تتم كل مراسلات الاعتراف بالحدود بين العراق والكويت من خلال رسائل بالانكليزية وجهها كل فريق الى " الخواجة " البريطاني فأوصلها هو الى المرسل اليه ؟ فالرسالة الاولى صدرت عن نوري السعيد الى السير فرانسيس همفري بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١ يتحدث فيها عن ان الوقت قد آن "لتأكيد الحدود القائمة" بين العراق والكويت .[٧] فتبعتها رسالة من المقيم البريطاني في الخليج بتاريخ ١٩٣٢/٧/٣٠ الى المعتمد البريطاني في الكويت ليوصل رسالة نوري السعيد الى امير الكويت وليستلم موافقته على ما جاء فيها . وأخيرا رسالة الأمير احمد الجابر الصباح بتاريخ ١٩٣٢/٨/١٠ التي وجهها الى: **The political Agent** في الكويت موافقا على الحدود التي ذكرتها رسالة نوري السعيد .[٨]

يشير الكويتيون الى اتفاقية ١٩٦٣/١٠/٤ التي وقعها احمد حسن البكر عن العراق والشيخ صباح سالم الصباح بحضور شخصيات بارزة منها الفريق الركن العراقي صالح مهدي عماش ووزير الداخلية الكويتي الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح. ففي هذه الاتفاقية اعترف العراق بالحدود كما وردت في رسالة نوري السعيد .

---

٧ – انظر " أسيري " صفحة ٤٦٣ حيث نجد ترجمة الرسالة هذه وترجمة الرسائل التي سنتحدث عنها في هذه الاسطر المقبلة .

٨ – انظر " ترسيم الحدود الكويتية .." صفحة ١٠٧

ويشير العراقيون الى ان هذه الاتفاقية لم يجر تصديقها من خلال اية سلطة تشريعية في العراق مما يجعلها غير سارية المفعول .ويعود العراقيون الى فترة اسبق من التاريخ حيث طالب مجلس الأعيان في الكويت عام ١٩٣٨ بالانضمام الى العراق . ولما اصر اعيان هذا المجلس على طلبهم قامت بريطانيا بحل المجلس . ويؤكد العراقيون ايضاً بأن الملك غازي راح قتلاً بأيد بريطانية ضحية اصراره على استعادة الكويت ولأنه انشأ محطة اذاعة في قصره تطالب بعودة الكويت الى العراق .

قد يقول الكويتيون في العصر الحاضر : وهل سُئِلَ المجتمع الكويتي عن وجود رغبة لديه في الانضمام الى العراق ؟ واين حق الشعوب في تقرير المصير ؟ وجوابنا واضح : المجتمع الكويتي لا يشكل شعباً قائماً بذاته ولا يجوز لكل فئة من مجتمع كبير أن تقرر مصيرها حسب مصلحتها الخاصة فقط. فلو صح مبدأ تقرير المصير على هذا المستوى لما كان هناك عراق ولا كويت ولا بريطانيا عظمى ولا ولايات متحدة أميركية ايضاً . ولو كان يجوز اعتبار تقرير المصير اساسا لكل فئة من الناس في ان تحدد مصائرها لاستقل السكان في مواضع آبار البترول او مناجم الذهب عن المناطق المجاورة حيث لا يوجد البترول ولا الذهب. ورغم ذلك لا نجد المثال ينطبق تماما على ما بين العراق والكويت . ولا نؤيد ابداً استناد العراق على مثل هذه الأعذار لابتلاع الكويت .

ومن يريد تفاصيل من نوع آخر يجدها في كتاب محمد حسنين هيكل على الصفحات ٦٣-٧٢ حيث يذكر مثلا أن أصل كلمة الكويت من " الكوت" ومعناه الحصن. ويشير الى أن أصل عائلة الصباح من نجد، وانتقلت الى أم قصر في جنوب العراق ثم ابعدت عنها جنوبا فدخلت الكويت ويريد هيكل على مايبدو من ذكر ذلك اعطاء قرائن الى أن حكام الكويت هم انفسهم أجانب عنها. ويذكر هيكل كيف جمع اللورد البريطاني كيرزون عام ١٩٠٣ مشايخ المنطقة ليشعرهم بعدم وجود مجال للأخذ والرد في موضوع التبعية لانكلترا التي ستعمل بحزم من اجل استتباب الأمن . ويذكر أيضا كيف رسم الميجر برسي كوكس البريطاني عام ١٩٢٣ الحدود بين المشيخات بالقلم الأحمر.[٩]

---

[٩]- من يقرأ كتاب " ترسيم الحدود الكويتية.." صفحة ١٦ يجد سخرية ناعمة ولكنها محقة بما كتبه هيكل عن الخط الذي رسمه بيرسي كوكس. فالكتاب يقول : " ويزداد الأسف والأسى عمقا اذ نرى ..اقلاما تصور هذه الحدود [حدود بيرسي كوكس] وهذه الاتفاقيات على انها مجرد عمل استعماري ...حتى ان احدهم [هيكل] في كتاب له اخير يصطاد نصاً ليعرض لنا في اسلوب روائي ان السير بيرسي كوكس ...امسك بقلم ورسم خطاً على الخريطة في عام ١٩٢٢ م واصبح الخط حدودا دولية ."

ويتعرض لذات الموضوع المؤلف رامزي كلارك، وهو وزير عدل سابق في الولايات المتحدة فيقول ما نأخذه عن كتابه " النار هذه المرة" صفحة ٢٩:

" لقد وصفت النيويورك تايمز إمارة الكويت بأنها " شركة نفط تملكها عائلة وترفع علما اكثر من كونها بلدا". وقد تم انشاء الكويت اعتباطا ككيان وطني على يد الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى لممارسة الضغط على العراق الغني بالنفط . في عام ١٩١٨ نشبت موجة من المقاومة الوطنية بعد استيلاء بريطانيا العظمى على العراق. وسحقت بريطانيا الثوار عن طريق أول استخدام منظم للقصف الجوي عبر التاريخ وفي عام ١٩٣٢ ، ولمواجهة استمرار الثورات منحت بريطانيا العراق استقلالا اسميا وامتلك حقول النفط هناك " كونسورتيوم" من الشركات البريطانية والأميركية والفرنسية. وعلاوة على ذلك فإن بريطانيا أقامت قاعدة بحرية في الكويت واختارت لها عائلة حاكمة وأبقتها محمية تابعة لها كضمانة ضد تحدي العراق لامتلاك الغرب ثرواته النفطية. ولإنشاء الكويت ، فصلت بريطانيا قطعة صحراوية من العراق تتضمن مدينة الكويت وما حولها وجزيرتي وربه وبوبيان اللتين تمثلان منفذ العراق الى الخليج. وتم رسم الحدود بين الكويت والعراق والسعودية من قبل السير بيرسي كوكس (مكتب الاستعمار البريطاني) في عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٣ . وتكون هذه المنطقة الساحلية التي سيطر عليها العراق تاريخيا ، قد اقتطعت منه . وبالنسبة للكويتيين الذين أرادوا أن يبقوا جزءا من العراق ، فقد تم قمعهم على يد القوات البريطانية. "

إذا فنحن نرى أيضا أن الكويت كانت في الماضي تشكل جغرافياً جزءا من العراق. ومن يلقي بنظرة الى خارطة العراق بمساحته الكبيرة مع الفتحة " المسخ" التي تركت له للوصول الى مياه الخليج يدرك دون الحاجة الى وثائق اثبات بأن المرجع الذي رسم الخطوط الحمراء تعمد التجزئة لاضعاف العراق وليحرمه من متنفس ساحلي يتناسب مع حجمه جغرافيا وبشريا واقتصاديا. ولكننا في ذات الوقت نرفض الغزو العراقي للكويت رفضا قاطعا حين يتذرع بالتبعية التاريخية والجغرافية.

أما عن وصف الكويت بأنها شركة نفط تملكها عائلة فلا نرى فيه مايحرج أو يسيء أو يجرح من كيان دولة الكويت التي تمكنت من اعطاء شعبها مالم تعطه دول عربية أخرى لشعوبها. ولها في ذلك كل الحق . لاشك في أن الشعور بشيء من الفوقية والتعالي لدى رجالات الكويت وتصرفاتهم من هذا المنطلق أساءت كثيرا لسمعتهم. ولكن صفاتهم هذه لاتشكل سببا للغزو العراقي المرفوض جملة وتفصيلا. هذا وان اتصاف البعض بخلال سلبيةلا يجيز سحبه على الجميع . فضلاً عن وجود مثل هذه الجماعات في كل دولة.

٢- والامارات متخوفة أيضا لاسباب متعددة منها أن العراق لم ينس منحها لإيران مساعدات أثناء حرب الخليج لمبالغ وتسهيلات توصف بأنها لم تقل عما كان هو يحصل عليه. لكن تخوف الامارات لم يبلغ تخوف الكويت لأسباب ثلاثة: أولها أن العراق لم يسبق أن اعتبرها جزءا منه. وثانيها كونها صعبة المنال لأنها بعيدة عن حدوده جغرافيا. وثالثها وربما اهمها هو أن الكيان الجغرافي الذي يفصلها عن العراق هو المملكة العربية السعودية ذات الوزن الاستراتيجي والبترولي والدولي. فلو فكر العراق "بمعاقبة" الامارات لكان عليه أن يتورط سلفا بعمل ضخم لن تسكت عنه مصالح الكبار.

٣- وأخيرا نلتفت الى الموقف السعودي. فنحن لانشك أبدا في أن القلق ساور العائلة المالكة هناك. ونذكر ما يرمز الى التخوف السعودي ما قاله لنا امير كبير من أمراء السعودية في مدينة ميونيخ: " لو دامت لغيرنا لما وصلت الينا ". أي أن التخوف كان حاصلا بالأصل وجاءه من غذاه بأقوى هرمونات التآمر . ورغم ذلك فان المساحة الشاسعة للمملكة التي تطل على البحر الأحمر والخليج العربي، والقوة الكبيرة نسبيا لجيشها وللحرس الوطني إذا ما قورنت بقوى الكويت والامارات، وثقة حكامها بأن مملكتهم أهم من أن تنحدر الى قيمة صغيرة تجري المساومة عليها من قبل أميركا، وسخاءهم غير المشروط والذي لايحمل صفات التمنين الجارحة تجاه العراق ، والطبيعة غير الحاقدة التي تتميز بها الاسرة السعودية في ممارساتها مع الحكام العرب الاخرين أوحت بأن موقف السعودية أبعد من أن يمكن استخدامها بسهولة منطلقا أو جعلها حليفة في مؤامرة تستهدف العراق. ونضيف الى ذلك قناعتنا الراسخة بأن الملك فهد وولي العهد الأمير عبد الله والأمير سلطان وزير الدفاع لم يروا في الرئيس صدام صفات الغدر، وقاوموا ضمنيا على الاقل الرغبات الأميركية بقوة الى أن جاءت " الادلة الدامغة" على عدوانية العراق، تلك الادلة التي سوف نتمكن من دحضها واثبات زيفها واحدا بعد الآخر.

إن قناعتنا لراسخة في عدم وجود اي رغبة لدى أي حاكم عربي خليجي في إلحاق الأذى بالعراق لمجرد الأذى. لكن الظل الذي كان يلقيه العملاق العراقي الطموح عليهم وتلويحه المستمر بالقوة والبأس سبب لهم قلقا حقيقيا جعلهم إما يتقبلون أو يتورطون في إجراءات اضطرارية قيل لهم بأنها محدودة الابعاد والآثار وتخدم أمنهم هم . إنهم في رأينا لم يعرفوا المدى البعيد والعمقَ الساحقَ للأذى الذي سوف يلحق بالعراق وبهم وبكل العرب لجيل أو اجيال. وحين كان الرئيس ياسر عرفات يسعى جاهدا لدفع الكويت الى حد أدنى من التنازلات خشية إخراج العراق المتألم المجروح عن طوره اجابه الكويتيون بلهجة الواثق من

نفسه " أن الأميركيين سيحلون المشكلة في غضون أيام" [١٠] والى جانب المواقف والمعطيات السابقة هناك حقيقة ثابتة لا يجوز لنا اغفالها الأ وهي أن الحرب العراقية الايرانية شكلت بالفعل درعا واقيا ضحى خلالها العراق بشكل لم يعرف عرب العصور الحديثة له مثيلا للدفاع عن نفسه وعن مصالح الأمة العربية بشكل عام ومصالح دول الخليج بشكل خاص ومباشر. ولانعطي الرأي القائل بأن العراق هو الذي هاجم ايران وفتح ابواب الخطر على نفسه وعلى الخليج قيمة أو وزنا. فالخطر الايراني كان ومازال يلقي بظله الحالك على كل الخليج. ورغبة حكم الخميني بتصدير الثورة الاسلامية أوضح وأصرح من أن نتجاهلها أو ننكرها. وسياسة نخز الابر الايرانية على حدود العراق بعد اسابيع قليلة جدا من عودة الخميني الى طهران لاستفزازه حقيقة ثابتة. وتصريحات القادة الايرانيين بعد استيلائهم على الفاو ووصولهم الى مشارف الكويت حيث اعلنوا على الملأ بأنهم وصلوا الى هنا ولن يغادروا بعد الآن . وكانت اصوات انفجارات المعركة تصل الى آذان حكام الكويت في داخل قصورهم كما يؤكد الملك الحسين [١١] كل هذه المؤشرات تثبت لمن يريد الحقيقة بأن المطامع والمطامح الايرانية كانت تشكل تهديدا حقيقيا هائلا للخليج. ولو تمكنت ايران من العراق لما داعب الكرى اعين حكام الخليج. ولو لم يتمكن العراق من اجهاض قوة جيش ايران خلال ثماني سنوات انهكت

---

[١٠] - رامزي كلارك صفحة ٣٣ . ويكتب كلارك في نفس المكان وعن ذات الموضوع ما يلي : "وهذا الموقف المتشدد من جانب العائلة الحاكمة في الكويت اصبح واضحا للوفد الأردني بقيادة جلالة الملك حسين الذي ذهب في ٣٠ تموز للتفاهم حول حل وسط في جدة . ورغم ان القوات العراقية في ذلك الوقت قد احتشدت على حدود الكويت وجد الأردنيون الكويتيين غير قلقين ومتغطرسين . وعندما طلب من الشيخ صباح ان يأخذ الاجراءات العراقية بشكل اكثر جدية قال للوفد الأردني :" لن نرد على العراق . اذا لم يعجبهم ذلك فليحتلوا ارضنا . سنجيء بالأميركيين ." ويذكر الملك حسين بماذا اجابه قادة الكويت حين حثهم على عدم الذهاب الى اجتماع جدة خالي الوفاض فقالوا : " اذا كان العراقيون يريدون ان يدخلوا ، ليدخلوا .. فسيأتي الأميركان ليخرجوهم من الكويت ." من بزاز صفحة ٦٢

[١١] - يجدر بنا هنا ايراد اقتباس من كوولي حيث يقول على الصفحة ٣٠٦ " اما بالنسبة للملكة العربية السعودية وامارات النفط الأخرى في الخليج والتي اعتادت ان تعتمد على الحماية الأميركية بدلا من العراقية ، فإن الخطر القادم من ايران كان خطرا حقيقيا لا شك فيه . وقد دفعهم الخوف من هذا الخطر الى تحويل المزيد من الأموال الى خزانة صدام حسين الحربية . الا انه بانتهاء تلك الحرب وايقاف اطلاق النار في اغسطس/آب ١٩٨٨ أمل جيران صدام حسين في الخليج - بشكل اوآخر - في استرجاع تلك المليارات من الدولارات التي كانوا يعطونها اياه في شكل منح او قروض من اجل حمايتهم خلال سنوات الحرب . لقد كان همهم الرئيسي ان يأمنوا شره ويبتعدوا عنه ، ولكن صدام حسين ظل بفضل استمرار الوضع السابق والتصرف في المنطقة بشخصية العراب ."

الطرفين معا لكان لايران شأن آخر في الخليج. وبالطبع نحن من اوائل من يمثل الرأي بأن ايران لن تستطيع في نهاية الأمر تنفيذ مآربها في دول الخليج لأنها أصغر من أن تلعب دورا نهائيّ الأبعاد لايرضى عنه اصحاب القرار الكبار. ولكن ايران كانت تستطيع مشاغلة الحكام هناك واقلاقهم واثارة الشغب وربما الفتن الدامية مما يهدد استمرار وجودهم.

هذا وتوجد نظرية لا يجوز اهمالها كلياً من جهة ولا يجوز منحها ذلك الوزن الضخم الذي يريده لها بعض الكتاب الذين يقولون بأن الرئيس صدام حسين قام بهجومه على ايران ليخلو له الجو بعد هزيمتها لضم الكويت. فأهداف ثورة الخميني التوسعية شكلت خطراً حقيقياً على العراق وبالتالي على كل عرب الخليج . ولكن في ذات الوقت لا يجوز انكار استحالة تورط العراق بغزو الكويت فيما لو كانت ايران تملك زمام قوتها كما كانت في ايام الشاه

موقف ومصلحة الولايات المتحدة في الخليج:

بالاضافة الى المواقف العربية المحلية التي ذكرناها نستعرض موقفا أكبر منها مجتمعة وأكثر هيمنة ويحركها جميعا حسب رغباته ومصالحه ألا وهو موقف الولايات المتحدة التي كانت بأمس الحاجة لهذه الحرب في ذلك التاريخ، أي قبل أن تتكامل القوى الناتجة عن الوحدة الأوربية للأسباب التالية:

١- تحقيق أرباح مادية خيالية من بيع السلاح المخزون لديها ليدفع ثمنه كل عرب الخليج مما يسهم في انقاذ الاقتصاد الأميركي المنهار[١٢] ويبرر الاستمرار في البذل على تطوير السلاح لصالح عمالقة صناعته في اميركا.

٢- بعد زوال حلف وارسو الذي تتذرع به اميركا للاستمرار في سباق التسلح وللابقاء على القوات الأميركية ومستودعاتها الضخمة في أوربا على حساب الدول الاوربية زال السبب الموجب لاستمرار بقاء هذه القوات هناك . فلو عاد هؤلاء الجنود والضباط الى أميركا لأصبحوا عبئا ثقيلا جديدا على الخزانة الأميركية مما يزيد حجم المديونية والازمة. وإن سرّحوهم من الجيش لأصبحوا عالة مرهقة لسوق العمالة الراكد . أما لو أضرموا نيران حرب في الخليج فلسوف ينقلونهم بسرعة الى هناك على حساب حكام العرب الخليجيين وعلى حساب قوى أخرى تصلح في هذه المرحلة للابتزاز مثل المانيا واليابان .

---

[١٢] -يقول كوولي في الصفحة ٢٢ عن اثر صفقات السلاح على الدول المتقدمة التي تنتجه:" لقد اثرت اميركا واثرى معها اصدقاؤها في اوربا بتزويدهم لمصانع صدام حسين الحربية بمختلف انواع التكنولوجيا بما في ذلك الأسلحة الكيماوية والبيولوجية والامكانيات النووية الكبيرة ."

٣- تخوف أميركا من الوحدة الاوربية الناهضة وخاصة بعد انهيار الشيوعية وغياب الاسباب التي كانت تمنع التعامل الودي بين دول شرقي أوربا وغربيها وخاصة مع ألمانيا التي اتحدت وقويت وصار من مصلحتها الترابط الهيكلي مع أوربا الشرقية، هذا الترابط الذي سيؤدي الى تعاظم الوزن السياسي والاقتصادي الاوربي ويجعل أوربا أكثر قدرة على مضايقة الاقتصاد الأميركي في أسواق العالم. اذن لا يجوز للباحث المتعمق اعتبار سقوط الشيوعية على انه هبة من السماء جعلت من الولايات المتحدة القوة الوحيدة المهيمنة على الأرض. ان هذه النظرة تبدو صحيحة ولكن الى امد قصير لا يمكن له أن يستمر. بينما الحقيقة ان انهيار الشيوعية هو الذي دق ناقوس الخطر في مراكز صنع القرار للسياسة الأميركية العليا .فطالما كان هناك شبح " شيوعي " يلقي ظلاله المخيفة على اوربا طالما خضعت، ومعها الشرق الأقصى ، للحماية التقليدية والنووية الأميركية مما يسمح للولايات المتحدة بأن تنام قريرة العين . اما بعد زوال الشبح الشيوعي وظهور معالم الوحدة الأوربية التي ذكرناها قبل قليل فقد تهدد عرش الولايات المتحدة بزلزال عنيف مما دعاها الى استنفار كل الوسائل للحفاظ على مكانتها العالية .

٤- لو قويت اوربا لاصبحت مصالح أميركا البترولية مهددة في كل انحاء العالم. ونشرح هذه النقطة من خلال ماجرى بين رجل البترول الايطالي انريكو ماتيه وقادة المصالح البترولية الأميركية في الستينات. ولن نسترسل قليلا في سرد خلفيات هذه القصه إلا لأن البترول هو موضوعها الأهم، البترول الذي يكمن ايضا وراء حرب الخليج الى حدٍّ بعيد.

آ -ظاهرة انريكو ماتيه:

وصل انريكو ماتية الى ذروة اصحاب القرار في شركة **ENI** الايطالية التي تدير شؤون كل شركات النفط التي تشارك في ملكيتها الدولة الايطالية ، وعلى رأسها شركة **AGIP** المملوكة بالكامل للدولة الايطالية . أي ان انريكو ماتيه كان يستأثر بالقرار البترولي الايطالي منذ اختياره رئيسا للشركة الأم عام ١٩٥٣ حتى مماته أو مقتله في ١٩٦٢/١٠/٢٧ .

بدأ اصطدامه بمصالح البترول الأميركية منذ وضع كل ثقله لمنع بيع شركة أجيب للقطاع الخاص. وكان يرفض ذلك لسببين: الأول اعتباره المحقّ في أن البترول أهم من أن تتنازعه مصالح القطاع الخاص. والثاني هو الأهم والذي يُستنبط من الأول. فلو بيع قطاع البترول للقطاع الخاص لتمكنت الرساميل غير الايطالية من التسرب اليه والتأثير على القرارات المتخذة بشأنه، بل واحتوائه ايضا مما يجعل دولة ايطاليا تفقد جزءا من سيادتها .

يشير الفيلم الوثائقي الذي مازال في حوزتنا الى مقابلة تمت في مونت كارلو بين ماتيه وبين أحد الأميركيين الضالعين في شؤون البترول في نهاية عام ١٩٦١. ففي المقابلة اختلف الرجلان وغادر ماتيه الإجتماع ضاربا على الطاولة وغاضبا من موقف المفاوض الأميركي الذي طلب من ماتيه رفع اسعار البترول. لكن ماتيه رفض وقال " لانريد أن نبقى مثل القطة التي يجري اللعب بها بعد الآن". وطلب ماتيه من الأميركي انشاء مصفاة في تونس. فأجاب الأميركي بعدم امكان ذلك. فسأل ماتيه: لماذا لاتشاركوا **ENI** معكم في انشاء مصفاة هناك. فيجيبه الأميركي: " نحن نتعامل مع رجال بترول فقط." ويقصد مالكي حقول البترول.

كان ماتيه قد نشط بقوة قبل تلك الحادثة لإنشاء علاقات مباشرة مع دول بترول عربية وشرق أوسطية وتمكن من توقيع عقد مع حكومة شاه ايران في عام ١٩٥٦ على أن تحصل ايران على ٧٥٪ من الواردات بينما يبقى للشركة الايطالية ٢٥٪ وبعد عام واحد وقعت شركة ايني اتفاقية مماثلة مع مصر وفي عام ١٩٥٨ مع المغرب. فثارت ثائرة دوائر البترول الأميركية والبريطانية لهذه الاتفاقيات " الثورية ". فهي كانت تمنح الشريك العربي ٥٠٪ فقط ، وكان هذا الشريك قانعاً بما يأتي اليه. وحدث أن سأل أحد المراسلين الأميركيين ماتيه عن دوافعه لهذا الاسلوب الذي يقلب الموازين في اتفاقيات البترول فأجاب: لوحدث أن نجحنا بمشاركة الشركات الأميركية في عقد مع دول بترولية فلن يصيبنا سوى ٢٥٪ في أحسن الاحوال. فالمتعارف عليه دوليا آنذاك هو أن تحصل دول البترول على ٥٠٪ بينما يجري اقتسام الباقي بين مجموعة المشتركين. وقصد ماتيه من ذلك أنه لو دخلت ايطاليا في مجموعة كونسورتيوم بترولي مع دولة بترولية في اتفاق فلن تحصل ايطاليا على ٢٥٪ إنما أقل من ذلك بكثير. فلماذا لاتتصرف اذن باستقلال ؟

ومن انجازات ماتيه التي أثارت حقد فئة البترول الضاغطة في اميركا (لوبي) عليه تحضيره للعقد مع الاتحاد السوفياتي على ان تورد ايطاليا الى الاتحاد السوفياتي مصنعا ينتج انابيب البترول والغاز مقابل ان تحصل ايطاليا على الثمن بشكل توريدات من البترول بحيث يكون سعر البرميل الثابت دولار واحد .

في كتاب للمؤلف **Paul H. Frankel** بعنوان "البترول والنفوذ" في الفصل: "**Arms and the Man**" صفحة ٧٥ يتحدث المؤلف عن حديث أجراه المؤلف مع رجل من " قمة رجالات شركة بترول أميركية كبيرة جداً " أثناء جلسة لشرب الشاي. فقد تعجب الأميركي من أنه لم تتوفر طريقة لتنحية ماتيه او قتله.

" Why no one had yet found a way to get Mattei killed . "

وبعد فترة انفجرت طائرة ماتيه في الجو بالقرب من ميلانو. والفيلم الوثائقي يثبت عمليات تضليل الشهود وتغيير شهاداتهم عما رأوا وذلك لطمس الادلة التي تشير الى الفاعل . وغابت القضية في ظلام ارشيفات المحاكم. وغداة الحادث غادر مدير وكالة المخابرات الأميركية في ايطاليا المدعو توماس كاراميسينس ايطاليا ولم يعد اليها فيما بعد على الاطلاق. ومن الجدير بالذكر ان المراجع الأميركية الرسمية حققت في القضية ولكن التقرير بقي في الأرشيفات السرية ولم يعلن مضمونه.

ما يهمنا من القصة مغزاها العميق. فإذا تجرأ رجل مثل ماتيه في الخمسينيات والستينيات على تحدي السياسة الأميركية للبترول فإن فرصة ظهور "ماتيه" آخر أصبحت الآن اكثر بكثير. فلقد عاصر ظهور ماتيه الاول ضعف اوربا واعتمادها على القوة الأميركية وعلى الدولار المتين. بل لنقل أن اميركا كانت سيدة العالم الغربي دون اي منازع. أما الآن فقد طرأ من الاحداث ما بدأ يهز عرش السيادة الأميركية مثل الوحدة الاوربية وقوة ألمانيا واليابان. فإن لم تحتط أميركا وتتصرف قبل تفاقم العوامل التي تهدد سيادتها فتسقط من برجها العالي. وأول التخطيط هو احكام القبضة الأميركية على خناق اصحاب القرار في شؤون البترول العربي بحيث لن يجرؤ أحدهم على مجرد التفكير بالتفاوض مع أي " زبون" آخر يهتم بالبترول.[١٣]

ويذكرنا ما جرى مع ماتيه بما يشبه ذلك مما جرى مع المصالح البترولية الألمانية في ليبيا وفي سوريا.ففي سوريا نشطت بعد الانفصال عن مصر عام١٩٦١شركة ديا (DEA) الالمانية في التنقيب عن البترول . ولما وصل امين الحافظ الى الحكم جرى تأميم البترول فخسرت الشركة الألمانية ٧٠ مليون مارك في تلك الأيام . وخرج الألمان من سوريا . اما في ليبيا فكان للألمان طموحات كبيرة . فهناك حصلت شركة جلزن بيرغ (Gelsenberg) من الحكومة في عهد السنوسي على عقود تنقيب ناجحة . وقبيل الانقلاب صرح مدير الشركة الألمانية الشاب د. فالتر سيبا بقوله :" توجد لدينا فرصة حقيقية في ان نمد اصابعنا لنشارك في قرارات البترول العالمية بالرغم من حداثة عهدنا في هذه المصلحة ." ولم تمض اسابيع على

---

١٣ – يقول شفينمان عن قلق الولايات المتحدة من الحوار الأوربي العربي:" إن فكرة الإدارة المشتركة المنتج/المستهلك، هي في الواقع حوار أوربي عربي .. وكان هذا الحوار يخيف الولايات المتحدة، وقد دُفِنَ في رمال الصحراء أثناء حرب الخليج. وأوربا مثل اليابان هما الآن تحت رحمة أميركا المباشرة، لأنها مصممة على الإشراف على البترول لا في العراق وحده بل في المنطقة بكاملها." (صفحة ١٥٠)

تصريحه الواثق من نفسه حتى انقلب النظام الليبي الذي كان قد منحه تلك العقود . ودخلت بعد ذلك احتكارات الولايات المتحدة الى ليبيا من الباب الكبير .

ب -الولايات المتحدة تبتز سلطات بريطانيا وفرنسا

ومن اجل الحد من خطر قوة اوربا المتعاظمة على السيادة الأميركية بدأت واشنطن منذ ما قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية تسعى نحو تقليم اظافر فرنسا وبريطانيا من الشرق ومن مراكز قواها في المستعمرات وفي الهند الصينية، والهند، والجزائر. ولم تنطلق المساعدات الأميركية لاستقلال هذه البلاد من غيرة أميركا على الحرية إنما من السعي الحاسم للحلول محل الامبراطويتين العتيقتين بعد أن تم القضاء على امبراطورية ايطاليا وألمانيا الاستعماريتين بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية. وشكلت زيارت الرئيس روزفلت الى المنطقة ومقابلته للملك فاروق والامبراطور هيلا سيلاسي والملك عبد العزيز آل سعود على البارجة حلقة من حلقات الصراع المكتوم حول السيادة، فقد حاول الرئيس روزفلت كسب المملكة العربية السعودية الى صفه فقال له الملك ما معناه: " نحن في حيرة!. فالانكليز يقولون لنا افعلوا كذا ونحن معكم ونحميكم. وانتم تريدون أن نفعل شيئا آخر. فمن نصدق وعلام نعتمد؟." فيجيبه الرئيس روزفلت بأن المستقبل مضمون لمن يتعاون مع اميركا. وبذلك خسرت بريطانيا مواقعها في السعودية . فهل تتذكر بريطانيا هذه الصفعة الأميركية ؟ وما أكثر الصفعات التي نالتها هي وفرنسا من اميركا مثل العدوان الثلاثي على السويس، لتحاول استعادة مواقعها من خلال أوربا القوية؟. فالصداقة شيء. لكن المصالح تلغي الصداقات. لقد رأت أميركا أن ذلك قد يحصل بعد سقوط الشيوعية والاتجاه نحو التقارب الأوربي ودبرت ما يلجم قادة الخليج قطعا الى أجل غير مسمى، وخاصة بعد أن ركزت قواها في بّر وبحر الخليج.

يتحدث الجنرال شوارزكوف عن أهمية الخليج فيقول [١٤]:" ولم يكن بوسعي أن أتصور وجود منطقة أكثر أهمية. فالنفط المستورد من الخليج العربي يؤلف أصلا ثلثي ماتستهلك أوربا الغربية، وعشر ما تستهلكه الولايات المتحدة، وتضم المنطقة ٦٥٪ من احتياطي النفط العالمي المكتشف، وهذا يؤكد أن أهميتها للبلدان الصناعية ستزيد. ووقعت على تقرير في معهد الخدمة الخارجية يبين أن منطقة الخليج ستظل تضخ النفط مدة قرنين على

---

[١٤] - شوارزكوف صفحة ٨٣

الاقل، في حين أن احتياطيات النفط الأميركي القابلة للاستثمار الاقتصادي قد تنضب في بحر عقدين من الزمان. ولو افترضنا أن مصادر طاقة عملية جديدة لن تظهر الى الوجود- وسجلنا في تطوير هذه المصادر البديلة بائس - فإننا سنجد انفسنا نتراكض متنافسين على نفط الشرق الاوسط، ليس في الحال، بل لربما في ظرف ٢٥ عام ، تنافسا ضاريا مع نفس البلدان التي هي الآن خير الاصدقاء .. أعني اليابان، وانكلترا، وفرنسا ، والمانيا."

وماكتبه شوارزكوف لايحتاج الى شرح إنما يتطلب أن نعلق عليه. فاذا كان ثلثا مصادر الطاقة التي تحتاجها أوربا يأتي من المنطقة العربية بينما أميركا تأخذ عشر حاجتها فلماذا هذا الحرص المسعور على المصلحة الاوروبية ؟. ومن الذي وكلّ اميركا لتدافع عن تزويد اوربا بالطاقة؟.وهل كانت اوربا عاجزة عن التفاوض مع الرئيس صدام حسين او مع حكام الخليج لتشتري منهم ما تحتاج؟.

ألا يؤكد اقتباسنا من شوارزكوف أن الهدف الأميركي هو القبض على ثلثي شريان الحياة الذي تحتاجه أوربا لكيلا تتجرأ على المشاغبة بالتفاوض مع قادة البترول؟.

٥- يجب منع العراق وكل العرب من استخدام مواردهم في التقدم العلمي والصناعي والحضاري.

اننا بدلامن أن نعالج هذه الفكرة نقتبس كلمات مشرقة من كتاب وزير الدفاع الفرنسي جان بيير شفينمان بعنوان " حرب الخليج دفعتني للاستقالة"[١٥] فهو يكتب على الصفحتين ٣٨-٣٩

"كان الشرق العربي يتأرجح منذ محمد على باشا، بين مغريات التحديث (الحداثة)، والانطواء على القيم الاسلامية وكان دائما تساء معاملته من قبل الغرب!..

فالانحسار العربي، والسيطرة التركية ، ثم الاستعمار الفرنسي البريطاني، منذ قرن، حفرت كلها هوة من التخلف تحولت مع الزمن الى جريمة: وأنه لمن الأمور المغرية جدا ألا يفسر فشل العرب إلا بغياب الديمقراطية ، وبوجود الأنظمة الدكتاتورية الشمولية الدينية ، وبوضع المرأة المتدني، وعدم القدرة على العمل، ففي كل مرة أراد العرب استدراك تخلفهم وبذل الجهد لصنع وحدتهم كانوا يجدون "الغرب" على طريقهم لكي يمنعهم من تحقيق أهدافهم، كما حصل غداة الحرب العالمية الأولى، وأن يبقوهم داخل حدودهم المصطنعة أوليردوهم نحو الماضي، بما في ذلك استخدام قوة السلاح. والحقيقية أن "الغرب"

---

[١٥]- اعتمدنا الترجمة التي انجزها الوزير السوري السابق أحمد عبد الكريم الصادر عن دار الاهالي للطباعة والنشر في دمشق واضطررنا لتعديل بعض التعابير التي وجدناها انسب لتوضيح المعنى.

(l' Occident) لم ير العالم العربي أبدا، إلا كممر- المسألة الشرقية المشهورة في أيام " الرجل المريض" - وأخيرا مع البترول كصندوق حديدي يختزن المال.

واذا استثنينا بعض الإختصاصيين، فإن رؤية الدوائر العليا المسؤولة ، كانت تبدو دائما "انسانية" غريبة وتتصف بقصر نظر عجيب!... وإن أسطورة اللاعقلانية الشرقية ليست سوى تهمة باطلة.. وإن كل ما ينقص هذه المنطقة، التي تسحقها الهيمنة الأجنبية، هو روح العدالة. فالقوى العظمى لم تتوقف أبدا عن تطبيق " مبدأ فرق تسد" على أنقاض الامبراطورية العثمانية.

ومن اتفاقيات "سايكس - بيكو" الى تقسيم مناطق النفوذ، أولا بين فرنسا وبريطانيا ، ثم بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، والحدود المصطنعة، والاستقلاليات الكاذبة، والمشاكل العفنة التي تسببها لامبالاة الأسرة الدولية، كفلسطين المشردة، ولبنان مقطعة الاوصال وسيطرة العنف الأشد وقاحة تبدو وكأنها " قدر" هذه المنطقة التي تخلت عنها الآلهة ! والملفت للنظر في هذه الايام، أن "الموضة" المنتشرة في الغرب هي: "أن تخلف العرب يرجع الى دناءتهم" فهل يشكون من أنهم مهانون. أنهم لايستطيعون رد هذا الوضع المهين إلا لتخلفهم ورفضهم لكل حداثة أكان ذلك بالنسبة لموقفهم من العلمانية أو حقوق المرأة أو قيمة العمل!.

وينسى "الغـرب" أنه في كل مرة أراد نظام عربي أو مسلم الانفتاح على الحداثة، كان "الغرب" نفسه يسد الطريق عليه أو يسحق شرايينه: فبالأمس كان ذلك مع محمد على باشا وخديوية مصر، والسلاطين المجددين وبعد ذلك مع جمال عبد الناصر، ولن أنسى بالطبع الدكتور مصدق في ايران!..

ومنذ أيام الجنرال ديغول، كانت فرنسا تحاول المناداة بالعدالة والانصاف في العلاقات الدولية وأن الطريق الى الحداثة هو في الانصاف والقانون فهل سيسهل خسوف الكتلة السوفيتية، الذي أخل بالتوازنات الدولية القائمة، الاقتراب من هذا الهدف؟ إن إدخال شيء من العدالة والانصاف للعلاقات الدولية لايمكن أن يكون إلا باعطاء دور فعال لأوربا، حتى ولو كان ثمن ذلك يعض التوترات مع الولايات المتحدة !!...

إن نهاية الامبراطورية السوفيتية لايمكن أن تبقى بدون نتيجة في الشرق الأوسط، فكل الأنظمة التي يقال عنها "تقدمية" صوابا أم خطأ ، كانت تستند على الاتحاد السوفياتي ، من جمال عبد الناصر الى صدام حسين ، مرورا بهواري بومدين وعلي صالح في اليمن وبالطبع ياسر عرفات بالنسبة لمنظمة التحرير ."

ويختم الوزير شفينمان القسم الأول من كتابه بقوله: " ان الشمال يهيمن على العالم .. ويحدد فيه جميع القواعد .. قواعد التنظيم، وقواعد تقسيم العمل، وقواعد توزيع الثروات. وبمواجهة "البرابرة الجدد"، أي سكان الجنوب ، فالحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى، والرجل الأبيض يعود من جديد ليأخذ حمله.

فهل هذا يسمى بالحداثة؟.

وهل فرنسا موجودة داخل هذه اللعبة؟." [16]

هذا هو بعض ما قاله ذلك الوزير الفرنسي الانسان . فتحطيم المصانع الضخمة والمنشآت في العراق وحرق آبار البترول في الكويت لايهدف فقط الى المكاسب المادية بأرقامها الجنونية إنما يستهدف أيضا تقدم العرب الحضاري ليقصم ظهره معيقا ذلك الى اطول أجل ممكن.

ونقتبس من الدكتور غليون فقرتين تمتان الى هذا الموضوع الحزين فهو يقول: " لقد كانت هناك سياسة مقصودة محليا وعالميا لإحباط اي تعاون عربي يساعد على تقدم المجتمعات العربية اقتصاديا او علميا او عسكريا ، وذلك حتى لا يزيد هذا التقدم من قدرة الأقطار الكثيفة السكان ويدفعها الى لعب دور مستقل او يزيد من طموحاتها ...لقد كان لا بد من تجويع الأقطار العربية الكبرى وتركيعها وتدجينها ، حتى يستقر الأمن الاسرائيلي وتُضمن المصالح النفطية الأميركية . " اما الفقرة التالية من غليون فتقول : " فلا يمكن للغرب ان يقبل العربي او العرب الا اذا آمن او آمنوا أولا بأنهم ليسوا امة ولا كتلة ولا جماعة ولكن اقواما وطوائف واقليات متناحرة ومتناقضة بالضرورة فيما بينها ، وسلموا ثانيا بحق الغرب في السيطرة على النفط الذي يخرج من اراضيهم كدليل على مشاركتهم في السلام والأمن العالمي، واعترفوا ثالثا باسرائيل ... واعلنوا رابعا عن تخليهم عن الاسلام ورفضهم له باعتباره دينا متخلفا وهمجيا وداعيا للعنف والارهاب والعدوان ، اي تنكروا لذاتهم وفقدوا كرامتهم . "[17]

٦- تتعلق هذه النقطة مباشرة بالتي سبقتها ولكنها تختص بالكويت. قد نستنكر مظاهر تعالي وترفع من حكام الكويت ومن ذوي الشأن هناك. ولكن لايجوز أن ننكر أن نظام الحكم هناك اخرج من أرضه العشائرية خلال ثلاثة أجيال متعاقبة طبقة مثقفة تمكنت بدأبها من الارتقاء الى أعلى المستويات العالمية وصار لها من البأس ما جعلها تضايق المصالح الكبرى

---

[16] – شفينمان صفحة ٢٠١

[17] – غليون صفحة ٢٥ وصفحة ٧٨

في الدول المتقدمة وفي عقر دارها. ولم تتمكن الدول المتقدمة من وضع النشاط الكويتي عند حده لأن النظم الليبرالية التي تسود هناك لاتسمح بمنع رأس المال الكويتي من عمليات البيع والشراء والمشاركة لئلا تنفي نفسها بنفسها من جهة ولئلا تنحسر سيول الاستثمارات من العالم الثالث عنها. لقد بدأ اقتصاديو الكويت في امساك أول الخيط الذي يمكنهم من استثمار ثرواتهم ومن الدفاع عنها في غابات الصفقات التجارية العالمية المليئة بالمؤامرات والدسائس. ولم تعد المصالح الكبرى راضية عن تصاعد الأثر الاقتصادي الكويتي الذي أخذ يشارك في فعاليات ضخمة بنسب صغيرة أحيانا وبنسب مؤثرة جدا في أحوال أخرى. فلو زالت دولة الكويت من الوجود لزال أضخم دعم دبلوماسي للاستثمارات الكويتية ولاصبح أمر انهيارها مسألة وقت فقط. وإن استمر وجود كيان الكويت فإن " الضربات التي ستأكلها" من خلال المؤامرة عليها سوف تؤدي الى تحجيم مساعيها نحوالصعود في سلك الاقتصاد العالمي.

٧ – سيجري الحديث في أماكن عدة من هذا الكتاب عن السبب الذي استجلب به العراق على نفسه النقمة الأميركية . ونختار هنا بشكل خاص المداخلات العراقية في الأزمة اللبنانية التي حاول العراق من خلالها " تسديد حساب " نظام الحكم في سوريا. يقول كريم بقرادوني عن هذه النقطة : " دخلت بغداد على خط الأزمة اللبنانية في مواجهة سافرة مع الولايات المتحدة . وأيدت في ايلول/سبتمبر ١٩٨٨ المحور اللبناني المعارض لاتفاق مورفي _ الأسد ....ودعمت حرب التحرير التي اعلنها ميشال عون ضد دمشق في آذار/مارس ١٩٨٩ ، وزودت الجيش اللبناني والقوات اللبنانية بكمية ضخمة من الأسلحة فاقت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار."[١٨]وحين يكتب بقرادوني هذا الكلام يتحدث عن معرفة تامة لأنه من الرجال الأوائل في قيادة القوات اللبنانية . فكيف تسمح واشنطن للعراق بالتشويش المؤذي على مصالحها ؟ ألم تحاول فرنسا ، القوة العالمية ،الإدلاء بدلوها في الأزمة اللبنانية في غير اتجاه واشنطن فإذا بهذه تسحق "الدلو" كله باستئصال شأفة ميشال عون من لبنان ؟ لقد ترسخت قواعد الرئيس صدام كرجل العراق القوي واصبح على وشك الوصول ليصبح رجل العرب الأول .فهل تبقى واشنطن مكتوفة اليدين ؟ وهل ستمنحه فرصاً اضافية ريثما يكتمل نموه فيصبح اكثر تهديدا لما تريده هي ؟

٨ – هناك كثير من الباحثين يرون ان السمعة السيئة للانجازات العسكرية الأميركية في فيتنام أوجدت عقدةً نفسيةً مؤثرة في الشعب الأميركي ودفعت القرار هناك الى هذه الحرب السهلة مع العراق لوضع خطٍّ فاصلٍ يُجهز على الأعراض الكئيبة المزمنة لتجربة فيتنام.

---

[١٨] – بقرادوني صفحة ٢٣٣ .

ونحن لا نستطيع نفي وجود أثر لمثل هذا الدافع ولكننا لا نميل الى منحه وزناً يجعله واحداً من الأسباب التي أدت الى حرب الخليج .

٩ - وثمة كتاب آخرون يتحدثون عن حاجة كل رئيس أميركي لحرب يكون هو بطلُها أمام التاريخ . ولكننا لا نستطيع إعارة هذا المنطق اي وزن . فالتاريخ والأجيال سوف تكتشف بعد قليل او كثير اسباباً وخلفيات لا تحصى ستجعل " انتصار الرئيس بوش " عاراً عليه يفوق في أبعاده عار فيتنام على الأميركيين . وإذا قال هؤلاء الكتاب أن جورج بوش كان سيعتمد على هذا النصر لتجديد ولايته لظهر خطل رأيهم بعد أن خذله الناخبون الأميركيون بالرغم من النصر او ربما بسبب هذا النصر المُشين.

الفصل الثاني

التخطيط الهيكلي الأميركي لإشعال الحرب

يبدو ان إضرام نار هذه الحرب كان ضرورة قصوى للولايات المتحدة. ونستطيع أن نتحسس بوضوح وبأصابع اليد تسلسل المخطط الذي مكنها من اضرام النار . ولا بد من تحميل العراق بشكل بارز ، وباقي الدول العربية بنسب متفاوتة المسؤولية التاريخية عن التسبب في إضرام نار الحرب .

١- تبدأ السياسة الأميركية باستدراج العراق للدخول الى الكويت بطريقة زئبقية لا تصل الى مستوى التوثيق المُلزِم الذي يُدينها ، وبحيث تستطيع التملص منها فيما لو كشفها العراق فيما بعد.

٢- تُصعّد واشنطن مخاوف حكام الخليج عموما وحكام الكويت من آل الصباح بشكل خاص من العراق القوي والصاعد والمتأهب والمحتاج .

٣- تدفع الكويت والامارات للقيام باجراءات تضر بالعراق وتؤذيه وتستفزه من خلال اقناعهم بأن ذلك يشكل الطريقة الوحيدة لانقاذ أنفسهم من الخطر العراقي الذي يجري تجسيده وتجسيمه باستمرار. وتؤكد لهم السياسة الأميركية بأن الفرصة سانحة الآن فقط للضغط على العراق، وربما تضيع تلك الفرصة الثمينة بعد شهور. فيثور العراق ويضرب ضربته لاحتلال الكويت... ويسقط في الفخ الأميركي المنصوب له. [1]

نعتقد أن واشنطن فشلت في اقناع المملكة العربية السعودية بضرورة مشاركة الكويت والامارات سياسة زيادة الضخ التي تشكى منها العراق. ولم تستطع واشنطن أيضا اقناع المملكة بوجود خطر عراقي يتهددها. وبالتالي لم تتمكن من جرها الى مواقف تستفز العراق . فوزن المملكة يوفر لها من التوازن ما يجعلها أقل تأثرا بما قد تهمسه واشنطن في أذنها. وعقلية العائلة المالكة المتسامحة والمتفائلة في طبيعتها جعلتها أكثر حصانة من أن تتأثر

---

[1] - نقتبس من بقرادوني ما كتبه في هذا الشأن على الصفحة ٢٤٠ : " وارتعشت الجماهير العربية من المحيط الى الخليج وهدرت وشرعت تؤيد صدام حسين وكأنه " ناصرها " الجديد . وحطم الرئيس العراقي كل القيود وتجاهل كل الحسابات واعترته مسحة من الاندفاع القومي وراح يصدق ان كل شيء ممكن ، وصار مُهيّأ نفسياً للانزلاق السريع . ووصلت شعبيته الى اقصى الحدود عندما طالب بالتوزيع العادل لعائدات النفط العربي على كل البلدان العربية ، فبلغ قمة التألق ودخل عمق المأزق . صدام تصلّب ، وبوش أجهض الوساطات والفخ انغلق على اللاعبين ؛ أما اللعبة الأميركية فأخذت مداها ."

بمجرد كلام وشبهات. ولذلك لم تر واشنطن بدّا من تنفيذ عملية تجعل الخطر ماثلا أمام ناظري الملك فهد من أجل دفعه للتحرك بما يتوافق مع " مخطط " جهنم الأميركي.

القرائن التي سبقت الحرب:

زيادة ضخ البترول

ولنحاول الآن القاء نظرة على احداث حصلت قبل غزو الكويت. ففي الوقت الذي اتفقت فيه دول الاوبك على تحديد حصص الدول الاعضاء في الضخ نجد أن الكويت والامارات لم تلتزما بحصصها إنما انزلتا الى الاسواق العالمية كميات اكبر ، مما ادى الى تدهور اسعار البترول . ويكتب رامزي عن ذلك :[٢] " قررت الكويت زيادة انتاجها النفطي بشكل جذري في آب/اغسطس ١٩٨٨ أي بعد يوم واحد من موافقة ايران على وقف اطلاق النار مع العراق.وكان العراق وايران بحاجة إلى اسعار نفط مستقرة لتمويل مشاريع اعادة الاعمار بعد الحرب. وادى اجراء الكويت الذي انتهك اتفاقيات الاوبك إلى تدن كبير في الاسعار .وهبط سعر برميل النفط الخام من ٢١ دولاراً للبرميل إلى ١١ دولارا مما كلف العراق ١٤مليار دولار في السنة كما جاء في النيويورك تايمز.والحقت هذه التخفيضات في الاسعار اذى باقتصاديات الدول المنتجة والأكثر فقرا مثل الجزائر ونيجيريا. ثم طالبت الكويت في آذار ١٩٨٩ بزيادة حصتها بمقدار ٥٠٪.لكن طلبها رفض في اجتماع الاوبيك في حزيران/يونيو١٩٨٩.ولكن وزير النفط الكويتي الشيخ علي الخليفة اعلن ان الكويت لن تلتزم بنظام الحصص.وقد ضاعفت الكويت من انتاجها ليصل الى ما يزيد عن مليوني برميل يوميا."

فتأثر العراق وغضبه لم يكن مجرد تحجج عابر،ولا ذريعة يتخذها ليتظاهر بالغضب إنما صدر عن ألم حقيقي. ولقد أوضح اكثر من مرة وباكثر من صورة طالبا التقيد بحصص الضخ. لكن ذلك لم يثمر إنما استمر الضخ الاضافي الذي يؤذي العراق لأن انخفاض سعر برميل البترول بمقدار دولار واحد كان يؤدي إلى خسارة العراق لمليار دولار في العام.

---

٢ -كلارك صفحة ٣٠ . ويقول كوولي عن ذات الموضوع على الصفحة ٣٠٧ من كتابه الحصاد : " ..بعد يوم واحد من وقف اطلاق النار في الحرب العراقية /الايرانية قررت الكويت الرفع من معدل انتاجها للنفط مخالفة بذلك اتفاقيات منظمة الاوبك . وكان حقل الرميلة الواقع على الحدود العراقية/الكويتية والذي تطالب العراق بملكيته بالكامل احد الحقول التي بدأ فيها تنفيذ ذلك القرار ."

اننا مهما حاولنا افتراض حسن النية نستنتج من تفحص هذه الواقعة ومن استقراء مضمونها العميق وجود مشاركة بين الكويت والامارات في خطة لاحراج العراق ولخفض موارده ولمنعه من الانتعاش ولانهاكه ظنا منهم أن ذلك سيحجب عنهم خطرا قيل لهم انه يتهددهم من العراق إن استمر تصاعد بأسه وقوته.ورأينا يتطابق تماما مع الخط العام للرسالة التي كتبها العميد فهد أحمد الفهد مدير عام الأمن الوطني الكويتي إلى وزير الداخليةسالم الصباح السالم التي اوردناها بالكامل قبل عدة صفحات . ولكننا نقتبس منها هنا النقطة الخامسة التي تقول:

"وقد اتفقنا مع الجانب الأميركي على انه من المهم تدهور الوضع الاقتصادي في العراق حتى نجبر حكومة هذا البلد على الموافقة على رسم حدودنا المشتركة. وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأميركية وسائل الضغط التي تراها ملائمة مع التشديد على أنه يجب أن يكون بيننا تعاون واسع في هذا الحقل بشرط أن يتم التنسيق على أعلى المستويات".[٣]

ولكن هل كان يوجد مبرر لزيادة الضخ ؟ اننا لو نظرنا الى خرق الامارات والكويت للتقيد بحصصهم من زاوية أخرى لتأكد استنتاجنا من أن العراق كان مستهدفا من العملية. فما الذي كان يدعوهما الى زيادة الضخ ؟. فهل كانت الكويت مثلا في أزمة حقيقية تتذرع بها وتدفعها لزيادة حصتها ؟. ألا تمتلك من الثروة ومن الاستثمارات في العالم ما يغنيها عن زيادة الضخ، خاصة أنه يؤذي العراق؟... ونضيف الى تساؤلنا ما سوف نثبته بعد صفحات بالأرقام : الا يتآكل دخل الكويت والامارات من انخفاض سعر برميل البترول الذي يسببونه هم أنفسهم بحيث تذهب قيمة زيادة الضخ مباشرة ومجانا الى حساب وجيوب المستفيدين في الغرب ؟ انها لصورة كالحة للدول المتآخية أن نراها تهدر بترولها مجانا لمجردالاساءة الى العراق.[٤]

وننظر أخيرا الى تلك القضية من زاوية ثالثة: ترى هل كان بامكان الكويت والامارات الاصرار على خرق اتفاقية الاوبك وزيادة الضخ لولا وجود مظلة أميركية اكدت لهما بأنها لن تتخلى عنهم لو خرج الرئيس صدام حسين عن طوره وفقد أعصابه ؟ ولو عدنا ثانيةً الى رسالة العميد فهد أحمد الفهد للاحظنا فيها أمرين هامين: الأول هو أن الاتفاقات بين حكومة الكويت والمخابرات الأميركية لابد أن تكون بدأت منذ انتهاء الحرب العراقية الايرانية

---

[٣]- سالنجر صفحة ٢٥٣

[٤] - لقد اوردنا دراسة بالأرقام في فصل مقبل تثبت ان زيادة الضخ تسبب خسارة للكويت وللامارات بدل الربح .

على أبعد تقدير. ففي شهر تشرين أول/اكتوبر أوعز أمير الكويت لجهاز مخابراته بالاجتماع مع المخابرات الأميركية وهذا لايمكن أن يحصل اعتباطا إنما نتيجة لاتصالات مكثفة على أعلى المستويات لتليها الاتصالات على مستوى الصفوف الثانية للدولتين. أي أن العزم والتصميم سبقا الانجاز الذي اثمر الرسالة. والثاني، وهو فيما نرى الأهم، هو أن نص الرسالة يعكس صورة الاجواء التي تمت فيها المفاوضات بين جهازي المخابرات بصدق. وهو يحوي من الايجابية والحرارة مايبدو "ليبرهن" للكويتين على صدق الحرص الأميركي على سلامة الكويت، وما يكفي لاقتناع آل الصباح من أن اميركا تأخذهم مأخذ الجد وتتعامل معهم كحليف أصيل راسخ الجذور وأنها لايمكن أن تخذلهم أو تتركهم طعاما سائغا في أفواه العراقيين.

٢- زيارة جون كيلي وبرنامج صوت اميركا:

بتاريخ ١٢ /٢/ ١٩٩٠ وصل جون كيلي، سكرتير الدولة المساعد لشؤون الشرق الاوسط والسفير السابق في لبنان الى بغداد في زيارة رسمية وقابل الرئيس صدام حسين في ذات اليوم حيث دار بينهما حديث ودي للغاية إذ قال كيلي للرئيس صدام: " أنتم قوة معدلة في المنطقة والولايات المتحدة ترغب في توثيق العلاقات مع العراق." ويعلق سالنجر على كلمات كيلي فيقول: " اعطى جون كيلي بأقواله هذه اولى الاشارات من سلسلة تقبل التأويل في أوجه كثيرة والتي سيكون لها نتائج ذات تأثير بليغ" [٥] وبعد ثلاثة أيام من تلك المقابلة التي دغدغت آمال الرئيس صدام وأشعرته بالوزن الذي تمنحه الولايات المتحدة للعراق، أي في ١٩٩٠/٢/١٥ بث صوت اميركا في برامجه العربية برنامجا يدعي أنه يعكس وجهة نظر الحكومة الأميركية. وقد ندد هذا البرنامج بالديكتاتوريات في العالم وادانها واستنفر الشعوب مستنهضا اياها للانتفاض ضدها وذكر البرنامج العراق والرئيس صدام حسين في رأس قائمة الطغاة. فغضب الرئيس العراقي واستاء فإذا برسائل اعتذار تصله رسميا من واشنطن بواسطة السفارة الأميركية في بغداد . ولكن ما أن هدأت نفس الرئيس صدام بعد البرنامج المذكور حتى قامت وزارة الخارجية الأميركية بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢١ بنشر تقرير مفصل يفضح الدول التي تنتهك حقوق الانسان. وخص التقرير العراق بـ ١٢ صفحة مؤكد فيها بأن العراق هو المثل الاسوأ بسبب ممارسات التعذيب الوحشية والاعدامات السريعة دون محاكمات . وعلى أثر برنامج صوت اميركا وتقرير الخارجية ضد العراق تسرب خبر الى أجهزة الاعلام عن محاولة لجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس

٥- سالنجر صفحة ١١. انظر ايضا جون كوولي صفحة ٣٠٩ عن الحديث الودي الذي دار بين جون كيلي والرئيس صدام .

الأميركي لتبني قرار رسمي يدين العراق لخرقه الفاضح لحقوق الانسان مما دفع الرئيس بوش للاحتجاج على هذه الخطوة ومنع تبنيها من قبل المجلس الأمر الذي ترك انطباعا ايجابيا لدى قائد العراق فجعله يعتقد بأن الرئيس الأميركي هو الذي يشجب تجاوزات الاعلام.

وفي ٢٣ /١٩٩٠/٢/ انطلق الرئيس صدام حسين الى عمان للمشاركة في احتفالات السنة الاولى لتأسيس مجلس التعاون العربي الذي يضم العراق والاردن ومصر واليمن.

تعني هذه المسرحية ذات الفصول الاربعة والتي استغرقت احد عشر يوما من ١٢ - ٢٣ شباط (فبراير) بالنسبة لنا الكثير. فبينما يرى فيها الكاتب الأميركي سالنجر مؤشرات الحيرة والتردد في الادارة الأميركية أو يعزو ذلك الى انشغال الرئيس بوش ومساعديه كليا بالحوار الأميركي السوفياتي وبالتحولات الديمقراطية في أوربا الشرقية ، نجدها نحن متعمدة في هذا الظرف بالذات لتستفيد واشنطن من التخبط الحاصل في اوربا الشرقية. إننا نرى في هذه المسرحية ما يمكن تشبيهه بسندويشة ماكدونالد المسماة:" بيك ماك " التي تتكون من طبقات متتابعة بالتسلسل من الخبز ثم اللحم. ونريد من تشبيهنا هذا تحسس المخطط الأميركي المرسوم من أجل وضع السياسة العراقية في ذات المكان الذي تريده لها واشنطن مع اقتران ذلك بالاساءة للعراق بنشر اشنع الصور عنه امام شعوب العالم وأمام الشعب الأميركي بالذات. فزيارة كيلي كانت بمثابة الفصل العلني الأول الذي انعش آمال الرئيس صدام حسين بامكان استمرار شهر العسل مع الحكومة الأميركية كما كان الأمر عليه اثناء الحرب العراقية الايرانية. وما قاله كيلي من الودّ للرئيس صدام لم يُنشر اعلاميا بشكل عالمي ولم يصل الى القاصي والداني إنما بقي محجوزا عليه ضمن حيز العلاقات الرسمية بين الدولتين بينما وصل برنامج صوت اميركا بعد ثلاثة أيام والذي نزل بالعراق الى الحضيض الى آذان العالم اجمع. ثم جاء الفصل الثالث حيث وردت الى بغداد رسائل الاعتذار من واشنطن فكانت بمثابة المرهم الذي استطاعت باستخدامه الحكومة الأميركية تبييض صفحتها واستعادة الموقف المتقرب من العراق ومن الرئيس صدام حسين بالذات. وبقي الاعتذار مطويا ضمن المراسلات الرسمية ليتبع بعد ذلك بأيام تقرير الخارجية الأميركية الذي يُدخل العراق الى الجحيم مما يدفع الكونغرس لمسودة قرار عنيف يدين العراق. وهذا الفصل يذاع في كل انحاء العالم . ثم يأتي الفصل الأخير حيث يقرر رئيس الولايات المتحدة الأميركية القبض على مجرى الامور فيضرب بيد من حديد ويمنع الاساءة عن العراق وعن الرئيس صدام مثبتا له بشكل قاطع ان سياسته هو، بوش، والتي تقضي بالتقرب من العراق هي الاقوى وهي التي تشكل العصب الاساسي للسياسة الأميركية . ويعزز الرئيس بوش ذلك باقالة الموظف

الأميركي الذي اذاع برنامج صوت اميركا. وكم اتمنى لو استطيع التحقق من أن هذا الموظف أُقيل من مكانه ليجري ترفيعه أو ترضيته بما هو أكثر نفعا له مما لو استمر.

هذه السلسلة من التناقضات ذات مغزى عميق. فإظهار الازدواجية والفوضى والتسيب والاستقلالية المفرطة في اتخاذ القرارات في هيكل الحكم الأميركي هو من أهم ثوابت السياسة الأميركية. وان نشر الاخبار التي تسيء الى سمعة العراق وتؤذيه بشكل شمولي وعالمي بينما تبقى الاخبار الودية المتقربة منه في الظلال دون أن تصل الى الرأي العام العالمي ليس صدفة بحتة إنما هو تخطيط عبقري يحيط بالضحية المقبلة بشباك اعلامية ذات اثر قوي يترسخ في عقول الناس، ولو في عقلهم الباطن ، بحيث يمكن ايقاظه بسرعة وبسهولة حين يأتي موعد الايقاع بالضحية. أما الاخبار الودية فتبقى في سراديب الاتصالات الرسمية بين العواصم لأن مهمتها تقتصر على تأسيس قناعات لدى " الضحايا" توحي بأن كل المؤشرات السلبية الاخرى ليست متعمدة ولن يكون لها تأثير .

وحين تسلط الاجهزة الأميركية اقوى الاضواء على مظاهر الحيرة والتردد والتناقض والانقسام والارتعاشات الكثيرة التي تبدو وكأنها تضرب اطنابها في الادارة العليا تهدف الى ترك الضحية المقبلة في عماء مطبق فلا تعرف ماذا تفعل لأنها لاتدري في أي اتجاه سيؤخذ القرار الأخير ولاتستطيع حصر الموقع الذي ستأتيها منه الضربة القاصمة. وسوف نعود الى هذه الظاهرة الاساسية لدى معالجتنا لأثرها على حرب الخليج.

كثير من سياسيي العالم قانع بأن المظاهر المذكورة عن التفكك والحيرة والتضارب وحدوث الصدف هي صفات حقيقية للوضع في الولايات المتحدة . وهذا وهم وجهل! بالطبع لانستطيع نفي مئات أو ألوف الحوادث التي تحصل مما يؤيد تلك الظنون. لكن ذلك يذكرني بزيارة لاستوديوهات يونيفرسال في هوليوود حيث يتعرف الزائر علىاسرار الخدع السينمائية العجيبة. هناك نرى إخراجا لتصوير زلزال. فتتهدم العمارات وتتشقق الجدران وتتفلق الارض وتغيب الصخور المتناثرة في الشروخ وكأنما يوم القيامة قد قام. وبعد انجاز الكارثة وبعد أن يكون تصوير المشهد قد تم، يجري الضغط على زر معاكس فتعود الصخور المختفية للظهور وترتصف في أماكنها وتنغلق الشقوق وتقوم العمارات وتتكامل الصورة لتعود كما كانت وكأن شيئا لم يحصل على الاطلاق.

إن ما حاولنا وصفه هو مظهر من مظاهر الابداع والعبقرية الأميركيتين مما يثبت تقدمها وتفوقها في مجالات التقنية من جهة وفي استخدام مايشبه ذلك في دنيا السياسة من جهة أخرى. فهيكل القرار السياسي لايتحدد في الولايات المتحدة إلا بعد دراسات مضنية إذ

يحاول المسؤولون عن اتخاذه الا يتركوا للصدفة فيه ادنى مجال، فإذا تم اتخاذ القرار وتحدد الهدف يجري التمويه عنه بوسائل جهنمية كلها ابداع وعبقرية بحيث أن الضحية ربما تستنتج من ملابسات التمويه والتورية عكس الهدف الحقيقي من القرار الذي اتخذ. ويصرف الأميركيون بسخاء عجيب على أعمال التورية. وهم يسخرون احدث ما تتفتق عنه العلوم والتقنيات الحديثة ويستخدمونها بدقة متناهية لتبدو اعمالهم حمقاء ومتضاربة في وقت يجري خلاله تسيير الامور لتنفيذ القرار وكأنه القدر المحتوم. ولايجوز الاعتقاد بأن السياسة الأميركية معصومة فلا تخطئ ولاتفشل. فكل الحرص والدقة في التطبيق معرض لمشاكل ومصاعب تظهر فجأة بحيث تمنع وصول تنفيذ القرار الى حد الكمال. ولايستبعد أن تفشل عمليات افرادية هنا وهناك. لكن الخط العام هو الاساس ، وهو في رأينا الصحيح. ولو كانت الولايات المتحدة منقسمة ومترددة ومتناقضة كما يبدو للعيان، ولو كانت قرارات اصحاب القرار تتعاكس وتتفاضل، ولو كان للرأي العام الأثر الحاسم على التحرك السياسي لما وصلت الولايات المتحدة الى حد التحكم بمصير العالم بالشكل الذي نراه.

٣- اجتماع مجلس التعاون العربي:

ونعود لمتابعة سرد الوقائع التي سبقت الكارثة : ففي ٢٣ شباط/فبراير اجتمع رؤوساء الدول العربية المشاركون في مجلس التعاون العربي في عمان للاحتفال بمرور عام على تأسيسه. لكن الاحتفال انقلب الى ما ينبئ بظهور المأساة المقبلة لأن الرئيس صدام طالب في خطابه الذي القاه بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٥ بأن تعي دول الخليج العربية قوتها فتسعى الى استلام زمام الدفاع عن الخليج بدلا عن الولايات المتحدة بعد ان هُزمت ايران. ولا شك بأن العراق يتوقع وربما يهدف من وراء هذه الدعوة بشكل او بآخر الى وضع نفسه في المكان الذي يهيمن فيه على دول الخليج من خلال انه القوة الكبرى التي تزيد في عددها وعددها عن كل قوات الدول الأخرى مجتمعة. وبرر دعوته بأن واشنطن لاتدافع إلا عن مصالحها ولأنها هي التي تدعم وتساعد اسرائيل ضد العرب والفلسطينيين. واختتم الرئيس صدام كلمته بجملة متفجرة إذ قال: " وفي مواجهة هذه التحديات يكون الشعور بالخوف ، وليس التحسب، خطيراً بمقدار ما يكون الإهمال لتقويم المستجدات من الأمور وتحديد الموقف منها خطيراً هو الآخر على مصير العرب وقضاياهم ، فلا موقع مؤثراً في صفوف الخيرين

العرب للمرتجفين من القول بأن اميركا ستكون لها الأرجحية كدولة عظمى وما على الآخرين الا الخضوع ".[٦]

اننا لو حاولنا النفاذ الى الخلفية النفسية التي استندت عليها جملة الرئيس صدام التي تحمل طابع التحدي لوجدناها قد انبعثت عن مزيج من ألم صادق وثقة بالقوة الذاتية مضافا اليها اتهام بعض الدول العربية بما يُشعرها بأنها مصنفة في صفوف الاشرار. ولا نستبعد وجود رغبة عراقية في التمهيد لخلق تباشيرٍ من جوٍ مناسبٍ لتصعيد وابراز غضبٍ فيه مزيج من الصدق والافتعال كتهيئة لعملية انتقامية يوجهها الى دولة الكويت . فإذا راعينا عدم وجود أي حاكم خليجي عربي في مؤتمر عمان والذين يُفترض أنهم يحتمون بالولايات المتحدة لفهمنا أن المقصود المحتمل من خطاب الرئيس صدام هو الرئيس مبارك . ولايستبعد أن الرئيس صدام لم يستهدفه، ولكن الانطباع لدى الرئيس مبارك كان كذلك مما أثار حفيظته [٧]. فغادر الجلسة غاضبا وأراد العودة الى القاهرة على الفور. لكن الملك حسين هدأه ورتب اجتماعا ثلاثيا يجمعه مع الرئيس مبارك والرئيس صدام في اليوم التالي فامتثل الرئيس مبارك لرجاء الملك إسهاما منه في محاولة رأب الصدع. وتم الاجتماع في ١٩٩٠/٢/٢٤ لكن الاجواء لم تتلطف إنما تصعدت حدتها لأن الرئيس صدام ثبت على مطالباته وهدد بأعمال شجب غير محدودة لكنها تحمل طابع العنف إن لم يحصل على مطالبيه.

هذا ونريد تسليط اضواء على الحملة التي استاء منها الرئيس مبارك من زاوية أخرى بعد أن نضيف اليها نصا آخر ورد أيضا في كلمة الرئيس صدام في عمان : " اذا لم ينتبه أهل الخليج وكل العرب معهم، فإن منطقة الخليج ستحكمها ارادة الولايات المتحدة. إذا لم ينتبه العرب... وفي حالة استمرار الضعف، فإن الوضع سيتطور الى الحد الذي تتمناه الولايات المتحدة ، أي انها هي التي تحدد كمية النفط والغاز المنتج في كل دولة وبيعه الى هذه الدولة أو تلك. وكذلك فإن الاسعار ستتحدد تمشيا مع منظور خاص يؤدي النفع للمصالح الأميركية ويتجاهل مصالح الآخرين."[٨] فمضمون ذلك لم يخف عن آذان الادارة الأميركية

---

[٦]- يقتبس سالنجر على الصفحة ١٢ هذه الفقره بشكل يشوه الحقائق لأنه يقول بأن الرئيس صدام طالب قادة الخليج بتقبل الهيمنة العراقية على الخليج. وهذا خطأ كبير.

[٧] - يكتب كريم بقرادوني عن هذه النقطة على الصفحة ٢٣٥:" ولم يعف ما اسماه [صدام حسين] بـ "العرب المرتجفين " من النقد لأنهم يخضعون للولايات المتحدة ويدعون الأخرين للإقتداء بهم . وغضب الرئيس المصري حسني مبارك الذي شعر ان الانتقاد موجّه اليه ."

[٨]- كلارك صفحة ٣٢

المرهفة لأنه يستهدفها ويمس العمود الفقري لمصالحها مباشرة. لقد سمعت واشنطن الرسالة وفهمتها كل الفهم . وهنا ينتهي حيّز المزاح ، وهنا تدخل الأمور مراحل الجد والخطر لتبدأ او لتتابع الولايات المتحدة التخطيط الصامت الذي يبقى سرا محتجزا خلف الكواليس فلا يظهر الى العيان الا بعد وضع المخطط الانتقامي موضع التنفيذ. وعلينا أن نميز بين تظاهر الولايات المتحدة بالغضب اذا اصابتها سيول جارفة من شتائم فارغة تنهال عليها من زعيم اجوف وبين كلمة تمس مصالحها تصدر عن رجل عُرف عنه البأس وأنه إذا قال فعل. لقد تجاوز الرئيس صدام بكلمته الخطوط الحمراء لأنه أصاب بها عين الحقيقة فترسخ لدى واشنطن الرأي في ان الرئيس صدام رجل خطير يسبب المشاكل والقلق للمصالح الأميركية في منطقة الخليج الحساسة.[٩] وفي خطابه العنيف بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٧ كرر ذات المضمون بكلمات مشابهة اذ قال : " ان هذه السياسة الخطيرة ، ان سُمح لها بالاستمرار ستعني ان الفائض من اموال العرب الناجم عن فائض الأموال المتأتي من انتاجهم اكثر من حاجتهم سيتراكم في خزائن اميركا فضلاً عن ان قيمته ستتآكل مع مضي الزمن . وسوف يبقى هناك اسير الأهداف الأميركية السياسية والمالية . وان توفير مخزون نفطي كبير في اميركا يمكنها مع اسرائيل ..من التلاعب باستقرار المنطقة وأمنها . وستسعيان الى اشعال الحروب واخماد شرارها مؤقتا وفق السياسة المناسبة لهم ، من غير ان ينتابهم القلق من النتائج السلبية التي تصيب بالاحتمالات الخطرة تدفق البترول الى اسواق اميركا والعالم. وسيمكن اميركا من التحكم بأسعار البترول ، بل، واخضاعه الى نوع من التذبذب هبوطاً وصعوداً ، بما يتعب اقتصاديات الدول العربية ويشل قدرتها على وضع سياسة تنموية مستقرة ، او سياسة مستقرة للأنفاق الجاري . ولكل ذلك انعكاساته السلبية الخطيرة ...ومن ذلك يتبين ان السياسة التي يتبعها بعض الحكام العرب هي سياسة أميركية ، وبايعاز من اميركا وبالضد من مصالح الأمة

---

[٩] – وردت في الجزء الذي يعالج الوحدة السورية المصرية من مذكرات د. بشير العظمة جملة رائعة تستهدف الرئيس عبد الناصر من حيث المبدأ، ولكنها تنطبق كل الانطباق ايضاً على الرئيس صدام حسين . كتب الدكتور بشير على الصفحة ٢٢٠ من كتاب " جيل الهزيمة ": حاول عبد الناصر تحقيق الوحدة بالخطابات والشعارات ونسي في نشوة اهازيج الجماهير ان المتربّصين الاستعماريين لا يقبلونه الا عميلاً لهم ، فإذا تطاول وتحدى مصالحهم الحيوية ، فإن تفجير الأرض تحت أقدامه غير عسير . وحرب اليمن وحرب عام ١٩٦٧ ، ليستا أكثر من أفخاخ منصوبة تفجّرت تحت أقدام الذين يستخفون بإمكانيات الأعداء وشراستهم. "

وشعوب المنطقة ، وليست سياسة وطنية ومناقضة لمصلحة الجميع ومصلحة الأمة العربية ...لأنها تمكن الطامعين والأعداء من التحكم بعناصر تلك القوة ."[10]

اننا لا نشك في صحة ورصانة ما قاله الرئيس صدام عن اهداف السياسة الأميركية في المنطقة . ولكننا لا نستطيع فهم الكيفية التي اراد من خلالها التوفيق بين متناقضات ثلاثة : الأول هو هجومه الصاعق والصحيح على السياسة الأميركية. والثاني عزمه على التفاهم مع واشنطن والتعاون معها في لعب دور الرجل القوي في الخليج.[11] والثالث هو انطلاء الخدعة عليه بأن الولايات المتحدة ستمنحه من الشأن في الخليج بالقدر الذي يحلم به . ولم تكن واشنطن بحاجة الى ذكاء خارق لتدرك ان هدف الرئيس صدام من عرض نفسه صديقا ومتعاونا لم يكن سوى مرحلة تزداد اثناءها قوته علميّا وصناعياً ليقلب اليها ظهر المجن عندما يتمكن من ذلك . ان لهجة التحدي التي استخدمها أبلغ وأقوى من ان تقتنع الولايات المتحدة بامكان التعاون معه. وكان عليه أن يعرف أن تحدّي القوى الصغيرة للقوى العملاقة بشكل سافر ومباشر لن يمكنه من النصر انما سيجر عليه الخراب .

٤- استمرار الصادرات الأميركية الى العراق:

في الوقت الذي كانت أجهزة الاعلام الغربي تعمل على تحطيم صورة العراق في الاعلام العالمي[12] كان العراق المستفيد الأول من برنامج القروض المدعومة الأميركية، حيث

١٠- من صحيفة الثورة العراقية الصادرة بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٨ الصفحة ٣ . وفي هذا الخطاب استخدم الرئيس صدام تعبيرا شديد العنف ضد حكام الخليج اذ قال قبيل نهاية الخطاب :" فهم بدلاً من ان يكافئوا العراق الذي قدم لهم ما قدم من زهرة ابنائه لتبقى بيوت اموالهم عامرة بالمزيد المضاف مما هو مكتنز والذي لولا العراق لأصبح بأيد اخرى ، اساؤوا الى العراق بالغ الاساءة . .. وغرزوا الخنجر المسموم في الظهر ."

١١- في حواره مع ممثلة محطة اي بي سي الأميركية بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٩ قال الرئيس صدام بعد ان وجه النقد الى "تعالي "الولايات المتحدة عن التعاون مع الدول الأصغر :" اتمنى للأميركان مزيدا من العز والرفاه يرافقه تواضع تجاه الآخرين...إن الكبار يكمن كبرهم الحقيقي في حسن تصرفهم الانساني تجاه الآخرين، وإن الدولة العظمى لا تستطيع ان تكون عظمى من غير ان تجد من يتعاون معها من الدول الصغرى او المتوسطة . واذا ما اغفلت ذلك فإن الانحدار الى السفح الثاني سيتحقق لا محالة ." اذن فلم يكتف الرئيس صدام بعرض نفسه ليتعاون مع واشنطن لتمكينها من الحفاظ على كونها دولة عظمى وانما ذكرها بأن عدم التعاون مع الصغار سوف يعني انحدار الهيمنة الأميركية.

١٢ -كتب كلارك عن هذه الفكرة على الصفحة ٣٤: " وقد سرى وقف اطلاق النار رسميا بين العراق وايران في ٢٠/٨/ ١٩٨٨ و على الفور تقريبا بدأ موقع العراق في العالم الغربي يتعرض للتغيير. وفي ٨ ايلول/سبتمبر اعلنت واشنطن للعالم أن العراق استخدم غازات سامة ضد الاكراد، ولكن غضب واشنطن جاء متأخرا بعض الوقت إذ أن الحادث الاسوأ الذي زعم أنه وقع قبل ذلك بستة شهور في "حلبجة" في آذار/مارس

يجري تصدير القمح والمنتجات الغذائية الاخرى الى العراق بشروط سهلة وأسعار أقل من الاسعار السائدة. فكيف تتماشى سياسة التهديم الاعلامي مع الاستمرار في منح العراق المساعدات ؟ إنها محاولة واشنطن لإقناع العراق بأن الاجراءات العملية أي المساعدات هي المقياس أو المحك الذي على العراق أن يضعه في عين الاعتبار لدى تقييمه لأهداف السياسة الأميركية بينما كلام الاعلام لايعدو مجرد كلام.

٥- جولة الملك حسين في الخليج:

في ٢٦ شباط/فبراير، أي بعد مؤتمر عمان بيوم واحد انطلق الملك حسين الى دول الخليج لمحاولة ايجاد حلول تتجاوب مع مطالب بغداد التي سبكها الملك في النقاط التالية: احقاق الحق لصالح العراق في الخلافات الحدودية مع الكويت وخاصة حقل الرميلة الذي ضخت منه الكويت كميات كبيرة من البترول خلال انشغال العراق بحربه مع ايران. ثم تأجير الكويت لجزيرتي وربة وبوبيان الى العراق لتأمينِ المنفذ البحري الضروري له على مياه الخليج ثم تسوية أمر القروض التي استدانها اثناء حربه مع ايران .

كان الملك حسين بحسه السياسي المتمرس والمرهف من أوائل من اكتشفوا ابعاد ما يحدث وشعروا بالخطر الجارف المقبل الذي يهدد المنطقة والذي سيوصلها الى الكارثة فيما بعد . لاشك في أنه كان متعاطفا عن قناعة مع المطالب العراقية بالاضافة الى علمه بأن العراق كان يتحدث متألما ولكن من موقف القوة والحزم وتوفر الاستعداد للتهور والمغامرة والانتقام من حكام الخليج الذين يقومون بأعمال تؤذي العراق . فحاول ايجاد المخرج المناسب لكن بعض قادة دول الخليج لم يتجاوبوا إنما تمسكوا بالتشدد والرفض مما أدى الى تصلب المواقف وتفاقم الحساسيات. لاشك في أن الملك حسين اوضح لقادة الخليج الصورة الحانقة والمتألمة التي تسود في بغداد وربما نوّه عن مدى استعداد العراق لعمليات حاسمة مما قد يفجر المنطقة. لكن قادة الخليج لم يبدوا ميلا للتفاوض والوصول الى حلول مرضية للفريقين. ونرى ايضا أن الولايات المتحدة سبقت الملك حسين الى قصور حكام الخليج لتتدبر اجهاض مساعيه قبل أن تبدأ. ولسوف نعود الى الجهود الأميركية الهائلة لافشال الجهود العربية لاحتواء الازمة بعد حدوثها وخاصة حين سدوا الطريق امام مختلف المحاولات الواعدة التي قام بها الملك حسين.

١٩٨٨ لم يجابه بأي استنكار اميركي في ذلك الوقت،، وحتى الاضراب الكردي عن الطعام الذي نفذ في مقر الأمم المتحدة مرّ دون أن تهتم به الحكومات الغربية وأجهزة إعلامها ".

٦- مبيعات السلاح الى العراق

باع الغرب العراق بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٨٥ اسلحة ومعدات بمبلغ ٤٣ مليار دولار وبعد اتفاق الهدنة مع ايران ارتفعت ارقام مشتريات العراق من السلاح بدلا من أن تنخفض. والغرب هو الذي باع العراق ٩٥٪ من مصانع الاسلحة الكيماوية والنووية والمواد الاولية اللازمة لذلك بالاضافة الى ما يختص بالمدفع العملاق[١٣]. وفجأة وبعد شفط المليارات من تلك المبيعات انقلب العراق بالنسبة الى واشنطن الى عنصر خطير ! لاشك في أن الشركات المنتجة للسلاح سوف تستمر في سعيها نحو الربح بتصدير انتاجها الى أي مكان في العالم بأساليب ملتوية وفي خفية عن مراقبة الدولة. ولكن لايوجد شركة في العالم تستطيع انتاج وتخزين كميات كبيرة دون علم الدولة أو دون افتضاح ما تفعل. فمراقبة الدولة الروتينية لتلك الشركات الاستراتيجية الهامة فيها من الدقة ما يكفي لتتمكن من الاشراف الحقيقي على قوائم من يشتري السلاح [١٤] ، ولاتكتفي الدولة بنتائج المراقبة من خلال الاطلاع على دفاتر الشركات المنتجة إنما تشارك في ذلك أجهزة استخبارات كل دولة لأن وصول انتاج هذه الشركات الى دول غير صديقة له اثر حيوي على سياسة الدول وعلى أمنها. وانطلاقا من ذلك نقول باصرار أنه لاتوجد شركة في دولة غربية أو شرقية صدرت عتادا أو موادا بكميات محسوسة إلا ولدى تلك الدولة معلومات عنها. ولو تعمدت تلك الدول حقا منع تصدير السلاح ومنع وصوله الى الدول الأخرى لما أمكن للشركات اخراجه من الحدود. ولايشكل التعقيد الصوري لتصدير الاسلحة الى الدول المحظور البيع اليها إلا ذريعة لاحتلاب

١٣- يوضح وليم لوثر الذي ألف كتاب المدفع العملاق والذي يورد تفاصيل دقيقة عن قصة هذا المدفع منذ ان عرضه مصممه الكندي د. جيرالد بول على الولايات المتحدة ثم على دول اخرى بما فيها اسرائيل وحتى مصرعه بأيد اسرائيلية كيف ان جيرالد لم ينفذ اية خطوة اساسية في صفقة صنع المدفع في العراق الا بعد اعلام المخابرات البلجيكية ، حيث كان مركز نشاطه ، والمخابرات البريطانية ايضا ، بل والمخابرات الاسرائيلية التي قتلته في نهاية المطاف .(صفحات : ١٧٨ - ١٩٤ - ٢٠٨)

١٤ - حين تشتري شركة في دولة الف طن من الصلب الخام وعشرة اطنان من حامض الكبريت ومائة طن من القطن لصنع السلاح والمواد المتفجرة يجب ان يظهر في جداول التصنيع عدد قطع السلاح الذي انتج ووزنها الاجمالي وعدد الطلقات ووزنها ووزن البارود الداخل فيها بحيث تتوازى كميات الخامات مع الكميات المصنعة . ومن جداول المبيعات للشركة يُعرف المشترون وماذا اشتروا وكيف سددوا الأثمان . بالطبع لا يمكن ضبط كل التفاصيل بالدقة المطلوبة لوجود العديد من الطرق الملتوية التي تلجأ اليها شركات السلاح للقفز عن جدران المراقبة . ولكن بالاجمال لا يمكن لشركة تنتج السلاح ان تتصرف بكميات ذات شأن بدون ان تعرف الجهات المسؤولة عن ذلك .

أكبر الاثمان من راغبي الشراء تحججا "بالمصاعب" التي تواجه الشركات اثناء "تمرير" الصفقات.

٧- الرئيس صدام حسين يهدد بحرق نصف اسرائيل:

في ٤/٢ /١٩٩٠ القى الرئيس صدام حسين خطابه المتوقد الذي شرح فيه مدى التقدم الذي احرزه علماء العراق في ميدان انتاج الاسلحة. وهدد بحرق نصف اسرائيل إذا قامت بأعمال ضد العراق. وأعلن ايضا عن قدرة العراق على النيل ممن يهدده بالاسلحة النووية بواسطة الاسلحة الكيميائية.

يصف لنا سالنجر[١٥] غضب جون كيلي على الرئيس صدام بعد هذا الخطاب. ويشرح لنا أيضا كيف قام كيلي بتحضير مشروع لرد حاسم على عدوانية العراق وكيف حصل على موافقة وزير الخارجية بيكر على الغاء القروض الأميركية المدعومة التي تُمنح للعراق لشراء الأغذية بالاضافة الى منع تصدير السلع الاستراتيجية الى بغداد. وبعد مباركة الرئيس بوش لتلك الخطوات وبعد تفويض روبير كيميت، سكرتير الدولة المساعد للشؤون السياسية لتنفيذ الخطة ضد العراق حصلت تطورات غريبة في واشنطن ادت الى اجهاض المشروع والى قلبه الى حبر على ورق. ويُرجع سالنجر فشل مشروع العقوبات الى ما سماه " المقاومة التي تبديها البيروقراطية الفيدرالية الأميركية وغياب المتابعة السياسية الدقيقة" ويتابع سالنجر فيقول: " لقد بادرت وزارة التجارة اولا الى ابداء تحفظات عديدة تجاه وقف مشروع القروض الممنوحة لبنك التصدير والاستيراد لأنه بالدرجة الاولى يلحق الاذى برجال الاعمال الأميركيين . وأبدى كذلك مسؤولو وزارة التجارة رفضا قاطعا لالغاء برنامج القروض الميّسر لأنه يضر بمصالح منتجي الحبوب الأميركيين".

من يقرأ هذه المفارقات يعجب ! فلو دققنا في الصورة السالفة لرأينا أن مجموعة القروض التي يحصل عليها العراق بناء على البرنامج المذكور والذي يبلغ مليار دولار[١٦] أقل من أن تشكل أثرا اقتصاديا على دولة أقل من متوسطة من دول العالم الثالث. فكيف يمكن لها أن تؤثر على أكبر الدول العظمى على وجه الأرض؟. هذا وإن مبلغ المليار دولار في العام موزع على الحبوب والذرة والدواجن. فلو وزعناها على عدد منتجي هذه الاصناف في انحاء اميركا المترامية الاطراف لكانت المبالغ الافرادية اسخف من أن تذكر. ولو لم تبع اميركا

---

١٥ – سالنجر صفحة ٣٧

١٦ – سالنجر صفحة ٤١

بمبلغ المليار لما بلغت خسارتها ملياراً إنما لاقتصرت على الربح الذي يتضمنه المليار. فهل يمكن لهذه الخسارة أن تصرف أميركا عن مصالحها البترولية التي تأتيها بعشرات المليارات من الدولارات كربح ناجز؟. ألم تمنع أميركا عن الصين الشيوعية وعن دول أخرى متعددة في العالم كل الصادرات بالرغم من ضخامتها وعنف تأثيرها على أهم المؤسسات الاقتصادية الأميركية من مصارف الى مصانع الى مزارعين؟. أولا تبتر دولة عضوًا كاملاً من جسدها إذا توقف انتعاش باقي الجسد علىاستئصاله ؟ ونضيف الى ذلك : لقد تمكن بنك التصدير والاستيراد الأميركي ومعه حفنة من المزارعين الأميركيين من اجهاض قرار رئيس الجمهورية ومعه وزير الخارجية جيمس بيكر ومستشارون وأعوان آخرون يجلسون في الصف الاول من صفوف صانعي القرار مثل دنيس روس، مدير مكتب التخطيط السياسي، وروبير كيميت سكرتير الدولة للشؤون السياسية. بل إنهم لم يقتصروا على اجهاض القرار إنما قلبوه الى العكس. وبذلك يصبح الجزء الهزيل من جسد الولايات المتحدة الأميركية هو الذي يحرك الارادة والعقل المفكر في البيت الابيض. فهل نحن في صدد دولة عظمى تهز قراراتها اركان الارض أم أننا في صدد بهلول من البهاليل؟.

ولايوجد اعجب من هذا المضمون الساخر والمضحك الا وجود مفكرين في العالم بلغت بهم ضحالة التفكير أن يصدقوا مثل هذه التبريرات. ونذكر هنا ثانية بأن الاعلام العالمي عرف بخطوات واشنطن التي ارادت معاقبة العراق وأفاض في نشرها. أما خبر التراجع عن مشروع العقوبات فبقي في الظل لكيلا يشعر الرأي العام العالمي بنفاق السياسة التي تتجز ذلك.

معالجة ناقدة لخطاب الرئيس صدام حسين:

قبل أن نستمر في الحيثيات التي سبقت غزو الكويت الى ما بعد ذلك نود أن نتدارس مضمون خطاب الرئيس صدام حيث هدد بحرق نصف اسرائيل. فلماذا فعل ذلك متحديا الولايات المتحدة بعنف لايكاد يترك جسرا للتراجع؟ فلو كان يهيء لمعركة مقبلة مهما كان شكلها مع حكام الخليج الذين لايتجاوبون مع نداءاته فلماذا فتح " عش دبابير" آخر على نفسه في ذات الوقت؟. ترى هل توقع الرئيس صدام حصاد تجاوبات ذات أثر من قبل الجموع العربية من خلال تحديه للعدو العربي الاول: اسرائيل؟. وإن كان الامر كذلك فهل قام بموازنة بين الايجابيات المحتملة وبين السلبيات الضخمة التي ستنصب عليه من الاعلام العالمي الذي

ستستغله الولايات المتحدة وتسخره للامعان في تشويه صورة العراق وصفحة رئيسه بالذات مما سيستخدم ذريعة لالحاق الاذى بشعب العراق؟.

لو كنا صادقين مع انفسنا، وإن شئنا الابتعاد عن فيض العواطف والخيال الذي يتصف به الانسان العربي لكان علينا الاعتراف بأن العراق بالرغم من قوته لايستطيع "حرق نصف اسرائيل" ولاتدميرها لأنه لو بدأ حملة عليها بالصواريخ لما وقفت العسكريتارية الاسرائيلية مكتوفة الايدي . فهي تملك منذ عدة اعوام صواريخ اريحا رقم واحد التي يبلغ مداها ٩٥٠ كم . وطورتها بعد عام ١٩٨٨ الى اريحا رقم ٢ التي تجتاز ١٤٠٠ كم. هذا ولو هوجمت اسرائيل من قبل العراق لما اقتصر أمر الاجابة العنيفة ضده على القوات الاسرائيلية. و بالاضافة الى ذلك نشير الى أن صواريخ سكود الأصلية المتوفرة لدى العراق وعددها الف صاروخ لم تكن قادرة على اصابة اهداف تبعد أكثر من ٣٠٠ كم. فالعراق لم يتمكن من الضغط المؤلم على ايران الا بعد ان طور صاروخ سكود بتعاون عراقي مصري ارجنتيني الى صاروخ الحسين الذي بلغ مداه ضعف صاروخ سكود . ثم عمل العراق على تطوير الحسين الى صاروخ العباس الأكثر دقة والأبعد مدى . ولكن عدد هذه الصواريخ المطورة بمجموعها لايزيد عن ثلث الكمية الأصلية وكل منها لايستطيع حمل أكثر من ١٥٠ كيلوغراما من المتفجرات الى المسافات التي تفصله عن الاهداف في اسرائيل[١٧] . فإذا جمعناها معا لما بلغ مفعولها التدميري خمسين قنبلة من عشرات ألوف القنابل التي القتها القوات المتواطئة على بغداد أثناء الحرب . فالجنرال شوارزكوف يعترف[١٨] في مذكراته بأن وزن كل قنبلة منها يحمل من قوى الدمار عشرة أضعاف ما يحمله صاروخ سكود . أما المزايا النفسية التي توقعها وحصل عليها العراق من خلال الاستحواذ على مشاعر المواطنين العرب في كل الاقطار فكانت بالرغم من صدق دوافعها وحماسها الرائع والأمانة في عواطفها أقل بكثير من أن تؤثر على مجرى الاحداث ليستفيد منها العراق. لاشك في اندفاع جماهير كثيرة صلّت لأن ينتصر الرئيس صدام الذي وُصف بأنه أول من كسر الطوق وضرب اسرائيل. إننا لانريد النقاش حول صحة هذا الادعاء بالرغم من علمنا أن الطيران السوري على صغر حجمه وتواضع قوته قام في علم ١٩٥٦ بالقاء القنابل وأصاب مصفاة حيفا حين اشتركت قوى العدوان الثلاثي في غزو مصر. لكن الحماس العاطفي شيء والنتيجة على أرض الواقع شيء آخر. لقد كان في وسع جموع الجماهير العربية أن تتحرك لدعم العراق لو كانت تتوفر في

١٧ - انظر في مواضيع الصواريخ العراقية كتاب :" قصة المدفع العملاق " صفحة ٢٠٣-٢٠٥

١٨ - شوارزكوف صفحة ٢١٤

نظم الحكم العربية ديمقراطية كافية تضمن صدور قرارت الحكام متفقة مع ارادة الجماهير. ولكن معظم الدول العربية محكوم من قبل حكام لايسمحون للرأي العام بالتأثير على مسار سياساتهم. فهم منشغلون في الدفاع عن كيانهم بمقادير متفاوتة تتراوح بين الزجر وبين استخدامهم للضغط الذي يبلغ حدّ القمع في بعض الحالات بحيث لايبقى للجماهير دور فاعل محسوس.

لقد غالى العراق في تقييم عامل الحسم الذي قد تلعبه الجماهير العربية في قلب الموازين وفي إثارة الشعب في الدول العربية على أمل تحقيق شرخ كبير في مخططات الولايات المتحدة.

ولو اطلعنا على ماجرى من احاديث بين الرئيس صدام حسين مع الأمير بندر بن سلطان بن عبد العزيز قبل الغزو بعدة شهور [١٩] لوجدناه يطلب منه نوعا من الوساطة أو ايصال الرغبة بألا تهدد اسرائيل العراق بغارات جوية. وهذا يدل على أن التهديد الذي اطلقه الرئيس صدام لم يكن موجها الى اسرائيل بقدر ما كان يُراد به المواطن العربي لكسب مشاعره وللحصول على ولائه النفسي للخط السياسي العراقي الذي يسعى الى منع انسياق الحكام العرب مع التيارالأميركي الذي يضع كل وزنه لكي يشطر العرب الى شطرين.

ولو كان هدف الرئيس صدام انتزاع حقوق العرب والفلسطينين من اسرائيل لما هدد بالخطابات إنما لكان عليه أن ينذر اسرائيل بأن تمتثل الى قرارات الأمم المتحدة التي تقضي بالانسحاب خلال مدة يحددها الانذار معلنا بأنه سيضربها إن لم تفعل. أو أنه يهجم عليها دون أي إنذار. فسوابق اسرائيل في الغدر معروفة. وحين هاجمت العراق جوا بتاريخ ١٩٨١/٦/٧ وحطمت المفاعل النووي " تموز " او "اوزيراك " وقتلت بغارتها عالما فرنسيا واحدا على أقل تقدير لم تنذره بشكل مسبق إنما غدرت به. فقد انطلقت من ان الحرب خدعة !

يحتاج خطاب الرئيس الذي يفترض أنه أثار اسرائيل وأميركا والعالم "الحر" الى تعليقين. الأول هو أن الخطاب لم يهدد اسرائيل بالتدمير على كل حال إنما وضع حدودا واضحة بحيث يلزم نفسه بأنه لن يلجأ الى " تدمير اسرائيل" إلا إذا كانت هي البادئة بالعدوان. وهذا الشرط الذي ينفي عدوانية العراق نشرته بعض اجهزة الاعلام العالمية في بادئ الأمر فقط ثم تناسته. وحين نشرته كان ذلك "بأصغر خط" ممكن. أما القسم المؤذي من الجملة والذي يتحدث عن " تدمير اسرائيل" فقد تم نشره بأكبر خط وعلى أوسع نطاق، وظهرت التعليقات العالمية التي تضع العراق هدفا لهجمات مسعورة لتحطيم سمعته.

---

[١٩] -ودورد صفحة ١٦٩

والتعليق الثاني يوضح بل يؤكد على أن العراق لم يفكر آنذاك بفتح معركة مع اسرائيل.

وبما أن حرق نصف اسرائيل واستخلاص حقوق الفلسطينيين لم يكونا في تلك المرحلة ، في رأينا، الهدفين من خطاب الرئيس فلا يبقى سوى أنه أراد من كلماته العنيفة اثارة القلق والتخوف لدى الشعب في اسرائيل مما يجعله يضغط على حكومته الاسرائيلية فتبتعد عن " اللعب بالنار" وتبقى على الحياد أثناء المعمعة المحتملة بين العراق والكويت. لكن هذا التقييم غير مقبول لأن القرارت الكبيرة في اسرائيل لا تتأثر برغبات الشعب هناك إنما يحصل ذلك، كما هو الأمر في معظم الدول العربية، بعد تنسيق مع الولايات المتحدة الأميركية.

٨ – وفد مجلس الشيوخ الأميركي

في الثاني عشر من نيسان/ابريل ، أي بعد عشرة أيام من خطاب الرئيس صدام الناريّ، وبعد بضعة أيام من موافقة السياسة العليا الأميركية على مشروع انزال العقوبات الاقتصادية المذكورة آنفا بالعراق ، ذلك المشروع الذي تم اجهاضه من قبل الرئيس بوش، وصل خمسة من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي الى بغداد في زيارة رسمية برئاسة السناتور روبير دول، زعيم الكتلة الجمهورية في مجلس الشيوخ، ومنافس الرئيس بوش السابق في الانتخابات الأولية لتحديد مرشح الحزب لرئاسة الجمهورية. وخلال الاجتماع الأول بين الوفد والرئيس صدام استأذن أحد أعضاء الوفد في ايصال نص مكتوب الى اسماع الرئيس العراقي . بدأ العضو بقراءة نص مكتوب يؤكد مجيئهم قال فيه : " اننا إذا كنا نؤمن بدور العراق الأساسي في الشرق الأوسط، فإن سعيكم الى الاسلحة الكيميائية والبيولوجية لابد وأن يعرض بلدكم لمخاطر جمّة بدل تأمين الحماية له. إن مبادرات كهذه تهدد ايضا بلدانا أخرى وتثير الاضطرابات في الشرق الاوسط لأن تصريحاتكم الأخيرة التي تهدد باستخدام السلاح الكيميائي ضد اسرائيل أحدثت صدمة قوية في العالم أجمع . ومن الأجدى بالنسبة لكم وللسلام في الشرق الاوسط أن تتراجعوا عن برامج ومشاريع شديدة الخطورة وعن تصريحات ومواقف مشبعة بالاستفزاز."[٢٠]

---

٢٠ – سالنجر صفحة ٣٩ . انظر ايضا كرولي صفحة ٣١١ عن زيارة دول الى بغداد .

فعلق الرئيس صدام على النص بقوله:

" أنا أعتقد بوجود حملة واسعة منسقة ضدنا بواسطة الولايات المتحدة الأميركية."

فإذا بالسناتور دول يجيب : " على جميع الأحوال ليس جورج بوش مصدر هذه الحملة. لقد قال لنا البارحة إنه لايؤيدها . وأعاد دول الى الذاكرة موقف الولايات المتحدة الذي أدان اسرائيل عام ١٩٨٠ إثر الهجوم الجوي الذي شنته على المفاعل النووي العراقي. هنا قاطعه صدام حسين بالقول: – لقد أدنتموها بالتأكيد، ولكني اطلعت على تقارير عديدة تفيد أن الولايات المتحدة كانت على معرفة مسبقة بالهجوم."

ويسترسل السناتور آلان سمبسون في اتجاه تلطيف الجو فيقول: " إن مشكلتكم ليست مع الحكومة أو الشعب الأميركي وإنما مع صحافتنا المتعجرفة والمدعية والمتطلبة . فأكمل روبير فكرة سمبسون وأشار الى البرنامج المعادي للعراق الذي بثته إذاعة صوت أميركا في شباط، وقدم اعتذاره وأبلغ صدام أن المسؤول عن البرنامج قد تمت معاقبته." . فتابع السناتور روبير دول كلامه المعسول لتثبيت وترسيخ لطف جو الجلسة مكرراً اعتذار اميركا . واختتم حديثه قائلا: " صرح لي الرئيس بوش منذ ١٢ ساعة فقط انه يبحث عن أفضل العلاقات معكم وان حكومته تفتش عن امتن الروابط مع العراق . واستطيع التأكيد أن الرئيس بوش سوف يعارض فرض العقوبات ولو تطلب الأمر استخدام الفيتو في مواجهة قرارات كهذه، الا إذا حدث استفزاز معين."[٢١]

---

[٢١] – لم تكن هذه " اللفتات " مقتصرة على رجال السياسة انما رافقتها حملات اعلامية اميركية كانت ترسل مراسليها الى بغداد وتجري معه المحادثات المختلفة ، " وتمرر " الى اسماعه ما تريد تمريره بايعاز من اصحاب القرار ، وفي نهاية الأمر ينشر هؤلاء المراسلون من كامل الحديث ما يتفق مع مصالحهم ويشطبون ما يهم العراق .

ومن حديث ممثلة صحيفة وول ستريت جورنال مع الرئيس العراقي بتاريخ ١٩٩٠/٧/١ نقتبس تلك الفقرة/السوال التي لا بد انها " دغدغت " عنفوان الرئيس وكبريائه وفعلت فعلها المؤثر على الرئيس صدام . قالت له: " انت الرجل الذي ترى فيه الولايات المتحدة على الأقل او حسب وجهة النظر هناك ..انتم الرجل الأقوى في العالم العربي .. هذه هي النظرة الشائعة والقائمة. الا ترون ان هناك فرصة ممكنة لأن تكونوا المهندس الأساسي لصنع السلام في المنطقة بأن تتخذوا خطوات جذرية ، مقارنة بما جرى مثلاً في زيارة نيكسون الى الصين ..في ان تكونوا الرائد في هندسة عملية سلام حقيقية على اساس ما تتمتعون به من قدرة ومن قوة ومن مكانة في الوطن العربي ؟ "

عند هذا الحدّ تدخلت ثالثة الاثافي ، السفيرة ابريل غلاسبي " وكانت صامتة طوال المقابلة فأجملت مادار من احاديث على الوجة التالي: استطيع التأكيد كسفيرة للولايات المتحدة أن هذه هي، سيدي الرئيس، السياسة الحقيقية للولايات المتحدة الأميركية.[22]

يتطلب هذا اللقاء أن نتريث عنده قليلا وأن نحلله لنتمكن من وضعه في المكان المناسب من الموزاييك الذي يشكل في مجموعه لوحة المؤامرة على العراق وعلى العرب وعلى أوربا واليابان. فقد افتتح كما يقول لنا سالنجر بأن قرأ أحد أعضاء الوفد النص القصير الذي يشمل فكرتين: الأولى هي استعداد الولايات المتحدة لتقبل دورا اساسيا للعراق في الشرق الاوسط والثانية هي نقد لسعي العراق نحو الاسلحة غير التقليدية. وهذا النقد لايأخذ شكل العنف والجدية كما كان يقتضي الموقف إنما كان رقيقا دبلوماسيا وخفيف الوطأة لاينم عن البركان الخطير الكامن خلفه. ولا يشمل النص اي لوم الى تسلح العراق الحثيث والجبار بالاسلحة التقليدية وكأنما يقولون له: خذ من الاسلحة التقليدية حتى يَغرق العراق ويُفلس و لكن لا تمد يدك الى ما هو غير ذلك. وما أن انتهى النص الرسمي المقروء، ولنُسمّه الجزء الالزامي الكريه من المقابلة حتى انقلبت الاحاديث نحو الايجابيات والوداد لتختمها السفيرة الماكرة باعطاء الجلسة الصفة الرسمية عن ايجابية السياسة الأميركية نحو العراق ونحو الرئيس صدام شخصيا.

وما أن عاد الوفد الى واشنطن حتى أكد روبير دول للرئيس بوش بحضور معاونيه أن الرئيس صدام يشكل :"نموذج القائد الذي تستطيع الولايات المتحدة التأثير عليه وتوجيهه اذا ارادت ذلك"[23] وانطلاقا من تقرير هذا الوفد عن العراق وعن الرئيس صدام " تبنى رئيس مجلس الأمن القومي الجنرال برنت سكوكروفت وجهة نظر روبير دول الداعية الى اعتبار العراق ورئيسه دعامتي توازن الشرق الاوسط الاساسيتين."

٩ –تهنئة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام :

في الخامس والعشرين من نيسان / ابريل وبمناسبة حلول شهر رمضان المبارك أرسل الرئيس بوش الى الرئيس العراقي رسالة ودّ وصداقة وتهنئة يبدي فيها الأمل " بأن

---

٢٢ – النصوص عن هذه المقابلة موثقة لدى سالنجر على الصفحات ٣٨-٤١

٢٣ – سالنجر صفحة ٤٢

تساهم الاواصر التي تربط بين الولايات المتحدة والعراق في تحقيق السلام وتعزيز استقرار منطقة الشرق الاوسط."[24]

وهذه التهنئة تثير التساؤل. فأين هي الأواصر التي تربط بين الدولتين وبين اعمال التجريح الاعلامي العنيف لتحطيم صورة العراق منذ نهاية حرب الخليج. ونذكّر هنا ايضا بأن النصوص الودية وجّهت الى الرئيس صدام لاستهلاكه الشخصي ولترسيخ القناعة لديه في أن الولايات المتحدة تسعى لكسب وده. أما أعمال الاساءة فتعلن على الملأ مما يثبت الازدواجية التآمرية التي تتبعها واشنطن.[25]

١٠ -انقلاب وتقلب جون كيلي:

بعد التهنئة بحلول شهر رمضان المبارك انقلب موقف جون كيلي من راغب في انزال عقوبة رادعة بالعراق الى معتدل يسعى نحو خطب الود. نعم انقلب من صقر الى حمامة. نعم بهذه السهولة وبتلك البساطة تتغير مواقف رجالات السياسة في الدولة العظمى التي تتحكم بدول الأرض.... أو هكذا يُراد أن نقتنع به بينما الحقيقة هي العكس التام.

فمنذ تهنئة رمضان بدأت الأحداث والوقائع على جغرافيا الخليج تسير نحو الأزمة مما يُفترض أن يؤدي الى تباعد وجهتي النظر الأميركية والعراقية. ففي أول أيار/مايو اعلمت المخابرات الأميركية القيادة في البيت الأبيض باحتمال حصول هجوم عراقي على الكويت. ولكن واشنطن " لم تعر الأمر اهتماما" حسب قول سالنجر.[26] أما نحن فلا نرى ما رآه سالنجر إنما نجزم بأن واشنطن ارهفت أذنيها ورصدت الخبر بدقة تامة لكنها احتفظت به لأن مخططها الأبعد يتطلب دفع العراق الى المزيد من التوجه الى الطريق الذي سيؤدي الى الكارثة. والمعلومات التي تؤكد امعان العراق في السير على هذا الطريق كانت تتواتر بشكل مضطرد دون أي انقطاع. ولكن السياسة الأميركية استمرت في التظاهر بأنها لاتعطي تلك الاحداث أهمية ذات شأن إنما بدت وكأنها تهملها.

---

٢٤ – سالنجر صفحة ٤٢

٢٥ –يصف كوولي موقف الولايات المتحدة بالعراق بكلمة شديدة البلاغة اذ يقول على الصفحة ٣٠٥ :"وكان يبدو ان ادارة الرئيس بوش تعيش فترة غرامية غريبة مع دكتاتور العراق منذ انتهاء الحرب العراقية الايرانية وحتى احتلال صدام حسين للكويت ."

٢٦ – سالنجر صفحة ٣٢

١١ – مزيد من مبيعات التقنيات العسكرية الى العراق

وفي هذه الظروف الغامضة قامت واشنطن بتصرف غريب آخر . ففي ١٩٩٠/٧/١٧ كان الرئيس صدام قد القى بخطابه الناري الموجه الى قادة دول الخليج الذي سنتعرض اليه بعد قليل . وفي هذا اليوم بالذات وافقت الادارة الأميركية على بيع العراق آلات حاسبة/كومبيوتر ... واجهزة راديو ومحطات اشعة تخطيطية تستخدم لتصميم الصواريخ وتحليل مساراتها ، وعُدد ميكانيكية ذات التكنولوجيا المتقدمة وأجهزة رسم خرائط بالآلات الحاسبة ، ومعدات تصويرية لتحليل الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية . لقد كانت معظم تلك التكنولوجيا- مشتراة للوزارات العراقية الرئيسية ، مثل وزارة الدفاع والداخلية ، وهيئة الطاقة النووية ."[٢٧]

نريد هنا التعرض الى طريقة خبيثة استخدمتها السياسة الأميركية للايقاع بالعراق اعلاميا ولتبييض صفحة الولايات المتحدة حين كانت توافق على بيع التقنيات الى العراق . فلما طلب العراق تقنيات من نوعية محددة تقدم بطلبه رسميا وعرف ذوو الشأن في واشنطن الهدف من طلبها لأن استخداماتها لا تتحمل التأويل. ووافقت الجهات المسؤولة على الصفقة شريطة ان يجري شحن هذه المعدات بطريقة " جيمس بوندية " لئلا تُلفت النظر ، كأن يجري تخبئتها ضمن كتلات من الثلج . وما كانت تشترط تلك الوسائل التوريطية الا لتتمكن فيما بعد من وصم العراق بأنه كان يهرب التقنيات تهريباً ماكراً ليضلل حكومة الولايات المتحدة .

١٢ –حديث الرئيس صدام حسين مع السفيرة ابريل غلاسبي

وتُوجت خطة التوريط بحديث مطول اجراه الرئيس صدام حسين مع السفيرة ابريل غلاسبي، ثم بالأسئلة التي طرحها نائب الكونغرس لي هاملتون عضو اللجنة الفرعية للشرق الأوسط التابعة للكونغرس على جون كيلي.وسنتعرض للموضوعين بادئين بالحديث مع السفيرة .

لقد فضلنا اقتباس نص حديث الرئيس صدام مع السفيرة الأميركية من كتاب سالنجر لسببين : الاول هو انه استقاه من قناة التلفزيون الأميركي A B C [٢٨] والسبب الثاني وهو

٢٧– كورولي صفحة ٣١٤

٢٨ – سوف نتعرض بعد قليل الى ما يشير بقوة الى ان العراق هو الذي سرب المحضر الى الاعلام

الأهم هو وجود تعليقات هامة تتخلل نص الحديث . ولكننا ندلي في النهاية بتحليلنا لأن لنا في ذلك الحديث اجتهادات ابعد مدى مما تراءى الى خواطر الكتاب الآخرين .[٢٩]

وهذا هو النص بالكامل من سالنجر:

" دخلت غلاسبي الى مكتب صدام وهي على درجة من التوتر فهذه هي المرة الأولى التي تقابله خلالها وجها لوجه.

إن الحوار الذي جرى ، والذي حصلت قناة التلفاز الأميركية اي بي سي (A . B . C) على نصه يثير الدهشة ويبعث على الحيرة ويشكل وثيقة على قدر كبير من الأهمية وتحوي مجموعة من الرسائل ، بينها غير المقصود ، ينبغي العمل على فك رموزها وإشاراتها.

كان برفقة صدام وزير الخارجية طارق عزيز . وبعد ان استقبلها الرئيس العراقي بمودة واشار اليها بالجلوس بادرها بالقول:

" طلبت مجيئك كي نتحاور في العمق وهذا الحوار اعتبره رسالة موجهة للرئيس بوش."

بهذا القول ، اعتبر صدام المقابلة على انها لقاء على اعلى المستويات وبدأ باستعراض تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق.

" قبل شهرين من بداية الحرب مع ايران اتخذنا القرار باعادة العلاقات الدبلوماسية مع اميركا. وعندما بدأ الصراع العسكري ، وكي لا يفسر هذا القرار تفسيرا مغرضا رأينا تأجيل تنفيذه ، وكنا نتوقع الا تطول الحرب. وعندما استمرت الحرب ولم تنته بالسرعه المرجوة وجدنا انه من المهم لبلدنا كي نؤكد عدم انحيازه اقامة العلاقات الدبلوماسية مع واشنطن دون انتظار نهايتها وهذا ما فعلناه عام ١٩٨٤ وكنا نتوقع من تلك العلاقات تفهما أكبر وتعاونا أوثق علّنا نفهم ما لم نكن نفهمه من مبررات تقف وراء قرارات أميركية عديدة . ولكن علاقاتنا مع الولايات المتحدة عانت الكثير من الاضطرابات اخطرها عام ١٩٨٦ عندما انفجرت فضيحة ايران غيت اثناء احتلال ايران لشبه جزيرة الفاو.

عندما تكون المصالح المشتركة بين دولتين ضيقة وحديثة العهد يكون التفاهم المتبادل ضعيفا ويكون لسوء التفاهم نتائج سلبية وفي بعض الأحيان يمكن لنتيجة الخطأ ان تكون اكثر خطورة من الخطأ نفسه وبالرغم من كل ذلك قبلنا اعتذار الرئيس الأميركي بواسطة موفديه عن فضيحة ايران غيت واستخدمنا الممحاة لتنظيف كل ما علق باللوح من شوائب . ولم تكن

---

[٢٩] – يؤكد البزاز في حديث شخصي ان مصدر المحضر الأصلي هو العراق وان الدكتور سعدون حمادي سلمه باليد الى بيير سالنجر، وهذا تولى اعطاءه الى صحيفة واشنطن بوست التي نشرته بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٤ على الصفحة ١٩ .

في اعتبارنا العودة الى تحريك شجون الماضي الا في حال تدفعنا الى ذلك احداث جديدة تبين ان الأخطاء الماضية ليست مجرد مصادفات.

لقد تزايدت شكوكنا بعد تحرير شبه جزيرة الفاو فوسائل الاعلام الأميركية بدأت بادخال انفها في الشؤون العراقية الخاصة . ووصلت شكوكنا الى حد طرح السؤال حول ما اذا كانت الولايات المتحدة منزعجة من انتهاء الحرب لمصلحتنا."

وبعد هذه المقدمة المطولة أضاف : " يبدو جليا لنا ان بعض الاوساط الأميركية – استثني شخص وزير الخارجية ايضا – لا تحبذ واقع تحرير أرضنا .انهم يضعون الدراسات التي تحمل عنوان " من يخلف صدام حسين ؟ " وقد اجروا اتصالات مع دول الخليج لاقناعها بعدم تقديم المساعدة الاقتصادية لنا بهدف ارهاق العراق ونحن نملك البراهين على تلك النشاطات . وكان الرئيس صدام يعتبر ان الانقسامات التي تعصف بالعالم العربي هي جزء من المؤامرة الأميركية الرامية الى زعزعة النظام العراقي ."

وبعد ان ارتاح عدة لحظات عاد صدام الى حواره الأحادي الجانب :

" بسبب الحرب ارتفعت ديوننا الى ٤٠ مليار دولار دون ان نحسب مساعدات الدول العربية التي يعتبرها البعض منها ديونا علينا تجاههم . ليعرف الجميع تماما انه دون العراق لما كان باستطاعتهم التمتع بعائداتهم لأن مصير المنطقة كان اختلف جذريا .

لقد واجهنا فيما بعد سياسة تخفيض الأسعار ثم بدأت الحملة على صدام حسين في وسائل الاعلام الأميركية. ان الولايات المتحدة تعتمد وجهة نظر تقيم المقارنة بين الوضع في العراق وبولندا أو تشيكوسلوفاكيا أو رومانيا.

لقد فوجئنا بهذه الحملة وتملكت المرارة بنا وان كانت المفاجأة غير كاملة فنحن كنا نأمل بمرور الاشهر سوف يتلمس اصحاب القرار الأميركي الوقائع الملموسة ويتأكدون من عدم فاعلية الحملة بالنسبة للعراقيين . لقد كنا نأمل ان تتخذ السلطات الأميركية القرار الصائب بشأن علاقاتها مع العراق ، فمع الروابط الجيدة بامكاننا تفهم الخلافات بين وقت وآخر ، ولكن عندما تؤدي سياسة واعية جرى التخطيط لها الى تخفيض سعر النفط دون مبرر تجاري مقنع فهذا الامر يعني ان حربا من نوع آخر تُخاض ضد العراق.

ان الحرب العسكرية تقتل الشعب وتصفي دمه اما الحرب الاقتصادية فتؤدي الى حرمانه من حياة افضل . انتم تعرفون غزارة الدم الذي سال منا على امتداد سنوات الحرب مع ايران وبالرغم من ذلك لم نفتقد انسانيتنا . للعراقيين الحق في كرامة الحياة ونحن لانقبل المساس بالشرف العراقي وبحقوقنا في مستوى معيشة لائق . لقد تصدرت الكويت والامارات

العربية سياسة النيل من مكانة العراق السامية وحرمان الشعب العراقي من مستوى معيشته، وانتم على دراية بالعلاقات الجيدة التى كنا نقيمها مع الامارات. ولم تقف الامور عند هذا الحد لقد اغتنمت الكويت فرصة حربنا مع ايران كي توسع حدودها على حسابنا.

قد يتبادر الى ذهنك انني اضخم الأمور . يكفيني ان تلقي نظرة على وثيقة خط الدوريات العسكرية – وهو الخط الفاصل بين الكويت والعراق الذي تبنته الجامعة العربية عام ١٩٦١ . اذهبي بنفسك وعايني الوضع على الأرض سوف ترين الدوريات الكويتية والمزارع الكويتية والمنشآت النفطية الكويتية في أقرب مسافة يمكن تصورها من الخط المرسوم بهدف اعتبار تلك الأراضي كويتية فيما بعد.

منذ ١٩٦١ وبعكس الحكومة العراقية لم تتغير الحكومة الكويتية . لقد بقينا مستغرقين في مشاكلنا الداخلية لمدة عشرة أعوام بعد عام ١٩٦٨ [٣٠] : مشاكل شمالي العراق أولا [٣١] ثم حرب ١٩٧٣ [٣٢] وبقي الحال كذلك حتى تحول اهتمامنا الى الحرب مع ايران.

ما يثير الاستغراب ان الولايات المتحدة تنجح في تحقيق التفاهم على المصالح المشتركة مع الشعوب التي تعيش حالة من الرخاء والأمن الاقتصادي ولكن عندما يصل الأمر الى الشعوب الجائعة المحرومة تختفي تلك القدرة على التفاهم وتزول.

نحن لانقبل التهديد من أي كان ولا نهدد أحدا ونأمل بشدة الا تقع الولايات المتحدة الأميركية أسيرة الأوهام في هذا المجال وننصحها بالتفتيش عن أصدقاء جدد لها لا ان تزيد عدد أعدائها.

لقد قرأت تصريحات أميركية عديدة عن اصدقائها في المنطقة . من حق الجميع ان يختاروا أصدقاءهم ولا اعتراض لدينا على ذلك ولكنكم تعرفون جيدا انكم لستم الذين حميتم هؤلاء الاصدقاء خلال الحرب مع ايران . واستطيع التأكيد لكم ان الايرانيين في حال سيطروا على المنطقة لن تستطيعوا ايقافهم الا بالسلاح النووي.

ما اقوله لا يهدف الى النيل من مكانتكم وانما انا آخذ بعين الاعتبار العوامل الجغرافية وطبيعة المجتمع الأميركي التي ترفض التضحية بأكثر من عشرة آلاف قتيل في المعركة الواحدة.

---

٣٠ – سنة استيلاء حزب البعث على السلطة.

٣١ –الحرب ضد الأكراد.

٣٢ – الحرب العربية الاسرائيلية.

انتم لاتجهلون ان ايران قبلت بوقف اطلاق النار . ولم يحصل هذا القبول بعد قصف الولايات المتحدة لمنشأة نفطية ايرانية واحدة ، وانما حصل بعد تحرير الفاو . أهكذا يكافأ العراق لأنه ساهم في تأمين استقرار المنطقة وقام بحمايتها من مدٍّ لا مثيل له ؟ ثم ماذا يعني ايضا القول : سوف يحمي الأميركيون أصدقاءهم ؟ إنه في الحقيقة يعني موقفا عدائيا تجاه العراق وهو الذي شجع الكويت والامارات العربية على تجاهل حقوقنا بالإضافة الى المناورات والتصريحات التي ترددونها. اني أستطيع التأكيد لكم ان حقوقنا سوف تعود الينا كاملة غير منقوصة والواحد بعد الآخر وقد لا نصل اليها اليوم أو خلال شهر أو سنة وانما سوف ننجح بالتأكيد في نهاية الأمر . نحن لسنا شعبا يتخلى عن حقوق لا تملك الكويت والامارات مبرراً تاريخيا أو اقتصاديا أو شرعيا واحداً كي يحرمونا منها . وهم اذا كانوا متمسكين بها فنحن كذلك."

وبعد ان أكد إرادته في جعل الآخرين يحترمون حقوق العراق تابع على الفور:

"على الولايات المتحدة الأمريكية ان تصل الى تفهم اكبر للوضع وان تحدد بوضوح شديد من هم الأعداء بالنسبة اليها وما هي البلدان التي ترغب في الحفاظ على متانة علاقاتها معها . ولكن يجدر بها عدم زج كل بلد لا يتفق معها فيما يتعلق بالمشكلة العرية الاسرائيلية ، في خانة الأعداء .نحن نفهم مصلحة الولايات المتحدة في الحفاظ على تدفق النفط قائما ومستمرا . ونفهم كذلك ان تنسج اميركا علاقات ودية مع دول المنطقة على قاعدة المصالح المشتركة ولكننا لانفهم تشجيعها لبعض الفرقاء على أذية المصالح العراقية".

" ان الولايات المتحدة ترغب في إمدادات نفطية متواصلة ولهذه الرغبة تبريرات نأخذها بعين الاعتبار ولكن عليها الا تستخدم في سبيل ذلك طرقاً وأساليبَ تقوم هي نفسها بإدانتها في مناطق أخرى من العالم . عنيتُ بذلك ممارسة الضغوط وعرض العضلات.

اذا لجأتم الى الضغوط سوف نرد بضغوط مماثلة وسوف نظهر لكم قوتنا الحقيقية . انتم تستطيعون أذيتنا في حين لا تسمح قدرتنا بتهديدكم ولكنا نستطيع اذيتكم نحن ايضا والكل حسب الوسائل التي يملكها وحسب حجمه يستطيع ان يكيل الضربات للآخر واذا لم يكن باستطاعتنا القيام بانزال عسكري في بلدكم فإن العرب يستطيعون النيل منكم فردا فردا. "

هنا لم يعد صدام حسين يهتم للقواعد الدبلوماسية في الحوار فأضاف مهددا بالعمليات الارهابية: "تستطيعون المجئ الى العراق بواسطة الصواريخ والطائرات ولكن لاتدفعونا الى التخلي عن تملك انفسنا فنحن عندما نشعر بأنكم تسعون للنيل من كرامتنا والى حرمان العراقيين من تحسين مستوى معيشتهم سوف نترك لانفسنا العنان وسوف يكون الموت خيارنا

الأول والأخير . وتأكدوا ان الحذر والتحسب لن يكون واردا عندنا ولو وصل الأمر الى ١٠٠ صاروخ من قبلكم في وجه صاروخ واحد من قبلنا فبدون كرامة تفقد الحياة معناها وقيمتها. "

" ليس من المعقول الطلب من الشعب العراقي بذل التضحيات والدماء على امتداد الأعوام الثمانية الماضية كي نقول له الآن : عليك القبول بعدوان الكويت والامارات العربية والولايات المتحدة واسرائيل . نحن لا نضع مختلف هذه البلدان في سلة واحدة. فبالنسبة للكويت والامارات يحز في أنفسنا وجود خلافات معها وينبغي التفتيش عن حل لها في الإطار العربي وعبر العلاقات الثنائية المباشرة . نحن لا نضع الولايات المتحدة ايضا في خانة الأعداء.[٣٣] نحن نضعها في الموقع الذي نريده لاصدقائنا ونبذل الجهد كي نكون في عداد أصدقائها ولكن تصريحاتكم المتكررة تظهر جليا ان اميركا هي التي لا تريد صداقتنا . حسنا، للأميركيين حرية اختيار الاصدقاء."

" وفيما يتعلق بنا نحن عندما نفتش عن صداقة أحد انما نبحث عن الشرف والحرية وحق الاختيار. وكما نريد التعامل مع الآخر على مستوانا نتعامل مع الآخر على مستواه . نحن نأخذ مصالحنا ومصالح الآخرين بعين الاعتبار ونطلب من الغير مقابلتنا بالمثل . ماذا يعني استدعاء وزير الدفاع الصهيوني هذه الأيام الى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وما هو معنى التصريحات النارية لإسرائيل مؤخرا ؟ وماذا يعني تكاثر الحديث عن الحرب الى درجة لامثيل لها في السابق؟"

يبدو واضحا ان الرئيس صدام ما يزال مسكونا بهواجس ضرب مفاعل أوزيراك النووي . وهو لا يتردد من الإفصاح عن مخاوفه من ضربة اسرائيلية قريبة بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية في أغلب الظن.

" نحن لانريد الحرب لأننا نعرف مآسيها في الملموس وإنما لا تدفعونا لاعتبارها الحل الوحيد للعيش في كرامة وعلى مستوى معيشي لائق."

" نحن نعرف ان الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك السلاح النووي ولكننا اخذنا قرار العيش بكرامة أو الموت حتى آخر فرد فينا ولا يوجد في العالم بأجمعه شخص واحد لايتفهم شعورنا . نحن لانطلب منكم حل مشاكلنا . لقد قلت ان المشاكل العربية تحل بين العرب وإنما

---

٣٣ – يبدو ان الرئيس صدام نسي ما قاله في عمان وفي بغداد ضد الولايات المتحدة امام مختلف الرؤساء العرب مشعراً إياهم بأن العرب لا يحتاجون الى التواجد الأميركي في الخليج لحمايتهم . والأهم من ذلك انه نسي ان الولايات المتحدة الأميركية رصدت ما قاله بكل عناية ودقة وتصرفت حسبه تجاهه وتجاه العراق .

المطلوب منكم عدم تشجيع أحد على فعل يتعارض مع مكانته ولا أظن أحداً يُفوّت فرصة الصداقة مع العراق . وبرأيي لم يقترف الرئيس بوش أخطاء بحق العرب ، مع اعتقادي بخطأ تجميد الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد يكون اتخذ هذا القرار لتهدئة اللوبي الصهيوني أو قد يكون القرار ضمن استراتيجية ترمي الى استيعاب الغضب الصهيوني قبل إعادة الحوار من جديد مع منظمة التحرير .اتمنى ان يكون التحليل الأخير هو الصائب وبالرغم من ذلك نقول إنه قرار خاطئ."

" انتم تجزلون العطاء للمغتصب الاسرائيلي اقتصاديا وسياسيا وعسكريا وحتى اعلاميا . وعندما يأتي الوقت سوف تكتشفون خصال العرب دفعه واحدة . هل بإمكان البشرية الاعتماد على الحل الأميركي العادل الذي يضع في كفة واحدة ٢٠٠ مليون كائنا بشريا و٣ ملايين يهوديا في الكفة الأخرى؟" " نحن نريد الصداقة ولكننا لا نجري وراءها وسوف ندفع عدوان اي كان . اذا أرادوا الاضرار بنا سوف نقاوم . هذا هو حقنا . ولا يهمنا مصدر الاساءة ، اميركا ، الإمارات العربية ، الكويت أو اسرائيل . وإنما لا اضع جميع هذه الدول على الصعيد ذاته . فاسرائيل اغتصبت الأرض العربية بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية . ان الإمارات لا تؤيد اسرائيل. وعلى جميع الاحوال فهي من العرب ولكن إضعاف العراق يعني مساعدة العدو والعراق يملك حق الدفاع عن نفسه" .

في هذه المرحلة من اللقاء ، سوف يرتكز صدام حسين ، لتأكيد أقواله وإعطائها مصداقية ، على واقعتين سابقتين ينبغي لأميركا ، برأيه ، البحث فيهما و استخلاص العبر منهما:

"عام ١٩٧٤ التقيت "ادريس ابن الزعيم الكردي الملا مصطفى البرازاني . وكان يجلس على الكنبة التي تجلسين عليها الان . لقد طلب مني إرجاء تنفيذ استقلال كردستان العراقية حسب اتفاق آذار ١٩٧٠ . أجبته بأننا نصر على القيام بواجباتنا ويفترض به الحفاظ على كلمته . وشعرت بأن نوايا أدريس البرازاني من طبيعة عدوانية فقلت له : قدم إحتراماتي الى والدك وأبلغه ما يتوقعه صدام حسين من مسار للأمور . ثم أخذت أشرح له ميزان القوى بالأرقام . كما فعلت مع الايرانيين أثناء الحرب .

لقد انتهت مقابلتي له بالقول التالي :

إذا فرض القتال علينا فسوف ننتصر . أتعرف لماذا ؟ وقدمت له الاسباب جميعا وأضفت له سببا سياسيا : إن مصيركم . يتوقف على مصير خلافاتنا تجاه شاه إيران . إن مصدر خلافاتنا مع ايران هو مطالبة هذا البلد بنصف شط العرب . فإذا استطعنا الحفاظ على

وحدة الاراضي العراقية لن نقوم بتنازلات في هذا المجال . ولكن إذا كان علينا الاختيار بين نصف شط العرب ووحدة الاراضي العراقية الحالية ، سوف نتخلى عن شط العرب للحفاظ على العراق في حدوده التي نريدها . نحن نرجو ألا تصبوا الزيت في النار لئلا تجعلونا نتجه الى الخيار الثاني.

بعد هذه المقابلة تخلينا عن نصف شط العرب. ومات البرزاني ودفن خارج العراق وخسر حربه . "

هنا يتوجه صدام الى السفيرة الامريكية قائلا:

"نرجو ألا نصل في المستقبل الى خيارات متطرفة كهذه . إن المشكلة الوحيدة التي مازال مع إيران هي شط العرب . فإذا وجدنا أنفسنا في خيار بين كرامة العراق وشط العرب سوف نفاوض الايرانيين ونحن نتمتع بالانفتاح والحكمة نفسها التي أبديناها عام ١٩٧٥ . وكما أضاع البرزاني فرصة تاريخية سوف يفقد الاخرون فرصتهم كذلك . "

أخيرا أنهى صدام هذه المداخلة التاريخية الطويلة بقوله :

" أرجو أن يقرأ الرئيس بوش بنفسه ما قلته ولا يتركه يقع بين أيدي عصابة[٣٤] ما في دوائر الدولة وأستثني منها وزير الخارجية جيمس بايكر وجون كيلي الذي سبق وعرفته وقد تبادلت الأحديث معه "

ولأول مرة منذ بداية اللقاء نطقت السيدة غلاسبي :

أشكر سيدي الرئيس . من حسن حظ أي دبلوماسي أن يقابلكم ويجري الحديث معكم . فهمت رسالتكم تماما . لقد درسنا التاريخ في المدارس وعلمونا أن نقول نحن أيضا " الحرية أو الموت. "

أتصوركم تعرفون جيدا ان شعبنا خاض التجربة مع المستعمرين.

لقد أثرت سيدي الرئيس عددا من النقاط . ليس بإمكاني الحسم فيها بإسم حكومتي وإنما بإذنكم سوف أتعرض لنقطتين منها : لقد تكلمت عن الصداقة وأظن أن رئيسنا بوش وجه إليكم بمناسبة عيدكم الوطني " ...

---

٣٤ - في كتاب البزاز لم يورد كلمة " عصابة " حين اورد نص الحديث . ونلاحظ بقوة من جديد حرص الرئيس صدام على الحفاظ على علاقة جيدة مع بعض السياسيين الأميركيين مثل بيكر وكيلي . ونلاحظ أخيرا كيف تمنى الرئيس العراقي على السفيرة ان يقرأ الرئيس بوش ما يقوله لها . وهذا يشير الى وجود تسجيل رسمي لما دار من حديث . اما في تعليقات سالنجر التي تعمدنا ايرادها فقد لفت نظرنا الجملة التي تقول : "..في حركة ترمي الى اثارة الاعجاب.." فنجد قرينة الى تسجيل مصور للقاء .

قاطعها صدام بالقول .

" إن رسالته كانت ودية وقد تطابقت تحياته مع تقديرنا وتحياتنا الخاصة . "

أضافت غلاسبي :

" كما تعلمون قد أعطي التعليمات الى الادارة الامريكية برفض اقتراح العقوبات الاقتصادية ضد العراق ."

فعلق الرئيس صدام :

" ولكن لم يعد بإمكاننا شراء شيء من أمريكا . فقط القمح . وفي كل مرة نقدم طلبا يواجهوننا بالرفض والامتناع . وأخشى أن تقولي لي : عليك تصنيع بارود المدافع بواسطة القمح !"

" عندي تعليمات شخصية من الرئيس بضرورة التفتيش عن أفضل العلاقات مع العراق."

" نعم ولكن كيف ؟ نحن أيضا نشاطره تلك الرغبة . ولكن على الدوام تحصل أشياء تعاندها."

" كلما كثفنا من حواراتنا تضعف المعاندة وتصبح الرغبة حقيقة ملموسة . لقد أشرت الى تقرير الوكالة الامريكية للإعلام ولقد قدمت لكم اعتذارات واضحة ".

مال صدام اليها في حركة ترمي الى إثارة الإعجاب:

" إن ملاحظتك دقيقة . نحن العرب عندما نواجه شخصا يعترف ويقول : – إنني في غاية الأسف ، لقد أخطأت – نكتفي منه بذلك . ولكن حملة وسائل الاعلام مازالت مستمرة . وتتعدد الحكايات حولنا ولو كانت تلك الحكايات صحيحة لما أشتكى أحد . ونحن نستنتج مما نلاحظه من إصرار إعلامي ، وجود رغبة وسياسة وإرادة لتشويه صورتنا ."

" لقد شاهدت بنفسي برنامج ديان سواير على قناة أي بي سي . انه رديء ويفتقر الى الموضوعية . إنها معاناة الجميع مع وسائل الاعلام الامريكية وحتى السياسيين الامريكيين انفسهم . إنها وسائل الاعلام الغربي . وأنا أشعر بالسعادة أنكم تضمون صوتكم الى أصوات الدبلوماسيين الذين يواجهون وسائل الاعلام بشجاعة . إن ظهوركم ولو لدقائق قليلة في وسائل الاعلام يساعدنا على ايصال الموقف العراقي الى الشعب الامريكي مما يؤدي الى تحسين التفاهم المتبادل . ولو كان الرئيس الامريكي يملك رقابة على الاعلام لهان الامر عليه الى درجة كبيرة . لا أقول فقط ان الرئيس بوش يرغب في أفضل العلاقات وأوسعها مع العراق ، وإنما يريد مساهمتكم أيضا في ازدهار الشرق الاوسط وسلامه . إن الرئيس بوش رجل ذكي

ولن يذهب الى حد إعلان الحرب الاقتصادية على العراق."(السفيرة غلاسبي تعطي هنا الضوء الاخضر لصدام حسين) [تعليق من سالنجر] .

" الحق معكم ، نحن لا نريد ، كما أشرتم ، اسعاراً أكثر ارتفاعا للبترول ولكن ، في المقابل ، أنا أدعوكم الى البحث في امكانية تخفيض سقف السعر الذي تطالبون به . "

بدا الرئيس العراقي مستعداً للتجاوب :

" نحن لا نريد أسعاراً مرتفعة أكثر من اللازم . أذكرك بأنني انا الذي أوحيت الى طارق عزيز بفكرة المقال الذي ينتقد فيه سياسة الاسعارالعالية . وكان هذا أول مقال عربي يعبر عن وجة النظر هذه ".

هنا أخذ طارق عزيز دوره في الكلام لأول مرة :

" إن سياستنا في الأيوبيك تعارض التغيرات الفجائية في سعر النفط."

صدام حسين :

" ٢٥ دولاراً للبرميل الواحد ليس سعراً مرتفعا. "

السفيرة:

" العديد من الامريكيين في مناطقنا النفطية يرغبون بأكثر من هذا الرقم ! "(ضوء أخضر آخر : يمكن لصدام حسين الظن بأن السفيرة ، وعبرها الرئيس بوش ، يوافقان على مطلب العراق برفع سعر البترول .[تعليق سالنجر]

صدام حسين:

" - في وقت من الاوقات انخفض السعر الى ١٢ دولار للبرميل . إن خسارة ٦-٧ دولارات تعتبر كارثة بالنسبة للموازنة العراقية المتواضعة . "

السفيرة:

"- إنني أفهم هذا الامر دون صعوبة . لقد عشت هنا سنوات عدة وكلي إعجاب بجهودكم الاستثنائية لبناء بلدكم . أعرف أنكم بحاجة للرساميل . نحن نفهم ونوافق على اتاحة الامكانية امامكم لإعادة إعمار العراق . ولكننا لا نملك آراء محددة فيما يتعلق بالصراعات العربية - ، مثل نزاعكم الحدودي مع الكويت ، لقد كنت فيها نهاية الستينات وكانت تعليماتي تقضي بعدم ابداء الرأي في هذه القضية التي لا تهمنا كأميركيين ، لقد اعطى جيمس بيكر امرا الى الناطق الرسمي عندنا لاعادة تأكيد هذه التعليمات ، نحن نأمل أن تسووا القضية بالوسائل الصالحة عن طريق القليبي أو حسني مبارك رئيس مصر ، وكل ما نرجوه هوالوصول الى حلول

سريعة ، وبالمناسبة ، هل استطيع لفت انتباهكم الى المخاوف التي تراودنا فيما يتعلق بهذا الموضوع ؟ "

(ضوء اخضر آخر : الخلافات الحدودية بين العراق والكويت ليست قضيتنا) .[تعليق سالنجر]

" حقيقة القول ، نحن نلاحظ انكم حركتم قوات ضخمة في الجنوب ، ومن الطبيعي الا يعنينا الامر بحد ذاته ، ولكن ، عندما يحصل في الاطار الذي رسمتموه بأنفسكم في عيدكم الوطني ، كذلك الامر عندما نأخذ بعين الاعتبار وجهة النظر العراقية في اعتبار ما تقوم به الكويت والامارات من طبيعة عسكرية ، لابد وأن نشعر اننا معنيون بالوضع ، وبالنتيجة لقد تلقيت تعليمات بأن اطلب منكم بكل صداقة وود اعلان نواياكم. انني اعبر لكم ببساطة عن قلق حكومتي ، وانا اعرف أن الوضع ليس سهلا وقد يكون ابداء الاهتمام هو الاسهل بالتأكيد ."

الرئيس صدام :

"نحن لا نطلب من الناس الا يشعروا بالتزاماتهم عندما يكون السلام على المحك ، وهذا شعور نبيل نتشاطره جميعا ، ومن الطبيعي أن تشعر قوة كبرى بأنها معنية ، وانما نحن نطلب منكم الا تعبروا عن انشغالكم بشكل يجعل المعتدي يظن بامكانية الحصول على دعمكم ومساندتكم ، نحن نريد ايجاد حل عادل يعترف بحقوقنا دون سلب الاخرين حقوقهم ، وفي الوقت نفسه نريد أن يعلموا حدود صبرنا الذي بدأ ينفذ تجاه افعالهم التي تصيب حليب اطفالنا وما يقوم بأود اراملنا وايتامنا، نحن لنا الحق ، كدولة، في الازدهار لقد خسرنا فرصا كثيرة، بسبب الحرب ، وعلى الآخرين ان يقدروا دورنا في حمايتهم حق قدره ."

اشار صدام الى المترجم وقال :

" حتى العراقي هذا يشعر بالمرارة كإخوانه تجاه الوضع ، نحن لسنا المعتدين ولا نقبل العدوان ايضا ، لقد اوفدنا مبعوثين ورسائل مكتوبة ، حاولنا كل شيء ، طلبنا من خادم الحرمين الشريفين ان يرتب لقاء قمة رباعيا ولكنه اقترح اجتماعا لوزراء البترول ، قبلنا الاقتراح كما تعلمين وحصل الاجتماع في جدة وتوصل الى مقررات قبلناها وهي لا تعبر عن مطالبنا . ولم يكد يمضي يومان على الاجتماع حتى ادلى وزير النفط الكويتي بتصريح يتعارض مع نصوص الاتفاق . لقد عرضت القضية كذلك اثناء قمة بغداد ، وقلت للملوك والرؤساء العرب إن البعض منهم يخوض حربا اقتصادية ضدنا ، وإن الحروب لا تعتمد الاسلحة بالضرورة ولا تفقد طابعها العسكري، لان القدرة العسكرية لجيشنا تكون قد ضعفت ، فإذا عادت ايران الى استئناف المعارك يمكن لهذا البلد أن يحقق غاياته ، واذا خفضنا من

درجة دفاعاتنا يمكن لاسرائيل مهاجمتنا ، قلت كل ذلك امام الملوك والرؤساء العرب وحاولت الا اذكر الكويت والامارات صراحة ، لانهما كانا ضيفين علينا ، قبل ذلك كنت قد وجهت اليهما مبعوثين لتذكيرهما بأن حربنا ضد ايران ساهمت في الدفاع عنهم ، وبالنتيجة فإن المساعدة التي قدموها لنا لا يمكن اعتبارها ديونا بأي حال من الاحوال ، نحن نجرب اساليب التعقل بأكثر مما يمكن للولايات المتحدة أن تجربه في وجه المعتدي على مصالحها ؟ ."

" لقد طرحت الموضوع مع الدول العربية الاخرى . شرحت الوضع لاخي الملك فهد مرات عدة بواسطة موفدين وعلى الهاتف، تكلمت مع اخي الملك حسين ومع الشيخ زايد، وعند نهاية القمة قال لي الاخير وانا ارافقه على الطائرة عند عودته الى بلاده من مطار الموصل "انتظر عودتي" ولكنه لم يكد يصل الى بلده حتى صدرت التصريحات التي تنذر بالشؤم ، وهي لم تصدر عنه شخصيا وانما على لسان وزير نفطه . وبعد اتفاق جدة وصلتنا ايضا تقارير تفيد بأن التزامهم به لن يتعدى شهرين يعودون بعدها الى تغيير سياستهم ، قولي لي : ماذا يفعل الرئيس بوش مكاني ؟ يصعب علي طرح هذه الامور في العلن ، وانما من واجبي وضع الشعب العراقي الذي يتحمل المخاطر الاقتصادية على بينة بالمسؤول عن تلك المخاطر ".

بمواجهة هذا الكلام فضلت غلاسبي تغيير الموضوع .

" لقد امضيت اربعة ايام رائعة في مصر ."

اجاب صدام :

" الشعب المصري منفتح ، طيب وعريق ، يُفترض بدول النفط أن تساعده ولكنهم يدعون المسكنه ، من المحزن الاعتراف بواقعِ كرهِ اكثريةِ العربِ لاقليةٍ منهم تتصف بالبخل الشديد ."

السفيرة :

"من المغني والمفيد أن تعطونا رأيكم فيما يتعلق بالجهود التي يبذلها اخوانكم العرب، هل وصلت الى نتيجة محددة ؟ "

الرئيس :

" نحن نتفق مع الرئيس مبارك على ترتيب لقاء في السعودية بين رئيس الوزراء الكويتي ورئيس مجلسنا الاعلى لقيادة الثورة ، نحن نوافق لان السعوديين نسجوا معنا ، بمساعدة حسني مبارك ، علاقات حسنة ، إن مبارك اتصل بي للتو وأخبرني أن الكويتيين قبلوا الاقتراح ."

السفيرة :

" تهاني سيدي الرئيس. "

الرئيس :

" سوف يعقد اجتماع بروتوكول في العربية السعودية ، ثم ينتقل الجميع الى بغداد لاجراء مباحثات معمقة بين الكويت والعراق ، ونأمل أن يؤدي الاجتماع الى نتيجة ، كما نأمل بأن ينتصر بعد النظر والمصالح الراسخة على البخل الكويتي الشديد ."

السفيرة :

" هل استطيع الاستعلام عن موعد وصول الشيخ سعد الى بغداد ؟ "

الرئيس :

" أظن انه سوف يصل السبت أو الاثنين في ٢٨ او ٣٠ تموز/يوليو. لقد قلت لاخي مبارك بوجوب حصول الاتفاق يوم السبت أو الاحد ، انت لا تجهلين أن زيارات اخي مبارك كانت فأل خير على الدوام ."

السفيرة :

" هذا خبر جيد ، تهاني ."

لم يعد صدام حسين بحاجة الى اخفاء لعبته :

" أبلغني اخي مبارك انهم في حالة من الخوف الشديد . لقد قالوا إن الفرق العسكرية العراقية هي على مسافة ٢٠ كم فقط من خط الجامعة العربية . بدوري ، اكدت للرئيس المصري انه مهما كانت طبيعة القوى العسكرية الموجودة : فرق عسكرية ، قوى امن ، حرس حدود ، ومهما كان عددها ومهامها ، فبإمكانه التأكيد للكويتيين بأنها لن تقوم بأي عمل ولن تتحرك حتى نقابلهم ونجتمع معهم ، وعندما يحصل الاجتماع سوف نرى ، فإذا لاحظنا وجود الامل لن يحصل شيء ، أما اذا لم نستطع ايجاد حل فمن الطبيعي الا يقبل العراق بالموت ، حتى ولو كانت الحكمة هي التي ينبغي ان تسود على اي اعتبار آخر .

فقالت غلاسبي : " هذه هي اخبار جيدة ."

قال طارق عزيز والدهشة تعتريه :

" انتم تملكون سبقا صحفيا ."

وصلت المقابلة الى نهايتها ولم يبق في ذهن ابريل غلاسبي سوى تلك النتيجة المتفائلة ، فبدت وكأنها نسيت التهديدات والانذارات التي طبعت كلام الرئيس صدام منذ بداية اللقاء ، فاستأذنت وهي تحاول التأكيد على وصول الرسالة الى صاحبها :

" اخطط للذهاب الى واشنطن يوم الاثنين (٣٠ تموز) وأرجو لقاء الرئيس بوش الاسبوع القادم." – يوم ٢٦ تموز انتهى ٣٠ الف جندي عراقي من التمركز على الحدود الكويتية .

في ٢٧ تموز ، نقلت وكالة الاستخبارات الأميركية الى البيت الابيض صورا جوية تظهر تجمعات كثيفة من الرجال والعتاد ، ابلغت واشنطن الامر في الحال للكويت ، مصر ، العربية السعودية ، فأجمعت الردود العربية على استبعاد احتمال الغزو العسكري واوحت بإمكانية "ابتزاز عراقي" للحصول على جزيرتين كويتيتين واقعتين في الخليج بالاضافة الى حقل بترولي متنازع عليه ، وقد وافقت وزارة الخارجية الأميركية ومجلس الأمن القومي التابع للبيت الابيض على تلك التحليلات والتوقعات .

في ٢٨ تموز اخذت تقارير وكالة الاستخبارات المركزية تصبح اكثر دقة واكثر ايحاء بالخطر ، لقد أنشأ صدام خطوط امداد واسعة لفرقه العسكرية على الحدود ، وتمت ملاحظة حركة كثيفة من الشاحنات تؤمن دعما لوجستيا كبيرا ، وكان مدير وكالة الاستخبارات المركزية وليام وبستر ، عندما يلقي نظرة على الصور الجوية يزداد قناعة بأن وضعا لوجستيا كهذا الوضع ليس ضروريا اذا كانت العملية تقتصر على الترهيب وممارسة الضغوط العسكرية المعنوية ."

مناقشة صحة الحديث

لقد لاحظنا وجود اختلافات غير جوهرية بين المصدر الأميركي والعراقي لنص الحديث تعود في رأينا الى اسلوب المترجم الذي ترجم الحديث في العراق وأسلوب قرينه الذي ترجمه من الانكليزية الى العربية. وسوف ننتقل بعد قليل الى تحليل ومناقشة نص الحديث إلا أننا نتعرض قبل ذلك الى الطعن الذي وجهته السفيرة الأميركية الى مضمون الحديث واصفة اياه بأنه مشوّه من قبل العراق. لكن ذلك الطعن كاذب حتما مثلما كذبت السفيرة خلال ساعة الاستجواب أمام الكونغرس. فالتطابق بين النص الأميركي من سالنجر والنص العراقي أوضح من أن يحتمل الشك. ولكننا على كل حال نُخفض من وزن هذه الحجة استناداً الى الأقوال التي تؤكد ان العراق هو الذي سرب المحضر وليس واشنطن . ولكن هناك مؤشرات اخرى تثبت كذب ادعاء غلاسبي .فقد اعترضت عدة مراجع أميركية من داخل الكونغرس ومن خارجه على طعن السفيرة مبينة أن النصوص التي ارسلتها هي من بغداد الى واشنطن عن الحديث المتبادل مع الرئيس صدام لم تشمل أية تهديدات للعراق كما

تدعي إنما اقتصرت على النصوص الودية بشكل مطابق لما ورد لدى سالنجر. ويتعرض رامزي كلارك الى صحة النص ويثبت كذب السفيرة فيكتب :

" كانت غلاسبي تعبر عن سياسة رسمية. وفي ٢٤ تموز كانت قد تلقت برقية من الخارجية الأميركية توجهها بوضوح الى اعادة تأكيد أن الولايات المتحدة "لاموقف لها" في النزاعات العربية- العربية. وبعد الحرب وفي ٢١ آذار ١٩٩١ نفت غلاسبي هذا المقطع من اجتماعها مع صدام حسين وشهدت امام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ أنها قد حذرت صدام مرارا بأن الولايات المتحدة لن تتساهل إزاء استخدام العراق للقوة في تسوية نزاعه مع الكويت. وقالت أنه لابد أن صدام حسين كان "غبيا" في فهمه للكيفية التي سترد بها الولايات المتحدة. ولكن في تموز ١٩٩١ حصل مجلس الشيوخ على برقيات غلاسبي التي بعثت بها الى وزارة الخارجية وقصة اجتماعها بصدام. وظهر من البرقيات أن شهادتها أمام مجلس الشيوخ كانت مفبركة الى حد كبير، وأن النص العراقي للاجتماع هو الصحيح. وفي ١٢ تموز ١٩٩١، كتب رئيس لجنة العلاقات الخارجية السناتور كليبورن بيل رسالة غاضبة الى وزير الخارجية جيمس بيكر مطالبا بتفسير للتناقض بين شهادة غلاسبي وبرقياتها. واتهم السناتور آلان كرانستون غلاسبي بتعمد تضليل الكونغرس حول دورها في حرب الخليج."[٣٥]

ويتحدث عن هذا المضوع غروبارد فيقول :" ان الأخطاء المنسوبة الى السفيرة غلاسبي ذات النية الحسنة .. لم تكن هي التي ارتكبتها ، ولكن ذلك تم على اعلى المستويات ..." ويتابع جروبارد : " كشفت الأحداث عن الكذب وقلة الأمانة في عرض الرسائل الدبلوماسية والنواحي الادارية لوضع تبعة الأخطاء التي ارتكبتها الادارة والقائها على السفيرة غلاسبي واظهار الأمر على انها ارتكبت الأخطاء بمفردها."[٣٦]

ونورد ايضاً في هذا الصدد تحليلاً له صفة الوثائقية الدقيقة بقلم لسلي هـ. جيلب نشرته صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ ١٩٩١/٧/١٧ مقتبسين منه المقطع الأساسي التالي :

" حين صعّد صدام حسين تهديداته الى الكويت كلفت وزارة الخارجية [الأميركية] السيدة غلاسبي بتسليمه تحذيرات غير مباشرة ولكنها شديدة الوضوح . ولكن غلاسبي حذفت تلك التحذيرات كما هو واضح واكتفت " بالتمسح " بصدام حسين في اثناء تكراره لتهديداته الى الكويت حين تقابل معها في ٢٥ آب/اغسطس . وفي ٢٨ آب/اغسطس ارسل الرئيس

---

[٣٥] - رامزي كلارك صفحة ٣٧

[٣٦] - جروبارد صفحة ١١١

بوش جواباً الى صدام يتصف بذات المنحى الضعيف الذي اتبعته غلاسبي .. بل وانه من المستغرب ان لم يأت على ذكر الـ ١٠٠٠٠٠ جندي عراقي المتمركزة على الحدود .

كل ذلك اصبح الآن معلوماً بعد ان وجدت لجنة العلاقات الخارجية اخيراً البرقيات التي جرى البحث عنها طويلاً .[البرقيات التي ارسلتهاغلاسبي الى وزارة الخارجية من بغداد قبل ان تغادرها] ولقد اوجب هذا الجدل وهذه المواجهة حول مضمون هذه البرقيات ان العراق نشر مضمون الحديث بين صدام وغلاسبي في الخريف الماضي . وما نشره العراق خال من اي تحذيرات . ولكن لما دُعيت غلاسبي امام اللجنة للتوضيح انكرت دقة ما نشره العراق واكدت انها اتخذت موقفاً فيه قسوة في حديثها الى صدام . ..ولكن اعضاء اللجنة يجدون صعوبة في تصديق ما تقوله هي . فمضمون برقيتها [عن لقائها مع صدام] الى وزارة الخارجية مطابق (**identical**) في الحقيقة لما نشره العراق . ولم يحدث ابدا ان اشارت السفيرة الى اي نقص في مضمون برقيتها الى وزارة الخارجية ." وتتابع الدراسة قائلة : " ان السيدة غلاسبي تستحق زجراً عنيفاً بسبب برقيتها المضللة . ولكن الأهم هو قصة برقيتها الأخرى . فبتاريخ ١٩ تموز/اغسطس طلبت وزارة الخارجية من غلاسبي ان تؤكد للعراق صداقة الولايات المتحدة له ، ولكن عليها ان تضيف الى ذلك بأن الولايات المتحدة حريصة على ضمان تدفق البترول ."

من هذا النص نستنتج مجدداً أمرين، بل ثلاثة امور: الأول هو ان المصدر الأصلي لمحضر اللقاء هو بغداد التي لا بد انها هي التي سربته الى الاعلام الأميركي ، فانتشر بعدها الى انحاء العالم . وهذا يتطابق مع تأكيدات السيد سعد البزاز ، مما سوف نتعرض له ايضاً . والثاني هو ان " المحضر/البرقية الذي ارسلته غلاسبي الى واشنطن غير ناقص ! فإن لم يكن ناقصاً فهي لم تتبس بأي كلمة فيها معنى التحذير . وبما انها لم تُحذر فإنها ساهمت عن عمد في اخضرار الضوء المعطى الى العراق . اما الثالث فهو التأكيد الذي وجهه بوش الى صدام على مشاعر الصداقة ومع الاشارة الى الحرص على تدفق النفط . اذن فهذه هي اولويات بوش . ولا يهمه ما يحصل خلافا لذلك ما دام النفط يسيل. وهذا يدلل على " زحلقة " العراق الى حيث تريد له السياسة الأميركية ان يكون .

يرى البزاز انه لا يجوز اعتبار كلام السفيرة الى الرئيس صدام رسالة موجهة من الرئيس بوش طالما انها دُعيت الى هذا اللقاء لتستمع ولم تكن تعرف انها مقبلة على لقاء الرئيس، ولم تحصل على تعليمات من واشنطن للتصرف في لقاء من هذا المستوى. ولكن هل يجوز هذا التعميم على هذا الظرف الخاص وفي تلك الفترة الحرجة حيث تشابكت المواقف ؟

فالسفيرة دُعيت حقاً الى هذا اللقاء ولكنها كانت قد طلبت من لدنها قبل يومين الالتقاء بالخارجية العراقية لتوصل الى المسؤولين كلاماً من رؤسائها . وكانت غاطسة من الرأس حتى أخمص القدمين في الحيثيات الخطرة لتلك الأيام العصيبة ، وهي على اوثق اطلاع بوجهة نظر حكومتها فيما يحدث . وفي نهاية تحليلنا لحديثها سوف نثبت انها هي التي وجهت سير الحديث في اهم نقاطه وأخطرها على الاطلاق ، وهي التي وضعت الرئيس صدام حيث هي تريد .

اذن فنحن نستطيع الانطلاق من ان النص الذي ورد في المحضر صحيح .

تحليل الحديث

تحدث الرئيس صدام الى السفيرة حديث الواثق من نفسه والذي يعرف ما يريد. وأشعرها بأن علاقة الود بين الولايات المتحدة والعراق أخذت بالفتور بل بالانقلاب الى عكسها منذ معركة الفاو مع ايران. وأصبح الموقف بالنسبة للعراق كموقف العاشق المتيم الذي يبذل نفسه ولكنه لا يلقى من محبوبه سوى الصدّ والجفاء . وأكد الرئيس على ان العراق ما زال يفضل استمرار الودّ ونموه منوهاً الى ان من يصادق العراق لن يخسر ومُعربا عن استعداده لتقديم الخدمات التي تحتاج اليها الولايات المتحدة في المنطقة دون ان يعرض نفسه رخيصاً إنما فعل ذلك من منطلق القوة والبأس. ثم وجه الرئيس الى الولايات المتحدة لوما لطيفا بمعيار من لا "يصفق" الباب في وجه مفاوضه على دعمها لتشدد الكويت والامارات تجاه مطالب العراق وأعرب عن معرفته بأن الولايات المتحدة تشد بأزرهما لتؤذي العراق. وبيّن الرئيس كيف أن إلحاق الأذى الاقتصادي بالعراق يساوي ويوازي العدوان العسكري مما سوف يدفع العراق الى الاسلوب المناسب للدفاع عن نفسه. وإن دعمت اميركا الكويت والامارات، حسب اعلانها بأنها ستدعم اصدقاءها، قاوم العراق ذلك بقدر حجمه. وهدد الرئيس صدام بتنفيذ عمليات ارهابية داخل الولايات المتحدة الأميركية.

يدلنا المنطق والانسياب في حديث الرئيس صدام على تمكنه من بعض جوانب الدبلوماسية الدولية.وإن شئنا الموضوعية، ولأننا لانكتب من أجل إدانة قائد ولا من اجل مجاملته لاضطررنا الاعتراف بأنه رجل دولة رفع من شأن العراق ولكنه ألقاه في الكارثة من خلال قرارات خاطئة سنعالجها في مكانها المناسب. ولم نجد في حديثه مع السفيرة من مظاهر السلبية سوى تنويهه عن مقدرة العراق في تنفيذ عمليات ارهابية. لاشك في أنه قصد من حديثه اشعار الولايات المتحدة باستعداده لمنحها كل ماتريد بسخاء وبطواعية لاتختلف في نتائجها عما يقدمه اليها حكام الخليج ... فإذا دعم "سخاءه" بالتنويه بالتهديد فلابد ان الولايات

المتحدة ستختار حتما التجاوب مع عرض العراق. ولم يخطر في بال الرئيس ان اهداف الولايات المتحدة اعمق وابعد بكثير من ان تقتصر على الحصول على البترول. ولقد استفادت الولايات المتحدة من تهديد العراق بالارهاب في تأليب العالم عليه لان كل دول العالم شديدة الحساسية ضد اعمال الارهاب مع العلم ان الارهاب لم يكن ليثني دولة مثل الولايات المتحدة عن متابعة تنفيذ مخططاتها حتى النهاية.

ومن نص حديث الرئيس نعرف اذن أنه كان على علم كيف ان الولايات المتحدة كانت تدفع الكويت والامارات الى تدابير عدوانية!.. فكيف يأمن لهذه الازدواجية ؟. لقد كان عليه الاعتصام بالشك والحذر تجاه ظاهرة الازدواجية الاميريكية وكان عليه ايضا ان يضيف الى عوامل الشك في صدق السياسة الأميركية تجاهه انها سياسة لايمكن لها ان تفضل التعامل مع رجل قوي واحد يتولى تنظيم منح الولايات المتحدة كل ماتريد من بترول المنطقة عن تعاملها مع عدد من الحكام الذين يتأثرون بالضغط اكثر بكثير مما يمكن فعله مع رجل قوي واحد . بل إن استمرار تجزئة الخليج الى اكثر من كيان سوف يمكن واشنطن من تحريك سياساتهم بحيث تتعادى او تتفاضل لتبقى ارادة المصالح الاميريكية فوق الجميع بينما لن يكون ذلك سهلا تجاه رجل قوي واحد.

ونعرف من حديث الرئيس صدام ايضا بشكل قاطع ان هجومه على الكويت لم يكن دون سابق انذار انما على العكس . ولقد بين ذلك بوضوح لايقبل الشك. وبما ان ممثلة الولايات المتحدة سمعت الانذار واستمرت في "عذوبتها "، وبما ان واشنطن استمرت ايضاً في السير على الخط "العذب" بعد ان وصلها نص الحديث الذي يحوي الانذار بالعمليات العسكرية ،نجد ان الرئيس صدام قد استنتج بالضرورة ان اميركا وافقت على التعايش مع احتلاله للكويت.

أما تعليقنا على جواب السفيرة فسوف نعرضه بعد ان نستشهد بجملة جاءت في مذكرات الجنرال شوارزكوف تحدد فيها السفيرة غلاسبي رأيها في نظام الحكم في العراق وفي شخص الرئيس صدام حسين بالذات. فخلال اجتماعها بالجنرال في اكتوبر عام ١٩٨٨ "وصفت نظام الحكم العراقي بأنه نظام قمعي فظيع يحرمها من حرية الحركة إلا انه بلد أقوى من ان تهمله الولايات المتحدة فذلك كمن ينكر وجود السرطان" [٣٧] نعم ! لقد وازت السفيرة

---

[٣٧] - شوارزكوف صفحة ٨٧

غلاسبي بين الرئيس العراقي والسرطان ونعتته في مجال آخر بالسفاح اوالمتوحش[٣٨] ورغم ذلك منحته في حديثها كل العذوبة التي يمكن للدبلوماسية أن تسمح بها ، ولم يبق إلا أن تهبه فوق كل ذلك انوثتها. فأين رأيها الفاحم هذا و قناعتها الحاقدة عن العراق وحاكمه من فيض الود المعسول الذي انساب على لسانها في حديثها مع الرئيس صدام؟. نحن نتفهم طبعا ألا يعلن سفير دولة كراهيته العمياء تجاه رئيس الدولة التي ينشط فيها مراعاة لآداب الدبلوماسية ولضرورتها. ولكن أن تنبطح السفيرة في لطفها الى هذا الحد أو أن تتفادى مجردَ "النفخ" خشيةَ أن تجرحَ نسمةُ نفختِها كبرياءَ محدِّثها فهو أمر غير طبيعي وملفت للنظر ويدل على أشد أنواع الخبث والمكر. ونلاحظ أن حديثها لم يشمل جملة واحدة تنم عن رد فعل أميركي سلبي تجاه أي نشاط عراقي ضد الكويت بالرغم من أن تدافع الحشود العراقية وتمركز فرقه ومدرعاته وصلت الى أبعاد لاتبقي مجالا للشك في نية العراق المبيتة على غزو الكويت إن لم يحصل على مطاليبه في مؤتمر جدة الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

من المعروف خلال كل حقبات التاريخ أن موقفا مثل موقف العراق الذي نتحدث عنه كان يتطلب من الولايات المتحدة ومن سفيرتها في بغداد اطلاق جملة واحدة حازمة دون زيادة أو نقصان ومفادها: " إن أي اعتداء على الكويت يشكل اعتداء على مصالح الولايات المتحدة وسوف يؤدي الى رد فعل أميركي يتناسب مع العدوان الواقع على مصالحها." ونحن نرى جازمين بأن الرئيس صدام ما كان ليغامر بغزو الكويت وما كانت حرب الخليج لتقوم لو صدرت هذه الجملة عن السفيرة غلاسبي أو عن أي مسؤول سياسي أميركي من واشنطن . وبدلا من هذه الجملة التي لاتحتاج واشنطن لدى اعلانها الى أية اتفاقات او احلاف أو تواقيع أو التزامات مسبقة مع دولة الكويت، نجد السفيرة تنافق الرئيس صدام وتطنب في سعادتها وكأنها طفلة صغيرة أن استقبلها وتحدث اليها فتجيبه بأدب جمّ وتحدثه عن "التوازي" والتشابه بين دولته ودولتها، وكأنما التوازي يُشعر الرئيس صدام بالتساوي بين العراق واميركا ، وتؤكد لهُ وصول تعليمات من الرئيس بوش اليها تطلب منها العمل على تعميق وتوسيع العلاقات مع العراق وبمطالبته بأن يسهم في الاحداث التاريخية للشرق الاوسط. أي أن عليه أن يفعل شيئا!.. ولم يبق في حديثها سوى أن تقول له : " اهجم وخلصنا بأسرع ما تستطيع".

---

٣٨ - يقول ودورد :" كانت غلاسبي ، وعمرها ٤٨ عاماً والتي كانت تشغل منصب سفيرة منذ عام ١٩٨٨ لا تثق بصدام. وكانت قد قالت لزملائها بأنها ستضع " الوحش " عند حده . صفحة ٢١١ انكليزي . صفحة ١٤٤ ترجمة برهوم وصفحة ١٧٧ ترجمة جولاق/عابد التعيسة التي حذفت كلمة " وحش " والكلمة تعني ايضاً : سفاح وخنزير .(**Thug**)

نحن نرى أن حديث السفيرة لم يؤد الى التباس وحيرة لدى الرئيس صدام كما يحلو لبعض الكتاب أن يقولوا إنما دفعه دفعا "ليتصرف". فها هي أميركا تسعى الى صداقته وتخطب وده ، وهاهي السفيرة تطلب منه أن يظهر في برنامج تلفزيوني أميركي ليتحدث عن العراق وعن سياسته الى الشعب الأميركي المتلهف لسماع الرئيس صدام ومشاهدة صورته" من أجل تصحيح الصورة عن العراق ، وهاهي تقرن مطالبتها له وللعراق بالاسهام الفاعل في احداث الشرق الاوسط مع طمأنته بأن الرئيس بوش لن يعلن أية حرب اقتصادية على العراق حتى ولو زاد سعر برميل البترول عن ٢٥ دولار. ثم هاهي تبدي اعجابها بمنجزات العراق وتبدي تفهما لحاجة العراق الى المزيد من المال لمتابعة الانجازات الكبيرة وتطلب من عرب البترول دعم برنامج التنمية العراقي بالمال وبذلك تعطيه الحق في مطالباته لهم. ولاتنسى السفيرة أن تؤكد على أن الخلاف الحدودي بين العراق والكويت لم يكن من شأن الولايات المتحدة سابقا ولايعنيها الآن. وتطلب منه أخيرا أن يتمكن من حل هذا الأمر بسرعة وبأية طريقة مناسبة دون أن تحدد الكيفية المقبولة، ودون تحديد أمثلة ودون أن تحذر من استخدام القوة ودون أن تتحدث ولو بكلمة واحدة عن المصالح التي تحرص عليها الولايات المتحدة والتي قد يؤدي المساس بها الى رد فعل جادّ.

ولما وصلت السفيرة الى ذكر الحشود العراقية على حدود الكويت سألت الرئيس صدام "بروح الصداقة وليس بروح المواجهة" عن نواياه وأكدت له أن قلق حكومتها تجاه تلك الحشود إنما هو مجرد قلق بسيط !.. فماذا نسمي تلك الليونة والرقة المتناهيتين اللتين لم نقرأ عن مثيل لها في التعامل بين دولتين متنازعتين حول الأهداف والمصالح منذ عرفنا الألف باء ؟ لقد فقدت السفيرة عمودها الفقري وذابت بل انعدمت شخصيتها تجاه الجاذبية التي يتمتع بها الرئيس صدام . فها هو يتولى الاجابة بشكل مطول ثم يختتم جوابه بأنه أرسل تطمينا للكويتيين بأن العراق لن "يتصرف" قبل أن يلتقي معهم للتفاوض. ويتابع: " فإذا عجزنا عن ايجاد مخرج فأمر طبيعي بألا يقبل العراق أن يموت."

هذه الجملة لوحدها من الرئيس صدام تعني لمن يريد أن يرى ، "الحرب" . فجهود الولايات المتحدة واضحة في دعم الرفض الكويتي للاستجابة لمطالب العراق ولاحباط كل محاولة ولسد كل مخرج يبدو في الافق لتفادي الكارثة. ولو قالت السفيرة من طرفها جملة مشابهة للجملة التي قالها الرئيس صدام، وبذات "روح الصداقة" مثل: " الولايات المتحدة تعد العراق بألا تقوم بأي تصرف طالما لايقوم بغزو الكويت. أما إذا هاجمها فلن تقف مكتوفة الأيدي تجاه تهديد مصالحها" لما تردّت الامور ولما قامت الحرب.

لقد كانت هناك معادلة حسابية بسيطة جدا وواضحة وضوح الشمس وتحمل ذات صفات واحد + واحد = اثنين ! فالعراق لن يهجم إذا ما استجابت الكويت. فلم يبق على الولايات المتحدة سوى أن توصد باب الاستجابة الكويتية لتقوم الحرب وهذا – وببساطة –هو ماحصل . ولقد نفذت الولايات المتحدة أربها بنجاح كبير.

وأخيرا نحن نرى عجبا من أن السفيرة غلاسبي رأت في الحديث مع الرئيس صدام مايطمئن مما يسمح لها بأن تغادر بغداد مرتاحة البال لتقابل رئيس جمهوريتها "ولتُسعدهُ" بالاخبار السارة. فأين نجد في كل الحديث مجرد ظل لكلمة عراقية تنبئ أو توحي بنهاية الازمة التي تلوح في الافق القريب؟ الم يتوضح من جملة الرئيس صدام الأخيرة أن الحرب واقعة لامحالة؟ ألم ترصد كل وسائل الاستخبارات والتجسس الأميركية الاندفاع العراقي العسكري العنيف نحو حدود الكويت " سامعا" و"منفذا" لنصيحة السفيرة بأن تُحلَّ هذه الازمة بسرعة وبأية طريقة مناسبة؟ وإن كانت السفيرة لم تطلع حتى يوم لقائها مع الرئيس صدام على مدى الحشود العراقية بمدرعاتها ومدافعها الثقيلة أفلم تعلمها وزارتها المركزية في واشنطن بما حصل خلال الأيام التالية للقائها مع الرئيس صدام حسين حين كانت مازالت في بغداد؟ فكيف تغادر العراق؟. هذا وإن كانت غادرتها في ١٩٩٠\٧\٣٠ وحصل الغزو بعد ٣٦ساعة فقط فلماذا لم تهرع عاجلا عائدة الى بغداد لتسخر كل العذوبة في مفرداتها السياسية من أجل التهدئة بدلا من التصعيد؟

نحن نمثل الرأي بأن السفيرة ابريل غلاسبي اذكى مما توصف به بمراحل. لقد مثلت دورها التوريطي أجود تمثيل وكأنما درست الدور بدقة على ايدي المخرج ألفريد هيتشكوك في هوليوود ودفعت العراق الى الحرب وهربت هروبا من بغداد في الثواني الأخيرة قبل أن يكتشف الرئيس صدام ما يصح وصفه بالخديعة . وما نظن أنه كان ليتركها تخرج بسلام مهما كلفه الأمر ومهما دفع من ثمن. وهي لم تهرب إلا لتقديرها للخطر الذي كانت سوف تتعرض له لو بقيت في بغداد . ولم يكتشف الرئيس صدام كل أبعاد الورطة إلا بعد ساعات من غزو الكويت، حين فوجئ بالانفعالات الجذرية الأميركية التي ظهرت على حقيقتها والتي خلت فجأة من كل آثار الايجابيات الكاذبة التي وردت في حديث السفيرة. فلقد انقلب كل اللين والود الى لهجة عدوانية متحجرة مثل صخور الجرانيت اطلقها الرئيس بوش بعد سقوط العراق في الفخ. وبعد ذلك فورا انقلبت كل اساليب السياسة الأميركية المكيافيلية الى تنفيذ المرحلة الثانية من المخطط الجهنمي ولتحرص أشد الحرص على نسف جسور التراجع لمنع العراق من تدارك

الأمر وسلوك طريق النجاة. ولا يجوز لنا الا ان نُذكّر بأن الخدعة من أصول أسلحة الحرب. والمخدوع هو الذي يتحمل نتيجة ما ينطلي عليه.

ونختتم حديثنا عن السفيرة الماكرة بأن نرجو القارىء الامعان بنص الحديث مرة ثانية . فإن فعل لاحظ ان غلاسبي هي وجهت الحوار في النقاط الحساسة الى حيث هي تريد . فهي التي انعطفت الى معالجة سعر البترول . وهي التي انعطفت الى حق العراق الطبيعي بالحصول على الرساميل اللازمة لنهضة العراق . وهي التي انعطفت الانعطاف الخطير عن عدم اهتمام واشنطن بمشاكل حدود العراق مع الكويت . فهل كانت تتصرف من لدنها ؟ نحن نرى ان الرئيس صدام دعاها الى هذا اللقاء " ليخبرها " عن عزمه على غزو الكويت وليستشم من خلال انفعالاتها موقف الولايات المتحدة فإذا بها هي التي تمسك زمام المبادرة وتعلمه بما هي تريد . انها اذكى مما توصف به .

اننا نصفها بالمكر والخداع .. ولكن هل يجوز لنا اعتبارها كذلك حين ننظر اليها من الزاوية التي تمثل مصلحة بلادها حيث يرون فيها بطلة نجحت في تنفيذ ما رُصِدَت له ؟

١٣ -استجواب جون كيلي في الكونغرس:

هذا وخشية عدم استمرار العراق في الاقدام على مغامرته في الكويت، وخوفا من الا تكفي جهود السفيرة من داخل العراق لدفع قيادته الى التهور لجأت السياسة الأميركية الى خدعة أخيرة حيث تتظاهر بتمسكها بالمسالمة بالرغم من ان العراق كشف حشد قواته خلال الايام التي رافقت حديث السفيرة والتي تلته. ففي ٢٦ تموز/يوليو انتهى ٣٠ ألف جندي عراقي مع كامل معداتهم من التمركز على الحدود الكويتية حسب المعلومات التي أوصلتها الاستخبارات الأميركية الى البيت الابيض. وفي ٢٧ /٧ /١٩٩٠ نقلت الاستخبارات صورا جوية تظهر تزايد الكثافة للحشود العراقية. وفي ٢٨ /٧ أخذت تقارير أجهزة المخابرات الأميركية طابع الدقة لتدل على الخطر الجسيم الذي يهدد الاوضاع لأن العراق أنشأ خطوط امداد واسعة النطاق لقواته المتزايدة على الحدود ورصدت حركات مكثفة للشاحنات العراقية من أجل تأمين دعم لوجيستيكي يكفي لضمان عمليات ضخمة. ويتابع سالنجر وصف الموقف بقوله أن ويليام وبستر مدير وكالة المخابرات الأميركية CIA ازداد قناعة بأن التوزيعات العسكرية العراقية الأخيرة لم تكن ضرورية ابدا لو كان الهدف من العملية مجرد الترهيب وممارسة الضغوط المعنوية على الكويت [٣٩] ومنذ ذلك التاريخ كانت المعلومات التي تجمعها

---

[٣٩] - سالنجر صفحة ٨٤

الاقمار الصناعية التابعة لوكالة الأمن القومي [40] عن تطور الحشود العراقية تصل ساعة فساعة الى واشنطن ليجري تحميلها على الخرائط المفصلة في البنتاجون وفي البيت الابيض بحيث يعرف السياسيون والعسكريون التطورات حتى آخر لحظة. وفي ٣٠ /٧ رصدت المخابرات الأميركية وجود ١٠٠ألف جندي عراقي من فرق النخبة و ٣٠٠ دبابة و٣٠٠ مدفع ميدان ثقيل. ورغم تلك الصورة الساخنة جدا كان البنتاجون، حسب أقوال سالنجر ينفي احتمال الغزو العراقي لعدم توفر الشروط الاربعة التالية التي تعتبر من أسس أي عمل عسكري هجومي وهي:

- شبكة اتصالات جيدة.
- مدفعية قوية.
- توفر ذخائر بكميات كافية.
- دعم لوجيستيكي قادر على مساندة الهجوم.

هذه هي الصورة العسكرية التي كانت تسود على الحدود العراقية الكويتية في ٣٠ /٩٠/٧ أما في واشنطن فكانت هناك مسرحية أخرى يقوم بتمثيل الدور الاول فيها جون كيلي الذي القى في الكابيتول محاضرة أمام اللجنة الفرعية للشرق الأوسط والتابعة لمجلس النواب. من المؤسف أننا لم نجد في أي من المراجع التي توفرت لنا ما ينبئ عن مضمون المحاضرة ولكننا وجدنا في أكثر من مرجع نص الحوار الذي دار بين النائب الأميركي لي هاملتون وبين جون كيلي بعد انتهاء المحاضرة والذي نقتبسه كما هو للاهمية يقول سالنجر : " وبعد انتهائه من قراءة بيانه بدأ بالرد على الاسئلة الموجهة اليه وعلى الأخص من قبل النائب لي هاملتون.

- قرأت في الصحافة قولا غير مباشر لوزير الدفاع ريتشارد تشيني يصرح فيه أن الولايات المتحدة ملزمة بالذهاب الى الكويت وتأمين الدفاع عنها إذا هوجمت. هل هذا التصريح صحيح؟ هل يستطيع كيلي توضيح الأمر؟.

- لست مطلعا على التصريح الذي تشير اليه. ولكنني واثق من موقف الولايات المتحدة في هذه القضية. الكل يعرف بعدم وجود معاهدة دفاع بين الولايات المتحدة ودول الخليج. هذا واضح. نحن ندعم أمن استقلال أصدقاء أميركا في المنطقة. وقد حافظنا، منذ إدارة ترومان، على وجود بحري في المنطقة لأن استقرارها هو مصلحة لنا. نحن ندعو الى حل سلمي للخلافات كافة ونصرّ على احترام سيادة كل دولة في الخليج.

---

[40] - اقتبسنا عن هذه الوكالة نصاً في مكان آخر يوضح اهميتها .

– اذا تجاوز العراق، لأي سبب كان، الحدود الكويتية ما هو موقفنا بالنسبة لاستخدام القوات الأميركية في هذه الحالة؟.

– هذا افتراض لااستطيع الدخول فيه. ويكفيني القول أننا في هذه الحالة سوف نكون معنيين الى درجة كبيرة. ولكنني لااستطيع الدخول في مجال "إذا" و "إذا".

– هل من الصحيح في وضع كهذا، إذا نشأ، القول بأننا لانملك معاهدة أو التزاما يجبرنا على ادخال القوات الأميركية في المعركة؟.

– هذا صحيح!.

لقد تم نقل مداخلة جون كيلي عبر الاذاعة البريطانية المسموعة في بغداد. وفي الساعات الحرجة حيث تتأرجح الاحداث بين السلم والحرب، يكون كيلي قد بعث الى صدام حسين باشارة يمكن للأخير أن يترجمها على أنها ضمانة بعدم تدخل الولايات المتحدة الأميركية."[41]

توحي لنا المحاضرة والحوار ببضعة أمور نبدأها بملاحظة أن اختيار جون كيلي لالقاء المحاضرة أمام نواب الكونغرس الذي يشكل الشرق الاوسط صلب اختصاصهم بأنه الحجة القوية والمرجع الثقة القادر على بحث ومناقشة مثل هذا الموضوع معهم. لكن نص محاضرته عن منطقة الازمة بقي في الظل دون أن نطلع على مضمونه بينما نُشر نص الحوار الذي لحق المحاضرة في أجهزة الاعلام عالميا مما يوحي بأن الجلسة والمحاضرة لم تكن هي الهدف إنما كان الهدف هو الحوار الذي تلاها. وشكل هذا الحوار جزءا من تخطيط دقيق لايصال مضمونه الى اسماع العراق لكي يتأكد من أن اميركا لن تفعل شيئا إن أقدم على احتلال الكويت. وقد اتصف السؤال الذي وجهه النائب في الكونغرس الى كيلي بلولبية وضبابية غريبة. فقد قرأ مضمونه في صحافة لم يعلن عن اسمها ولم يحددها. ولا ينسى أن يمعن في تمييع المعلومات عن المصدر من خلال تأكيده أن القول غير مباشر إنما هو منقول عن وزير الدفاع الأميركي ريتشارد تشيني دون تسمية ناقل النص. ولكن لو كان تصريح من هذا الوزن الخطير صدر عن وزير دفاع أقوى دولة في العالم لما بقي في ظل الضبابية المشبوهة إنما لتحدد مرجعه ونصه بالحرف والتوقيت الدقيقين لأن لكل كلمة ابعادها في مثل هذا الشأن الخطير الذي يمس صلب مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط. وإن طرحَ هذا السؤال على جون كيلي بالذات هو أمر خاطىء تماماً وغير وارد لأنه سكرتير الدولة المساعد لشؤون الشرق الاوسط، وكان قبل ذلك سفيرا في لبنان أي إنه لايتبع وزارة الدفاع ولايفترض فيه أن يعرف الاجابة على هذا السؤال. ولذلك لانرى في نص السؤال وفي طريقة

---

[41] – سالنجر صفحة ٨٧–٨٨

طرحه سوى تركيبة مسرحية أخرى ليجيب كيلي بالجواب الذي قرأناه. أما الجواب الذي اطلقه كيلي فهو أغرب يكمن فيه بالنسبة للمنطقة التي كلف هو بمتابعة شؤونها. فمهمة سكرتير دولة مساعد هي أن يجمع ويتحرى كل شاردة وواردة تمس منطقته لينقلها بعد تحليلها وتقييمها الى رئيسه. أي أن السكرتير يعلم بمعظم الامور قبل رئيسه ماعدا القرارات التي تصدر من الاعلى الى الاسفل. فكيف لم يسمع جون كيلي شيئا عن تصريح لوزير الدفاع قال فيه قولا خطيرا يفيد بأن الولايات المتحدة سوف تحارب العراق إن تجاوز الحدود الى الكويت ؟

ونتابع مناقشتنا للحوار مع جون كيلي حيث سأله النائب هاملتون عن احتمال استخدام القوات الأميركية للدفاع عن الكويت فإذا به يتملص كليا من الاجابة لأنه حسب قوله لايرغب في الانخراط في لعبة التكهنات ولافي حوار من نوع : " إذا حصل هذا نفعل ذاك". ولكن هل هي مجرد لعبة أن يجيب مسؤول أميركي عن موقف دولته من عمل عدواني يهدد صلب مصالحها؟. أم إنه استخدم هذا التعبير الزئبقي لتبقى كل نصوص الحوار في ظلال الوهم والنسبية فيما عدا الجملة التي رُسم له أن يقولها لطمأنة العراق دون زيادة أو نقصان؟

وبما أن جون كيلي هو الذي اختير لتلك المحاضرة ولذاك الحوار امام اللجنة النيابية المختصة فقد كان عليه أن يعرف بل أن يحيط بالموضوع الذي حاضر عنه وبكل ما يمت اليه بصلة ولما جاز له التستر وراء ألفاظ مبهمة وغامضة لتوحي لكل من يقرأها بأن القيادة الأميركية لاتعرف ماذا تريد . ولقد تابع النائب في الكونغرس التنقيب عن جواب فسأل كيلي: " هل يجوز لنا في وضع كهذا أن نقول بأننا لانملك معاهدة أو إلتزاما يجبرنا على ادخال القوات الأميركية في المعركة ؟" فإذا به يجيب: " هذا صحيح ". وبذلك اسهم بقوة في زيادة اخضرار الضوء الذي اعطته غلاسبي للرئيس صدام ليغزو الكويت.

ولكننا نتساءل: ألم يقل الرئيس كندي للرئيس السوفياتي خروشتشوف بأنه سيقوم باللازم اذا لم يسحب الاتحاد السوفياتي صواريخه من كوبا ؟. أولم تحصل عشرات من مثل هذه التهديدات كلما شعرت الولايات المتحدة بضيق؟. ألم تلعب لعبة " لو...وإذا" مع العراق نفسه بعد أن أنجز احتلاله للكويت؟. وهل سألت الولايات المتحدة عن "لو وإذا " حين هجمت على جرانادا ثم على ليبيريا ثم على باناما فقتلت وأسرت رئيس دولة كان من ألصق عملائها بها واختطفته الى خارج دولته وزجته في سجونها ثم حاكمته وحكمت عليه واحتفظت به ؟

إننا نكرر ما قلناه سابقا من أنه لو تم وضع النقاط على الحروف مرة واحدة بوضوح قبل غزو الكويت لما غامر العراق. ولكن غياب التحذير والاصرار على تغييب كل التعابير التي توحي بالتحذير كان جزءا من الوسيلة المثلى لاضرام نار الخليج.

ولانستغرب أن يعترض على اتهاماتنا مرجع أميركي فيقول أن حديث السفيرة وإجابات كيلي شملت ما يكفي لتحذير العراق. لأن كيلي كرر جملة سبق أن قيلت من قبل: "نحن ندعم أمن اصدقائنا في المنطقة" ثم قال: " يكفيني القول بأننا في حالة دخول العراق الى الكويت سوف نكون معنيين جدا". وقبل ذلك ، وبالتحديد في ١٩ /٧/٩٠ نشرت اجهزة الاعلام العالمية قولا من واشنطن مفاده "بأنها ملتزمة بدعم حقوق الدفاع عن النفس لأصدقائنا في الخليج "[٤٢] فأين الرصيد الحق لهذه الأقوال البهلوانية النسبية. إننا نعتقد أن هذه الكلمات المبهمة كانت لمجرد " وضع شاهد" لتبني عليه الولايات المتحدة في المستقبل الادعاء بأنها أطلقت ما يفيد التهديد. ونعتقد ايضا أن واشنطن ارادت استخدام هاتين الجملتين للاجابة على قلق حكام الامارات والكويت ولطمأنتهم حين يسألون واشنطن: " أين النصوص الصريحة لزجر العراق؟" فتجيب واشنطن بأن النصوص الواردة في الجملتين وما يشابه ذلك من التصريحات كافية، لأنه لايجوز اصدار تهديد مباشر وصريح الى دولة مستقلة وذات سيادة حسب ميثاق الامم المتحدة.

هذا ولم تقتصر أجهزة الاعلام الأميركية على نشر الحوار في الكونغرس الأميركي مع كيلي بوسائلها إنما تمت اذاعته في برامج الـ **BBC** البريطانية باللغة العربية خشية ألا يصل المضمون الى آذان الرئيس صدام في الوقت المناسب.

---

[٤٢] - اقتبسنا النص من صحيفة الوطن الكويتية ذات رقم ٥٥٤٠ تاريخ ٩٠/٧/١٩ الصفحة الاولى .

الفصل الثالث

جهود العراق للحصول على طلباته قبل الغزو

لانستطيع الخوض في مباحثات جدة دون أن نلقي نظرة فيها شيء من التفصيل على الخلفية السياسية والعسكرية العامة التي سبقتها ثم رافقتها. فبعد فشل المحاولات العراقية في جعل الكويت والامارات تلتزم بحصصها في ضخ البترول، وهذا هو المطلب العراقي الاساسي المُعلن، وبعد تصلب الكويت والامارات في موضوع اسقاط القروض الممنوحة سابقا الى العراق ومنحه قروضا جديدة اتجه العراق نحو التصعيد الذي انفجرت تباشيره علنا يوم أعلنت الصحف ووسائل الاعلام العراقية بأن الكويت كانت تعتدي على الحدود العراقية وتسرق البترول بضخه من حقل الرميلة. ويقتضي منا هذا التمهيد استعراض محاولات العراق المتعددة في جعل الكويت والامارات تتوقف عن تجاوز حصصها في الضخ منذ ما قبل الغزو بشهرين أو أكثر. فتفجير الازمة لم يحصل فجأة ولا دون سابق إنذار.

خلال ذات الفترة التي نعالجها، أو بالأحرى منذ انتهاء الأعمال العسكرية بين العراق وإيران التي وقّعت على الهدنة توقيعا لايخلو من المذلة كانت الكويت والامارات بشكل خاص ودول الخليج بشكل عام تمر في مرحلة من القلق الناتج عن شعورهم بضعفهم تجاه العراق العملاق بالنسبة اليهم ومن خلال قناعتهم الضمنية بأن للعراق حق في بعض مطاليبه على أقل تقدير. ولقد رأوا أفضل حل لخروجهم من ضعف مواقفهم، إضعاف العراق وإعادته الى حجم طبيعي لايخيف جواره. تلك القناعة وتلك الرؤية هي التي جعلت الامارات والكويت تتورطان في سياسة التحدي مفضلتين الاعتماد على تأكيدات من الولايات المتحدة بأن أميركا لن تستغني عنهما ولن تخذلهما على الاطلاق بدلا عن سلوك طريق الاستجابة لما يطلبه العراق.

نحن لا نشك في توفر تيارين لدى بعض رؤساء دول الخليج آنذاك. أولهما يرى الحل من خلال الجنوح الى ترضية العراق بالمال بما في ذلك استعداد مبدئي لدى حكام الكويت للتنازل بشكل أو بآخر عن جزيرتي وربة وبوبيان عن طريق التأجير مثلا. وثانيها يفضل اتخاذ موقف متصلب لايوافق على أية تنازلات. ونحن نرى أن الدبلوماسية الأميركية المغرضة تمكنت من لعب الدور الخطير في تلك المرحلة فتمكنت من توجيه القرار الخليجي الى حيث هي تريد أي خيار التصلب والمواجهة والتحدي. ولانستبعد أن الدبلوماسية الأميركية تمكنت من اقناع الخليجيين بضرورة التشدد متذرعة بأن سياسة العطاء لصدام "الجشع" إذا بدأت فلن تنتهي مما يعني أن العطاء سيفتح شهية القيادة العراقية للمطالبة بالمزيد من

المطالبات ولن يؤدي الا الى تأجيل المواجهة التي سوف تقع حتما إن عاجلا أم آجلا. فإن كانت المواجهة لابد منها في نهاية الأمر فلتكن الآن قبل بذل عشرات المليارات لترضية العراق دون جدوى . وإن استسلمت دول الخليج لخيار المواجهة فلا بد من لجوئها الى الولايات المتحدة كضرغام يحميها من "خطر العراق". وهذا يشكل الخطوة الاولى من مسلسل التوريط الأميركي الكبير. ونجح ذلك وأدى الى عدم ظهور أي لين خليجي تجاه العراق بعد أن فجر قنبلته الاعلامية التي لاتخلو من التهديد. وهكذا سار الطرفان في طريق المواجهة المسدود والذي سيؤدي الى الاصطدام المؤكد إن لم يمكن انقاذ الموقف.

لا يجوز للمرء انكار ما فعله العراق قبل الأزمة محاولا الحصول على مطاليبه دون عنف وبعيدا عن أجواء العصبية ثم التهديد. ولسوف نتعرض الى مايهمنا منها اعتبارا من مؤتمر القمة العربي الاستثنائي في بغداد في ١٩٩٠/٧/٢٨ بشئ من التفصيل. أما المحاولات التي قام بها العراق قبل ذلك التاريخ فنوجز المهم منها:

- في حزيران / يونية عام ١٩٨٨ وأثناء مؤتمر القمة العربي الاستثنائي في الجزائر انفرد وزير خارجية العراق طارق عزيز بوزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد وأبلغه رسميا رغبة العراق بحل موضوع الحدود المعلق بين الدولتين فإذا بالشيخ صباح الأحمد يعبر عن عدم وجود داع للعجلة في معالجة هذا الأمر. ودعمت الحكومة الكويتية وجهة نظرها بأن أرسلت بعد عدة اسابيع اشعارا رسميا الى بغداد يفيد بأنها تفضل عدم بحث الموضوع في الوقت الحاضر [1] بل إن الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير الكويت حين زار العراق مهنئا بالنصر العراقي في ٢٣ /٩ / ١٩٨٩ حيث قوبل بترحاب شعبي مؤثر وبأناشيد كلها حفاوة واحتفاء تعمد عدم فتح موضوع رسم الحدود وأكد على تفضيله ترك الأمر للوزراء واللجان.

لاشك في غرابة موقف الكويت هذا بعد أن كانت هي التي تسعى الى رسم الحدود النهائية مع العراق لكي تطمئن بعد القلق الطويل منذ استقلالها أو بالاحرى منذ تهديد الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ باحتلال الكويت على انها جزء من العراق. ونعتقد أن السبب يعود الى أن الكويت أحست بأنها لو شرعت في مفاوضات مع عراقٍ خارج بقوة وعزم من الحرب مع ايران لوجدت نفسها في موقف المفاوض الأضعف. والأضعف هو الذي يدفع الثمن الأكبر على الدوام. ولذلك تأمل الكويتيون أن تمر الشهور أو السنين القليلة المقبلة في غير صالح التفوق العراقي لتصبح المواقف المتبادلة أقرب الى التوازن. ولربما تسود ظروف تُضعف العراق الى ما هو أقل من التعادل مثل ظهور تمزق في الداخل، بحيث تصبح

---

[1] - سعد البزاز صفحة ٣٧

الكويت في موقف تفاوضي أقوى. وبصرف النظر عن كون حدسنا صائبا أم لا فإن سلبية الكويت في تصرفها تجاه قضية الحدود وسياسة التسويف خطيئة كبرى دفعت ثمنها في رأينا ولسوف تدفع في المستقبل المزيد. ونحن نرى أنه مهما كانت ماهية الشروط التي ستصل اليها الكويت في مفاوضاتها مع العراق فكانت هي الأفضل على كل حال. ونستند في رأينا هذا على منطلقات أربعة على أقل تقدير . **المنطلق الاول هو** أنها كانت ستتفق مع عراق قوي يمنح الكويت الحدود التي يُتفق عليها وهو في أوج قوته ودون أن يشعر بأي تهديد أو ضغط على اصدار قراراته. **والمنطلق الثاني** هو أن هذا العراق القوي حين يوافق على الحدود قادر على انجاز المصادقة التشريعية عليها من قبل المجلس النيابي فيصبح الاتفاق ساري المفعول أمام كل الاعراف الدولية وبعكس ما حصل عام ١٩٦٣ حين وافقت حكومة العراق كسلطة تنفيذية على الحدود ولكن دون أن تصادق عليها أية سلطة تشريعية في بغداد. **والثالث** هو أن الثمن المالي الذي كانت ستتكلفه الكويت لن يصل ، إن انفلق، الى جزء مما تكبدته هي لوحدها أثناء الأزمة ومازالت تتكبده حتى اليوم، ناهيك عما تكلفه باقي عرب الخليج. **والمنطلق الرابع** هو أن كسب ودّ العراق ومجاملته أفضل للكويت من مجابهته. فالعراق قد يضعف ، وقد يمعن في الضعف ولكنه لن يبقى هكذا الى الابد... ولن ينسى مواقف الكويت بين عامي ١٩٨٨-١٩٩١. والعراق يتميز بالوفاء . فإن صادق أحدا بذل نفسه فداء لصديقه. وهذه صفة عربية أصيلة ولكنها لاتتوفر لدى كل العرب.

بعيد عودة الشيخ جابر الأحمد من زيارته الى بغداد كلف العراق الدكتور سعدون حمادي بزيارة الكويت لدفع المفاوضات في الامور المعلقة وعلى راسها مشكلة الحدود. في الكويت طرح الدكتور حمادي على وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد السؤال التالي: " ما الذي تريدونه حتى نحسم موضوع الحدود ؟ " فأجاب الشيخ صباح : " نعود الى اتفاق ١٩٦٣ " وكان يعني ما كان قد توصل اليه نائب رئيس وزراء العراق آنذاك علي صالح السعدي خلال زيارته للكويت في تلك السنة، وهو الاتفاق الذي لم يحصل على المصادقة التشريعية العراقية لأن الوزارة العراقية التي بحثت الوثيقة التي وقع عليها السعدي إنشقت آراء اعضائها قبل إيصال نصها لأي سلطة تشريعية وتم رفضها [٢] . فرفض الدكتور حمادي العودة الى تلك

---

[٢]- البزاز صفحة ٣٩ ثم صفحة ١٩٣ حيث يصف محاولات كويتية بارضاء العراق بمساعدة قدرها ٣٠ مليون دولار بالاضافة الى هدايا ومبالغ تعطى لرئيس الجمهورية العراقي عبد السلام محمد عارف ووزراء آخرين لكي يقوم العراق بالمصادقة التشريعية. لكن العراق رفض كل ذلك. ويقول البزاز على الصفحة ١٩٣ :" وتكررت المحاولات الكويتية للضغط على حكومات العراق اللاحقة لانتزاع قرار بترسيم

الاتفاقية قائلا لهم: " لو كان نص تلك الاتفاقية في حيز المقبول بالنسبة للعراق لكانت الموافقة قد تمت خلال السنوات العشرين الأخيرة .ثم عاد الى بغداد بعد أن اعطى الكويتيين مهلة شهر لدراسة ملف العلاقات ريثما يزور الشيخ صباح الأحمد العراق. وانقضى الشهر وتمت الزيارة في ١٨/٢/١٩٩٠ دون أن تأتي بجديد لأن الوزير الكويتي طالب مجددا بالتأجيل.

نسجل هنا على الموقف الكويتي تصلبه وعدم اكتراثه بظروف العراق الضاغطة وبعدم تقييم الموقف بما يستحق من الاهمية، وذلك اعتمادا على الوعود الأميركية بالتأييد والدعم. لاشك في أن العراق كان يطلب آنذاك حل مشكلة الحدود بهدف التخلص منها للانتقال الى بحث الأمر الذي يكاد يكون الأهم بالنسبة له، أي موضوع المنفذ البحري على الخليج، ونسجل على الموقف الكويتي أنه من خلال مطالبته بحدود ١٩٦٣ التي لم يتم التصديق عليها عبّر عن موقف فيه جفاء وفيه اظهار استعداد للتحدي والاستفزاز غير عابئ بما قد ينتج عنه من تكسير وتهشيم ودمار. ونذكّر الطرف الكويتي ايضا بأن عدم مصادقة السلطة التشريعية العراقية على ورقة عام ١٩٦٣ لم يعن فقط عدم قبول العراق للحدود المرسومة في الورقة إنما يعني بذات القوة عدم اعتراف العراق بالكويت ككل بحيث عادت الامور للتأرجح النسبي غير مضمون النتائج من أول وجديد. لقد غامرت الكويت مغامرة أكبر من أن تتحمل نتائجها على المدى البعيد في عدم إبداء بعض اللين تجاه طلبات العراق، بالرغم من أنها كانت على استعداد لمنح بعضها من قبل حين عرضت على العراق وعلى رجالات العراق المساعدات المالية الرسمية " وغير الرسمية" وحين عرض الشيخ عبد الله السالم الصباح على بغداد أن يستأجر العراق جزيرتي وربة وبوبيان لمدة ٩٩ عاما [٣] . وكان ذلك اثناء زيارته الرسمية الى بغداد عام ١٩٦٥. ولقد أخطأ العراق في عدم الاستفادة من الفرصة السانحة آنذاك برفضه العرض الكويتي ودفع ثمن ذلك دماء غزيرة وأموالا طائلة . ولقد انطلق آنذاك من منطلق المبادئ التي لايُساوم عليها، وكان عليه أن يعرف بحكم التاريخ والتجارب أن قبوله باستئجار الجزيرتين لن يحتم عليه التنازل الأبدي عما يطالب به. ولانقول ذلك من باب تقبل فكرة ابتلاع العراق للكويت بالشكل الذي حاوله الرئيس صدام حسين، تلك المحاولة التي نعتبرها غزوا مرفوضا.

الحدود، وحين استقبل رئيس الوزراء السيد ناجي طالب الوفد الكويتي برئاسة الشيخ عبد الله الجابر سنة ١٩٦٦ طلب منه الكويتيون ترسيم الحدود، اجابهم: " تقطع يد من يوقع لكم على الحدود."

[٣] – بزاز صفحة ١٩٦

لقد أخطأت القيادة الكويتية في عدم استغلال الفرصة السانحة التي جعلت العراق يطلب التفاوض لرسم الحدود

فلاعجب بعد الاطلاع على هذه اللمحة أن يفقد العراق صبره بالتدريج. ولما اجتمع قادة العرب في بغداد في ٢٨أيار/مايو ١٩٩٠ للمشاركة في مؤتمر القمة العربي الاستثنائي صارح الرئيس صدام حسين خلال جلسة مغلقة بأن العراق يتعرض لحرب يشنها عليه حكام حاضرون في المؤتمر يأبى تسميتهم بالاسم حفاظا على أدب الضيافة. وهم يفعلون ذلك من خلال زيادة الضخ الذي جعل سعر برميل النفط ينخفض الى ٧ دولارات في بعض الاحيان واضاف الرئيس صدام حرفيا: " بصراحة وبروح الاخوة والتبسيط المباشر لنقل أن الحرب تحصل أحيانا بالجنود، ويحصل الايذاء بالتفجيرات والقتل، وبمحاولات الانقلاب ، واحيانا أخرى يحصل بالاقتصاد لذا نرجو من إخواننا الذين لايقصدون الحرب ولايقصدون شن الحرب على العراق أن يدركوا أن هذا نوع من الحرب على العراق . ولو كان في الجلد ما فيه يتحمل لتحملنا، لقد وصلنا الى حال لانتحمل فيه الضغط."[٤]

لن تخفى على القارئ لهجة الرئيس صدام التي يمتزج فيها التهديد الخفيف مع الألم الشديد الذي يعكس الضائقة التي يعاني منها العراق والذي كان يتوقع أن يُشكر بدل أن يُضيق عليه. ولانشك ايضا في أن رسالة التهديد أوصلها قيادة الكويت والامارات الى واشنطن مع التعبير عن قلقهم العظيم، لكن واشنطن طمأنتهم واعطتهم منديل الأمان. وهكذا لم يثمر لقاء بغداد ولم يؤد الى ظهور أي لين أو أي تجاوب في مواقف قادة الخليج إنما تم الاتفاق على أن يزور الدكتور سعدون حمادي، نائب رئيس الوزراء، دول الخليج للاتفاق على صيغة تُبعد عن العراق أذى انخفاض اسعار البترول. فزارالدوحة أولا حيث رحب أمير قطر بفكرة جمع قمة خماسية يشترك فيها قادة السعودية والعراق والكويت والامارات وقطر. وكان موقف الامارت أقرب منه الى الايجابية لأن رئيس دولة الامارات قال: " نوافق على ما يوافق عليه الاخوة... فنحن مع أي شيء يتفقون عليه." [٥] وهذه الايجابية من الامارات تعني تقبلها للقمة الخماسية

---

[٤] – البزاز صفحة ٤٣. ويصف البزاز الذي كان موجوداً في أجواء المؤتمر ببغداد كيف أن أمير الكويت الذي سمع تلك الكلمات شديدة الوضوح لم يبد أي رد فعل وكأنه غير معني بالأمر. ويشعر القارئ مدى المرارة التي تملكت الجانب العراقي من موقف المتجاهل الذي أبداه الشيخ جابر الأحمد خلال تلك الجلسة وفي مناسبات أخرى.

[٥] – البزاز صفحة ٤٤

أكثر مما توحي بالموافقة على رغبات العراق. وسوف نعالج الموقف الاماراتي من قضية زيادة الضخ بعد بضعة سطور.

في جدة تجاوب الملك فهد مع الدكتور حمادي ووافق على اجتماع القمة الخماسي شريطة أن يجتمع قبل ذلك وزراء بترول الدول الخمسة. فإن لم يتفق الوزراء على صيغة ترضي العراق من جهة ومقبولة للطرف الآخر من جهة اخرى يتم اجتماع القمة.

ولم يطلب العراق اجتماع القمة عن عبث انما كان له من وراء ذلك سبب وجيه. فلو اجتمع الوزراء واتفقوا على سياستي السعر والانتاج لما كان الاتفاق ملزما ولانهائيا لأن أي اتفاق دولي يعقده وزير سيُناقش عادة في اجتماع كامل الوزارة بحيث يمكن الاعتراض عليه ونقضه. أما لو اتفق قادة الدول لكان الاتفاق ملزما لمن يوقع عليه.

لما انطلق الدكتور حمادي الى مطار جدة لمتابعة السفر الى الكويت حسب الموعد المضروب مع الشيخ صباح الأحمد فوجئ ببرقية تنتظره في مطار جدة يعتذر فيها الشيخ عن استقباله في صباح اليوم التالي بحجة ارتباطه باجتماع لمجلس الوزراء. فبقي الدكتور حمادي في جدة. وفي اليوم التالي عرف العراقيون أن الشيخ صباح الأحمد، الذي لم يستقبل نائب رئيس وزراء العراق بحجة الاجتماع الوزاري استقبل في ذات التوقيت الذي ألغاه مع الدكتور حمادي السيد علي أكبر ولايتي ، وزير خارجية ايران وخصم العراق العنيد . فجاشت في بغداد النقمة المكبوتة على تصرفات الكويتيين ، وتأخر لقاء الدكتور حمادي مع قادة الكويت الى ١٩٩٠/٦/٢٦. في ذلك الاجتماع سلم الدكتور حمادي الشيخ جابر دعوة الرئيس صدام للقمة الخماسية فوافق. وحين طلب وقف زيادة الضخ وافق أيضا. إلا أن وزير الخارجية الكويتي، الشيخ صباح الأحمد، وهو أخ لأمير الكويت خاطب الدكتور حمادي قائلا: " ليكن واضحا أن حصة الكويت في الاوبك ينبغي أن تزداد" فأجاب الدكتور حمادي : " كيف تزداد ونحن نريد أن نحافظ على الاسعار؟." سمع الشيخ جابر هذا الحوار الذي يحمل صفة الملاسنة أكثر مما يوحي بالحوار فلم يتدخل لانقاذ الموقف ولم يحاول توضيح الامور إنما ترك كلمة أخيه الشيخ صباح الأحمد أخيرةً، ولم يتفوه بأية كلمة تدل على ثباته على ما وعد به قبل لحظات فقط وخلال ذات الجلسة مما جعل الدكتور حمادي يستنتج بأن مهمته قد فشلت [٦] .

إذا صرفنا النظر عن جواب رئيس دولة الامارات الشيخ زايد بن سلطان بقبوله لما يُجمع عليه "الاخوة" وجدنا أن ما لاقاه الدكتور حمادي في الامارات يكاد يتطابق مع ما حصل معه في الكويت. فبعد أن كان مقررا أن يقيم وزير نفط الامارات الدكتور مانع سعيد العتيبة

[٦] - البزاز صفحة ٤٥

دعوة غذاء على شرف الضيف العراقي، الغيت الدعوة في آخر لحظة، وعقد الوزير الدكتور العتيبة مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن الامارات قدمت من التضحيات ما يكفي، وهي تتمسك بزيادة انتاجها للنفط . وبذلك نسف الوزير الحيز المحدود من الايجابية التي انطلقت من فم أمير البلاد.

توحي هذه الأحداث المتتابعة بقوة لكل من يريد الادراك بأن ما كان يجري ليس محض صدفة إنما يُشعر بوجود أصابع تعمل بحركية عجيبة في الخفاء تؤثر على القرارت السياسية في الخليج وتحدد لأصحاب القرار خطاهم وأقوالهم بحيث يجد المفاوض العراقي نفسه اينما سار واينما اتجه أمام سدّ منيع يجهض كل محاولاته لتفادي الفشل وتجنب اليأس الذي يولد الغضبة ويهيج النقمة. ولم يشعر المفاوض العراقي بتوفر حد أدنى من حسن النوايا إنما العكس، وكأنما المخطط لدى قوى الشر كان قائما وثابتا من اجل اغضاب العراق ولاثارته على قادة الخليج ليصل الى القناعة التي أوردها الرئيس صدام في كلمته للسفيرة غلاسبي حين قال لها: " لاتدعونا ننظر الى استخدام القوة كوسيلة وحيدة يحصل العراق بواسطتها على حقوقه ." نعم ، إن الولايات المتحدة هي القوة الوحيدة التي كان باستطاعتها الاطلاع بدقة على كل خطوة يخطوها ممثلو العراق عن طريق عملائها واستخباراتها من جهة، وعن طريق المسؤولين في دول الخليج أنفسهم الذين ما كانوا يجدون في اطلاع المراجع الأميركية على ما يحصل عملا شائنا يخدمها ويمكّنها من استكمال رسم وتنفيذ مخططها المثير. ولو حدث أن أخفى مسؤول عربي في الخليج عن الأميركيين بعض ما كان يدور أثناء المفاوضات لملأت الجاسوسية الثغرة من خلال عملائها ولاستنتجت مدى "طواعية وصراحة" المسؤول الذي أخفى بعض التفاصيل. ولاينطبق ما نقوله على قادة الخليج فقط إنما على كل الدول المستضعفة في العالم الثالث. هذا ولا نستطيع إلا أن نعبر عن حدسنا القوي في أن بعض قادة الخليج قاموا بتنفيذ خطوات غير محببة لأنفسهم ولكنها تخدم رغبات أميركية. ونحن إذ ندّعي ذلك نضع نصب أعيننا على سبيل المثال كيف ألغى الدكتور مانع سعيد العتيبة دعوة الغداء المقررة للدكتور حمادي فجأة وفي آخر لحظة.ونرى أنه لم يُقدم على إلغائها الا بناء على ايعاز من سلطة اعلى وعلى مضض. فمهما كانت الاسباب الموجبة لما تصرف الدكتور العتيبة بهذا القدر من قلة اللياقة. فالكرم العربي الاصيل وتربيته المتكاملة تمنعه من أن يتصرف تجاه ضيف يحل في بلده كما فعل ، خاصة أن الضيف ، الدكتور سعدون حمادي يمثل قمة الأدب والثقافة والدبلوماسية .ولانستطيع إخفاء قناعتنا بأن الدكتور العتيبة حاول مع من أوعز اليه بالغاء الدعوة تغيير اسلوب الغائها فأجابوه: يجب أن تتصرف كذلك ولو خالف

ذلك جميع المقاييس وكل الاعراف. لقد كان أهم أهداف إلغاء الدعوة أن تأخذ طابع التحدي والاثارة بشكل يجرح شعور العراقيين لتحريكهم الى منطق العنف ، وهذا ما كان. ففي اجتماع عقد في بغداد خلال اليومين التاليين لعودة الدكتور حمادي من جولته في الخليج بخفي حنين أي في ٢٧/٢٨ حزيران/يونية تم طرح القرار السياسي باحتلال الكويت للمناقشة. ولم يؤخذ قرار بذلك إنما تمت مناقشة خيارات ثلاثة كما يقول البزاز.[٧] وشارك في النقاش المجتمعون الستة الذين نعرف منهم بالاسم: الرئيس صدام حسين، وزير الخارجية طارق عزيز، طه ياسين رمضان، نائب رئيس الوزراء الدكتور سعدون حمادي و عزة ابراهيم، ولطيف نصيف الجاسم ، هذا الرجل الوزير الذي اساء الى المواقف العراقية من حيث يدري او لا يدري . فتصريحاته العنيفة كوزير للاعلام لم تكن لِتُكسِبَ العراق صديقا حين يقول على سبيل المثال بأن العراقيين سوف يأكلون الطيارين الأميركيين أحياء.

يحبذ **الخيار الأول** الاستمرار في دفع الأمور في طريق التسوية السياسية المسالمة لتعود الى العراق جزيرتا وربة وبوبيان مع حقل نفط الرميلة ومع اسقاط الديون واسهام الكويت في برنامج إعادة بناء العراق . لكن جدوى الاستمرار في هذا الخط أصبحت ضعيفة لأن المساعي العراقية خلال الاسابيع المنصرمة على هذا النحو لم تؤد الى الانفتاح إنما الى الانقباض والتشديد. و**الخيار الثاني** هو استخدام القوة كوسيلة ضغط دون استخدامها فعلا إنما لمجرد تحقيق هدفين: الأول هو دفع الكويت الى اللين والاستجابة ببث القلق على مصير الدولة وعلى مصير العائلة الحاكمة. والثاني هو جس نبض الأميركيين وتحري نياتهم ومعرفة رد فعلهم حين يلمسون الجدية في احتمال استخدام القوة. (وهذا الخيار هو الذي تم تمريره الى واشنطن أو أنها استنتجته من خلال مخابراتها فتمسكت بتلك الفرصة الذهبية السانحة ولجأت الى كل وسيلة وخدعة لجعل العراق يعتقد بعدم وجود خطر عليه من تدخل الولايات المتحدة إن أحتل الكويت.)

والخيار الثالث ينبثق بوضوح مما سبق، ألا وهو احتلال الكويت.

يوحي المؤلف سعد البزاز في سرده للأحداث بأن العراق لم يقرر ضم الكويت أو احتلالها في ذاك الاجتماع إنما أراد مجرد تغيير نظام حكم آل الصباح وتشجيع قدوم حكومة بديلة تنهج سياسة بديلة تتعاون مع العراق وترضي طلباته. ولكن البزاز يكاد يناقض نفسه على الصفحة التالية بالضبط حين يقول أن العراق قرر في تعامله مع مسألة الكويت ألا يكرر الخطأ الذي وقع فيه الرئيس العراقي السابق عبد الكريم قاسم حين طالب عام ١٩٦١ بإلحاق

---

[٧] - راجع البزاز صفحة ٢٤ ومابعدها.

الكويت بلواء البصرة مع تعيين أمير الكويت نفسه المتحدر من آل الصباح حاكما عليها بحيث يستمد شرعيته من بغداد.وبهذه اللفتة التي لا تخلو من ذكاء حاول قاسم اشعار حكام الكويت بأنه لن يجردهم فجأة من كل سلطاتهم وممتلكاتهم وانما سيتركهم على رأس موقعهم بامتيازاتهم دون تغيير سوى في الشكل الصوري نحو الخارج . بالطبع لم تمر هذه الخدعة على آل الصباح المتمرسين في آلية القيادة وتزعم الدولة. ولكن احتمال تقبلهم او تقبل فئة منهم لحكم عراقي يترك لهم ما يملكون لأشدّ احتمالاً من اذعانهم لمن يريد استئصال وجودهم من الجذور . فمهما ضحوا بالأموال والممتلكات والثروات في سبيل تثبيت مواقعهم المهددة يكونون في الجانب الكاسب بمقاييس موازين الربح والخسارة . وهذا من اسس طبائع البشر ولا يجوز ان يلومهم عليه انسان .

ويرى البزاز أن خطة الرئيس قاسم فشلت لأنه من جهة أثار بمطالبته الرأي العام العربي والعالمي ولكنه من جهة ثانية لم يقرن تصريحاته بالعمل الجدي ، ففتح باسلوبه الباب لنزول خمسة آلاف جندي بريطاني في الكويت لتلحقهم قوات مصرية أرسلها الرئيس جمال عبد الناصر للدفاع عنها [8] . من هذا المنطلق نستنتج بصورة قاطعة أن قرار احتلال الكويت إتُخذ في اجتماع بغداد المذكور . ولم يكن ليغير مضمونه إلا إذا حصل خلال الايام أو بضعة الاسابيع التالية ما يرضي المطالب العراقية. ومن ذلك المنطلق صارت التصريحات العراقية والمناقشات التي تجريها الوفود العراقية خلال المفاوضات التي حصلت في شهر حزيران/يونية ومابعده بما في ذلك اثناء مؤتمر جدة تأخذ طابع تزايد المجابهة والعنف وشجب التحدي والتعالي التي تصدر عن الكويت. لا يشك المرء الذي يطالع عناوين الصحف الكويتية في الفترة التي سبقت الغزو في محاولات مختلف المعلقين والمحررين في تخفيض حرارة الحدث . فأكثر من صحيفة وفي اكثر من مكان تحدثت عن ان الخلاف لا يتعدى كونه سحابة صيف عابرة نشبت بين الأشقاء. ولكن التصرفات الفعلية في قمة القرار الكويتي لم تتماشى مع اللهجة المعتدلة انما تابعت مخطط التشدد في عدم ابداء اي استعداد للتجاوب مع حاجات العراق .

---

[8] – نحن لانرى مع البزاز أن فشل الرئيس قاسم يعود لعدم اقتران التصريحات بالعمل. فالانكليز ما كانوا ليتورعوا عن مهاجمة أية قوات عراقية، بل العراق نفسه لو حدث ما يهدد مصالحهم البترولية الضخمة. وما قامت به انكلترا في جزر الفوكلاند في الارجنتين يثبت أن القوانين الدولية لا تمنعها من الانقضاض ...تماما كما لم تمنع تلك القوانين الولايات المتحدة من الانقضاض على بنما وجرانادا وليبريا .

كادت معضلة زيادة ضخ البترول تنحل عقب اجتماع وزراء البترول في جدة خلال يومي ١٠/١١ تموز /يوليو بعد إلتزام الوزراء الخمسة بالتقيد بالحصص المقررة لدولهم في منظمة الاوبك. وارتفع سعر البترول فعلا الى ٢١ دولاراً للبرميل لعدة أيام الى أن صرح الدكتور رشيد العميري، وزير البترول الكويتي آنذاك ، بعد أربعة أيام من اجتماع جدة بأن الكويت لن تلتزم بحصتها في ضخ البترول لمدة تزيد عن شهور ثلاثة[٩]. فإذا عرف زبائن البترول اليوم أن احداثاً ستحصل بعد ثلاثة شهور تؤدي الى انخفاض سعره فسوف يلغون شراءاتهم ويخفضونها فوراً ليؤجلونها الى ما بعد ثلاثة شهور. وهذا هو انخفاض الطلب الذي يؤدي الى انخفاض الاسعار فورا والى عودة الضغط على اقتصاد العراق. أي أن الكويت خرقت بتصريح وزير بترولها الاتفاقية التي ماكادت أن بدأت مما يدفعنا الى التذكير بقوة بما كتبناه قبل قليل عن الأيدي الأميركية الخفية التي قامت بمهمة اجهاض طريق التفاهم خير قيام. فالوزير الدكتور عميري لا يقرر من لدنه وإنما ينفذ قرارات يتبلّغها من موقعٍ أعلى . ولو كانت سياسة الكويت الذاتية بالأصل هي التي تصر على تحديد مدة التزامها بثلاثة شهور لما تم التوقيع على اتفاقية جدة بالاجماع. إذن فلا بد أن صوتا غريبا دخل على خط الوفاق بعد التوقيع عليه بقصد نسفه بشكل يؤجج من نقمة العراق. ونحن مهما بلغ بنا الخيال ما نظن بأن حكام الكويت كانوا يصعدون الامور الى درجة الغليان لولا دفع عنيف غير عادي من واشنطن التي تريد الوصول الى ثمار الجنة من خلال زرع بذور الجحيم. ونحن نعتقد جازمين بأن الكويتيين في مواقفهم المتحجرة تجاه العراق كانوا قلقين أشد القلق ومتخوفين أشد التخوف من نتائج ما يفعلون بالرغم من كل تطمينات واشنطن!.

في ذات يوم تصريح وزير البترول الكويتي عن التزام الكويت لمدة ثلاثة أشهر فقط اجتمع في بغداد في ٩٠/٧/١٥ خمس وعشرون شخصية كويتية تشمل صحفيين ومعلمين وكتاب ورؤساء عشائر بناء على دعوة رسمية من وزارة الاعلام العراقية. وكان بين

---

[٩] - كتب كوولي في صفحة ٣١١-٣١٢ عن قضية زيادة الضخ خلال فترة سابقة لذلك التاريخ :
وفي ٣ مايو/ايار تقدم السيد طارق عزيز وزير الخارجية العراقي بشكوى حول ارتفاع معدل انتاج دول الاوبك للنفط بما يشكل خطرا متصاعدا على العراق . فقد اجتمع وزراء النفط لدول المنظمة في فيينا في شهر مارس/آذار وكان ذلك الموضوع على رأس جدول اعمال الاجتماع ، حيث رفضت الكويت والامارات العربية المتحدة الموافقة على اي تخفيض في الانتاج . الا انه في جلسة طارئة عقدت في نفس الوقت الذي وصلت فيه شكوى طارق عزيز تقريبا ، تم الاتفاق على تخفيض الانتاج . ولكن هيئة الطاقة العالمية بباريس اكدت ان انتاج مجموعة الاوبك لم ينخفض بأكثر من أربعمائة برميل في اليوم - وهي حصيلة كمية التخفيض في انتاج السعودية وحدها -" وهذا يبدو ليدل على ان المملكة وحدها التزمت بقرار تخفيض الضخ ".

المدعويين الشاعر محمد الفايز الذي توفاه الله بعد عام من ذلك اللقاء والصحفي عدنان الراشد. التقى السيد سعد البزاز بهم بفندق الرشيدثم اصطحبهم الى لقاء مع وزير الاعلام العراقي لطيف نصيف جاسم. بدأ البزاز يمهد لما سوف يستقبلهم في لقائهم مع الوزير بسؤال واضح ومحدد: " هل يوجه صباح الاحمد السياسة النفطية؟" فأجابوا باجابات فيها تباين . ولكنهم حين اجتمعوا مع وزير الاعلام فوجئوا بهجوم صاعق على الشيخ صباح الأحمد الذي وصفه الوزير عميلا لأميركا. فذهل الحاضرون. وما أن عادوا الى الفندق حتى رفعوا سماعات الهواتف لينقلوا " الى صحفهم وأصدقائهم ونقاباتهم ما استمعوا اليه وهم موزعون بين الذهول وعدم القدرة على تصديق ما استمعوا اليه"[١٠] فخرجت الصحف الكويتية ثائرة وكأنما كان ينقصها الحجة المناسبة فارتفعت بدورها عدة درجات في اتجاه التصعيد الاعلامي ضد العراق. ولكن اللهجة الاعلامية العراقية كانت اعنف من لهجة الاعلام الكويتي بمراحل . فبينما كانت الصحف الكويتية في غالب الآحيان " تستنكر" و "تناشد " نجد أن الاعلام العراقي جاهر بتعابير العنف .

نحن لا نشك في ان العراق تأذى من تصرف الحكومة الكويتية . ولكننا لا نخفي اعتقادنا بأن العراق تعمد تضخيم الغضب وافتعاله او انه بالغ ربما في " إغضاب نفسه " ليبرر ما كان يخططه تجاه الكويت.

ولكن ما كان يجري على ارضية الواقع كان يختلف عن تبادل التلاسن الاعلامي . فقد أخذت الحكومة الكويتية تدعم المعارضة العراقية وتغازل خصوم العراق مثل ايران وسوريا وصارت المخابرات الكويتية ترسل المسافرين الكويتيين الى العراق للقيام بجمع المعلومات عن مختلف الاوضاع في العراق من أمنية أو اقتصادية. وسنذكر أمثلة محددة منها بعد قليل .ونحن لانذكر ذلك من باب النقد إنما من باب الأخذ بالعلم عن المراحل المتتالية التي أدت أخيرا الى الانفجار. ولاشك في أن العراق قام بأعمال مطابقة لما فعله الكويتيون وأكثر من ذلك تمهيدا للغزو. ولانرى أيضا في دعوة الشخصيات الكويتية الى بغداد مجرد أن ينقلوا المضمون الصاعق الذي هاجم به وزير الاعلام العراقي الشيخ صباح الأحمد الى صحفهم ومعارفهم ورؤسائهم إنما نعتقد بوجود هدف اضافي فقد كان يريد جس نبض مختلف المشتركين واستمزاج استعدادهم او استعداد بعضهم لتأييد ما سوف يحصل عما قريب مما يخطط له العراق.

---

١٠ – البزاز صفحة ٤٧-٤٨

لم تقتصر تصرفات الكويتيين المثيرة للعراق على ما ذكرناه إنما حدثت أمور صغيرة وكبيرة أخرى زادت من تصعيد الشعور العدائي. فالعراق يتهم الكويت بتسهيل تهريب الدينار العراقي مما أدى الى سقوط قيمته بشكل مؤثر على الاقتصاد. وقام مواطنون كويتيون بشراء كل ما هو ثمين في العراق بدينارهم الذي اضحى شديد القوة بالنسبة للعملة العراقية. وعلمت الحكومة العراقية في شهر تموز/يوليو باتصال قامت به الحكومة الكويتية مع مجموعة لويدز المصرفية في لندن وعرضت عليها بيع القروض التي منحتها الكويت الى العراق خلال الحرب مع ايران. ولو تم ذلك لقبضت الكويت من شركة لويدز مبلغا يُتفق عليه ثمناً لتنازلها عن القروض. وسوف يكون من طبيعة الأمور أن يكون المبلغ أقل من قيمة القروض بكثير لأن شركة لويدز ستتحمل حينئذ عامل المجازفة الخطير لأنها سوف تحاول تحصيل المبلغ من العراق بكل وسائل الضغط الممكنة بما في ذلك تسخير الحكومة البريطانية لجباية المبلغ.[١١]

المذكرات الى الجامعة العربية

بتاريخ ١٩٩٠/٧/١٥ سلم وزير الخارجية العراقي طارق عزيز الى الشاذلي القليبي الأمين العام لجامعة الدول العربية مذكرة موجهة بشكل رسمي الى الدول العربية يعرض فيها العراق علاقته مع الكويت. في هذه المذكرة لجأ العراق الى استخدام التعابير العدائية مثل " سرقة النفط من حقل الرميلة العراقي وحق العراق في استعادة المبالغ المسروقة " و" اطلاق الكويت لتصريحات وقحة " و" التصرف بمثابة عدوان عسكري". وللمقارنة سوف نورد قبل إيراد نصها بالكامل نصا آخر لرسالة عراقية رسمية الى الكويت حيث كانت الامور واللهجات بعيدة كل البعد عن الاذى والتجريح، ونقصد رسالة الدكتور سعدون حمادي الى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح بتاريخ ١٩٩٠/٤/٣٠ لنرصد المضمون من جهة ولاختلاف الاسلوب من مسالم الى عنيف من جهة أخرى:

"معالي الاخ الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية دولة الكويت.
تحية عربية...

---

[١١] – لدى سؤالنا المجدد للبزاز عن صحة قصة اللويدز أكد لنا وصول تقارير استخباراتية لها اعتبارها الى العراق. فإن كانت هذه التقارير مزيفة او تم تسريبها الى بغداد للتخريب فهذا ما لا يمكن الجزم به

تلقيت رسالتكم المؤرخة في ٢٠ شعبان ١٤١٠ هـ ١٧ آذار ١٩٩٠ التي حملها الينا مبعوثكم الأخ سليمان ماجد الشاهين. وقد تألمت في رسالتكم بصورة عميقة من منطلق علاقات الاخوة التي تجمعنا ورغبة العراق الاصيلة في الحفاظ على هذه العلاقات وتوطيدها بما يعزز الروابط بين قطرينا الشقيقين ويعزز موقع الامة العربية في مواجهة ما تتعرض اليه من تهديدات خطيرة تمس أمنها وكيانها ومستقبل اجيالها. وقد رغبت في أن أبعث هذه الرسالة اليكم على سبيل الايضاح لا الرد على ما جاء في رسالتكم وفي اطار الحوار الصريح والبناء الذي يجري بين بلدينا الشقيقين لمعالجة المسائل التي تهمها وأود في هذا الشأن أن أبين النقاط التالية:

١- لابد أنكم تعرفون شخصيا وقد تحملتم مسؤولية وزارة الخارجية في بلادكم لفترة طويلة ان مسألة الحدود بين العراق والكويت لم تكن في اي وقت من الاوقات مسألة فنية.. كما ورد في رسالتكم..كما أنكم تشيرون في رسالتكم الى ماتسمونه " اتفاق " حول هذه المسألة وتعرفون من خلال موقعكم أن ما سميتموه " الاتفاق " ليس له أي أثر قانوني أو واقعي وقد طويت صفحته منذ وقت طويل.

إن الوضع في الواقع ومنذ تكوين دولتنا في هذا القرن هو وضع بلدين متجاورين تجمعنا أواصر القربى الوثيقة لم يتوصلا حتى الآن الى اتفاق حول تحديد حدودهما في البر والبحر ولعل التأخير في الوصول الى اتفاق حول ذلك يعود الى اسباب بعضها خارج عن ارادتنا القوية وبعضها الآخر لأن العراق وخاصة في العقدين الماضيين منذ ثورة ١٧/٣٠ تموز كان ولايزال يرغب في معالجة هذه القضية في اطار اخوي موضوعي يجمع بين حقائق التاريخ الثابتة والمصلحة القومية العليا وباسلوب أخوي متفتح وواثق من النفس لاينطلق من الانانية القطرية بل من اعتبار شبر الارض العراقي أو الكويتي سواء كان في البر أو البحر جزءا من الوطن العربي الذي ينبغي أن يتكاتف ابناؤه في الدفاع عن أمنه ومصيره مع احترام ثابت لسيادة كل منا على أرضه واحترام ثابت وأصيل لبعضنا البعض كأخوة ودول.

وفي كل المداولات التي جرت بيننا خلال العقدين الماضيين حول هذه المسألة لم يكن هاجس العراق فيها هو الاستزادة مما عنده بل أن يكون في وضع يستحقه تاريخيا وواقعيا يمكنه من الدفاع عن الامن القومي في هذه المنطقة.. وإن تجربة العدوان الايراني والتضحيات الهائلة التي قدمها العراق في صد هذا العدوان طيلة ثماني سنوات قد أكدت بما لا يقبل الشك أهمية ما يدعو اليه العراق لا له فحسب بل لكل العرب في الخليج.. ولعلكم تعرفون أن العراق هو الذي بادر بعد تحرير الفاو مباشرة الى اقتراح معاودة البحث في موضوع الحدود بعد أن توقف لسنوات عديدة عندما ابلغكم الاخ طارق عزيز نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية وبناء على توجيهات سيادة الرئيس القائد صدام حسين بهذه الرغبة على هامش قمة الجزائر عام ١٩٨٨ كما تعلمون بأن البحث في هذه المسألة قد توقف بعد ذلك بناء على الرغبة التي نقلها مبعوث سمو ولي العهد الاخ سعود العصيمي لدى زيارته لبغداد في ١٩٨٩/٣/٢٧ ثم تقرير استئناف البحث في هذا الأمر في اطار وثيق من الاخوة والموضوعية أثناء الزيارة التي قام بها صاحب السمو أمير دولة الكويت للعراق ولقائه الاخوي مع أخيه سيادة الرئيس صدام حسين.

إن العراق يرغب في أن تحل المسألة وفق الاسس التي أشرنا بصورة نهائية وضمن الفترة وبالصيغة التي يراها إخواننا في الكويت لتنطلق علاقتنا الاخوية بكل فعالية.. مع أننا نشعر معكم بأن هذه العلاقة وطيدة وراسخة ولله الحمد.

٢- لقد عبرتم عن دهشتكم للمقترحين اللذين عرضناهما عليكم أثناء زيارتكم الاخيرة لبغداد في
هذان المقترحان أيها الاخ هما مقترحان عرا قيان تقدمنا بهما اليكم في الاجتماع الذي عقد معك
الكويت في ١٩٨٩/١١/١٩ حاملا رسالة من السيد الرئيس صدام حسين الى أخيه سمو الامير
الصباح فوافقتم بصريح القول على اعطاء العراق التسهيلات من النوع الذي أعطي له خلال الحـ
أما مقترح نصوص معاهدة الدفاع المشترك فقد كان جوابكم هو الموافقة على التأكيد على مـ
الدفاع المشترك دون ذكر بنودها . وأثناء زيارتكم الاخيرة لبغداد سلمناكم هذين المقترحين خطـ
الذين فوجئنا بما ورد في رسالتكم عن دهشتكم لتقديمهما.

ولو عدنا الى تاريخ بحث مسألة الحدود بين بلدينا لوجدنا وخاصة خلال العقدين
العراق وحده هو الذي كان يبادر بالمقترحات من أجل معالجة هذه المسألة مبديا المرونة تلو المـ
الى حل مرض كما كان يسعى باخلاص وحسن نية الى وضع المسألة في اطار اشمل يعزز
متطلبات الامن القومي.. وإننا حتى الان لم نستلم من جانبكم مقترحا مثبتا يمكننا بحثه.. حتى الآ
الشفهية التي سبق لكم أن عرضتموها في السبعينات قد تم التراجع عنها.

وعلى أي حال فاننا مستعدون وبكل ترحاب لسماع مقترحاتكم حول أي جانب من المـ
مدار بحث بيننا. ونعاهدكم كما كان عهدنا دائما أن نتعامل معها بنظرة أخوية موضوعية هدفها تـ
الاخوة بين بلدينا الشقيقين وتعزيز موقع الامة العربية المجيدة.

مع فائق التقدير

أخوكم: الدكتور سعدون حمادي

والآن نورد نص مذكرة العراق الى الجامعة العربية حول " العلاقات"
والامارات في ١٩٩٠/٧/١٥:

" سيادة الاخ الشاذلي القليبي" – الامين العام لجامعة الدول العربية..

تحية أخوية..

في بداية هذه الرسالة لابد من التذكير بالمبادئ التي يؤمن بها العراق والتي طبـ
وحرص في علاقاته العربية.

إن العراق يؤمن بأن العرب في كل اقطارهم أمة واحدة.. ويفترض أن يعم خير
يستفيدوا منه واذا ما اصاب أحدهم ضرر أو اسى فان هذا الضرر والاسى يلحق بهم جميعا وإن
الى ثروات الامة على اساس هذه المبادئ.. وقد تصرف في ثروته منطلقا من هذه المبادئ. كما
بأنه برغم ما اصاب الامة العربية في العهد العثماني وبعده تحت ظل الاستعمار الغربي من شتى
والهوان والاضطهاد ومحاولة مسخ الشخصية القومية فان مقومات وحدة الامة العربية لاتزال
وإن الوطن العربي برغم انقسامه الى دول هو وطن واحد وان أي شبر من هذا الوطن هنا أو
هذا القطر أو ذاك ينبغي أن ينظر اليه أولا في ضوء الاعتبارات القومية وخاصة اعتبارات

العربي المشترك.كما ينبغي تجنب الوقوع في مهاوي النظرة الضيقة والانانية في التعامل مع المصالح والحقوق لهذا القطر أو ذاك.

إن مصالح الامة العربية العليا والحسابات الاستراتيجية العليا للامن القومي العربي يجب أن تكون المعيار الاول في التعامل في كل هذه المسائل بين الاقطار العربية. على اساس المبادئ القومية والاخوية المخلصة والصادقة تعامل العراق مع الكويت رغم ما هو معروف من حقائق الماضي والحاضر بالنسبة للكويت والعراق.

والذي دعانا الى كتابة هذه الرسالة اننا مع عميق الاسف نواجه الأن من جانب حكومة الكويت حالة تخرج عن اطار المفاهيم القومية التي ذكرناها بل تتناقض معها وتهددها في الصميم وتتناقض مع ابسط مقومات العلاقات بين الاقطار العربية.. ان المسؤولين في حكومة الكويت وبرغم مواقفنا الاخوية الصادقة في التعامل معهم في جميع القضايا وبرغم حرصنا على مواصلة الحوار الاخوي معهم في كل الاوقات قد سعوا وبأسلوب مخطط ومدبر ومتواصل الى التجاوز على العراق والاضرار به وتعمدوا اضعافه بعد خروجه من الحرب الطاحنة التي استمرت ثماني سنوات والتي أكد كل العرب المخلصين قادة ومفكرين ومواطنين ومنهم رؤساء دول الخليج بأن العراق كان يدافع خلالها عن سيادة الامة العربية كلها وخاصة دول الخليج ومنها بل بصورة خاصة الكويت كما سلكت حكومة الكويت هذه السياسة التي تتعمد اضعاف العراق في الوقت الذي يواجه فيه العراق حملة امبريالية صهيونية شرسة بسبب مواقفه القومية في الدفاع عن الحق العربي تدفعها الى ذلك مع الاسف دوافع انانية ونظرة ضيقة واهداف لم يعد ممكنا النظر اليها الا على أنها مريبة وخطيرة. وفي هذا الشأن هناك صفحتان رئيسيتان..

الاولى.. من المعروف أنه منذ عهد الاستعمار والتقسيمات التي فرضها على الامة العربية هنالك موضوع معلق بين العراق والكويت بشأن تحديد الحدود ولم تفلح الاتصالات التي تمت خلال الستينات والسبعينات في الوصول الى حل بين الطرفين لهذا الموضوع حتى قيام الحرب بين "العراق وايران".. في اثناء سنوات الحرب الطويلة بصورة خاصة وفي الوقت الذي كان فيه أبناء العراق النشامى يسفحون دمهم الغالي في الجبهات دفاعا عن الارض العربية ومنها أرض الكويت وعن السيادة والكرامة العربية ومنها كرامة الكويت استغلت حكومة الكويت انشغال العراق كما استغلت مبادئه القومية الاصيلة ونهجه النبيل في التعامل مع الاشقاء وفي القضايا القومية لكي تنفذ مخططا في تصعيد وتيرة الزحف التدريجي والمبرمج باتجاه أرض العراق فصارت تقيم المنشآت العسكرية والمخافر والمنشآت النفطية والمزارع على أرض العراق وقد سكتنا على كل ذلك واكتفينا بالتلميح والاشارات لعلها تكفي في اطار مفاهيم الاخوة التي كنا نعتقد أن الجميع يؤمنون بها. ولكن تلك الاجراءات استمرت وبأساليب ماكرة واصرار يؤكد التعمد والتخطيط.

وبعد تحرير الفاو بادرنا في أثناء مؤتمر قمة الجزائر عام ١٩٨٨ الى ابلاغ الجانب الكويتي برغبتنا الصادقة في حل هذا الموضوع في اطار علاقات الاخوة والمصلحة القومية العليا. ولكننا وجدنا أنفسنا أمام حالة تثير الاستغراب الشديد..

فبرغم أن المنطق يفترض أن يفرح المسؤولون الكويتيون لهذه المبادرة الاخوية والكريمة من جانبنا وأن يعملوا لانجاز هذا الموضوع بسرعة لاحظنا التردد والتباطؤ المتعمدين من جانبهم في مواصلة المباحثات والاتصالات واثارة تعقيدات مصطنعة مع الاستمرار في التجاوز واقامة المنشآت البترولية

والعسكرية والمخافر والمزارع على الاراضي العراقية وقد صبرنا على هذه التصرفات بدواعي الحكمة والحلم. وكان استعدادنا لمزيد من التحمل كبيرا لولا انتقال الامور الى مستوى خطير لم يعد ممكنا السكوت عليه وهو ما سنتناوله في الصفحة الثانية والاكثر خطورة من الموضوع. وان العراق يحتفظ بسجل كامل لهذا الموضوع يوضح بالوثائق والحيثيات كل التجاوزات التي قامت بها حكومة الكويت.

الثانية..بدأت حكومة الكويت ومنذ عدة أشهر وبالتحديد منذ أن رفع العراق صوته عاليا يدعو بقوة الى استعادة حقوق العرب في فلسطين وينبه الى مخاطر الوجود الأميركي في الخليج بدأت بانتهاج سياسة ظالمة القصد منها هو ايذاء الامة العربية وايذاء العراق خاصة. وفي هذا الجانب اشتركت حكومة الامارات العربية المتحدة مع حكومة الكويت فقد نفذت حكومتا الكويت والامارات عملية مدبرة لاغراق سوق النفط بمزيد من الانتاج خارج حصتهما المقررة في الاوبك بمبررات واهية لاتستند الى أي اساس من المنطق أو العدالة أو الانصاف وبذرائع لم يشاركهما فيها أي من الاشقاء من الدول المنتجة وقد أدت هذه السياسة المدبرة الى تدهور اسعار النفط تدهورا خطيرا. فبعد التهور الذي حصل قبل سنوات في السعر من المعدلات العالية التي كان قد بلغها وهي ٢٤ و٢٩و٢٨ دولارا للبرميل الواحد أدت تصرفات حكومتي الكويت والامارات الى انهيار سعر الحد الادنى المتواضع الذي تم الاتفاق عليه في الاوبك أخيرا وهو ١٨ دولاراً للبرميل الى مابين ١١-١٣ دولاراً للبرميل وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نقدر مقدار الخسائر الباهظة التي لحقت بالدول العربية المنتجة للنفط.

اولا.. ان معدل انتاج الدول العربية من النفط هو ١٤ مليون برميل في اليوم وان تدهور الاسعار في الفترة الواقعة بين ١٩٨١ -١٩٩٠ قد أدى الى خسارة الدول العربية بحدود ٥٠٠ مليار دولار. كانت حصة العراق منها خسارة ٨٩ مليار دولار.

ولو ان العرب جميعا لم يخسروا هذه المبالغ الهائلة ووفرنا نصفها للتنمية القومية ولمساعدة البلدان العربية الفقيرة لحققنا تقدما هائلا في التنمية القومية واسعدنا الفقراء من ابناء امتنا ولكان وضع الامة أقوى وأكثر رفاها وتقدما مما هو عليه الآن.

اذا اعتمدنا الحد الادنى للاسعار كما قررته الاوبك عام ١٩٨٧ وهو ١٨ دولاراً للبرميل فان خسارة الدول العربية خلال الفترة من ١٩٨٧-١٩٩٠ بسبب تدهور هذا السعر تبلغ حوالي ٢٥ مليار دولار.

ثانيا: ان نقص كل دولار من سعر النفط يؤدي الى الحاق خسارة بالعراق تبلغ مليار دولار سنويا ومن المعروف أن السعر قد انخفض هذه السنة عدة دولارات عن سعره ١٨ دولاراً بسبب سياسة حكومتي الكويت والامارات مما يعني خسارة العراق لعدة مليارات من دخله لهذه السنة في الوقت الذي يعاني فيه العراق من ضائقة مالية بسبب تكاليف الدفاع الشرعي عن ارضه وأمنه ومقدساته وعن ارض العرب وامنهم ومقدساتهم طيلة ملحمة الثماني سنوات. ان هذه الخسائر الجسيمة من جراء تدهور اسعار النفط لم تصب الدول العربية المنتجة للنفط وحدها.. وإنما أصابت بنتائجها الدول الشقيقة الاخرى التي كانت تتلقى المعونات من اخواتها الدول العربية المنتجة للنفط فقلّت امكانات الدعم بل توقفت في بعض الحالات كما تدهورت ايضا اوضاع مؤسسات العمل العربي المشترك وعانت الازمات وهي الان في أصعب الظروف بسبب أو لاتخاذ ذلك ذريعة لتقليل أو ايقاف المساعدات والدعم لمؤسسات العمل العربي المشترك.

وقد اضافت حكومة الكويت الى هذه الاساءات المتعمدة اساءة أخرى مستهدفة الاضرار بالعراق بالذات فقد نصبت منذ عام ١٩٨٠ وخاصة في ظروف الحرب منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وصارت تسحب النفط منه. ويتضح من ذلك أنها كانت تغرق السوق العالمي بالنفط الذي كان جزء منه هو النفط الذي تسرقه من حقل الرميلة العراقي. وبهذا تلحق الضرر المتعمد بالعراق مرتين.. مرة باضعاف اقتصاده وهو احوج ما يكون فيه الى العوائد ومرة أخرى بسرقة ثروته.

وتبلغ قيمة النفط الذي سحبته حكومة الكويت من حقل الرميلة فقط بهذه الطريقة المنافية لعلاقات الاخوة وفقا للاسعار المتحققة بين ١٩٨٠- ١٩٩٠ (٢٤٠٠) مليون دولار. واننا نسجل امام جامعة الدول العربية كلها حق العراق في استعادة المبالغ المسروقة من ثروته وحق العراق في مطالبة المعنيين باصلاح التجاوز والضرر الذي وقع عليه.

لقد سبق أن شرحنا مخاطر سياسة حكومتي الكويت والامارات لاخوتنا في الدول العربية المنتجة ومنهم الكويت والامارات مرات عديدة.. وشكونا..وحذرنا.. وفي قمة بغداد تحدث الرئيس صدام حسين حول هذه المسألة أمام الملوك والرؤساء والامراء وبحضور المعنيين بصراحة وبروح أخوية ونرفق طيا نص حديث سيادته حول الموضوع في مؤتمر قمة بغداد وكنا نتصور وخاصة بعد الاجواء الاخوية الايجابية التي تحققت في قمة بغداد أن حكومتي الكويت والامارات سترعويان عن هذا النهج ولكن الحقيقة المؤلمة هي أن كل ما قمنا به من مساع ثنائية ومن اتصالات مع دول شقيقة لتلعب دورا ايجابيا في ثني الكويت والامارات عن هذا النهج وبرغم حديث الرئيس صدام حسين في قمة بغداد فقد تعمدت هاتان الحكومتان مواصلة هذه السياسة واستمرتا فيها بل ان بعض المسؤولين فيهما اطلقوا تصريحات وقحة عندما ألمحنا الى هذه الحقائق وشكونا منها لذلك لم يبق هناك اي مجال لاستبعاد الاستنتاج بأن مافعلته حكومتا الكويت و الامارات في هذا الشأن انما هو سياسة مدبرة تستهدف اهدافا خفية . ومع ادراكنا بان هذه السياسة التي ادت الى انهيار اسعار النفط تضر في المحصلة النهائية باقتصاد هذين البلدين نفسيهما ، فلم يبق امامنا غير ان نستنتج بان من تعمد هذه السياسة بصورة مباشرة ومكشوفة او من آزرها او دفع اليها انما ينفذ جزءا من المخطط الامبريالي - الصهيوني ضد العراق وضد الامة العربية خاصة في التوقيت الذي جاءت فيه وهو ظروف التهديد الخطير من جانب اسرائيل و الامبريالية الذي يتعرض اليه الوطن العربي عامة والعراق خاصة . اذ كيف يمكن لنا ان نواجه هذا التهديد الخطير .. ونحافظ على التوازن في القوة الذي حققه العراق باغلى التكاليف وهو الذي عانى ما عانى من الخسائر في اثناء الحرب مع انهيار مورد العراق الاساسي وموارد الدول العربية المصدرة للنفط وهي العراق والسعودية ،قطر ،عمان ،اليمن، سوريا ،الجزائر وليبيا.

هذا فضلا عما تؤدي اليه هذه السياسة المريبة من اضعاف قدرة هذه الدول العربية على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة التي تعاني منها وهي مشكلات ذات طبيعة مصيرية. فالى أي مصير تريد حكومتا الكويت والامارات أن تجرا الامة العربية.... في هذا الظرف الصعب الدقيق والخطر.. وسياسات من وأهداف من تريدان ارضاءها؟ اننا.. وبعد أن اوضحنا هذه الامور لكل الاشقاء وبعد أن طلبنا مباشرة من هاتين الحكومتين الكف عن هذه السياسة الظالمة والمدمرة وشرحنا لهما ما نتعرض اليه من اضرار كبيرة، قبل قمة بغداد وفي أثناء القمة وبعدها وارسلنا المبعوثين وكتبنا الرسائل لذلك فاننا ندين ما فعلته حكومتا الكويت والامارات بالعدوان المباشر على العراق فضلاعن عدوانهما على الامة العربية.

أما بالنسبة لحكومة الكويت فان اعتداءها على العراق هو اعتداء مزدوج. فمن ناحية تعتدي عليه وعلى حقوقه بالتجاوز على اراضينا وحقولنا النفطية وسرقة ثروتنا الوطنية .. وان مثل هذا التصرف هو بمثابة عدوان عسكري، ومن ناحية أخرى تتعمد حكومة الكويت تحقيق انهيار في الاقتصاد العراقي في هذه المرحلة التي يتعرض فيها الى التهديد الامبريالي الصهيوني الشرس وهوعدوان لايقل في تأثيره عن العدوان العسكري.

إننا إذ نعرض هذه الحقائق المؤلمة أمام الاشقاء العرب فإننا نأمل أن يرفع الاشقاء صوتهم عاليا لوضع حد لهذا العدوان المتعمد المدبر ولكي ينصحوا المنحرفين للعودة الى السلوك السوي الذي يأخذ بالاعتبار المصلحة القومية المشتركة ومتطلبات الامن القومي المشترك.

ثالثا..وبمناسبة الحديث عن المصالح القومية العليا وارتباط الثروة العربية بمصير الامة العربية نطرح مقترحا كالتالي:... لو تضامنت كل الدول العربية المنتجة وغير المنتجة تضامنا سياسيا متينا واتفقت على العمل على رفع سعر النفط الى ما يزيد عن (٢٥) دولارا ثم أقامت صندوقا للمعونة والتنمية العربية على غرار ما اتُفق عليه في قمة عمان على أن يمول هذا الصندوق بدولار عن كل برميل نفط تبيعه الدول العربية المنتجة بأكثر من سعر (٢٥) دولار فإن المبلغ الذي سيتحقق لهذا الصندوق هو (٥)مليارات دولار سنويا في الوقت نفسه الذي تتحقق فيه زيادات كبيرة في مداخيل الدول المصدرة للنفط لأن التضامن العربي الجماعي الذي يحققه هذا السعر المنصف يزيد من مدخولاتها الحالية ويحميها من المحاولات العدائية التي تستهدف اضعاف القوة العربية من خلال اضعاف مواردها من الثروة البترولية. ويمكننا أن نتصور كيف أن مبلغا ثابتا كهذا سيعزز الامن القومي العربي ويوفر امكانات نمو لكل الدول العربية ويمكنها من مواجهة الضائقة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها أغلب دولنا. إن العراق يطرح هذا المقترح للدراسة الجادة وقد يكون مؤتمر القمة العربي المقبل في القاهرة مناسبة لبحث هذه المقترح واقراره.

رابعا.. وبمناسبة الحديث عن هذه الحقائق المؤلمة نرى من الضروري أن نوضح اللبس الذي ربما يكون موجودا لدى بعض الاشقاء حول موضوع "المساعدات" التي قدمتها الكويت والامارات للعراق أثناء الحرب.

١- لقد أجمع العرب المخلصون في كل الوطن العربي على أن الحرب التي اضطر العراق الى خوضها لم تكن للدفاع عن سيادته فحسب وانما كانت دفاعا عن البوابة الشرقية للوطن العربي وعن الوطن العربي كله وخاصة منطقة الخليج. وقد أكد ذلك قادة الخليج أنفسهم بأقوى العبارات لذلك فان هذه الحرب كانت معركة قومية تولى العراق فيها مهمة الدفاع عن الامن القومي وعن الامن في منطقة الخليج بصورة خاصة..

٢- خلال الحرب قُدمت للعراق مساعدات متنوعة من اخوانه في بعض دول الخليج.. وكان القسم الاساسي منها قد قُدم في حينه على شكل (قروض) بدون فوائد. وقد تلقى العراق مثل هذه "المساعدات" في المراحل الاولى من الحرب ثم انقطعت منذ (١٩٨٢) ولم يناقش العراق آنذاك صيغة تلك المساعدات مع اخوانه لأنه كان يأمل في أن لا تطول الحرب كما طالت ولأنه كان يأمل بعد انتهاء الحرب في استعادة قوته الاقتصادية كاملة. غير ان الحرب طالت وازدادت تكاليفها بمعدلات عالية جدا. ان قيمة التجهيزات العسكرية وحدها التي اشتراها العراق بالعملة الصعبة (١٠٢) مليار دولار فضلا عن النفقات الاخرى العسكرية والمدنية التي بلغت معدلات هائلة في حرب ضروس دامت ثماني سنوات وعلى جبهة تمتد (١٢٠٠) كم. وبالرغم من أن كل (المساعدات)

التي تلقاها العراق من اخوانه لم تشكل سوى نسبة ضئيلة بالقياس الى تلك التكاليف الباهظة التي تحملها الاقتصاد العراقي وشعب العراق الذي قدم انهارا من الدم دفاعا عن السيادة القومية والكرامة القومية فان قيادة العراق عبرت عن امتنانها العميق لكل الاشقاء الذين قدموا المساعدة.. وقد عبر القائد صدام حسين عن ذلك علنا عند الزيارات التي قام بها عدد من الاخوة رؤساء دول الخليج للعراق ولكن الحقيقة المرة التي ينبغي أن يعرفها كل عربي هي أن القسم الاساسي مما ذكرنا من المساعدات لايزال مسجلا كـ"دين" على العراق ومن ذلك ما قدمته الكويت والامارات.. وقد فاتحنا المعنيين بروح الاخوة منذ أكثر من عام لالغاء هذا (الدين) ولكنهم تملصوا من ذلك وقد سُجلت على العراق كـ (دين) أيضا كميات النفط التي باعتها الكويت لحساب العراق من منطقة الخفجي بعد غلق الانبوب العراقي المار عبر سوريا مع أن تلك الكميات بيعت خارج حصتها في الاوبك. ولكي تُعرف الحقائق كاملة عن هذا الموضوع لابد من ايضاح جانب مهم لما جرى في اطار سوق النفط خلال فترة الحرب.. لقد كان العراق منتجا رئيسيا للنفط قبل الحرب وكان ينتج حوالي (٣ر٦) ملايين برميل يوميا قبل الحرب وعند قيام الحرب توقف انتاجه كليا لعدة اشهر ثم صار يصدر كمية قليلة عبر تركيا ثم عبر سوريا لحين توقف الانبوب عام (١٩٨٢) وتوقف تصدير العراق من النفط في الجنوب من ايلول (١٩٨٠) لحين بدء تشغيل الخط المار عبر المملكة العربية السعودية في ايلول (١٩٨٥) وقد خسر العراق من جراء هذا الانخفاض الكبير في صادراته بسبب الحرب مبالغ هائلة تقدر بـ (١٠٦) مليارات دولار. ومن الناحية العملية فان هذه المبالغ قد انتقلت الى خزائن الدول الاخرى المنتجة للنفط في المنطقة التي زاد تصديرها لتعويض النقص الذي حصل في صادرات العراق طيلة ثماني سنوات. وبحساب بسيط للارقام نجد أن "ديون" الامارات والكويت المسجلة على العراق لم تكن كلها من خزينتيهما وانما كانت كلها من حصة الزيادات التي تحققت في عوائدهما من جراء انخفاض صادرات العراق عبر سنوات الحرب. وإننا لنتساءل..اذا كان العراق قد تحمل مسؤولية الدفاع عن الامن القومي العربي وعن السيادة والكرامة العربية.. وعن ثروة دول الخليج التي كانت ستذهب هباء وتقع في ايدي الآخرين لو خسر العراق الحرب.. فهل يمكن اعتبار ما قُدم له من مساعدات (دينا) عليه؟ لقد قدمت الولايات المتحدة مبالغ طائلة من التي تجبيها من دافعي الضرائب الامريكان كمساعدات للاتحاد السوفيتي وحلفائها الغربيين وهم ليسوا ابناء أمة واحدة اثناء الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب العالمية الثانية انفقت اميركا المبالغ الهائلة في اطار مشروع مارشال لاعادة بناء أوربا.. وتصرفت بنظرة استراتيجية شمولية لحسابات أمنها وأمن "المجموعة الدولية التي تنتمي اليها والتي شاركت في الحرب ضد عدو مشترك .. فكيف يمكن استمرار اعتبار هذه المبالغ (دينا) على العراق من اشقائه في امة العرب.. وهو الذي ضحى باضعاف اضعاف هذا (الدين) من امواله طيلة سنوات الحرب الضروس وقدم انهارا من دماء زهرة شبابه في الدفاع عن ارض الامة وكرامتها وعرضها وثرواتها..

ألا يوجب المنطق القومي ومنطق الامن الاقليمي اذا اخذنا السابقة الامريكية بالاعتبار على هذه الدول ليس الغاء هذا (الدين) المحسوب على العراق فحسب وانما تنظيم خطة عربية على غرار (مشروع مارشال) لتعويض العراق بعض ما خسره في الحرب ؟

هكذا يكون المنطق القومي لو كان هناك احساس بالعروبة وبالانتماء العربي وموقف جاد من الامن القومي. وبدلا من السلوك وفق هذا النهج القومي المسؤول نجد حكومتين من حكومات دول الخليج اللتين حفظ العراق لهما بدماء ابنائه ثروتهما بل زادت تلك الثروات الهائلة بسبب انخفاض انتاج العراق تسعيان الآن الى تدمير

اقتصاد العراق وتقليل موارده وتعمد احداهما وهي حكومة الكويت الى الاعتداء على الارض وسرقة ثروة من حموا ارض الكويت وعرضها وثروتها.

اننا نضع هذه الحقائق المؤلمة اما ضمير كل عربي شريف وفي المقدمة منهم شعب الكويت الشقيق لكي يقدروا الالم والضرر والأذى الذي اصابنا ويصيبنا.

أرجو سيادة الامين العام توزيع هذه الرسالة علىالدول العربية .

... مع أطيب التحيات والتمنيات..

طارق عزيز

نائب رئيس الوزراء

وزير خارجية الجمهورية العراقي

بغداد ٢٣ ذي الحجة ١٤١٠ هـ

الموافق ١٥ تموز ١٩٩٠ م

نجد في رسالة الدكتور كل الودّ وكل الاعتراف بشخصية الكويت الاعتبارية الدولية والجنوح الى ايجاد الحلول في الإطار الأخوي . ونلاحظ نقداً للكويتيين لا تجريح فيه لهم انما ينال من مصداقية الدهشة " المفتعلة " التي ابداها الشيخ صباح الأحمد تجاه الاقتراحات العراقية حول التسهيلات الموعودة للعراق والتي ينكرها الشيخ صباح . ويؤكد على أن العراق هو الذي كان يبادر الى بحث هذا الشأن خلال الفترة الأخيرة .

أما المذكرة الى الجامعة العربية فقد اختلفت لهجتها جذريا وأخذت صفة الاتهام المباشر والتهديد الممزوجين مع مناشدة موجهة الى اسماع الشعب الكويتي الشقيق " ليقدّر " بنفسه الأضرار التي تصيب العراق. ومن الجدير بالذكر ان المذكرة العراقية لم تتعرض الى المملكة العربية السعودية بأي نقد على الإطلاق.

ولقد اجابت الكويت بمذكرة الى الجامعة العربية حاولت فيها تفنيد نقاط المذكرة العراقية. ولكن انطباعنا هو ان الإدعاءات العراقية هي الأقرب الى الواقعية . ومع ذلك لا نستطيع التنطع لإصدار حكم نهائي لأن مثل ذلك يحتاج الى تمحيص دولي قد يحتاج الى سنوات قبل البت فيه.

الخطاب اللاهب للرئيس صدام حسين

في ذكرى الثورة العراقية عام ١٩٦٨ حيث استولى حزب البعث على الحكم [١٢] أي بعد يومين من تسليم المذكرة الى الجامعة العربية القى الرئيس صدام حسين خطابا ملتهبا يظهر الخلاف والانشقاق علنا ويهاجم قادة الكويت والامارات ويحذرهم بوضوح من إيذاء العراق اقتصاديا وينذرهم بأن صبر العراق إذا انتهى فسوف يلجأ الى الوسائل التي يراها كفيلة بارجاع حقوقه اليه. وأوضح الرئيس صدام التشابه بين الاذى الاقتصادي وبين العدوان العسكري المباشر. فهذا النوع من العدوان سوف يدفع الجانب الأخر الى اجراءات عسكرية تقابلها للدفاع عن مصالحه . وبذلك الخطاب تكهرب الافق في كل المنطقة وقامت مجموعة من الاتصالات على أعلى المستويات محاولة الاحاطة بالأزمة وأحتوائها ثم تحجيمها مثل اتصالات الملك الحسين والشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير البحرين في ١٩٩٠/٧/١٩ بالرئيس صدام مستفسرين عن مطالب العراق. وفي ٧/٢١ حصلت اتصالات هاتفية أخرى بين الرئيس العراقي وبين الملك حسين، والرئيس حسني مبارك والرئيس اليمني علي عبد الله صالح. وكان الرئيس صدام يؤكد للجميع بأن العراق جادّ في سعيه الى حل الأزمة شريطة ألا تقتصر النتائج على مجرد تهدئة الخواطر أو تبويس اللحى إنما عن طريق حصول العراق على حقوقه كاملة.

خلال تلك الأيام كانت الحشود العراقية تجرى على قدم وساق وكانت لهجة التلاسن الاعلامي بين الكويت والعراق تتصاعد . وفي ٧/٢٢ اجتمع طارق عزيز مع الرئيس حسني مبارك في الاسكندرية للتشاور فيما يحدث وانضم اليهم بتاريخ ٧/٢٣ الملك حسين لشعورهم جميعا بخطورة الوضع المتأزم. وفي ١٩٩٠/٧/٢٤ انطلق الرئيس مبارك الى بغداد في محاولة لتهدئة الامور واستبعاد الخطر واجتمع مع الرئيس صدام في قصر القادسية. هناك استفسر الرئيس مبارك عن مغزى الحشود العراقية وعبر عن أمله الأكيد في الا تصل الأمور الى حد الانفجار، ووضع نفسه ومقدرته على التوسط تحت تصرف الطرفين. فأدلى الرئيس صدام بجوابه . وحول هذا الجواب اختلفت الأقوال. ونحن لانستطيع حل الإشكال حول جوابه

---

[١٢] ـ في ١٩٦٨/٧/١٧ نجح الانقلاب البعثي بالتعاون مع الفريق عبد الرزاق النايف الذي لولاه لما نجح الانقلاب على الرئيس عبد الرحمن عارف. فقد كان رئيساً للاستخبارات العسكرية وتمكن من كشف الخطة البعثية ولكنه لم يفضحها وإنما تحالف معها. ولكن الاختلاف بين الطرفين كان كبيرا بحيث تربص كل جناح بالآخر . وكان جناح البعثيين أسرع ، إذ تدخل الرئيس صدام حسين وأزاحه بالقوة وغير المعطيات لصالح فردية الحزب. بالطبع لم يكن السيد صدام حسين آنذاك رئيسا للعراق وإنما الرجل الثاني بعد أحمد حسن البكر. وراح الفريق النايف ضحية عملية اغتيال فيما بعد .

أميركيين للرد على القوات العراقية إن حصل الغزو. ولكن أمير الكويت أمر بسحب هذه القوات معتمدا ، حسب قوله ، على الاطمئنان الذي وصله من الرئيس مبارك. ومن القرائن التي تؤيد سحب الأمير لتلك القوات ما صرح به الشيخ سعد العبد الله في لندن بتاريخ ١٩٩٠/٨/٤ حيث قال ان وزير دفاعه حين اعلمه في الساعة الواحدة والنصف من فجر ١٩٩٠/٨/٢ بالغزو العراقي طلب الاجتماع معه فقال لوزير الدفاع : " انا في انتظارك الآن . ولننتقل الى غرفة العمليات . وبدأنا نتابع زحف القوات العسكرية داخل الحدود ، وتمكنا بسرعة وفي وقت قصير ان ننشر القوات العسكرية الكويتية ." [١٤]

لقد ظهرت في اوساط الاعلام آراء عجيبة تُرجع الايعاز بسحب القوات التي تم نشرها الى عدم رغبة الكويت في استفزاز العراق. لكننا نرى مثل هذه النظرة مريضة لأسباب عديدة أهمها هو التساؤل: من هو الذي يستفز الآخر؟. أهو الكيان الأضعف الذي يملك ٢٥ ألف جندي قليلي الخبرة في الأعمال الحربية الحقيقية أم هو الكيان المتمرس والذي يملك فوق تجاربه الضخمة ٤٠ ضعفا مما يملكه الصغير؟. أهو الكيان الأضعف الذي لم يسبق له ان اطلق اية تهديدات ولم يمارس اي عدوان على جيرانه ام العراق الذي له سوابق عملية في تهديداته وفي تجاوزاته للحدود[١٥] وخاصة حين احتل اجزاء مختلفة من الجزر الكويتية اثناء أزمة عام ١٩٧٣ ؟ وعلى كل حال لو لم تسحب القيادة الكويتية تلك القطعات التي ُوزعت على نقاط دفاع يصعب على الغازي اجتيازها بسهولة لحصلت اصطدامات فيها دفاع منظم سوف يؤدي حتماً الى تعثر التقدم العراقي بحيث لم تكن قواته لتصل الى وسط مدينة الكويت ولاحتلال قصور الأمير خلال عدة ساعات. بالطبع يميل البعض من ذوي الرؤية العاطفية الى انكار أية قوة حقيقية لدى الجيش الكويتي ليستنتجوا أن مصير المعركة ما كان ليتغير تجاه القوة العراقية الجبارة الزاحفة. ونحن لسنا من أنصار ذلك لأننا قانعون بأن التدريب الذي حصل عليه عدد كبير من ضباط الجيش في افضل المؤسسات العسكرية العالمية خلال السنوات العشرة الأخيرة، بدافع خشية الكويت من أن يصيبها عدوان ايراني بعد احتلالهم للفاو، منح الجيش الكويتي كثيرا من المعلومات النظرية التي اكتسبت كثيراً من الحيوية لاقترانها الزمني بما كان يحدث تحت سمعهم وبصرهم في الجوار القريب وعلى أرض

---

[١٤] – وثائق الاحتلال – وفائي دياب صفحة ٢٠

[١٥] – نشير في ذلك الى التهديدات العراقية في فترة ١٩٦١ – ١٩٦٣ والى احتلال العراق لموقع الصامتة الكويتي. ويقول الكويتيون بأن العراق احتل في ذلك العام أجزاءً من اراضي جزيرتي وربة وبوبيان في عام ١٩٧٣ . وللتفاصيل انظر " د. أسيري " صفحة ٧٢ وصفحة ١٣٩

مفعول الشرطية. وبذلك يصبح قول الرئيس حسني مبارك هو الأوقع والأصح. فهل كان البزاز دقيقا في نقله للحدث؟.

لا نستطيع المرور على موضوع التعهد الذي وعد به الرئيس صدام بعدم استخدام القوة دون أن نناقش ما جاء لدى ابراهيم نافع عن هذه النقطة بالذات. فعلى الصفحة ٥١ من كتابه يتحدث عن تعهد الرئيس صدام ثم خرقه لتعهده. ويتابع نافع بالحرف: " والأغرب من هذا كله أن صدام حسين خرج ليقول بنفسه من جديد انه كان يعني بهذا الكلام أنه لن يقوم بعملية الغزو الا بعد اجتماع جدة بين الوفدين العراقي والكويتي ، متناسياً أن الحديث في بغداد والكويت خلال زيارة مبارك لم يكن يتضمن من قريب أو بعيد موضوع اجتماع جدة ، وأن اجتماع جدة قد تم الاتفاق عليه بعد ذلك ، بالاتصالات الهاتفية في وقت لاحق. "

أما على الصفحة ١١٧ من ذات الكتاب فيذكر نافع أن الرئيس مبارك حين كان في الطائرة منطلقاً من بغداد الى الكويت يوم ١٩٩٠/٧/٢٤ سمع بتصريحات طارق عزيز التي تصف لقاء جدة المتفق عليه بأنه بروتوكولي. وعَبَّرَ نافع عن استياء الرئيس مبارك من اعطاء اللقاء المُعَوّل عليه صفة البروتوكولية.

وأما على الصفحة ٢٢٦ من الكتاب فنجد أن نافع يورد نصوص الرسائل المتبادلة بين الرئيسين المصري والعراقي. ومن رسالة الرئيس مبارك التي تتألف من ٥٦ صفحة نقتبس الفقرة التالية التي يخاطب بها الرئيس صدام: " أما عن مضمون الحديث الذي دار بيننا في اللقاء المغلق فأذكر على وجه التحديد أنك قلت لي بالحرف الواحد : يا أبا علاء إن حكام الكويت مذعورون رغم أنني لا أنوي بالقيام بأي عمل عسكري، وأعتقد أنك تستطيع أن تنتهز الفرصة وتطلب منهم ما تشاء ، وأن تطرق الحديد وهو ساخن لأنهم سيبادرون بالاستجابة لطلبكم ...وقد أضفتم الى هذا أنكم ستعملون على بحث كافة المسائل المختلف عليها في المحادثات التي اتفقنا على اجرائها في جدة ، ثم في عاصمة البلدين."

إذن فإن ما جاء به نافع على الصفحتين ١١٧ و ٢٢٦ ينقض نقضاً جذرياً ما كتبه في الصفحة ٥١. ولا نستطيع التكهن كيف يفسر نافع هذا التناقض الصارخ.

ولكن المهم هو أن الرئيس مبارك أوصل الاطمئنان غير المشروط الى الكويت. والاثر المصيري لهذا الجواب ذو شقين: الأول هو حفاظ الكويتيين على تصلب موقفهم مع عدم تخفيف حدة اللهجة في التخاطب الاعلامي. والثاني هو ما حدث في الكويت من الناحية العسكرية.فرئيس اركان الجيش الكويتي اللواء مزيد الصانع كان قد قام بنشر قوات من الجيش حسب خطة دفاعية مدروسة من قبل كفاءات عالية تم التشاور عليها مع ضباط قادة

أميركيين للرد على القوات العراقية إن حصل الغزو. ولكن أمير الكويت أمر بسحب هذه القوات معتمدا ، حسب قوله ، على الاطمئنان الذي وصله من الرئيس مبارك. ومن القرائن التي تؤيد سحب الأمير لتلك القوات ما صرح به الشيخ سعد العبد الله في لندن بتاريخ ١٩٩٠/٨/٤ حيث قال ان وزير دفاعه حين اعلمه في الساعة الواحدة والنصف من فجر ١٩٩٠/٨/٢ بالغزو العراقي طلب الاجتماع معه فقال لوزير الدفاع : " انا في انتظارك الآن . ولننتقل الى غرفة العمليات . وبدأنا نتابع زحف القوات العسكرية داخل الحدود ، وتمكنا بسرعة وفي وقت قصير ان ننشر القوات العسكرية الكويتية ." [١٤]

لقد ظهرت في اوساط الاعلام آراء عجيبة تُرجع الايعاز بسحب القوات التي تم نشرها الى عدم رغبة الكويت في استفزاز العراق. لكننا نرى مثل هذه النظرة مريضة لأسباب عديدة أهمها هو التساؤل: من هو الذي يستفز الآخر؟. أهو الكيان الأضعف الذي يملك ٢٥ ألف جندي قليلي الخبرة في الأعمال الحربية الحقيقية أم هو الكيان المتمرس والذي يملك فوق تجاربه الضخمة ٤٠ ضعفا مما يملكه الصغير؟. أهو الكيان الأضعف الذي لم يسبق له ان اطلق اية تهديدات ولم يمارس اي عدوان على جيرانه ام العراق الذي له سوابق عملية في تهديداته وفي تجاوزاته للحدود[١٥] وخاصة حين احتل اجزاء مختلفة من الجزر الكويتية اثناء أزمة عام ١٩٧٣ ؟ وعلى كل حال لو لم تسحب القيادة الكويتية تلك القطعات التي وُزعت على نقاط دفاع يصعب على الغازي اجتيازها بسهولة لحصلت اصطدامات فيها دفاع منظم سوف يؤدي حتماً الى تعثر التقدم العراقي بحيث لم تكن قواته لتصل الى وسط مدينة الكويت ولاحتلال قصور الأمير خلال عدة ساعات. بالطبع يميل البعض من ذوي الرؤية العاطفية الى انكار أية قوة حقيقية لدى الجيش الكويتي ليستنتجوا أن مصير المعركة ما كان ليتغير تجاه القوة العراقية الجبارة الزاحفة. ونحن لسنا من أنصار ذلك لأننا قانعون بأن التدريب الذي حصل عليه عدد كبير من ضباط الجيش في افضل المؤسسات العسكرية العالمية خلال السنوات العشرة الأخيرة، بدافع خشية الكويت من أن يصيبها عدوان ايراني بعد احتلالهم للفاو، منح الجيش الكويتي كثيرا من المعلومات النظرية التي اكتسبت كثيراً من الحيوية لاقترانها الزمني بما كان يحدث تحت سمعهم وبصرهم في الجوار القريب وعلى أرض

---

١٤ - وثائق الاحتلال - وفائي دياب صفحة ٢٠

١٥ - نشير في ذلك الى التهديدات العراقية في فترة ١٩٦١ - ١٩٦٣ والى احتلال العراق لموقع الصامتة الكويتي. ويقول الكويتيون بأن العراق احتل في ذلك العام أجزاءً من اراضي جزيرتي وربة وبوبيان في عام ١٩٧٣ . وللتفاصيل انظر " د. أسيري " صفحة ٧٢ وصفحة ١٣٩

ومواقع مشابهة. ولا يجوز نسيان المشاركة البطولية لمدفعية الكويت الى جانب سوريا على مرتفعات الجولان اثناء حرب ١٩٧٣ مع اسرائيل . وهذا كان سيمكن الكويت من تشكيل عقبة ذات أثر قمينة بتأخير وصول العراق الى هدفه لأكثر من يوم واحد. وهذا ما كان يرجوه قادة الكويت لأن ولي العهد كان يخاطب ضباط الجيش قائلا : " عليكم أن تقاوموا ليوم واحد حتى يحصل التدخل العسكري الأميركي."[١٦]

ان اي مرجع ينكر على القوات الكويتية قدرتها على الصمود يكون غارقاً في الأوهام او إنه يتظاهر بذلك متعمداً . ونحن نرى انه لو دافع الجيش الكويتي دفاع المدن من بيت الى بيت لما تحقق للعراق هذا النصر السهل ابداً .

ولاستكمال هذه النقطة من أكثر من جانب نقول بأننا لانستبعد أن الولايات المتحدة سرّبت الى الكويت "ايعازا" يشدد على سحب القوات المنتشرة بحجة عدم استفزاز العراق. ولكن السبب الحقيقي لايمت الى الاستفزاز بصلة إنما من أجل استكمال المؤامرة على العراق والكويت معا. فلو تمكنت الكويت من تأخير وتعطيل الغزو العراقي لأكثر من ٢٤ ساعة لاهتزت المعادلة الأميركية أعنف اهتزاز. فبقاء أمير البلاد ضمن الكويت/العاصمة سوف يقطع على واشنطن فرصة النجاح في اقناع الملك فهد بقبول انتشار القوات الأميركية في الاراضي السعودية لأن استمرار سيطرة الشرعية الكويتية على اجزاء من الوطن الكويتي كان سيسمح بانزال القوات على أرض كويتية فتنتفي ضرورة "جرّ رجل" المملكة الى ما تكره أشد الكراهية. ونحن نجد مراجع لاحصر لها تثبت التخطيط الأميركي لاخراج أمير البلاد ومعه أمراء الصف الأول من قصورهم لايصالهم الى المملكة – وليس الى حاملة طائرات أميركية– ولم نشهد ولم نقرأ خلال كل فترة بحوثنا عما ينم أو يوحي بوجود مخطط أميركي للدفاع الفعلي عن الكويت وإنما اقتصرت على المناورات. لقد تخلت الولايات المتحدة عن كامل الكويت سلفاً لتوريط المملكة العربية السعودية من جهة، ولكي "تضطر" لتحريرها فيما بعد حين يغزوها العراق .

الملك حسين وياسرعرفات في بغداد

[١٦] – البزاز صفحة٦٢ . انظر ايضا كوولي صفحة ٣٢١

في ١٩٩٠/٧/٢٨ وصل الرئيس ياسر عرفات الى بغداد في جملة المحاولات المكثفة لتفادي الحريق الكبير الذي يهدد كل المنطقة. وبعد حديثه مع الرئيس صدام ايقن تماما بأن أيام الدبلوماسية واللين انتهت وانقلبت الى التحجر وأن العدّ التنازلي لاندلاع الحريق قد بدأ ولن يوقفه سوى ليونة محسوسة يبديها الجانب الكويتي. فانطلق اليها في ٧/٢٩ فإذا به يكتشف أن الكويتيين تلقوا الاشارة المطمئنة الخاطئة من الرئيس مبارك حين أكد لهم أن العراق لن يهجم على الكويت. فحاول عرفات اقناع الأمير جابر الأحمد بالجدية الكلية للتظاهرات والحشود العراقية حاثاً له على ابداء بعض التجاوب لكن الامير أصر على الرفض. والتقى الرئيس عرفات مع ولي العهد الشيخ سعد العبد الله الذي كانت تربطه مع الفلسطينيين صداقة قديمة وحذره من أن يذهب الى اجتماع جدة صفر اليدين. بل إن الرئيس عرفات حاول تحذير الشيخ سعد من "فخذ" أولاد جابر من عائلة الصباح (أي الأمير جابر والشيخ صباح) الذين يجازفون بالكثير لمصلحتهم الشخصية. ولكن ولي العهد لم يكترث ولم يبد استعدادا للتجاوب . فجمع الرئيس عرفات معاونيه واتجه الى المطار مهموما ومتشائما مما قد يأتي به الغد. ولا بد أن الرئيس عرفات قد نقل تحذيراته الى الكويت بناء على طلب الرئيس صدام حسين وبالتنسيق معه ثم اعلم بغداد بفشل مساعيه بعد ذلك.

وقام الملك الحسين بمحاولة أخيرة لتفادي الانفجار فقام بزيارة الى بغداد في ٧/٣٠ باحثا عن حل . ولكنه هناك استقرأ مدى الغضب والحنق الذي تملّك العراقيين من التعنت الكويتي واستمع مجددا الى مطالب الرئيس صدام ثم تابع رحلته لزيارة الكويت . في الكويت ناشد أولي الأمر أن يستجيبوا في موضوعي الحدود والمديونية وذكرهم بضحايا العراق في حربها مع ايران. وذكرهم ايضا كيف كانوا يستمعون معا اثناء زيارات سابقة له الى الكويت الى اصوات المدفعية العراقية والايرانية في جوارهم القريب والتي كانت ستهدد وجودهم ودولتهم لو انتصرت ايران. ورغم كل ذلك لم يلمس الملك حسين أية استجابة إنما أوضحوا له أنهم لن يطالبوا العراق بالديون ولكنهم لن يعلنوا عن اسقاطها متحججين بأن بقاء الديون يخدم العراق على اساس اظهاره عالميا بحاجة لقروض. فأجابهم الملك بأنه لايستطيع فهم هذا المنطق ولايقبل به. وانتهى لقاء العاهل الاردني مع الكويتيين بالفشل إذ اظهروا له عدم الاكتراث لما قد يفعل العراق. وأجاب بعض الكويتيين الموجودين في اللقاء:" اذا كان العراقيون يريدون أن يدخلوا ليدخلوا. فسيأتي الاميركان ليخرجوهم من الكويت." [١٧]

---

[١٧] - البزاز ص٦٢

لاشك في أننا نوافق الملك الحسين في عدم تقبله للحجة الكويتية في عدم اعلانهم اسقاط القروض عن العراق. ولكننا لانقف لدى بحثنا لهذه النقطة عند هذا الحد إنما نتجاوزها لنتحرى عن السبب المنطقي للموقف الكويتي في عدم اعلان تنازلهم عن القروض . وهو في رأينا يكمن في نقطتين . اولاها هو أن اسقاط الديون عن العراق سوف يدفع المدينين الآخرين لمحولة اسقاط الديون عنهم ايضاً والثانية هي أن الولايات المتحدة كانت ستحاسبهم أشد حساب لو تنازلوا عن القروض . لأن التنازل يفتح الباب ، أو لنقل يشق الباب لترضى النفوس وتهدأ الخواطر فيبعد الانفجار. فلو أراد الكويتيون اعطاء العراق مبالغ بالمليارت لما أمكن انجاز ذلك دون تدخل بنوك عالمية تمر تحت "المجهر" الأميركي شاءت الكويت أم أبت. أما "عدم تسديد" مبالغ كبيرة فلن يمر على أية بنوك ويمكن انكاره.. بل التراجع عنه في كل وقت ان اقتضت الظروف الانكار .

مؤتمر جدة

في هذه الاجواء المشحونة وفي تلك الظروف العصيبة تمكن وزيرالخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل من تحضير مبدئي لاجتماع قمة مصغر في جدة. فعاد الى المملكة لارسال دعوتين رسميتين الى حكومتي العراق والكويت. وما كنا لنهتم بهذا التفصيل لولا الحاجة الى ايراد نص الدعوة الموجهة من الملك فهد الى الأمير جابر الأحمد والتي علق الأمير جابر عليها بكلمات ذات مغزى عميق :

المملكة العربية السعودية

ديوان رئاسة مجلس الوزراء برقية رقم ٣٥٣

التاريخ ١٤١١/١/٧ هـ

صاحب السمو الأخ العزيز الشيخ جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت حفظه الله ،

فإنني أود أن أشير الى الاتصالات الأخوية التي جرت مع سموكم وفخامة الأخ الرئيس صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية، وما تم التفاهم عليه بأن يجتمع سمو الأخ الشيخ سعد العبدالله الصباح ودولة الأخ عزة إبراهيم في بلدكم الثاني المملكة العربية السعودية. وإنه لمن دواعي سروري أن نرحب بسمو الأخ الشيخ سعد العبدالله في مدينة جدة يوم الثلاثاء التاسع من شهر محرم ١٤١١ هـ الموافق الحادي والثلاثين من شهر يوليو/ تموز عام ١٩٩٠ وفقا لما تم التفاهم عليه. وفي الوقت الذي أتطلع فيه لهذا الاجتماع الأخوي فإنني أثق كل الثقة

بأن حكمة سموكم وثاقب بصيرتكم ستحقق بمشيئة الله ما يتطلع إليه (أشقاء لكم في البلاد العربية) من تذليل كل الصعاب وتجاوز كل العقبات، وتأكيد الصحبة والوئام بين البلدين الشقيقين. وفي الختام أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن صادق مودتي وتقديري المقرون بأخلص تمنياتي الأخوية لسمو الأخ بموفور الصحة والسعادة، وللشعب الكويتي الشقيق بالمزيد من التقدم والرخاء والازدهار. والله يحفظكم ويرعاكم.

اخوكم خادم الحرمين الشريفين

فهد بن عبد العزيز آل سعود

وحسب قول هيكل وجد العراقيون نص الدعوة بعد احتلالهم لقصر الأمير ووجدوا عليها الملاحظة التالية مكتوبة بخط الامير :[18]

" الشيخ سعد

نحضر الاجتماع بنفس شروطنا المتفق عليها، والأهم بالنسبة لنا مصالحنا الوطنية. ومهما ستسمعونه من السعوديين والعراقيين عن الاخوة والتضامن العربي لاتصغوا اليه. كل واحد منهم له مصالحه ،السعوديين يريدون إضعافنا واستغلال تنازلنا للعراقيين لكي نتنازل لهم مستقبلا عن المنطقة المحايدة.والعراقيين يريدون تعويض حربهم من حساباتنا. لاهذا يحصل ولا ذاك ، وهو رأي أصدقائنا في مصر وواشنطن ولندن.... أصروا في مباحثاتكم، نحن أقوى مما يتصورون.

تمنياتنا بالتوفيق

جابر

لايهمنا من نص هذه الملاحظة التثبت من اعتماد أمير الكويت المؤكد على الولايات المتحدة وبريطانيا لأن المؤشرات الدالة الى ذلك أكثر من أن تحصى. ولكن ذكر مصر يجلب النظر بشكل عنيف!.. فهل كان ثمة دور للرئيس مبارك في تحريض الكويت على التصلب قبل انفجار الأزمة. إن كان يحق للباحث التعبير عن شعوره المستمد من العديد من القرائن التي تجمعت لديه من قراءته لمختلف المراجع عن الموضوع لجزمنا بتبرئة مصر من احتمال قيامها بدور مسبق من هذا النوع قبل الانفجار. أما رأينا في دور الرئيس مبارك بعد احتلال الكويت فموضوع آخر وسوف نبحثه بالتفصيل في مكانين قادمين من هذا الكتاب.

---

[18] - اخذنا هذين النصين من هيكل صفحة ٣٣٠-٣٣١ وتركنا الأخطاء الاعرابية في كلمة الشيخ جابر كما هي . هذا ونجد النص مصوراً بالزنكوغراف لدى"عودة بطرس عودة " صفحة ٢٦٢ .

وصل الوفدان الى جدة ظهر ١٩٩٠/٧/٣١. وتشكل الوفد العراقي من السيد عزة ابراهيم، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة والدكتور سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء والسيد على حسن المجيد، ابن عم الرئيس صدام حسين، وهو الذي عين حاكما للكويت بعد الاحتلال. بينما ترأس الوفد الكويتي ولي العهد ورئيس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح ومعه وزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد ووزير العدل. ويقول سالنجر أن السيد عبد الله بشارة ، أمين سر مجلس التعاون الخليجي حضر المناقشات أيضا. [١٩]

سبق انعقاد المؤتمر واجتماع الوفدين مؤشران أحدهما سلبي والآخر ايجابي. أما السلبي فهو اعتذار الأمير الشيخ جابر عن الاشتراك في المؤتمر كرئيس لوفد بلاده مما حدا بالرئيس صدام الى الاعتذار ايضا مما هبط بمستوى تمثيل الدولتين من أعلى مستوى لصنع القرار الى الذي يليه. وأما الايجابي فهو توقف الحملات الاعلامية التي كانت ستؤثر على المفاوضات مهما كان الاتجاه الذي سوف تسير اليه.

هناك اختلاف جوهري حول ما حدث في اجتماع جدة بين كتاب سعد البزاز الذي يمثل وجهة نظر عراقية الى حد ما وبين العديد من كتاب آخرين. فالاطراف متفقة على أن الجانب العراقي بدأ بعرض النقاط التي يتشكى منها بالاضافة الى الاتهامات الموجهة الى الكويت مكررا مضمون المذكرة العراقية الى الجامعة العربية تقريبا ومن ضمن المطالب العراقية التي لانذكر أننا قرأناها سوى في كتاب البزاز موضوع الخط الجوي R ١٩ الذي كان يسيطر على حركة الطيران المدني في منطقة الخليج والذي كان مرتبطا بمطار البصرة قبل الحرب مع ايران.[٢٠] فبعد انتهاء الحرب ارادت الكويت الاحتفاظ بمركز السيطرة المذكور في مطار الكويت بينما أراد العراق اعادته الى البصرة بعد أن اكتشف العراقيون تسلل الطيران الاسرائيلي الى الاجواء العراقية من خلال هذا الخط. كان البيان العراقي هادئا وخاليا من لهجة التهديد. وتولى الاجابة عليه الشيخ سعد العبد الله مفندا كل الاتهامات بدون تشنج وبدون سلبية ايضا. لكن خلو تخاطب الطرفين من العنف والتهديد لم يمنع تبلور قناعة لدى الطرفين بأن الاجتماع يتجه الى الفشل المؤكد لأن أجوبة الكويتيين كانت "لاءات أربعة" حسب

---

[١٩] - سالنجر صفحة ٩٥

[٢٠] - بزاز صفحة ٨١

تعبير البزاز [٢١]. الاولى ترفض اعتبار المذكرة العراقية الى الجامعة العربية اساسا للتفاوض. والثانية ترفض اعادة الخط الجوي ١٩R الى مطار البصرة. والثالثة رفض اسقاط الديون عن العراق والرابعة نأخذها بالحرف من البزاز لأننا لم ندرك "اللاء" التي تكمن وراءها [٢٢]:" رابعا: إن الكويت رغم انضمامها الى الاتفاق الخماسي الذي وقع عليه وزراء النفط في جدة للالتزام بحصص الانتاج المقررة في منظمة أوبك، فإنها تتحمل خسائر من جراء تخفيض انتاج النفط." هذا النص الذي ورد في كتاب عراقي لايعني أي رفض إنما يحوي مجرد قول محايد عن وجود خسارة تلحق بالكويت إذا خفضت انتاج النفط. ولكننا في ذات اللحظة التي نرفض فيها وجود "لا" في جواب الوفد الكويتي نرفض قولهم بوجود خسارة تصيبهم من خفض الضخ. وقبل اثبات رأينا نحرص على تثبيت نقطة هامة. إذ يبدو أن دول البترول لاتعتبر كميات النفط المخزونة في اجوافها ثروة إنما تعتبرها كذلك فقط حين يجري ضخها وبيعها. وهذا يتناقض مع العرف التجاري وعرف الملكية. فالتاجر الذي لايبيع بضاعة موجودة في مستودعه لايخسر لأن مضمون المستودع لايباع دفعة واحدة إنما بالتقسيط. ولايجوز اعتبار غياب الفوائد خسارة، لأن ارتفاع السعر، وهو وارد في كل تجارة، سيعوض على التاجر إن بقيت بضاعته الى فترة أطول دون بيع الا إذا كانت سلعته من السلع التي تتأثر بعامل القِدَمْ. ولو ألقينا نظرة فاحصة على الحساب لوجدنا أن الكويت تخسر من زيادة الضخ بدلا من أن تربح. فحصة الكويت كانت تبلغ ٥ر١ مليون برميل فزادتها لتبلغ ١ر٢ مليون برميل أي بزيادة قدرها ٣٥٪ ولكن سعر البترول انخفض بسبب الزيادات الكويتية والاماراتية من ١٩ دولار الى ١٣ دولارا (أخذنا رقما وسطيا لأن سعر البرميل انخفض في بعض الفترات الى ٧ دولارات) بحيث اصبح وارد الكويت بعد زيادة الضخ أقل من دخلها فيما لو التزمت هي والامارات بالكميات الاقل المتفق عليها في الاوبك. فقبل زيادة الضخ كان دخل الكويت يساوي: ٥ر١مليون برميل×١٩ دولارا = ٥ر٢٨ مليون دولارا في اليوم الواحد بينما بلغ هذا الدخل بعد زيادة الضخ وانخفاض السعر الى الرقم الوسطي: ١ر٢ مليون برميل × ١٣دولار = ٣ر٢٧ مليون دولار في اليوم الواحد.

---

[٢١] – من النقاط التي تم بحثها حسب أقوال ابراهيم نافع موضوع جرّ المياه العذبة من شط العرب الى الكويت. وينقل نافع على لسان الشيخ سعد العبد الله قوله بأن العراقيين اعربوا عن ضيقهم من أن الكويت ترفض توصيل المياه اليها، فنفى ذلك الشيخ سعد. (نافع صفحة ١٥٠) .

[٢٢] – بزاز صفحة ٨٢

قد تكون هذه الارقام غير دقيقة تماماً لكن المغزى منها مؤكد مما يجعلنا نستنتج وجود اسباب أخرى لسياسة خفض الاسعار وأهمها في رأينا الاسهام في الحاق الاذى بالاقتصاد العراقي على أمل النيل من عنفوانه فيصبح أكثر طواعية مما كان عليه بعد نهاية الحرب مع ايران او استفزازه لجره الى حيث تريده واشنطن ان يكون .

نعود الآن الى مجريات مؤتمر جدة لنتعرف على الاختلاف الاساسي حول ما جرى فيه. فبينما يؤكد الوفد العراقي عدم حصول أية مفاوضات تزيد عن مناقشة الاتهامات العراقية والردود الكويتية يكتب سالنجر: " بدأت المحادثات بالتوتر عند طرح الامور المالية. وبالرغم من نفي الفريقين فإن الموضوع المالي أخذ حيزا طويلا وصعبا من المناقشات." [٢٣] ويتابع سالنجر ادعاءه بأن عزة ابراهيم طلب من الكويتيين ١٠ مليار دولار عطاء أو قرضا. وبعد أخذ ورد لم يقبل الشيخ سعد بمنح كامل المبلغ إنما وافق على ٩ مليار فقط مما أشعر العراقيين بأن الكويتيين يريدون اهانتهم والحط من كرامتهم حسب رأي سالنجر. أما نحن فنرى في عدم تجاوب الشيخ سعد مع الرقم عشرة بالكامل ليس سوى اشعار للعراقيين بأن للعطاء حدود وأن الكويت ليست على استعداد للموافقة على أي رقم. وهذا اسلوب تفاوضي مألوف في عالم التجارة والتجار .

افترق الوفدان انتظارا لحفل العشاء الذي اقامه الملك فهد تكريما لهما[٢٤]. وفي التاسعة والنصف استضاف الملك فهد الوفدين وجلس بين رئيسيهما. وبقي الجو مشحونا بالرغم من جهود الملك في تلطيف الجو بابعاده عن موضوع النزاع. وفي نهاية الحفل أعرب الملك عن استعداد المملكة لتقديم المليار دولار "المتنازع" عليه هبة للعراق دون شروط. فشكر الوفد العراقي الملك الذي خرج بعد هذه البادرة الايجابية من الصالة ولديه القناعة بأنه تمكن من تنفيس الاحتقان بين الوفدين. وبقي الوفدان لوحدهما في الصالة وجها لوجه من جديد. يصف سالنجر ما حدث بعد ذلك ما نقتبسه بالحرف [٢٥]:

---

٢٣ - سالنجر صفحة ٩٥

٢٤ - يقول سالنجر بأن الملك حسين حضر وليمة العشاء . ولكننا من خلال تدقيق زيارات الملك لمنطقة الخليج بحثاً عن مخرج حبي لم نجد لديه متسعاً من الوقت لأن يكون في جدة في هذا التوقيت. هذا ولم يرد ذكر وجوده في اي من عشرات المراجع التي اطلعنا عليها من أجل كتابة هذا الكتاب . وتأكدنا من ذلك ايضاً بسؤال البزاز.

٢٥ - سالنجر صفحة ٩٧-٩٨ ، لقد ورد اسم عزة ابراهيم في المراجع المختلفة على شكلين: مرات مع تاء مفتوحة ومرات اخرى مع تاء مربوطة . انظر ايضا حمدان حمدان صفحة ١٤٢ .

" توجه الأمير سعد نحو عزت ابراهيم قائلا :

– قبل الغوص في التفاصيل المتعلقة بمبلغ التسعة مليار دولار. علينا رسم حدودنا المشتركة. نستطيع إنجاز هذا الامر الآن. وبعد ذلك تصبح الأموال في حوزتكم على الفور.

تملك عزت ابراهيم الغيظ واتهم الكويتيين بسوء النية قائلا:

– لماذا لم تطرحوا قضية الحدود في بداية اللقاء؟

فجاء جواب الامير غريبا بعض الشيء.

– نحن لانملك تعليمات ببدء مناقشاتنا انطلاقا من هذا الموضوع.

عند هذا الحد، بدأ الحوار يتخذ طابع الحدة اذ قال الشيخ سعد بأن الكويت تلقت تأكيدات من الحكومة البريطانية بعدم حصول الهجوم العراقي .

وهذه الملاحظة التعيسة والمستفزة جعلت عزت ابراهيم يرد عليه:

–نعرف جيدا كيف نحصل على الاموال منكم ومن السعوديين.

وقف العضوان الرئيسان في مواجهة بعضهما وصوتهما يتهدج غضبا:

– لاتهددنا، أجاب سعد ، لدى الكويت أصدقاء أقوياء (لابد أن تفكيره اتجه الى الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا العظمى)، لدينا حلفاء ، سوف تضطرون الى تسديد القروض المتوجبة لنا عليكم.

كانت هذه التهديدات هي كلمات اللقاء الأخيرة التي نطق بها الوفدان، فقد اتجها الى الفندق دون أن يتصافحا. كانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل والملك فهد يغط في سبات عميق."

يؤكد البزاز طبقاً لأحاديث المسؤولين الرسميين العراقيين عدم حصول تلك المفاوضات والخلافات حول المليارات العشرة معتمدا على تأكيد من الدكتور سعدون حمادي الذي قال: [٢٦] " لقد كتبت محضر الاجتماع بنفسي.... ولم تحدد من قبلنا أية مطالب مالية حتى يرفضوها هم." بينما اعطانا سالنجر تلك التفاصيل الدرامية مع وصف حيٍّ يصعب علينا التصديق بأنه محض اختلاق . وفي كتاب "الخليج بيننا" لحمدان حمدان شرح واف يؤكد حصول هذا

---

[٢٦] – بزاز صفحة ٧٩

الحديث .[٢٧] وكل ماورد في كتاب سالنجر، ما نقبله منه وما نتحفظ عليه يثبت اطلاعه الشامل على التفاصيل .[٢٨]

ولكننا بصرف النظر عن صدق الواقعة أو عدمه نرى أن قرار تنفيذ الغزو بشكل نهائي تحدد في نهاية مؤتمر جدة.

في صباح اليوم التالي اتصل وكيل الخارجية الكويتي السيد سليمان ماجد الشاهين بالدكتور حمادي يطلب منه اصدار بيان مشترك يعلن عن نتائج ايجابية توصل اليها الوفدان. فانتفض الدكتور حمادي وسأل محدثه عن كيفية اصدارمثل هذا البيان الايجابي عن مفاوضات فاشلة. ولكنه أكد بأنه سوف يرجع الى رئيس الوفد قبل اعطاء جواب نهائي.وتشاور مع السيد عزت ابراهيم الذي أجاب:" ليصدر كل وفد ما يشاء من بيانات." [٢٩]

---

[٢٧] – حمدان حمدان صفحة ١٣٨

[٢٨] – يؤكد البزاز في حديث هاتفي معنا ان الدكتور حمادي اقسم له بأن موضوع المليارات لم يُطرح امامه . ويتابع البزاز ان د. حمادي سأل عزة ابراهيم عما اذا أجرى هو بحث ذلك الموضوع مع الوفد الكويتي فأجاب عزة :" كنا معاً منذ دخلنا الى ان خرجنا ". ثم تساءل البزاز : هل يمكن ان يكون الرئيس صدام اتصل هاتفياً بشكل مباشر مع الملك فهد وبحث معه هذا الموضوع ؟ ونحن نرى عدم امكان ذلك لأن طرفي العلاقة اللذين اجريا الحديث كانا عزة ابراهيم والشيخ سعد . ولدى سؤالنا الى البزاز عن المصدر الذي زود سالنجر بالمعلومات عن هذا الجزء من الحديث اجاب : " لا بد انه جاء بها من المرويات " ولكن من هو المصدر الذي اشاع هذه المرويات ان كانت مختلقة ؟ ويؤكد البزاز انه لم يجد اي مرجع عراقي يجرؤ على تأكيد صحة الرواية بالرغم من وجاهة ما دار فيها ثم يتساءل : " ولكن من يبرهنها ، ولماذا أنكر ها الدكتور سعدون حمادي؟ ". ونحن نرى اخيراً ان الرواية صحيحة حتما معتمدين على ما يلي: تعرض الملك فهد الى ما حدث في مؤتمر جدة في حديث له اجراه بتاريخ ١٩٩١/١/٧ فقال :"واجتمع ولي عهد الكويت ..ونائب الرئيس العراقي وحدهم الاثنين فقط لا غير . وكان دور المملكة العربية السعودية هو دور المضيف فقط لا غير " (موسوعة صفحة ٣١٨) . فلا بد ان الحديث عن المليارات جرى خلال اللقاء الانفرادي الذي يذكره سالنجر ايضاً . ولكن ان كان د. حمادي نفسه يقسم على عدم علمه بذلك فلا بد من وجود ثغرات اخرى خفية سربت الخبر. هذا ولو كان حديث المليارات لم يحصل فعلام اختلف الوفدان اذن ؟ ولماذا عادا الى بلديهما احدهما يتوقع الشر والآخر في أشدّ الغضب؟

ان موضوع المليارات محاط باشارات استفهام تحتاج الى أمناء جريئين يوضحون ملابساتها للحقيقة وللتاريخ.

[٢٩] – انظر عن هذه الواقعة سالنجر صفحة ٩٨ وبزاز صفحة ٨٢

في الساعة الرابعة من بعد ظهر ٨/١ غادر الوفد الكويتي جدة واتجه فور وصوله الى قصر بيان حيث تواجد أمير البلاد ونقل اليه الشيخ سعد وقائع المؤتمر وأعرب عن توقعه بأن كارثة سوف تحصل حسب تعبير سالنجر.

نود قبل ان نقفل ملف مؤتمر جدة الاستطراد بالتعرض لما قد يبدو خروجاً عن لب الموضوع بايراد ما جاء في الصحافة الكويتية عما جرى هناك مقتبسين ما كتبته صحيفة" الوطن ". فعلى الصفحة الاولى ورد العنوان بالخط الكبير "ولي العهد: أبرزنا مواقفنا بوضوح من موقع المسؤولية الوطنية .نؤمن بالحوار ونتطلع لمواصلة اللقاءات . راغبون بحل يؤمن مصالحنا المشتركة والمشروعة ." وبعد هذا العنوان يأتي النص التالي : " عاد سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ارض الوطن امس قادما من جدة بعد ان حضر الاجتماع الذي عقد مع وفد من الجمهورية العراقية برئاسة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة عزت ابراهيم . وقد بعث سمو الشيخ سعد ببرقيتين الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطني السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز اعرب فيهما عن شكره وتقديره للجهود الصادقة التي بذلتها السعودية لتطويق وحل الخلاف الطارىء بين الكويت والعراق . واشاد سموه بالجهود التي بذلها ويبذلها الملك فهد لتسوية هذه المشكلة." وتتابع "الوطن" النبأ فتقول: " وفي تصريح ادلى به في جدة قبل مغادرته قال سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ان المباحثات مع الوفد العراقي اتسمت بالوضوح وابراز المواقف حيث تم التداول في كافة جوانب القضية المطروحة بين البلدين الجارين . واضاف قائلا انه اوضح موقف الكويت من موقع المسؤولية الوطنية والالتزام القومي انسجاما مع سياسة الكويت الثابتة تجاه جيرانها وتمشيا مع شعورها بالمسؤولية في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه امتنا العربية . وقد اكدتُ ايمان الكويت بالحوار الموضوعي وفق مبادىء حسن الجوار والرغبة في حل المشاكل بالتفاهم والمفاوضات المباشرة والتزاما بهذا النهج فانني اتطلع الى مواصلة اللقاءات واستمرار المفاوضات في كلا البلدين الشقيقين من اجل التوصل الى حل لكافة القضايا وفق ميثاق الجامعة العربية بما يؤمن مصالحنا المشتركة والمشروعة .

واشاد سموه في تصريحه بجهود المملكة العربية السعودية لتحقيق التفاهم بين الأشقاء للتوصل الى الحل المنشود لصالح البلدين الشقيقين الكويت والعراق . " [انتهى الاقتباس من الصفحة الاولى]

وفي نهاية هذا التصريح على الصفحة الاولى من" الوطن "نجد الكلمات التالية:" طالع صفحة ١٥."

ترى هل هذا نص لتصريح يتناسب مع الحساسية الفائقة للظرف الذي كان راهناً آنذاك ام انه مجرد اجترار اجوف وتكرار لكلمات فارغة تثير الغيظ اكثر مما تخبر عن موضوع الساعة الذي يهم القارىء المتعطش الى معرفة ما وقع حقاً ؟ وعلى كل حال فتحنا الصفحة الخامسة عشرة الواعدة بالمزيد ففوجئنا بالعنوانين الكبيرين :

" عاد الى ارض الوطن بعد اختتام مؤتمر جدة"

" ولي العهد : مباحثاتنا مع الوفد العراقي اتسمت بالوضوح وابراز المواقف "

ثم جاءت الكنوز والدرر البلاغية التالية التي نتألم كل الألم اسفاً على المكان الذي تشغله من هذا الكتاب . ولكنا نرى ضرورة لها ليطلع القارىء الباحث على مدى استخفاف السلطة او الصحافة او كلاهما معاً بالقارىء في معظم انحاء الوطن العربي . اذن نتابع مسيرتنا الاستعلامية مع " الوطن ":

"عاد سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح بحفظ الله ورعايته الى ارض الوطن حوالي الساعة السادسة من مساء امس قادما من جدة بعد ان حضر الاجتماع الذي عقد مع وفد من الجمهورية العراقية والذي استضافته المملكة العربية السعودية الشقيقة .

وكان في استقبال سموه لدى وصوله رئيس الحرس الوطني الشيخ سالم العلي ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد الصباح والشيوخ والوزراء ونائب رئيس واعضاء المجلس الوطني وجمع غفير من المواطنين .

وكان سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء قد بعث ببرقية الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز لدى مغادرته المملكة العربية السعودية وفيما يلي نص البرقية :

" يطيب لي وانا اغادر بلدي الثاني المملكة العربية السعودية ان اعرب باسمي وباسم الاخوة اعضاء الوفد عن عميق الامتنان لما لقيناه من حفاوة بالغة توجتها مودتكم الصادقة فكانت تعبيرا طبيعيا عما بين بلدينا الشقيقين من اواصر حميمة توارثناها جيلا بعد جيل وحرصنا دائما على رعايتها وتعزيزها . كما اود ان اقدم عظيم التقدير لمبادرتكم الكريمة من اجل احتواء الخلاف الطارىء بين الكويت والعراق وما بذلتموه وتبذلونه شخصيا من جهود

مشهودة لتسوية هذه المشكلة انطلاقا من الدور التاريخي للمملكة العربية السعودية والتزامها الثابت بمسؤولياتها تجاه قضايا امتنا العربية والاسلامية .

والله أسأل ان يديم عليكم موفور الصحة والعافية وعلى المملكة العربية السعودية الشقيقة في ظلكم الميمون مزيد التقدم والازدهار وان يأخذ بأيدينا جميعا لمواصلة العمل لما فيه خير وعزة امتنا المجيدة . والله يحفظكم ويرعاكم .

كما بعث سموه ببرقية مماثلة الى الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس الوزراء ورئيس الحرس الوطني للمملكة العربية السعودية وفيما يلي نصها :

لقد كان لحسن الاستقبال وكرم الضيافة التي لقيتها واخوتي اعضاء الوفد خلال اقامتنا بين أهلنا وابناء عشيرتنا في بلدكم الشقيق ابلغ الأثر في نفوسنا جميعا . وانني اذ اعرب لسموكم عن أخلص مشاعر الشكر والعرفان اجد لزاما علي وانا اغادر المملكة العربية السعودية الشقيقة ان اسجل عظيم التقدير للجهود الصادقة التي بذلتها وما زالت تبذلها المملكة العزيزة بقيادة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه وسموكم الكريم لتطويق وحل الخلاف الطارىء بين الكويت والعراق وأغتنم هذه الفرصة لأعبر عن اطيب التمنيات لسموكم بوافر الصحة والسعادة وللمملكة العربية السعودية الشقيقة بدوام التقدم والعزة داعيا المولى الكريم ان يوفقنا جميعا لخدمة امتنا العربية والاسلامية وتعزيز تضامنها وإعلاء شأنها .

وكان سمو الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح قد ادلى في جدة أمس بالتصريح التالي:

استجابة للاتفاق الذي تم بين خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية الشقيقة وأخيه فخامة الرئيس محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الشقيقة .

فقد عقدنا عدة اجتماعات مع سيادة الأخ عزت ابراهيم نائب رئيس مجلس ادارة الثورة في الجمهورية العراقية الشقيقة وذلك مساء الثلاثاء الموافق التاسع من شهر محرم ١٤١١ هـ الموافق الحادي والثلاثين من شهر يوليو ١٩٩٠ م .

واتسمت مباحثاتنا بالوضوح وابراز المواقف حيث تم التداول في كافة جوانب القضية المطروحة بين البلدين الجارين وقد استمعت باهتمام لكل وجهات النظر التي ادلى بها سيادة الأخ النائب كما اوضحت موقف الكويت من موقع المسؤولية الوطنية والالتزام القومي حيال كل المسائل وذلك انسجاما مع سياسة الكويت الثابتة تجاه جيرانها وتمشيا مع شعورها بالمسؤولية في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه امتنا . وقد اكدت ايمان الكويت بالحوار الموضوعي وفق مبادىء حسن الجوار والرغبة في حل المشاكل بالتفاهم والمفاوضات

المباشرة . والتزاما بهذا المنهج فانني اتطلع الى مواصلة اللقاءات واستمرار المفاوضات في كلا البلدين الشقيقين من اجل التوصل الى حل لكافة القضايا وفق ميثاق جامعة الدول العربية بما يؤمن مصالحنا المشتركة والمشروعة .

ويسعدني ان اسجل بكل التقدير الجهد الكبير الذي بذله خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز حفظهما الله وذلك للحرص الصادق على تأمين نجاح هذه اللقاءات واحاطتها برعاية اخوية تعبر عن حرص المملكة على تحقيق التفاهم بين الأشقاء للتوصل الى الحل المنشود لصالح البلدين الشقيقين .

• استقبال

وبعد ظهر أمس استقبل ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بالمملكة العربية السعودية الشقيقة بقصره في مدينة جدة سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء والوفد المرافق لسموه.

وحضر الاستقبال سموالأمير بندر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ووزير المعارف ووزير التعليم العالي بالنيابة عبد العزيز الخويطر وسفير المملكة العربية السعودية لدى الكويت عبد الله بن عبد العزيز السديري ."[انتهى النص الواعد على الصفحة ١٥]

وبذلك انتهى النص البليغ في صحيفة "الوطن" . فبماذا نعلق عليه؟ اننا نلاحظ كيف تُكَرّر وتجتر الصفحة الخامسة عشرة ما جاء على الصفحة الاولى. ولو حذفنا من هذين النصين الألقاب المعادة " لأصحاب السمو" ثم حذفنا التعابير المتكررة بشكل ممجوج يؤذى الذوق السليم مثل : " المصالح المشتركة المشروعة " و " ابراز المواقف " و " والمسؤولية الوطنية " و " الحوار الموضوعي " و " التفاهم والمفاوضات المباشرة " و " البلدين الشقيقين " لاضمحل النصان ولاقتربا من العدم . ولم يشمل النصان من الناحية العملية سوى العدم . انه لجميل ان تشمل التحقيقات الصحفية الملابسات الثانوية التي تلازم الحدث الأصلي فتمنحه نكهة الحقيقة والواقعية . ولكن ما قرأناه ليس كذلك ابداً ! اذ لا يوجد قشور الا وتعرض لها بينما لا يوجد لبّ الا وتجنبه تجنب السليم لمصاب بداء الجذام . ترى الى اي درك انحطت الصحافة العربية ؟ وهل من استهتار واستخفاف بالمواطن العربي اكثر وقعا مما يبين لنا النموذج " الرائد " في صحيفة الوطن ؟ ولكن هل تختلف كثيرا او جذرياً صحف الدول العربية عن بعضها البعض ؟ على كل حال ان ما جاء في صحيفة القبس الكويتية في ذات اليوم والمناسبة

لا يخرج عن نطاق ما اوردته زميلتها " الوطن ." ونحن لن نورده تفادياً للتكرار الممل والمؤلم .

وللاقتراب من الموضوعية نورد ايضا ما جاء في صحيفة " الثورة "العراقية في ذات اليوم اذ قالت:

" ابلغ السيد سعدون حمادي عضو مجلس قيادة الثورة نائب رئيس الوزراء وكالة الأنباء العراقية ان الوفدين العراقي والكويتي اجتمعا في مدينة جدة السعودية كما كان مقرراً .وبحث الجانبان مختلف المشاكل القائمة بين البلدين واستعرض كل جانب وجهة نظره وستستمر اللقاءات لمواصلة البحث في بغداد حسب ما تم الاتفاق عليه بين السيد الرئيس صدام حسين والسيد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية .

وردا على سؤال مندوب وكالة الأنباء العراقية فيما اذا حصل اتفاق على شيء خلال المباحثات ام لا اجاب السيد سعدون حمادي : كلا لم يحصل اتفاق على اي شيء لأننا لم نلمس من الكويتيين اي جدية في معالجة الضرر البليغ الذي لحق بالعراق من جراء تصرفاتهم ومواقفهم الأخيرة ضد مصالح العراق الأساسية.

وعاد الى بغداد عصر اليوم السيد عزة ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة بعد ان رأس الوفد العراقي في المباحثات العراقية الكويتية التي اجريت مساء امس في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية.

وكان في استقبال السيد عزة ابراهيم بالمطار السيد طه ياسين رمضان عضو مجلس قيادة الثورة النائب الأول لرئيس الوزراء وعدد من السادة الوزراء .

وكان السيد عزة ابراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة قد غادر مدينة جدة ظهر اليوم . وجرى للسيد نائب رئيس مجلس الثورة توديع رسمي . كان في مقدمة المودعين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني في المملكة العربية السعودية.

وضم الوفد المرافق للسيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة السيدين سعدون حمادي عضو مجلس قيادة الثورة نائب رئيس الوزراء وعلي حسن المجيد وزير الحكم المحلي .

وقد ابلغ السيد سعدون حمادي عضو مجلس قيادة الثورة نائب رئيس الوزراء وكالة الأنباء العراقية ان الوفدين العراقي والكويتي اجتمعا في مدينة جدة السعودية كما كان مقررا.

وبحث الجانبان مختلف المشاكل القائمة بين البلدين واستعرض كل جانب وجهة نظره وستستمر اللقاءات لمواصلة البحث في بغداد حسب ما تم الاتفاق عليه بين السيد الرئيس صدام حسين والسيد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية .

ورداً على سؤال مندوب وكالة الأنباء العراقية فيما اذا حصل اتفاق على شيء خلال المباحثات ام لا ..اجاب السيد سعدون حمادي : كلا لم يحصل اتفاق على اي شيء لأننا لم نلمس من الكويتيين اي جدية في معالجة الضرر البليغ الذي لحق بالعراق جراء تصرفاتهم ومواقفهم الأخيرة ضد مصالح العراق الأساسية ."

قد يبدو هذا التكرار الحرفي ضمن الخبر الواحد وفي الصحيفة الواحدة وفي التاريخ الواحد غير ذي شأن للبعض . ولكننا نرى فيه سحقاً لمصداقية القيادات في نظرتها الى شعوبها لأنها تسعى الى التكرار وكانما تريد للتكرار ان يُعلم الحمار. ولو كانت النصوص المكررة تحوي مضمونا حقاً فلربما انتحلنا العذر للقيادات اما ان تكرر اللقب بالكامل لرئيس او وزيركلما ورد اسمه فهو قمة الحط من قيمة القارىء الفكرية ، وسخرية متسترة بأصحاب الألقاب . فإن كانوا هم يسعون وراءها فإنهم يستحقون ألا يأخذهم الشعب مأخذ الجدّ.

نلمس مما أوردته الصحافة العراقية التزام العراق بمتابعة الحوار في بغداد. ولكن بدلا عن الحوار جرى الانقضاض على الكويت.

قبل ان نختتم مؤتمر جدة نتساءل عن موقف السعوديين من عودة الوفدين الى بلديهما فاشلين. فهل تركوا الأمور لتجري كما يشاء القدر ، وهل حاولوا مجددا ألا يغادر الوفدان إلا بعد التوصل الى اتفاق ، ام ان الوفدين غادرا السعودية دون اعلام مضيفهما باختناق المفاوضات ؟

الفصل الرابع

اتخاذ قرار الغزو

يدعي الكاتب سالنجر عكس ما ورد في صحيفة الثورة بأن الوفد العراقي لم يودع مضيفيه وإنما غادرت طائرته جدة الى المدينة المنورة قبل ظهر ذات اليوم ليؤدي رئيس الوفد عزة ابراهيم صلاة الظهر قرب قبر الرسول ثم تابع انطلاقه الى بغداد [1] . وفي العاشرة من مساء ذات اليوم اجتمع اعضاء منتخبون من القيادة العراقية، وهم الذين سبق أن اجتمعوا في ٢٨/٢٧ حزيران/يونية حيث ُبحث موضوع غزو الكويت. وفي الجلسة قدم عزة ابراهيم تقريرا عن أحداث جدة مما دفع القيادة العراقية الى اتخاذ أخطر قرار في تاريخ العراق المعاصر أي قرار العبور الى الكويت لانجاز ما أطلقت عليه بغداد "عملية النداء". ولم يكن قد أطلع على القرار غير ثلاثة بالاضافة الى الرئيس صدام حسين وهم: السيد وزير الحكم المحلي على حسن المجيد، والفريق حسين كامل حسن، المشرف على التصنيع العسكري، وقائد الحرس الجمهوري الفريق اياد فتيح الراوي، وهو العسكري الوحيد بين هؤلاء الذي وصل الى رتبته العسكرية بشكل نظامي بينما كان السيد علي حسن مجيد عريفا في الجيش عام ١٩٧٣، ولكنه تلقى ترقيات " عشوائية " كما هو شبه مألوف في العالم الثالث .

نعتقد أن اختيار اسم "النداء" لعملية غزو الكويت هو رغبة عراقية في الايهام بوجود تنظيم كويتي معارض لحكم آل الصباح قام بانقلاب أو مايشبه ذلك ثم نادى العراق لمساعدته. وهذا التبرير صدر فعلا عن العراق فيما بعد. ولكن لننظر الى البيان العراقي الذي تمت اذاعته في لحظة تجاوز القوات العراقية للحدود والذي اتخذه العراق ذريعة للعمل العسكري. فقد جاء فيه:

" لقد اتضح للسيد الرئيس صدام حسين.. ومن حضر اللقاء بأن الوفد الكويتي.. لم يأت بما هو جديد لمعالجة الغبن والتجاوز الذي الحقته حكومة الكويت بشعب العراق وبأرض العراق.. وان الروح والعقلية التي تصرف بها وفد حكومة الكويت، تعزز قناعة العراق بالدور

---

[1] - هنا تختلف رواية سالنجر عن البزاز. سالنجر يقول أن الوقوف في المدينة كان بناء على رغبة د.سعدون حمادي وهو شيعي تقي. (صفحة ٩٩)

التآمري الذي قامت وتقوم به حكومــة الكويت ضد العراق، وان قبولها للقاءات مع من يمثل العراق ما هو الا واحدة من وسائلها التي اعتمدت عليها في كسب الوقت، للامعان بالتخريب والتآمر، والايذاء " [٢]

فإذا أمعنا في النص استقراءً لما وجدنا أي ذكر "لطلب نجدة" صدرت عن أي مرجع في داخل الكويت أو خارجه مما يؤكد أن قرار الغزو لم ينطلق من ذلك المنطلق إنما هو قرار كان جاهزا ومعدا من قبل ولم ينقصه سوى تحديد ساعة الصفر إن فشلت محادثات جدة. هذا إن لم تكن الساعة قد تحددت من قبل كما سوف نرى.

يشير ما جاء حتى الآن في كتابنا الى توفر قناعة ثابتة لدينا بوجود توجيه عالمي واضح ومباشر الى الكويتين بألا يستجيبوا لمطالب العراق واعدين اياهم بتولي حمايتهم التامة إن حصل عليهم أي اعتداء. ويشير ما كتبناه حتى الآن ايضا الى توفر توجيهات أميركية أقل مباشرة وأقل وضوحاً ، ولكنها مقنعة في مجموعها ، الى القيادة العراقية للإندفاع الى المغامرة. ورغم ثبات تلك القناعات في فكرنا لانستطيع الجزم بأن مؤتمر جدة كان محكوما عليه بالفشل قبل أن يبدأ. ففي مؤتمر جدة توفرت ظروف معينة ليست بالقوية ولكنها كافية لتلعب من خلالها المصلحة الكويتية البحتة والمصالح العراقية البحتة دورا في تفادي الأزمة بعيدا عن مصالح الدول الكبرى. وكان لدور المملكة العربية السعودية شأن ايجابي يسهم في تقريب وجهات النظر. ففي جدة اجتمعت في ذلك اليوم عناصر القرار العربي. وهذه المساحة البسيطة لاتخاذ قرار عربي مستقل هي عادة التي تخشاها الدول المتآمرة على طرفي النزاع لأنها تسعى سعيا محموما لاضرام النار وليس الى تحقيق السلام. فلو حصل اتفاق في صالات جدة المغلقة بعيدا عن التأثير المباشر "لرفاق السوء" لتمزقت شباك التآمر ولو الى فترة أخرى ريثما تحيك الدول ذات المصلحة شباكا جديدة للايقاع بكلا الطرفين.

لقد كان المفاوض الكويتي في رأينا، وبالرغم من كل القوى التي تدفعه الى التعنت، مستعدا للتفاهم من أجل تفادي أخطارٍ مبهمة ولكنها تخيم في الافق القريبِ القريبْ ولايعلم بأمرها إلا الله. لاشك في أن الكويتيين كانوا واثقين من ارتباط مصلحة أميركا معهم الى حد بعيد. ولكنهم يعرفون أيضا من احداث التاريخ الحديث كيف تُسقط أميركا فجأة من كانت تتعاون معهم وتدعمهم

---

[٢] - بزاز صفحة ٨٥

عندما تقتضي مصلحتها العليا ذلك . وهـي تخذلهم معتمدةً علـى توفر خيارات عديدة لديهـا لكل طارئ يطرأ. وهذا القسط من القلق والشك الذي نعتقد أنه كان يساورُ الكويتيين ضمنا وباسـتمرار وكان سيجعلهم مستعدين لقبول حلّ يكلفهم مالاً ولكنه يغنيهم عـن المجازفـة ويدفـع عنهـم الخطـر الكامن المجهول.

وكان المفاوض العراقي قانعا في قرارة نفسه بأن الدخول الـى الكويـت هـو جـزء مـن حـق تاريخي ثابت وكسب مادي كبير [٣] بالاضافة الى كونـه "عقـاب" لـترفع الكويتيين وتعـاليهم. ولكنـه بالرغم من ذلك وبالرغم من كـل استعداداته العسكرية وبالاضافـة الـى توفـر القرائـن القويـة التـي جعلته يأمل بتقبل الدول الكبرى أن يشرف هو على منطقة الخليج كان يشعر بأنـه يخطـو خطـوة باتجاه ظلام دامس ونحو هوة غير معروفة القرار. وكان سيعيد حسابات الغزو لو لم يعد الوفد مـن جدة بخفي حنين.

كان تصرف الملك فهد هو الاكثر حكمة في مؤتمر جـدة حيـن تبرع بالمليـار. وليس مبلـغ المليـار هـو المحـك إنمـا تفاديـه لعودة الوفدين يحمـلان الانطباعـات العدوانيـة التـي تـزداد تـأصلا ورسوخا مما سيؤدي الى الانفجار. لكن طلب الشيخ سعد المفاجئ برسم الحدود بعد خروج الملكين من الصالة أفسد ما كان قد تم القبول به. فهل تعمد الشـيخ سـعد اجهـاض الاتفـاق استنادا أو تنفيذا للملاحظة التي خطها أمير البلاد على رسالة الدعوة التي أوردنـا نصهـا قبـل عـدة صفحـات أم أنـه حاول الاستفادة من ظرف سانح مكّنه منه تبرع الملك فهد بمبلـغ المليـار؟. لاشك لدينـا فـي وجـود تنافرونغمات نشاز تفصل بين المحاولات الكويتية المتكررة في تأجيل بحث موضوع الحدود طـوال السنتين السابقتين وبين المطالبة بها فجأة في مؤتمر جدة.

ونستطرد قليلا فـي هـذا المضمـار لنتعـرض الـى التطمينـات الأميركيـة والبريطانيـة لحكـام الكويت بأن أمنهم مضمون. وربما أكدت واشنطن للكويـت أن العـراق إن حـدث أن هجـم فسـوف يقتصر على احتلال جزيرتي وربة وبوبيان وحقل الرميلة. ونحن نعتقد أن تلـك التطمينـات أرسـت

---

[٣] – يورد الكاتب العراقي حسن العلوي:" ان صدام يعمل خليجيا بخطين متعارضين : رسمي دبلوماسي مطروح فـي الإعلام يدعو الى التحالف المصيري مع العربية السعودية والكويت ودول مجلس التعاون الخليجـي الأخـرى ، وخـط حزبي معروف فقط داخل المنظمة الحزبية حيث يجـري التثقيـف علـى نفس البـرامج القديمـة التـي تعتـبر السـعودية والكويت خزاناً احتياطياً للنظام العراقي وعليها ان تدفع ضريبة سكوت النظام عنها." (دولة المنظمة السرية صفحة ١٣٢-١٣٣)

لدى الكويتيين قناعة بأنه إذا هجم العراق فسوف تتدخل قوات الولايات المتحدة على الفور وبدون انتظار فتطرد القوى العراقية التي اذا عادت مهزومة هزيمة شنيعة فسوف تؤدي الى سقوط الرئيس صدام. لاشك في أن قادة الكويت اعتقدوا بأن العملية " على بعضها " لن تتحمل في مجموعها ما يزيد عن بضعة أيام ثم تعود الامور في صالحهم والى ما كانت عليه. ولم يخطر في بالهم وجود تخطيط لمؤامرة بعيدة المدى، واسعة النطاق، باهظة التكاليف وعنيفة الأثر على كل العرب وعليهم وعلى العراق بشكل خاص. ولم تنفذ بصيرتهم الى أن أميركا تستخدم الطرفين وتستسنح الفرصة والظروف لتدبير وقوع المحذور كالقدر لتبرر بعد ذلك عمليات عسكرية شاملة تدر عليها ارباحاً خيالية وكأنما هي حرب عالمية ثالثة لأن الحرب المحدودة فقيرة الفوائد.

لقد قبل الكويتيون في رأينا ضمنا، وربما على مضض، فكرة انزال عقوبة سريعة وقاصمة تنال رأس القيادة العراقية دون ان تصيب الشعب العراقي بخسائر بالغة ودون أن يمسهم هم شخصيا أي خدش ودون أن يغادروا قصورهم. لقد حلّق الكويتيون في أجواء متفائلة وحالمة بينما كانت الولايات المتحدة في وادٍ آخر تماماً حيث تفكر في الطريقة المثلى ذات النتائج الاكيدة بدءاً من التضحية بالكويت كخطوة اولى ثم لتوريط المملكة العربية السعودية. وما كانت واشنطن لتستطيع تبرير الانزالات العسكرية الضخمة واكراه المملكة على تقبل هذه "الجرعة" المكروهة والمرّة الا إذا أحتل العراق كل الكويت ووصل الى الحدود السعودية.

كانت الولايات المتحدة قادرة لو شاءت التدخل بأكثر من اسلوب لمنع الكارثة قبل الغزو. وكانت قادرة بعد الغزو على انجاز كل العمليات العسكرية لردع العراق والحاق الهزيمة به دون الحاجة الى توريط المملكة العربية السعودية. "فيوجد تحت تصرف الولايات المتحدة سلسلة قواعد و التسهيلات التي يحتاج اليها الجيش الأميركي كمحطات له وكأماكن تمركز لقواته، ونقاط تسليح وتموين ومحطا تنصت الخ. . وعلى هذا النحو اضيف الى القواعد المكتسبة خلال الحرب العالمية الثانية في أوربا، عبر مفاوضات جرت خلال العقود الاخيرة: تسهيلات في المغرب، قاعدة انجرليك في تركيا، اضافة الى تسهيلات في مصر (قاعدة قنا، وقاعدة القاهرة- غرب، اضافة الى توفير قاعدة رأس -بناس توفيراً تاماً)، وتسهيلات في عمان(في صعيب وصلالة ومسيرة،

وطوماريت ومطرح)، والقاعدة الأميركية- البريطانية في دييغو- غارسيا، واستخدام مرافئ ومطارات مقاديشو وبربرة في الصومال ومرفأ مومبازا في كينيا." [٤]

لكنها لم تشأ ولم تفعل. صحيح أن واشنطن أوحت الى الكويت قبل الغزو العراقي بضرورة السماح بانزال قوات أميركية بعد أن عرضت على الحكام صور الاقمار الصناعية التي تثبت اقتراب حصول الغزو. لكن هذا الايحاء لايمكن أن يكون سوى "رفع عتب" لأنها حين طلبت من المملكة العربية السعودية قبول القوات لم تكتف بايحاء ولا "بتقديم طلب" إنما اجبرتها اجباراً وهددت العائلة المالكة في وجودها إن لم تستجب لرغبة واشنطن كما يقول لنا أكثر من مرجع أميركي. وسنعود الى تلك النقطة بعد قليل بينما نتابع هنا الادعاء بأن ما قامت به واشنطن لاثبات الخطر العراقي على الكويت يثبت لنا بطريقة عكسية، ولكنها حتمية بأنها ارادت حصول ما حصل بالضبط . فبما انها اقتنعت بحتمية حصول الغزو وحاولت اقناع حكام الكويت بقرب حصوله فلماذا لم تعلن بأعلى الاصوات الاعلامية، ولديها منها مايكفي لاسماع الصخر، بأن الولايات المتحدة تشجب العدوان وسترد عليه ؟ ولماذا لم تعلن عن هدير الآلة الحربية الأميركية منطلقة لضرب العراق إن اعتدى على الكويت؟. [٥]

لقد تم لواشنطن الايقاع بحكام الكويت والتغرير بهم لوضعهم في ذات الخانة من رقعة الشطرنج التي يريدونهم أن يكونوا فيها. ولا نعتقد أن الشيخ جابر الأحمد رفض استقبال الوفد الأميركي في الطائف بتاريخ ١٩٩٠/٩/٣ الا اشمئزازا من الفخ الذي نصبوه له ايضا[٦]. وربما لم

---

٤ – آلان غريش صفحة ١٨١

٥ – بعد حوالي ١٠ ساعات من الغزو العراقي طرح الجنرال كولين باول على الرئيس السؤال التالي:" هل ندرس قضية وضع خط أحمر فيما يتعلق بالسعودية ؟ فأجاب الرئيس بالايجاب، معتبرا الهجوم على السعودية اعلانا للحرب" (شوارزكوف ص١٠٦). يحمل هذا النص (صفات) الشرطية لأنه يعني: " اذا هجم العراق على السعودية اعتبرت الولايات المتحدة ذلك اعلانا للحرب." وهذه هي ذات الشرطية التي امتنع الرئيس بوش عن لفظها قبل الغزو لكيلا يحجم الرئيس صدام عن الغزو و ليتحقق هدفه بتوريط العراق. ونذكر ايضا كيف أن جون كيلي رفض الدخول في " إذا ...وإذا" امام اعضاء الكونغرس لكيلا يشعر العراق بأي خطر يمنعه من الغزو.

٦ – كتب حمدان حمدان عن هذه الواقعة:" وقد اعتذر أمير الكويت عن اللقاء..الأمر الذي سبب هياجاً في أواسط الوفد، وقد علق موينهان (عن الحزب الديمقراطي نيويورك) قائلاً: " تبعث الولايات المتحدة بأبنائها لمساعدة الكويت، بينما يرفض قائدها المبعد مقابلة منقذيه المحتملين." صفحة ٢٨٩ . وينسى السناتور موينهان بالطبع أن المساعدة الأميركية ليست " لله بالله " وإنما للمصلحة فقط.

تسمح نفسه ايضا "بـاكرام" النـواب الأمـيركيين الذيـن لايخرجـون عـادة مـن مثـل هـذا اللقـاء خـالي الوفاض وخاصة حين يأتون اليه من منطلق فوقي متعجرف فيمننونه بأن دولتهم ستعيد اليه ثروتـه وبلده. ولكنه على كل حال عاد لوصل ما انقطع مكرهاً أخاك لابطل لعلمه بعدم وجـود مـا يضمـن له العودة الى الحكم الا التجاوب مع المصالح الأميركية. "فالحرد" الذي ابداه ما كان ليفيـده. ولابـد أن الولايات المتحدة وضعت أمام عينيه بكل وضوح أنه إذا لم يستجب ولم يتابع القيام بالدور الـذي ارادته له فيوجد لديها أكثر مـن بديل ينتظـر إشـارةً منهـم "لينبطـح" (ونقصـد البديـل) أمـام الادارة الأميركية دون قيد أو شرط. بعض البدائل من ضمن العائلة الحاكمة وبعضهم من "الحقل المفضـل للسياسة الأميركية" أي من ضباط الجيش.

• الإجتياح

تمهيدات عراقية أولية: لم تغز القوات العراقية الكويـت الا بعد عمليـات تمهيد مختلفـة غير عسكرية ، نذكر منها على سبيل المثال اعداد الجبهـة الداخليـة فـي العـراق نفسـه بـدءاً بمنـح افراد القوات العسكرية ، وخاصـة الضبـاط مميزات يرتـاحون اليهـا وتجعلهـم اكـثر رضـى وولاء للقيادة . وسلطت اجهـزة الاعـلام العراقيـة بـالصوت والصـورة وبالمطبوعـات اضـواء قويـة علـى شخصية الرئيس صدام ، وخاصة عندما كان يزور الفقراء من السكان في احيائهم النائية في القرى وفي الجبال والصحـاري بمـا فـي ذلـك الحـرص علـى زيارتـه الـى منـاطق مختلـف فئـات الشـعب والأقليات [٧]، حيث كان يرتدي دوما لبـاس الجماعـات التـي يزورهـا .وكـانت زيارتـه هـذه تقـترن

---

[٧] – كتب بقرادوني عن شخصية صدام أفضل وصف مر بين أيدينـا عنـه. ولفتت نظرنـا بشكل خـاص مقـدرة هـذا الكاتب ذو البصيرة النافذة على تحليل الشخصيات التي يتحدث عنها في كتابه :" السلام المفقود " يبدو للقارىء غير المتمعن وكأن بقرادوني يمتدح الرئيس صدام دون قيد أو شرط. ولكن من يمعن يجد النقد المستور لفرديـة الرئيس. يكتب بقرادوني عن صدام :" صحيح انه مستبد لكنه مستبد عادل . يعتني بصورته الشعبية ويمارس سياسـة الاتصـال المباشر بالشعب على طريقة الخلفاء الأولين. [كأنني استشف من استخدام بقرادونـي لكلمـة " الأوليـن " عزوفـه عـن استخدام كلمة :" الخلفاء الراشدين .] يتوقـف فـي الشـارع ليصطحـب تلميذاً الـى مدرسته او عجـوزاً الـى منزلهـا . يفاجىء عائلة فقيرة في الصباح ليتناول الفطور معها ...." وفي مكان آخر كتب بقرادوني عن صدام : " وهـو يتعمـد ان يظهر بشخصيتين : الرجل البدوي والرجل العصري . يعتمر اليشمك ويرتـدي القمبـاز ويجـالس الرعـاة ويشـرب

باللفتات الكريمة ماديا ومعنويا مما كان يجعل الناس تلهج بشكره وحمده . ومن الأعمال الشعبية التي انجزها اعادة الاعتبار الى العائلة المالكة الهاشمية والايعاز بترميم مقابر افرادها ، ومنع التعرض الاعلامي لرجالاتها السابقين. ولم يقتصر الأثر الايجابي لهذه الخطوة على اكتساب الطبقة الوسطى في داخل العراق الى جانبه ، تلك الطبقة التي كانت رديفة للعائلة المالكة السابقة في النشاط الاقتصادي والسياسي وانما وصل اثرها الطيب الى الملك الحسين الذي لا بد انه تأثر من لفتة الوفاء .

ولم يغب اثر هذه الأعمال على الشعب في داخل العراق وخاصة أن الاعلام حرص على ايصالها الى مختلف شرائح المجتمع بل والى الدول المجاورة والى الكويت بشكل خاص مما زاد من شعبيته لدى قطاع كبير من السكان . ولا نعتقد الا ان الشاعرة الدكتورة سعاد الصباح من العائلة الحاكمة في الكويت كانت صادقة كل الصدق مع نفسها حين امتدحت الرئيس صدام اجمل امتداح لتفاجأ بالغزو المجحف فينقلب كل اعجابها الى عكسه تماماً .

ولا ننسى قيام فئات مدفوعة عراقيا باستفتاءات في الكويت وفي اماكن اخرى حول شعبية الرئيس صدام ، فإذا بالأجوبة والنتائج شديدة الايجابية ، مما دفع القيادة العراقية الى استنتاج " تأييدٍ مقبلٍ " لعهد ما بعد الغزو .ولم ينتبه العراقيون الى ان التأييد الصادق للعراق الذي دافع ببطولة عن البوابة الشرقية لم يكن لينسحب على اجتياحه لدولة عربية مجاورة منحته الكثير من الدعم الاستراتيجي والمالي خلال فترة خطيرة على مصير العراق وعلى النظام ككل . وكانت الكويت قد عانت الشيء الكثير من وقوفها الى جانب العراق ، وخاصة من ايران التي كانت تقف لها بالمرصاد لتنتقم منها لو تم لها اسقاط نظام العراق .

وبالاضافة الى هذه النشاطات المدروسة نرى خطوات اعلامية عراقية على المستوى العربي والاسلامي والعالمي . نذكر منها معرض التصنيع العسكري الذي اقيم في بغداد في اواخر عام ١٩٨٩ والذي شاركت فيه دول عديدة . وقد استخدم العراق هذا المعرض لاثبات تقدمه الصناعي من جهة ولبث شعور بالخشية لدى من يفكر بمجابهته . ولا شك في أنه تأمل بعقود

حليب الغنم فيتلبس صورة ابن البلد المحببة والقريبة من المواطن . في المقابل يتأنق في اختيار بذلته وربطة العنق .تحلو له الابهة والفخامة والعظمة ويمارس البروتوكول والطقوس ." صفحة ٢٤٥ –٢٥٠ .

صفقات سلاح مع دول عربية وغير عربية.

وفي ١٩٩٠/٤/١٨ نظمت بغداد اجتماع الاتحاد الدولي للعمال العرب . وفي ١٩٩٠/٤/٢٠ تبعه مؤتمر الاتحاد البرلماني العربي . وفي ١٩٩٠/٥/٨ اقيم المؤتمر الشعبي العربي ليلحقه في ١٩٩٠/٥/١٨ المؤتمر الاسلامي الشعبي . وكان الخطباء يلقون كلمات لا تخلو من مزايدات في تأييد العراق والرئيس صدام حسين . وفي ختام كل مؤتمر كان الرئيس صدام يلقي كلمة شكر جميلة مؤكدا على دور العراق وعلى عزمه على الدفاع عن القضايا الوطنية العربية والاسلامية . وكان الإعلام العراقي ينشط بقوة لنشر ذلك على اوسع نطاق.

ومن الوسائل الاعلامية التي لجأت اليها بغداد تأليب فقراء العرب وتذكيرهم بوجود حقوق لهم لدى عرب البترول. فقد نشرت صحيفة " البلاد " الفلسطينية والمدعومة من قبل العراق بتاريخ ١٩٩٠/٩/١٥ -العدد ١٩٤ افتتاحية استفزازية ورد فيها :" إن احلامنا العربية ابعد بكثير من حدود الكويت ، ليس بمفهوم الوحدة أو الضم بل بمفهوم أكثر بكثير." وتضيف الصحيفة متسائلة :" نسأل اين وجه الحق في أن يكون المواطن العربي المصري مدينا بألف دولار للبنوك الدولية منذ لحظة ولادته ، بل ويموت جائعا ايضا، في حين يولد المواطن الكويتي وحصته مليون دولار مودعة في البنوك؟ اوليس هذا الجوع السوداني والمصري والصومالي من هذا المال المخزن ؟ "[٨]

لا شك من حدوث أثر في صالح العراق والرئيس صدام شخصيا من خلال كل هذه النشاطات ولكن يبدو ان الأجهزة العراقية منحتها من الوزن اكثر من مفعولها بكثير لأنها لم تستطع إلباس التجاوزات العراقية فيما بعد لباساً يجعل العرب والمسلمين يقبلون به على لاطلاق.

الغزو عملياً : لم نجد كثيرا من المراجع التي تصف العمليات العسكرية وتتناول تصرفات آل الصباح خلال عمليات الجيش العراقي لاحتلال الكويت. وبشكل خاص لم نقرأ عن مرجع عربي موثوق يصفها [٩] . فالكاتب محمد حسنين هيكل تناول الموضوع بشرح حي دون أن يوثقه

---

[٨] – حسن العلوي ، "دولة المنظمة السرية" صفحة ١١٤

[٩] – حتى الكاتب العراقي البزاز قفز عن هذه المرحلة وأعرض عنها لاسباب لانستطيع سوى أن نتكهن بها. فلربما أراد الابتعاد عن وصف مراحل العنف التي غالبا لاتؤثر على صلب الموضوع ولا على خلفياته، أو ربما أراد الاحتفاظ بالصفة الاكاديمية لكتابه فأعرض عن هذا الوصف.

بالمصادر ولكنه يوحي بالواقعية . ولكننا نعتقد بوجود خطأ في التوقيت الذي يذكره ومقداره ٢٤ ساعة. فإذا راعينا وجود هذا الخطأ الذي سيكتشفه القارئ ايضاً لكانت الصورة لدى هيكل كالتالي:

"وعندما بدأت وكالة المخابرات المركزية تتصرف على مسؤوليتها في مواجهة الازمة الداهمة التي نشأت على حدود الكويت مع العراق في أواخر يوليو ١٩٩٠، بعثت باثنين من خبرائها لتعزيز عمل لجنة الاتصال الأمني الخاصة المشتركة. وقد وصل هذان الخبيران الى الكويت في ٣٠ يوليو. وفي اليوم التالي (٣١يوليو) لحق بهما اثنان آخران قادمان من واشنطن مباشرة بتعليمات جديدة.

وحوالي ظهر يوم ٣١ يوليو طلب أحد خبراء الأمن الأميركيين الاتصال بمدير الامن الكويتي، وطلب اليه ابلاغ وزير الداخلية، ووزير الدفاع برسالة مؤداها ما يلي:

نحن لانريد أن نثير القلق في نفس أحد بدون داع، ولكننا نعتقد أن خطة الطوارئ الموضوعة سابقا بشأن حماية سلامة الأمير والأفراد الرئيسيين للاسرة الحاكمة يجب أن توضع موضع التنفيذ من باب الاحتياط..

وعلى الفور بدأ إجراء حصر بأماكن تواجد كل أفراد الأسرة الحاكمة. وظهر أن الأمير الشيخ "جابر" لم يكن ينوي أن يقضي عطلة نهاية الأسبوع في " البر" خارج مدينة الكويت كماهي عادته. وإنما كان يريد أن ينتظر في قصر " السيف" حيث يعمل، أو قصر "دسمان" حيث كان يسكن، حتى يتمكن من انتظار الشيخ "سعد الصباح " القادم من جدة، ويسمع منه تفاصيل ما جرى بينه وبين السيد "عزت ابراهيم".

وبعد ساعتين عاد أحد ضباط الاتصال الأميركيين برسالة مؤداها أنه تحت أي ظرف لايجب أن يتواجد أمير الكويت في المدينة هذه الليلة، بل إنه يجب أن يخرج بكل سرعة ممكنة، ويتوجه الى أي بيت من بيوته القريبة من منطقة الحدود مع السعودية.

وحوالي الغروب عاد ضابط الاتصال مرة أخرى يطلب أن يكون كل أعضاء الاسرة الحاكمة على علم بأن خطة الطوارئ أصبحت نافذة المفعول، وأنهم جميعا يجب أن يكونوا خارج المدينة في ظرف ساعتين لا أكثر.

وبعد أن حل المساء أصبحت اجراءات خطة الطوارئ أكثر شدة وصرامة، وطلب الى الامير أن يتحرك في اتجاه منطقة الخافجي في السعودية مع رجاء ألا يكون موكب سفره طابورا

طويلا من السيارات فاتحة مصابيحها القوية في ظلام الليل.وبالفعل بدأ موكب الامير يتحرك في اتجاه منطقة، الخافجي وكان الذهول يمسك بأعصاب الجميع.

وكان الغزو قد بدأ فعلا. فقد عبرت الطوابير المدرعة حدود الكويت في نفس الوقت الذي كانت فيه طائرات الهليكوبتر العسكرية العراقية تحوم حول بقع حساسة من مدينة الكويت، مركزة على قصور الامير، وعلى دور الوزارات، وعلى مداخل ومخارج الطرق من المدينة.كذلك كانت القوات العراقية قد هبطت في مطار الكويت واحتلته.

كان الشيخ "سعد السالم الصباح" قد وصل قبل ذلك قادما من جدة، وقد هبطت طائرته في مطار الكويت "بعد المغرب" – طبقا لرواية بعض الذين كانوا في استقباله– وقد لاحظوا على الفور أن تقاطيعه كانت متجهمة لاتوحي بأنه يحمل " بشرة خير".

تضاربت الرويات (حتى الكويتية منها) في شأن ما فعله "رجل الكويت القوي" في تلك اللحظات الحرجة. فهناك رواية تقول إنه ذهب الى بيته فنام حتى أيقظوه على أنباء الغزو (وهي رواية يصعب تصديقها). وهناك رواية تقول إنه توجه الى مقابلة الأمير ليطلعه على تفاصيل لقائه في جدة (لكن الراجح أن الأمير كان قد تحرك من قصره في ذلك الوقت – وربما يكون قد قابله على عجل أو التقاه في مكان ما على الطريق). والاقرب من ذلك كله الى المنطق رواية ثالثة تقول إن الشيخ "سعد" عاد من جدة متشائما، ثم إنه أخطر بعد عودته مباشرة بأن خطة الطوارئ وضعت موضع التنفيذ، وأن عليه أن يقوم بدوره فيها. وعلى أية حال ، فمن المؤكد أنه أصدر بعض التعليمات الى عدد من أجهزة الدولة، وبينها الحرس الوطني، ثم غادر مدينة الكويت الى " البر" في الوقت الذي كان فيه دوي انفجارات القنابل يسمع بوضوح في المدينة، وطائرات الهليكوبتر العراقية تحوم في سمائها.

والظاهر أن الشيخ "سعد" كان ثائر الأعصاب ومنفعلا الى أقصى درجة (وهو شيء طبيعي في مثل هذه الظروف).

وبينما هو في السيارة عصبيا ومنفعلا، رفع سماعة التلفون ليتصل بالسفير الأميركي في الكويت. وما أن سمع صوت السفير حتى تدافعت الكلمات على لسانه كأنها السيل. وقد نفس عن مشاعره كما أراد، ثم قال للسفير:

" نحن نعتمد عليكم ، وهذا هو الظرف الذي تثبت فيه أميركا صداقتها للكويت، وتثبت لكل العالم احترامها لتعهداتها."

وسأله السفير الأميركي سؤالا محددا:

- " هل أستطيع أن اعتبر ما قلت طلبا رسميا من الحكومة الكويتية بالمساعدة الأميركية؟."

ورد الشيخ "سعد" بدون انتظار:" طبعا.. نحن نطلب مساعدتكم ."

وعاد السفير يلح: " عذرا.. ولكني أريد أن أكون دقيقا مع حكومتي. هل هذا رأيك الخاص، أو أنه يحق لي أن أعتبره طلبا رسميا من الحكومة الكويتية؟"

رد الشيخ "سعد" بأنه طلب من الحكومة.

وربما وجد الشيخ "سعد" بعد ذلك أنه في حاجة الى أن يخطر الأمير بحديثه مع السفير الأميركي، وتمكن بالفعل من أن يتصل به على التلفون. وكان الامير فعلا في مدينة " الخافجي" على بعد ٢٠ كيلومترا داخل حدود السعودية. ثم عاد الشيخ "سعد" بعد بضع دقائق، واتصل بالسفير الأميركي من تلفون سيارته يقول له " إن طلب المساعدة الذي أخبره به هو طلب الأمير، وهو يعززه له مرة أخرى رسميا، وباعتباره وليا للعهد ورئيسا للوزراء". ثم اضاف الشيخ "سعد" إن الكويت أميرا وحكومة وشعبا لا أمل لهم الآن إلا في الرئيس بوش، وصداقة الشعب الأميركي".

وكانت القوات العراقية قد أحكمت قبضتها على مدينة الكويت، ولم تعثر فيها للامير ولا لأفراد حكومته البارزين على أثر، ثم علم قائد القوات العراقية أن الجميع خرجوا على طريق "البر" وأمر طابورا من قواته بأن يقوم بملاحقتهم. ولكن كل "العصافير الأميرية " كانت قد طارت من كل الاقفاص الذهبية!.

فجر يوم ٢ أغسطس كانت القوات العراقية قد حققت كل مهامها العسكرية بنجاح، ولكن الأساس الذي قامت عليه الخطة لم ينجح، ذلك أن خروج أمير الكويت والنافذين من أفراد أسرته سالمين من الكويت فتح ثغرة كبيرة في الاساس السياسي للخطة العراقية.

كان المفروض أن يتم أسر الامير وأفراد عائلته الأقربين - على الاقل- حتى لايظل هناك من يملك حقا، أو ظل حق شرعي في طلب النجدة من القبائل ، أو الدول الأخرى.

والحاصل أن الشرعية في هذا النوع من النظم التقليدية لاتقوم بدور الحكم فحسب ،وإنما تقوم بنوع من "الأبوية" التي يحق لها وحدها أن تتكلم طالما كانت قادرة على الكلام أو قادرة على الحياة، فإذا تكلمت فإن كلامها مسموع، وإذا بقيت حية فإن رأيها هو المنتظر. ولايستطيع أحد أن يصم أذنيه، أو يتصرف دون اشارتها.

وكان مؤدى ذلك أن الغزو العراقي للكويت وإن نجح في احتلال البلد، لم ينجح في السيطرة على رموز الشرعية فيه. وحتى إذا كانت هذه الرموز قد خرجت من البلاد، فإنها لم تترك شرعيتها وراءها، وإنما أخذتها معها، وبها كانت تستطيع أن تتصرف على النحو الذي ترتئيه سواء مع القبائل القريبة، أو مع الدول المهتمة.

وبلغت الأزمة ذروتها، وتفتحت أبوابها على احتمالات لم تكن في حساب أحد."

وقد اورد هيكل حاشية في اسفل النص من كتابه قال فيها:

" بالفعل خرج معظم الشيوخ الذين وصلهم إنذار الطوارئ فيما عدا الشيخ فهد الأحمد الصباح – رئيس اللجنة الأولمبية الكويتية – الذي كان قد ترك بيته بعد الظهر وعاد في ساعة متأخرة من الليل، وقد فوجئ عندما وجد عددا من العسكريين لم يستطع معرفة سبب تواجدهم في بيته، وأخرج مسدسا كان معه يطلب اليهم الخروج، ثم بدا وكأنه يهم بإطلاق النار، وعاجله عراقي برصاصة سقط على أثرها مضرجا بدمه."[١٠]

نستنتج من الصورة الحية السابقة مدى الحرص الأميركي على التخطيط المسبق الدقيق لاخراج عائلة آل الصباح سالمة من الكويت لكي تتصرف من "المنفى" حسب المخطط الأميركي الذي سوف يبدأ بأن يطلب أمير البلاد التدخل والعون لتحرير بلده المغتصب. وسوف يأخذ طلبه هذا صفة الشرعية . ولو لم ينجُ الأمير مع العناصر الاساسية من آل الصباح لحصل فراغ دستوري يصيب انسياب المخطط الأميركي ويعقد الامور ويهدد بفشل المؤامرة. لقد استنفرت

[١٠] – يعتقد البزاز ان مقتل الأمير فهد الأحمد لم يكن مقصودا بشخصه . ويقول ان هذا الشيخ هو اقرب شيخ في عائلة الصباح الى العراق . بل ان فكرةً جرى بحثها لدى القيادة العراقية في وقت من الأوقات مفادها تنحية كل اجنحة عائلة الصباح وتنصيب الشيخ فهد الأحمد مكانه. ومن الشخصيات من آل الصباح التي كانت بغداد تراها مناسبة كخليفة للشيخ جابر هناك الدكتورة سعاد الصباح. وهذه " التزكية" كانت من جانب واحد ولم يجر التنويه عنها ابداً مع الدكتورة سعاد الصباح التي كانت تُكثر من زيارتها للعراق. لقد كانت تحترم الرئيس العراقي ولكنها ليست من النوع الذي يطعن عائلتها من الخلف.

الولايات المتحدة كل مايتوفر لديها من وسائل لانقاذ الأمير باخراجه الى خارج بلده وعرينه ولكنها لم تقم بأية جهود فعلية اواعلامية أو دبلوماسية أو تهديدية لابقائه في مكانه المتين بعيدا عن الاخطار. ومن الجدير بالذكر ان نشاط المخابرات الأميركية لضمان خروج عائلة آل الصباح الى خارج البلاد سالمين يتناسب طرداً مع مضمون الرسالة التي أوردناها في أول الكتاب .

وفي مقابل الصورة عن الأحداث كما جئنا بها من هيكل نورد ايضا الصورة كما جاءت لدى سالنجر ثم ندلي برأينا الذي توصلنا اليه والذي لا يخلو من اختلاف اساسي عن الصور المتداولة في المراجع المختلفة:

" في مدينة الكويت تم ايقاظ ولي العهد عند الواحدة والنصف ليلا بالتوقيت المحلي بواسطة مكالمة أجراها وزير الدفاع من مركز القيادة العسكرية العامة وأخبره باجتياز القوات العراقية للحدود الكويتية.[١١]

كانت الفكرة الأولى التي وردت الى ذهن الأمير سعد تنسجم مع قناعته الخاصة بأن صدام سوف يكتفي بوضع يده على حقول النفط القريبة من الحدود وربما ايضا على جزيرتي بوبيان ووربة الواقعتين عند مدخل الخليج واللتين يطالب بهما منذ سنوات.

اتصل ولي العهد سعد على الفور بعدد من أفراد الأسرة الحاكمة. وكان الذهول يسيطر على الجميع ويزيد في حدته الأنباء المتوافدة الى القيادة العامة. مئات الدبابات الثقيلة (ت٦٢) السوفياتية الصنع تتجه نحو العاصمة مصحوبة بشاحنات تنقل عشرات آلاف الرجال ودعما لوجيستيا هاما من الماء والمحروقات.

---

١١ - يتفق هذا التوقيت تماما مع مضمون حديث ولي العهد الى افراد الجالية في لندن بعد الغزو بأربعة أيام. ولكن هذا الاعتراف من قبل الشيخ سعد يؤدي بنا الى استنتاجات ذات معنى تؤيد رأينا في ان الكويت لم تشأ الدفاع . فالأمر المنطقي في حالة تهديد عراقي للكويت هو استنفار كل افراد الجيش وتوزيع القطعات في اوضاع دفاعية. وهذا ما لم يحصل كما رأينا ، أو ، للدقة ، نذكّر القارىء بأن امير البلاد جمع تلك القطعات بعد ان كان قد تم توزيعها في نقاط استراتيجية مدروسة . ويقول الآن الشيخ سعد بأنه علم بالهجوم العراقي في الواحدة والنصف بعد ان انجز العراقيون احتلال مراكز مختلفة ! فأين المنطق الذي يجعلنا نصدق ان خبراً بهذه الأهمية والخطورة تم حجبه عنه الى ما بعد احتلال اجزاء من البلاد ؟ ألم ترصد القوات المتمركزة على الحدود هدير الدبابات العراقية متجهة الى الحدود فتعلم مراكز قياداتها قبل ان يحصل اي اختراق ؟

أذاع راديو بغداد بيانا أعلن فيه أن "مجموعة تحاول قلب الحكم في الكويت". وبعد قليل صدر إعلان عن مجلس قيادة الثورة يؤكد نجاح الانقلاب وأضاف "هؤلاء الشباب الثوار يطلبون دعم العراق، وتلبية لنداء الحكومة المؤقتة في الكويت قرر العراق تقديم المساعدة".

"لقد طُلبت مساعدة العراق للحيلولة دون أي تدخل أجنبي في شؤون الكويت وفي مصير الثورة". كما وصف البيان أسرة الصباح "بالخائنة وعميلة الصهيونية".

تمت السيطرة بسرعة على القاعدتين الجويتين الكويتين الرئيستين. فقاعدة أحمد الجابر، قرب المطار المدني، احتلت على يد مظليين دون مقاومة تذكر، وقاعدة على سالم قرب الحدود السعودية قصفت بشدة قبل القيام بانزال الطائرات العامودية فيها.

قبل حدوث الاجتياح مباشرة، هبطت طائرة تابعة للخطوط البريطانية تحمل الرقم ١٤٩ في مطار الكويت وهي متجهة الى كوالا لامبور (ماليزيا). وكان على متن البوينغ (٧٤٧)، ٣٦٧ راكبا إضافة الى الطاقم الذي يعد ١٨ شخصا. وما كادت الطائرة تحط على المدرج الساعة الثانية صباحا حتى بدأ بعد دقائق معدودة قصف المطار وتحرك الدبابات باتجاهه. فأطبق الفخ على هؤلاء المسافرين الذين تحولوا الى أسرى بالقوة.

ولم يُبد الجيش الكويتي المؤلف من ٢٥٠٠٠ جنديا سوى مقاومة بسيطة أمام آلة الحرب العراقية.

في الرابعة صباحا، تأكد لولي العهد ولسائر أفراد أسرة الصباح بأن وقف الحرب مستحيل. وكانوا على اتصال دائم مع سفارة الولايات المتحدة الأميركية. وحين علم الامير الحاكم، يحيط به عدد من أفراد أسرته، بأن القوات العراقية أصبحت على بعد عدة كيلومترات من العاصمة، قرر ترك قصر دسمان وهو قصر ضخم تحيطه أسوار عالية وتعيش فيه الاسرة الحاكمة.أخذت قوات الحرس الأميري أماكنها حول القصر دون أن ينتاب أحد شك في عدم مقدرتها على رد قوة النار العراقية. لقد حل الجنون محل الخوف وبدأت الأوامر والأوامر المضادة تتلاحق.

هل نرحل في الحال أم ننتظر قليلا بعد؟ هل نطلب تحضير طائرة من أحد المراكز العسكرية الجوية ؟ لم يعد الامير يثق بسلاحه الجوي، في شتى الأحوال لابد وأن يكون العراقيون قد سيطروا عليه.

كان آل الصباح يعيشون، ربما لفترة مؤقتة، اللحظات الأخيرة من حكم دام قرنين ونصف من الزمان. فقد أصبحت الكويت، بفضل الذهب الأسود، أغنى دولة في العالم يصل ناتجها المحلي الخام الى ٢٠ مليار دولار. وإذا كان النفط حقق للكويتيين الغنى لسنوات طويلة فها هو اليوم يتسبب في خسارتهم. فهم بعنادهم وفقدان بصيرتهم لم يفهموا أنهم يشكلون فريسة سهلة "لنشال" جائع مرتقب وكان صدام لهم بالمرصاد.[ما زال الكلام لسالنجر]

بدأت أصوات الانفجارات والأسلحة الاتوماتيكية تقترب من القصر وبدأ الدخان الأسود المتصاعد يشاهد من النوافذ وأخذت القذائف تصيب الأبنية والمستودعات إصابات مباشرة. فلم يساور آل الصباح أدنى شك : إن قصر دسمان هو بين أهداف الغزو الأولى وربما يكون الهدف الرئيسي لقوات صدام حسين.

توقفت سيارات عديدة أمام المدخل الرئيسي حيث أخذ الخدم، في حركة رواح ومجيء مستمرة، يضعون الحقائب والاغراض.

في الخامسة إلا ربعا، حشر آل الصباح أنفسهم في سيارات الليموزين التي اجتازت كالاعصار، للمرة الأخيرة، حدائق القصر الرائعة.

سار الموكب في طرقات خالية إلا من بعض الوحدات الكويتية المصفحة المتوجهة الى جبهة لاتنفك تقترب.

توقف الحديث عن التفاصيل وتم إجراء اتصال هاتفي أخير قبل أن تقف السيارات أمام السفارة الأميركية.

صافح السفير الأميركي الأمير وحاشيته وكان في انتظارهم أمام باب السفارة . وتوقفت طائرة عامودية على بعد أمتار جاهزة للاقلاع ومحركاتها دائرة فركب الأمير وولي العهد وعدد من الاشخاص وتقرر أن يذهب الآخرون برا الى المملكة العربية السعودية. فالحدود لاتبعد سوى ٥٠ كلم تقريبا والطريق لازالت آمنة.

أقلعت الطائرة فتسنى للأمير المتعب الاعصاب، بفعل تلاحق الأحداث، رؤية القوات العراقية تدخل ضواحي العاصمة وهو يضع وجهه ملتصقا بالزجاج." [١٢]

---

[١٢]- انظر سالنجر صفحة ١٠٤ -١٠٧

لانستطيع الالمام بحقيقة ما حدث حول خروج العائلة الأميرية من الكويت طالما أن افرادها لا يصارحون بالحقيقة الكاملة. ونحن كما اسلفنا لا نطمئن الى الصورتين اللتين اوردناها بالرغم من قناعتنا التامة بقوة معلومات واتصالات الكاتبين. فلو نظرنا الى آخر صورة يوردها سالنجر حيث يصف اقلاع الامير جابر بطائرة عمودية أميركية على مرأى من القوات العراقية التي تدخل العاصمة اضطررنا الى رفضها وعدم تصديقها . فهل يعقل يا ترى ان تنطلق طائرة الهليكوبتر بالقرب من القوات العراقية التي وضعت على رأس اولويات مخططاتها منع نجاة الامير وتلهّفت للاطباقِ عليه حياً او ميتاً ؟ الم يكن من المحتمل جدا ان يطلق العراقيون صاروخا بالصدفة او عن عمد فيسقطها ؟ ونرى ايضا ان البزاز ربما وقع أيضاً ضحية الاشاعة عن خروج الامير بالطائرة العمودية . فهل يعقل ان يصعد الامير في طائرة الى الجو بحيث ترصده رادارات الطائرات العراقية بسهولة تامة؟

انطلاقا من شكوكنا قمنا بجهد لاختراق جدار التعتيم المطبق على ظروف الواقعة وتوصلنا الى معلومات تختلف بشكل جذري عن الروايتين السابقتين . ونحن اذ نوردها لا نستطيع الجزم بصحتها ايضا انما نورد القرائن التي تجعلها اكثر مصداقية من الروايات الاخرى :

وصل الى علمنا من رجل اعمال نمساوي انه كان موجودا مساء ١٩٩٠/٨/١ في دار وكيل وزارة الداخلية الكويتي السيد يوسف الخرافي للتفاهم حول صفقة تجارية تمت مع شركة المانية يقع مركزها في القرب من الحدود النمساوية السويسرية . وكان يحضر السهرة عدد آخر من رجالات الكويت .

لاحظ رجل الاعمال النمساوي في حوالي العاشرة مساء قلقا غير طبيعي ظهر على وجه مضيفه بعد ان طُلب منه الاجابة على مخابرة هاتفية . فلم يلبث الخرافي ان جمع اصدقاءه الكويتيين ودار بينهم حديث هامس ينم عن الحرج والقلق . ثم اقترب الخرافي من رجل الاعمال النمسوي واعتذر منه لاضطراره الى قطع السهرة وفض الاجتماع والى ضرورة ايصاله الى فندقه الشيراتون . وفي حوالي الحادية عشرة من المساء وصل الى فندقه ولزم حجرته وتملكه تساؤل عما جرى. وفي حوالي الساعة الرابعة من الصباح طُرق عليه باب الغرفة فوجد جنودا عراقيين طلبوا منه بأدب وحزم كما طلبوا من النزلاء الاجانب الآخرين مرافقتهم الى " الضيافة الاجبارية "

لا يوجد لدينا ما يجعلنا نشك في صحة الصورة التى وصلتنا من رجل الاعمال المذكور الذي لا ناقة له في الموضوع ولا جمل . فهو لا يتحدث عن قيلٍ وقال وانما عن حدث عاشه بنفسه. فاذا وافقنا على منح وجهة النظر هذه قسطا من المصداقية لما جاز لنا ان نصدق الروايات التي تقول بأن امير البلاد بقي في قصره حتى الفجر من يوم ١٩٩٠/٨/٢ . ويزيد من قناعتنا وصول خبر آخر الينا من مهندس غير كويتي ولا علاقة له برجل الاعمال النمسوي كان يعمل في مشروع كبير على الحدود الكويتية السعودية . فقد اكد هذا المهندس مشاهدته لحوالي عشرين سيارة مرسيدس سوداء تمر بسرعة كالسهم باتجاه الحدود السعودية في حوالي الساعة الحادية عشرة من مساء ١٩٩٠/٨/١ . اي قبل منتصف الليل وقبل بدء العمليات العسكرية الرسمي بحوالي ثلاث ساعات. وهذا الخبر يبدو ليوثق رواية رجل الاعمال النمسوي . فاذا كان يوسف الخرافي ، وهو يعتبر قريبا جدا من رجالات الصف الاول في الكويت ، بل انه كان احد اعضاء الوفد الكويتي الى مؤتمر جدة ، قد عرف " بالأخبار المقلقة " في حوالي العاشرة مساء فلا عجب في ان يكون امير البلاد قد عرف بها قبل ذلك فبادر الى تنفيذ الايعاز الذي جاءه من السفارة الأميركية فغادر الكويت بالسيارات قبل منتصف الليل .

وهذه الصورة تتطابق مع منطق الأحداث اكثر من الصور الاخرى . فهل يعقل ان تترك الولايات المتحدة رموز الشرعية الكويتية الذين سوف يجري التحجج بهم لتبرير التدخل في الصف الأول من المعركة حتى آخر لحظات الخطر ؟ وهل يمكن ان تضع واشنطن مصير كل المؤامرة الضخمة على كف عفريت الدقائق الأخيرة قبيل وصول القوات العراقية الى القصور؟

لقد انجزت القوات العراقية احتلال كل الكويت خلال أقل من أربعة ساعات. ولو كانت المدرعات العراقية تسير سيرا عاديا وطبيعيا في أجواء السلم وفي ارض صديقة وبدون حاجة لأي احتياط من خصم يهددها لاحتاجت الى قرابة ساعتين لتصل الى ما وصلت اليه بالعنف. ولانريد من عرض هذه الصورة الانتقاص من قدرة الكويتيين وشجاعتهم، وإنما نريد اثبات امرين : الأول هو وجود دراسة عراقية دقيقة للمناطق الهامة والحساسة في أرض الكويت ومدعومة بعناصر بشرية مكنتهم من هذا النصر الذي لايجوز لنا اعتباره نصرا على الاطلاق . ومن القرائن التي

تؤيد ذلك ما قاله العميد الركن في الجيش الكويتي مطر سعيد مطر[13] حيث قال بأن السلطات العراقية سربت عددا من أفراد الجيش العراقي قبيل الغزو الى الكويت دخلوا الى بناء السفارة العراقية في اوقات متقطعة لئلا ينفضح امرهم ، وقاموا بمهمات لها بعد بدء العمليات . يقول مطر : " دخل الى الكويت المئات من العناصر الاستخبارية العراقية والعناصر المدربة على استخدام الأسلحة، وتمكنت الاستخبارات العراقية من ادخال الأسلحة وخزنها في السفارة العراقية . وفي الساعة الثامنة مساءً من يوم الأربعاء الأول من اغسطس ١٩٩٠ دخل اكثر من مئة سيارة محملة بمواطنين عراقيين الى السفارة العراقية . وعند استجواب ركابها من قبل الحرس الكويتي

---

١٣ - حول العميد الركن مطر سعيد مطر تحوم بعض الأقوال التي يجدر بنا ذكرها. فالكاتب الفرنسي رولان جاكار ينسب اليه اشياء اضخم بكثير مما يتحدث به العميد عن نفسه في كتابه " خطة الغزو الأثم " فالكاتب الفرنسي يقول عنه على الصفحة ١٤ من كتابه : " كما ان الأجهزة السرية الكويتية كانت قد انذرت منذ شهر ابريل/نيسان بخطة غزو عراقي ، بفضل احد ضباطها . وكان هذا الأخير ، العقيد سعيد مطر يعمل تحت غطاء مصلحة جوازات السفر في القنصلية الكويتية في البصرة ، وقد أخبر رؤساءه بشكل دقيق جداً عن سير التعبئة العراقية . بل انه وجه بتاريخ ٢٥ يوليو/تموز رسالة بالشيفرة الى رئاسة الأركان الكويتية يشير فيها الى التاريخ الدقيق للغزو ، اي في ٢ اغسطس/آب ١٩٩٠. لقد كان للعقيد مصادره حتى على مستوى الحرس الجمهوري العراقي ذاته . وكان يعمل في جنوب العراق منذ شهر يونيو/تموز ١٩٨٩ ، وجرى اعتقاله من قبل الأجهزة العراقية في الثالث من اغسطس/آب في البصرة وافرج عنه في ١٥ من نفس الشهر وسُمح له بالعودة الى الكويت المحتلة.

لقد اكتشف العراقيون دوره بدقة عندما درسوا ارشيف أجهزة الاستخبارات الكويتية بعد الاستيلاء عليه ، فألقوا القبض على العقيد مرة ثانية بتاريخ ٢٥اكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٠ وارسلوه الى بغداد في ٢٧/من نفس الشهر للتحقيق . وتم سجنه في البصرة منذ شهر ديسمبر/كانون الأول بعد الحكم عليه بالموت وتعذيبه ، وربما استطاع الهرب اثناء حدوث الاضطرابات التي نظمها الشيعة بعد هزيمة صدام حسين في ٧ مارس/آذار . وقد يكون الآن سليماً معافى في الكويت."

نرى فيما كتبه جاكار حيوية توحي بالحقيقة . ولكن كتاب العميد مطر لم يحو أية اشارة عن مثل هذا الدور له سوى عن تواجده في البصرة كموظف دبلوماسي حتى تاريخ ١٩٩٠/٨/١٥ . لكن صمته عن مثل هذا الدور لا ينفي قيامه به . فهناك على الأقل سببان يمنعانه من ذكره. الأول هو عدم رغبة الكويت بالاعتراف بعلمها المسبق بالغزو العراقي لئلا تتعرض الحكومة للنقد الشديد بسبب التقصير. والثاني هو ميل الأجهزة العربية عموما لاخفاء الوقائع الحقيقية عن شعوبها بالرغم من ان العدو يعرفها مثلما يعرفونها تماما على اقل تقدير. وسنعود الى معالجة موضوع العميد مطر في مكان مقبل للأهمية. ويبدو ان رتبته كانت عقيداً حين كان في البصرة .

كانوا يقولون إنهم مدعوون الى حفلة في السفارة . وهكذا بدأت السفارة العراقية باستقبال عناصر التآمر العراقيين ليلاً بحجة اقامة حفلة . وفي الساعة الثالثة صباح اليوم الثاني من اغسطس ٩٠ خرجت السيارات من السفارة بركابها وقد استبدلت ملابسهم من الملابس المدنية الى الملابس العسكرية ويحملون معهم اسلحتهم الفردية . وكان هدفهم زعزعة اي مقاومة عسكرية او مدنية تقاوم قوات الاحتلال وارشاد قوات الغزو الى اهدافهم والسيطرة على النقاط الحساسة والعمل على احتلال الكويت بسرعة."[١٤] اما البزاز الذي ذكرنا امامه ما ورد لدى مطر فأجاب بأن العراق سرب فعلاً عددا من الأفراد يقارب عشرين عنصراً الى الكويت ولكن ليس الى السفارة العراقية . بل ان البزاز يؤكد ان العراقيين تمكنوا من تسريب عميل لهم مهنته طباخ الى مطبخ الأمير ، ولكن الكويتيين شكّوا بأمره دون ان يتمكنوا من كشفه فسرحوه قبل الغزو. والأمرالثاني الذي نريد إثباته هو عدم توفر عزم كويتي صادق على الدفاع عن البلاد . فلو كان قد تقرر الدفاع لما امر الشيخ جابر بسحب قوات الجيش الكويتي التي تمركزت في خطوط دفاعية مدروسة والتي كانت تستطيع ، مهما قيل عن قلة عددها وعدم خبرتها تأخير انسياب الغزو العراقي . ولو كان قد تقرر الدفاع والمقاومة لسمعنا عن طلعات للطيران الكويتي الحديث ! وهذا ما لم يحصل . وبما اننا لم نسمع عن سقوط اية طائرة حربية كويتية ولا عن استيلاء القوات العراقية على اي من الطائرات الكويتية المقاتلة الحديثة، فلا بد ان قرار تهريبها قد تم في وقت مسبق لكيلا تحصل معارك حقيقية ولكيلا تشارك في عمليات الدفاع [١٥] . ومن الاشارات التي تؤيد هذه النظرة تصريح الشيخ صباح الأحمد الصباح بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٨ حيث قال " بأن كل الطائرات المقاتلة التابعة للقوات الجوية الكويتية موجودة في السعودية، وان ايا منها لم يقع في ايدي العراقيين ." [١٦]ومن المعروف ان

---

[١٤] – مطر صفحة ٥٠-٥١

[١٥] – يقول كوولي عن معركة الكويت : " فأظهرت بعض الوحدات العسكرية الكويتية شيئا من المقاومة هنا وهناك [اي بدون تنظيم] وحلق بعض الطيارين المقاتلين الكويتيين بطائراتهم مهاجمين بعض القوات العراقية الزاحفة ، وذلك قبل ان يتوجهوا بها الى المأوى الآمن في المملكة العربية السعودية " (صفحة ٣٢٤) . ونحن نميل الى القناعة التي اوردناها في النص اعلاه والتي تفيد ان حكومة الكويت لم تشأ الدفاع حقا عن الكويت . وقد سألنا البزاز عن نشاط الطيران الكويتي ضد الغزو فأكد ان طائرتين كويتيتين ظهرتا في سماء الأحداث ولكنهما لم تطلقا اية نيران .

[١٦] – يوميات موسوعة حرب الخليج صفحة ٦٠ .

لدى الكويت ٥٢ طائرة مقاتلة حديثة منها ١٨ طائرة عمودية .[١٧] وهناك قرينة اخرى تثبت لمن يريد ان يرى ان الطيران الكويتي انسحب انسحاباً. ففي كتاب العميد الركن الكويتي د. محمد عبد اللطيف الهاشم نجد فيما نجد جدولاً يبين خسائر الكويتيين والعراقيين في مجموع المعارك . وحسب هذا الجدول خسر العراق ٤٨ طائرة هليكوبتر وطائرتين مقاتلتين . بينما لم تخسر القوات الكويتية اية طائرة ! فهل يقبل ذلك العقل السليم الا اذا كان الطيران الكويتي لم يتعرض للقوات الغازية ولم يحدث معها اي اصطدام جاد [١٨] ، وهذا هو الأرجح دون ريب .[١٩]

ما ذكرناه لا ينفي حصول مقاومة شرسة من قبل بعض الجيوب الكويتية الصغيرة التي تصرفت من لدنها دون انتظار اوامر من قيادتها العليا. والبزاز يؤكد حصول تلك المقاومة من خلال ما سمعه من المطلعين في القيادات العراقية . وهذا يثبت فيما نرى ان الجيش الكويتي لو قررت قيادته المقاومة الحقة والمنظمة لما وصلت القوات العراقية الى قصور الأمير في قلب الكويت خلال اربعة ساعات . فلماذا سحب الشيخ الجيش الكويتي ان كان يريد منه بالأصل ان يقاوم لمدة ٢٤ ساعة ريثما تأتي القوات الأميركية ؟

---

١٧ – يقول د. أسيري ان لدى الكويت ٧٣ طائرة حربية (صفحة ٢٨٢)

١٨ – " انعكاسات الغزو العراقي " صفحة ٣٦ . ربما من المناسب ذكر الخسائر الأخرى التي اوردها العميد الهاشم : فقد خسر العراق ٣٨ دبابة ، و ٣٠ عربة مدرعة ، و ٣٦ آلية خفيفة و ١٨ باص محمل بالجنود و٣ آليات محملة بالذخيرة . والطائرات الخمسين المذكورة في النص اعلاه و٤ زوارق للصواريخ . كل ذلك خسره العراق مقابل مقابل ٤ دبابات ، و ٧ عربات مدرعة وآليتين خفيفتين للكويت . اننا مهما قيل عن بديهية وقوع الخسائر الأكبر في الجانب المهاجم لا نستطيع هضم هذه الأرقام . ولو حصلت معارك نتيجتها كما ذكر العميد الهاشم لما وصل العراقيون الى قلب القصور الأميرية خلال اقل من ٤ ساعات .

١٩ – يقول هيكل في موضوع دفاع الكويت عن نفسها ما يجدر ان نقتبسه :" فالكويت ابتدعت نظرية سمعتها من المسؤولين في الكويت حيث قالوا نحن بلد صغير ... وامامنا اعداء متعددون ..اذن فنحن في حاجة الى قدرة دفاعية لنستطيع على الأقل تعطيل اي خطر علينا. وبناء على ذلك قالوا ، وسمعت ذلك بنفسي ، ان ظروفنا قريبة من ظروف اسرائيل : سكان قليلون وطامعون يحيطون بنا. فنحن نريد ان نعتمد بالدرجة الاولى على الطيران ...وهذه القوة تواجه مؤقتاً هذه المخاطر . وبمقتضى هذه النظرية انفق الكويتيون على الطيران في السنوات العشر الماضية ٢٢ بليون دولار..وحينما بدأت الأزمة لم تتحرك طائرة واحدة من الأرض الى الجو ." (الفخ الأميركي صفحة ٧٨) ونحن نتحفظ على الدقة في حديث هيكل الذي يعتمد كثيراً على تعابير بلاغية مسرحية ترتاح لها الأذن . ولكن الفكرة التي اوردها سليمة تماماً .

لقد صرف حكام الكويت على جيشهم الفتي عشرات المليارات من الدولارات خلال العقد الذي سبق الغزو. فهل جرى كل ذلك لكي ينسحب هذا الجيش في ساعة الشدة بحجة انه لن يستطيع مقاومة الغزو ؟ فإن كان هذا المنطق هو السائد وهو المقياس فلماذا جرى انفاق المال عليه ؟ وهل يتذكر القارىء الكريم مغزى مقالتنا:" أوقفوا شراء السلاح " ؟

واذا شئنا تلخيص ما حدث خلال الساعات الاربعة الاولى من الغزو لقلنا:

تم الاحتلال الكامل للكويت، ولكن تحييد العائلة الحاكمة من آل الصباح فشل ، وانفتح الباب على مصراعيه لتنفذ الادارة الأميركية مخططها كما تريد. وكانت آخر الاصوات الكويتية الحرة التي حملها الأثير هو صوت الاستغاثة التي بثتها اذاعة سرية تقول: " ايها العرب لقد انتهك شرف الكويت.هلموا لمساعدتها." ثم اضاف المذيع باكيا : " إن اطفال الكويت ونساءها وشيوخها تستغيث بكم." [٢٠] وهذا يذكرنا بآخر نداءات الاذاعة الهنغارية قبل انقضاض "الدب" السوفياتي ليمحق ثورتها عام ١٩٥٦ حين طالبت المذيعة بصوت يقطع أوصال القلوب أميركا والامم الحية مساعدة الشعب الهنغاري الذي يموت. لكن اميركا أصمت الآذن، وتناست القيم والحريات وتركت هنغاريا طعمة للطغيان.

٢٠- سالنجر صفحة ١٢٣

الفصل الخامس

التدابير الأميركية بعد الاحتلال

التجاهل والصمت الأميركيين

هنا يتعين علينا تثبيت الحقيقة أنه حتى بعد مرور ساعات عدة على الغزو لم تقم واشنطن بأية خطوة عن طريق سفارتها في بغداد فتستفسر من العراق عن الذي حصل. ولم تهدده ولم تبين له على الاقل شجبها الحاسم الذي لايقبل الجدل لعملية الغزو إنما انتظرت بضع ساعات أخرى حتى استتب للعراق احتلال الكويت وبعد الاطمئنان على انتقال آل الصباح الى خارج الحدود.

واذا علمنا أن الجنرال باول كولن اراد بالاتفاق مع وزير الدفاع تشيني قبيل ذلك ارسال تحذير رئاسي الى العراق وان الرئيس بوش رفض الاقتراح لَثَبَتَ لمن يريد أن يرى أن الرئيس أراد للعراق أن يغوص الى عمق يصعب الرجوع عنه.[1]

قد يلومنا القارئ بأننا نكرر انفسنا في بضعة مواضع . ونحن لانلجأ الى بعض ذلك الا لترسيخ القناعة بأن هدف واشنطن كان من البداية أن يكتسح العراق كل الكويت ليبدو أن عساكره تقف وجها لوجه أمام الحدود السعودية مما يُمَكّن واشنطن من الضغط على المملكة فتقبل بانتشار الجيوش الأميركية في الخليج. فلو اقتصر العراق على احتلال الجزيرتين وحقل الرميلة لثبتت عائلة الصباح في مواقعها مما يسمح إما بطلب التدخل الأميركي حسب ما كتبناه قبل قليل، أو تنشأ حالة تفاوضية من خلال وساطات عربية سريعة تؤدي الى أن يحصل العراق على قسم من طلباته فتبقى الأزمة محصورة في الإطار الإقليمي بعيداً عن التدويل الكبير وتنتفي فكرة تهديد السعودية وتنتفي معها ضرورة الانزال الأميركي على أرض السعودية.

نعود الآن الى ما نوهنا عنه قبل قليل فنلقي نظرة متفحصة على الموقف الأميركي من الكويت قبيل الغزو وموقفها من المملكة العربية السعودية بعد الغزو. ونفعل ذلك من خلال

---

[1] – انظر هيكل صفحة ٣٦٨ . ويكتب ودورد في صفحة ١٨٦ :" ولكن باول [كولن] لم يعد يصدق بأن صدام كان يخادع . واقترح أن يقوم تشيني باطلاق الانذار في البيت الابيض ...ليجعله يطلق تحذيرا رئاسيا الى صدام من خلال القنوات الدبلوماسية السرية . "

الكاتب والمؤرخ الأميركي ودورد. فهو يتحدث عن زيارة السفير الكويتي في واشنطن الى السكرتير السياسي للبيت الابيض باول وولفتزر فيقول[٢] : " وعندما جاء السفير الكويتي ليراه (وولفتزير) في البنتاجون في بداية الاسبوع وتحدث له عن مدى قلقه . حاول وولفتزر أن يفتح له كل المجالات ليطلب المساعدة ولكنه لم يفعل ذلك وشعر باول أنه من الصعب مساعدة شخص لايريد المساعدة" . وبعد صفحتين من تلك الجملة يصف ودورد كيف شرح بات لانغ المختص بشؤون الشرق الاوسط في وكالة الاستخبارات الدفاعية للسفير الكويتي في واشنطن مدى الخطر العراقي على الحدود الكويتية " باعطائه ملخصا عن الحشد، واصفا الموقف بكل تفاصيله ثم سائلا اياه: " حسنا هل تنوون فعل أي شيء؟" فأجاب السفير: " وماذا يمكننا أن نفعل؟ " [٣]

ثم انتقل ودورد الى الطريقة التي تعامل بها الرئيس بوش مع الملك فهد لاقناعه بقبول انزال القوات الأميركية. فتحدث عن تكوين فريق أميركي يذهب الى الملك فهد لأن الرئيس بوش " أراد أن يستخدم الفريق ليزيد الضغط على الملك فهد " ويوضح ودورد كيف أن الرئيس بوش لم يشأ ارسال مندوب عنه من مستوى منخفض لأن ذلك " سيترك السعوديين في وضع مريح ولن يتخذوا أي قرار ولكن سكاوكروفت أو شخصا رفيع المستوى أو فريقا ذا رؤية واضحة سيجعل من الصعب على الملك فهد أن يحاول التسويف أو أن يقول لا. لقد قرروا بأن عليهم أن يرسلوا للملك عرضا لايمكن له أن يرفضه "[٤]

نعم ! لقد قرر الرئيس الأميركي حرمان العاهل السعودي من الراحة الى أن يقبل بالانزال. ولما تحدث الامير بندر بن سلطان بن عبد العزيز سفير المملكة القوي في واشنطن مع الرئيس بوش عن "عدم الاستعداد بعد" وعن " نقاشات حادة تدور في العائلة" حول قبول الانزال، قرر التأثير على حسم المناقشة بارسال وزير الدفاع تشيني كرئيس للفريق. " فقد كان رفيع المستوى ويعمل كممثل شخصي للرئيس. وكوزير للدفاع يستطيع أن يتحدث بكامل سلطته في الامور العسكرية. وفي حوالي الثالثة مساء اتصل سكاوكروفت مع تشيني في بيته وشرح له كيف أن النقاشات المبكرة لبندر قد تم صياغتها وتوسيعها من قبل بندر الى فكرة فريق. ولكن هذا يمكن أن يساعد على اجبار الملك."[٥]. ويتابع ودورد: " وقبل أن يغادر،

---

٢ - انظر ودورد صفحة ١٨١

٣ - ودورد صفحة ١٨٣

٤ - ودورد صفحة ٢١٣

٥ - ودورد صفحة ٢١٤

اتصل تشيني بالرئيس الذي كان لازال في كـامب ديفيد. لم يكـن هنـاك وقـت لاعطـاء أوامر رسمية مكتوبة فقام الرئيس بتلخيص المهمة شـفويا. قـال: عليك أن تجعل الملك يوافق علـى قبـول القوات الأميركيـة ويقـوم بدعوتهـا الـى بلـده. اقنعـه بذلك، وأثبت لـه ايضـا أن الادارة الأميركية سوف تلتزم بالدفاع عن السعودية ولن تخذلها. وقل له أنه إن وافق فسيرسل بوش جيشا كبيرا سيبقى المدة الضرورية ولكن هذه المدة لن تكون أطول مما يريده السعوديون"[٦]

حين كان الخطر العراقي على الكويت مؤكدا لدى القيادة الأميركيـة، وحيـن شـرحت للكويتيين وجود هذا الخطر الجـاثم علـى خـط الحدود مباشـرة لـم تفعل أكثر من أن حـاولت الايحاء اللطيف إليهم بطلب الحماية الأميركية. أما الخطر العراقي المزعوم على السعودية فلـم يكن واردا ولم يكن مؤكدا على الاطلاق كما سوف نرى. ورغم ذلك وضعت أكبر دولـة فـي العالم كل وزنها لاجبار العاهل السعودي على القبول. ولقد لجـأت الـى طـرق وضيعـة لحمـل الملك على الموافقة على ما كان يرفضه في الأصل .

قبل اختتام هذه النقطة نتساءل : لماذا حرصت واشنطن على توريط المملكـة فـي هـذه الأزمة ؟ وهل كانت تحتاج الى القوات العسكرية السعودية كجيشٍ فتـيٍّ ليس لـه ايـة تجـارب ميدانية تشابه ما سوف يحتاج اليه الأمر لضرب العراق ؟ بالطبع لا . فالقوات الأميركية تملك من البأس والعتاد والتجارب ما يغنيها عن السعوديين وعن اية قوة أخرى اوربيـة او عربيـة . ومن يعرف يُدرك ان حاجة الجيوش الأميركية الى مواطـىء القدم علـى ارض يابسـة لاتجـاز سحق العراق هي كاذبة تماما لأنها لو شاءت لنفـذت كـل مرادهـا دون ان تضطـر الـى الـبر . ولكن كيف يمكن تأزيم القضية وتدويلها وتبرير احتلاب هذا القدر من مليارات الدولارات مـن كل دول الخليج بدون توريط السعوديين المباشر ؟

وهناك سبب آخر يكمل السبب الأول تمامـا : فكيـف كـان العـالم سيحكم علـى الدولـة العظمى لو تولت هي وحدها حرب العراق بالصورة الوحشية التي حصلت ؟ يجيبنا بقرادونـي على سؤالنا بأوقع جواب حيث يكتب : " ان المواجهة بين الولايات المتحدة واحدى دول العـالم الثالث تخلق حالة بديهية مـن التعـاطف الدولـي مـع الدولـة الضعيفـة ، لا مـن قبـل دول العـالم الثالث وحسب بل من قبل معظـم الـدول الصناعيـة الغربيـة . وللحيلولـة دون اربـاك الولايـات المتحدة او عزلها يقتضي ابـراز المواقـف المبدئيـة والحقـوق الأساسية بشـكل واضـح لا يقبـل الجدل ، واظهار الآخر في موقف المعتدي والظالم والمتمرد. كما يقتضي ان تخوض الولايات المتحدة المعركة في ظل تحـالف واسـع يضـم دولاً غربيـة ودولاً مـن العـالم الثـالث فـلا تبقـى

---

[٦] - ودورد صفحة ٢١٧

منفردة. ومن المستحسن اتخاذ القرارات في اطار مجلس الأمن الدولـي بحيث تبدو المواجهة بين الأمم المتحدة واحدى الدول العاصية وليس بين الولايات المتحدة واحدى دول العالم الثالث."[٧]

علمت واشنطن ببدء اطلاق النار وببدء العمليات العسكرية في الساعة السابعة وخمسة وأربعين دقيقة حسب توقيت واشنطن أي في الواحدة وخمسة وأربعين دقيقة من صباح ١٩٩٠/٨/٢ حسب التوقيت المحلي في الخليج. فإن كان ذلك صحيحاً فهو يتفق مع الاقوال العراقية من أن الغزو بدأ في الساعة الثانية من بعد منتصف الليل[٨]. وفي الساعة التاسعة تلقى تشيني من العميد بحري بيل اوينز مكالمة هاتفية تعلمه باختراق القوات العراقية للحدود بكلا خطي الدبابات باتجاه مدينة الكويت. وفي التاسعة وعشرة دقائق تم استدعاء الجنرال توم كيلي الى البنتاجون حيث تواجد الادميرال ديفيد جيرمایاه، نائب رئيس هيئة الاركان. وفي الحادية عشرة توقيت واشنطن أي الخامسة من صباح ٨/٢ وصلت الى الرئيس بوش معلومات كاملة ارسلتها اليه أجهزة مخابراته عن حجم الغزو وعن اجتياح العراق لكل الكويت.

أشرنا من قبل الى أن واشنطن عرفت بأمر اختراق الحدود دون أن يصدر عن الرئيس بوش أي إنذار يجعل العراق يتريث ويراجع حساباته. وذكرنا حرص واشنطن على نجاة الأمير وعائلة الصباح مما يضمن استمراراً لتنفيذ المؤامرة الأميركية. ونضيف هنا سببا جوهريا آخر لحرص العراق على تحييد آل الصباح. فلو حاول العراق كسب العناصر الكويتية التي تمثل المعارضة خلال استمرار وجود الشرعية السابقة لما تشجعت ولما أقدمت طالما الشرعية موجودة وفاعلة، ولو كان نشاطها يحصل من خارج الكويت . اما لو تم

---

[٧] - بقرادوني صفحة ٢٤١ .

[٨]-يقول العميد الركن مطر سعيد مطر ان الغزو بدأ في الساعة ١١وثلاثين دقيقة من مساء الأربعاء ١٩٩٠/٨/١ (خطة الغزو الآثم) صفحة ٧٣. بينما يؤكد المواطن الكويتي العميد الركن محمد عبد اللطيف الهاشم في كتابه " انعكاسات الغزو العراقي للكويت " على الصفحة ٣١ ، وفي كتابه الآخر " ملاحم يوم الفداء الكويتي " صفحة ٧٢ و ٧٩ ان ساعة الغزو كانت في الدقيقة ٠٠،٠٠ اي في منتصف ليل ٢/١ آب/اغسطس ١٩٩٠. اما في حديث الشيخ سعد العبد الله الصباح مع نخبة من الجالية الكويتية في لندن بتاريخ ١٩٩٠/٨/٤ فقد قال ان وزير دفاع الكويت اعلمه في الساعة الواحدة والنصف بأن العراقيين احتلوا المراكز الكويتية .وهذا يؤيد ان الغزو بدأ قبل هذه الساعة بفترة يحتاجها الجيش العراقي لانجاز عملية الاحتلال. (وثائق الاحتلال _ وفائي دياب صفحة ٢٠)

التخلص من العائلة الحاكمة فسيحصل فراغ دستوري يبرر تدافع مختلف القوى المعارضة لملئه .

بعد انجاز غزو الكويت واحتلالها ببضعة ساعات توجه الرئيس بوش الى قاعة الاجتماعات المجاورة للمكتب البيضاوي من أجل التشاور مع مستشاريه ومعاونيه حول الأزمة وكانت الساعة الثانية صباحا حسب توقيت واشنطن. هناك اجتمعت الصحافة التي يُسمح لها عادة بالدخول الى البيت الابيض لتسمع أفكار الرئيس الأميركي عما حدث. التفت اليهم الرئيس بوش قبل أن يغيب في القاعة وقال لهم بالحرف: "اسمحوا لي بالقول أن الولايات المتحدة الأميركية تدين الغزو بشدة وتدعو الى انسحاب دون شرط. ولا مكان لغزو عنيف وحشي كهذا في عالم اليوم."[9]

لاتترك هذه الجملة في عنفها وحدتها واستخدامها لكلمة الوحشية أي مجال تفاوضي وسط ! ولو شئنا تلخيص الموقف لوجدنا أن المراجع الأميركية تثبت علم واشنطن التام بكل تفاصيل الحشود العراقية منذ بدايتها قبل أكثر من شهرين ثم الى تسارعها قبيل الحديث مع السفيرة غلاسبي ثم الى العجلة المحمومة في انجازها خلال الايام القليلة بعد اللقاء معها. وعرفنا بأن وكالة الأمن القومي ووكالة المخابرات المركزية أوضحتا بشكل لايقبل الشك بأن الهجوم واقع لامحالة. فالشروط الاربعة اللازمة التي تحدثنا عنها والتي تؤكد ان الهدف من الحشود هو الغزو قام العراق بتنفيذها بالكامل خلال اليوم الاول من آب/ اغسطس تحت سمع وبصر الولايات المتحدة [10] . فأين التحذير الرسمي أو غير الرسمي لردع العراق؟ لو كان الرئيس بوش قال في بحر اليوم الأول من آب/أغسطس ذات الجملة آنفة الذكر التي أطلقها أمام الصحافة العالمية مع اضافة حرف سين المستقبل على الشكل التالي: " اسمحوا لي بالقول أن الولايات المتحدة ستدين الغزو بشدة وستدعو الى انسحاب غير مشروط ولا مكان لغزو عنيف وحشي كهذا في عالم اليوم" لما تم الغزو ولما تفجرت الازمة ولما اندلعت الحرب. ولكن الرئيس الأميركي لم يكن يهدف الى أي شيء آخر سوى تسديد الضربة القاضية لكل ما قد يمنع الانفجار. لقد سلك الرئيس الأميركي في سبيل ذلك طريقا عجيبا لايتماشى مع صفات الدولة العظمى. لقد كتب الرئيس بوش اسم الولايات المتحدة الأميركية بحروف حالكة السواد

---

[9] -سالنجر صفحة ١٢٦

[10] -سالنجر صفحة ١٠١ . انظر ايضا ودورد صفحة ١٨٢ حيث يكتب :"باختصار فأن صدام قد حرك قوة غير متكافئة للمهمة الحالية.[اي تخويف الكويت] اذا كان القصد منها مجرد الخداع . اذن هناك جواب وحيد ، وهو انه يريد احتلالها "

في مجلدات التاريخ. وإن دولة تسلك مثل هذا السلوك تخسر مصداقيتها وصلاحيتها في قيادة المجتمع العالمي الى القيم الفاضلة. ونختم هذاالنقد بملاحظة اثارت اهتمامنا الشديد اذ أننا لم نجد في أي مرجع من المراجع الغزيرة التي اطلعنا عليها عن حرب الخليج أي تنويه عن حصول اتصالات للرئيس الأميركي مع سفارته في بغداد أو في الكويت لاستقصاء ما أمكن لهم رصده وما يعرفونه عما حدث في أرض الموقع من اجل ترتيب حوار أو نقاش مع العراق للتعبير عن استغرابه لما حصل أو لمجرد القيام بالخطوات الدبلوماسية البديهية في مثل هذه المواقف حسب أعراف القانون الدولي إنما سلك طريق الإدانة والهجوم على الفور دون تمهيد ودون سابق إنذار.

يقبع العنكبوت عادة على طرف شبكته ذات الهندسة الدقيقة متربصا للبعوضة أن تقع فيها. ولا أستغرب أن يكشف لنا علم الحشرات في المستقبل أن العنكبوت يصدر الحاناً ذات جرس عذب مثل أصوات السفيرة غلاسبي لاجتذاب الفريسة الى الفخ المميت ، وحين تقع الفريسة وتتخبط لا يسألها العنكبوت عما جعلها تخطئ الطريق الى شباكه إنما ينقض عليها بلا رحمة لينفث سمومه في جسدها ليمتص منه رحيق الحياة.

وماجرى في واشنطن بعد ذلك هو مجموعة من الجهود الجبارة للحفاظ على العراق ضمن الشباك ليجري تضييق الخناق عليه بالتدريج حتى الوصول الى لحظة التفجير. وكانت أولى الخطوات هي ماسبق أن تعرضنا له من الانقلاب المفاجئ في تعامل واشنطن الرسمي مع بغداد من لهجة الود والتقرب والحث على"التصرف بسرعة" الى اللهجة القاطعة والحاسمة بل السامّة مطالبة العراق الذي سلك سلوكا " متوحشا " أن ينسحب دون قيد أو شرط. وأخذت جملة الرئيس بوش التي ذكرناها قبل قليل لهجة التحدي والصلف مما يثير مشاعر الرئيس العراقي ويجرح كرامته ويمنعه عن التراجع. وهنا نريد التذكير بما كتبه مسؤول ال **CIA** القديم مايلز كوبلاند في كتابه "لعبة الأمم" عن دراسة المخابرات الأميركية لشخصيات رؤساء دول العالم ونفسياتهم من كل ناحية تخطر على البال لكي يعرفوا ردود افعالهم المحتملة في ساعات المحنة أو في ساعات السرور. فهذا ليس بضرب من الخيال إنما من اسس العمل السياسي الأميركي والعالمي. ومن خلال دراستهم لشخصية الرئيس صدام حسين تصرفوا بما يتفق مع النفاق الدبلوماسي الذي شرحناه من قبل والذي بلغ قمته بالفخ الانثوي من خلال حديث السفيرة غلاسبي.

في الساعة الثامنة من صباح ١٩٩٠/٨/٢ حسب توقيت واشنطن عقدت الادارة الأميركية في قاعة الاجتماعات المجاورة للمكتب البيضاوي المخصص للرئيس أول اجتماع

قمة لوكالة الأمن القومي للتشاور في الحدث الخطير. سوف نتعرض لهذا الاجتماع بعد عدة صفحات ولكننا نعالج في هذا المكان وجها واحدا من وجوهه بادئين باقتباس من سالنجر عن قوة وأهمية هذه الوكالة التي لايوازيها أي كيان مخابراتي في أميركا بما في ذلك الـ CIA التي تخيف سياسيي العالم:

" وكانت هذه الوكالة، بعديدها وموازنتها التي تتجاوز موازنة وكالة الاستخبارات المركزية الى حد بعيد، تعتبر المركز المعلوماتي الأكثر أهمية وتطورا في العالم. وهي تقع في "فورت ميد" بالقرب من واشنطن وتتألف ، كالدماغ البشري، من منطقتين: منطقة اليمين المسماة " كاربيون" ومنطقة اليسار "لودستون". اما العقول الالكترونية التي تملكها فهي قادرة على التعامل مع ٢٠٠ مليون كلمة في الثانية الواحدة . وهي تملك بعض العقول التي بإمكانها نقل ٣٢٠ مليون كلمة في الثانية أي ما يعادل ٢٥٠٠٠من الكتب التي يحوي كل واحد منها ٣٠٠ صفحة. من ناحية أخرى، بفضل مراكز التنصت التابعة لها والموزعة في أرجاء العالم وأقمار تجسسها، كانت تلك الوكالة في موقع القادر على تتبع الأحاديث السرية وعلى تحديد تحركات الفرق العسكرية مهما صغرت، في كل نقطة من الأرض. وهي بفضل محلليها ورياضييها ومفككي الرموز فيها، وكلهم من أفضل الجامعيين الأميركيين، تستطيع معرفة دقائق أي حديث يجري في أي غرفة مقفلة على وجه الارض، وذلك بالقياس الالكتروني لارتجاج الزجاج وتردده بواسطة حزمة من الاشعاعات غير المرئية." [11]

حضر الاجتماع نائب الرئيس دان كويل وسكرتير البيت الابيض جان سنونو، ووزير الخزانة نيكولا برادي ووزير العدل ريتشارد ثورنبرغ، ووزير الدفاع ريتشارد تشيني، ومدير الاستخبارات المركزية CIA وليم وبستر، ورئيس الاركان كولن باول، والجنرال شوارزكوف رئيس القيادة المركزية الأميركية (سانتكوم) والجنرال سكاوكروفت مع مساعده ريتشارد هاس وأخيرا روبير كيميت . وإن تابعنا الاحاديث المتبادلة في الاجتماع من خلال المؤلفين الأميركيين ودورد ثم سالنجر لسمعنا ما يعجز عن فهمه الفكر السليم. فقد اقترح سكرتير البيت الابيض جان سنونو على وزير الدفاع تشيني ضرب العراق بطائرات (ب٢) التي لايلتقطها الرادار فأجابه الوزير: لايوجد لدى الولايات المتحدة سوى طائرة واحدة جاهزة من هذا النوع بينما الباقي ما زال في طور التجريب. وبعد ذلك سأل الرئيس بوش عن القوات

---

١١ – سالنجر صفحة ٨٥. انظر ايضا مثل ذلك في ودورد صفحة ٢١٢

الأميركية الجاهزة للارسال السريع " فجاءه الجواب كالصاعقة: ٢٥٠٠ جندي فقط من الفرقة ٨٢ الحمولة جوا... في حين يلزم لاعداد القوات الباقية أربعة اسابيع على الاقل." ١٢-

فهل من انسان ينتحل لنفسه قطميرا من سلامة التفكير يصدق هذه الصورة؟. وهل يمكن أن تكون القيادة الأميركية لم تفكر بالعبء المحتمل وبتقييم الجانب العسكري إلا بعد وقوع الغزو؟. لقد كانت الولايات المتحدة تؤكد للكويتيين بمختلف الطرق حصول الغزو عما قريب وتطلب منهم قبول انزال الجيش الأميركي. فكيف تغفل واشنطن كل ذلك وتهمل مجرد التفكير في الخطوات العسكرية اللازمة للدفاع عن أهم مصالحها هناك ؟ وهل نصدق أن أميركا العملاقة سوف تترك بل سوف تهمل الاستعداد للدفاع عن أهم مناطق نفوذها ومصالحها في العالم الى مابعد الغزو العراقي واستكماله لاحتلال كل الكويت؟. إنني حين ألعب الشطرنج مع ابني الصغير الذي لم يبلغ الرابعة عشرة بعد ألحظ أنه يفكر الى ثلاث خطوات مقبلة. فهل نصدق أن إدارة أقوى دولة من الدول العظمى لم تفكر لخطوة واحدة تالية في شأن يمسّ صلب مصالحها ؟. أميركا العظمى، القوة الاكبر على وجه الارض لاتستطيع زج أكثر من ٢٥٠٠ جندي من قطعة واحدة من قطعات الجيش في معركة مع دولة من دول العالم الثالث. وسوف تحتاج الى اسابيع عديدة أخرى لانجاز تحضير باقي تلك القطعة اليتيمة ! فهل يقبل ذلك العقل ؟ ترى ماذا كانت ستفعل لو تجاوزت جحافل الاتحاد السوفيتي ومعه جيوش دول أوربا الشرقية الحدود نحو غربي أوربا؟. هذا ولانجد أغرب من هذه الصورة الممسوخة عن استعداد القوة الأميركية إلا الادعاء بأن رئيس جمهورية أميركا، وهو القائد العام لكل القوات المسلحة يجهل هذه الصورة المضحكة عن جاهزية جيوشه.. جيوش أكبر وأغنى دول الارض.

ولكن إن عُرف السبب الذي جعل الاعلام الأميركي ينشر هذه الصورة الزائفة عن استعداد قواتهم لبطل العجب. فلو تم التصريح عن وجود قوات متوافرة وجاهزة لكان عليها أن تتصرف فورا. ولو تصرفت فورا فقامت ببضع غارات على القوات العراقية الزاحفة في داخل الكويت وعلى موقع واحد حساس في داخل العراق لفهم الرئيس صدام الرسالة ولاكتشف لعبة السفيرة ولانكفأ عائدا الى العراق. وهذه هي الصورة عن سرعة تصرف القوات الأميركية التي كانت ماثلة في مخيلة قادة الكويت طوال الأيام التي سبقت الغزو فإذا بهم يصابو بالاحباط من التسويف والتأجيل الى ما يزيد عن نصف عام.

---

١٢ - سالنجر صفحة ١٢٧

ولو تدخلت القوات الجوية الأميركية بتقنياتها المتفوقة علـى كل اسلحة العالم خـلال الدقائق الاولى أو خـلال السـاعة الاولـى مـن الغـزو انطلاقـا مـن القواعـد وحـاملات الطـائرات القريبة من الكويت حسبما اقترح الجنرال شوارزكوف لما وصلت القوات العراقيـة الـى قصـور الامير خـلال أربعـة سـاعات ولأخـذت الامـور مجـرى آخـر تمامـا. يقـول شـوارزكوف بـأن الضربات الجوية " يجب أن تنفذ من قبل طائرات البحرية الأميركية الموجـودة علـى الحـاملات في المنطقة . والاهداف الممكنة لمثل هذه الهجمـات الجويـة هـي الجيش العراقـي فـي الكويـت وأهـداف عسـكرية واسـتراتيجية فـي العـراق نفسـها، وأهـداف اقتصـاديـة مثـل خطـوط الانـابيب الممتدة الى تركيا والسعودية وناقلات النفط العراقية في البحر". إذن كـان هنـاك قـوات تسـتطيع التصـرف ولكن واشنطن قررت المماطلة والانتظار .

في اجتمـاع مجلس الامن القومي بعد الغزو حمَّلَ ريتشـارد دارمـان مدير الموازنـة للولايات المتحدة أجهزة المخابرات الأميركية ومؤسساتها العسكرية مسؤولية التقصير في انجاز واجباتها واتهمها بأنهـا السـبب فيمـا حصـل ومـا سـوف يحصـل. يكتـب ودورد عـن ذلـك" رأى دارمان أن الوضـع يثير الشفقة. فبـالنظر الـى المصـالح الحيويـة للولايـات المتحـدة فـي المنطقـة واعتداءات صدام الأخيرة وهي أمور عظيمة ، نجد بالمقابل أن السبب يعود لاهمـال مخـابرات الولايات المتحدة الأميركية التي لم يكن لها دليل على أن هذا سيحدث. وان المؤسسة العسـكرية لم يكن لديها خطة طوارئ مناسبة وحديثة." [13]

هذا القول الساذج والزائف يدعو الـى الابتِّسـام المرّ، فـأي دليـل كـان أكثـر وضوحـا ووقعا ودقة من مجموعة المؤشرات التي وفرتها المخابرات الأميركية للبنتـاجون ولـلرئيس ؟. فكل المراجع تُجْمِعُ على أن واشـــنطن كـانت تعلم بالحشـــود العراقيـة يومـا فيوم بـل سـاعة فساعة. ثم نقرأ في ودورد [14] رأي كولن باول، رئيس الاركان عن تلك الحشـود التـي لـم يكـن ينقصها الا أربعة شروط لتصبح على أهبة الهجوم. ثم نجد واشنطن تعلم ايضا باستيفاء العـراق لتلك الشروط الاربعة التي تنقصـه .

ويتابع ودورد ناقلا عن والتـر ب. لانـغ (بـات لانـغ هـو أعلـى مسؤول مدنـي فـي البنتاجون في شؤون الشرق الاوسط لوكالة الاستخبارات الدفاعية) فيكتب:

" وفي يوم الاثنين فـي الثلاثيـن من تموز، جلس بـات لانـغ ليكتـب رسـالـة الكترونيـة بريدية سـرية للغايـة الـى مدير وكالـة الاستخبارات الدفاعيـة الجنـرال هـاري سويسـتر والـى

---

[13] – ودورد ص ١٩٣

[14] – ودورد ص ١٧٨

رؤساء الاقسام الأخرى داخل الوكالة. ان نظام البريد الالكتروني الداخلي الأمني، والذي يسمى بريد – أي يوفر اتصلات فورية تقريبا مع المسؤول من خلال الكمبيوتر – . كان سويستر سيقرر إن كانت ستوزع على مستوى أوسع. قال لانغ في رسالته: " لقد كنت أنظر الى طريقة التعزيز على الحدود الكويتية". هناك تحركات لوجيستية(نقل وتموين وذخيرة) وتحركات مدفعية وللطائرات أيضا. وليس هناك أي مبرر على الاطلاق لأن يقوم صدام بذلك. وهذا لايعقل إذا كان هدفه تخويف الكويت فقط. لقد أوجد إمكانية لاجتياح الكويت وشرق السعودية".[١٥]

اذن فلقد أوصلت أجهزة المخابرات الأميركية الى قيادتها أن الخطر العراقي لايهدد الكويت فقط وإنما مناطق آبار البترول في شرق السعودية ايضا. ويتابع بات لانغ:

" أنا لااعتقد بأنه يخادع، لقد قرأت لمحة عن حياته الشخصية، فهو لايعرف كيف يخدع، والخداع لم يكن نمطا سلوكيا عنده أبداً وأخشى بأن الكويت ستكون متصلبة في الاستجابة لمطالبه لدرجة أنهم لن يلبوا أقلها.

باختصار فإن صدام قد حرك قوة غير مكافئة للمهمة الحالية إذا كان القصد منها مجرد الخداع. إذن هناك جواب وحيد، هو أنه ينوي استخدامها. فالكويت ليس لديها قدرة للاستخبارت والاقمار الصناعية لرؤية القوة العراقية الضخمة على حدودها. الولايات المتحدة فقط بامكانها معرفة ذلك، وصدام لايعرف بان هذه المعلومات سيتم تمريرها . لذلك إذا كان الـ ١٠٠،٠٠٠ رجل لاستعراض القوة ، فلقد ضاع ذلك على المشاهدين، لأن الهدف هو التأثير على الكويت."

هذه المعلومات توفرت للقيادة الأميركية في واشنطن خلال الفترة الواقعة بين ٢٦– ٣١ تموز/ يوليو ثم يتابع ودورد قائلاً:

" عندما وصل لانغ الى مكتبه حوالي الساعة السادسة صباحا يوم الاربعاء في الأول من آب، كان بعض موظفيه بانتظاره فعرضوا عليه آخر الصور للحدود العراقية الكويتية والتي وصلت الى وكالة الاستخبارات الدفاعية قبل قليل. كانت الفرق المدرعة الثلاث قد فكت السلسلة وتحركت للامام الى مسافة ثلاثة أميال من حدود الكويت[١٦]. كانت مذهلة، ومناورة

[١٥] – ذات المرجع صفحة ١٨٢

[١٦] – من أخطر الأمور التي يتعرض لها كاتب هو اعتماده على المراجع المترجمة والمعربة. وصادفنا هنا خطأ يبلغ حد الجريمة في تعريب جولاق / عابد لكتاب بوب ودورد . فقد ترجما الجملة التي اقتبسناها اعلاه على ان الفرق المدرعة الثلاثة " تحركت للأمام ثلاثة أميال داخل الحدود الكويتية " وهذا قول يغير مسار البحث

عسكرية رائعة. اتخذت فرقة " حمورابي" و "تثق بالله" مواقع بالقرب من الطريق الرئيسي ذي المسارب الأربعة المؤدية الى وسط الكويت. مئات الدبابات كانت على الطريق جميعها موجهة الى الكويت، وبعيدة بعضها عن بعض من ٥٠ الى ٧٥ ياردة. كان خط موت حقيقي يمتد أميالا طويلة. وتحركت المدفعية خلف الدبابات ثم تحركت فرقة "المدينة المنورة" الى الجانب الغربي من الكويت، وكانت هذه الدبابات تشكل خطا يمتد أميالا. واتخذ قادة الدبابات مواقع قتالية تقليدية في نهاية الخط في منتصف كل فرقة. [١٧]

أدرك لانغ أنه كان مخطئا بأنه لم يكن هناك تحذير مسبق، هاهو صدام كان متعمدا ذلك، وعندما تابع لانغ تلك الصور، أدرك بأن الوحدات المسلحة لم تكن لتظهر هدفها بشكل أكثر وضوحا. فبدا الأمر وكأن مسدسا قد عبئ وسدد والأصبع على الزناد. وهو الآن يراقب العضلة في الاصبع تشتد، كان هذا يحدث بالحركة البطيئة أمام عينيه. وأظهرت الصور أيضا بأن العراقيين قد حركوا ٨٠ طائرة عمودية بالقرب من الحدود بموضع تقليدي هجومي جو-أرض.

كتب لانغ رسالة تحذيرية سرية للغاية، وذات أولوية عليا تصف الوضع. وتتوقع هجوما في تلك الليلة أو الصباح التالي. ووزع موجز خاص وسري للغاية على مسؤولين كبار في البنتاجون. وسرى الهمس في البناية بين أولئك المطلعين على الامر : ستكون ليلة طويلة لموظفي الشرق الاوسط.

في ذلك الصباح قرأ باول تقييما للمخابرات المركزية يقول بأن جميع الدلائل تشير الى أن صدام سيغزو، وأدرك باول بأن معرفة النوايا مسألة كبيرة. فالمخابرات المركزية تجاهلت عواء الذئب كثيرا. وهبطت تحذيرات وكالة الاستخبارات الدفاعية على مكتبه الآن، فليس فقط أن صدام قد حرك دباباته نحو مواقعها في اسبوع، ولكن الاتصالات والمدفعية

بكامله . وكدنا نتورط باعتماد هذه الترجمة التعيسة لولا احاديثنا الهاتفية مع البزاز والعميدين الكويتيين مطر سعيد مطر ومحمد الهاشم . فالجميع نفى صحة ذلك. ولما عدنا الى ترجمة محمود برهوم لذلك الكتاب وجدنا الصورة الأصح . ولكنها لا تتطابق تماما مع الأصل الانكليزي الذي اعتمدناه في الأخر.(ودورد/جولاق صفحة ١٨٤)(ودورد/برهوم صفحة ١٥٠)(ودورد/انكليزي صفحة ٢١٩)

١٧ - من البديهي ان الأقمار الصناعية تستطيع تصوير اهدافها على الأرض من الأعلى ، اي من البعد العمودي . وبما ان اسماء الفرق العسكرية لا تُكتب على ظهر كل دبابة او مدفع فإن المعلومات التي حددت للمخابرات الأميركية القطعات المتحركة بالاسم لم تعتمد على الرصد من السماء وانما يجب ان يكون هناك تكامل مع جواسيس على الأرض ينقلون الى واشنطن كل سكنات القوات العراقية لحظةً فلحظة .

والذخائر والتموين والجنود والقوة الجوية كانت جميعها في مواقعها حسب نقاط تقاطع تم الوصول اليها عسكريا." [١٨]

أما الجنرال شوارزكوف فيكتب عن الثمار الرائعة [١٩] التي جنتها المخابرات الأميركية وأوصلتها الى القيادة. بل إنه يوضح لنا مدى حرص القيادة على رصد كل خلجة تحصل في الخليج منذ أعوام فيكتب:

" إلا أن الله حباني بضباط مخابرات يبلغون من المهارة مبلغا، بحيث ان أوساط المخابرات العسكرية في واشنطن كانت تعطي الاولوية لتقارير القيادة المركزية، مؤيدة تقديراتنا للتطورات في الشرق الاوسط. وكان ضباط المخابرات يطلعونني كل صباح على آخر التحركات العسكرية العراقية، وتوفرت لنا معطيات مذهلة يمكن الاعتماد عليها . فمنذ حرب الناقلات والولايات المتحدة تُخضع تلك المنطقة لمراقبة متناسبة بواسطة البشر والمعدات المتطورة فكان كل يوم جديد يحمل لنا أكداسًا من المعلومات الطازجة. ورحنا نتعقب أثر القوافل العسكرية والقطارات المحملة بالدبابات فيما هي تتحرك من بغداد الى البصرة جنوب العراق. ثم تنطلق من هناك الى مناطق الحشد.

لقد سبق للعراق أن استخدم الصحراء المتاخمة للبصرة لأغراض التدريب العسكري، وحسبنا بادئ الأمر أن الحشود الحالية قد تكون لغرض اجراء تدريبات عسكرية أخرى. كانت القوات العراقية تقيم هناك في خيام، أما دروعها ومعداتها وتجهيزاتها فتجثم بعيدا في المؤخرة، أما في نهاية تموز فلم تعد القوات مقصورة على منطقة التدريب بل راحت تنتشر كالمروحة جنوب شرق وجنوب غرب البصرة ووجهُها الى الحدود الكويتية، واختفت الخيم الان وتقدمت الدروع الى الأمام فيما حشدت المعدات الى جوار الوحدات القتالية التي يمكن أن تستخدمها. فالهليكوبتر تجثم بجوار الوحدات الخاصة، والجسور العائمة الى جانب مشاة البحرية. ولم يكن ثمة سبيل للتوهم بأن ما نراه هم محض استعراض للقوة، بل هو خطة حرب تتبلور."

ثم يتابع شوارزكوف بعد صفحة واحدة عن تمرير المعلومات العسكرية الى الكويت:

" وورد الينا من الكويتيين طلب المعلومات حول التهديد العراقي، فأجبناهم بإرسال أحد خبراء لايدا، وهو الميجور جون.ف.فيلي، الى مدينة الكويت، حاملا حقيبة ملأى بصور

---

[١٨] – ودورد صفحة ١٨٤. هذا ويؤيد وضوح الصورة التي نقلتها المخابرات الاميركية الى واشنطن ما كتبه سالنجر على الصفحات ١٠٠-١٠٢

[١٩] – شوارزكوف صفحة ١٠٠

فوتوغرافية سرية للغاية. وأبلغنا واشنطن – بعد الظهر بقليل من آخر يوم من أيام يوليو – بأن الحرب بين العراق والكويت تبدو وشيكة، ودعم المحللون في وكالة مخابرات الدفاع – الذين كانوا يتابعون نفس المعطيات – استنتاجنا هذا. وأمرني كولن باول عصر ذلك اليوم نفسه بالمجيء الى واشنطن لإطلاع وزير الدفاع تشيني وهيئة رؤساء الاركان المشتركة على الخيارات المتاحة أمامنا فيما لو بدأ إطلاق النار."

فهل قامت أجهزة المخابرات الأميركية بدورها أحسن قيام أم لا؟. وماذا ينبغي على مخابرات دولة أن تفعل أكثر من تأمين هذه التفاصيل الدقيقة الحية لتفقأ عيون قيادتها بأن الهجوم واقع لامحال؟.

وننتقل الى الشق الثاني من كلمة ودورد حيث يقول دارمان بأن المؤسسة العسكرية لم يكن لديها خطة طوارئ لمواجهة الأزمة فنقول: إن كان هذا الفيض المعلوماتي الذي وصل الى واشنطن لم يجعل المؤسسة العسكرية تخطط للطوارئ فلا يعني ذلك سوى أنها كانت مصممة عن سابق عزم واصرار على عدم القيام بشيء . ولكن ذلك غير صحيح ولايمكن أن يكون صحيحا. فمنذ سقوط الشاه عام ١٩٧٩ أنشأ الرئيس الأميركي جيمي كارتر قوة التدخل والانتشار السريع لحماية حقول النفط بشكل عام فيما لو فكر الاتحاد السوفيتي باجتياح المنطقة لضرب شريان البترول وقطعه عن دول الغرب واليابان وذلك حسب خطة رُمز اليها بـ (١٠٠٢). ومنذ عام ١٩٨٣ القيت مهمة تنفيذ هذه الخطة السرية على عاتق السنتكوم الذي تولى رئاسته الجنرال شوارزكوف منذ تموز/ اغسطس من عام ١٩٨٨. وقد تم اختياره لخبراته وتجاربه السابقة في حرب فيتنام التي شنع الجيش الأميركي فيها بالبشر من عسكريين ومدنيين. وتضمنت هذه الخطة في بداياتها عمليات نقل بعيدة المدى للقوات وللذخيرة والمعدات والتموين. وكان التخطيط أن يجري ارسال طائرات تكتيكية مقاتلة من طراز ف – ١٥ الى الخليج منذ اليوم الاول اذا وقع المحذور وحلّت ساعة الصفر .

إذا فإن الرمز الاصلي للخطة كان ١٠٠٢، وكأنما يستند ذلك الى ألف ليلة وليلة من التاريخ العربي ليصبح ألف ليلة وليلتين حين يبدأ العمل على تقويض الحضارة العربية. أما الرقمين "٩٠" الذين اضيفا على ذلك فلم يكونا ضمن الرقم الاصلي مما يدل على أن هذه الخطة التي بدأت في أول الثمانينات كانت تجدد وتعدل باستمرار لتلائم الاحوال والظروف في الاعوام التالية. ويدل الرقمان "٩٠" على أن هذه الخطة تم تحديثها لتناسب احوال عام ١٩٩٠. ويكتب رامزي كلارك عن ذلك ما يلي: " تم في عام ١٩٨٩ تنقيح " خطة الحرب ١٠٠٢" الخاصة بالقوة المركزية واعيدت تسميتها بـ"خطة الحرب ١٠٠٢-٩٠". وفي الخطة المعدلة

حلّ العراق محل الاتحاد السوفيتي كعدو. والرقمان الاخيران من خطة الحرب يعنيان بالطبع عام ١٩٩٠. "[٢٠]

منذ تعيينه كُلف الجنرال شوارزكوف بالقيام بما يلزم لجعل خطة ١٠٠٢ صالحة " للدفاع المكثف عن المملكة العربية السعودية" بالتحديد [٢١] . أي أنه لم يكلف اصلا بتخطيط الدفاع عن الكويت. وخلال الفترة الواقعة بين تشرين أول/ اكتوبر ١٩٨٨ حتى ربيع ١٩٨٩ زار الجنرال دول الخليج ثلاث مرات حسب قوله في كتابه. [٢٢] وهذا التواتر غير المألوف في الزيارات يوحي بالكثير عن مخططات يجري رسمها، خاصة إن علمنا أنه لم يسبق لأي جنرال من رؤساء الخطة السرية أن زار المنطقة أثناء عهده منذ ظهورها الى حيز الوجود حتى العام ١٩٩٠ ، وإنما كانوا يقومون بنشاطهم من داخل البنتاجون. ولم تقتصر زيارات شوارزكوف على المرات الثلاثة التي ذكرها إنما لحقتها زيارات عديدة أخرى تباحث خلالها مع السياسيين ومع الضباط مما يؤكد على وجود أمور محددة وذات ابعاد خطيرة يجري الترتيب من اجلها. ويكتب شوارزكوف عن التمرينات والمناورات التي اجرتها قوات الجيش الأميركي والتي استهدفت العراق بالتحديد تحت عنوان "الشرك الأميركي للعراق" ما يلي:

" كان هدفنا هو إحداث شرك امريكي للعراق وهذا هو ما حدث تحديدا، فلقد لعبنا مناورة النظرة الداخلية على شاشات الكمبيوتر في آواخر تموز (يوليو)، مقيمين مقر قيادة صوريا مجهزا بالكمبيوتر ومعدات الاتصال في قاعدة ايجلن الجوية الواقعة في اللسان الارضي لولاية فلوريدا ، الذي يشبه يد المقلاة . وبينما كان التمرين الوهمي جاريا، كانت القوات البرية والجوية العراقية في العالم الحقيقي توازي في الخفاء السيناريو المتخيل في لعبتنا. كنا قد صورنا قوة ضخمة تتألف من نحو ٣٠٠ ألف رجل و ٣٢٠٠ دبابة و ٦٤٠ طائرة مقاتلة، تحتشد في جنوب العراق وتهاجم شبه الجزيرة العربية. أما القوة الاصغر التابعة للقيادة المركزية، فيفترض فيها أن تصد الغزو وتوقفه قبل أن يحتل حقول النفط ومصافي النفط والموانئ السعودية الهامة.

ولإضفاء مزيد من الواقعية على هذا السيناريو، طلبت من مركز المراسلة في قواتنا – قبل عدة أسابيع– أن يبدا سلفا بارسال دفق من البرقيات الوهمية عن التطورات العسكرية والسياسية في العراق الى مقر قيادة وحدات الجيش والبحرية والقوة الجوية ومشاة البحرية،

[٢٠] – رامزي كلارك صفحة ٢٨

[٢١] – سالنجر صفحة ١٥٢

[٢٢] – شوارزكوف صفحة ٨٠

المقرر لها أن تشارك في لعبة المناورة. ومع بدء لعبة مناورة الحرب، راح مركز المراسلة أيضا يبعث نشرة المعلومات المخابراتيه المعتادة عن الشرق الاوسط الحقيقي، وكانت التقارير المتعلقة بالعراق على شبه كبير بالبرقيات المزيفة في اللعبة، بحيث اضطر مركز المراسلة الى أن يختم على التقارير الوهمية بحروف بارزة: " للتمرين فقط". ٢٣

وعن هذه المناورة يكتب رامزي كلارك: ٢٤

" وبتوجيهات من شوارزكوف بدأت القوة المركزية مناورات تستهدف العراق. وفي عام ١٩٩٠ أجريت أربع مناورات حربية على الاقل موجهة ضد العراق، بعضها افترض غزوا عراقيا للكويت قبل أن يحدث الغزو فعلا وأول هذه المناورات كان تمرينا على الكمبيوتر تحت أسم "نظرة داخلية" وقد أجري في شهر كانون الثاني، وفي شهر حزيران كان شوارزكوف يشرف على مناورات شارك فيها آلاف الجنود ضد فرق مدرعة تابعة للحرس الجمهوري.

في ايار عام ١٩٩٠، كان مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، في واشنطن قد أكمل لتوه دراسة باشر فيها قبل سنتين وتنبأ بنتيجة الحرب بين الولايات المتحدة والعراق ، وكما يقول الميجر جيمس بلاكويل الذي يعمل في المركز، فان هذه الدراسة قد وزعت بشكل واسع على مسؤولين في البنتاجون وأعضاء في الكونغرس وعلى متعهدين عسكريين. وهكذا فان غزو العراق للكويت لم يكن مفاجأة ، وانما كان سيناريو لخطط أميركية مكثفة."

ونضيف الى ما أوردناه توفر مختلف الامكانيات الاستراتيجية الموجودة تحت تصرف الجيش الأميركي في مختلف القواعد العسكرية المحيطة بمنطقة الخليج والتي ذكرناها سابقا نقلا عن كتاب آلان جريش. ونضيف ايضا حاملات الطائرات المرابطة بالقرب من الخليج حيث يصحب كل حاملة طراد ومدمرة وخمس فرقاطات بحيث يوازي كل منها جيشا كاملا لدولة متوسطة الوزن. فالحاملة والقطع التي تواكبها تحمل مؤنا وذخائر تكفيها ذاتيا لمدة ثلاثة أسابيع دون الحاجة لتموين خارجي وتحمل تجهيزات الكترونية متقدمة جدا تصد عنها الاصابات المعادية الى حد كبير وتسمح لها بتشويش رادارات العدو واذاعاته فتشغله تماما لمدة اسابيع ثلاثة. ويضاف الى ذلك غارات القاذفات الأميركية بعيدة المدى التي تنطلق من قواعدها في اميركا لتصب حممها على الاهداف مباشرة لترفد القوات الموجودة في المنطقة ولتقلب أرض العدو الى جحيم.

---

٢٣ – شوارزكوف ص ٩٧

٢٤ – رامزي كلارك صفحة ٢٨

يشير البعض الى عدم تمرس القوات الأميركية على القتال في الصحراء. ولكن الجنرال شوارزكوف يكذب ذلك ويقول :

" ان الوحدات التي يمكن نشرها تدربت جميعها في مركز التدريب القومي في صحاري كاليفورنيا: وفي ظروف الصيف، فان هذا الشيء معادل نوعا ما.وأضاف:"المعدات غير مريحة قطعا فهي تخفض القدرة القتالية، ولكننا تدربنا عليها كثيرا". [٢٥]

اذن فالاستعدادات الأميركية كانت جاهزة ورهن الاشارة لو شاءت الولايات المتحدة الدفاع عن الكويت. وأي وجهة نظر أخرى يمكن اعتبارها مجرد اسطورة لاستهلاك البسطاء والمغفلين والمتورطين في صلب المؤامرة .

يؤكد ما قرأناه ان الولايات المتحدة كانت تخطط منذ نصف عام على اقل تقدير " للتصدي " لهجوم عراقي يستهدف الكويت . وهذا يدفعنا الى التساؤل : ما هي الذريعة المعقولة التي تبرر استعداد القوات الأميركية لمجابهة هجوم عراقي الا توفر القناعة بأن العراق سوف يهجم على الكويت ؟ فهل كان العراق يفكر بغزو الكويت منذ ذلك الوقت فعرفت بالأمر الولايات المتحدة ، ام ان واشنطن بنفسها "ايقظت" هذا الحلم النائم لدى بغداد ثم تولته بالتغذية والعناية والتشجيع لاشعال الحرب ؟

الرئيس بوش يجهض محاولات السلام

لقد كان الرئيس بوش، انطلاقا من أعلى موقع عسكري وسياسي على وجه الارض، وحرصا على دفع الأزمة الى الكارثة يتسابق مع الملك حسين الذي كان ينطلق من موقف الرجل الواعي الشريف سعيا لتفادي الخطب الجلل. وكان الرئيس بوش لايرى بادرة نجاح يوشك الملك ان يصل اليها إلا وينشط بكل الوسائل المتوفرة لديه من خلال مخابراته وجواسيسه وعملائه ليسحقها وهي مازالت في المهد . هذا ما حصل في اليوم الثاني للازمة واستمر حصوله حتى بلوغ النهاية المرة. ولم يقتصر ضغط الرئيس بوش على الرئيس مبارك لحمله على اصدار قرار الادانة في وقت مبكر ، ولم يكتف بحفر الحفر ونصب الافخاخ للملك حسين إنما اتبع ذات الخط مع المملكة العربية السعودية. ونأخذ كمثال ما كتبه سالنجر عن أول محادثة هاتفية اجراها الرئيس الأميركي مع خادم الحرمين الشريفين فيقول : " ذهب بوش

---

[٢٥] – ودورد صفحة ٢١٠

للاتصال بالملك فهد. وقد حاول رئيس الادارة الأميركية جاهدا اقناع فهد بأن صدام حسين، حسب المعلومات المتوافرة لديه، سيتجه بعد الكويت الى السعودية. فأجابه الملك فهد متملصا بأن الأمل مازال قائما وهو معقود على جهود الملك حسين الرامية الى الحصول على إنسحاب عراقي من الكويت وذكره بالقمة المصغرة المقرر عقدها يوم غد الاحد في ٢٤ آب/ أغسطس.

– ولكن، اذا ساءت الأمور، هل تقبل جلالتك بمساعدة عسكرية أميركية؟.

– ظن بوش، حين بقي الملك فهد ساكتا على طرف الخط الهاتفي، أن عطلا طرأ عليه فأعاد السؤال أكثر من مرة الى أن اجابه فهد بنبرة مستسلمة: – اذا ساءت الأمور، نحن نقبل." ٢٦

وبذلك تحددت للرئيس بوش معالم الخطوة التالية لنجاح مخططه ألا وهي أن يفشل الملك حسين. فبفشله سوف تسوء الأمور وسوف يقبل الملك فهد بالانزال الأميركي الكبير. وهكذا تمكن الرئيس بوش من تنفيذ أهم ثلاث خطوات من تخطيطاته. فقد اجهض محاولات الحسين، وضمن استجابة الملك فهد ونسف مؤتمر جدة الذي كان الرئيس صدام قد وافق على حضوره حاملا معه استعداده للخروج من الكويت. وسوف نرى كيف أن الملك حسين تغلب على الاحباط واليأس اكثر من مرة، ولكنه في كل مرة كان يرى الباب يوصد في وجهه بقوة وعنف وكأنما يراد القول له: قف عند حدك وإلا...

[٢٦] – سالنجر صفحة ١٣٨

الفصل السادس

هل كان تدفق النفط في خطر ؟

نتريث الآن قليلا قبل متابعة الأحداث لنستقرئ اوضاع البترول في منطقة الخليج لنتساءل: هل كان ثمة خطر حقيقي على بترول المنطقة وعلى تزويد العالم بالبترول بعد استيلاء العراق على الكويت؟ وهل من داعٍ لتخشى الولايات المتحدة والدول المستهلكة الاخرى وعلى رأسها الدول الصناعية على مصير البترول؟ لنلق نظرة على بعض الآراء الأميركية حول هذه النقطة ثم لننتقل الى معالجتها :

يذكر ودورد قول وزير المالية نيكولاس برادي " بأن العراق سيحصل على ارباح نفطية محتملة تقدر بحوالي ٢٠ مليون دولار يوميا من الانتاج الكويتي بشكل كامل حيث يملك العراق الآن ٢٠٪ من احتياطي نفط العالم المعروف. واذا كان صدام سيستولي على السعودية فسيصبح المجموع ٤٠٪. " [١]

ثم يتابع ودورد على ذات الصفحة فيصف انطباعه عن موقف بوش فيقول:

" وقد بدا بوش، رجل نفط تكساس السابق، مرتعبا من احتمال أن يحتل صدام السعودية. وانشغل بتحليل مفصل عن تأثير ذلك على توفر النفط العالمي واسعاره. هل سيكون باستطاعة الولايات المتحدة وآخرين أن يفرضوا مقاطعة على النفط العراقي؟ هل سيقوم صدام بالابقاء على النفط العراقي والكويتي؟ أم هل سيحاول إغراق السوق العالمي به؟ وماذا سيكون تاثير ذلك على احتياطي النفط الأميركي؟ وبعشرين في المئة من نفط العالم، فإن صدام سيتمكن من التلاعب بالاسعار العالمية ويبقي الولايات المتحدة وحلفاءها تحت رحمته وذلك لأن اسعار النفط المرتفعة ستزيد التضخم كثيرا لتزيد من سوء حالة الاقتصاد الأميركي.

قال باول في نفسه بأن هناك كلاما كثيرا وتنبؤات غير دقيقة حول النفط. إلا أن بوش تميز عن أي شخص آخر، لأنه كان رجل نفط ويعرف السوق.

---

[١] - ودورد ص ١٩٠-١٩١ . من المهم الإشارة الى أن الدكتور سعدون حمادي أعلن في التلفزيون العراقي بتاريخ ١٩٩٠/٨/٣٠ بأن العراق أصبح يسيطر على ٢٠٪ من احتياطي نفط العالم. فقد ثبّت الدكتور حمادي بتصريحه ما يتناقله الإعلام الغربي مستخدماً إياه لتعبئة الرأي العام العالمي ضد العراق .

واقترح سنونو أن يحاولوا منــع العراق مـن بيـع النفط الكويتي فـي السـوق المفتوحـة وكسب ربح فوري من الغزو."

أما وزير الدفاع تشيني فقال:

" إن المزاوجة بين القوة العسكرية العراقية المكونة من مليون عسـكري مـع ٢٠٪ مـن نفط العالم يمثل تهديدا كبيرا. وقال أنه يجب عليهم أن يميزوا بين الدفاع عن السعودية وطـرد العراق من الكويت. وقال أنه يفضل مهمة الحماية."

ويقول سالنجر : " خلال ساعات قليلة حقق صـدام حسين حلمـه فـاصبح يسـيطر علـى ٢٠٪ من احتياطي البترول العالمي كما أصبح يملك مئتي كيلومتر من الشـواطئ المطلـة علـى الخليج." [٢]

اما جيمس واتكنز، وزير الطاقة فكان يرى:" إن ما حدث سـوف يسـبب فوضـى فـي اسواق البترول – انتاجه وامداده واسعاره فضلا عن أنه لايمكن للولايـات المتحـدة أن تسـمح بزواج بين مليون جندي عراقي ، وثلثي انتاج البترول في الشرق الاوسط." [٣]

لنعد بعد هذه الاقتباسات الى ارض الواقع لنتساءل : ترى اين الواقـع مـن هـذا الفيض الصارخ من المغالطات والتزييف؟. فكيف يمكن للعراق أن يستفيد من بتروله وبترول الكويـت إن قاطعته الأخوات السبع، أي اهم شركات البترول العالمية والتي تستطيع أن " تتحدث بكـلام مسموع وان تقوم بكل ما يلزم" لفرض سياستها البترولية فرضاً بمجرد أن يظهر مجرد همـس يتهدد البترول في أية بقعة من بقاع الارض؟. هذا مع العلم أن معظم الشركات السبع في اياد أميركية، فهي الأقوى والاقدر على الضغط والتأثير.

ترى من هي تلك الدولة على وجه الارض التي تستطيع عقـد صفقـات بتروليـة مـع العراق في غياب موافقة " الاخوات السبعة " ؟ هذا إذا لم نضع في الاعتبار قرار المقاطعة في مجلس الامن الذي سوف نتحدث عنه. فهل من أمل في أن يتمكن العـراق مـن بيـع قطـرة مـن بتروله بعد أن أضيف الى سلطة الاخوات السبع المعادية سلطة الأمم المتحدة التي تحمل صفـة الشرعية العالمية ؟.

ومن الغريب أن مختلف المؤلفين الذين تحدثوا عن قوة العراق البترولية المتعاظمة لم يدركوا أو انهم تعمدوا تناسي العلاقة الحتمية التي تصل بين عقد صفقـات البـترول وبيـن عدة

---

٢ – سالنجر ص ١٢٢-١٢٣

٣ – نقلا عن هيكل ص ٣٧٧

عناصر أخرى لاتقل في اثرها على وجود البترول نفسه . وقبل ان نعدد هذه العناصر نشير الى ان العراق ذاته الذي احتل الآن الكويت " وهدد النفط " هجم قبل عشر سنوات على دولة نفطية اكثر اهمية من الكويت دون ان تنطلق اية ادانة من طرف الولايات المتحدة بالرغم من ان هجوم العراق على ايران هو خرق للقانون الدولي وانتهاك لمبادىء الأمم المتحدة حسب المعايير التي تتلاعب بها وتكيفها واشنطن حسب الحاجة. والآن الى تعداد العناصر الأخرى:

١- فآبار البترول التي يجري كشفها وضخ محتوياتها تنضب بالتسلسل مما يقتضي التنقيب عن بديل لها باستمرار. ومن اجل العثور على البديل تجري عمليات الحفر الشاقة . وهذا يتطلب تقنيات واجهزة لاتتوفر في دول العالم الثالث حيث يوجد البترول. بل إنها لاتتوفر بشكل كامل لدى بعض دول صناعية من الصف الاول. ولا نجدها كاملة الا في الولايات المتحدة الأميركية . فلدى الدول الصناعية الاخرى "قطاعات" جزئية تختص بها لانجاز بعض عمليات الضخ والتنقيب دون أن تستطيع تغطية كل المطلوب من التجهيزات . ومختلف الشركات المنتجة للمعدات البترولية في الدول الصناعية مرتبطة كليا بالولايات المتحدة كأكبر سلطة تتحكم بالنفط.

٢- وتسيطر الولايات المتحدة لوحدها على قرابة ٨٠٪ من اسطول ناقلات البترول. ومعظم الدول الاخرى التي تملك النسبة المتبقية من الناقلات يخضع لقرارت اصحاب الاسطول الاكبر. فلو حاول الصغار تحدي الولايات المتحدة لخفضت شركات الناقلات الأميركية اسعار النقل متبعة سياسة الاغراق (Dumping) فلا يستطيع الصغار التماشي معها فيفلسون كليا. وبعد أن تكون الشركات الكبيرة اجهزت عليها تماما ترفع اجور النقل الى أعلى مما كان عليه وتعوض كل خسارتها. وربما "تتعطف" الشركات الكبيرة على المفلسة فتشتري اسهمها "بتراب الفلوس".

٣- وتمتلك الولايات المتحدة أو تؤثر على أكبر نسبة من مصافي البترول في كل انحاء العالم مما يسمح لها بالسيطرة على عملية التكرير التي تستهلك باستمرار قطع تبديل ومعدات تشكل اميركا أكبر مصدر لها.

٤ - ومن خلال سيطرتها على شبكات التوزيع تؤثر الولايات المتحدة على صفقات بيع مشتقات البترول.

٥- وتؤثر الولايات المتحدة على تحديد حصص انتاج كل دولة منتجة للبترول بالرغم من تحديد نسبة الضخ خلال اجتماعات دول الاوبك الدورية. فلو قررت الولايات المتحدة خفض شراءاتها من دولة نيجيريا مثلا ودعمت ذلك بمقاطعة عمليات نقل البترول من نيجيريا

لانهارت موارد نيجيريا البترولية. ويعطينا رامزي كلارك مثلا حقيقيا عن ذلك فيكتب:" وفي عام ١٩٦٠، وعندما ساعدت حكومة عبد الكريم قاسم في العراق على انشاء منظمة البلدان المصدرة للنفط (اوبيك) لمجابهة اقتطاعات احادية في الاسعار من جانب شركات النفط، عمدت هذه الشركات مرة اخرى الى زيادة الانتاج من الابار الكويتية، وخفضت من انتاج الابار العراقية وتزعزع الاقتصاد العراقي، وتمت الاطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم بعد ثلاث سنوات." [٤]

٦- وباستخدام ذات الوسائل تستطيع الولايات المتحدة الضغط، وربما التحكم في بعض الحالات، بالدول الصناعية مثل تأخير وصول ناقلات البترول اليها.

٧- ثم هناك أمر آخر قد يبدو للبعض ثانويا ولكن علينا ايراده ووضعه في عين الاعتبار. وهو يتعلق بكيفية تسديد ثمن البترول الى الدولة البائعة. فلو افترضنا جدلا أن العراق استطاع تمرير شحنات النفط وبيعها. فمن خلال أية بنوك تصله المبالغ بعد تجميد كل حساباته في العالم؟. وهل يمكن لمشتري البترول حمل مئات الملايين من الدولارات عدا ونقدا وايصالها الى بغداد؟. وماذا يفعل العراق إن تجمدت في صناديقه مليارات من العملات النقدية؟.

لاشك في أن الولايات المتحدة لاتسيطر على ١٠٠٪ من كل نقطة من النقاط السبع التي أوردناها ولكنها من خلال السيطرة على أكبر النسب في كل منها، ومن خلال تشابك العناصر مع بعضها البعض، ومن خلال العلاقات الاقتصادية المتشابكة مع مختلف الدول الهامة، نجد أنها هي التي تحدد مصير النفط خلال الحقبة الحالية من التاريخ وتسعى الى تثبيت سيطرتها الى آجال مقبلة. وفي مثل هذه الظروف تصبح فرصة العراق في تصدير قطرة من البترول تساوي العدم المطلق. [٥]

---

[٤] – رامزي كلارك ص ٣٠

[٥] – يقول الدكتور غليون بهذا الصدد : " من الصعب الاعتقاد ان التعديلات البسيطة على الحدود بين الكويت والعراق ، والتي رفضها الكويتيون تحت الضغط الأميركي ، كانت ستهدد ضمان تدفق النفط نحو الغرب ، او قدرة هذا الغرب على التحكم بالإمارات النفطية الصغيرة التابعة له ، خاصة وان العراقيين كانوا هم انفسهم من أهم شركاء الشركات الغربية . (غليون ، ما بعد الخليج صفحة ٥٣).

إن كان مازال هناك جهلة في هذا العالم يعتقدون بأن الدولة المنتجة للبترول هي التي تأخذ القرارت في شأن بترولها فعليهم أن يتعلموا اليوم بأن بيع البترول في ظروف توفر ثروات بترولية ضخمة منتشرة في انحاء العالم اصبح شبه " هبة " يتكرم بها المتسلطون على اصحاب البترول ويتحكمون بهم من خلالها. فلا عجب في أن نرى القلق الأميركي على البترول مجرد ذر للرماد في اعين اغبياء العالم.

نختم هذ النقطة عن البترول بالقاء نظرة على الصورة العامة لانتاج النفط العالمي في وسط عام ١٩٩٠ لنجده متصاعدا دون أن يوجد في الافق ما ينوه عن مروره في أزمة أو في عنق زجاجة. وحين تزداد الكميات المعروضة منه في الاسواق العالمية لن تستطيع الشركات الأميركية اقناع "اصدقائها" من الدول الصناعية بضرورة استمرار ارتفاع الاسعار. أي أن الاسعار سوف تنهار إلا إذا انخفض العرض بشكل محسوس. فاذا خرج البترول العراقي من السوق ثم لحقه البترول الكويتي لأمكن تبرير ارتفاع الاسعار. هذا ولن يؤثر انقطاع البترول العراقي والكويتي اطلاقا لأن الاحتياط المخزون لدى الدول الصناعية، وتزايد البترول الذي يصل الى الاسواق من مناطق الاتحاد السوفيتي يخففان من اثر ذلك. ولو اقتضى الأمر لتم الايعاز الى الدول المنتجة الاخرى بزيادة طاقة الانتاج مما يعيد الى قبضة اصحاب القرار التحكم بميزان العرض والطلب. واكتشاف الكميات الهائلة من البترول في اليمن في حقول تقع في شمال غربي حضرموت وفي حقل مأرب مثلا الذي يستغله رجل البترول راي هانت، هذا الحقل الذي بلغ من غزارته أن طلب هانت مساعدة من شركة اكسون في استغلاله فدفعت له لقاء ذلك مليار دولار، ضاعف من الكميات التي تطرح في الاسواق دون أن يتبع ذلك تزايد الطلب. فعملية "اسكات" بعض مناطق الانتاج اضحى ضرورة يمكن الاستفادة منها على أكثر من وجه واحد. وهذا يؤكد أن اسياد تجارة البترول لم يتركوا شيئا للصدف إنما اغلقوا مناطق انتاج برمتها وتدبروا أمر عدم نقصان العرض عن الحدود الدنيا.

ونسمح لانفسنا باستطراد بسيط في نقلنا لموجز من مضمون مقالة هامة في مجلة (دير شبيغل) الالمانية عن بترول اليمن. قد يبدو أن لامكان له في هذا الكتاب ولكننا نراه يمس صلب الاحداث التي نرى ظلالها في حرب الخليج وفي امور عالمية مشابهة أخرى.[٦] وتحدثت عن الكشوفات النفطية الضخمة في اليمن وعن خلاف نشأ بين اليمن وبين المملكة العربية السعودية حول الحقول الغنية جدا المنتشرة على الحدود المشتركة والتي تشبه في عدم تحديد

[٦] – دير شبيغل، العدد ٣٧ لعام ١٩٩٢

ملكيتها الوضع بين العراق والكويت. وفي شهر آذار/مارس ١٩٩٢ تلقت شركات البترول غير الأميركية العاملة في تلك المنطقة من اليمن وهي بريتيش بتروليوم (BP) والشركة الفرنسية (ELF) وبترو كندا وشركة توللو رسائل من الخارجية السعودية تنذرهم بها بأنهم ينشطون على ارض سعودية وأن المملكة تحتفظ بحقوقها كاملة للدفاع عن مصالحها. وبعد أقل من شهرين توقفت هذه الشركات غير الأميركية عن الضخ ولكن الأميركي راي هانت والشركة الأميركية معه استمر في ضخ ١٨٠ ألف برميل في اليوم الواحد!.

الفصل السابع

الأصداء في البلاد العربية

لن نخوض في معمعة تحديد ساعة علم الرؤساء العرب بالغزو العراقي الا اذا استوثقنا من دقة ترابط الاحداث. فهناك مؤشرات عديدة تنفي الدقة التي يدعيها مختلف الكتاب مما يمنعنا من الجزم. فعلى سبيل المثال يقول هيكل أن الملك فهد سمع رنين الهاتف الأحمر في الساعة الخامسة من صباح ٨/٢ أي في السادسة بتوقيت الكويت. فهل يعقل حصول مثل هذا التأخير في اعلامه خاصة بعد أن وصل امير الكويت الى اراضي المملكة قبل عدة ساعات؟. وهل يمكن أن نتصور أن السفير السعودي في الكويت، الشيخ عبد العزيز السديري أحجم عن اعلام مليكه بالغزو أولاً بأول؟ وثمة دليل آخر على عدم الدقة في ما قاله هيكل . ففي ١٩٩٠/١١/٢٦ اجتمع في قصر السلام في جدة عدد من المواطنين مع الملك فهد حيث روى لهم ما حدث خلال الساعات الاولى من الغزو . في بحر هذا الحديث قال الملك : " لكن الذي حصل اننا فوجئنا الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (صباح الخميس) بأن تخبرني الجهات المختصة بأن الكويت تُهاجم . في الحقيقة من الوهلة الاولى فإن من الصعوبة على الانسان ان يستوعب امراً مثل هذا .

تُهاجم من اي جهة ؟ قالوا من العراق . اضطررت ان اتصل هاتفياً بسفارتنا في الكويت وقلت ما هي حقيقة ما سمعته بالضبط ؟ المسؤولون في السفارة قالوا ان الجيش العراقي الآن يحتل الكويت ."[١]

وبدلا من الخوض في معمعة تحديد الساعة نلتفت الى الاحداث المباشرة. فلما علم الملك فهد بالغزو اتصل بسفيره في الكويت وعلم منه أن الغزو لم يقتصر على حقل الرميلة والجزيرتين لأن القوات العراقية وصلت الى مشارف المدينة. فحاول الملك الاتصال بالرئيس صدام دون جدوى وأعلمه مكتب الرئيس بأن صدام " بعيد عن الهاتف". فاتصل بالملك حسين

---

[١] – لا يبين كلام الملك اختلاف وجهات النظر حول ساعة بدء الغزو فقط انما نتلمس خلاله خبراً غير مباشر. فإن كانت سفارته لم تكن هي المرجع الأول الذي اعلمه بالخبر اولاً فمن هي " الجهات المختصة " التي ذكرها ؟ وهل نحن على خطأ ان استنتجنا ان السفارة الأميركية هي التي قامت بذلك حسب تخطيط موجه ومرسوم؟

في عمان وايقظه ليعرف بأن الملك حسين لم يكن قد عرف بما حدث ولكنه وعد بالاتصال بالرئيس صدام ثم معاودة الاتصال به. وحسب وصف هيكل قال الملك حسين:[٢]

"ولم يكن الملك "فهد"[٣] قادرا على الانتظار، فطلب توصيله بالملك "حسين" وأيقظه بالفعل من نومه في الساعة الخامسة والربع – وبادره بسؤاله:

– "هل سمعت؟"

وروى له الملك "فهد" تفاصيل ما سمع عن دخول القوات العراقية الى الكويت، وكيف أنه حاول الاتصال بـ "الأخ صدام" ولم يوفق.

وكان الملك "حسين" مأخوذا بما سمع، وقد شرد للحظة في تصوراته، وأحس الملك "فهد" أن الملك "حسين" شرد عنه، فعاد يسائله في خطورة ما حدث، وقال الملك "حسين":

– "اعطني فرصة حتى استوعب".

ورد عليه الملك "فهد" مقترحا أن يحاول هو – أي الملك "حسين" – أن يتصل بـ "الأخ صدام" ليعرف منه "ما هي الحكاية؟"

وكان الملك "حسين" قد استجمع أفكاره، وقال للملك "فهد":

– " الغالب كما أظن أنها عملية محدودة، وقد نستطيع تداركها وعلاجها فورا. سوف اتصل بـ " الاخ صدام" وأعود اليك في ظرف دقائق."

وراح الملك "حسين" يحاول بدوره أن يتصل ببغداد. ثم أبلغ أن الملك "فهد" على الخط مرة ثانية، وجاءه صوت الملك "فهد" يقول بانفعال:

– " لا.. إنها ليست عملية محدودة. إنني سمعت الآن أنهم داخل قصر "جابر". "

وتمكن الملك "حسين " من ا جراء اتصال ببغداد، لكنه لم يوفق في الوصول الى الرئيس "صدام حسين". فقد تلقى المكالمة السيد "طارق عزيز" الذي جاء صوته على التلفون يقول للملك "حسين":

–" جلالة الملك إنني آسف، لكنني رأيت أن أتلقى مكالمتكم الى "السيد الرئيس" لأنه مازال بعيدا عن التلفون".

---

[٢]– هيكل ص ٣٦٣

[٣]– يضع هيكل اسماء الأشخاص ضمن مؤشرين باستمرار :" " . ونحن لم ندرك الحكمة من ذلك في حالة الأسماء العربية .

وسأله الملك "حسين" بقلق عن هذا الذي يجرى، وكان رد السيد "طارق عزيز" أنه " لم يكن هناك مع الاسف سبيل آخر"، وعلى أية حال فإن "السيد الرئيس" سوف يشرح له بنفسه كل شيء عندما يتصل به في ظرف دقائق قليلة."

ونقلا عن هيكل ايضا اتصل السفير المصري في الكويت السيد سعيد رفعت في الساعة الرابعة حسب توقيت القاهرة بالدكتور مصطفى الفقي، سكرتير الرئيس حسني مبارك للمعلومات وأعلمه بالغزو العراقي. لكن الدكتور فقي لم يشأ ايقاظ الرئيس. وبعد نصف ساعة اتصل السفير الكويتي في القاهرة عبد الرزاق الكندري بالدكتور فقي وطلب منه ايقاظ الرئيس لأن العراقيين اصبحوا الآن في قلب مدينة الكويت. حينئذ ايقظ الدكتور فقي الرئيس مبارك الذي فوجئ تماما كما سبق أن فوجئ الملك فهد والملك حسين.

في بغداد ايقظ حراس السفارة الكويتية السفير ابراهيم البحو وأعلموه بأن السفارة محاصرة من قبل قوات عراقية تطلب استلام كل مفاتيح سيارات السفارة، فوافق. ولما حاول اجراء اتصالات هاتفية وجد الخطوط مقطوعة. وفيما بعد ُطلب منه تسليم جواز سفره الدبلوماسي مع جوازات عائلته فامتثل، إذ لم يكن له اي خيار. وبعد ثلاثة أيام اعيدت للسفارة الكويتية السيارات التي اصبحت تحمل لوحات عراقية عادية ومُنح السفير جوازات سفر عراقية عادية. وكان بذلك أول مواطن انقلب من كويتي الى عراقي رغما عن انفه ."

الملك حسين والأزمة

كان الملك حسين عاهل المملكة الاردنية الهاشمية في رأينا أجرأ من حاول تحجيم الازمة واحتوائها . بالطبع لايجوز لنا انكار ارتباط مصالح مملكته بما سوف يترتب على الانفجارات المحتملة التي تتراءى في افق الشرق الاوسط والتي لخصها الرئيس ياسر عرفات في جلسة الرؤساء العرب في القاهرة وحذر منها قائلا: " واليوم اذا وقعت الحرب فإننا جميعا وبلا استثناء سندفع ثمنها غاليا لذلك فإن من واجبنا أن نجد وسيلة لنزع الفتيل بحل مشرف للجميع يحمي الحقوق ويصون الأمن القومي العربي، وينبغي أن يكون الحل عربيا لاحلا دوليا، إذ لو حصل الحل الدولي فلن تبقى الخرائط كما هي الآن؟" [٤]

---

[٤] - البزاز ص ١٢١

ولكننا نجزم عن قناعة صادقة مستندة الى كل قرينة جدية وقعت انظارنا عليها اثناء ابحاثنا لكتابة هذا الكتاب بأن المصلحة الوطنية هي التي اتسمت جهود الملك حسين بها. ونذكر من هذه القرائن موقف الرئيس بوش منه بعد أيام من بدء الأزمة حيث واجه جهود الملك الجبارة لايجاد تسوية بكل جفاف وجفاء وكيف حاول بدلا من تشجيعه جرّه الى المخطط الأميركي ملوحا له بالمساعدات المالية التي سوف تغني مملكته . ومثل ذلك حصل خلال لقائه مع الرئيسة البريطانية مارغريت تاتشر وهذا ما سوف نعالجه في فصل مقبل عن المبادرات.

فلو كانت المصلحة الشخصية هي الرائد الوحيد لتصرفات هذا الملك الجرئ لما وقف ضد القوى العظمى التي تمسك بمصائر هذه الارض، ولترك الامور تجرفه مع التيار الرابح. والاعتراض بأن الملك حسين ما كان يستطيع التصرف بغير ذلك لأن الجموع في الاردن التي تدعم بجوارحها الرئيس صدام حسين بقوة لا يثبت عكس ما ذهبنا اليه لأنه لو سار ضد التيار المحلي فدَعَمَ الاتجاه الأميركي الذي كسب تأييد الدول العربية الخليجية مضافا اليها مصر وسوريا والمغرب لتولى هؤلاء الدفاع عن وجوده لو ظهر أي خطر عليه. هذا وان جرأة الملك حسين في مواجهة المواقف الصعبة لا تحتاج لأي برهان حتى لو اضطر للوقوف في مواجهة التيار. فلقد كان حين يرى اي مركز من مراكز المقاومة والفتنة لا يلوذ بالهرب وانما كان يذهب الى اصحاب الفتنة في عقر دورهم فيفاجؤهم ويحاورهم ويفشل خطتهم . ولقد حصل ذلك اكثر من مرة في تاريخ حكمه.

هذا ولا يجوز لنا اقفال ملف الأردن قبل التعرض الى الشائعات المؤسفة حول مؤامرة عراقية اردنية يمنية تستهدف المملكة العربية السعودية بحيث يغزو الملك حسين المملكة من الشمال بينما ينطلق اليمن من الجنوب للقضاء على الحكم هناك وليستعيد الملك حسين المُلك الهاشمي على الحجاز . يقول البزاز [5] ان الاشاعة انطلقت من مسؤولين خليجيين ولكنها حظيت " برعاية " من صحفيين عالميين مثل جاك اندرسن فأثرت فيمن يعنيهم الأمر وساءت العلاقات بين الأردن والمملكة وحصلت المقاطعة المؤسفة . ويبقى السؤال ماثلاً : هل يكمن في هذه الاشاعة اي قسط من الحقيقة ؟ يؤكد الكاتب الرائع محمد جلال كشك هذه النظرية ويحاول توثيقها من خلال بعض القرائن التي لا نراها في هذه المرة تتناسب مع الحجة القوية التي تميز عادة كتاباته العميقة [6] فلو كان هناك ذرة من تآمر بين القوى الثلاثة على المملكة

[5] - بزاز صفحة ٤٣٤

[6] - كشك صفحة ٣١٣

لما انتظروا اية لحظة وانما لانطلقوا في هجومهم في ساعة صفر واحدة لتحصل المفاجأة التي تعد بالنجاح قبل ان تتمكن القوات السعودية، وهي ايضا اقوى بكثير مما يُشاع عنها ، من ترتيب امور الدفاع . لذلك نرى ان هذه الاشاعة مزيفة ومختلقة اراد منها ناشروها إظهار الملك حسين متحيزا بحيث لا يصلح للوساطة وسعوا لبث الخلاف الحاد بينه وبين العاهل السعودي لعرقلة ولاجهاض مساعيه لتفادي الحرب. ولذا نرى ايضا ان البؤرة الأصلية التي انطلقت منها بذرة الاشاعة لا تقع في حلقة حكام الخليج وانما في واشنطن بالذات . هذا ولو كانت للملك حسين اية طموحات توسعية لتغيرت كل اوجه تصرفاته قبل الغزو ، ولكان وزع قواته المسلحة بشكل فيه تخطيط للوصول الى هدفه . فالعراق الذي خطط لغزو الكويت استنفر مائة الف جندي مع كافة اسلحتهم الثقيلة والخفيفة وحضر تجهيزات الرفد والتموين في ملاصقة الحدود التي اراد اختراقها . كل ذلك احتياطا من ان تواجهه مقاومة محتملة من ٢٥ الف جندي كويتي . فأين مثل هذا التحضير الأردني لغزو السعودية؟ وهل كانت القوات السعودية لتغط في نوم عميق لو اقتربت قوات اردنية مشبوهة الحجم والأهداف نحو الحدود ؟ ترى هل تتناسب تحركات الملك حسين قبل الغزو وبعده مع كون هذه الشائعات صحيحة ؟ وهل يبدو تطور العلاقات بين الأردن والمملكة بعد انتهاء الحرب ليؤيد الشائعة ؟

يتعرض ابراهيم نافع أيضاً لهذه الشائعة عن تآمر دول عربية مع العراق فيقول: " وفيما بعد اتضح ان بعض الدول العربية لم تفاجأ بالغزو ، وأنه كان لديها مؤشرات واضحة ، إن لم يكن معلومات ، حول النوايا العراقية لغزو الكويت. بل إن هناك ما يشير الى أن نوعاً من التنسيق قد جرى بين أطراف عربية مختلفة ، وبين العراق لقلب المعادلات التقليدية في المنطقة. إلا أن المعلومات المتواترة ترجح أنه كانت هناك شبهة تواطؤ بين بعض الجهات العربية والعراق. وفي مكان آخر من الكتاب يتحدث الاستاذ نافع عن لقاء تم في بغداد في ١٩٩٠/١٢/٤ حضره الملك حسين والرئيس ياسر عرفات ونائب الرئيس اليمني علي سالم البيض والرئيس صدام حسين بهدف ايجاد صيغة مناسبة للإنسحاب من الكويت بعد اتضاح خطورة الموقف. وينسب نافع الى الملك حسين كلاماً يحث العراق على الثبات على موقفه بدلاً من إقناعه بالإنسحاب، وينسب الى عرفات أنه تحدث " بتعبيرات عائمة وغير محددة في اتجاه معين ". وينسب الى علي سالم البيض مصارحته للرئيس صدام بضرورة الإنسحاب. ولما انتهت الجلسة خرج الحسين وعرفات وطلب صدام من علي سالم البيض البقاء ليتحدث معه عن شؤون اليمن. ولما بقيا على انفراد طرح الرئيس صدام على نائب الرئيس اليمني السؤال التالي: عمك مش حاطك في الصورة واللا ايه بالضبط ؟ قال له علي سالم البيض :

خيراً. قال صدام : ألم يقل لك المعركة دي تمت إزاي والحرب كلها ، وفي أي إطار دارت ؟ قال له علي سالم : والله أنا متابع المراسلات اللي بينكم. قال له صدام: لا سيبك من المراسلات وسيبك من الاتصالات ، قبل قيامنا بدخول الكويت ألم يقل لك على الإتصالات التي تمت والإتفاق بيننا.. إتفاق حصل..قال علي سالم: والله ما عندي فكرة.

قال صدام: لا لازم تعرف علشان تبقى فاهم أن الذي حدث تم تنفيذا لاتفاق تم منذ مدة بيني وبين الملك حسين وياسر عرفات وعلي عبد الله صالح. هناك اتفاق محدد ، وإن العملية ليست مقصورة على الكويت وإنما كانت ستتطور وتشمل الجانب الشرقي من السعودية، وسنعيد تشكيل الوضع في منطقة الخليج، ومن ثم سنعيد تشكيل الوضع العربي والوطن العربي كله."[7]

نحن لا نستطيع تحديد نوعية القارىء الذي كتب الاستاذ نافع هذه النصوص غير الموثقة من أجله ، ونربأ به أن يتعامل مع التاريخ بهذا الأسلوب. فلو كان الحسين وعرفات لم يرغبا بحثّ الرئيس العراقي على الإنسحاب فلماذا تجشما عناء السفر الى بغداد؟ ومن هو المرجع الذي طالبهما بذلك أصلاً ؟ وإن كان كلا الرجلين متواطىء مع العراق فلماذا أخرجهم الرئيس صدام لدى حديثه مع علي سالم البيض ؟ وهل من المعقول أن يبقى علي سالم البيض جاهلاً لمثل هذا الطواطؤ الذي تم بين رئيس اليمن والعراق والأردن وفلسطين منذ ما قبل الغزو حتى انصرام خمسة شهور كاملة من الزمن ؟ وهل يمكن لمؤامرة بحجم غزو شرقي السعودية وإعادة تشكيل الوضع العربي بأسره أن تبقى سراً لا يطلع عليه نائب رئيس جمهورية اليمن "المتواطئة " مع العراق ؟ ألم يقر الاستاذ نافع في عدة أماكن من كتابه بأن كل الدول العربية بما فيها التي لم توافق على قرار القمة العربية شجبت الغزو العراقي للكويت وطالبته بالإنسحاب ؟ وهل اطلع الأستاذ نافع على مراسلات الحسين مع الرئيس صدام التي تستصرخه انقاذ العراق وشعبه؟ وهل يوجد في ضبابية الاتهامات التي يوجهها يمينا ويساراً اي قدر من العلمية والموضوعية ؟[8]

فشل الملك حسين في الوصول الى الرئيس صدام حسين على الهاتف تماما كما فشل الملك فهد. وسبب الفشل لايعود في رأينا الى انشغال الرئيس صدام بمتابعة وقيادة عمليات الاجتياح إنما لأنه لم يشأ سماع أصوات النداء والمناشدة المتوقعة من القادة والزعماء العرب،

---

[7] - ابراهيم نافع " الفتنة الكبرى " صفحة ٩ -١٠ وصفحة ١٢٧

[8] - ابراهيم نافع صفحة ٩ - ١٠ . لا تقتصر الأخطاء التي يرتكبها نافع على ما ذكرناه وإنما وجدنا نقاطاً شديدة الحساسية سوف نتعرض لها في المكان المناسب.

وبعضهم يعز عليه أن يصدمه، الا بعد أن يكتمل احتلال الكويت. وتم الاتصال الهاتفي الأول بعد ظهر ١٩٩٠/٨/٢ بينهما.

يقول سالنجر :" في التاسعة والربع تحدث الملك حسين مع الرئيس صدام وأعرب عن اصابته بصدمة لما فعل العراق. ولم يكن الزعيم العراقي منفعلا أو متشددا بل شرح للملك أنه في وجه المؤامرة المتصاعدة ضده لم يملك خيارا آخر" [٩] وطلب الملك حسين لقاءه فوافق على الفور.

ولو نظرنا الى الكتاب الابيض الصادر عن عمان لوجدنا تفاصيل أكثر وأدق عن هذا الحديث. فالملك حسين يقول أن الجواب الذي سمعه من الرئيس صدام حمل طابع الايجابية حيث يُشعر" بأن الجيش العراقي، واستجابةً لطلبٍ متزنٍ من الدول العربية وليس تحت التهديد أو الاستفزاز أو الادانة، سيكون مستعدا للانسحاب من الكويت وأن الانسحاب سيبدأ خلال ايام وينتهي خلال اسابيع" [١٠]

نود هنا الاستطراد قليلا معربين عن قناعتنا بأن كل المخابرات الهاتفية التي نتحدث عنها، بل كل الاحاديث التي تتناقلها شبكات الهواتف العربية، وغير العربية، تسجل من قبل أجهزة المخابرات الأميركية التي تدرس مضمونها وتقيمه وتحفظه ثم تمرر منها الى اصحاب العلاقة من القادة العرب ما يوافق المصالح الأميركية وتحجب عنهم ما لا يوافقها . بل إنها تستطيع التلاعب بالنصوص بحيث تؤلب واحدا على الآخر. فالقيادات العربية، وغير العربية مكشوفة ومفتوحة السرائر وستبقى كذلك الى أن تصنع هي شبكاتها. ولكن هل هذا في حيز الممكن والمعقول؟.

بعد دقائق من المكالمة مع الرئيس صدام اتصل الملك حسين مع الرئيس مبارك الذي اقترح عليه عقد قمة عربية مصغرة صبيحة ٨/٤. وتقدم الملك من الرئيس المصري برجاء في أن يتفادى أية تصريحات عدائية أو تدين العراق لأن مثل هذا التصريح سينسف لقاء القمة

---

[٩] – سالنجر ص ١٢٣. نود الاشارة الى نقطة هامة حول تحديد الاوقات. سالنجر يقول أن الاتصال الهاتفي تم في التاسعة والربع بينما يقول الملك حسين: بعد الظهر. ويقول هيكل: الثانية وعشر دقائق بعد الظهر. ولايوجد في الحقيقة تناقض في الاقوال الثلاثة لأن سالنجر ينطلق من توقيت واشنطن مما يدل على أنه يغرف معلوماته من ذات المعين الخصب الذي يغرف منها أصحاب القرار الاميركي.

[١٠] – الكتاب الابيض صفحة ٥

المقترح. فاستحسن الرئيس مبارك الفكرة وأجاب " أنا أدعم موقفك" [11]. ويقول الكتاب الابيض عن ذات الموضوع بأن الملك حسين اتفق مع الرئيس مبارك على الانطلاق فورا للقائه في الاسكندرية. وهناك "تمنى" الرئيس مبارك على الملك أن يزور بغداد بأسرع ما يمكن، وحصل اتصال بالملك فهد فأيد هذا " التمني". واتفق الملك والرئيس على التأثير على وزراء الخارجية العرب لكي تؤجل الجامعة العربية اصدار قرار يتعلق بالغزو الى مابعد نجاح أو فشل مهمة الملك حسين في بغداد. واتفق القائدان ايضا على أن يستوضح الملك حسين موقف العراق من اقتراحين:" الالتزام بالانسحاب السريع وموافقة القيادة العراقية على حضور مؤتمر قمة مصغر في جدة لبحث وتسوية جميع أوجه النزاع العراقي الكويتي. ويؤكد الكتاب الابيض على أن هذه الخطوات والآراء تم تنسيقها مع الملك فهد . ويقول الملك حسين أنه فهم من الملك فهد انه تحدث هاتفياً مع الرئيس صدام حسين الذي وعد بارسال رسول موثوق الى جدة ليحكي له كل شيء شخصيا لعدم امكان معالجة كل الامور على الهاتف . [12]

وفي الواقع كان الاتصال الهاتفي بين الملك فهد والرئيس صدام قد حصل وتم الاتفاق على ان يرسل الرئيس صدام موفدا عنه ليشرح له شخصيا الدوافع والأسباب لأن الحديث الهاتفي لا يكفي. وطار عزة ابراهيم لمقابلة الملك في اليوم التالي في جدة ، فإذا به يحاول اقناع الملك فهد بشرعية ما فعل العراق على اساس ان كل ما حصل لا يعدو استعادة الكل لجزء فُصل عنه من قبل الاستعمار .وحاول ابراهيم اقناع الملك بأن العراق لا يفكر مطلقا بالتحرش بالمملكة . ولكن كيف يمكن للملك ان يطمئن لمثل هذا التعهد بعد ان شاهد كيف غزا العراق الكويت بالرغم من اعترافه بها كدولة وتبادل معها السفراء واستقبل اميرها كرئيس دولة وعقد معها اتفاقيات دولية؟

ونحن نميل الى الاعتقاد بأن ما تحدث به عزة ابراهيم مع الملك فهد لا يمكن ان يكون قد اقتصر على ما ورد لدينا وفي المراجع الأخرى . فلو كانت الغاية من ارساله شخصياً ليشرح للملك فهد " شرعية الغزو " لما احتاج الأمر ارساله ولذلك نعتقد ان عزة ابراهيم نقل الى الملك فهد اقتراحا حول اقتسام الخليج ، ولكن الملك فهد رفض الانخراط في هذه اللعبة الخطرة .

---

[11] - سالنجر ص ١٢٤

[12] - هيكل ص ٣٨٣

يبدو ان توقيت ارسال عزة ابراهيم الى الملك فهد تم خلال فترة النشوة التي تملكت العراق من انجاز احتلال الكويت بسرعة وقبل ادراك أبعاد الخطر الحقيقي الذي بدأ يلوح في افق الخليج . ولكنه لو ابدى ليونة تفاوضية واستفاد من مقدرة السعودية على الضغط على الكويت لمنح العراق الجزيرتين او اكثر او اقل لنجا من المأزق الخطير. ولكنه اراد المغامرة بالكل وخسر الكل . ونشير لدى بحث فكرة تنازل الكويت عن الجزيرتين الى تصريح وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز في تاريخ لاحق حين قال في ١٩٩٠/١٠/٢١ " اذا كانت للعراق الشقيق حقوق فكلنا نرى ان اي عربي له حق تجاه اخيه العربي يجب ان يأخذه ، ولكن ليس عن طريق استخدام القوة ، فهذا غير مطلوب . " واشار الأمير سلطان " الى ان بلاده من دعاة اعطاء الحقوق لأصحابها ومن دعاة الأمن العربي بما فيه التنازلات الأخوية من العربي للعربي سواءً كان حقا ثابتا او مشبوهاً.. ولا يوجد اساءة الى اي دولة عربية تعطي شقيقتها العربية ارضا او مالاً او مدخلاً على البحر ." هذا وسوف نعود الى التطرق الى عرض الأمير سلطان الرائع حين نعالج الآراء الناقدة في نهاية الكتاب.

ونحن إذ نحرص على ذكر استمرار خيط الاتصالات بين الملكين فهد وحسين نحاول تثبيت اللحظة التي دب خلالها الخلاف بينهما مما أدى الى استنكاف الرياض عن استقبال الحسين ، وتبع ذلك وقف تزويد الاردن بالبترول.

خلال لقاء الاسكندرية اتفق الملك حسين والرئيس مبارك على الاتصال بالرئيس صدام تمهيدا للزيارة التي سيقوم بها الملك حسين الى بغداد. وحصل الاتصال الذي نأخذ من هيكل مضمونه لأنه سمع ذلك مباشرة من الملك حسين ومن الرئيس مبارك. وبعد الاقتباس من هيكل سوف ندرج اقتباسات أخرى لها اهميتها لنبني عليها جميعا بعد ذلك استنتاجنا الذي يُحمّل الرئيس مبارك كمّاً غير قليل من مسؤولية خروج الأزمة من الاطار العربي الى الاطار الدولي حيث للولايات المتحدة الأثر الخطير. يقول هيكل:

" ثم خطر للملك "حسين" أن يسأل الرئيس "مبارك" : " ألم يتصل بصدام حسين، أو يتصل به صدام؟"

وقال الرئيس "مبارك" إنه لم يتصل بأحد، ولايريد أن يتصل بأحد في بغداد " لانهم سوف يكذبون علينا مرة أخرى". ثم أضاف " إنه لايعرف ماذا يقول للناس في العالم. فهؤلاء الناس إما أن يتصوروا أنه (أي الرئيس "مبارك") خدعهم لحساب "صدام حسين"، أو أنه هو نفسه كان ضحية خداع (من "صدام حسين") وإن كلا الأمرين سيء."

وقال الملك "حسين" إنه في اتصاله مع الرئيس "صدام حسين" ومع احساسه بأن الرئيس العراقي لايريد أن يشرح شيئا في التلفون – اقترح عليه أن يتوجه بنفسه الى بغداد ليتحدث اليه ويسمع منه. وهو ينوي أن يذهب الى هناك خلال ساعات.

ثم قال الملك إنه يقترح أن يطلب الاثنان معا الرئيس "صدام حسين" في بغداد حتى اذا ذهب الملك الى العاصمة العراقية كانت مهمته ميسرة، لأنه في هذه الحالة يستطيع أن يعبر عن وجهة نظر الرئيس "مبارك" وعن وجهة نظره الشخصية.

وكان الرئيس "مبارك" قد بلور فكرته اجتماع قمة مصغر في جدة ، وقام بشرحها للملك حسين الذي ابدى حماسة لها . والى هذا الحد تتفق الروايات عن اجتماع رأس التين بعد ظهر يوم الخميس ٢أغسطس ١٩٩٠.

فالرئيس "مبارك" يقول :" انه اقترح عقد مؤتمر قمة عربي مصغر في جدة في غضون أيام قليلة ، وذلك لعمل سيناريو يخرج العراق من المأزق الذي وقع فيه مع حفظ ماء وجهه على اساس نقطتين يصرح بهما الرئيس "صدام حسين" للرئيس "مبارك" دون اعلان، وهما : انسحاب العراق من الكويت، وعودة الشرعية ".

ويقول الملك" حسين" :" إن الرئيس "مبارك" اقترح بالفعل عقد مؤتمر قمة مصغر في جدة، ولكنه لم يضع شروطا مسبقة لعقد الاجتماع، وإن كان قد اشار بالفعل الى ضرورة انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية.

كان المهم أن يوافق "صدام حسين" على فكرة الاجتماع ، فاذا توصلنا الى حضور أمير الكويت ومشاركته في القمة المصغرة– إذن فهذا نصف الطريق الى الحل."

ويضيف الملك "حسين" : " لم أكن ذاهبا الى بغداد كمجرد رسول. واذا كانت المسألة رسائل، فغيري يمكن أن يحملها.

وأما عن أنه كانت هناك شروط، فانا لم افهم ذلك، وانما فهمت أن هذه اهداف تتحقق بالقمة ومن خلالها. واذا كان "صدام حسين" سوف يقبل هذه الشروط فما هو الداعي اذن للقمة اصلا؟"

ثم تتفق الرويات بعد ذلك، وتختلف ايضا:

يقول الرئيس "مبارك" :" أثناء الاجتماع مع الملك حسين تم الاتصال بالرئيس صدام حسين في بغداد، وكانت الساعة السادسة والنصف مساء، وقلت له أنني اتفقت مع الملك حسين على عقد قمة مصغرة على اساس نقطتين يشرحهما لك الملك عند زيارته لبغداد."

ويقول الملك "حسين" إنه تابع حديث الرئيس "مبارك" مع الرئيس "صدام" ولم يفهم أن هاتين النقطتين أساس أو شرط لانعقاد القمة المصغرة.

ثم تتفق الروايات بعد ذلك على [١٣] أن الرئيس مبارك بعد حديثه مع الملك قال له إنه سيصدر بيانا هادئا يعبر فيه عن موقف مصر، ويطالب بانسحاب العراق من الكويت، وعودة الشرعية اليها، وأن الملك أبدى انزعاجه من ذلك وطلب تأجيل البيان حتى لايكون السبب في نسف جهوده في بغداد، ثم طلب تأخير صدور أي بيان مماثل من الجامعة العربية التي كان وزراء خارجيتها مجتمعون في القاهرة في نفس اليوم. فقام الرئيس "مبارك " بإجراء الاتصالات مع عدد من وزراء الخارجية العرب الموجودين في اجتماعهم بالقاهرة، وطلب منهم الرئيس في حضور الملك تأجيل بيانهم حتى الساعة السادسة من مساء ٣ أغسطس، حتى تتاح للملك "حسين" فرصة كافية."

ويصف الكتاب الابيض الصادر عن عمان رسميا ما حصل حول هذه النقطة كما يلي:

" كذلك تم الاتفاق بين جلالة الحسين وسيادة الرئيس مبارك " بأن تؤجل الجامعة العربية اصدار قرار يتعلق بالغزو" الى ما بعد نجاح أو فشل مهمة جلالة الملك الحسين في بغداد. واتفق جلالة الملك الحسين وسيادة الرئيس مبارك على أن يستوضح جلالة الملك الحسين موقف القيادة العراقية من اقتراحين: الأول : التزام عراقي بالانسحاب من الكويت بالسرعة الممكنة، والثاني موافقة العراق علىحضور مؤتمر قمة مصغر في جدة، لبحث وتسوية جميع أوجه النزاع العراقي الكويتي. وقد ايد سيادة الرئيس حسني مبارك الاقتراحين بحماس واضح، وأمر بوضع طائرة الرئيس الخاصة من طراز (C٤) تحت تصرف وزير الخارجية الاردني، لنقله الى القاهرة، للتداول مع وزير الخارجية المصري، خلال اجتماع وزراء خارجية الدول العربية، الذين سارعوا الى عقد جلسة في القاهرة، بهدف تهدئة وزراء خارجية دول الخليج، الذين يلحون على الجامعة العربية بالاسراع في ادانة العراق." [١٤]

اذن فالنص الرسمي الاردني والنص الرسمي المصري يشيران بوضوح لايقبل الشك الى أن الفريقين وافقا واتفقا وعملا معا لكيلا يصدر قرار ادانة العراق قبل عودة الملك حسين

---

[١٣] – مذكرة اعدتها رئاسة الجمهورية في مصر تحت عنوان " بيان بالاتصالات التي تمت بين السيد الرئيس مبارك والرئيس صدام الحسين في الفترة التي أعقبت الغزو العراقي للكويت يوم ٢ أغسطس ١٩٩٠.

[١٤] – الكتاب الابيض صفحة ٥-٦

يوم ٨/٣ من بغداد . وتؤكد مذكرة رئاسة الجمهورية المصرية على أن الرئيس مبارك بنفسه كان "الفاعل " الذي عمل على اجراء الاتصالات مع وزراء الخارجية العرب لتأجيل بيانهم حتى السادسة من مساء ٣ آب / أغسطس. ولكن ما حدث فيما بعد هو شيء آخر.

زيارة عرفات الاولى الى بغداد بعد الغزو

عرف الرئيس ياسر عرفات بالغزو العراقي من خلال مخابرة هاتفية جاءته من الكويت الى تونس قبل أن يقطع العراقيون الاتصالات المباشرة لتعزل الكويت عن العالم، فقرر التحرك كعادته في مثل هذه الملمات وانطلق الى المحطة الاولى من رحلته في طرابلس وقابل الرئيس معمر القذافي الذي ادرك هو الاخر فداحة الخطب وضرورة التوصل الى حل سلمي واقترح مشروعا يحتوي الخلاف ويتفادى التصعيد ومفاده أن ينسحب العراق الى الحدود المتنازع عليها بحيث يعود الى الكويت أحد أفراد الاسرة الحاكمة غير الامير جابر الأحمد وبحيث يقرر الشعب الكويتي بعدئذ من يفضل لأن يتولى الحكم.[١٥]

ومن ليبيا انطلق الرئيس عرفات الى القاهرة حيث قابل الرئيس مبارك في وقت كان قد غير موقفه اذ قال للرئيس عرفات بأنه يجب على العراق الانسحاب بسرعة من الكويت. وشرح الرئيس مبارك للرئيس عرفات ما تحدثه مع الملك حسين من وجهة نظره والذي نتج عنه في المحصلة الغاء اجتماع القمة المصغر في جدة. ولما طلب منه الرئيس عرفات زيارة المملكة العربية السعودية ثم بغداد أجاب الرئيس مبارك: اذهب انت أولا وتحقق من استعداد الرئيس صدام للانسحاب وبعد ذلك اسافر أنا ايضا.[١٦]

وصل الرئيس عرفات ومعه السيد صلاح خلف (أبو اياد) الى بغداد يوم الاحد الخامس من آب /أغسطس وتحدث مطولا مع الرئيس صدام ولمس لديه ألمه مما سماه "عملا تخريبيا" ادى الى الغاء القمة المصغرة التي كان يعلق عليها آمالا كثيرة. ولاحظ خيبة أمله من ردود الفعل العربية الرسمية التي بدت لتؤيد المطامح الأميركية وعائلة الصباح أكثر مما تعير المطالب العراقية اذنا صاغية. ولكن الرئيس عرفات يؤكد أن الرئيس صدام لم يبد منهارا مائلا للاستسلام إنما بدا واثقا من نفسه ومن المواقف التي سيتخذها . ويبين الرئيس عرفات مؤكدا للرواية التي قالها الملك حسين، أن الرئيس صدام ابدى استعداده للحوار مع المملكة العربية السعودية مؤكدا عدم وجود اي عزم على ازعاج المملكة ومنوها عن استعداده

---

[١٥] – سالنجر صفحة ١٣٧

[١٦] – سالنجر ١٥٦

للحوار من أجل الحل السياسي والانسحاب. ولما عاد الرئيس عرفات الى القاهرة وشرح للرئيس مبارك موقف الرئيس صدام الذي يرحب بالانسحاب ويؤكد استعداده للانسحاب بعد المفاوضات وجد أن موقف الرئيس مبارك أضحى أكثر عنفا تجاه العراق نتيجة لتأثره بالحملة الأميركية الثائرة على بغداد من جهة وعلى القادة العرب الذين يتباطؤون في اعلان تنديدهم بالغزو وبالصورة التي تلائم مصلحة واشنطن . ولم يعد الرئيس عرفات يلمس لدى الرئيس مبارك أية فسحة حقيقية تمكن من الوصول الى حل عربي لأنه بدا وقد أخذ موقفا ثابتا ومرسوما لم يعد يستطيع أن يحيد عنه. وقرر الرئيس عرفات التوجه الى المملكة العربية السعودية أملا باحراز نجاح هناك يجنب المنطقة الاخطار ويحميها من الإعصار المرتقب. ولما وصل الرئيس عرفات ومعه أبو اياد الى جدة فوجئا من نشاطات غريبة في البلاط الملكي جعلته كخلية النحل. ثم عرفا بأن وزير الدفاع الأميركي تشيني كان قد وصل قبل يوم واحد مع فريق من القيادة الأميركية لإقناع الملك السعودي بضرورة السماح بانتشار القوات الأميركية . واعتذر الملك فهد عن استقبالهما في ذلك الظرف ولكنه وضع تحت تصرفهما طائرة خاصة نقلتهما الى فيينا للمشاركة في تشييع المستشار النمساوي الراحل برونو كرايسكي الذي كانت له اياد بيضاء على القضية الفلسطينية ولمساعيه الحميدة في ادخال الرئيس الفلسطيني عرفات الى الصالونات في اعلى المستويات السياسية في اوربا. وفي صباح ١٩٩٠/٨/٨، أي بعد موافقة الملك فهد على انزال القوات الأميركية وبدء هبوط بشائرها استقبل الملك فهد ومعه الأمير عبد الله ولي العهد الرئيس عرفات وابي اياد . يصف سالنجر هذا اللقاء فيقول:[١٧]

" صباح الثامن من الشهر، استقبل الملك فهد عرفات وابا أياد العائدين مساء من فيينا. وقد حضر اللقاء ولي العهد الأمير عبد الله. وفي تلك الاثناء كانت طلائع القوات الأميركية قد بدأت تطأ ارض السعودية.

لقد أصبح عرفات منذ سنوات خبيرا في فن معايشة الموت. وعندما استعاد رسميا ومن جديد دور الوسيط الذي تركه الملك حسين الذي أصيب بالاحباط، فكر أن نجاحا في هذه المسألة سيسمح له باستعادة أمجاد منظمة التحرير الفلسطينية ، ليس لدى رؤساء الدول العربية فحسب بل في الغرب أيضا. امتنع عرفات عن ادانة اجتياح الكويت، غير أن هذه الضربة التي يعتبرها ورقة امتياز لكونها تسمح له بالمحافظة على علاقات حميمة مع صدام حسين، تضعف في المقابل قدرته على المبادرة....

---

[١٧] - سالنجر صفحة ١٩٢-١٩٣

العاهل السعودي. المتزن عادة، فاجأ ضيفيه بعنف تهجمه على آل الصباح، العائلة الحاكمة سابقا في الكويت واللاجئة الآن على الارض السعودية.

– لدى انتقادات عديدة تجاههم، قال فهد «بغضب. لم يدفعوا ديونهم. وهم الى حد بعيد مسؤولون أساسا عن الازمة.

ناقش العاهل السعودي مع القياديين الفلسطينيين خطة انسحاب من الكويت، يمكن أن تقدم الى صدام حسين، وفيها قبول بانسحاب العراق من المنطقة الحدودية حيث حقول النفط والبقاء في الجزيرتين اللتين يشرف منهما على الخليج.

– هل أن جلالتكم مستعدون للقاء الرئيس العراقي ؟

شاور فهد بنظرته، ولي العهد عبد الله وأجاب:

– نعم إذا رضخ للشروط.

وقد قبل ايضا أن يدفع مالا للعراق . وطوال المحادثة كان يتكلم عن صدام حسين "باسلوب سليم جدا".

وعندما سيجري التطرق لموضوع تمويل منظمة التحرير، ستأخذ المناقشة طابعا متوترا لم يرق للفلسطينيين . وعبد الله الذي يميل الى الحسم أكثر بكثير من فهد أنّب الرجلين:" انتم الفلسطينيون أنكرتم ما أنعم الكويتيون عليكم ولم تبادلوهم ثقتهم وعونهم بأي شيء". وتصاعدت حدة الكلام شيئا فشيئا حتى أمر الملك فهد الجميع بالصمت."

في ذات اليوم تابع الرئيس عرفات ومعه ابو اياد وهاني الحسن رحلتهم الى بغداد وقابلوا الرئيس العراقي في صباح ٩٠/٨/٩ ونقلوا اليه والى أسماع نخبة من قادة العراق الذين حضروا الاجتماع الموقفين المصري والسعودي. استمر الاجتماع ساعات ثلاثة في اجواء لم تعد مشجعة بعد فشل عقد مؤتمر القمة المصغر وبسبب دخول عاملين جديدين في القضية : فالقوات الأميركية بدأت تهبط وتنتشر في السعودية، والرئيس صدام حسين اعلن ضم الكويت الى العراق بصفتها المحافظة التاسعة عشرة التي عادت الى الوطن الام.

حاول الجانب الفلسطيني اقناع الرئيس صدام بالحضور شخصيا الى مؤتمر القمة المزمع عقده في القاهرة فرفض ذلك طالما أن الشيخ جابر الأحمد سوف يحضر وأردف بأن زمن آل الصباح وزمن الملكيات قد ولى. عندئذ اقترح الرئيس عرفات أن يحاول هو الانطلاق الى القاهرة واقناع رؤساء الدول الخمسة المعنيين بالازمة بالذهاب الى بغداد للتفاوض مع الرئيس العراقي على أن تتوقف نشاطات باقي الرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة الىأن يعود الخمسة من بغداد. فوافق الرئيس صدام. ولكن الرئيس عرفات فشل في

اقناع الرؤساء الخمسة. ولأهمية اللقاء الفلسطيني العراقي الذي ذكرناه نورد ما جاء لدى البزاز عنه اذ كتب:[18]

" انتقل الرئيس الفلسطيني صبيحة ٩٠/٨/٩ الى مكان خارج بغداد ليجد في انتظاره الرئيس صدام حسين وبعض مساعديه، كان المكان بسيطا، اشبه باستراحة مؤقتة.

استمع الرئيس العراقي الى عرض للموقفين المصري والسعودي اشترك في تقديمه الرئيس عرفات ومساعداه صلاح خلف (ابو اياد) وهاني الحسن.

قال الرئيس الفلسطيني:

- انني اقترح أن يعقد اجتماع بينكم وبين الملك فهد، خاصة انني حين عرضت المقترح في الرياض لم أجد رفضا له.. لابل انني جئت الى بغداد بموافقة مصر والسعودية.

فعلق الرئيس صدام حسين:

- ليس هناك مشكلة بيننا وبين السعودية، وقد بنينا في السنوات الماضية علاقات جيدة مع الملك فهد، وتوصلنا الى اتفاقية أمن مشترك، واننا نؤكد كل يوم حسن نيّاتنا تجاه السعودية، ولو سمحت لنا الظروف الان لذهبت أزور الملك بنفسي، لكنني مع ذلك أجد أن بامكاننا أن نجتمع في منطقة (عرعر) على الحدود.

عبّر الرئيس عرفات عن تقديره لموقف الرئيس صدام حسين، وعرض فكرة عقد اجتماع عربي مصغر يؤمن بقاء الحل بأيدي العرب.

قال الرئيس صدام حسين:

- اننا نشجعك، وموقفنا واضح لك، فنحن مع الحل العربي، ولايوجد أي شيء مبيّت ضد السعودية، ولدينا الاستعداد لاظهار حسن النوايا.

وغادر الفريق الفلسطيني مكان الاجتماع، ليباشر على الفورالاتصال مع سفير فلسطين في الرياض وإبلاغه أن الرئيس عرفات يريد العودة الى الرياض حاملا معه الجواب العراقي، بكل ما ينطوي عليه من ايجابية.

مكث الرئيس عرفات بضع ساعات ينتظر اشارة من الرياض تبلغه باستعداد الملك فهد لاستقباله، لكنه فوجئ بمن يتصل به من السعودية ليبلغه أن الملك السعودي قد توجّه الى القاهرة.. واذا كان يريد أن يراه فعليه أن يلتحق به هناك.

---

[18] - بزاز صفحة ١٠٦

كان الفلسطينيون يفضلون أن يحصل لقاؤهم في الرياض وليس في القاهرة، اذ أن اجواء القمة والحضور الكثيف للرؤساء والملوك يضيع فرصة اللقاء المنفرد كما لو حصل في السعودية.

وفعلا وجد الرئيس الفلسطيني أن الملك فهد قد تراجع عن فكرة الاجتماع مع الرئيس صدام حسين، وان كل اهتمامه كان منصبا في القاهرة على خلق مناخ ادانة ضد العراق وتوفير غطاء عربي لوجود القوات الأميركية في السعودية." [١٩]

هذا ولم نجد تناقضا في مضمون ما جرى في هذا اللقاء بين ما كتبه البزاز وهيكل وسالنجر. ولا نستبعد ان عزوف الملك فهد عن استقبال الوفد الفلسطيني كان ثمرة لجهود واشنطن في احباط كل محاولة لاحتواء الازمة. فبموافقة السعودية على الرغبة الأميركية بدأ الانجراف مع التيار الذي خططت له الولايات المتحدة وصار التراجع أكثر صعوبة بمرور كل ساعة بل كل دقيقة على الاحداث خاصة بعد نشر اجهزة الاعلام للانزال العسكري واذاعته صوتا وصورة اخذت طابع العنف والتحدي . واصبح للوضع رهبة تحدد السير في طريق الاتجاه الواحد. ونضيف الى ذلك الجو المتلبد تحليلا لابد من أن ذوي المصلحة أوصلوه الى الملك فهد. وهذا التحليل ليس ببعيد عن المنطق ومؤداه كما يلي: لنفرض جدلا أن الرئيس صدام صادق في انه لا يكن للسعودية العداء وأنه لن يخترق حدودها. فهل سيبقى العراق ملتزما بذات الموقف الى الابد؟. ألا يهدف العراق الى تمرير "ابتلاع" الكويت على الدول العربية والحصول على تقبل المجتمع الدولي لهذا الامر الواقع ، ولما تستتب له الامور يفكر في انجاز خطوة "توحيدية" جديدة؟. وانطلاقا من هذه الاراء لانستبعد أن الملك فهد صار يفضل اضعاف العراق عسكريا لتفادي طموحات "صدامية" قد تأتي في المستقبل ، وقرر على مضض، ومع شعور بالتوجس من المجهول المخيف، متابعة المخطط الذي يضمن سد الطريق على طموحات الرئيس صدام حسين في المستقبل.

اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة

في الساعة العاشرة من صباح الغزو العراقي في ٨/٢ كان قد تواجد وزراء خارجية الدول العربية في قصر المؤتمرات حيث شاركوا في المؤتمر الاسلامي المنعقد في القاهرة. وبناء على طلب الوفدين الكويتي والسوري أمكن تأجيل جلسة المؤتمر الاسلامي لخطورة

[١٩]_ سالنجر صفحة ١٧٠ - ١٨٤. لدى هيكل على الصفحات ٤٤١ - ٤٤٦

الاحداث في الخليج. واجتمع الوزراء العرب في فندق سميراميس حيث افتتحت جلسة خاصة لمجلس جامعة الدول العربية في الساعة الثانية والربع [20] . كانت العواطف الجياشة لدى وزراء الدول العربية الخليجية ، ماعدا العراق بالطبع ، تطالب الوزراء العرب المجتمعين باصدار ادانة صريحة للعراق حسب ميثاق جامعة الدول العربية بينما كان الوزيران الأردني والمصري يهدئان معاً الموقف مراعاة لاتفاق الملك حسين مع الرئيس حسني مبارك.

بالاضافة الى الاختلاف حول التوقيت بين هيكل وسالنجر الذي ذكرناه في الحاشية نجد اختلافا آخر حول مضمون المناقشات التي دارت في الجلسة. ينقل هيكل المضمون كما يلي:

– إن احتمالات التدخل الخارجي من جانب الولايات المتحدة ومن غيرها قائمة والاخبار الواردة من واشنطن صريحة في أن هناك استعدادات عسكرية واجراءات عقوبات اقتصادية، وأحوال طوارئ– وهذه هي البداية، ولااحد يستطيع أن يتنبأ بالنهاية.

– إن العرب لابد أن يخرجوا بقرارت تفرض على العراق أن ينسحب من الكويت قبل أن يتعقد الموقف.

– إن الازمة أكبر من وزراء الخارجية، ولابد فيها من توجيهات من الملوك والرؤساء العرب قبل أن يستطيع وزراء الخارجية أن يخلصوا الى توصيات يقدمونها لرؤسائهم. وفي كل الاحوال، فإنه في هذه اللحظات لايصح إغلاق الأبواب وإنما تركها مفتوحة.

– وهكذا فإن اجتماع الجلسة الصباحية لوزراء خارجية الدول العربية راح يدور حول نفسه دون أن يجد مخرجا." [21]

في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر ٨/٢ تقرر تأجيل الاجتماع الى الساعة السادسة من مساء ذات اليوم بعد أن وصلت الى سفير العراق في القاهرة ، اثناء اجتماعه مع وزراء الخارجية محادثة هاتفية من بغداد عرف منها بأن وفدا عراقيا برئاسة الدكتور سعدون حمادي سيصل الى هناك في السابعة مساء وسوف يتجه مباشرة الى فندق سميراميس حيث يعقد

---

[20] – هناك اختلاف حول ساعة بدء الاجتماع بين هيكل وسالنجر . سالنجر يقول في الصفحة ١٢٤ ان الاجتماع تم في الثانية والربع بينما يقول هيكل على الصفحة ٣٧٣ انه تحدث عن مضمون ما حدث في الاجتماع مع السيد فاروق القدومي على طعام الغداء . وهذا يعني بالضرورة ان الاجتماع تم قبل موعد الغداء . وربما يفسر ذلك ان الغداء في القاهرة لا يعني الواحدة او الثانية وانما من الجائز ان يحدث في الخامسة بعد الظهر .

[21] – هيكل صفحة ٣٧٣

الاجتماع. ولما وصل الدكتور حمادي الى منصة الخطابة كانت الساعة التاسعة والنصف. خلال ثلاثين دقيقة تحدث عن شكاوي العراق من الكويت وعرض الأدلة التي توضح ذلك. وأشار الى تآمر بعض العرب مع الولايات المتحدة الأميركية ضد العراق ثم أكد على مبدأ: "لامفاوضة بشأن الوضع في الكويت" ولم يترك مجالا لما قد يوحي بقبول حلّ وسط.

ولكن بعض المراقبين يرون ان هذا الاسلوب اغلق طريق التفاوض بينما لا نرى نحن في تلك التصريحات المتطرفة اغلاقا نهائيا للباب إنما نعتقد جازمين بأن الدكتور حمادي اراد أخذ موقف المطالبة "بالحد الاقصى" ليضمن أكبر مكاسب تفاوضية مقابل حد أدنى من التنازلات. فلو لم يكن يحمل في جعبته ما يعرف هو مسبقا بأنه سيعطيه فلا مبرر لحضوره الى القاهرة على الاطلاق . فلا عجب اذن في عدم حصول محادثات مثمرة مباشرةً بعد ابداء هذا الموقف المتصلب . وتقرر تأجيل اجتماع وزراء الخارجية الى الساعة التاسعة من صباح ٨/٣ ترقبا للاجتماع المزمع عقده بين الملك حسين والرئيس صدام لعله يأتي بجديد يُعيد الأمل في التوصل الى مخرج أو حل. ولما تأخر وصول الملك حسين الى بغداد بسبب اغلاق المجال الجوي العراقي خشية هجوم اسرائيلي مفاجيء واضطراره الى الانتقال الى قاعدة H٣ في غرب العراق حيث نقلته طائرة حربية عراقية الى بغداد راوح وزراء الخارجية في اماكنهم وصارت اعينهم مثل عيون الجموع العربية والعالمية شاخصة الى بغداد. اما اكثرية العرب فكانوا يبتهلون الى الله أن يوصل الطرفين الى حل بينما الادارة الأميركية تخشى، في رأينا، بل تعمل المستحيل وبكل قدراتها وعلاقاتها ومخابراتها وضغوطها لاجهاض أي حل. لقد كان الرئيس بوش والملك حسين في سباق مريع مع الزمن. فبينما الحسين يكافح على جبهات متعددة لاحتواء الانفجار بتسوية الازمة كان الرئيس بوش يتعطش لاذكاء نارها ويخاف كل الخوف من أن يتمكن الملك حسين من ايجاد المخرج العربي قبل أن تتردى الأمور الذي يبرر فتح باب التدخل الأميركي المطلوب. [٢٢]

---

٢٢ – يقول الوزير اليمني السابق محمد عبد الملك عبد الكريم المتوكل مايلي: " يقول المسؤولون اليمنيون المطلعون والمشاركون والمتابعون: نحن على يقين أنه لو توفرت للعرب النية الحسنة... والشجاعة الكافية لأمكن حل القضية سلما وفي الاطار العربي. ولكن – للأسف– في كل مرة تصل فيها الحلول السلمية والمحاولات الجادة الى الطريق الصحيح تتحرك الضغوط الاميركية لكي تعيق تحقيق ذلك. وهذا ما حدث بالنسبة الى المبادرات اليمنية ومبادرات الملك حسين ، ومبادرات الملك الحسن ومبادرات الشاذلي بن جديد. كانت النية مبيتة لضرب العراق وتدمير قوته. وجاء دخول العراق الى الكويت ليسهل المهمة. أما الاقطار العربية المتحالفة مع العدوان فقد سارت في المولد" (كتاب أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي ص ١٤٠)

الملك حسين في بغداد

وبعد وصول الملك الى بغداد يبدو أنه "سأل" أو "عاتب" الرئيس العراقي لعدم إعلامه بعزمه على غزو الكويت فأجابه الرئيس صدام " بأن العراق لم يشأ اعلام أحد بالعملية قبل وقوعها حتى لايحرجه. وأنه بذلك يتحمل نتائج العملية وحده" [٢٣] وهذا التبرير معقول ومقبول ونود أن نعلق عليه مضيفين بأن العراق لو كان فاتح الملك حسين أو الرئيس ياسر عرفات أو أي زعيم عربي آخر لسمع منهم كلمات لاحصر لها تتراوح بين التحذير والترجي والمناشدة مما كان سيعيد التشويش الى فكره وربما يُثبط عزمه. وفي ذات الوقت نعرب عن قناعتنا بأن اعلام الملك حسين المسبق بالغزو كان سيضع الاردن في مأزق حرج جدا يصعب الخلاص منه. فلو عرف الحسين بالغزو دون أن يُعلم الملك فهد على أقل تقدير لاعتبر متواطئا مع الرئيس صدام. ولو عرف بالأمر وأعلم الملك فهد لتحطمت مصداقيته تجاه الرئيس صدام حسين.

لاشك في أن الرئيس مبارك كان سيجد نفسه في ذات المكان الحرج مثل الملك حسين لو عرف بالغزو قبل حصوله إلا أن الاصل الهاشمي للملك حسين كان سيضعه في وضع مؤلم ومحرج بسبب الحساسية المعروفة لدى العائلة السعودية تجاه كلمة "شريف".

في معالجتنا لما دار بين القائدين في بغداد نعتمد على مراجع كثيرة . ولكننا اخترنا منها ثلاثة من مشارب متباينة وتمثل مختلف الآراء خير تمثيل وهي : الشاهد العراقي للبزاز ، ثم سالنجر وأخيرا على الكتاب الابيض من عمان. لقد رصدنا لديهم جميعا اجماعا على أن الرئيس صدام وافق على عقد مؤتمر القمة المصغرة في جدة. ووافق على مبدأ الانسحاب من الكويت إذا تم حل المشاكل معها، وهدد بعدم التزامه بوعديه إن صدرت ادانة اعلامية علنية ورسمية للعراق من خلال وزراء الخارجية العرب المجتمعين في القاهرة. ويذكر البزاز جملة حرفية عن لسان الرئيس صدام إذ يقول : " اذا صدر شيء ضد العراق فإننا سنخمش وجوه بعضنا البعض" [٢٤] واضاف الرئيس صدام : "انكم تعرفوننا: نحن مستعدون لكل شيء، بالاسلوب المعقول، وباحترام حقوقنا". وكتب سالنجر :" لقد اكدت لنا شخصيات عراقية رفيعة المستوى بأن الرئيس العراقي، خلال محادثاته مع الملك حسين، قَبِلَ

---

٢٣ - بزاز صفحة ١٠٢

٢٤ - بزاز صفحة ١٠٢

الذهاب الى جدة في ٤ آب (أغسطس) وقبل التفاوض مع الملك فهد وقد أبلغ الملك الاردني قبوله الانسحاب من الكويت إن أثمرت المفاوضات." [٢٥] ويقول هيكل بهذا الصدد: [٢٦]

وكانت رسالة الملك - كما أحس- تصل أكثر وأكثر الى الرئيس "صدام" الذي قال له:" إننا سوف نعقد اجتماعا لمجلس قيادة الثورة ونعرض عليه آراءكم".

وكان الرئيس "صدام حسين" قد وافق على فكرة القمة، وإن تحفظ بقوله " إنه قد لايتمكن من حضورها بسبب مشاغله" ، ثم أبدى ملاحظة مؤداها أنه لاداعي لحضور أمير الكويت.

وقدر الملك " حسين" أن الرئيس "صدام حسين" يريد أن يتفادى مواقف انسانية صعبة حين يكون عليه أن يقابل الملك "فهد" والشيخ "جابر" والرئيس "مبارك".

وطبقا لرواية الملك فإنه عاد بالطائرة العراقية التي ذهب بها من مطار " هـ -٣" الى بغداد، ثم استقل طائرته. بينما هوفي الطائرة وصلته إشارة من الرئيس "صدام حسين" تقول له: إن مجلس قيادة الثورة وافق على وجهة نظرك في اجتماع عقد على عجل. سوف يحضر العراق اجتماع جدة، وسوف يعلن انسحابه من الكويت، لكن هناك شرطا واحدا وهو ألا يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون في القاهرة قرارا مسيئا، أو عنيفا ضد العراق.

ويقول الملك إنه شعر أنه في سباق يائس مع الزمن، فقد خشى أن تسبقه الحوادث.وكان يعرف أن الضغوط تتزايد على المجتمعين في القاهرة. وأن اجتماع الساعة السادسة المقرر لوزراء الخارجية قد يتسرع باتخاذ قرار يفسد كل ما توصل اليه.

ويقول الملك إنه كان يحس أنه حقق نجاحا كبيرا "**Break through**"، ولذلك رأى أن يبعث برسالة من الطائرة عن طريق برج المراقبة في مطار عمان يطلب من وزير خارجيته في القاهرة أن يرجو زملاءه انتظار اتصال يجريه بالرئيس "مبارك" وبعدها سوف تصلهم تعليمات جديدة.

وما نقتبسه مما جاء في الكتاب الابيض يأخذ الصفة الرسمية لوجهة نظر الملك الحسين الذي حاول احتواء الازمة باصلاح ذات البين ولكن دون جدوى:

" في صباح اليوم التالي، ٣ آب / اغسطس ١٩٩٠، توجه جلالة الملك الحسين الى بغداد، بعد أن توقف بضع ساعات في عمان، حيث اجتمع بسيادة الرئيس صدام حسين، وحصل منه على موافقته على حل الازمة في الاطار العربي. واتفق معه على أن يحضر

---

[٢٥] - سالنجر صفحة ١٤١

[٢٦] - هيكل صفحة ٣٩٣

العراق القمة العربية المصغرة في جدة، في ٥ آب / اغسطس ١٩٩٠، والتي ستضم زعماء الاردن، مصر ، والسعودية واليمن، كما اتفق على الخطوط العريضة للحل، الذي كان جلالة الحسين قد بحثه مع سيادة الرئيس حسني مبارك، وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، والذي بموجبه سيبدأ العراق بالانسحاب المبكر جدا، والذي سيقرر مؤتمر القمة تاريخه وتوقيت البدء بتنفيذه ، أي خلال ساعات. واتفق ايضا على أن يبلغ سيادة الرئيس صدام حسين جلالة الملك الحسين، بتفاصيل الموقف العراقي، قبل أن تصل طائرة جلالة الملك الحسين الى مطار عمان، لدى عودتها من بغداد.

على أن الرئيس العراقي أكد بوضوح تصميمه على أن جواب العراق على المقترحات العربية سيكون ايجابيا في حال امتناع الجامعة العربية عن ادانة العراق، وهي الادانة التي من شأنها أن تمهد الطريق لتدخل خارجي. كما أعلنت الحكومة العراقية في نفس اليوم نيتها على البدء بسحب قواتها من الكويت اعتبارا من الساعة السابعة من بعد ظهر ٣ آب/ أغسطس ١٩٩٠". ٢٧

لقد اثار لدينا حرص العراق على عدم صدور ادانة من قبل الجامعة العربية تساؤلا معينا بعد أن برزت آراء مختلفة حول ذلك . فالبعض يصف هذا الموقف العراقي بأنه "مجرد تحجج" من أجل الاستمرار في احتلال الكويت. ولكننا لانستطيع تبني هذا الرأي إنما نرى فيه شبه معادلة رياضية ادركت ابعادها بغداد كما ادرك ابعادها من يعمل على توريط بغداد. فلو صدرت الادانة من الجامعة العربية لحصلت دول الخليج على الضوء الاخضر لاستدعاء القوات غير العربية للتدخل في المنطقة لأن انقسام دول الجامعة بين مدين وغير مدين معروف سلفا. ومن خلال انقسامهم تتفاضل قواهم وينتفي احتمال تدخلهم للتوصل الى حل مما سيبرر استدعاء مجلس الامن وتصبح الازمة بذلك دولية بعيدة عن منال الحل العربي.

يشير هيكل في وصفه للحديث بين الملك حسين والرئيس صدام الى نقطتين نحب القاء المزيد من الضوء عليهما. اولهما عن الدهشة البالغة التي ابداها الرئيس صدام من ردة الفعل الأميركية. ونحن نرى في "دهشة" الرئيس توثيقا غير مباشر لما سميناه من قبل مؤامرة أميركية اعتمدت على ايصال مختلف المؤشرات الايجابية اللينة الى الرئيس العراقي مما جعله يتوقع كل شيء ما عدا هذا الانقلاب المخيف في الموقف الأميركي الذي ادى الى تلك الدهشة. وثاني النقطتين يتعلق بقول الرئيس صدام أن الانسحاب من الكويت سيبدأ خلال بضعة اسابيع فأجابه الملك بنبرة مشحونة بالاسى: " ليست لدينا اسابيع ولا حتى ايام .. أمامنا ساعات فقط"

٢٧ - الكتاب الابيض صفحة ٦-٧

فلم يحتج الرئيس صدام على كلمة " ساعات" ولم يرفض. أي انه وضع احتمال وامكانية الانسحاب خلال ساعات في عين الاعتبار واجاب " اننا سوف نعقد اجتماعا لمجلس قيادة الثورة ونعرض عليه آراءكم".وفي الواقع اجاب الرئيس صدام الملك حسين بالايجاب خلال وقت لم يتجاوز الساعتين . وكان ما زال في الطائرة على طريق العودة .

لاشك اذن في أن الملك حسين غادر بغداد حاملا كل اسباب التفاؤل. ودعم ذلك التفاؤل اتصال الرئيس صدام به وهو محلق في الطائرة عائدا الى عمان إذ حدد له أن الانسحاب سوف يبدأ في ٨/٥ شريطة ألا يتخذ وزراء الخارجية العرب المجتمعون في القاهرة قرارا مسيئا أو عنيفا ضد العراق.ويصف البزاز الذي اجرى احاديث مباشرة مع الملك مزاج الملك حسين الايجابي فيقول على لسان الملك : " كان بيدي الجواب المطلوب من العراق ." وانطلاقا من تفاؤله حاول في الساعة الواحدة ظهرا الاتصال بالرئيس مبارك من بغداد لاعلامه وتطمينه بمواقف العراق على الأمرين اللذين طلبهما منه فقيل له في القاهرة أن الرئيس غير قريب من الهاتف . [٢٨]

انطلق الملك حسين بالطائرة عائدا من بغداد واتصل اثناء تحليقه في الجو ببرج المراقبة في مطار عمان يطلب من وزير خارجيته الموجود في القاهرة أن يرجو زملاءه المجتمعين انتظار الاتصال الذي سيجريه مع الرئيس مبارك. " وعندما وصل الملك الى مطار عمان تلقى مفاجأة يصفها بأنها " صدمة من أقسى الصدمات في حياته" ، فقد عرف أن مصر أصدرت بيانا منفردا بإدانة العراق في الساعة الرابعة والنصف، أي انها لم تنتظر حتى اجتماع وزراء خارجية العرب في الساعة السادسة وتصرفت بمفردها، ثم انها ايضا لم تتريث الى أن يبلغها بنتائج مهمته. واتصل الملك بالرئيس "مبارك". وهنا ايضا تختلف الروايات.

يقول الرئيس "مبارك" [٢٩] إن الملك "حسين" اتصل به الساعة الرابعة والنصف واخبره أن الجانب العراقي وافق على حضور القمة المصغرة. وعندما سأله (السيد الرئيس) عما إذا

---

[٢٨] – بزاز صفحة ١٠٣

[٢٩] – هيكل صفحة ٣٩٤. يثير استغرابنا الحاشية التي كتبها هيكل حيث يقول :

" ظل الخلاف بين الرجلين حول ما حدث في هذه الساعات الأربع والعشرين – حتى هذه اللحظة . وحين سمعت من الملك "حسين" ما حدث من منظوره، قال لي الملك : " إنني شرحت لك كل شيء، ولك أن تصدق أو لاتصدق ما تشاء " . وقلت للملك : " إنني أصدق الروايتين ، وكمواطن عربي لاأستطيع إلا أن أقول ذلك. وظني أنه اختلاف الرؤى من اختلاف المواقع، ومن الغريب أنكما أنت والرئيس مبارك تقابلتما ٥٢ مرة في علاقاتكما، وكنتما أمام الناس صديقين حميمين ، وعند أول ازمة بينكما اختلفت الطرق وتضاربت الروايات."

كان الرئيس "صدام" قد وافق على التعهد بالانسحاب من الكويت، وعدم التعرض لحكومتها الشرعية، وهما الركيزتان الاساسيتان لعقد القمة المصغرة؟. رد الملك بأنه لم يبحث أية تفاصيل مع الرئيس "صدام" .

وأما الملك "حسين" فيقول : " إن مهمتي كانت الترتيب لعقد القمة المصغرة، ولم أكن موظفا يحمل رسالة، ومع ذلك فقد كانت موافقة " صدام حسين" على الانسحاب معي، ولكن مصر تسرعت وأصدرت البيان قبل أن تسمع مني . والدليل على ذلك انني ناقشت الرئيس" مبارك" في صدور البيان المصري قبل ان يعرف بنتائج مهمتي في بغداد، وكان رده عليّ بأنه " كان تحت ضغط شديد من الرأي العام والصحافة المصرية"، ومع ذلك فماذا كان سيحدث لو انتظر حتى يسمع مني؟ وقد قصدت أن أعود من بغداد قبل موعد الاجتماع في الساعة السادسة مساء بتوقيت القاهرة."

ويقول الكتاب الابيض عن تلك النقطة:

" وفي شرحه للموقف المصري، قال سيادة الرئيس حسني مبارك انه يتعرض لضغوطات كبيرة، وأنه تحدث مع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، الذي كان غاضبا من الوضع. وابلغ الرئيس مبارك الملك الحسين أنه الآن لا يقبل بالاتفاق الذي تم بين جلالة الملك الحسين والرئيس صدام حسين، ويصر على ضرورة الانسحاب العراقي غير المشروط من الكويت والعودة الفورية للعائلة الكويتية الحاكمة. وبذلك يكون الرئيس المصري قد اعتمد نفس الموقف الذي تبناه وزراء خارجية دول الجامعة العربية [٣٠] والذي يدين الاجتياح العراقي للكويت، ويطالب بالانسحاب الفوري.

أما ممثل الاردن في اجتماع الجامعة العربية، وزير الخارجية السيد مروان القاسم، فقد حذر الوزراء العرب من النتائج الخطيرة، المترتبة على على اصدار مثل ذلك القرار، خاصة وأن جلالة الملك الحسين، وعددا من القادة العرب ما يزالون يبذلون الجهود لعقد قمة عربية مصغرة واحتواء الازمة." [٣١]

نحن لا نستطيع تقبل كلمة هيكل هذه ولا نجد فيها الا تهربا من أخذ موقف الرجل وكأنما يخشى التصريح بان الموقف ليس في صالح الرئيس حسني مبارك كما سنوضح في النص.

[٣٠] – نحن نرى انه يجب هنا قلب الجملة رأساً على عقب. فالرئيس مبارك حدد موقفه فاعتمده بعد ذلك وزراء الدول العربية . اي ان افتتاح النشاط العربي في الاتجاه الذي يتفق مع السياسة الأميركية بدأ بخطوة انجزها الرئيس مبارك.

[٣١] – الكتاب الابيض صفحة ٧

ويتحدث سالنجر عن ذات النقطة فيقول:

" في الساعة الثانية، بوصوله الى قصره، اتصل الملك حسين على الفور بوزير خارجيته القاسم الذي كان ينتظر افتتاح جلسة جامعة الدول العربية " : ابلغ زملاءك - قال الملك- بأن صدام حسين موافق على الانسحاب من الكويت وعلى الاشتراك في القمة المقررة غدا؟".

بعد مروان القاسم، اتصل الملك حسين بحسني مبارك الموجود في الاسكندرية. ولدينا، فيما يتعلق بالمحادثة بينهما، أكثر من رواية واحدة.

يؤكد الملك حسين أنه فور عودته، حاول جاهدا الاتصال بالملك فهد وحسني مبارك. وأن انطباعا قويا تكوّن لديه، إثر محادثته مع مبارك، بأن الرئيس المصري غيّر موقفه.

أما حسني مبارك فيروي ما حصل بطريقة مغايرة:

- سألت الملك حسين، هل التزم صدام ، بوضوح، الانسحاب من الكويت؟.

وبحسب الرئيس المصري أجاب الملك حسين:

- كلا، لكنه سيفعل إذا تمكن من الحصول على تنازلات كويتية، بواسطة السعوديين خلال القمة المصغرة.

- ولكن هل التزم صراحة بالانسحاب؟

-كلا.

يؤكد مبارك أنه ، إثر الحديث الهاتفي، بات مقتنعا بعدم وجود ضمانات عراقية بالانسحاب . وحتى في حال نجاح القمة المصغرة فليس من الضروري أن يتحقق الانسحاب." [٣٢]

بعد سردنا لمختلف الروايات حول موقف الرئيس مبارك ننتقل الى محاولة تحليلها منطقيا لنقرر بعد ذلك فيما اذا كان انقلابه حصل انطلاقا من قناعة خاصة أم نتيجة لدفع خارجي مؤثر وضاغط. إننا نرى أنه مهما كانت قناعات الرئيس مبارك ومهما وصل الى سمعه أو لم يصل الى سمعه عن موقف العراق بعد زيارة الحسين الى بغداد فلم يكن من الجائز اطلاق الادانة قبل سماع النتائج التي جاء بها ملك الاردن.

نحن نعتقد أن الرئيس مبارك تجنّب استقبال الحديث الهاتفي من الملك حسين وكأنما كان يخشى سلفا ايجابية النتائج التي توصل اليها في بغداد . وإلا فما هو معنى جواب مكتب

---

٣٢ - سالنجر صفحة ١٤٠ - ١٤١

رئاسته بأنه "غير قريب من الهاتف"؟ وهل كان هناك في ذلك الوقت العصيب جدا والذي ينذر بأعنف الاعاصير التي ستؤثر على التاريخ العربي الحديث ما يمنع من وصول الهاتف اليه ؟.
إننا لانستطيع قبول الايحاء الصادر عن الرئيس مبارك انه لم يسمع بالنتائج الايجابية التي حملها الحسين قبل الرابعة والنصف لأن الملك بعد فشله بالاتصال به من بغداد في الساعة الواحدة وعشرون دقيقة (كما يقول ابراهيم نافع الذي سنتعرض لما كتبه عن هذه النقطة بالتحديد) تابع المحاولات من الطائرة ثم من عمان في الساعة الثانية. وكما ذكرنا أمعن الملك حسين في الحيطة بأن اتصل بوزير خارجيته مروان القاسم وطلب منه اعلام الرئيس مبارك والوزراء العرب بأن الرئيس صدام موافق على الانسحاب من الكويت وعلى الاشتراك في القمة المقررة ليوم الغد في جدة وأكد الحسين لكل من تحدث معهم على حرصه لتوصيل المعلومات الايجابية بأسرع وقت لأنه كان مدركا بأنه يتسابق مع الزمن.

وعندما نقرأ في مذكرة رئاسة الجمهورية قول الرئيس مبارك بأن الملك حسين اتصل به في الرابعة والنصف وأخبره أن الجانب العراقي وافق على حضور القمة المصغرة دون أن يلتزم بالانسحاب مما دفعه لاطلاق الادانة نستنتج خطأ متعمداً في التوقيت. فلو كان الملك حسين لم يخابر الرئيس مبارك الا في الرابعة والنصف، كما يقول، لما أمكن اصدار مذكرة الادانة المصرية في ذات اللحظة وفي ذات التوقيت الذي يُجمع على صحته الجميع. فهذا التطابق الزمني ضرب من المستحيل إلا اذا كان نص الادانة قد تم درسه وتقرر مضمومة واصبح جاهزا قبل الرابعة والنصف. وهذا هو الاحتمال الاصح ! فبيان الادانة المصري لم يصدر كنتيجة للاستيضاح من الملك حسين عن موقف العراق النهائي كما توحي رواية القاهرة إنما كانت الادانة جاهزة سلفا وبموافقة الرئيس مبارك بالذات.

ولنفرض أن الحسين أخبر الرئيس مبارك " بأنه لم يبحث أية تفاصيل مع الرئيس صدام." حسب ما ورد في مذكرة رئاسة الجمهورية. فهل هذا سبب للاسراع في اطلاق الادانة أم انه يدفع بشكل أقوى للتريث خاصة بعد اقرار المذكرة الرئاسية المصرية بعلم الرئيس مبارك بالتوصل الى بوادر ايجابية وبموافقة العراق على حضور القمة ؟ ونحن لانستطيع الا أن نتحفظ على قول الرئيس مبارك بأن الملك حسين أكد له بأنه لم يبحث مع الرئيس صدام أية تفاصيل. فهل يمكن للحسين أن يكون أوجز كل بلاغته عن مباحثات صعبة وشديدة الاهمية مع الرئيس صدام في تلك الجملة المقتضبة؟. أولا يثبت لنا حرص الملك الشديد على احتواء الازمة بأنه لا بد أن يكون قد افاض واسترسل في شرحه للرئيس مبارك لما دار بينه وبين الرئيس صدام ليثبت له جدوى وضرورة انتظار القمة المصغرة التي كانت

ستجتمع بعد أقل من عشرين ساعة ؟. لايستبعد أن يكون الملك حسين قد نطق بهذه الجملة بالحرف ولكن من منطلق آخر يحتاج الى تتمة ليصبح مثلا: " لم ابحث اية تفاصيل مع الرئيس صدام عن توقيت وحيثيات الانسحاب.".ولنفرض جدلاً ان الملك حسين قال للرئيس مبارك هذه الجملة المقتضبة فلماذا لم يوجه هو الى الملك حسين اسئلة تستوضح الحيثيات الأخرى ؟

قد تلعب الدقائق التسعون دورا خطيرا في ظرف ما من ظروف التاريخ وقد لاتلعب أي دور في ظرف آخر، مثل الصفر!. فوقوعه على يمين عدد يفعل العجب أما إن وقع على اليسار فلا يكون له أي مفعول. وهذا يشبه ما انجزه الرئيس مبارك في هذه القضية . فلو تم اطلاق الادانة من قبل الرئيس مبارك بعد اجتماع وزراء الخارجية في السادسة مساء لما قامت القيامة ولما تغير من الواقع شيء. اما اطلاقها قبل الموعد المتفق عليه فقد استهدف صفق الباب في وجه العراق واستحضار ذات الموقف الذي كان يحرص العراق على ألا يكون. ولاشك في أن اطلاق الادانة قبل الموعد أحرج الوزراء العرب في اجتماعهم بعد ذلك وحدد لهم اتجاهاً يُراد منهم أن يقتفوه. وهذا ما حصل.

وبما أننا نعالج أمر التوقيت بالساعات والدقائق رأينا ضرورة التعرض لما كتبه ابراهيم نافع عن ذلك بدقة يُراد منها أن توحي بالدقة العلمية. ومن طريف الأمر طريقته في القفز على الألفاظ حين يحدد التواريخ والساعات. فمرةً يذكر أن الرئيس مبارك طلب من وزراء الخارجية العرب تأجيل إصدار بيانهم حتى مساء ١٩٩٠/٨/٣ . ويكرر في مكان آخر الحديث عن الساعة الثالثة من مساء ٩٠/٨/٣ . ولكن على ذات الصفحة يؤكد أن الملك حسين اتصل بالرئيس مبارك في الساعة الثالثة وعشرين دقيقة من بعد ظهر ٩٠/٨/٢ !! فكيف يمكن مطابقة الصورتين مع بعض ؟ فمرة نجد الساعة الثالثة وعشرين دقيقة بعد الظهر وفي المرة الثانية نجد أن الساعة الأبكر منها هي مساء. كل ذلك لايهام القارىء بأن الرئيس مبارك بذل جهداً كبيراً لتأخير إصدار البيان حتى وقت متأخر جداً من الليل. وهذا غير صحيح! فإما أن تكون الثالثة مساء هي بعد الظهر أو تكون بعد منتصف الليل ، أي في صباح ١٩٩٠/٨/٤. فإذا عرفنا من الأستاذ نافع أن الرئيس مبارك اتصل بالملك حسين في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة من قبل ظهر ٩٠/٨/٣ الى عمان ، وأن الملك لم يكن قد انطلق بعد الى بغداد لاستنتجنا أن الرئيس مبارك لم يمنح الملك سوى ساعات قليلة جداً ليطير الملك عن طريق أطول من الطريق المباشرالى بغداد وليفاوض الرئيس صدام حسين ويحصل على موافقته ثم يعود الى القاهرة ليعلمه بموافقة الرئيس صدام على فكرة الإنسحاب. وهذا

يدخل في باب التعجيز أكثر مما يدخل في باب البحث عن الحلّ. هذا ونجد الأستاذ نافع يعلمنا بأن الملك حسين حاول الإتصال بالرئيس مبارك في الساعة الواحدة وعشرين دقيقة ولكن إتمام هذا الإتصال تعذر. [٣٣]

في معرض حديثنا عن الانقلاب في موقف الرئيس مبارك نذكر ما قاله الملك حسين من أن الرئيس مبارك اعلمه بأنه يتعرض لضغوطات كبيرة. فمن أين كان يأتيه الضغط؟. إن كان يراد اقناعنا بأن الرأي العام في مصر هو العامل الضاغط لرفضنا الحجة من الاساس. بالطبع نحن نعترف بأن عهد الرئيس حسني مبارك تميز ومازال يتميز مع الاردن والمغرب بأكبر انفراج ديموقراطي في دول الوطن العربي. ولكن أن تبلغ قوة تأثير الرأي العام للشارع المصري حدّ الضغط على الرئيس مبارك ليغير موقفاً وعد به الملك حسين فهذا أكثر من مستبعد. أما أن يبلغ ضغط الشارع أن يمنع الرئيس مبارك من أن يتريث ٩٠ دقيقة اخرى ريثما يجتمع الوزراء العرب فهو خرافة واستخفاف مفضوح بعقل المواطن العربي. فإذا لم تكن أكثرية الشعب المصري هي الدافع لإصدار الإدانة من قبل الرئيس مبارك فلا بد أن الضغط جاء من خارج البلاد. ولتوضيح ذلك نعود الى الكاتب الأميركي سالنجر الذي يعالج تلك النقطة بالذات فيكتب: " في واشنطن وُجد رجل آخر سيلعب دوراً اساسيا في التصلب الأميركي، انه جون كيلي مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط الذي يحاول منذ الساعة السابعة والاربعين دقيقة صباحا الاتصال من مكتبه بسفير مصر في واشنطن. وبعد نصف ساعة علم أخيرا أن السفير والقائم بالاعمال موجودان في القاهرة. فارسل مباشرة برسالة الى وزارة الخارجية في القاهرة. وما جاء فيها بلغ من العنف حدا يصعب التصور أن يكون قد صاغه بدون حصوله على الضوء الاخضر من رؤسائه فقد جاء فيها: " لقد قام الغرب بواجبه. لكن الدول العربية لاتحرك ساكنا في قضية الكويت. إن الولايات المتحدة باعت البلاد العربية، وخاصة مصر الكثير من الاسلحة. وعلى هذه الدول اذا لم تتحرك وتأخذ موقفا حازما ألا تعتمد في المستقبل على دعم الولايات المتحدة." [٣٤]

لم يبلغ ما سميناه "اجبار المملكة العربية السعودية" على قبول الانزال الأميركي في اراضيها هذا المبلغ من عنف التهديد. ولم تُرسل هذه الرسالة الحاسمة والقاصمة الى دولة

---

[٣٣] - نافع صفحة ٥٢ و ١٩٦ .

[٣٤] - سالنجر صفحة ١٣٩-١٤٠، هناك بعض الاختلاف عن الاصل الانكليزي لاحظناه من ترجمة مدبولي لذات الكتاب

صفحة ١٧٢ مما اضطرنا الى استدراك النقص.

عربية أخرى وانما الى مصر لدفعها دفعا الى عكس الاتجاه!.. فهل نستطيع القاء اللوم على الرئيس مبارك بعد الذي قرأناه؟..

في مطلع هذا الفصل نوهنا في استطراد لنا بأن أجهزة المخابرات الأميركية لا تترك شاردة ولا واردة من المخابرات الهاتفية والبرقية لرجالات العالم الا وتتنصت عليها وتسجلها ثم تقيمها ثم تتصرف في محصلة الأمر بالشكل الذي يحقق مآربها. ولا نعتقد الا ان البيت الأبيض عرف بأمر مخابرات الملك حسين مع الرئيس صدام وفوجئت ، بل صُعقت لاستجابة العراق للإنسحاب ولموافقته على حضور اجتماع جدة مما يهدد بفشل كل مساعيها التآمرية ، فبذلت على الفور جهدا رهيباً لدفع الرئيس مبارك الى اصدار الإدانة قبل نجاح المساعي العربية الحميدة. ونعتقد ان اسقاط ٧ مليارات دولار من ديون مصر كان جزءاً من الثمن الذي سهّل على الرئيس مبارك اتخاذ خطوة الإدانة . وفي الواقع لم تُسقط واشنطن المليارات السبعة وإنما نقلت المبلغ من المدين المصري الى مدين أقدر على تسديد الدين من عرب البترول.

وفيما يلي نورد نص الادانة الصادرة عن وزارة الخارجية المصرية في الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر الثالث من آب / اغسطس:

" بعد أن اسفرت المساعي العربية المكثفة التي بذلت مؤخرا لاحتواء الخلاف بين العراق والكويت عن موافقة قادة البلدين الشقيقين على الدخول في حوار ودي تمهيدا لتسوية الخلافات القائمة بينهما. وبعد أن عقدت جلسة الحوار الاولى في جدة وسط التوقعات المتزايدة وآمال تولدت لدى الجماهير العربية بانفراج الازمة فوجئت جمهورية مصر العربية بالغزو العراقي للكويت وما ترتب عليه من مضاعفات مؤسفة لابد أن تكون لها انعكاساتها الخطيرة على الوضع العربي كله. وفضلا عما يمثله هذا التطور المؤسف من مخالفة لاحكام قانون ومبادئ الشرعية الدولية فانه يشكل اخلالا واضحا بالتعهد بين جميع الاقطار العربية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لبعضها البعض وهو تعهد منصوص عليه صراحة في ميثاق جامعة الدول العربية واكدتها المؤتمرات العربية الاخيرة التي اضطلع فيها العراق بدور بارز في تثبيت الالتزام بهذا المبدأ وفي المطالبة بتعميق مفهوم التضامن العربي. وترى مصر في ضوء هذه الحقائق أن الوضع يتطلب اتخاذ الخطوات التالية فورا ودون ابطاء.

١- انسحاب القوات العراقية من الارض الكويتية.

٢- الكف عن محاولة تغيير نظام الحكم في الكويت بالقوة وترك الشؤون الداخلية للكويت للشعب الكويتي الشقيق يقررها بارادته الحرة وقراره المستقل.

٣- ارتباط البلدين بأسلوب محدد لتسوية الخلافات القائمة بينهما عن طريق المفاوضات السلمية."

وفي ذات اليوم صدر في القاهرة ايضا بيان مجلس التعاون الخليجي الذي يقول:

" عقد المجلس الوزاري لمجلس التعاون لدول الخليج العربية دورة طارئة في القاهرة هذا اليوم الجمعة الموافق لـ ١٢ محرم ١٤١١ هـ الموافق لـ ٣ أغسطس ١٩٩٠ م، برئاسة معالي يوسف بن علوي عبد الله للشؤون الخارجية بسلطنة عمان وبحضور معالي راشد بن عبد الله النعيمي وزير الدولة للشؤون الخارجية بدولة الامارات العربية المتحدة ومعالي الشيخ محمد بن مبارك خليفة وزير خارجية دولة البحرين وصاحب السمو الملكي الامير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية ومعالي مبارك بن علي الخاطر وزير خارجية دولة قطر ومعالي الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء بدولة الكويت، وذلك للنظر في الوضع الخطير الناجم عن العدوان العراقي على الكويت والاثار المترتبة على هذا العدوان وما يمثله من انتهاك صارخ على سيادة واستقلال دولة عضو في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، والجامعة العربية ، والامم المتحدة، وخرق سافر لكافة المواثيق والاعراف والقوانين العربية والاسلامية والدولية.

وفي الوقت الذي يعرب فيه المجلس عن استنكاره البالغ وأسفه الشديد لهذا العدوان الذي تم من قبل دولة عربية شقيقة على دولة عربية شقيقة أخرى متجاهلة كل الاواصر والروابط التي تجمع بين الدول العربية الشقيقة وتتنافى مع علاقات الاخوة وحسن الجوار.

يؤكد المجلس الوزاري على ادانة هذا العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت الشقيقة ويطالب العراق بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات العراقية الى مواقعها قبل تاريخ ١ أغسطس ١٩٩٠ م.

كما يرفض المجلس هذا العدوان وأية آثار مترتبة عليه مع عدم الاعتراف بتبعاته، ويطالب جامعة الدول العربية باتخاذ موقف عربي موحد انطلاقا من مبادئ وروح ميثاق جامعة الدول العربية لانهاء العدوان وازالة آثاره من اجل الحفاظ على السيادة والسلامة الاقليمية لدولة الكويت الشقيقة."

من قراءتنا للبيانين نلاحظ اعتدال المذكرة المصرية وعدم استخدامها لكلمة "الادانة" تصريحا إنما اكتفت بذكر أن مصر " فوجئت بالغزو " وبذكر " مخالفة (العراق) لاحكام قانون ومبادئ الشرعية الدولية" و "اخلال" (العراق) بتعهداته بعدم التدخل في شؤون دول عربية أخرى". لكن توقيت صدوره المبكر بحيث ينسف رجاء العراق بالتريث كان أكثر مفعولا من

أن يتجاهله الباحث خاصة وأن صدوره تزامن مع صدور بيان مجلس التعاون الخليجي الذي لجأ الى لهجة الشدة والعنف مستخدما "الوضع الخطير الناجم عن العدوان العراقي" و " ادانة هذا العدوان العراقي الغاشم". فمن خلال تزامن البيانين اصطبغ موقف مصر الألطف بالموقف الاعنف مما ترك اثرا على مفاوضات وزراء الخارجية العرب في ذات اليوم.

كان موقف الرئيس مبارك حين التقى مع الملك حسين في الاسكندرية بعد ظهر يوم الغزو يتطابق مع قناعته الوطنية والانسانية في ضرورة السعي الصادق نحو اخماد الحريق . واما موقفه يوم الادانة وطريقته غير المسؤولة في قيادة جلسة مؤتمر القمة فلم تنطلق من قناعاته الأصلية انما من قناعات دخيلة لا بد انها فُرضت عليه .وسوف نعود الى هذه النقطة لدى معالجتنا لمؤتمر القمة .

ازمة الكويت والجامعة العربية

بعد اجتياح الكويت كان يفترض بحكومة الكويت أن تخطو الخطوة الطبيعية الاولى بتوجيه نداء الى الجامعة العربية وتوسيطها لاعادة الحق الى نصابه. فالحق مع الكويت في موضوع الغزو دون شك. ولم يكن ثمة مانع من تحديد مهلة للجامعة لاصلاح ذات البين فإن فشلت المساعي الحميدة تنتقل الى استخدام الوسائل الأوقع. وان فشل كل ما لدى الجامعة العربية، وهو كما سوف نرى أقل من قليل، يُسمح للكويت بتدويل الازمة. أما أن تطلب الكويت من الجامعة الاجتماع الفوري وتضغط عليها لاتخاذ القرارات ثم الانتقال الى التنفيذ فهذا أمر غير جائز ولا ممكن بالرغم من تأكيدنا ثانية لحق الكويت الواضح في موضوع الاحتلال العراقي. لكنها لم تبدأ بذلك إنما بدأت بالا ستنجاد الفوري بالولايات المتحدة الأميركية خلال الدقائق الاولى التي عرف خلالها ولي العهد الشيخ سعد بالغزو وباستمرار الزحف العراقي على مدينة الكويت.

إننا لو سُئلنا عن رأينا الخاص لأعطينا الكويت كل الحق لو لم تلجأ الى مجلس الجامعة العربية . لأن رأينا بالجامعة شديد السلبية وقد أوضحناه قبل ما يزيد عن ثلاثين عاما ودعمنا وجهة نظرنا بالقرائن المدروسة وبالنصوص في كتابنا "اسرار الانفصال" الذي عالجنا فيه وحدة سورية مع مصر والانفصال خلال الاعوام ١٩٥٨-١٩٦١. وفيما يلي الفقرات الاساسية للاهمية ولتتضح وجهة نظرنا ثم نعود لمتابعة موضوعنا الأصلي:

" **أهداف جامعة الدول العربية:**

تنص مقدمة الميثاق على مايلي:

" تثبيتا للعلاقات الوثيقة، والروابط العديدة بين الدول العربية، وحرصا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على اساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها، وتوجيها لجهودها الى ما فيه خير البلاد العربيــة قاطبة، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها، وتحقيق امانيها وآمالها، واستجابة للرأي العربي العام في جميع الاقطار العربية ، قد اتفقوا..".

فهذا الجزء الذي أوردناه من المقدمة يتعرض للاهداف بشكل عام. ولننظر الآن في نص المادة الثانية، التي تحدد هذه الاهداف:

" الغرض من الجامعة هو توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها، وتنسيق خططها السياسية تحقيقا للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها. كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها..".

مما قيل نستنتج أن هدف الدول العربية الأول، وهو الوحدة ، قد تجوهل أمره تماما لدى تعداد أغراض الجامعة. اما التعابير مثل "تقارب" و" تعاون" التي جاءت في المادة الثانية، فهي غير ملزمة للاعضاء في أن يقوموا بعمل ما. بل ان ذكرها في ميثاق الجامعة غير ضروري بالنسبة للدول العربية، لأنها وقّعت على ميثاق هيئة الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو، الذي يحوي فيما يحوي نصا يدعو الى وجوب تحقيق "تعاون" و" تقارب" بين الدول الاعضاء. بل ان المادة الاولى من ميثاق الأمم المتحدة تنص على أكثر من ذلك، فالفقرتان الثانية والثالثة منها تنص على مايلي:

١- تنمية علاقات الصداقة بين الامم على اساس حرمة مبدأ التساوي في حقوق الشعوب، وحقهم في تقرير المصير، واتخاذ سائر التدابير الملائمة لتوطيد السلم في العالم.

٢- تحقيق التعاون الدولي في حل المشاكل الدولية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والانساني. وفي اشاعة تشجيع حرمة حقوق الانسان والحريات الاساسية للبشر أجمع، من غير تمييز في العرق واللغة أو الدين أو تفريق بين الرجل والمرأة."

اذن فالمواد المذكورة من ميثاق الجامعة لم تأت بأي شيء اضافي انما بدت تطالب الدول الاعضاء بأقل مما يطالب به ميثاق الامم المتحدة.

أما المادة الثامنة من ميثاق الجامعة فتنص على ما يلي:

" تحترم كل دولة من الدول المشتركة بالجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الاخرى ، وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول، وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمي الى تغيير ذلك النظام فيها".

اذن فميثاق الجامعة يشترط على الموقعين القبول، بل المحافظة على التجزئة للدول العربية ولنظم الحكم فيها. ان هذه المادة لاتدعو لوحدة إنما تعارض وتعيق بوضوح تام الاتجاه نحو الوحدة وتحرم السعي اليه وتحمي نظما متخلفة لايجوز استمرارها كنظام اليمن آنذاك، وتفرض على المتقدمين من العرب عدم محاولة الاسهام في تطوير نظم الحكم المتأخرة لئلا تصل الى ما يجب أن تكون عليه مما يتماشى مع العصر.

وننتقل الآن الى الطريقة الساخرة في اتخاذ قرارات الجامعة العربية. فهي تُتخذ بالاكثرية . ولكن الاكثرية اللازمة لاتخاذ اي قرار يختلف من موضوع لآخر. فالاكثرية العادية تكفي في بعض الأمور (انظر المواد ١٥ و ١٦ من الميثاق) واكثرية الثلثين مطلوبة في تقرير أمور أخرى (انظر المواد ١٢ و ١٩) واكثرية ١٠٠٪ أي الاجماع التام ضرورية في أمور من نوعية أخرى. لكننا لانريد الخوض في بحث تفاصيل الأمور والمواضيع التي يحتاج اقرارها الى أكثريات من نوعيات مختلفة لأننا لانريد اضاعة الوقت والجهد في دراسة سفسطائية مائعة وانما نتوجه مباشرة الى العصب الحساس . فالفقرة الاولى من المادة السابعة من الميثاق تنص على ما يلي:

" ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزما لمن قبله. وفي الحالتين تنفذ قرارت المجلس في كل دولة وفقا لنظمها الاساسية".

اذن فان كل دولة من دول الجامعة منطلقة، وحرة كل الحرية، كما لو لم يكن ثمة ميثاق!!. ولو شئنا قول الحقيقة العلمية مقترنة مع اطلاق قدر يسير من العاطفة التي تجيش في صدر من يحب الوحدة العربية ويدعو اليها لوصفنا واضعي هذه المادة بالمضللين لأنهم استطاعوا تجسيد العدم في نثر أدبي جيد يتحدى شعور كل وطني شريف. لذلك فان بحث النقطة الثالثة، التي تتناول كيفية تطبيق القرارات قد اصبح لا مبرر له اطلاقا. ولنفس السبب نجد عدم جدوى البحث فيما اذا كانت عقوبات ما ستوقع بمن لاينفذ قرارات الجامعة.

ولو شئنا أخذ مثال حي تطبيقي على جدوى المبادئ المذكورة في الميثاق حال الضرورة، لأخذنا المادة السادسة التي تقول:

" اذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشي وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا.

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء، ويصدر القرار بالاجماع فاذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لايدخل في حساب الاجماع رأى الدولة المعتدية.

واذا وقع الاعتداء بحيث يجعل الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس، فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة في الفقرة السابقة واذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من اعضائها ان تطلب انعقاده..".

حين نقرأ النص قراءة عابرة نلمس شيئا من حرارة المروءة والنجدة والنخوة العربية. لكننا حين نطالع النص بدقة، نجد أن هذه المادة لا تقل في سخفها وجوفائيتها عن المادة السابقة ابدا. فكل مضمون المادة مع القفزات البهلوانية التي يراد منها اظهار الحمية والجدية لايؤدي عمليا الا الى تأمين انعقاد مجلس الجامعة. أما ما قد يحدث هناك فمجهول كليا. ولو طالب بعض الدول بنجدة الدولة المعتدى عليها، لما أمكن اتخاذ قرار، الا اذا كان هناك اجماع. والدولة التي ترفض النجدة غير ملزمة اطلاقا، بل يحق لها الانسحاب من الجامعة حسب المادة ١٨. أي أن كل دولة عربية تستطيع اتخاذ الموقف الذي تشاء تجاه أي اعتداء يقع على دولة عربية أخرى، وكأنما ليس هناك أي ميثاق.

يُقال ان السياسي البريطاني انطوني ايدن الذي اجهزت عليه السياسة الأميركية عام ١٩٥٦ اثناء العدوان الثلاثي على مصر كان العراب الذى اوحى بضرورة انشاء الجامعة العربية . ويُقال بأنه لم يوحِ بذلك حباً بالعرب وانما اراد استباق تقارب الدول العربية فيما بينها في غياب " الاشراف " البريطاني خشية ان تنشأ جامعة فيها عناصر ومبادىء حقيقية تجمع الشمل . وبفضل " اشرافه " تمكن من توثيق التجزئة بدلا من ايجاد قواعد الوحدة . ولا اعتقد انه انجز لمصلحة بلاده في كل حياته السياسية انجح من هذا المخلوق الميت .. المولود المومياء .

فميثاق الجامعة يثبّت في الواقع أوضاع الدول العربية المتشققة في مواد تزيد من صعوبة التكامل والوحدة. لقد تجاهل موقعو الميثاق ضرورة طاعة أحد الاعضاء لارادة الاكثرية، هذه البديهية التي تعتبر أصل الحكم واصل أي تنظيم جماعي اجتماعي. ولو افترضنا جدلا أن اتفق أكثرية الثلثين أو أكثر من الدول المشتركة في الجلسة على قرار لما أمكن تنفيذه اذ يحق للاعضاء الذين لايوافقون على التعديل الخروج من الجامعة فور وضع التعديل موضع التنفيذ. أي ان كل أمل للاصلاح في هذا الباب قد سد منذ البدء بالفقرة الثالثة من المادة ١٩، التي تقول:

" وللدولة التي لاتقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد باحكام المادة ١٨" والمادة ١٨ تقول: "اذا رأت احدى دول الجامعة أن تنسحب منها، أبلغت المجلس عزمها على

الانسحاب قبل تنفيذه بسنة" أي أن لكل دولة حق الخروج الفوري من الجامعة قبل وضع أي اصلاح موضع التنفيذ.

اذن فليس من الغريب أن تنبعث اصوات شتى في العالم العربي تصف ميثاق الجامعة على أنه ضربة قاصمة للوحدة العربية.

واقع الجامعة العربية

ان المناقشة السابقة لميثاق الجامعة لاتهدف الطعن بكل شيء قامت به هذه المنظمة، ولاتريد انكار بعض القيم الايجابية التي تمت عن طريق الجامعة. ففي المجالات الثقافية والعلمية والتربوية واحداث المؤتمرات المتنوعة، كان للجامعة باع طويل ومازال. ومكاتب الجامعة في البلاد الاجنبية تمثل مصالح الدول العربية المشتركة تمثيلا حسنا طالما هذه المصلحة لا تمس خلافا بين الدول العربية نفسها، أو نقطة تختلف عليها وجهات نظر الحكومات العربية. وان نتاج أعمال اللجان المختلفة في الجامعة العربية، كتوحيد التعابير اللغوية والعلمية، ومحاولات ايجاد قاسم مشترك لمظاهر الحياة الادبية والعلمية والقضائية والمالية وما شابه، لهى ثمار يانعة ومفيدة ستسهل قيام وحدة في المستقبل. لكن ايجاد منظمة كبيرة تحمل صفة عالمية مرموقة لتحقيق هذه الفوائد المحدودة جدا اذا ما قورنت بالهدف الموجب الذي افترض احياؤها من أجله – الوحدة – لهو شيء كمالي الى حد يذكرنا بمن يريد اصطياد العصفور بمدفع الميدان.

اذن فنحن لانعطي الجامعة العربية وزنا سياسيا حقيقيا. ولكن هذا لايعني نفي الفوائد الايجابية التي كان يمكن التوصل اليها من خلال نشاطات تقوم بها دول عربية خارج نطاق الجامعة مثل الجهود الجبارة التي قام بها الملك حسين.

ونتابع الآن مناقشة ما حصل في الجامعة العربية . ولا نفعل ذلك انطلاقا من قناعتنا بجدواها وانما لان الكويت لجأت اليها في صباح ٢/٨/ ١٩٩٠. إننا لم نقرأ تفاصيل هامة تزيد عما أوردناه سابقا عن المناقشات التي جرت في اجتماع الوزراء العرب ولكننا نستطيع التكهن بها من خلال النص التالي لقرار الادانة الذي صدر عنه في الثالث من آب/ اغسطس:

" إن مجلس جامعة الدول العربية في دورته غير العادية المفتتحة بتاريخ ١١ محرم ١٤١١ الموافق لـ ٢/٨/١٩٩٠ في القاهرة.

* وبناء على الطلب المقدم من دولة الكويت لعقد دورة غير عادية لمجلس الجامعة للنظر في العدوان العراقي على الكويت.

* وبناء على المادتين الخامسة والسادسة من ميثاق جامعة الدول العربية.

* وبناء على المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة.

* وبناء على المادة الثانية من ميثاق التضامن العربي الذي وافق عليه مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء يقرّر:

١- ادانة العدوان العراقي على دولة الكويت ورفض أية آثار مترتبة عنه وعدم الاعتراف بتبعاته.

٢- استنكار سفك الدماء وتدمير المنشآت.

٣- مطالبة العراق بالانسحاب الفوري وغير المشروط للقوات العراقية الى مواقعها قبل ١٠ محرم ١٤١١ الموافق لـ ١٩٩٠/٨/١.

٤- رفع الامر الى اصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء الدول العربية للنظر في عقد اجتماع قمة طارئ لمناقشة العدوان ولتسهيل التوصل الى حل تفاوضي دائم ومقبول من الطرفين المعنيين يستلهم تراث الامة العربية وروح الاخوة والتضامن ويسترشد بالنظام القانوني العربي القائم.

٥- تأكيد تمسكه المتين بالحفاظ على السيادة والسلامة الاقليمية للدول الاعضاء وتجديد حرصه على المبادئ التي تضمنها ميثاق جامعة الدول العربية بعدم اللجوء الى القوة لفض النزاعات التي قد تنشأ بين الدول الاعضاء واحترام النظم الداخلية القائمة فيها وعدم القيام بأي عمل يرمي الى تغييرها.

٦- رفض المجلس القاطع لأي تدخل أو محاولة تدخل اجنبي في الشؤون العربية.

٧- تكليف الأمين العام بمتابعة تنفيذ هذا القرار وإخطار المجلس بما يستجد.

٨- اعتبار المجلس دورته غير العادية في حالة انعقاد مستمر." [٣٥]

كانت نتائج التصويت أن ايدت ١٤ دولة عربية القرار بينما اعترض العراق عليه، وتحفظت فلسطين، ولم توافق عليه الاردن ولا موريتانيا وامتنع السودان واليمن عن التصويت. وفي تعليل اليمن لعدم التصويت قال الدكتور عبد العزيز الدالي وزير الدولة للشؤون الخارجية في اليمن ما نراه يوضح تكتلا لايخلو من التحامل على العراق من اجل فتح الباب للتدويل. فهو يقول: "لقد وافقنا على ما جاء في البيان، وطلبت من زملائي مهلة عشر دقائق اتصل خلالها بصنعاء لأعرف ما لديهم من جديد. ولقد كان معي على الخط الاخ رئيس مجلس الرئا سة الذي ابلغني أنه كان في اجتماع مع طه ياسين رمضان وأنه أكد له عدم

---

[٣٥] - سفيان صفحة ٣٠

موافقة اليمن على غزو الكويت وطلبه من العراق الانسحاب. وأبلغني الرئيس أن العراق وافق على الانسحاب، واعلن طه ياسين ذلك لرجال الصحافة. وقد نشر تصريحه في جريدة الثورة يوم السبت ١٩٩٠/٨/٤". ويضيف الدالي: " وقد عدت الى زملائي ونقلت اليهم الخبر مع موافقة اليمن على كل ما احتواه البيان ما عدا الادانة. وحتى لانفسد جو الوفاق الذي توصلنا اليه. وكان هذا هو مبرر اليمن لرفض الادانة، وحتى تتمكن اليمن من مواصلة مسعاها" [36]

فإن كان القرار في نقاطه ٨/٧/٦/٥/٤/٣/٢ يطلب من العراق بصريح العبارة الانسحاب الفوري غير المشروط، ويستنكر لجوء العراق لسفك الدماء وتدمير المنشآت، ويؤكد التمسك بالحفاظ على السيادة الاقليمية وسلامة كل الدول الاعضاء، أي عودة الشرعية الى دولة الكويت ويسعى بكل قوة لاستبعاد التدخل الاجنبي فلماذا اصرت الدول الاربعة عشرة على الادانة التي وردت في النقطة الاولى وكأنها العنوان الكبير؟. فهل كانوا يريدون السعي الى عودة الأمور الى مجاريها أم أنهم ارادوا الادانة بالذات لفتح الباب أمام التدخل الاجنبي؟. لقد كان احرى بهم اتاحة الفرصة للحل العربي.

لو حذفت مادة الادانة من القرار لما انشق عن الاجماع العربي أحد لأن جميع من لم يدعم القرار شجب الغزو العراقي وطلب عودة الشرعية التي يريدها الشعب الكويتي! ولم يقف عثرة في وجه دعمهم للقرار سوى الادانة. ومن خلال الاجماع العربي سوف لن يتمكن العراق من الاستمرار في التصلب وإنما سيستجيب . ولو تصلب فما كان يلزم من الولايات المتحدة الأميركية من أجل دعم الشجب العربي الاجماعي سوى أن تقرر عدم شراء البترول منه هي وحليفاتها لكي يُلزم بالجنوح الى السلام.

لكن السلام كان مرفوضا وكأنه وباء أرادت واشنطن استئصاله من جذوره. ولذلك تمت الادانة. وبحصولها تم للولايات المتحدة ما ترجوه وتتوقعه وتسعى اليه في تلك المرحلة من الاحداث لتتابع تنفيذ ما يحقق مآربها.

---

٣٦ - أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي صفحة ١٣٨

الفصل الثامن

مواقف بعض الدول الاوربية واليابان

لا يشكل هذا الفصل دراسة متكاملة لمواقف الدول الأوربية التي نبحث في سياساتها تجاه أزمة الخليج. فقد تناولنا ذلك في ثنايا متعددة وموزعة في مختلف فصول هذا الكتاب حسبما يقتضيه البحث. أما فيما يلي فنعالج بايجاز بعض الأصول في تلك المواقف.

أثر الانهيار الشيوعي على الأزمة

لم تكن الولايات المتحدة لتستطيع تنفيذ مخططاتها بحذافيرها في الخليج لولا الوضع الناشئ في العالم بعد الانهيار الشيوعي المريع الذي كشف عن الخلفيات السائدة في المعسكر الشرقي وعرّاها تماما واظهرها على حقيقتها . فالنظم الشيوعية التي أخافت دول الغرب كانت تبدو مثل نمر متوحش شديد البأس ولكنه من الورق المقوى . لقد كان النمر في حقيقته اجوفَ تماما. بالطبع لاتخلو القوة التي كانت تظهر على الدول الشيوعية لمن ينظر اليها من خارجها من رصيد حقيقي الى حد بعيد. ولكن الحفاظ على صورة القوة هذه كلف الشعوب هناك اثمانا باهظة على حساب حياتهم اليومية وحرمها من الكماليات ومن الضروريات، بل ومن أشد الضروريات في كثير من الحالات. لقد منعت الدول الشيوعية عن شعوبها انتاج مصانعها لكي يباع الجيد منه في العالم الغربي وفي العالم الثالث للحصول على الدولار والمارك والجنيه التي تحتاجها القيادات الشيوعية لتزويد نفسها بالتقنيات الغربية المتقدمة. لقد أهمل العمران وتحديث الصناعات، واهملت المدارس والمستشفيات والشوارع وتوقفت اعمال الصيانة العمرانية في الدول الشيوعية فأصبحت في كثير من الحالات أقل مستوىً من كثير من دول العالم الثالث. كل ذلك كان يحصل من أجل توفير أكبر كمية من السلع التي تنتجها مصانعها لبيعها في سوق الدولار. ولقد وضعنا وصفا مفصلا لذلك ومعه القرائن القوية في الفصل الاول من كتابنا "عربدة سياسية". وثبتت للعالم أجمع هذه الحقائق المذهلة بعد سقوط الجدران الفولاذية والجدران الاعلامية التي كانت تتستر وراءها الحكومات هناك. وما أن انفرط العقد في شرقي أوربا حتى تفككت العرى التي كانت تلم شمل القوى العسكرية مما أزال شبح خطرها كليا. ولم يقتصر الأمر على ذلك إنما غدت تلك الدول وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي

بحاجة الى أهم الضروريات من الغرب لتفادي الشح والمجاعة. وفي ظرف كهذا لم تكن القوة الرئيسية لتلك الدول، أي الاتحاد السوفيتي القادر على تمثيل دور القوة الذي يمكنه من ان يقف الى جانب العراق على اساس معاهدة الصداقة المعقودة معه منذ أكثر من عشر سنوات. فلقد كان الاتحاد السوفيتي "يسير الحيط الحيط ويطلب من الله الستره...والغذاء، والمارك والدولار." وعرفت الولايات المتحدة كيف تستغل هذا الوضع الى أقصى حد واستطاعت جرّ الرئيس السوفياتي ميخائيل غورباتشوف ووزير خارجيته شفاردنازه الى موقف يشجب الغزو العراقي ويطالب بالانسحاب دون قيد أو شرط كما نقرأ في المذكرة المشتركة التي صدرت في ١٩٩٠/٨/٤ والتي جاء فيها:

" يؤكد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بوصفهما عضوين في مجلس الامن على أهمية قيام المجلس بالتنديد الفوري والحازم بالغزو الذي تعرضت له الكويت من قبل القوات المسلحة العراقية. وتعتقد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أنه من المهم مبدئيا الآن تنفيذ قرار مجلس الامن متكاملا وفورا.

إن عمل العراق يتناقض مع المبادئ الاساسية لميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي. وردا على هذا الخرق السافر للقواعد الاساسية للسلوك المتحضر اتخذت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كل بمفرده عددا من الاجراءات وبالتحديد أوقف الاتحاد السوفيتي صادرات الاسلحة للعراق وجمدت الولايات المتحدة الودائع المصرفية العراقية.

ويؤكد الجانبان نداءهما الى العراق لسحب القوات من الكويت دون شروط ويشددان على استعادة وحماية الاستقلال الوطني لدولة الكويت وسلطتها الشرعية ووحدة أراضيها."

نرى من هذه المذكرة أن الدولتين لاتقتصران على الادانة إنما تحثان مجلس الأمن على اتباع ذات الخط. وما يؤلم في المذكرة ايرادها للكلمات: " الخرق السافر للقواعد الاساسية للسلوك المتحضر".. وكأن ما فعلته الولايات المتحدة في حربها الأهلية قديما، وفي الفلبين واميركا اللاتينية فيما بعد وفي بنما وجرانادا وليبريا حديثا، وما مارسته في حرب الخليج بدفن الجنود العراقيين أحياء يرمز الى الانسانية الصحيحة.[1] أما ما فعله الاتحاد السوفيتي من ستالين الى بريجنييف فهو ما تقشعر له الابدان.

---

[1] – تعرض شفينمان الى عملية ردم الجنود العراقيين فكتب على الصفحة ١٣٥ :" وتحت تأثير هذا السيل من المعلومات المضللة لم يكتشف الرأي العام الجريمة المروعة التي حدثت لحظة الهجوم البري... عن طمر حوالي ٨٠٠٠ جندي عراقي وهم أحياء في حفر عميقة حفرتها البولدوزرات والدبابات الأميركية."

ومن كلمات المذكرة نلحظ الظل الأميركي الكالح على مضمونها ونتحقق من تفكك العمود الفقري للاتحاد السوفيتي ، لأن المذكرة خلت من مجرد اشارة وفاء لعلاقة الود والصداقة والمصلحة التي كانت تربط الاتحاد السوفيتي بالعراق. فلقد كان العراق ثابتة من ثوابت موسكو وذراعا متينا يعتمد الاتحاد السوفياتي عليه حين كان يخطط لسياسته في الشرق الاوسط. ولكن العوز والجوع اجبراه على اسقاط العراق والتخلي عنه بالرغم من الضغط الشديد من قبل الجيش السوفياتي على الحكومة لكيلا تتخلى عن العراق. وبالاضافة الى قادة الجيش عارض خبراء الشؤون العربية السوفيات سياسة ترك العراق يتحطم. [٢] أما محاولة شيفاردنازه في الاعتراض على ممارسة الولايات المتحدة لدبلوماسية المدفع في الخليج فضاعت في خضم الأحداث ولم يبق لها في اجتماع هلسنكي الذي عقد في ٩ ايلول سبتمبر أي أثر. وفي المذكرة المشتركة الصادرة هناك والتي نوردها مع ملابساتها في فصل خاص باجتماع هلسنكي نلمس تراجع الاتحاد السوفياتي حتى عن هذه الصيغة. أي أن الاتحاد السوفياتي استمر في الانصياع للسياسة الأميركية والانسياق في تيارها لأنه يحتاج الى المساعدات ليتفادى الأزمات وأخطار المجاعة.

موقف بريطانيا

كان موقف انكلترا متأثرا كليا بالشخصية القوية للمرأة الحديدية مارجريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا. فمنذ الساعات الاولى كانت ترى ضرورة الحرب و تؤكد على حتميتها. حين حصل الغزو كانت هي في آسبن في الولايات المتحدة وكانت على موعد مع الرئيس بوش في ذات يوم الغزو. ولما وصل الرئيس بوش الى آسبن استقبلته بقولها المتصلب :" يجب أن تعرف ياجورج، إنه لن يتوقف"[٣] وهي تعني الرئيس صدام بالطبع. هذا ونرى أن نستبق التسلسل الزمني لدى معالجتنا لموقف السيدة تاتشر لنتحقق من العدائية الحاقدة التي تضمرها من خلال حديثها مع المبعوث السوفياتي الرسمي يفجيني بريماكوف الذي حاول فيما بعد تليين الموقف لدى الطرفين. فهو يقول: [٤]

"كان الرئيس غورباتشوف قد طلب منا أن نمر في لندن للقاء رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر بناء على طلبها."

---

[٢] – سالنجر صفحة ١٤٢

[٣] –سالنجر صفحة ١٣٢

[٤] –بريماكوف صفحة ٨٤ –٨٥

استقبلتنا في اطار حميم. جلسنا جميعا، تاتشر، مساعدها باول، ماركريان، سفيرنا ، وانا في مقاعد قديمة في مقابل المدفئة.

كان كل شيء ينبيء بحوار هادئ لاعقبات فيه. استمعت رئيسة الوزراء، من دون تعليق، الى معلوماتنا كلها. ولكنها، في المقابل ، وخلال ساعة، لم تسمح لأحد أن يقاطع مداخلتها التي طورت فيها، وبتركيز شديد، توجها شديد التصلب : انسحاب القوات العراقية من الكويت لايكفي، يجب توجيه ضربة حاسمة الى العراق، و" كسر ظهر" صدام حسين، وتصفية البنية التحتية العسكرية للعراق، وإذا أمكن، البنية التحتية الصناعية.

لم تكن تاتشر مهتمة بزخرفة كلامها. التعابير التي استخدمتها آنفا لتحديد الوجهة التي تقترحها حيال صدام حسين هي تعابير مأخوذة حرفيا عنها. قالت:

" - لايجب لأي شيء أن يعيق تحقيق هذه المهمة.وعلى صدام حسين أن يقتنع أن المجموعة الدولية لن تتراجع وسوف تصل الى أهدافها. لايجب لأحد أن يحاول انقاذ نظامه من الضربات التي سيتلقاها .

نجحتُ في صعوبة في أن أمرر كلمة وأسألها:

"- أترين مخرجا آخر إلا المخرج العسكري؟."

- كلا، اجابت تاتشر.

-إذا متى تبدأ العملية العسكرية؟.

- لن استطيع قول ذلك لأنه يجب أخذ العراق فجأة. "

فإذا استقرأنا هذا الحديث بدقة وإذا علمنا بأن اللقاء تم بناء على طلب من الرئيسة تاتشر لوجدنا أن القصد منه لم يكن الاستفسار عما يعرف المسؤولون في موسكو عن الموضوع بقدر ما هو تحذير الاتحاد السوفياتي من أي تدخل يحمي العراق من التحطيم. ويؤكد النص على مدى الحقد المتأصل لدى السيدة تاتشر ضد العراق وضد العرب مستثنية اسرائيل. ولو كان وضع الاتحاد السوفياتي مثلما كان قبل عامين أو ثلاثة من ذلك التاريخ لما تجرأت السيدة تاتشر على مثل هذا الحديث.

مواقف اخرى

اذا تابعنا موقف الدول الاوربية الاخرى واليابان بعد استكمال الغزو لاحظنا انهم فوجئوا بالرغم من مختلف المؤشرات التي سبقت ذلك. واصابتهم الحيرة حول الكيفية التي يتعاملون من خلالها مع الاحداث. فمصالحهم ليست متطابقة فيما بينهم اصلا ولا تتفق مع

الموقف الذي وضعتهم، بل حشرتهم فيه سياسة الولايات المتحدة دون سابق انذار. فهل ينساقون معها أم يبقون متفرجين ومترقبين ليحددوا مواقفهم بعد أن تتبلور الاحداث؟. لاشك في أن المانيا واليابان ادركتا الشرك الذي وقعتا فيه من خلال "ضربة معلم" أميركي في اللحظة المناسبة. فهاتان الدولتان هما اللتان تحرجان الاقتصاد الأميركي بانتاجهما الجيد واسعارهما المنافسة بالاضافة الى التشكيلة الواسعة للسلع التي تنتجانها. ولكن هل كانت المانيا واليابان تستطيعان مجابهة الولايات المتحدة علنا؟. وإلام قد يقود ذلك؟. فذكرى المحور القديم الذي جمع المانيا النازية مع اليابان مازالت ماثلة في الاذهان. اننا نرى أنه لو افصحت المانيا واليابان عن معارضتهما للسياسة الأميركية لسارت الامور في اتجاه حرب عالمية ثالثة سبق أن تَلَوَّعَ من مثلها الطرفان. وبما أن هاتين الدولتين ، المانيا واليابان "ربحتا" الحرب العالمية الثانية " اقتصادياً وبحبوحةً " بعد ثلاثين عاما من الهزيمة العسكرية المنكرة والاستسلام دون قيد أو شرط عام ١٩٤٥ أي بعد أن انقلب المهزومان الى منتصرين بفضل الدأب والصبر والعلم فلقد قررتا، في رأينا، الابتعاد قدر الامكان عن المشاركة العملية في المخطط الأميركي والاقتناع بدورهما لما بعد الحرب حيث سيشدد الاعلام في الدولتين على أنهما لم تتفقا مع الولايات المتحدة ضد العراق. وما مشاركتهما في دفع " الاتاوة" للولايات المتحدة للمساهمة في تغطية تكاليف الحرب سوى تغطية لعزمهما او لقرارهما في عدم المشاركة في قتال مع العراق. ولو لم يدفعوا الاتاوة لاستغل ذلك الاعلام الأميركي اشنع استغلال للاساءة الى الدولتين.

وفضلت ايطاليا وفرنسا واسبانيا ودول اخرى اقل اهمية السير "بنصف رجل" مع الولايات المتحدة فأرسلت القوات لكيلا تدفع اتاوة وضمنت أن يُفتح لها باب بعد الحرب لتنال حصة من الاعمال الانشائية الضخمة التي سوف تصبح ضرورية بعد المعارك من اجل الاعمار والتصنيع.

لاشك في أن كل دول اوربا وجدت في الحرب فوائد مباشرة كثيرة من بيع فوائض السلاح القديم والسلاح الجديد مما انقذ عددا كبيرا من شركات السلاح التي اضحت مهددة بالافلاس الحقيقي بعد زوال الحاجة للسلاح عالميا بسبب انتهاء الحرب الباردة التي كانت تُتخذ ذريعة لسباق التسلح المنهك للبعض والمجدي للآخرين.ولكننا لانلحظ "سعادة متطايرة" لدى الدول الاوربية لأنها عرفت ان هذه الحرب المسرحية هي صفقة أميركية بحتة. وانطلاقا من تلك القناعة نصدق بأن محاولات الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران لتفادي الحرب وحل الازمة كانت صادقة. وسوف نعالجها فيما بعد.

الفصل التاسع

الجذور الأميركية لقرار مجلس الأمن ٦٦٠

تضييق الخناق على العراق

يوضح لنا سالنجر أن واشنطن تأكدت من حصول الغزو العراقي على الكويت بعد ظهر ١٩٩٠/٨/١ بتوقيت واشنطن فيقول: " تتابعت الاحداث بسرعة. وبدا أن الولايات المتحدة الأميركية تخرج من غيبوبتها لتأخذ الامور بين يديها. فتتالت الاجتماعات على اعلى مستوى بين الوزراء المعنيين طيلة النهار في مركز وزارة الخارجية. اثبت فشل مؤتمر جدة وتزايد أعداد القوات العراقية على الحدود بأن صدام حسين لايبغي فقط الضغط على الكويت، فقد تلقى الأميركيون معلومات من وكالة الاستخبارات المركزية تفيد باحتمال حصول غزو الكويت.... حتى تاريخ ٣٠ تموز لم يكن البنتاجون يؤمن بامكانية الغزو العراقي. فبحسب محلليه لاتتوفر لصدام الشروط الاربعة التالية: شبكة اتصالات جيدة، مدفعية قوية، ذخائر هامة، دعم لوجيستي قادر على مساندة الهجوم. في اول آب اصبحت كل هذه الشروط مؤمنة." [١]

ويصف سالنجر خطوات المسؤولين في واشنطن منذ تأكدهم من حصول الغزو في ١٩٩٠/٨/١ فيكتب:

" في واشنطن، كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف مساء حين غادر ريتشارد هاسّ – مسؤول علاقات الشرق الاوسط في مجلس الأمن القومي– وزارة الخارجية ليعود الى البيت الابيض، بعد أن شرح لـه الجنرال سكوكروفت رئيس مجلس الأمن القومي وجهات النظر التي طرحت اثناء الاجتماع.

بعد نصف ساعة، غادر سكوكروفت وهاسّ مكاتب الأمن القومي في الطبقات السفلية. وذهبا معا للقاء بوش في الطابق الأول من المبنى الرئيسي للبيت الابيض. وتحادثا معه لمدة ٤٥ دقيقة عن الاجتماع المشترك الذي تم في وزارة الخارجية. وخلال اللقاء رن جرس الهاتف فأجاب سكوكروفت وكان المتحدث روبرت كيميت – الرجل الثالث في الدبلوماسية الأميركية – بصفته وزير الخارجية بالنيابة لغياب جيمس بايكر ومساعده لورنس ايغلبرغر.

---

[١] – سالنجر صفحة ١٠١

أطلّعَ كيميت سكوكروفت على معلومات لم يتم تأكيدها بعد عن بدء إطلاق عيارات نارية باتجاه الكويت.

بعد اجتماعهما مع بوش ، توجه سكوكروفت وهاسّ في التاسعة ليلا الى قاعة الاجتماعات المجهزة في طوابق البيت الابيض تحت الارض.

تحيط بهذه القاعة غرف عديدة تملأ جدرانها الخرائط الضخمة التي تلقي الضوء على مناطق العالم المختلفة. وكانت المعلومات الواصلة الى البيت الابيض تنقل مباشرة على هذه الخرائط. وبالاضافة الى ذلك، تم تجهيز القاعة بعدد من العقول الالكترونية المتطورة تسمح بالاتصال الفوري بأية نقطة على الكرة الارضية، وبنظام اتصالات يعتمد الشيفرة بين البيت الابيض والبنتاجون ووزارة الخارجية.

كان الحاضرون الى جانب سكوكروفت وهاسّ: جون روبسون مساعد وزير الخزانة، روبير كيميت ممثلا جيمس بايكر، مدير وكالة الاستخبارات المركزية وليام وبستر ومساعده ديك كير، الاميرال ديف جيريميا مساعد رئيس الاركان، بول ولفيتزر من وزارة الدفاع."

اذن فإن الرئيس بوش لم يحضر الاجتماع المصيري بالنسبة للمصالح الأميركية إنما بقي في شقته حيث تصله المعلومات بالتدريج من المجتمعين في قاعة الاجتماعات. وكان آخر اتصال به في الساعة الحادية عشرة ليلا أي في السادسة صباحا حسب توقيت الخليج. ثم ذهب الى النوم بعد أن اعطى التعليمات المشددة لعقد اجتماع عاجل يحضره هو ايضا في الساعة الثامنة من الصباح. وتم اصدار القرار بتجميد كل الارصدة الكويتية والعراقية قبل استسلامه للنوم. فقرار التجميد يحتاج الى اتصالات عالمية مع كل دول العالم التي يمكن أن يوجد لديها أرصدة للدولتين.

بالطبع لايجوز لنا الجزم بما كان يدور في خلد الرئيس بوش حين ذهب للنوم. لكننا نلحظ حقيقة تفقأ عين التاريخ. فكل اجهزة المخابرات الأميركية ومعلقوها العسكريين قالوا له بأن الغزو واقع. ورأى الجنرال كولن باول، رئيس هيئة الاركان المشتركة أن اللحظة اضحت مناسبة ليتصرف الرئيس وليطلق تحذيرا رئاسيا الى الرئيس صدام من خلال القنوات الدبلوماسية. وحاول باول مع وزير الدفاع تشيني الضغط على البيت الابيض لاطلاق هذا التحذير فاصطدم برفض الرئيس بوش. ورغم كل ذلك ذهب الرئيس لينام قرير العين. ولانعتقده استسلم للنوم الا بعد أن تأكد من خلال المعلومات التي تصله من أن الرئيس صدام وقع في الشرك المنصوب له " وكسّر من الزجاج وجرح من المشاعر" ما اصبح يصعب

لحمه. وتأكد ايضا من أن أمير الكويت اصبح في مأمن بحيث سيمكن التأثير عليه بل ابتزازه خلال الاشهر المقبلة حسب المخطط المرسوم. ونذكر ايضا أن الطائرة العمودية التي يُقال انها نقلت الامير وبعض آل الصباح لم تأخذهم الى حاملة طائرات أميركية إنما الى المملكة العربية السعودية من أجل توريطها وادخالها في الشرك المنصوب لها سلفا فهي ستبدو تجاه العراق وكأنها حامية لخصم العراق.

خلال الليل واثناء غرق الرئيس بوش في النوم تم على جناح السرعة جمع مجموعة من الحقوقيين والمحامين العاملين في نطاق وزارة العدل في البيت الابيض دون أن يعرفوا سبب دعوتهم المفاجئة.[2] وبناء على طلب الرئاسة صاغوا نص وثيقة قانونية تشمل كل الاجراءات اللازمة لتجميد الارصدة العراقية والكويتية في الولايات المتحدة. وخلال اجتماعهم تم الاتصال بحكام المصارف المركزية في عواصم أوربا وآسيا " ليطلب منهم اتخاذ الاجراءات لتنفيذ تجميد الودائع في اسرع وقت ممكن قبل أن تبادر بغداد، بواسطة الحكم الجديد الذي نصبته في الكويت، الى اتخاذ مبادرات معينة. وكان حكام البنوك المركزية يصابون بالدهشة من هذا الاتصال الهاتفي الصباحي والعديد منهم علم بالاجتياح العراقي للكويت بواسطة مساعد وزير الخزانة نفسه.

في الرابعة و٤٥ دقيقة صباحا تم ايقاظ جورج بوش فقد كانت المستندات جاهزة للتوقيع وبالتالي للتنفيذ. وقد أعلن القرار بواسطة مكتب البيت الابيض الاعلامي.

بدأت فرنسا بتجميد الودائع الكويتية والعراقية. وحذت بريطانيا حذوها فيما يتعلق بـ ٤ر٥ مليار جنيه من ودائع الكويت في البنوك البريطانية وآثرت الانتظار حتى ٤ آب لتجميد الودائع العراقية[3] ."

ونحن نرى سببا آخر جعل لندن تؤخر تجميد ودائع العراق يومين آخرين . فالشركات البريطانية المتورطة في تصدير السلاح الى العراق لم تكن قد سحبت كل مستحقاتها منه . ولو تم التجميد على الفور لتأخر حصولها على مستحقاتها من الأموال العراقية .

قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ بادانة العراق

حيثيات أخذ القرار : لم نقرأ عن التوقيت الذي شرعت خلاله الدبلوماسية الأميركية في دعوة مندوبي الاعضاء في مجلس الأمن الى مركز الأمم المتحدة للاجتماع ثم لاتخاذ قرار يدين

---

٢ – نرجو الإنتباه الى فارق التوقيت بين منطقة الخليج وواشنطن الذي يبلغ ٧ ساعات.

٣ –سالنجر صفحة ١١٢

الغزو العراقي. ولكن سالنجر يخبرنا بأن جمع الشمل قد تم وحصل نقاش عنيف حول الموضوع ثم اتخذ القرار ٦٦٠ بادانة العراق في الساعة الرابعة والنصف من صباح ١٩٩٠/٨/٢ حسب توقيت واشنطن .

نص القرار ٦٦٠ لمجلس الأمن :

" ان مجلس الأمن،

إذ يشعر بالانزعاج الشديد لغزو الكويت في ٢ آب / اغسطس عام ١٩٩٠ من قبل القوات المسلحة العراقية.

وإذ يقرر ان هناك انتهاكا قائما للسلام والأمن الدوليين فيما يتعلق بالغزو العراقي للكويت،

وعملا بالمادتين ٣٩ و ٤٠ من ميثاق الأمم المتحدة فان المجلس:

١ – يدين الغزو العراقي للكويت.

٢– يطالب بان يسحب العراق فورا وبلا شروط جميع قواته الى المواقع التي كانت فيها في اول آب / اغسطس ١٩٩٠.

٣– يدعو العراق والكويت الى البدء في الحال في مفاوضات مكثفة حول تسوية خلافاتهما ويؤيد جميع الجهود في هذا الصدد، وخاصة تلك التي تبذلها الجامعة العربية.

٤– يقرر الاجتماع مرة أخرى حسبما يقتضي الامر لبحث مزيد من الخطوات للتأكد من التقيد بهذا القرار."

شارك في بحث نص القرار كندا، كولومبيا، ساحل العاج، اثيوبيا، فنلندا، فرنسا، ماليزيا، المملكة المتحدة والولايات المتحدة، وكانت نتيجة التصويت ١٤ صوتا مقابل صفر وامتناع اليمن عن التصويت.

لقد قررنا بدافع من استغرابنا للحيثيات التي رافقت صدور هذا القرار المصيري دراسة الكلمات التي ألقاها رؤساء الوفود قبل التصويت عليه وإقراره. فاستحضرنا البروتوكول الاصلي من هيئة الأمم المتحدة ذو الرقم S/PV.٢٩٣٢ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢ فلفت نظرنا عدد من الملاحظات. ففي كلمة ممثل الكويت حيث يشكو من العدوان العراقي ويطلب ادانته والانسحاب الفوري وردت جملة ذات معنى يفهمه من يقرأ ما بين السطور اذ قال:" نحن نتعاون مع الجميع ونمنح الجميع مساعدات، ونشارك خبزنا مع كل الدول الصديقة التي وافقت على التعاون الحضاري البناء." ونحن نرى في هذه الجملة اشعارا من طرف الكويت للدول الاعضاء باستعدادها للبذل والبذخ و" لتقديم المعونات" ان عاد الحكم الى آل الصباح .

ولا بد ان دولا كثيرة وسياسيين عالميين ومحليين عرفوا كيف يستفيدون من هذا الاستعداد ويحتلبونه احتلاباً.

وفي كلمة ممثل العراق نجد ما يفيد بشكل واضح باعترافه الصريح بكيان دولة الكويت واستعداده للانسحاب خلال ايام او اسابيع . وهذا الاعتراف يتعارض مع اعلانه ضم الكويت بعد اربعة ايام من تلك التصريحات العلنية الملزمة تجاه المجتمع العالمي .

ونلاحظ ايضاً وجود مشروع ادانة للعراق مدروس ومطبوع وجاهز منذ ما قبل الاجتماع . فالسيد بيكرينغ ، ممثل الولايات المتحدة اعلن في خطابه امام المجلس بقوله : " يسر الولايات المتحدة الأميركية المشاركة مع ثمانية دول من الاعضاء في مجلس الأمن في تقديم اقتراح لمسودة قرار ليتبناه المجلس فورا وفي هذه الليلة ". فمن هو الذي وضع رؤوس الاقلام لهذه المسودة ؟. ومتى وأين اجتمع مندوبو الدول التسعة وتناقشوا في مختلف نقاطها واتفقوا على صياغتها النهائية؟ ومتى اتصلوا بعواصمهم في انحاء المعمورة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا لأخذ الموافقة ؟. ومتى انطلقوا الى مركز هيئة الأمم ليكونوا على اتم استعداد لحضور الجلسة والقاء الكلمات والمشاركة في المناقشات وإدلاء الآراء ثم التصويت بحيث يُتخذ القرار في الساعة الرابعة والنصف من بعد منتصف الليل من ١٩٩٠/٨/١ أي بعد أقل من عشر ساعات من بدء الغزو؟.

ونلاحظ ايضا أن هجوم ممثل الولايات المتحدة على العراق لايبلغ شيئا اذا ما قورن بهجوم ممثل بريطانيا عليه. فقد اختتم هذا خطابه امام مجلس الأمن بالجملة التالية: " وأخيرا فإنني لااريد أن أعرب فقط عن الشعور بالخوف إنما اعرب ايضا عن الشعور بالاشمئزاز والتقزز أن يمكن حصول مثل هذا الشيء (الغزو) في عام ١٩٩٠ في المجتمع الدولي الذي نعيش ونتنفس فيه جميعا." نعم ! لقد وضع ممثل بريطانيا العظمى كل المفردات البلاغية التي ورثها عن شكسبير لإهانة وادانة العراق. ولكنه اصيب فجأة بالخرس والصمم إذ رأى ومازال يرى المذابح التي تستمر منذ عامين في البوسنة والهرسك ومنذ اقل من ذلك في الصومال. هذه هي القيم التي يدافع عنها ممثل بريطانيا وزملاؤه . تُرى ألم يهدف في الحقيقة من خلال دفاعه عنها الىعكس مضمونها اي الى سحق العمود الفقري لكل العالم الثالث ؟

دور مندوب اليمن المشبوه في القرار ٦٦٠ : ونلاحظ أخيرا أن مندوب اليمن لدى مجلس الأمن السيد عبد الله الأشطل بالرغم من استنكافه عن التصويت على القرار تولى الدفاع عن حقوق كل الدول بالسيادة والحرية تحت مظلة الأمم المتحدة مؤكداً أن رأيه هذا يخص الكويت كما يخص أية دولة أخرى في العالم.

ولكن اشد ما اثار انتباهنا اثناء مطالعتنا لمحضر جلسة مجلس الأمن هذه هو الانفصام غير الطبيعي في طريقة السيد عبد الله الأشطل في تعامله مع مجرى الجلسة .

لا شك في انه تصرف بالشكل المناسب حين دافع عن حقوق كل دول العالم بالسيادة والحرية تحت مظلة الأمم المتحدة مؤكدا ان رأيه هذا يخص الكويت تماما كما يخص اية دولة اخرى في العالم . واختتم السيد الاشطل كلمته امام مجلس الأمن ، حسب ما ورد في محضر الجلسة ، بقوله : " انطلاقا من المبدأ الذي يؤمن به اليمن فإنه يؤكد فضح وادانة كل اشكال التدخل في امور الدول الاخرى ومعارضة استخدام القوة بشدة وينادي بحل الخلافات سلمياً ويناشد العراق والكويت بالبدء فورا بالمفاوضات لحل مشاكلهم . "

ولكن حين جاء وقت التصويت على القرار غادر السيد عبد الله الاشطل القاعة وسُجل عليه غيابه . فهو لم يعترض على القرار ولم يوافق عليه ولم يمتنع عن التصويت وانما غاب وذاب كفص من الملح دون ان يستخدم حقه المشروع في طلب تأجيل التصويت لمدة ٢٤ ساعة كان يمكن ان يحدث خلالها الكثير او إعاقة حصول الكثير مثل الادانة في مجلس الأمن وفي اجتماع وزراء خارجية دول الجامعة العربية ايضاً.

نحن معه في شجب الغزو العراقي. ولكننا لا نستطيع الا الإعراب عن تساؤلنا الشديد في سلوكه الغامض الذي فتح باب الادانة على مصراعيه .

يحاول السيد عبد العزيز الدالي ، وزير الدولة لشؤون الخارجية اليمنية تفسير وتبرير تغيب السيد الاشطل فيقول : " لقد سألني بعض زملائي وزراء الخارجية العرب في القاهرة عن مبرر المندوب اليمني للتغيب عن التصويت على القرار ٦٦٠ ، مع العلم انه يمثل المجموعة العربية لا اليمن وحده ؟ " ويضيف الدالي : " ولقد اوضحت لهم ان مشكلة الاخ الاشطل انه يمثل المجموعة العربية ، والمجموعة العربية عند تصويت مجلس الأمن لم يكن لها رأي موحد ، واكبر دليل اننا ، وزراء الخارجية ، حتى الآن لم نصل الى موقف . وكان على الاشطل ان يتصرف بطريقة تعكس غياب القرار العربي ، وذلك بالغياب عن التصويت ، لأن الاشطل لا يستطيع ان يوافق ، ولا يستطيع ان يرفض ، لأن المجموعة العربية لم تتخذ قرارا بالموافقة او الرفض . كما ان الامتناع يعتبر موقفاً . وكان بامكانه ، ومن حقه ، ان يطلب تأجيل القرار اربعا وعشرين ساعة حتى يتم التشاور مع المجموعة التي يمثلها ، لكنه خشي ان يعتبر طلبه موقفاً يهدف من ورائه تعطيل القرار . ولهذا لم يجد امامه خياراً امثل سوى التغيب عن التصويت . وعند عودته الى مقعده في مجلس الأمن القى كلمة اكد فيها حرجه ، لان الموضوع المطروح يخص بلدين عربيين عضوين في الجامعة العربية والمؤتمر

الاسلامي ، ومهمته في مجلس الأمن تتعلق بالتعبير عن الموقف العربي المدافع عن المصالح العربية . ولكنه اكد في خطابه تمسك اليمن بميثاق الأمم المتحدة ، وبحق جميع الدول باستقلالها وسيادتها ، وان ذلك ينطبق على الكويت ، كما ينطبق على غيرها من الدول . كما اكد شجب اليمن لجميع اشكال التدخل ومعارضتها بشدة لاستخدام القوة لحل النزاعات . واخيرا ، دعا العراق والكويت الى بدء التفاوض لحل مشاكلهما في اطار الاسرة العربية المجتمعة حينها في القاهرة ."[٤]

نحن نرفض بشدة هذا التبرير اصلا وفصلا . ولا نستطيع فهم مغزى الجملة التي وردت في خطاب السيد الدالي والتي تقول :" لكنه خشي ان يُعتبر طلبه موقفاً يهدف من ورائه تعطيل القرار " فمن هو الذي بعث لديه الخوف ؟. وهل لم يميز بين " تعطيل " القرار وبين " تأجيله " وكيف يُمكن اعتبار خروجه من القاعة تعبيراً عن تغيب وجود قرار عربي ؟ ألم يكن من واجبه استخدام حقه المشروع بالتأجيل ريثما يزول " تغيب " القرار العربي ؟ لقد كان في تغيبه اتخاذ لموقفٍ واضحٍ لا لبس فيه ويحمل طابع التخريب ويهدف الى السماح " بتمرير " ادانة العراق الفورية متذرعا بعذر واهٍ لا يقبله العقل . اننا نفتقد وجود حسن النية في غياب السيد عبد الله الاشطل ولا نعتقده يتوافق مع رأي عاصمته صنعاء . اما ان كان قد تشاور مع عاصمته فتقع الملامة على من اوعز اليه بذلك . ونحن لا يسعنا الا ان نتساءل : هل كان لواشنطن في ذلك اي دور ؟

لقد خرج السيد الاشطل من القاعة فسمح بمرور جرعة السم الى منطقة الخليج، ثم عاد الى قيادة مجلس الأمن ليتحدث عن القيم وعن الواجبات وليلقي بكلامه الجميل غشاوةً على ما اقترفت يداه .

بعد هذه الملاحظات لاعجب اذن أن يثير هذا القرار لدينا تساؤلات مختلفة اهمها سرعة حدوثه. فمهما بلغ مستوى الاهتمام لدى ممثلي الدول الاعضاء في مجلس الأمن بما يحدث في الكويت لما تحمسوا لترك الامور التي كانوا منهمكين بها في منتصف الليل وما بعد منتصف الليل لينطلقوا الى مركز مجلس الأمن ويناقشوا الموضوع ثم ليتخذوا القرار. فلا بد أن بعضهم كان غارقا في النوم وبعضهم الآخر في سهرة هنا أو في دعوة هناك خارج المدينة. ونحن نرى أنه لولا رصد المباحث الأميركية لمكان تواجد كل منهم، ولولا اصرار الادارة الأميركية وحرصها على جمعهم بسرعة البرق لما اجتمعوا بتلك السرعة الميدانية ولانتظروا على الاقل الى الثامنة صباحا. فالرئيس بوش ايضا لم يكلف نفسه عناء الاجتماع

٤ -مأخوذ عن" ازمة الخليج وتداعياتها " صفحة ١٣٨

برجاله قبل ذلك التوقيت بالرغم من أن أهمية الحدث تنال مصالح بلده أكثر من اية دولة أخرى في مجلس الأمن. وتعليل السرعة واضح. إذ يجب أن تصدر الإدانة على الفور ليجد العراق نفسه مدانًا ومضطرًا للدفاع عن نفسه تجاه جبهة جديدة تتكون من إجماع العالم شبه الكامل ضده مما يحيّره ويثيره ويجبره على اتخاذ اجراءات متسرعة تؤدي الى تزايد غوصه في المهالك التي نصبها له البيت الابيض. وسبب آخر كان يوجب سرعة صدور الإدانة من مجلس الأمن ألا وهو أن يصبح مضمونها نبراساً لما سيكون على دول الجامعة العربية اتخاذه من قرارت.

هنا نعود للتذكرة بوجود متعلمين في الوطن العربي مصابين بعمى البصيرة لأنهم لايستطيعون ادراك مظاهر "الميوعة" و" التعامي" و "التغابي" و "التردد" الأميركي التي استمرت حتى آخر لحظة سبقت الغزو العراقي ثم انقلبت الى حسم صاعق يقصم الظهور ويقطع الرقاب بمجرد وقوع العراق في الفخ. نعم!. مازال ثمة اغبياء يرون أن السياسة الأميركية تعتمد على الصدف وعلى اتخاذ خطوات غير مرسومة سلفاً لوجود تضارب بين مختلف الاجهزة في واشنطن مما يشل القدرة على أخذ القرار. ولكننا نحتاط بقولنا الواضح أنه من الطبيعي عدم نجاح الولايات المتحدة في كل مأرب من مآربها.وهناك أمثلة ليست بالقليلة وليست بالبسيطة نوردها في مكان آخر من الكتاب . ولكن لايجوز لمن يريد الثبات في وجه مكر السياسة الأميركية الانطلاق من انها لا تحسن أخذ القرارات بعد تفكير عميق ومدروس .

الفصل العاشر

خطوات المملكة العربية السعودية بعد الاجتياح

الضغط الأميركي الكلي على المملكة

قبل صفحات تعرضنا لأول اجتماع عقده الرئيس بوش مع معاونيه الدبلوماسيين والعسكريين ، واوردنا الجملة المعهودة التي القاها على الصحفيين المعتمدين في البيت الابيض والتي كانت أول تصريح علني له حول الازمة والتي نكررها للتذكير وللاهمية: " اسمحوا لي بالقول أن الولايات المتحدة الأميركية تدين الغزو بشدة وتدعو الى انسحاب دون شروط. ولامكان لغزو عنيف وحشي كهذا في عالم اليوم. " وخلال الحوار مع الصحفيين قال الرئيس بوش ما ننقله عن ودورد : " نحن لاننافش التدخل" فسأله أحد الصحفيين : الا تنوي التدخل أو ارسال قوات؟" فأجاب :" انا لاانوي عمل ذلك." [1] وهذا الجواب الخطير لرئيس الولايات المتحدة يجعلنا نتساءل بقوة: كيف يمكن التوفيق بين موجة الغضب العارمة التي اصابت الرئيس الأميركي، والتعبير عن تصميم الولايات بعدم تقبلها استيلاء العراق على الكويت، ودعوة الجنرالات الى الاجتماع بما فيهم الجنرال المختص بمنطقة الخليج والذي زارها مرات عديدة خلال العام الذي سبق الغزو مع القول بأنه لاينوي ارسال قوات؟. إننا نرى أن الرئيس لم يذكر هذه الجملة إلا لطمأنة الرئيس صدام بأن واشنطن لن تتدخل وأن الحديث العاصف لايعدو مادة اعلامية للاستهلاك المحلي.

في هذا الاجتماع اقترح سنونو كما ذكرنا في مكان سابق على الوزير تشيني قصف العراق بطائرات ب ٢ التي لايلتقطها الرادار فأجابه بعدم وجود سوى طائرة واحدة تصلح للعمليات. وفي هذا الاجتماع" فوجئ" رئيس أكبر دولة بالعالم بعدم توفر أكثر من ٢٥٠٠ جندي لديه مستعدون للعمليات. وفي هذا الاجتماع ايضا قال الجنرال شوارزكوف : " ليس لدينا الخيار العسكري الجيد. لا رجال لنا في ارض المعركة." [2] ونشير هنا بقوة الى تعبير "ارض المعركة" الذي استخدمه الجنرال. أي أن المعركة لم تكن خيالاً بحتاً وإنما كانت في الحسبان. ثم تناولت المناقشات مسألة العقوبات الاقتصادية والسياسية التي يجب اتخاذها ضد العراق لارغامه على الانسحاب ثم عاد المجتمعون الى بحث الخطة الشهيرة باسم " تن أو تو "

---

[1] - ودورد صفحة ١٨٩

[2] -سالنجر صفحة ١٢٧

أي ٩٠/١٠٠٢ ليستنتجوا عدم امكان القيام بأي تدبير عسكري في ذلك الوقت. وهذا ما سبق لنا أن فندناه جملة وتفصيلا قبل عدة صفحات.

بعد ساعة من بدء الاجتماع اعطى الرئيس بوش تعليماته بدراسة كل الاحتمالات والخيارات العسكرية وتقديمها له بعد يومين أي في ٤/٨/ ٩٠. وانتهى الاجتماع بعد ربع ساعة أخرى جرى خلالها التشاور في موضوع ارسال وفد الى الرياض ليبحث معها موضوع تقبلها لنزول وانتشار القوات الأميركية هناك.

نلاحظ من مجريات هذا الاجتماع امورا ثلاثة. اولها استمراره لمدة ساعة وربع فقط بالرغم من أنه يعالج أمرا من أهم الامور الاستراتيجية والاقتصادية التي قد تصيب صلب المصالح الأميركية بخسائر جسيمة. ولو كان الغزو العراقي قد جاء فجأة دون أن يسبق للادراة الأميركية بحث الاستعدادت التي سيتطلبها الموقف لاستمر مثل هذا الاجتماع ساعات طوال. لذلك نرى أن قصر مدته يعود الى أن الامور التي عولجت فيه مدروسة ومبتوت بها في وقت سابق من ناحية المبدأ. وثانيها يتعلق بالاوامر التي اصدرها الرئيس بوش طالبا كل الخيارات والاحتمالات العسكرية لما يجري ولما يجب اجراؤه دون أن يتطرق أو يسأل عن اية احتمالات واقتراحات ومبادرات دبلوماسية تناشد أو تطالب الاطراف المتصارعة بالتروي بلهجة دبلوماسية مقبولة حسب الأعراف الدولية. فهل هذا موقف من يريد تجنب الحرب أم هو موقف رجل لايسعى الا الى اضرام الحرب. وثالثها يمس ادعاء واشنطن الساذج والضحل بضآلة الاستعدادت العسكرية الأميركية لمواجهة العراق. وهذا يشكل في راينا عجبا عجابا سبق أن تعرضنا لكثير من تفاصيله في مكان سابق ولكننا نوجزه فيما يلي ونتوسع فيما لم نذكره من قبل بوضوح. فأحداث منطقة الخليج المتفجرة والتي كانت تفرض على الولايات المتحدة الانتباه اليها ورصدها بحذر كانت معروفة للبيت الابيض والبنتاجون منذ اندلاع الحرب العراقية الايرانية. وكانت المخاطر في تصاعد متزايد باستمرار. بل كان للبحرية الأميركية مشاركات ذات اهمية فيها حين تولت تدمير القطع البحرية الايرانية وشاركت في ضرب وتدمير بعض الاهداف الاستراتيجية الايرانية. ومنذ تشرين أول /اكتوبر ١٩٨٩ عرف الجنرال شوارزكوف خلال احدى زياراته العديدة للكويت من اللواء مزيد الصانع، وهو رئيس أركان الجيش الكويتي بأن الخطر القادم على الكويت سوف يأتي من العراق. وقد كتب أن اللواء مزيد الصانع احجم في السابق عن التحدث معه عن الخطط للدفاع عن الكويت ثم يتابع:[٣] "ولما عدت في شهر أكتوبر (تشرين الأول) أخذني في جولة استطلاعية لمنشآته

[٣] -شوارزكوف صفحة ٨٧

العسكرية، ولم استطع أن أمنع نفسي من ملاحظة أن سائر المدافع الكويتية مصوبة شمالا نحو العراق، واخبرني الصانع الآن – على المكشوف- بأن العراق هو الخطر رقم واحد على الكويت، واوضح أن صدام قد فشل في احراز واحد من أهدافه الكبرى في الحرب مع ايران وهو استعادة منفذ الوصول الى الخليج العربي، وفي حين اعاد العراق سيطرته على شبه جزيرة الفاو فانه استكمل تدمير الجائزة التي سعى الى نيلها، فممر شط العرب المائي – الذي لم ينظف أبدا طوال فترة الحرب – حافل الآن بالطمي والسفن الغارقة وقنابل المدفعية التي لم تنفجر، بحيث يتعذر استخدامه لسنوات. والآن – أضاف الصانع مبتسما – بات العراق أكثر اعتمادا من ذي قبل على أم قصر، أي مينائه العسكري القريب من جزيرة بوبيان الكويتية، التي قد يعمد صدام حسين الى احتلالها. "

اذن فالكويت رصدت الخطر بنفسها ، وتوقعت الهجوم العراقي واعلمت المسؤولين العسكريين الأميركيين بشكوكها في وقت مبكر جداً . بل انها استعدت للدفاع بتوجيه اسلحتها نحو العراق .

ومنذ ٩٠/٧/١٧ رصدت المخابرات الأميركية التحركات العسكرية العراقية باتجاه الكويت. وخلال الايام التي تلت ذلك اكدت التقارير لواشنطن وللجنرال شوارزكوف بأن التجمعات العسكرية العراقية تمثل خطة حرب. وفي ٩٠/٧/٣١ تبلورت لدى واشنطن ولدى الجنرال شوارزكوف القناعة بأن الحرب اصبحت وشيكة. والمعنى الواضح لكلمة " وشيكة" هو انه لم يعد هناك شك في قرار العراق بالهجوم . فقط التوقيت لم يكن قد اتخذ بعد وانما بات وشيكاً .

وقبل احدى عشرة ساعة من الغزو عرفت واشنطن بأن الفرق المدرعة العرا قية فكت جنازير دباباتها واندفعت نحو الكويت مقتربةً الى مسافة ثلاثة اميال.

فهل يمكن أن نصدق أن هذا الكم من المؤشرات لم يجعل الرئيس بوش يستعد ويتحسب ويسأل من حوله عما يمكن تجهيزه وارساله حين يحصل الغزو؟

ولقد اجبنا ايضا في حينه بأن القوات الأميركية كانت قادرة ومستعدة لوقف أو تعطيل الغزو العراقي قبل أن يبدأ. وكانت في كل لحظة قادرة على التدخل فيما لو حدث أن سارت الامور في طريق يتعارض مع المخطط الأميركي المرسوم.

بعد ظهر الثالث من آب/ اغسطس افتتح الرئيس بوش اجتماعا لمجلس الأمن القومي اشترك فيه ريتشارد تشيني وبرنت سكوكروفت ومساعده ريتشارد هاسّ وكولن باول الذي أكد للرئيس أن الخيارات العسكرية سوف تكون جاهزة في الموعد المحدد صباح ١٩٩٠/٨/٤ [٤]

وفي الساعة السادسة من بعد ظهر ٨/٣ اتصل الرئيس بوش لأول مرة بعد الغزو بالملك فهد وحاول جاهدا اقناعه بأن صدام حسين، حسب المعلومات المتوافرة لديه سيتجه بعد الكويت الى السعودية [٥] وطلب من الملك أن يبادر بطلب المعونة الأميركية والسماح للقوات الأميركية بالانتشار في المملكة للدفاع عنها .فلم يستجب الملك فهد إنما اجابه بأن الامل مازال معقودا على جهود الملك حسين الرامية الى تحقيق انسحاب العراق ولعقد مؤتمر قمة في جدة صباح ٩٠/٨/٤. حينذاك طرح الرئيس بوش على الملك السؤال التالي:

" ولكن اذا ساءت الامور هل تقبل جلالتك بمساعدة عسكرية أميركية؟." لم يجب الملك بسرعة إنما تريث. ويتابع سالنجر وصف الموقف فيقول: " ظن بوش حين بقي الملك ساكتا على طرف الخط الهاتفي أن عطلا طرأ عليه أعاد السؤال أكثر من مرة الى أن اجابه فهد بنبرة مستسلمة: إذا ساءت الامور، نحن نقبل."

وبهذه الاجابة من الملك فهد اخترق الرئيس بوش واحدا من أهم الحواجز في مخططه الجهنمي.

حين كنا اطفالا كنا نقرأ روايات الجيب المشوقة التي كانت تأتينا الى دمشق من مصر. وفي احداها قرأنا ترجمة لكتاب "دراكيولا" لمؤلفه برام ستوكر، وشعرنا أثناء قراءته بالخوف الممزوج مع التقزز وعرفنا أن دراكيولا لايخاف إلا من النور ومن الثوم ومن الصليب. وعرفنا ايضا انه لايستطيع دخول بيت ليعيث فيه فسادا إلا اذا فتح له احد الابرياء من سكان البيت الباب أو الشباك بحسن نيةٍ وطيب.....ودخل الرئيس بوش الى الخليج.

موافقة السعودية على دخول القوات الأميركية

لم يلوح الملك فهد بالموافقة على رغبة الرئيس بوش بسهولة إنما بعد تردد وعلى مضض لتقديره الصحيح بأن دخول القوات الأميركية الى المملكة سيكون كريه الأثر على المواطن السعودي وعلى الرأي العام العربي والاسلامي. فالملك فهد دبلوماسي متمرس شارك

---

[٤] - سالنجر صفحة ١٣٧

[٥] -سالنجر صفحة ١٣٨

في مختلف الوظائف والمراحل السياسية منذ نعومة أظافره وتعددت جوانب نشاطاته وأمسك فيما أمسك بأهم جانبين منها: الاول هو الاشراف التام على ادارة المخابرات العامة لمدة ١٣ عاما بحيث اطلع على الظاهر والخافي من أي حدث هام [٦] ، والثاني هو ولاية العهد في فترة حكم الملك خالد مما مهد له ملء مكانة الملك بشكل تميز بالاستمرارية الهادئة بدون اي تسرع او ارتباك ودون الاضطرار المفاجئ لممارسة عمل جديد عليه. ويتصف الملك فهد بالتروي ومراجعة الامور فلا يتسرع في الحكم. ولكنه اذا اتخذ قرارا كان حادا كالسيف. وما أن تبوأ العرش وشعر بحجم المسؤوليات الضخمة التي تقع على عاتقه واكتشف أنه اصبح يشغل القمة التي يشار اليها بالبنان حتى استغنى عن تصرفات الشباب التي عُرفت عنه كما عُرفت عن الكثيرين من غيره واصبح يتصرف بشكل يتناسب ويتماشى مع المسؤولية التاريخية التي كتب له، أو عليه، أن يتحملها . لاشك في وجود لذة ساحرة وحلاوة لقيادة دولة كبيرة وتولي السلطة المطلقة فيها . ولكن الحلاوة تكون ممزوجة بمرّ كالعلقم ، مر المجازفة والمسؤولية والقلق من المجهول الذي يهز الشعور بالاطمئنان وينغص العيش ويشيب الشعر والشعور.

لاشك في أن الملك فهد يبقى من البشر ويبقى معرضا للخطأ وللصواب في قراراته. ولقد أخطأ التقييم في لحظات سنتعرض لها بعد قليل. ولكن علينا أن نحلل الجو العام الذي وُضع فيه الملك من قِبَلِ الخصوم الظاهرين، ونقصد الرئيس صدام حسين ، ومن قبل الخصوم الدهاة الذين يلبسون ثياب الصداقة، ونعني بالدرجة الاولى الولايات المتحدة الأميركية التي خدعته دون أدنى شك.

كان جواب الملك فهد الى الرئيس بوش ضروريا ولابديل له إن كان يحرص على استمرار الحكم السعودي على المملكة. فلو لم يجب بالايجاب لحمّله الرئيس بوش نتائج رفضه. ولانستبعد ابدا وجود تخطيط أميركي بديل يتابع الايحاء للعراق بالتقدم نحو المملكة لو لم يستجب الملك الى رغباتها.

ولما اعطى الملك بعد تردد كلمة الايجاب المبدئية والمشروطة كان يأمل في باطنه الا تتطور الامور الى ما يتطلب الانزال الأميركي . وكان الملك مستعدا للتضحيات المادية ولممارسة الضغط على آل الصباح للتساهل وللحد من تصعيد خطر الازمة.. لكن الرئيس بوش كان لأهداف الملك فهد المسالمة بالمرصاد ليجهضها بذات الطريقة التي اجهض بها مساعي الملك حسين. ولم تكن هناك طريقة لوضع الملك فهد في المكان الذي تريده له

---

[٦] – ودورد صفحة ٢٢٤

السياسة الأميركية أفضل من ان "تقنعه" بوجود تهديد جاثم ومباشر عليه وعلى المملكة من قبل العراق.

منذ اليوم التالي للغزو بدأت الصحافة العالمية تنشر الاخبار التي تصلها من وكالات الانباء الغربية عن وصول القوات العراقية الى الحدود السعودية والى دخولها المنطقة المحايدة مع السعودية وانتشرت التأكيدات بعد ذلك في ارجاء العالم بالاستناد الى الصور التي يُقال أن الاقمار الصناعية التقطتها. وفي تلك الاجواء انعقد الاجتماع الذي دعى اليه الرئيس بوش في الساعة الثامنة من صباح يوم السبت الواقع في ٩٠/٨/٤ وانفض خلال وقت قصير بعد أن تحدد موعد الاجتماع الثاني في ذلك اليوم نفسه في الساعة الثانية بعد الظهر وحضره برنت سكوكروفت وريتشارد هاس والجنرال كولن باول وجون سنونو ونيكولاس برادي ووليام وبستر بالاضافة الى وزير الخارجية جيمس بيكر الذي كان قد عاد من موسكو. وانعقد الاجتماع "في شاليه جدرانها من جذوع الأشجار المقشورة حول طاولة من السنديان بعد أن تخلى المجتمعون عن لباسهم الرسمي الصارم وربطات العنق وارتدوا ثيابا مريحة أكثر كما لو انهم جاؤوا لقضاء ويك إند طويل بمعزل عن أي ازعاج خارجي" [٧]. ودار النقاش حول الخيارات العسكرية دون بحث أي خيار دبلوماسي وقرروا وضع الخطة ١٠٠٢/٩٠ موضع التنفيذ .ولم يبق من عائق في سبيل التنفيذ الاالحصول على موافقة المملكة العربية السعودية بشكل رسمي. ولذلك تقرر ايفاد وزير الدفاع تشيني ومعه روبرت جيتس وهو الرجل الثاني في مجلس الأمن القومي الى السعودية يوم الاحد. وكان لابد من موافقة المملكة على استقبال الوفد. لذلك قامت واشنطن بالتمهيد لذلك من خلال حديث هاتفي بين الرئيس بوش والملك فهد يوم ٩٠/٨/٥ نقتبسه من سالنجر:[٨]

" الساعة الثامنة مساء كان الملك "يدردش" مع بعض مقربيه في حدائق قصره في جدة حين اجتاز أحد أعوانه العشب الاخضر واقترب بكل احترام منه:

– جلالة الملك، الرئيس الأميركي على الهاتف. كان بوش يتصل به من كامب ديفيد حيث كانت الساعة الواحدة بعد الظهر. والكلمات الاولى التي قالها لفهد كانت حرفيا تلك التي وجهتها له مارغريت تاتشر في آسبن قبل ذلك بيومين:

" –تعلمون، جلالتكم، إنه لن يتوقف... وأعلمه بآخر المعلومات التي تلقاها حول حشودات القوات على الحدود السعودية .بدا فهد مضطربا، هائما، ومستجيبا هذه المرة

---

[٧] – سالنجر صفحة ١٥٠

[٨] – سالنجر صفحة ١٥٦

لمقترحات الرئيس الأميركي أكثر بكثير من السابق. "حتى الآن، كما أكد أحد أعضاء البيت الابيض كان الخوف يشل العرب". أما اليوم فقد تحول هذا الخوف الى ورقة رابحة في استراتيجية بوش مع المملكة السعودية. وقد دامت المكالمة بين المسؤولين طويلا. لم يكن الجيش السعودي المؤلف من خمسة وستين ألف رجل يأمل بمجابهة قوة النار العراقية. وقوات بغداد التي حشدت على الحدود كانت كما أوضح بوش وحدات طليعية في وضعية هجومية وهذا ما بدا لاحقا أنه غير صحيح . كان لابد من جعل المملكة تفكر بالدفاع عن نفسها وواشنطن تستطيع تقديم الدعم العسكري المناسب. واقترح الرئيس على الملك فهد ارسال وزير الدفاع الأميركي "حاملا رزمة من تقارير أجهزة الاستخبارات تثبت خطر حصول اجتياح عراقي، مرفقة بخطط دقيقة تتعرض لامكانيات انتشار عسكري أميركي في نطاق مملكتكم". قَبِلَ فهد بمجيء رئيس البنتاغون ريتشارد شيني. غير أنه طلب من بوش استمهاله ٢٤ ساعة للتفكير قبل الموافقة على التواجد الأميركي. بدا جورج بوش إثر المكالمة أشد ثقة"

بدأت واشنطن عملية اقناع الملك فهد بضرورة قبوله للانزال الأميركي بكسب الامير بندر بن سلطان الى جانبها باقناعه هو اولاً بوجود خطر محيق يهدد السعودية من العراق. والامير بندر هو ابن سلطان شقيق الملك ووزير الدفاع، وثقة الملك بأبن أخيه جعلته يوكل اليه أهم سفارة في العالم واخطرها حيث كان يكلف بالمشاكل الصعبة وبرعاية العلاقات غير العادية حسب وصف ودورد له.

وينسب ودورد للأمير بندر ما نقتبسه بالحرف: " كان باول حذرا من بندر المختص في الحلول والعلاقات غير العادية، ففي مكتبه الذي يقع في سكنه المترف، أبقى بندر ١٥-٢٠ حقيبة تحتوي على تفاصيل عمليات خفية، وترتيبات سرية مع أفراد ودول. فبصمات أصابع بندر كانت فوق مسألة إيران - كونترا، وكان هو الوسيط مع ادارة ريغان مدبرا الخمسة وعشرين مليون دولار التي أثارت الجدل، والتي مولها السعوديون بشكل سري لكونترا نيكارغوا، وعمل ايضا مع مدير المخابرات المركزية في عهد ريغان ويليام كيسي لتدبير عملية اغتيال قائد ارهابي في الشرق الاوسط في بيروت بسيارة مفخخة. والتي بدلا من ذلك قتلت على الاقل ٨٠ من المارة وليس القائد الارهابي المقصود. ورتب ايضا عملية شراء ضخمة سرية لصواريخ ذاتية الدفع تبلغ ٣ مليارات دولار للسعودية من الصين. وعمل بندر ايضا بجد ليبقى على اتصال مع الاشخاص الخمسة الرئيسيين في الادارة - بوش وبيكر وسكاوكروفت وتشيني وباول. وهي مجموعة ليس لها مثيل في الانسجام السياسي من بين

إدارات الحكومة الأميركية . شعر الأمير بندر الى حد معين أن كل واحد من هؤلاء متعدد الأدوار، فهو رجل دولة، ومحارب، وسياسي، وكل شيء في نفس الوقت: دائرة داخلية مميتة قادرة على اللعب على أعلى المستويات السياسية. وكان يعتبر أن باول هو الاكثر حذرا." [٩]

ويؤكد ودورد على ترابط وتعاطف الامير بندر مع وجهات النظر الأميركية بل تحيزه لها. ويزيد من " قيمة " الامير بندر اثباته مرارا أنه على اتصال مباشر مع عمه الملك فهد في اي وقت.

كانت الخطوة الاولى في عملية الاقناع هي وضع تقارير المخابرات العسكرية عن اهداف العراق وعن تحركات الوحدات العراقية تحت تصرف الامير بندر والمملكة ودعم ذلك بصور الاقمار الصناعية التي لن تعجز التقنية الأميركية عن تلفيقها بالكامل لو شاءت. فمن هم الاخصائيون في العالم العربي الذين لهم من الدراية والخبرة في تقنية الاقمار الصناعية ما يجعلهم قادرين على التمييز بين التزييف والواقع ؟ وهل يصعب على قيادات الجيش الأميركي وجنرالاتها التأثير على الامير بندر بوضعه في حلقتهم ومخاطبته وكأنما هو الخبير الأكبر واقناعه بأن صور الاقمار الصناعية المطروحة أمام سيادته تدل على الخطر العراقي الكبير؟. نحن لانقلل من شأن الأمير بندر. فالاجماع متوفر على حدة ذكائه وتمرسه في الحقل الذي يجول فيه. لكن قناعتنا هذه لاتجيز لنا أن نضعه في صف الخبراء الذين لايمكن للخدع المصورة أن تنطلي عليهم. هذا ولقد تثبتنا نحن من خلال استقراء آراء عدد من الخبراء في أوربا بأنه من السهل خديعة قادة عسكريين عالميين إن تعمدت " مخابر صنع الصور" تضليلهم. فالخبرة لديهم تتعلق بقراءة الصور التي تطرح عليهم ولا علاقة لهم بصدق الصورة أو زيفها. ونضيف الى قناعتنا الشخصية التي استنتجناها ما نرى فيه اثباتا قاطعا آخر على تزييف الصور اذ لم تظهر اية حشود عراقية على الحدود السعودية أو في المنطقة المحايدة على صور الاقمار الصناعية السوفياتية لتلك المنطقة بالذات وبذلك التاريخ. ويكتب رامزي كلارك عن ذلك:

" وفي ٦ كانون الثاني ١٩٩١، قالت صحيفة " سانت بيترسبورغ تايمز" الصادرة في فلوريدا أن صورا من أقمار صناعية سوفياتية أظهرت عدم وجود قوات عراقية على حدود السعودية في ٨ آب، وهو اليوم الذي أعلن بوش نشر القوات الأميركية. وكلفت الصحيفة خبيرين في

---

[٩] -ودورد صفحة ١٧٩ . هذا ويقول رامزي كلارك عن الامير بندر : " وكان الأمير بندر اكثر تأييدا للغرب من معظم افراد العائلة السعودية المالكة ، وشارك في عدة مخططات أميركية سرية من بينها فضيحة ايران- كونترا " صفحة ٣٩ .

الدفاع بدراسة الصور التي كان بعضها قد التقط في ١١و ١٣ ايلول في الوقت الذي قدرت فيه وزارة الدفاع عدد القوات العراقيــة المحتشـدة فـي الكويـت بربـع مليـون والدبابـات بـ ١٥٠٠٠.
وكان أحد هذين الخبيرين هو بيتر زمرمان البروفسور في جامعة جورج واشنطن والذي عمل في وكالة الرقابة على الاسلحة ونزع السلاح في عهد ريغان. والخبير الثاني كـان مرجعـا فـي صور الاقمار الصناعية. ووجد الخبيران أن ماتحتويه الصور لايؤيد بيانات الولايات المتحـدة.
وأظهرت الصور الملتقطة في ٨آب/اغسطس تراكمات رمليـة خفيفـة علـى طـرق مؤديـة الـى الحدود السعودية من مدينة الكويت . وقال زمرمان : " تشير الصور بالتأكيد الـى أن أحداً لـم يستخدم هذه الطريق وأن العراقيين لم يهتموا بازالة التراكمات لتسهيل مـرور السيارات". أمـا التراكمات التي التقطت صورها في ايلول فكانت أعمق وأكبر، وقد كبرت بشكل طبيعي خلال شهرلعدم حصول اية حركة مرور عليها. وفيما اصبح للولايات المتحدة في ذلـك الوقـت ١٠٠ ألف جندي قال زمرمان:

لانرى أي شيء يشير الـى وجـود عسـكري عراقـي فـي الكويـت يتجـاوز ٢٠٪ مـن الحجـم الـذي تدعيـه الادارة. لـم نـر أيـة مـدن مـن خيـام"، ولاتجمعـات مدرعـة، ولاتحشـدات عسكرية. القاعدة الجوية الرئيسية في الكويت مهجورة. لقد مضت خمسة اسابيع علـى الغـزو.
ومما نراه فان القوة الجوية العراقية لم تنقل طائرة واحدة الى أهم قاعدة في الكويت. ولاتوجد أي بنى تحتية لاستخدامات عدد كبير من البشر والتي لابد من وجودها مثل حمامات.. وغذاء.
لكن أين هي؟!."

أما الخبير الثاني فقد قال هو الآخر: " ببسـاطة لـم أر مـا توقعت أن أراه. لابـد مـن وجود سواتر ترابية ودبابات بداخلها موجهة نحو مكان الهجوم .ولكنها غير موجودة.

كانت صور الاقمار الصناعية قصة كبيرة. فقد أظهرت أن حكومة الولايات المتحـدة كذبت لتبرير ارسال ٥٤٠ الف جندي الى السعودية لمهاجمة العراق. وعلى أي حال، فان أهـم الاجهزة الاعلامية رفضت تغطية القصة. والاشـارة اليهـا صحفيـا اقتصـرت علـى نبـأ صـغير ظهر في عدد ٣ كانون الأول في "النيوزويك" التي قـالت أن شبكة "ايـه. بـي. سـي" عرضـت الصور على الخبيرين المذكورين فـي تشرين الأول، ولكنهـا وجدتهـا "محيرة"، فقررت عـدم بثها. واتصل محررو "سانت بيترسبورغ تايمز" بوكالة سكريبس – هوارد الاخبارية، وبوكالـة الاسوشييتدبرس مرتين لنشر قصة الصور، لكن الوكالتين لم تبديا أي اهتمام.[١٠] "

---

[١٠] – رامزي كلارك صفحة ٤٠–٤١

ويؤيد ما استنتجه الخبراء ما جرى مع قوة الاستطلاع السعودية التي تم دفعها الى داخل الاراضي الكويتية بهدف محدد هو التحقق من وجود قوات عراقية . فقد تجاوزت الحدود الى داخل الاراضي الكويتية وعادت لتؤكد عدم وجود اية قوات عراقية او غير عراقية. ولذلك نذكّر بالاستشهاد الذي ذكرناه من سالنجر قبل صفحتين يتحدث بوضوح عن كذب الادراة الأميركية على الملك فهد.

وأخيرا نورد اقتباسا من هيكل يتناول موضوع وصول القوات العراقية الى الحدود السعودية فيكتب استنادا على الحديث الذي اجراه هو شخصيا مع الملك حسين:

" وصباح اليوم التالي ٤ أغسطس كان الملك " فهد" هو الذي يتصل بالملك "حسين"، وكان ثائر الاعصاب، وقد قال للملك "حسين" فور أن سمع صوته: " إنك كنت تحدثني أمس عن قبول الاخوان في العراق لفكرة عقد مؤتمر قمة مصغر، وعن قبولهم لمبدأ الانسحاب، وقبل قليل أبلغني "بندر" من واشنطن أن الاميركان اطلعوه على صور أقمار صناعية تكشف وجود قوات عراقية تتحرك في المنطقة المحايدة بين السعودية والكويت، وتقترب من حدود المملكة."

ورد الملك "حسين" بأنه " وقد رأى صدام حسين وسمع منه بالامس – يستبعد مثل هذا الكلام". ثم اضاف قائلا للملك "فهد" إنه " سوف يتصل على الفور بالرئيس صدام حسين ويسأله في الامر مباشرة.

واتصل الملك حسين فعلا بالرئيس "صدام حسين" وأخبره بما سمع من الملك "فهد". وابدى الرئيس العراقي دهشته، وكان أول تعليق له: " إن ذلك كلام غير معقول، فنحن وقعنا مع السعودية معاهدة عدم اعتداء وكان ذلك بناء على اقتراح مني شخصيا للملك فهد". ثم توقف الرئيس "صدام حسين" لحظة عن الحديث وقال للملك "حسين" : "انتظرني لحظة.. معي هنا الان رئيس أركان حرب الجيش العراقي وسوف أتحقق منه". وسمع الملك "حسين" على التلفون أصداء حديث يجري على الناحية الأخرى، ثم عاد اليه صوت الرئيس "صدام حسين" يقول له : " أبو عبد الله... ليست لدينا قوات عراقية على الاطلاق قرب المنطقة المحايدة أو قرب السعودية. وأقرب قوات لنا في المنطقة بعيدة بثلاثين أو أربعين كيلومترا عن أي نقطة سعودية. وقد طلبت الى القيادة العسكرية الآن، أن تحرص على ألا تقترب قوات العراق بأي حال من المنطقة المحايدة، وأن تظل على بعد خمسين كيلو مترا على الاقل من اقرب مركز سعودي. وتستطيع أن تنقل ذلك عني الى الاخ فهد وتطمئنه." [١١]

---

[١١] -هيكل صفحة ٤٠٠

بعد مجموعة القرائن نحن نصدق الملك فهد والملك حسين والرئيس صدام أكثر مما نصدق " الخواجة " الذي لايجوز الائتمان به ولا الركون اليه.

بعد ظهر الجمعة ٨/٣ وصل الامير بندر الى البيت الابيض وتحدث مع سكوكروفت الذي بدأ بتوجيه لوم الى المملكة العربية السعودية أن لم تجب بالايجاب على الاقتراح الأميركي بارسال سرب من طائراته ف – ١٥ الى السعودية كايماءة الى العراق للتحذير. فأجابه الأمير بندر بذكر موقف مشابه حصل قبل عشر سنوات خلال الثورة على الشاه في ايران. ففي ذلك الوقت طلب الرئيس كارتر الاذن بارسال سربين من طائرات ف – ١٥ احتياطا وتحسبا. فوافقت المملكة واقلعت الطائرات الأميركية في اتجاه السعودية التي وجدت في ارسالها دعما معنوياً وعملياً قوياً يؤكد الحرص الأميركي على حمايتها ، ولكن ما أن اصبحت الطائرات الأميركية في الجو في طريقها الى الخليج حتى أعلن الرئيس كارتر نفسه بأنها لاتحمل أي سلاح مما أحرج الموقف الرسمي السعودي وأصابه باحباط شديد إذ بدا وكأنما واشنطن تعبث به خلال ذلك الوقت العصيب. نذكر هذه الحادثة القديمة التي أوردها ودورد[١٢] لنستنتج امورا ثلاثة. فلماذا يبذل الرئيس كارتر جهودا دبلوماسية لاقناع السعودية بقبول استقبال أسراب الطائرات فيربكها بالقبول ثم لماذا يعيد ارباكها واحراجها " بسحب عصب القوة" الذي بدا خلف ارسال الطائرات فجعل من السربين مجرد طائرات خاوية لاترمز لأية قوة ؟ هل هي صدفة؟. وهل هي مجرد دليل جديد "للفوضى" التي تضرب اطنابها في البيت الابيض وبمن يسكن فيه ويتردد عليه ؟ نحن نرفض هذا التعليل ونرى انه لاشك في أن الرئيس كارتر حين ارسل الطائرات مع الاعلان عن ذلك كان يسعى نحو هدف ثابت ومحدد . فلو كانت الطائرات غير مسلحة فلماذا يحرج نفسه أو يكلف نفسه جهد اعلان ذلك فيخسر مصداقيته تجاه السعوديين؟ ولماذا لم يكتف بطي وطمس الموضوع وعدم التعليق عليه ؟.ومن هو الذي ضغط عليه ليفضح السر؟ إن المنطق يثبت وجود هدف هام آخر سعى وراءه الرئيس كارتر واراد لهذا الخبر أن يصل الى فئة أخرى يُراد لها أن تطمئن. وتبلغ أهمية هدف الرئيس أن جازف من اجله بمصداقيته تجاه السعوديين . ولنتمكن من توضيح السبب الذي جعل الرئيس كارتر "يتراقص كالبهلوان" في تصريحاته نحدد المنطق الذي ننطلق منه وهو قناعتنا بأن الولايات المتحدة هي التي اعطت الضوء الاخضر آنذاك لاسقاط الشاه لأنه رفض أن يجازف بدخول الحرب الاستهلاكية مع العراق والتي أدت فيما بعد الى انتقال

---

[١٢] –ودورد صفحة ٢٠١ –٢٠٢

مليارات الدولارات من حسابات دول الخليج الى خزائن باعة السلاح. وفي هذا الشأن يكتب السفير البريطاني السابق في طهران انتوني بارسنز عن عدم تهور الشاه:

" كرجل يصنع القرارات السياسية كان الشاه مزيجا مدهشا من الجرأة والانتهازية والحذر. وكان العامل الجلي في حساباته إظهار قوة ايران وعظمتها. ولكنه نادرا ما يقدم على المجازفة دون وجود ضمانات معادلة ومعوضة. كان يدعم ثورة الاكراد في العراق عندما كانت تحقق نجاحا وتصرخ وسائل إعلامه بصوت عال باقتدار الجيش الايراني الوصول الى أبواب بغداد خلال أربع وعشرين ساعة، ولكن ما أن انهارت مقاومة الاكراد في شتاء ١٩٧٤، وواجه احتمال الدخول في حرب سافرة مع العراق حتى تخلى عن الاكراد وعقد اتفاقية مع اعدائه اللدودين في العراق، وهي اتفاقية تخدم المصلحة الايرلنية الوطنية بشكل جوهري." ١٣

وبدا ارسال الطائرات الحربية الأميركية الى السعودية خلال عملية اسقاط الشاه وكأنه تحذير للمعارضين الايرانيين بضربة تصيبهم إن استمروا بالمطالبة بكل السلطة وانهاء عهد الشاه بشكل نهائي. وهذا التهديد كان سوف يدفعهم لتقبل الحل الوسط الرائع الذي كان قد قبل به الشاه بموافقته على عدة اصلاحات جذرية والعودة الى دستور ١٩٠٦ الذي يحدد سلطاته. فلو امكن انقاذ حكم الشاه مقرونا بالاصلاح الديمقراطي لما قامت الحرب العراقية الايرانية من جهة ولاستمرت النهضة الايرانية التي تبناها الشاه والتي لاتتمناها الولايات المتحدة لأية دولة من دول العالم الثالث. ولذلك كان من الضروري استئصال " المخالب المخيفة" من ارسال الطائرات فاعلن الرئيس كارتر بأنها خالية من أي تسليح. فاطمانت المعارضة الايرانية وتابعت طريقها لاجتثاث عهد الشاه من جذوره.

ونستنتج ايضا من الحادثة أنه بمجرد ظهور ما يدعو للقلق في ايران ، أي على الجانب الأبعد من الخليج قررت الولايات المتحدة ارسال القوة الى السعودية تحسبا لأي طارئ غير محسوب. أما في احداث الخليج الراهنة حيث فقأت التدابير العسكرية العراقية اعلاميا وواقعيا عين كل متشكك في حصول الغزو فلم تقترح الولايات المتحدة على الرياض ارسال اية قوات إلا بعد أن وقع المحذور.

واخيرا نستنتج من هذه الحادثة وما تبعها حرص الولايات المتحدة على نشر قواتها في الخليج. فلقد أعرب الأمير بندر عن قلقه من أن تشرع السياسة الأميركية في توريط المملكة بدفعها لاتخاذ مواقف متشددة مع العراق ثم تتركها الى مصيرها تجاه عراق قوي

١٣_ كتاب "الزهو والانهيار" تأليف انتوني بارسنز- ترجمة نجدة الشواف ص ٤٠

وقادر. ويذكر ودورد الحوار بالحرف على لسان الامير بندر الذي خاطب سكوكروفت فقال: " بصراحة نحن قلقون، فهل تملكون الجرأة أم لا ؟ لاتريدكم أن تمدوا يدا ثم تسحبوها وتتركونا مع هذا الشخص على حدودنا" [١٤] فبدد الجنرال سكوكروفت مخاوفه وأكد على جدية أميركا في حماية السعودية، ولكنه طلب منها أن تعلن عن جديتها ايضا بقبول القوات الأميركية في أراضيها. وتكتمل هذه المسرحية بدخول الرئيس بوش على الامير بندر والجنرال سكوكروفت قائلاً: " بأنه منزعج لأن الكويت لم تطلب المساعدة الا قبل نصف ساعة أو ربما دقائق من الغزو العراقي وقال أنه كان خائفا من أن السعوديين الذين ربما يكونون الضحية القادمة على قائمة صدام سيطلبون المساعدة بعد فوات الاوان ايضا. وعندئذ فلن تستطيع الولايات المتحدة المساعدة" .[١٥]

قبل أن نتابع حوار الامير بندر مع الرئيس بوش نتساءل عن معنى الجملة التي تلفظ بها الرئيس عن أن الولايات المتحدة لن تستطيع المساعدة. فماذا كان الرئيس يهدف من هذه الجملة سوى تهديد الملك فهد بأن مصير كل العائلة السعودية اضحى على كف عفريت؟. وهل كانت الولايات المتحدة عاجزة حقا عن سحق القوات العراقية وطردها واعادة الشرعية الى الحكم حتى ولو استولت على كل اراضي السعودية؟. ونلاحظ ايضا اعتراف بوش بأن الكويتيين طلبوا المساعدة قبل بدء الغزو بنصف ساعة . وهذا ما يتناقض مع تصريحات الشيخ سعد. فما هي الحقيقة ؟ وأين نجد مجرد إشارة وجهتها واشنطن الى العراق بألا يتجاوز الحدود ؟ ونعود الآن الى متابعة ما كنا فيه :

لدى سماع الأمير بندر للجملة التي قالها الرئيس كرر ألم السعوديين الممزوج مع سخريتهم من طائرات ف – ١٥ غير المسلحة التي ارسلها الرئيس كارتر واجهض مفعولها الاعلامي قبل أن تصل الى السعودية. عندئذ ".. بدا بوش متألما لأنه أحس أن هناك بعض الشك وأن السعوديين يشكون في تصميمه واعتبر تلك التساؤلات اساءة لشخصه وقال : اخيرا اعطيك كلمة شرف بأني سأنفذ هذا الامر معك." ويتابع ودورد سرد أحداث تلك المسرحية فيقول : " شعر بندر بأن شعر رأسه يقف: رئيس الولايات المتحدة يقسم بشرفه الشخصي أما ناظره وعلى مسمعه."

نحن نرى أن الرئيس الأميركي لم يلق بكلمة الشرف هذه جزافا لأن مخططه الاصلي لم يكن يهدف إلا الى تلك الحرب. ولم يشكل الحوار مع الامير بندر إلا الخطوة

١٤- ودورد صفحة ٢٠٢

١٥ - نفس المرجع

الاولى للحصول على موافقة الملك فهد على طلب القوات الأميركية. فتخمر القناعة لدى الامير بندر سوف يعبد الطريق لاستجابة امراء آخرين من العائلة السعودية بحيث يؤثر المجموع على الملك فيصدر قرار الموافقة الذي سوف يصعب التراجع عنه. واستمرت عملية غسيل الدماغ في واشنطن فجرى في وقت متأخر من ذات الليلة في مجاهل البنتاجون اطلاع الامير بندر على آخر صور الاقمار الصناعية "البالغة السرية" كما يصفها ودورد.

تجاه هذه السرية البالغة لهذه الصور لايسعنا إلا أن نبتسم ونتساءل عن السبب الذي يجعلها كذلك؟ ومن هو المقصود على وجه الارض من حجب هذه الاسرار العميقة عنه خشية أن يستفيد منها؟. إن كان المقصود هو العراق فهو أعلم بأماكن تواجد قواته وبأهدافها، ولاحاجة به لصور الاقمار الصناعية للتحقق منها. والعراق يعرف بأن الاقمار الصناعية الأميركية والسوفياتية ترصد حركات جنده لحظة فلحظة. فلماذا تلك السرية إن كان الاعلان عنها وفضحها هو الذي يحقق المصالح الأميركية؟. لذلك نظن أن هذه التعابير وامثالها وادخال الامير بندر الى "دخاليج ومتاهات " البنتاجون المظلمة والسرية ليست سوى جزءاً من عملية تمويه لإظهار الاهمية الممنوحة له ليسطع اشعاع انبهاره فيصل مفعول ذلك الإنبهار الى عاصمة بلاده والى الملك فهد بالذات.

استقبل وزير الدفاع تشيني الامير بندر بعد ذلك وكرر على مسامعه تأكيدات الرئيس بوش على مدى الجدية التي تمنحها الولايات المتحدة لتهديدات العراق والدفاع عن السعودية (وهذه الجدية هي التي افتقدناها كليا حيال حكام الكويت) وأردف تشيني أن اميركا تستطيع ارسال طائرات "لتقصف بعض القنابل على رأس صدام ولكن هذا سيجعله مجنونا ، وهذا لن يحل أية مشكلة حقيقية. الحل هو القوات البرية"[١٦] ويتابع ودورد على ذات الصفحة:

" كان تشيني يعرف بأن بندر يستطيع الاتصال المباشر مع السعودية تلفونيا، وكان على وشك الذهاب الى هناك للتحدث مباشرة مع الملك ، لذا أراد التأكد من أن السفير قد فهم القصد بوضوح. ولتأكيد المشكلة التي يواجهها السعوديون، قام تشيني وباول بإصدار نسخ من صور الاقمار الصناعية التي تظهر الفرق المسلحة العراقية الثلاث التي قامت بالاندفاع المبدئي في الكويت، كانت إحداها تتحرك عبر الكويت نحو الحدود السعودية، وكان يمكن للاخريات أن يتبعنها، ومازالت فرق عراقية أخرى تأخذ مواقعها خلف الوحدات المسلحة بنفس الطريقة التي اتبعتها قبل يومين من غزو الكويت ، تتابع الفرق كان مثل سيف تتجه مقدمته نحو المملكة التي بدت في خطر كبير.

[١٦] - ودورد صفحة ٢٠٦

احتاج باول عشر دقائق لتلخيص خطة العمليات ٩٠-١٠٠٢ وملاحظة أنها تضمنت أربع فرق وثلاث حاملات طائرات وأسراب هجوم عديدة، وسمح لبندر بإلقاء نظرة على الكتاب الكبير والذي فيه الخطة شديدة السرية، والخرائط التي تظهر تحركات القوات بمرور الاشهر.

وقال: " تلك قوة كبيرة"، فسأله بندر : " كم العدد الذي تتحدث عنه؟".

قال باول:" من ١٠٠,٠٠٠ الى ٢٠٠,٠٠٠ في المسرح".

يجذب انتباهنا من هذا الاقتباس الجملة التي تخبر عن أنه سمح للامير بندر بالقاء نظرة على الكتاب الذي يحوي الخطة شديدة السرية والخرائط التي تظهر تحركات القوات خلال الشهور. فالقسم الاول من هذه الجملة يذهب بنا الى ماذكرناه قبل قليل عن الهيبة والسرية الشديدة التي تم التضحية بها على مذبح الامير بندر. أما القسم الثاني فيثبت ما قلناه سابقا بأن الخطة ٩٠/١٠٠٢ لم تكن نائمة في لحظة من اللحظات إنما كانت خاضعة للمراقبة المستمرة ويجري تحديثها وتطويرها حسب مقتضيات السياسة الأميركية شهرا فشهر. أي أنه كان يمكن تنفيذها دون أخذ اذن أحد في أية لحظة لو كان الهدف الأميركي هو الدفاع عن الكويت أو لو تطلبت المصالح الأميركية ذلك.

واستسلم الامير بندر أمام الادلة "المفحمة" التي تسنى له الاطلاع عليها كأول غريب يصل الى تلك الاعماق في البنتاجون ووعد بأن ينقل الى جلالة الملك فهد والى والده وزير الدفاع صورة عما رأى. ويحدثنا ودورد عن مجرى الحديث فيكتب:

" اتصل بندر مع الملك فهد لإخباره، أراد فهد أن يتأكد بأن التهديد من العراق كان حقيقيا، فقد كان كلاهما يعرف بأن الكويت قد تأخرت في طلب المساعدة من الولايات المتحدة لكن الكويتيين شكوا في أن التهديد العراقي كان يستخدم كتضليل لإحضار القوات الأميركية الى ترابهم.

دعمت صور الاقمار الصناعية مسألة أن المملكة كانت في وضع خطير وأخبر بندر فهد أن التهديد كان حقيقيا.

سأله فهد: "هل رأيت بأم عينيك، هل رأيت الصور؟!." فأجاب بندر :" نعم يامولاي".

فقال فهد:

"إذن أخبرهم أن يأتوا ويحضروا الصور معهم".[١٧]

١٧- نفس المرجع

في اجتماع ٩٠/٨/٤ الذي نوهنا عنه تحدث الرئيس بوش مع معاونيه عن وضع القوات العراقية وعن حجم القوات التي سوف تلزم للدفاع عن السعودية مكتفية بعملية "ردع". وتبين للمجتمعين أن موضوع الردع سوف يحتاج الى قوات تبلغ ٢٠٠ – ٢٥٠ ألف جندي من الجيش والبحرية وسلاح الجو. وسوف يحتاج تأمين ذلك ١٧ اسبوعا. اما لو كُلّفت القوات الأميركية بطرد صدام حسين من الكويت فسوف يحتاج الى ثلاثة أو أربعة أضعاف العدد وسوف يستغرق الاعداد لذلك ٨ – ١٢ شهرا.[18]

ترى هل نبتسم أم نبكي دمًا من هذه الارقام ؟. وهل من صفاقة تثبت مدى سخرية الأميركيين من سذاجة أو بلاهة العرب اجمعين ابلغ من مضمون تلك الارقام. فلو تعرض بترول الخليج حقا لأخطار من الكتلة الشيوعية فهل كانت الولايات المتحدة ستنتظر ما يزيد عن شهور أربعة لتحضير عملية ردع؟. وهل كان جهابذة التفكير العسكري الأميركي يتوقعون حقا أن يعطيهم العدو الشيوعي منديل الأمان على مدى ١٧ اسبوعا ريثما يحضرون عملية الردع؟.

نحن لانشك ابدا في أن الإعداد المذكور لهذه القوات، والفترات الزمنية اللازمة لتجهيزها وارسالها وانتشارها لايعدو اعطاء اشارات مسبقة لعرب الخليج عما سينتظرهم من مصاريف مالية تقدر بعشرات المليارات من الدولارات ومضافا اليها حجم الاعباء الاجتماعية التي عليهم تحملها من استقبال الاعداد الضخمة من الجيوش البرية على اراضيهم لتلك الفترات الطويلة.

يورد ودورد ملاحظة الجنرال شوارزكوف عن الحرب الجوية التي جرى بحثها لالحاق الهزيمة بالعراق فيكتب:

" قال شوارزكوف : " أنا لست مدافعا عن القوة الجوية فقط". ولكنه أضاف: – "وهنالك أربعة عوامل ترجح الهجوم الجوي . **الاول:** أن العراق بيئة غنية بالاهداف. ومن السهولة رؤية الأشياء. **ثانيا:** العراق ليست له خبرة في العمل تحت الهجمات الجوية التي يمكن أن تؤدي الى فوضى وعدم انتظام ، فخلال حرب الثماني سنوات بين إيران والعراق، لم يكن للايرانيين قوة جوية كبيرة، ولذلك فالعراقيون كانوا معتادين على العمل تحت أجواء صافية. **ثالثا** : لدينا ذخائر معقدة وذات دقة أفضل من قبل، **رابعا:** يمكن أن يكون هناك تاثير

---

[18]– ودورد ص ٢٠٨–٢٠٩

معنوي كبير على العراقيين في المؤخرةالذين لـم يتعرضـوا للخطـر السـابق ". واضـاف ولكـن ليست هنالك ضمانات".[19]

ومما يدعم مصداقية رأي شوارزكوف ما حصل فعلا في الحرب فيما بعد. فلمـا بلـغ التدمير في العراق حدوداً مؤلمـة جدا، وقبل أن يتحـدث الاعـلام الحديـث عن قـرب الهجـوم البري أعلن الرئيس صدام عن استعداده للتراجع وأوضـح عن نيتـه بالانسحاب مـن الكويـت. ونحن نعيد ذلك الى يأس العراق من حصول الهجوم البري الذي كان يتوقع منـه إلحـاق الاذى الأكبر بالقوات الأميركية مما يوقع الكثير مـن الضحايـا التـي سوف ترسل فـي التوابيـت الـى أميركا. ووجد العراق أن استمرار الدمار الوحشي سيكلف العـراق أكثر مـن الايجابيـات التـي يتوقعها من وصول التوابيت فقرر التراجع. وحصـل مـا حصـل مـن دعـم الاتحـاد السـوفياتي لاحلال وقف اطلاق النار . لكن الرئيس بوش رفض ذلك. بل رفض منح العراق فرصـة يـوم واحـد مـن الهـدوء ليبدأ بالانسـحاب. واستمرت الغـارات الجويـة بشراسـة أكبر وكأنمـا يـراد استهلاك اكبر كمية من الذخائر والاسلحة قبل وقف النار من أجل زيادة الفواتير التي سـيجري تقديمها لقادة الخليج. لقد استسلم العراق للواقع الأليم وادرك متاخرا بأنه لن يتاح له التحام بري مع القوات الأميركية إلا بعد أن يكون قد انهار من خلال اوسع غارات جوية شهدتها البشـرية منذ اختراع الطائرة. ولم يبق ثمة حاجـة للهجـوم البـري علـى الاطـلاق، ولكـن الرئيس بـوش اصر على استخدام نصف مليون جندي الذين حشدهم فـي البـر لأكثر مـن سـبب أهمهـا فيمـا نرى عدم ترك أية حجة للرأي العام العالمي وللمؤرخيـن حيـن يبينـون أن العمليـات البريـة لـم يكن لها مبرر على الاطلاق . وسبب آخر هو ان الولايات المتحدة لم تخطط للشروع بهـا إلا حين يؤول الموقف العسكري على الجبهات الى أن يتمكن الجندي الأميركي من التنزه الآمـن على أرض المعركة مع العراق وهو أضعف من أن يقوى على المقاومة أو الحراك.

لاشك في أن الولايات المتحدة كانت قادرة على انجاز هدفهـا العسـكري فـي هزيمـة العراق من خلال العمليات الجوية التي تستمر على مدار الساعة ومن خـلال السيطرة الجويـة التامة على كل متر مربع من ارض المعركة بالاضافة الى اسلحة الصواريخ. وهذا هو التدخل الذي كان يتوقعه الكويتيون منذ بدء الازمة مع العراق. لكن توقعاتهم كـانت شيئا بينمـا كـانت الاهداف الأميركية شيئاً آخر كليا . ولم يكن تصور السعوديين خلافا لذلك فـي بـادئ الأمـر. فخلال الحديث الهاتفي بين الرئيس بوش وبين الملك فهد فــي أوائـل ايـام الازمـة اكتفـى الملـك

[19] – ودورد صفحة ٢١٠

بطلب ارسال قوات جوية فقط مع بعض المعدات. ولكن الرئيس بوش رفض الإقتصار على ذلك الطلب .

انطلق الامير بندر باتجاه الشرق الاوسط ليضع كل ما سمعه وشاهده تحت تصرف الملك. هبط أولا في الرباط حيث زار والده الامير سلطان الذي كان يقضي فترة نقاهة اثر عملية اجريت له في ركبته فشرح له الموقف الراهن في واشنطن واعلمه عن طلبات الأميركيين ثم تابع رحلته الى المملكة لشرح الموقف وللتواجد هناك حين يصل الوفد الأميركي الى جدة حيث سوف يسعى الى اقناع الملك فهد بضرورة طلب المساعدة الأميركية والسماح لقواتها بالانتشار في الاراضي السعودية. وما كاد يصل الى المملكة حتى لاحقه سكوكروفت بالمخابرات الهاتفية ليحثه على العمل. وقال ودورد عن ذلك " اتصل سكوكروفت مع بندر الذي كان قد عاد الى السعودية. كان مستشار الأمن القومي يشعر بضرورة نجاح ارسال فريق رفيع المستوى الى هناك، فإنه إن فشل سيكون ذلك بمثابة دعوة لصدام ليغزو. وسيظهر بشكل قاطع للرئيس العراقي أن الولايات المتحدة والسعودية ليستا متفقتين، وبأن السعوديين لايريدون مظلة حماية أميركية."[20] من ذلك نرى ونتحقق من ممارسة واشنطن لحملة من الضغط الاعلامي والنفسي على اصحاب القرار في السعودية لاجبار الملك على رؤية الاوضاع من ذات الزاوية التي تريدها واشنطن. وهذا ما لم يحصل تجاه آل الصباح على الاطلاق.

بعد عودة الرئيس بوش من اجتماعه مع مساعديه للامن القومي الذي عقد في جو الاسترخاء في كامب ديفيد توجه الى مراسلي الصحافة العالمية ليجيب على اسئلتهم. وكان الجنرال كولن باول يتابع هذه المقابلة على التلفزيون فلفت نظره سؤال من مراسل وجواب الرئيس بوش عليه. ونحن نقتبس من ودورد السؤال والجواب مع تعليق باول عليه:[21]

" فسأله أحد الصحفيين "هل ستتحرك عسكريا؟" فاجاب والغضب واضح عليه: لن أناقش معك ماهية خياراتي، ولكنها واسعة جدا، أوكد لك ذلك . لقد كذب العراق مرة أخرى: قالوا بأنهم ينوون الانسحاب اليوم، ولكن ليس لدينا دليل على ذلك، وعندما أصر عليه الصحفيون أجاب بوش بحدة إنتظر فقط، راقب وستعلم. وقال مشيرا بإصبعه وقد بدا عليه التوتر، أنا أنظر بجدية وتصميم للرد على ذلك الاعتداء، هذا لن يدوم؛ لن يدوم هذا الاعتداء على الكويت.

---

[20] - ودورد صفحة ٢١٦

[21] -ودورد صفحة ٢١٨

قال باول لنفسه: آه. ان الرئيس الآن وبشكل واضح قد وضع هدفا جديدا ليس فقط لردع هجوم عن السعودية والدفاع عنها ولكن للقيام بغزو معاكس لغزو الكويت ايضا. أصيب باول بالصدمة لأنه لم تتم استشارته....

ولم يُعط باول الرجل العسكري رقم واحد أي فرصة ليعرض تقييمه وهذه العبارة القاضية [التي قالها بوش]كانت أكثر مما توقع باول من بوش. فقد تعجب من التغيير الكبير الذي حصل مع بوش في ثلاثة أيام، وبالنسبة لباول بدا الامر وكأن الرئيس لديه ست مسدسات في كلتا يديه يطلق النار منها بسرعة."

لم يكن الرئيس بوش دقيقاً حين ادعى بأن العراق لم يشرع بسحب وحدات من جيشه من الكويت. فالعراق شرع حقا بتنفيذ عملية انسحاب رصدها المراسلون العالميون وشاهدناها نحن في الاذاعات والتلفزيونات الاوربية حين كنا نجلس متشنجين وراء اجهزة الاعلام من مرئية ومسموعة ومكتوبة. واعترف بحصولها القائم بالأعمال الأميركي جوزف ويلسون. ولكن العراق اوقف تنفيذها ! ويصف ذلك البزاز ويوضح لماذا اوقفت عمليات الانسحاب فيكتب:[٢٢]

" وحرص العراق على أن يكون انسحاب الدفعات الاولى من قواته في الكويت علنيا وامام مرأى المصورين التلفزيونيين والصحفيين، وأعطت هيئة الاركان العراقية تعليماتها لانسحاب اول عشرة آلاف جندي عراقي من الكويت في الساعة الحادية عشرة من صباح الاحد ١٩٩٠/٨/٥. أي نحو عشر القوات التي كانت قد عبرت الى الكويت حتى ذلك التاريخ. وصدرت تعليمات تالية بسحب عدد مماثل من الجنود بعد أربع وعشرين ساعة من انسحاب الدفعةالاولى، لكن تسارع الاحداث بعد زيارة وزير الدفاع الأميركي ديك تشيني الى السعودية واجتماعه مع الملك فهد الذي اعطاه موافقة رسمية على انتشار القوات الأميركية في المنطقة، ثم مكوث الجنرال نورمان شوارزكوف في السعودية بصفته قائدا لعملية درع الصحراء، فضلا عن الغاء اجتماع القمة الخماسي الذي كان مقررا في جدة جعل العراق يلجأ الى ايقاف عملية الانسحاب، في انتظار الغامض والمجهول من احداث مرتقبة."

لا نستطيع تقبل هذا التفسير العراقي لوقف الانسحاب دون مناقشة الحجج العراقية التي تقول أن إخلاء الكويت كان سيسمح للقوات الأميركية بمهاجمة العراق من الأراضي الكويتية مباشرة. فلو استخدمنا ذات المعايير " الديالكتية" التي يستخدمها العراق لوجدنا أن

---

[٢٢] – البزاز صفحة ١٠٤-١٠٥

القوات الأميركية ما كانت لتهجم من حدود فيها قوات دفاعية عراقية متمركزة وقادرة على صد الهجمات الأميركية وعلى إنزال خسائر مؤثرة بالأرواح، وإنما كانت ستنقل أرض المعركة الى محاور يصعب على العراقيين الدفاع عنها. وربما تلجأ الى خطط أخرى لا يحتاج الأميركيون فيها الى الزجّ بقواتهم البرية في أية معركة . وهذا ما حصل فيما بعد تقريباً. ونستخلص من مناقشتنا هذه أن استمرار سحب القوات العراقية من الكويت كان سيحرج الأميركيين أكثر من وقفه، وسيؤثر على مسار القمة العربية بشكل يمنح العراق فرصة إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

بعد تأكيدات الامير بندر للملك فهد بالخطر العراقي الذي يهدد المملكة والذي " توثق" من خلال تقارير المخابرات الأميركية وصور الاقمار الصناعية طلب الملك فهد ارسال وفد أميركي ومعه الصور وحرص في بادئ الأمر على أن يكون مستوى افراد الوفد منخفضا لتفادي الضغط الذي سوف تجري ممارسته على قراره. وشرحنا من قبل كيف حرصت واشنطن على اجهاض رغبة الملك بالاصرار على ارسال اكبر "عيارات "لديها بدلا من ارسال رجالات من الصف الثاني. وتكون الوفد من ديك تشيني وزير الدفاع، والجنرال ٤نجوم شوارزكوف، وبوب جيتس من مجلس الأمن القومي، وبول وولفتزر السكرتير السياسي الثاني للبيت الابيض، وبت ويليامز الناطق الرسمي للبنتاجون وشارلز فريمان السفير الأميركي في السعودية الذي يتكلم العربية، وخبير من المخابرات المركزية (CIA) من مركز الترجمة الضوئية .ولم يقبل الملك فهد بهذا الوفد الضخم إلا على مضض.

من يقرأ ودورد اعتبارا من الصفحة ٢٢١ من كتابه لايطلع فقط على تفاصيل اللقاء بين الوفد المذكور وبين الجانب السعودي إنما يجد اثباتا على أن اللقاء تم التحضير له وعومل وكأنما هو تمثيلية مسرحية يراد اخراجها بدقة للوصول الى مآربهم. ولفت نظرنا جملة تصف رجل الـ (CIA) المرافق للوفد والذي كان يمسك بآخر صور الاقمار الصناعية السرية للغاية ويلتصق بها " وكأن الحقيبة مرتبطة جراحيا مع ركبتيه" [٢٣] فممن كان يخاف هذا "الممثل"؟. وعلام يخاف إن كانت اصولها محفوظة في حرز امين لو ضاعت؟. وهل يخشى تسرب مضمونها إن كان يراد اصلا عرضها على الآخرين وافشاء محتوياتها عليهم؟.

في الساعة الواحدة من بعد ظهر الاثنين السادس من آب/ أغسطس وصل الفريق الأميركي الى جدة ولكن الاجتماع مع الملك لم يتم إلا في الليل لأن الملك كان مشغولا

---

[٢٣] -ودورد صفحة ٢٢١

باستمزاج مختلف الاراء وعلى الاخص رجال الدين في موضوع قبول انزال القوات الأميركية على اراضي المملكة.

في اجتماع المساء تواجد مع الملك ستة من الوزراء ومن العائلة المالكة وتولى الامير بندر مهمة الترجمة بين الجانبين. ولو شئنا تلخيص المفيد مما جرى في تلك الجلسة في بضعة نقاط لأحصينا على الجانب الأميركي ما يلي:

١- اقناع الجانب السعودي بوجود خطر جاثم يتهدد المملكة وباحتمال هجوم العراق خلال ٤٨ ساعة.

٢- ضرورة البدء الفوري بانزال القوات الأميركية على مراحل لأن وجودها على ارض المملكة سوف ينذر العراق قبل أن يفكر بالهجوم بينما الانتظار قد يدفعه للعدوان.

٣- إذا لم يوقف الرئيس صدام عند حده يصبح أكثر قوة وتهديدا.

٤- الولايات المتحدة جادة في الدفاع عن المملكة.

٥- الولايات المتحدة قادرة على ردع صدام حسين بالرغم من قوة وضخامة الجيش العراقي. وخاصة إن شاركت القوات السعودية في العمل.

٦- بعد انتهاء الخطر سوف تعود القوات الأميركية الى بلادها.

ونلخص نقاط الجانب السعودي بالنقاط التالية:

١- سبق للولايات المتحدة أن ساعدت المملكة أثناء الحرب مع اليمن أيام الرئيس جمال عبد الناصر.

٢- المملكة لم تسبب المشكلة الراهنة إنما سُببت لها من قبل الرئيس صدام الذي يكذب ويصرف نقوده على التسلح بدل انفاقها على رفاهية شعبه.

٣- يصبو الرئيس صدام الى ماهو أكثر من الكويت ويرتكب اخطاء فاحشة بسبب الغرور الذي يتملكه.

٤- اذا تعاونت المملكة مع الأميركيين فلن تفعل ذلك للاعتداء على أحد إنما دفاعا عن النفس.

لو شئنا التعليق على موقف الطرفين المتفاوضين لادركنا استمرار الضغط النفسي الهائل الذي مارسه الأميركيون من موقف القوة العظمى على السعوديين الذين يعيشون في موقف القلق. فهم "مهددون خلال ٤٨ ساعة وربما يصبحون في المنفى مثل الكويتيين إن تأخروا في طلب المعونة كما تأخر الكويتيون. هذا هو ما بثته واشنطن في آذانهم ." اما الموقف السعودي فكان يعبر عن وجل حقيقي من المستقبل القريب المجهول وعن استسلام لا يخلو من التردد لرغبة الولايات المتحدة التي لن "تنسى العيش والملح" ولن تخذلهم . وتميزت

كلمات الملك فهد التي انتقدت الرئيس صدام بخلوها من الحقد الذي يقطع الجسور بين الطرفين. وأكد الملك بشكل لايقبل الشك والتاويل بأن بلاده لن تكون منطلقا للعدوان على أحد.وهذا ما لم يتم التقيد به على الاطلاق.

ويصف ودورد الدقائق الأخيرة من الاجتماع فيكتب:

" بعد ذلك التفت فهد الى حاشيته وسأل:" هل هناك تعليق لأي منكم؟ وجرى حوار نشيط بالعربية بين الملك وولي العهد الامير عبد الله، ولم يترجم بندر. وفي الجانب الأميركي السفير فريمان هو الذي فهم الذي قيل فقط. وقال فهد : " يجب أن نفعل ذلك، الكويتيون انتظروا، ولقد انتظروا أكثر من اللازم. لم يعد هناك كويت."

رد عبد الله "بلى ، لازال هناك كويت".

أجاب فهد: " نعم، وجميع الكويتيين يعيشون في غرف فنادقنا".

بعد ذلك التفت الملك الى تشيني، واستمر بندر في الترجمة:" السيد الوزير نحن موافقون على المبدأ، لنؤمن بالله ونفعل ما يجب فعله، وسندخل بالتفاصيل. وأضاف الملك:" أنا لا أهتم بما يقوله الآخرون ، أهم شيء هو الاستمرار في حماية بلدنا مع الامريكان، ويجب إحضار بعض الناس من بلدان عربية أخرى من أصدقائنا أيضا".

قال تشيني: " أعتقد بأن ذلك سيكون ممتازا".

قال فهد: " حسنا جدا، بعضهم قال في الماضي إنهم جاهزون وراغبون، وبعضهم من بلدان صديقة لكم ولنا مثل مصر والمغرب".

قال تشيني:" أنا مسرور جدا لموافقتكم على خطتنا" أما الملك فقد قال" بأنه لم يكن لديهم سعة من الوقت فهم قد واجهوا أخطارا مفاجئة، وقال بأن الذي يحتاج لأن يتم بسرعة ، يجب عمله حالاً...

قال الوزير بأنه سيعود الى واشنطن في الحال لإطلاع الرئيس على نتائج لقائه وقال : "وسيتفق الجنرال شوارزكوف مع المسؤولين لديك على التفاصيل، وسنترك خلفنا فريقا، فمن الافضل عمل ذلك، لأنه كلما تم انجاز العمل بسرعة كان ذلك أفضل، وسأبلغ الرئيس - الذي سيحرك القوات في الحال.[٢٤]

وبالحصول على موافقة السعودية تجاوز الرئيس بوش عقبة كأداء في مخططه، وفي ذات الوقت ضاقت السلسة التي تطوق القرار العراقي من اجل الحفاظ عليه داخل الفخ.

---

[٢٤] - ودورد صفحة ٢٢٨-٢٢٩

كان الرئيس بوش مجتمعا مع السيدة تاتشر حين وصله خبر موافقة السعودية فأوعز على الفور لتبدأ ماكينة ارسال القوات الأميركية بالعمل السريع لأن تواجد القوات الأميركية في السعودية سوف يفاجئ العراق ويصدمه وسوف يؤدي الى تصلب موقفه مما يضيق السلسة التي تحيط بقراره عدة حلقات اخرى. وبالفعل ما أن علم الرئيس صدام بنزول القوات الأميركية في المنطقة الشرقية من السعودية حتى اوقف الانسحاب وقلبه الى ارسال المزيد من القوات كما رأينا من قبل.

انطلق الوزير تشيني من السعودية الى القاهرة وتحدث الى الرئيس حسني مبارك عما حدث في جدة ثم حصل على موافقته على مرور حاملة الطائرات النووية "يواس اس ايزنهاور" في ذات الليلة من قناة السويس الى البحر الاحمر. ووافق الرئيس مبارك بعد تردد على ارسال قوات مصرية للدفاع عن السعودية. ومن القاهرة طار الوزير تشيني الى الرباط بناء على طلب الرئيس بوش وهناك اطلعه ايضا على ما أنجز ثم تابع رحلته الى واشنطن ليصلها في الساعة السادسة من صباح الاربعاء ٩٠/٢/٨ أي قبل ثلاثة ساعات من موعد خطاب الرئيس بوش الى الشعب الأميركي والى العالم. وفي خطابه أصر الرئيس بوش بحزم وجزم على الانسحاب الفوري والكامل وغير المشروط لجميع القوات العراقية من الكويت ولكنه أكد بوضوح "بأن مهمة قواتنا هي دفاعية بالكامل، ونأمل بأنه لن تتم الحاجة اليها طويلا، (افراد قواتنا) لن تبدأ بالاعتداء ولكنهم سيدافعون عن انفسهم وعن المملكة العربية السعودية واصدقاء آخرين في الخليج."[٢٥] وعلى ذات الصفحة يؤكد ودورد وعد الرئيس الأميركي في مؤتمره الصحفي في مساء ذات اليوم على" أن المهمة العسكرية ليست في اخراج العراقيين من الكويت".

اننا نستطيع تصور المرارة التي اصابت قلوب قادة الكويت في الصميم حين أهمل الرئيس بوش موضوع تحرير بلادهم تماما واكتفى بمطالبة العراق بالخروج. ولم يعرفوا آنذاك شيئا عن باطنية الرئيس الأميركي الذي كان يخطط للهدف الأكبر والبعيد والذي لايسمح له بالالتفات الى اهتمامات ومشاعر الكويتيين إلا بالقدر الذي يتناسب مع مصالحه.

ونحن لانرى في تأكيدات الرئيس على المهمة الدفاعية لقواته إلا خطوة مكيافيلية خطيرة. فهي غير ملزمة بأي عمل ثابت ولكن يمكن تفسيرها على انها وعد موجه الى العراق ليطئمن الرئيس صدام الى أن قواته لن تُهاجم. وربما استنتج الرئيس العراقي من هذه " التطمينات" استمراراً ضمنيا للضوء الاخضر الذي حصل عليه سابقا ولاحتمال تقبل الولايات

---

٢٥ - ودورد صفحة ٢٣٣

المتحدة لاستيلائه على الكويت. صحيح أن التصريحات نددت بالغزو بحد ذاته ولكنها وعدت بألا تستخدم القوة لمقاومته. ونعتقد أن الرئيس صدام فسّر اللهجة القاسية في التنديد الأميركي على انها بضاعة لابد منها للاستهلاك العالمي ولاستهلاك حكام الخليج ولاستهلاك الشعب الأميركي الطيب والمسالم والذي يخشى ويكره مشاهدة الشباب الأميركي يعود الى الوطن ضمن التوابيت كما كان عليه الامر أثناء الحرب في فيتنام. هذا وإن "الادانة" يتوقف مفعولها عند حد "الادانة" دون أن تتبعها بالضرورة اعمال عسكرية لتعيد الامور الى نصابها قبل حصول العدوان. أما "الوعد" بعدم مهاجمة القوات العراقية فيعني اعطاءه منديل الأمان." والوعد" ملزم لرجل مثل رئيس جمهورية أول دولة في العالم. أما الادانة فهي تخلو تماما من كل مضمون ملزم. فلا عجب اذن أن لم يشعر العراق تماما بحجم الكارثة التي سيقع فيها. لقد اسهمت تأكيدات الرئيس بوش في تخديره فلم يقدر الظرف حق قدره ولم يتصرف في مفاوضاته العربية التي سندرسها على الصفحات التالية من موقف العارف بأنه مُستهدف إنما استمر في انطلاقه من موقف القوي الواثق من أن الامور سوف تسير في آخر المطاف لصالحه، أو من أن الامور على الاقل لن تسير بما سيلحق بالعراق ذلك الاذى الكبير.

لابد لنا في هذا المكان من بحث نقطة حساسية الشعب الأميركي تجاه ضحاياه في فيتنام وتجاه الصور الكئيبة والمحزنة للتوابيت الواردة الى الوطن على متن الطائرات. فنحن لانستطيع هضم الاسطورة التي تقول أن منظر التوابيت المحتمل سوف يجعل الولايات المتحدة تحجم عن دخول معارك تؤدي الى موت اعداد من الجنود الأميركيين. فعملية جرانادا وبنما وليبريا تكلفت ارواح شباب أميركي أكثر بكثير مما تكلفته حرب الخليج إذا وضعنا نسب القوى المشتركة في المعارك ومدة العمليات العسكرية في الحسبان. بل إن عدد القتلى الأميركيين المطلق خلال العمليتين لايقل كثيراً عن الضحايا الأميركيين في كل حرب الخليج. وحين نفذت القوات الأميركية العمليتين المذكورتين لم تسأل شعبها ولم تسأل حلفاءها ولا الأمم المتحدة عن آرائهم إنما انقضّت كالقدر الغدار وقبضت على نورييغا وهو رئيس دولة مستقلة تعاملت معه الولايات المتحدة لسنوات طويلة ، واختطفته الى اراضيها وحاكمته وحكمته وأودعته غياهب السجن غير عابئة بأية قيمة من القيم الدولية والاخلاقية التي ترفعها على راياتها. وحين وصلت توابيت القتلى من المعركتين الى الوطن الأم أصيب السواد الأعظم من الاعلام الأميركي بالخرس ولم ينشرها على الملأ الا في حدود جد محدودة.

إن التذكير بعقدة فيتنام هو وهم ضخمته اجهزة الاعلام لتضع في يد العراق ظلا زائفا لورقة رابحة. فالعراق كان يجمع ضمن قائمة التساؤل عن احتمال وقوع الحرب أوعدمه

مختلف المؤشرات والقرائن التي تقول بحتمية قيام الحرب وتلك التي تنفي احتمال قيامها. وسوف نتعرض لها في حينه. وكانت نقطة خوف الشعب الأميركي وحساسيته تجاه تكرار مآسي فيتنام وكرهه لمشاهدة التوابيت تؤيد الرأي بأن الحرب لن تقوم.

ولاولئك الحالمين الذين كانوا يظنون بأن المعركة مع العراق ستشبه حرب فيتنام وستستمر وقتا طويلا نقول: لقد امتدت الحرب الفيتنامية السنوات الطويلة لأن نصف الكرة الارضية الشيوعية على أقل تقدير كان يدعم فيتنام. وكانت حدودها الشمالية المشتركة مع الصين وبالتالي مع الكتلة الشيوعية مفتوحة على مصراعيها لتصل الامدادات والذخائر دون رقيب وبلا انقطاع. وكان يمكن دعم الشباب الفيتنامي بمقاتلين من الصين في الخطوط الخلفية وربما الامامية ايضا دون أن يمكن كشف ذلك. وكانت ارض فيتنام مليئة بالغابات الكثيفة التي تعيق نجاح التقنيات الأميركية في اصابة أهدافها. أما العراق فكان مكشوفاً مثل راحة الكف، ومحاصراً كاحاطة السوار بالمعصم ولاتقف معه عملياً أية دولة على هذه الارض. ولقد تناولنا ذلك في مقالتنا التي تحمل عنوان: "حرب أم مجزرة" . لذلك نميل الى نفي حجة التوابيت وعقدة فيتنام أو نقلل من تأثيرها الحقيقي الى حجم صغير جدا لامفعول له ويبقى هدف الرئيس بوش الاول من تاكيداته انه اراد الهمس في اذن العراق واقناعه بأنه سيأمن جانب الولايات المتحدة. فإذا صدق العراق ذلك استمر في اخذ الموقف المتصلب المؤدي الى الكارثة.

هذا وإن طمأنة العراق تجعله يحجم عن مجرد التفكير في مهاجمة القوات الأميركية المتوافدة بالتدريج لانزال الخسائر بها. فلحظات التوافد والتمركز تعتبر من اضعف اللحظات الدفاعية لاية قطعة عسكرية. ولكن لما اكتمل "النصاب" واصبحت قوات التحالف مستعدة للتصدي لأية مفاجآت عراقية كشرت القيادة الأميركية عن انيابها وقلبت الخطة من درع الصحراء الى عاصفة الصحراء.

هل شكل العراق تهديدا للسعودية ؟

قبل متابعتنا للاحداث نريد أن نتدارس مع القارئ حقيقة وجود تهديد عراقي للسعودية. ترى هل أراد الرئيس صدام الهجوم على السعودية حقا؟ لن نعتمد في تحليلنا على كلمة نعم أو لا يطلقها أي مسؤول عراقي ملتزم بسياسة بلده العليا وإنما سنستقرئ مع القارىء الوقائع والقرائن المتوفرة لنستنبط بعدها الاجابة الاقرب الى الفكر والمنطق :

حين غزا العراق الكويت تسلح بثلاثة " اسلحة " رئيسية يحوي كل منها مضمونا يمكن اتخاذه ولو تجاوزا أو على مضض كذريعة للغزو من ناحية المبدأ. وانطلاقا من توفر المضامين الثلاثة مجتمعة ظن العراق أن رد الفعل العالمي والعربي لن يتخذ طابع الاندفاع والعنف والرفض الجازم ، وتوقع أنه سيستطيع التهام الكويت في لحظة مناسبة تتشابك خلالها المصالح العالمية وفي غفلة من غفلات التاريخ. وفيما يلي نعدد الاسلحة الثلاثة :

السلاح الاول هو القول بأن الكويت هي جزء من العراق. إذ يوجد من النصوص والخرائط والاتفاقيات ما يؤيد ذلك بقوة مع ملاحظة وجود قرائن في عكس ذلك ايضا. ونحن نؤكد على رفضنا لفكرة الغزو انطلاقا من هذه الحجج لأسباب كثيرة . ولكننا نذكر أن هذه الذريعة التي كانت من أهم الأسس الجدلية التي بنى العراق ضم الكويت اليه عليها.

والسلاح الثاني هو الاذى الذي كانت تلحقه الكويت بالاقتصاد العراقي من خلال زيادة الضخ خارقة الاتفاقات المعقودة بين دول الاوبك.

والسلاح الثالث هو موقف الكويت المتشدد من الديون التي مُنِحت للعراق اثناء حربه مع ايران ومن القرض الذي طلبه العراق والذي أوصل الطرفين الى قمة الغضب في مؤتمر جدة الفاشل.

كل هذه الذرائع اجتمعت الى الاضواء الخضراء التي لوحت بها واشنطن والتي تحدثنا عنها من قبل والتي وصلت الى آذان القيادة العراقية. وقد تحدد ضمن تلك الاضواء الخضراء" الخلاف الحدودي مع الكويت" لدى السفيرة غلاسبي و"الخلاف مع الكويت" لدى جون كيلي . أي أن الضوء الاخضر سيسري مفعوله على "ابتلاع" العراق للكويت فقط. فيما لم تصدر عن أي مسؤول أميركي اية اشارة يمكن للعراق أن يفسرها على انها استعداد الولايات المتحدة لتقبل أي اختراق عراقي لما هو خارج حدود الكويت.

ونضيف الى الذرائع العراقية التي اجتمعت مع الاضواء الخضراء الأميركية مؤشراً ثانوياً آخر ولكنه لا يخلو من وجاهة . فقد توقع العراق شماتة جيران الكويت اذا سقطت وسقط معها آل الصباح. هذه الشماتة تنطلق في الواقع من الحسد أكثر مما تعتمد على الواقع. فالكويت تفوقت على الخليجيين الآخرين في الوصول الى المكانة العالمية العالية وسبقت من يحسدها منهم .

اما تجاه السعودية فلا يتوفر لدى العراق اية ذريعة من التي ذكرناها ، بل إن المؤشرات والقرائن تثبت بما يقطع الشك بأن العكس هو الصحيح. فقبل بروز المشاكل مع الكويت عقد الرئيس العراقي اتفاقية عدم اعتداء مع السعودية. ونحن نرى انه عقدها تحسبا

لمثل هذا اليوم ليشعر السعوديين بأنهم ليسوا بمستهدفين . وتميزت قروض وعطاءات السعوديين للعراق اثناء الحرب مع ايران بخلوها من اية شروط. بل إن بعضها كان يُمنح دون طلب ودون أن يسجل كقروض. وموقف الملك فهد في منحه للمليار العاشر اثناء مؤتمر جدة يحوي في معناه كثيرا من الايجابية بصرف النظر عن قيمته العددية. وأخيرا فإن المملكة لم تشارك في عملية زيادة الضخ التي سببت للعراق الخسائر والاذى. فهل يعقل أن يهاجم الرئيس صدام حسين جارته السعودية بدون اية ذريعة معقولة يتخذها سببا، وبغياب اية ارضية من الخلاف والنزاع بعد أن مدت له يد العون في ساعة الشدة دون تمنين وأحجمت عن ايذائه، ووقعت معه معاهدة عدم اعتداء ؟ قد يكوّن الانسان أي رأي عن الرئيس صدام حسين وعن فرديته وعنفه. وقد يتهمه البعض بمختلف الاتهامات من ديكتاتوية أو قمعية او دموية. بل إننا نميل الى تصديق ذلك ايضا . ولكننا نرى لديه حيزا كافيا من الفروسية يمنعه من مهاجمة السعودية التي حافظت على الود. والعراقي شهم في طبعه، فإذا أحب تفانى.[1]

وبالاضافة الى كل ذلك كان العراق على مايبدو يأمل بالتوصل الى تفاهم مع المملكة العربية السعودية على حساب المشيخات والامارات "الفراطة" على ساحل الخليج. ونجد لدى البزاز قرينة شديدة الوضوح دون أن تبلغ حد التوثيق. فهو يكتب:

" لقد كان من مصلحة السعودية أن تلجأ الى التفاهم مع العراق، لا التصادم معه، بحيث يعيد البلدان رسم الخارطة السياسية لمنطقة الخليج، لكن ذلك المستوى من التفاهم لم يكن ممكنا أن يتحقق الا في حالة اسقاط عامل التأثير الأميركي على القرار السعودي، والتداخل بين السياسات التي اختارتها الرياض والسياسات التي رسمتها واشنطن لحاضر المنطقة ومستقبلها. وكان يمكن تخيّل صورة وضع اقليمي مختلف عن الوضع الذي كان قبل الثاني من آب ١٩٩٠ تقوم العلاقة فيه على التفاهم بين كتل جديدة في اطار مجلسي التعاون العربي والخليجي،... برغم ما كان سيترتب على ذلك من تصدع في الجدران المحيطة في تركيا وايران اللتين كانتا ستقاومان الخارطة البديلة للمنطقة." [26]

---

[1] – لقد اطلعنا لدى البزاز صفحة ٦٥–٦٨ على نص المكالمة الهاتفية بين الملك فهد والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في ١٩٩٠/٧/٩ التي قد يعتبرها البعض من المسؤولين العراقيين سبباً لتعكير الأجواء بين العراق والسعودية وقرأناها باحثين عن نقاط فيها تؤدي الى العداء فلم نجد اثراً لأي شيء من هذا القبيل . ونحن لا نعتقد بأن اي حديث بين رئيسي دولتين عربيتين يخلو من مثل مضمون هذه المكالمة او مما هو اكثر من ذلك بكثير .

[26] – بزاز صفحة ٢١٣

ويؤكد البزاز في ذات المكان على توفر وحدة رأي وفكر بين العراق والسعودية في انزعاجهم من الكويتيين إذ يكتب:

"استغرب العراقيون ما اصاب السعودية من هلع لحظة عبورهم الى الكويت.. التي طالما تقاسموا مع السعوديين كراهية حكامها. ولاينفي المسؤولون السعوديون انهم ضاقوا ذرعا من مواقف آل الصباح خاصة عندما يتعلق الامر بتذكير أولاد سعود بأن اجدادهم كانوا لاجئين لدى آل الصباح في مطلع القرن العشرين، وأنهم مدينون لمضيفيهم، ناهيك عن تحفظ السعوديين على محاولات الكويت إظهار تجربتها طليقة من النفوذ السعودي، سواء في قبول قيام برلمان منتخب أم صحافة كانت أقل تقيّدا من سواها في منطقة الخليج، يعمل فيها كتاب وصحفيون ممن عرف بعدم ولائه للسعودية. وتضاعف التعقيد في العلاقة بعد واقعة الانفجار في مدينة (مكة)، سنة ١٩٨٩، التي أتهم كويتيون بتدبيرها، ثم قيام الشرطة السعودية بالتسلل الى الكويت واختطاف المتهمين ونقلهم الى الرياض لمحاكمتهم ثم اعدامهم . وما اكثر ما اشتكت بغداد والرياض لدى بعضها البعض من الكويتيين..وكان لكل منهما، للعراقيين والسعوديين، اسبابهما في عدم الارتياح ممن يحكم في الكويت."

وحرصاً على الامانة في ابداء الرأي نشير الى ان البزاز يعبر في كتابته عن التفكير الذي كان موجوداً لدى القيادة العراقية . ولكن لا يجوز سحب هذا الرأي على التفكير السعودي بدون قيد او شرط وخاصة فيما يمس اعادة تقسيم مناطق الخليج . بالطبع لا يجوز لنا اهمال ميل مؤسس المملكة الأول الى توحيد كل الجزيرة العربية تحت سلطانه ولا يجوز التستر على نفور العائلة السعودية من بعض تصرفات مشايخ الخليج . ولكن الملك عبد العزيز عرف حدوده في الوقت المناسب وشاهد يد بريطانيا العظمى ترتفع في وجهه قائلةً له " قف " بالقرب من الامارات فالتزم بالتوقف. وما التزم به الأب المؤسس التزم به الملك فهد ايضاً واحترمه وخاصة بعد ان تبلورت الحدود والمواقف عالمياً وجرى الاعتراف المتبادل من قبل الجميع .

لا يجوز لنا تجاوز الاقتباسين السابقين من البزاز دون ان نسجل عليه شيئا من عدم الحياد . فليست كل شكاوي بغداد والرياض من الكويت محقة تماماً لأن لكل منهما اسبابها غير الموضوعية في التشكي. فكلا العاصمتين لا ترتاحان للظروف التي لا تخلو من اجواء ديمقراطية ممزوجة بقسط لا بأس به من التحرر الاجتماعي تسود في الكويت . ولا نتوقع اطلاقاً وجود اي استعداد لدى المجتمع الكويتي لمقايضة ظروف عيشه وظروف الحكم

السائدة لديه بما يتوفر في كلا الدولتين . ولكن لا بد من الاعتراف ايضاً بتوفر اسباب اخرى موضوعية يتضايق منها الطرفان .

وننتقل الآن الى الجانب العسكري من القرائن التي نراها تثبت عدم تفكير الرئيس صدام بمجابهة السعودية اطلاقاً . إننا نتفق مع معظم المحللين في رأيهم عن قوة العراق العسكرية. ولكن في ذات الوقت لايجوز أن نُحمل الجيش العراقي مالا يمكن له أن يتحمله ولايصح أن نغالي بجعله شبيها بجيش نابليون الذي غزا روسيا القيصرية والعالم القديم. قد يحلو لمواطن عراقي أو للرئيس صدام حسين سماع وصف يضع الجيش العراقي بمرتبة رابع جيش في العالم. ولكن أن يصدق ذلك فهو وهم محض . إننا نؤكد طبعا عدم انتقاصنا لقدرات الجندي العراقي ومنجزاته خلال الحرب مع ايران، وهي لاتحتاج الى اثبات. ولكن المقومات التي تجعل من جيشٍ ما رابعا في العالم مفقودة لدى العراق إن استثنينا الاستبسال المشهود له به. هذا وإن اولئك الذين يضعون الجيش العراقي في المرتبة الرابعة، ومنهم الجنرال شوارزكوف[٢٧] ، ينطلقون من عدد الجنود العاملين. وعلى هذا الاساس يشغل الاتحاد السوفياتي وبعده الصين وبعدها فيتنام المراتب الثلاثة الاولى. فإذا استطردنا في الاستنتاج المنطقي لكان علينا أن نصدق أن جيوش انكلترا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة أقل درجة من جيش العراق.

لو شاء الجيش العراقي اختراق الحدود بهدف الاستيلاء على منابع النفط في وسط السعودية وفي شرقها لكان على قواته أن تخترق مسافة تزيد عن ٥٠٠ كيلومترا فيما لو سار سيراً شبه مستقيم . ولو انجز ذلك لما توصل الى شيء سوى بعثرة قواته وجعلها بعيدة عن خطوط التزويد والخدمات وبدون تحصينات حماية مثل التي تتوفر لها في داخل العراق . ولسوف يكفي اندفاع معاد من مياه الخليج في مكان ما بين الدمام والكويت لفصل القوى العراقية التي قد تحتل آبار النفط عن العراق كلياً لتصبح طعما سائغا لرمال الصحراء المحرقة دون الحاجة لأن يرميها احد بحجر . ولو فكر الجيش العراقي بالاستفادة من انتصاره على المنطقة الشرقية ومتابعة السير لاحتلال الرياض لاقتضى الأمر منه أن يجتاز ٤٥٠ كيلومترا أخرى فوق الرمال المحرقة لأنه لن يستطيع استخدام الطرق المعبدة . فخصمه الذي يحارب في ارضه لن يترك له الطريق سالكة. ولو سار على الطريق المعبدة لجعل نفسه عرضة للصيد. ولو افترضنا جدلا مرة أخرى أنه تمكن من احتلال الرياض لما انجز شيئا ايضا طالما العائلة المالكة تستطيع الانطلاق الى جدة ومكة والمدينة والطائف وتبوك وجيزان. فالمملكة

---

٢٧ - شوارزكوف صفحة ١٠٧

مترامية الاطراف. بل إن الجزء الغربي منها أكثر نشاطا وحيوية من اجزائها الاخرى. ومن الطائف ، العاصمة الرسمية الثانية للمملكة ،سوف يستطيع الملك فهد ادراة كل الشؤون السياسية والادارية والعسكرية . ولو فكر الجيش العراقي بالمتابعة الى مكة وجدة لكان عليه قطع مسافة ألف ومائة كيلومترا أخرى. ولا نرى حاجة لمتابعة هذه الفرضيات لأنها تؤدي في آخر الأمر الى الاسفاف والى التفلسف الاجوف.

في اوائل كانون الثاني من عام ١٩٩١ وصل السيد ميشيل فوزيل الى بغداد للتباحث مع الرئيس صدام كمبعوث للرئيس ميتران. والسيد فوزيل كان رئيساً للجنة العلاقات الخارجية في الجمعية الوطنية الفرنسية. من حديث الرئيس صدام للسيد فوزيل عن وجود خطر عراقي يتهدد السعودية نقتطف الفقرة التالية التي لاتحتاج الى شرح:

" قال فوزيل: " ها هو ميتران يمد يده مرة أخرى فاذا كان من الممكن وضع قائمة من الضمانات التي يريدها العراق لضمان أمنه فان فرنسا مستعدة، وتوقف قليلا ليقول:" إن الجميع يقولون انتم تملكون بايديكم مفاتيح الحرب والسلام".وهنا قاطعه الرئيس صدام حسين:

- السلام موجود لديكم وليس عندنا.. فنحن هنا في منطقتنا، وقد حصل اعتداء على مقدساتنا، ونحن مهددون ضمن بلدنا ووطننا، لذلك فان مقولتكم هذه مقلوبة، مفاتيح الحرب والسلام ليست بايدينا...لو كان مفتاح الحرب بايدينا لكنا قد ضربنا القوات الأميركية اثناء نزولها ولكننا لانريد الحرب، وانتظرنا خمسة أشهر حتى تحضر القوات الأميركية بينما يقول المنطق العسكري اضرب عدوك ودمره قبل أن تتكامل قوته، ولم نفعل ذلك لأننا نريد السلام مهما كانت بارقة الامل فيه محدودة. ان الفرنسيين والسوفيت هم أكثر الناس معرفة بأن العراق يريد السلام بحكم تعامله الطويل معه. ان الذي بنى العراق هم نحن وليس غيرنا ونحن قوم نحسن البناء ونريد الفرصة للبناء. اذن السلام والحرب هما بيد اميركا وفرنسا وغيرهما وليس بايدينا."[٢٨]

لقد اوردنا هذه الفقرة هنا في غير موضعها تماما لسبب واحد فقط وهو الذي يتعلق بانتفاء احتمال تجاوز القوات العراقية للحدود الكويتية باتجاه السعودية . ونحن نرى ان الرئيس صدام على حق في نظرته . ولكن ادراكه لذلك ووضوح الرؤية التي تتبدى من كلماته يزيد من استغرابنا ومن نقدنا للكيفية التي تعامل من خلالها مع الاحداث. فلقد رُميت اليه تباعا

---

[٢٨] -بزاز صفحة ٢٧٥

أكثر من قشة. ولكنه لم يحسن التمسك بأية منها بالرغم من أنها كانت قمينة بتغيير مجرى الاحداث بالرغم من حرص الولايات المتحدة على اضرام النار .

وتلخيصاً لما سبق نقول: لايمكن للرئيس صدام أن يكون قد فكر جديا بغزو السعودية لأنه لن يتمكن من الحفاظ على مواقعه المنتشرة. فالمساحات التي على قطعاته احتلالها تزيد كثيرا عن مساحة كل العراق. وفيها من صعوبات السيطرة عليها ما كان يجعله يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على هذا الانتحار المؤكد في اراضي شاسعة ومعادية وملتهبة بنار الشمس المحرقة ونيران المقاومة التي سوف تبرز له من كل حدب وصوب.

ولايبقى من اجل استكمال الحوار حول احتمال تنفيذ هجوم عراقي على السعودية سوى مناقشة الفوائد الضخمة التي كان قد يجنيها فيما لو سيطر على آبار النفط مما يجعل الولايات المتحدة ترضخ. نحن نرى أن هذه الرؤية لم تنطلق اصلا إلا من مضلل ماكر ليقنع بها حفنة من الاغبياء بأن احتلال العراق لمنابع النفط سوف يجعل الولايات المتحدة وأوربا تخضع. ولذلك نتساءل: ماذا كان سيحصل لو استولى العراق على بترول العراق والكويت والسعودية معا؟ هل ستتزلزل الارض تحت اقدام وقواعد الدول الصناعية؟. وهل سيستطيع الرئيس صدام التصرف بقطرة من بحر البترول الذي سيكون تحت سلطته بعد الحصار الذي سيطبق على خناق العراق؟. ومن هو صاحب النفس الأقصر في تحمل النتائج الشنيعة على كل عصب من اعصاب حياته؟.

إن الاحتياط الهائل لدىمعظم الدول الصناعية سوف يسمح لها باستمرار النشاط الكامل لمدة ستة شهور ان لم يأتها أي رفد لما هو مخزون لديها. فهل يستطيع العراق تحمل نفقات شعبه وأعباء جيشه المنتشر في العراق والكويت والسعودية لمدة ستة شهور؟.

إن حوصر العراق لما وصلت اليه اية سلعة بينما الدول الصناعية تبقى طليقة اليدين. ولو توقف ضخ البترول من المناطق التي يُسيطر عليها العراق لجرى الايعاز الى ايران والامارات وقطر وعمان بزيادة الضخ فيسهم ذلك في تخفيف عبء غياب البترول المحتجز. وهناك آبار اليمن الغزيرة التي بدأت الانتاج والضخ الى السوق العالمية قبل بضعة شهورمن احتلال الكويت. وهناك الاتحاد السوفياتي الذي صار يبيع البترول بأسعار مزاحمة من أجل الدولار. وهناك الجزائر والكاميرون ونيجيريا واندونيسيا وبحر الشمال والاسكا والمكسيك.

فلو زادت هذه الدول من كميات ضخها بنسبة بسيطة مع اجراءات توفيرية تتخذها الدول الصناعية بضغط استهلاك البترول في المجالات الاقل أهمية لما تأثر العالم المتقدم من غياب البترول المحتجز على الاطلاق. ولو ظهرت رغم كل هذه التدابير بوادر ضائقة بترولية لما تحملت الدول الصناعية أية اعباء لأنه سوف يجري حرمان دول العالم الثالث من البترول لكيلا يتأثر أسياد العالم.

الفصل الحادي عشر

لقاء الرئيس صدام مع جوزف ويلسون

خلال هذه النشاطات المتعددة الاطراف تم في بغداد حدث هام إذ استقبل الرئيس صدام حسين القائم بالاعمال الأميركي في بغداد جوزف ويلسون الذي اصبح المسؤول الاول في السفارة الأميركية بعد مغادرة السفيرة غلاسبي لبغداد، هذه المغادرة التي نود وصفها "بالهرب المتعمد مع سابق الاصرار" لأنها كانت تعرف مدى زئبقية الدور الذي انيط به اليها لتلعبه فتضرم المنطقة باللهيب. يمثل هذا الحديث مع ويلسون محاولة عراقية بذل خلالها الرئيس صدام جهده لأن تكون هادئة كل الهدوء بحثا عن حوار وتفاهم مباشر مع الولايات المتحدة قافزاً بذلك عن كل "الممثلين الثانويين على مسرح الاحداث". نورد هذا النص بالكامل كما سبق أن أوردنا حديث السفيرة ونقتبسه من المرجع الأميركي سالنجر لأنه لايلخصه كما فعل السيد هيكل. والبزاز أورد النص ايضاً ووجدنا فروقاً في حرفية النص ولكنها لا تمس المعنى ولا تشوهه ، ولذلك لن نتعرض لبحثها.[1]

نص الحديث :

"في وقت افتتحت فيه المفاوضات بين السعوديين والأميركيين في جدة، كان صدام حسين يستقبل في بغداد القائم بالاعمال الأميركي جوزف ولسون، وقد لقي الدبوماسي الذي يناهز الاربعين ترحيب رئيس عراقي مرتاح، حيث بادره:

– إذا ما هي الأخبار السياسية والدبلوماسية؟.

يتوجه ولسون نحو وزير الاعلام الحاضر للمقابلة.

– لدى وزيركم بفضل السي. ان. ان C.N.N معلومات أكثر مني.

صدام حسين:

– لقد طلبت منكم تحليل ما استجد من أحداث منذ لقائنا مع سفيركم. فبعد هذه المقابلة منيت المحادثات بيننا وبين الحكومة الكويتية السابقة بالفشل. وقد حصل ما حصل.

ولسون:

– لقد أطلعني وزيركم على ذلك من قبل.

---

[1] – نص الحديث لدى البزاز في صفحة ١٧٨ – ١٨٥

صدام حسين:

– إني مطلع على تفاصيل الموقف الأميركي. نحن نعلم جيدا إنه حين يحدث أي شيء في العالم العربي، أوربا، أو اسيا أو في أميركيا اللاتينية يكون للولايات المتحدة موقفها دائما. ولا يفاجئنا أن يدين الأميركيون عملا من هذا النوع خاصة إذا لم يدخلوا فيه طرفا. ولكن على الولايات المتحدة أن تحرص على أن لاتتبع النصائح السيئة، إذ قد تجد نفسها في وضعية محرجة.

إني متأكد من أنكم اطلعتم على الرسائل التي وجهناها الى ايران خلال الحرب، رسائل تحلل الوضعية راهنا ومستقبلا. وبما أن هذه الرسائل كانت في غاية الصراحة، اعتقد الايرانيون أنها لعبة تكتيكية من طرفنا. ولكننا كنا نقول لهم ما نعتقده لأننا كنا نريد السلام ولأن الحرب لاتفرحنا. ولكن تعرفون التتمة: فلو أخذ الايرانيون بالاعتبار ما كنا نقوله لهم لكنا تلافينا الحرب.

أريد أن أكلمكم عن العلاقات بين العراق والولايات المتحدة في الظروف الراهنة وعما لن يتأخر أن يحصل إذا ارتكبت الولايات المتحدة أي خطأ. أود أن اتطرق بداية الى نقاط ثلاث ذات صلة بالوضع الراهن:

كانت الكويت دولة بلا حدود واقعية حتى أنها قبل ١٩٦١ لم تكن دولة.

ماذا حصل سنة ١٩٦١؟ عندما عيّن عبد الكريم قاسم [امير الكويت نفسه آنذاك] حاكماً على الكويت وجعله تابعا لمحافظة البصرة [٢]، كان العراقيون يعلمون، وكذلك عبد الكريم قاسم نفسه ان الكويت تشكل جزءاً من العراق. كانت الكويت إذن حتى ذلك الحين دولة بدون حدود ولايمكننا بالتالي أن نحكم على دخول القوات العراقية، في اطار العلاقات بين دول العالم العربي.

ولايغيب عنكم اننا أقمنا منذ ١٩٧٥، مع العربية السعودية أفضل العلاقات التي كانت تتطور بصورة جيدة تماما قبل الثاني من آب. فحتى تاريخ الثاني من آب كانت تسود فيما بيننا علاقات ثقة وتعاون فعلية، وأيا تكن السياسة الأميركية، بدا لنا أن علاقاتنا الجيدة بالعربية السعودية لاتضر أبدا بالمصالح الأميركية. وان العلاقة الحسنة بين العراق والسعودية لم تضر الولايات المتحدة ، بل كانت عامل استقرار في المنطقة. إذن فأي تدخل في العلاقات

[٢] – في عام ١٩٦١ اختار قاسم ذات الأمير الذي كان يحكم الكويت من آل الصباح و"ثبّته" على كرسي الحكم دون الرجوع اليه.

بين العراق والعربية السعودية لايمكن إلا أن ينال من استقرار المنطقة ويضر بالمصالح الأميركية.

إننا لانفهم ما تقصدونه حين تصرحون إنكم تتخوفون من نوايا العراق تجاه العربية السعودية وإنه بعد الكويت سيجيء دورها. هناك شيء آخر لانفهمه أيضا، فمن خلال استباق الامور ودفع العربية السعودية الى عمل ما ضد العراق، سيؤدي حكما الى ردة فعل من قبلنا. أفهل تلعبون لعبة التحدي؟

كما تعلمون كنا أول من اقترح عقد معاهدة أمنية مع العربية السعودية، تقضي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين وعدم اللجوء الى القوة. والواقع أننا وقعنا هذه المعاهدة. واقترحنا هذه المعاهدة نفسها على الكويت الذي رفض توقيعها، وبالتأكيد بناء لنصيحة دولة خارجية كبرى، ربما بريطانيا.

كما تعلمون أيضا إن بعض الاوساط الغربية مستاءة من هذه المعاهدات التي يسخرون منها مقارنين إياها بالمعاهدات المبرمة بين انكلترا وفرنسا مثلا [٣] . الحمد لله ان الكويت لم يوقع معنا .

وكنت مسرورا جدا، عندما اتخذنا قرارا بدعم الثائرين في الكويت، لعدم وجود معاهدات مع هذا البلد، إذ لو وجدت لما استطعنا ذلك.

لقد قدمت لنا العربية السعودية مساعدتها ودعمها خلال الحرب ضد ايران. كما بادرت الى تمكيننا من استخدام خط أنابيب، حتى أن هذا البلد أعاننا ماليا وليس على شكل قروض. لقد كنا اخوانا ولكنكم افسدتم هذه العلاقات بتأليبكم السعوديين علينا."

" وإذا كنتم تتخوفون فعليا بشأن العربية السعودية، فانتم مخطئون. أما إذا كنتم تأملون باثارة قلق السعوديين فهذا شيء آخر. هذا الكلام نقوله أيضا لإخواننا السعوديين ونحن مستعدون أن نقدم لهم شتى أنواع الضمانات لتهدئة ما يساورهم من شكوك. أما بشأن علاقاتنا بالعالم العربي فيمكننا أن نتفق معهم يوما ونختلف في اليوم التالي. وحتى الآن لم نواجه أي مشاكل."

" وهناك نقطة ثانية أريد أن أتعرض لها. لقد سرت شائعات بأن صدام حسين تعهد لبعض الدول العربية بأن لايستخدم أبدا القوة ضد الكويت. إثر ذلك أعلم بعض مسؤولي هذه الدول الأميركيين بما ظنوا انهم فهموه. أود أن أشير هنا الى أنه على الأميركيين أن لا يأخذوا بالحسبان مثل هذه الاقوال. إني لم أتعهد أبدا بذلك لأي عربي. فما حصل هو الآتي : بعض

٣ – المقصود معاهدة سايكس بيكو لتقاسم منطقة الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الاولى

القادة العرب كلموني بشأن القوات التي تحشد على الحدود الكويتية وأعلموني أن الكويتيين خائفون وقلقون. أجبتهم بأني تعهدت عدم القيام بأي عمل عسكري قبل جدة. وهذا ما فعلته."

" لم تجر أي عملية عسكرية قبل اللقاء. انتظرنا عودة نائب الرئيس من جدة لنتخذ قرارا. البعض فوجئ بالسرعة التي تمت بها العملية. بالنسبة لهم هذا يعني أننا صممنا على القيام بالعملية قبل اللقاء. إن الحركة الوطنية الكويتية أعطتنا هذه الامكانية ولكن هذا لم يكن السبب الرئيسي. لقد حاولنا فعلا إظهار حقوقنا من خلال المفاوضات. وكوننا عربا من الطبيعي أن نسعى الى اقامة علاقات مع المعارضة الكويتية، وهذا ما كان الكويتيون يفعلونه مع المعارضة العراقية لو هجمنا عليهم."

" عندما باتت مصالحنا الاساسية مهددة وبعد أن استهلكت جميع السبل اضطررنا الى اللجوء الى القوة. والسؤال الذي يطرح الآن على الرئيس والقادة الأميركيين هو التالي: ما الذي يتهدد المصالح الأميركية في الكويت أو في غير الكويت؟

تشترون البترول العراقي منذ أن توليت السلطة، فيما كانت علاقاتنا مقطوعة، وكمية مشترياتكم من العراق لم تتوقف عن الزيادة منذ أن أعدنا العلاقات المتبادلة سنة ١٩٨٤. ولغاية ما قررتم مقاطعة النفط العراقي. كنتم تشترون حوالي ربع انتاجنا. وهذا ليس قرارا تقنيا انه خيار سياسي. مصلحتكم ترتبط بتجارتكم وبتزودكم المستمر بالنفط. إذن مم تخافون؟ لماذا تناقشون الخيارات العسكرية وهي ستبوء دون شك بالفشل؟"

" أنتم دولة كبرى ونحن نعلم أن باستطاعتكم أن تلحقوا بنا الضرر كما قلت سابقا لسفيركم. ولكن إذا استخدمتم كل ماتملكون من أسلحة. يمكنكم أن تدمروا مراكز أبحاثنا التكنولوجية، اقتصادنا، نفطنا. ولكن بقدر ما تدمرون تصبح الاشياء صعبة بالنسبة لكم. ثم إننا لن نتردد في ضرب مصالحكم في المنطقة كما هجمنا على الكويت عندما تآمر ضدنا. لاتضعونا مجددا في هذه الوضعية. فعندما يتهدد وجودنا نهدد الآخرين. لاشك انتم قوة عظمى قادرة على الأذية والدمار، ولكن في النهاية الله وحده يتحكم بمصائر البشر."

" لماذا تريدون أن تكونوا أعداء لنا ؟ لقد ارتكبتم ما يكفي من أخطاء بإضعاف حلفائكم في المنطقة الذين فقدوا أي اعتبار بنظر شعوبهم. ومن وجهة نظرنا سيمكنكم أن تدافعوا أكثر عن مصالحكم في هذه المنطقة من العالم، في حال اعتمادكم على نظام ذي نزعة وطنية وواقعية . تتهمون العراق بالعدوانية ولكن إذا كان العراق معتديا خلال حربه ضد ايران لماذا حافظتم على العلاقات معه؟ تشيرون الى إعلان الثاني من نيسان، اننا لم نصدر مثل هذا الاعلان قبل الحرب مع ايران أو أثناءها أو بعدها."

" لماذا إذن أصدرت في هذه الحالة هذا الاعلان؟ لأن بعض الاوساط الغربية الأميركية كانت تريد دفع اسرائيل الى ضربنا. كان الهدف من هذا البيان إحباط أي اعتداء. إننا مقتنعون أنه خدم السلام، فلو بقينا ساكتين لكانت إسرائيل هاجمتنا. ما كان سيرغمنا على الرد. أثناء الحرب، تذكرون ذلك، تعرضنا باستمرار للقصف من طرف إيران، ولكن عندما حصلنا على الصواريخ بدأنا نهدد باستخدامها قبل أن نستخدمها فعليا. فلو أصغت أيران لتحذيرنا لما كنا لنستخدمها. والحمد لله حتى الآن إسرائيل أعطت أذنها الصاغية. هل هذا خدم قضية السلام؟ يمكن لبغداد الصمود في مواجهة الصواريخ أكثر من إسرائيل."

" وأخيرا أقول لكم، إذا كان الرئيس الأميركي يريد الابقاء على سياسته في المنطقة وينقذ مصالحه كما سبق أن قلنا، فإن الخيار العسكري والتوتر المتزايد في المنطقة يتعارضان مع أهدافه. إلا إذا كان هذا الموقف يخفي شيئا آخر؟ في أية حال، من جانبنا، نحن نسعى الى الاستقرار والسلم ولن ندع أحدا يخنقنا. نحن نطمح بشرف الى مستقبل كريم يسمح ببناء ومضاعفة العلاقات الحسنة مع الولايات المتحدة شرط أن يبتغوا ايضا ذلك. هذه هي رسالتي الجديدة الى الرئيس بوش."

وأخيرا استطاع ولسون أن يجيب:

– شكرا سيادة الرئيس. لن أتخلف عن نقل تصريحكم الى حكومتي وعن ابلاغ رسالتكم هاتفيا بشكل فوري، كما أني سأنقله كتابة. وكما أشرتم، إنها مرحلة خطيرة ليس بالنسبة للعلاقات الأميركية– العراقية فحسب بل لتوازن المنطقة والعالم.

صدام حسين:

– لماذا تكون خطيرة بالنسبة للعالم؟

ولسون:

– اعتقد أنه يمكننا القول بأن هناك شعورا بالخوف وبعض الاضطراب في الاسواق العالمية.

صدام حسين:

– هذه غلطتكم! قبلنا بخمسة وعشرين دولارا للبرميل، ولو لم تلجأوا الى المقاطعة، لكان سعر البرميل وصل الى واحد وعشرين. فعندما يصار الى مقاطعة ٥ ملايين برميل دفعة واحدة، يصبح الاضطراب محتوما. الموزعون سيستفيدون من ذلك ولكن ليس، بالتأكيد، الشعب الأميركي.

ولسون:

– لدي انطباع أني لامست هنا نقطة حساسة. والواقع أني أردت أن أقول لكم إنه بدا لي مهماً أن نحافظ خلال هذه الايام الصعبة، على الحوار كي نتلافى إرتكاب الاخطاء، فبهذه الطريقة فقط يمكننا تخفيف التوتر والحفاظ على برودة الاعصاب. لذلك تسرني هذه الفرصة التي تسمح لي بنقل رسالتكم. ولكن أحب أن أبدي ملاحظتين حول النقاط التي تفضلتم بإثارتها سابقا.

" سأحمل اليكم، أنتم ووزراؤكم، جواب الرئيس بوش."

" في القسم الاول من رسالتكم أشرتم الى أن الكويت هو جزء من العراق."

صدام حسين:

– هذا تاريخنا. قلنا هذا ليفهم العالم اجمع أن على الكويت أن تأخذ هذه الحقيقة بالحسبان وألا تتهرب منها. إنها جوهر العلاقات بين العراق والكويت. وهذا ما يختلف بالنسبة لبلدان أخرى مثل مصر أو العربية السعودية.

ولسون:

– يهمني كثيراً أن أطلع على طبيعة هذه العلاقات.

صدام حسين:

– تتحدد العلاقات بين البلدان بالعلاقات بين الشعوب وليس بي انا أو بالأميركيين أو السوفيات أو بآخرين. ويجب أن ترتكز على الأخوة والاحترام المتبادل.

ولسون:

– هل هذا كان غائباً عن علاقاتكم مع الكويت ؟

صدام حسين:

–نعم. خاصةً خلال الشهر الأخير. كان علي أن أركض وراء جابر كي نتوصل الى رسم الحدود وأجابني: ليقم به غيرنا . نحن نمتلك أدلة . وهذا ما بدا لنا غريباً للوهلة الأولى ، ثم اكتشفنا أنهم يتآمرون ضدنا.

ولسون:

–أشكركم . النقطة الثانية ، لقد أشرتم الى العلاقات الأخوية مع العربية السعوديةحين ذكرتم اتفاقية عدم الاعتداء بين بلديكم. أحب أن أعلمكم بما ينتاب حكومتنا من قلق فيما يتعلق بنوايا العراق الحالية. بالتأكيد أعطيتموني جوابا عاما عن هذا السؤال ولكن اسمحوا لي...

صدام حسين:

– ما هو المطلوب لتخفيف القلق لديكم؟

ولسون:

– لاأعلم. سأراجع رئيسي. أنا أعلم أنكم شخص صريح ومستقيم. ولكن استطيع أن استنتج أنه طالما الحالة هي ما عليه، أي طالما لم يحصل عمل عسكري من قبل الولايات المتحدة أو العربية السعودية، فإنكم قد اعطيتموني ضمانة بأن ليس لديكم أي نية بالقيام بأي عملية عسكرية ضد العربية السعودية.

صدام حسين:

– يمكنكم أن تنقلوا كلامي الى السعوديين والى كل العالم. لن نعتدي على من لا يعتدي ولن نؤذي من لايؤذينا. ومن يبغي صداقتنا نسبقه بمد أيدينا. وما يتصل بالسعودية، هذه مسألة لم ترد في بالنا. علاقاتنا متينة، وعليكم أن تقولوا لي اذا كنتم تعلمون شيئا نجهله نحن. من الطبيعي أن يستضيف الملك فهد الحاكم السابق للكويت، الشيخ جابر. وهذا لايزعجنا. هذا لن يزعجنا إلا في حال سمحت له السعودية بأن ينشط ضد العراق على ارضها. بالمناسبة انقلوا أفضل تمنياتي للرئيس بوش. وقولوا له إن جابر وعائلته ومن لف لفه اصبحوا الان من التاريخ، إن آل الصباح قد أصبحوا الآن من الماضي. من الطبيعي ان يهتم كل طرف بمصالحه الخاصة، لذلك نود أن نعرف بالتحديد ما هي مصالح الامريكيين المشروعة كي نتمكن من تأمينها. إني أقول لكم وليس لأغراض تكتيكية وليس لأنكم تقاطعوننا – لقد حرصت على عدم استقبالكم إلا بعد بدء المقاطعة – ولاأسعى أبدا لإلغائها ، أو حتى لإرضاء الولايات المتحدة ولكني أريد أن افهم ما هي مصالحهم المشروعة لأنصحهم ان لايتقدموا كثيرا دون أن يحتفظوا بخط العودة".

ولسون:

– سأعلم حكومتي بذلك، لقد أتيت الى هنا وفي ذهني أفكار ثلاث تتصل بمصادر القلق لدى حكومتي. أولا، طبيعة الاجتياح . وتعرفون تماما موقف حكومتي من ذلك. ثانيا، نواياكم مستقبلا تجاه العربية السعودية وهذا ما أجبتم عليه. وأخيرا أمن الرعايا الامريكيين وبالاخص السماح للمواطنين الأميركيين بالمغادرة. وكما تعلمون الأميركيون حساسون جدا فيما يختص بحرية التنقل. وهذا ما ينطبق ايضا على الأميركيين في الكويت، بالرغم من انسحاب القوات [٤] .

صدام حسين:

– كيف يمكنكم الادعاء أنه لم يحصل انسحاب، ثم الحديث عن شيء مختلف؟

---

[٤] – المقصود على الارجح شبه الانسحاب الجزئي الذي أُعلن عنه بعد فترة قصيرة من الاجتياح.

ولسون:

- شاهدت ثلاث قوافل تغادر البصرة واعلمت واشنطن بالامر.

صدام حسين:

- لزم لقواتنا ثلاثة ايام لدخول الكويت ولايمكنها ان تنسحب بيوم واحد. ولابد لهذا الانسحاب أن يستند الى اتفاق دولي، ولن نترك الكويت ليقع في ايدي قوة أخرى. وطبيعة هذه التعزيزات مرتبطة بطبيعة التهديدات. وعندما تزول التهديدات، قواتنا ستنسحب، نحن لانريد أن تتحول الكويت الى لبنان آخر، لاأعتقد أنه من مصلحة أحد أن ينسحب الجيش العراقي بتسرع تاركا الكويت لانصار الحرب.[5]

لقد شكلت الحكومة المؤقتة، بناء لاقتراحنا، وحدات ميليشيا، وقد نصحناها بأن تبقى مستقلة وأن تستعين بالجيش الشعبي.

" أما بشأن الأميركيين في الكويت والعراق فقد منع الجميع، عراقيون وأجانب، في العراق والكويت من التنقل، وتعلمون من مصادركم الخاصة أن جيشنا قد تصرف تصرفا سليما مع الاجانب، إن بلاغ الحكومة الكويتية قد سمح للاجانب بالذهاب الى العراق حيث هم في أمان ".

ولسون:

- هل لي أن أسألكم دون مواربة متى ستسمحون للرعايا الأميركيين المقيمين والسائحين بالمغادرة ؟

صدام حسين:

- ما تسألونني واقعا هو متى سيؤذن للاجانب بالمغادرة؟

ولسون:

- لاأسمح لنفسي بالتحدث باسم الآخرين.

صدام حسين :

- أردت أن اشدد على أن التدبير لايشمل الأميركيين فقط. ونحن سنعلمكم بالامر في الوقت المناسب.

ولسون:

- اسمحوا لي الطلب منكم بأن تعالجوا هذه المسألة بأسرع ما يمكن، لأنها مسألة تثير الكثير من المشاعر لدى حكومتنا وشعبنا.

---

[5]- صدام حسين يشير هنا، على الارجح، الى الحكومة السابقة.

صدام حسين:

- نحن نتفهم الناحية الانسانية.

ولسون:

- واخيرا أود أن اضيف أمرين، لقد أشرتم الى حسن سلوك القوات العراقية وهذا ما أكده وزيركم ونائب وزيركم. وأعتقد أننا لاننتظر أقل من ذلك. اسمحوا أن ألفت انتباهكم الى نقطة معينة، نقطة مهمة. البارحة مساء اقتحم جنود عراقيون بيت المستشار الأميركي في سفارة الكويت. وهذا ما يتعارض مع السياسة التي اشرتم اليها الآن. واضيف انها انتهاك للحصانة الدبلوماسية . لم أكن لأثير الموضوع لو لم تتطرقوا اليه انتم.

صدام حسين:

- اجتمعت بالامس مع بعض ضباطنا وحدثوني عن بعض العناصر من آسيويين وسعوديين وآخرين الذين يخلون بالأمن في المستودعات. في أي حال إذا كان الجيش العراقي قد ارتكب مثل هذه الافعال فاننا سنقول ذلك مؤكدين لكم انها كانت تصرفا خاطئا، وستتخذ إجراءات لمعاقبة المسؤولين عنه، فهذا النوع من السلوك يتناقض مع سياستنا.

ولسون:

- نقطة اخيرة، خلال هذه الايام الصعبة، خاصة بالنسبة لأمن الرعايا الأميركيين....

صدام حسين:

- هل لديكم النية بمهاجمتنا ومن اجل ذلك تريدون إخراج الرعايا؟

ولسون:

- كلا ولكن من واجبي أن امنحهم حرية المغادرة إذا رغبوا في ذلك. أنا شخصيا أنوي البقاء. أحب أن اعيش هنا. وأود أيضا الإعراب عن تقديري لأن تكون الأبواب قد ظلت خلال الازمة مفتوحة لي ولزملائي في وزارة الخارجية من الثامنة صباحا وحتى الرابعة بعد الظهر . كما أقدر ايضا رغبتكم في لقائي لتطميني حول رعايانا في الكويت.

صدام حسين:

- لاتقلقوا ابدا.

ولسون:

- أود أن أؤكد لكم انطلاقا من تجربتي في العلاقات الدولية أن الحوار هو خشبة الخلاص بالنسبة للدبلوماسيين والسياسيين.

صدام حسين:

– طبيعي أن تؤكدوا لي ما لزملائكم من نوايا حسنة، ولكن أريد أن اتأكد من انكم ستنقلون رسالتي الى الرئيس بوش.

ولسون:

– المرة الاخيرة التي التقيت فيها احد الرؤساء الافريقيين طلبت منه مراجعة محضر الاجتماع، والحال أنكم إذا عدتم الى محادثتنا ستكتشفون اني شكرتكم كثيرا. "

ويتابع سالنجر فيقول:

" في اليوم نفسه تلقت دوائر البيت الابيض برقية آلية مختصرة، ثم النص الكامل للحوار بين صدام والقائم بالاعمال الأميركي في بغداد جوزيف ولسون. وبعد فك رموزه استقبل مضمون المحادثة باهتمام مخفف. بالطبع صدام حسين يؤكد من خلاله عدم نيته على اجتياح العربية السعودية غير أن كلامه يدعو للشك. "من الصعب ، قال أحد مساعدي بوش، أن نعطي مصداقية لتصريحاته. فهو كان سخيا باعطاء ضمانات مماثلة عشية اجتياحه للكويت."

مناقشة الحديث

يثبت هذا الحديث المتزن كما اثبت الحديث السابق مع السفيرة غلاسبي المستوى الدبلوماسي اللائق الذي يبدو به الرئيس صدام حسين تجاه محاوريه مما يجعلنا اقل ثقة بالمعلومات التي تسيء اليه والتي نسمعها ونقرأها في اجهزة الاعلام المغرضة. وليس من الضروري أن نوافقه على المواقف التي اتخذها ويتخذها. بل اننا نجزم برفضنا التام لمواقفه من امور شديدة الحساسية والاهمية مما سوف نتعرض له في هذا الكتاب مثل غزوه المرفوض للكويت ولكن كل ذلك لايمنعنا من وصف الرئيس صدام بأنه سياسي محنك ذو وزن وشأن ولو اعترض البعض قائلا بأنه لو كان محنكا لما اوصل العراق الى ما وصل اليه لأجبنا بان حجم المؤامرة التي سبكتها أرقى واعظم قوى الشر في العالم بتشعباتها المضللة كان ابعد من منال الرئيس صدام. فهو مهما كان عالمياً في شهرته يبقى في الواقع رئيسا لدولة محلية من دول العالم الثالث قادراً على التحكم في بلده ويؤثر على بلاد محلية مجاورة بمقدار قليل أو كثير بينما يتحكم خصمه المتآمر بمصائر دول بكاماها ويستطيع رصد كل فعل ورد فعل في العالم ويرتب ما تقتضيه مختلف المواقف الطارئة. هذا ولم يكن الرئيس صدام الضحية الاولى أو الوحيدة للمكر الأميركي إنما وقع قبله كثيرون مثل شاه ايران وسوموزا وماركوس.

يبدي الرئيس في حديثه مع ويلسون تفهما للادانة الأميركية لعملية ا لغزو ولاينتقدها إنما يعتبرها جزءا من المسرحية السياسية الاعلامية التي تمثلها عادة حكومات الدول لتهدئة الرأي العام لديها، ويؤكد الرئيس صدام ميله للعب على المكشوف تجاه خصومه مثلما حصل مع ايران. وينوه عن كون الكويت جزءا من اقليم البصرة ويشدد على حرصه على افضل العلاقات مع السعودية بل يرى أن جودة العلاقة معها تعزز المصالح الاميريكية ويعمل على استقرار المنطقة. وأشار، شاكرا ومعترفا بالجميل، الى العون السعودي المادي الذي لم يقترن بأية منة ثم اطلق الجملة الهامة الاولى حيث يخاطب ويلسون "وإذا كنتم تتخوفون فعليا بشأن السعودية فأنتم مخطئون، أما إذا كنتم تأملون باثارة قلق السعودية فهذا شيء آخر."

وتلى ذلك توضيح وتاكيد على أن العراق لم يعد الكويت بعدم استخدام القوة بشكل مطلق دون قيد أو شرط إنما على العكس تماما إذ حذرها من مغبة تصلبها ثم توضيح الرئيس صدام بشكل قاطع ولكن ليس بشكل مباشر بأن غزو الكويت لم يستند على طلب مساعدة من الحركة الوطنية الكويتية، وهذا اعتراف بوجود تخطيط مسبق لعملية الغزو. ثم يتساءل الرئيس صدام عما يهدد المصالح الأميركية في الكويت أو علام يخاف اصحاب المصالح الأميركيون طالما العراق ما زال متعاونا ويزودهم بالبترول بالشكل المطلوب؟ وبعد ذلك تأتي الفكرة الاساسية الثانية في حديثه حيث يهدد الولايات المتحدة مؤكدا أن النتائج ستكون فشلا أميركيا. وبهذه الجملة اعطى الرئيس صدام الادارة الأميركية سلاحا قويا تحاربه به اعلاميا في داخل امريكا وفي انحاء العالم على اساس أن ا لرئيس صدام يقصد بالارهاب. وسمعة الارهاب كريهة وممجوجة في كل انحاء العالم.

لكن الرئيس صدام يسرع بالامساك بغصن الزيتون سائلا ويلسون عن الدافع الذي يجعل الولايات المتحدة تسعى الى عداء العراق مع ان نظامه سيمكن اميركا من تأمين مصالحها بشكل افضل؟. وبذلك عرض الرئيس نفسه كبديل مستعد للتعاون.

اما جواب ويلسون فاقتصر على نقاط اربعة بدأها بتخوف كاذب على البترول بالرغم من وعد العراق بمتابعة الضخ والتصدير وبالرغم من ان دولته هي القوة الحقيقية التي تؤثر على السياسة البترولية في العالم. ثم تساءل ولسون بحيادية لالون ولاطعم لها عن معنى تبعية الكويت للعراق دون أن يتفوه بأية كلمة عن أن دولته ترفض ضم العراق لها مستعملا اية لغة دبلوماسية تفيد بهذا المعنى. ثم أكد ويلسون أخذه العلم بعدم وجود اية نوايا عداونية لدى العراق تجاه السعودية وفي آخر نقطة اعرب مطولا عن قلق حكومته على الرعايا الأميركيين.

لاشك في اننا لا نتوقع من قـائم بالاعمـال فـي سفارة ان يتخذ موقفا ملزمـا لدولتـه. ولكنه نقل نص الحديث هاتفيا ثم خطيا الى واشنطن التي لم تفكر بالتجـاوب مـع التصريحـات الايجابية في كلمة الرئيس صدام . فبدلا من الايعاز اليه بمتابعة النقاط الايجابية والسؤال عن نوعية الضمانات الحسية التي يستطيع تقديمها لاثبـات صدق وعوده وليلتزم بهـا امـام شعبه وامام العالم نجد أن الولايات ا لمتحدة رفضتها اصلا وفصـلا والقتهـا مـن الناحيـة العملية فـي سلة المهملات وتذرعت بما يصفه سالنجر ايضا حيث يكتب:

{ في اليوم نفسه تلقت دوائر البيت الابيض برقية أولية مختصرة، ثم النص الكامل للحوار بين صدام والقائم بالاعمال الأميركي في بغداد جوزيف ولسون. وبعد فك رموزه استقبل مضمـون المحادثة باهتمام مخفف. بالطبع صدام حسين يؤكد من خلاله عـدم نيتـه علـى اجتيـاح العربيـة السعودية غير أن كلامـه يدعـو للشـك. " مـن الصعـب، قـال أحـد مساعدي بـوش، ان نعطـي مصداقية لتصريحاته. فهو كان سخيا باعطاء ضمانات مماثلة عشية اجتياحه للكويت." [٦]

ولكن كل المؤشرات تثبت أن الرئيس لم يعط الكويت الضمانـات التـي تتحـدث عنهـا واشنطن. وعلى كل حال لاتشكل ردود فعل واشنطن اعمال من يبحث عـن السـلام إنمـا تمثـل طريقة من يحرض على العدوان والتدمير. ورأينا فـي مصداقيـة الرئيس العراقـي أفضـل مـن رأينـا فـي مصداقيـة الباحثين عن الحـرب والمستفيدين منهـا. اننـا قـانعون مـن خـلال كـل التصريحات والوثائق والقرائن أن الرئيس صـدام لـم يعـط منديـل الامـان للكويـت دون قيـد أو شرط، ولكن واشنطن زيفت هذا القول وقلبته الى عكسه من خلال اهمال نصفه الآخر.

في خطاب الرئيس بوش الى الامة بعد الشروع في ارسال القوات الى السعودية "أكـد الرئيس بطريقة متشنجة احتفالية انه في حياة أي امة علينـا (المقصـود الشـعب الأمـيركي) أن نكتشف من نحن وبماذا نعتقد. اليوم وبوصفي رئيسا اطلب دعما لقرار اتخذتـه لأسمح لنفسـي بإحقاق ما هو حسن وادانة ماهو قبيح"[٧] فهل ثمة من يصدق بسعي الرئيـس الـى الخـير؟. عـن هذا التساؤل كتبنا مقالة بعنوان " بوش والعدالة والحق والخير" نوردها فـي هـذا الكتـاب. وفـي هذا المكان نعلق على ماجاء في خطابه بتساؤل: هل يمكن قلب القيم الـى عكسـها بشـكل اكـثر خداعا مما فعل الرئيس بوش؟. من تصرفاته نستنتج بالضرورة مفهومه عن أن التآمر والفتنـة هي الخير وأن حقن الدماء واصلاح ذات البين هو الشر.

---

[٦] - سالنجر صفحة ١٨٥-١٨٦

[٧] - نقلا عن سالنجر صفحة ١٩٤

الفصل الثاني عشر

القراران ٦٦١ و ٦٦٢ لمجلس الأمن

القرار ٦٦١ لحصار العراق اقتصادياً

شكلت قرارات مجلس الامن خيوطا لشبكة متينة نرى أنها تهدف الى احراج العراق و اثارته أكثر من الرغبة في قطع كل الامدادات عنه، وتدفعه الى تصرفات وقرارات غير عقلانية لا تتناسب مع متطلبات الموقف انما تزيده تعقيدا. فكلما كانت خطوات الخصم جائرة ومجحفة كلما ثار الطرف المستهدف وغضب وتصرف من موقف غاضب يعمي البصيرة أكثر مما يسهم في حل المواقف الصعبة . فبعد صدور القرار الاول رقم /٦٦٠/ الذي فاجأ بهجومه الصاعق القيادة العراقية تماماً في حين كانت تتوقع ردود فعل تأخذ شكل مشاحنات دبلوماسية فيها من الجد والتمثيل ومن المد و الجزر ما كان سيؤدي في نهاية الأمر الى سكوت المجتمع الدولي على وضع يده على الكويت نجد أن مجلس الأمن اصدر قراره الأول ثم ألحق به الثاني ضد العراق حاملا رقم ٦٦١ بتاريخ ٩٠/٨/٦ وينص على ما يلي:

إن مجلس الامن،

اذ يعيد تأكيد قراره ٦٦٠ (١٩٩٠) المؤرخ في ٢ آب/ اغسطس ١٩٩٠،

وإذ يساوره بالغ القلق ازاء عدم تنفيذ ذلك القرار ولأن غزو العراق للكويت لايزال مستمرا ويسبب المزيد من الخسائر في الارواح ومن الدمار المادي،

وتصميما منه على انهاء غزو العراق للكويت واحتلاله لها، وعلى اعادة سيادة الكويت واستقلالها وسلامتها الاقليمية، وإذ يلاحظ أن حكومة الكويت الشرعية قد أعربت عن استعدادها للامتثال للقرار ٦٦٠ (١٩٩٠)،

واذ يضع في اعتباره المسؤوليات الموكلة اليه بموجب ميثاق الأمم المتحدة للحفاظ على السلم والأمن الدوليين،

واذ يؤكد الحق الطبيعي في الدفاع عن النفس فرديا أو جماعيا، ردا على الهجوم المسلح الذي قام به العراق ضد الكويت، وفقا للمادة ٥١ من الميثاق،

واذ يتصرف وفقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة،

١- يقرر أن العراق لم يمتثل للفقرة ٣ من القرار ٦٦٠(١٩٩٠) واغتصب سلطة الحكومة الشرعية في الكويت،

٢- يقرر، نتيجة لذلك، اتخاذ التدابير التالية لضمان امتثال العراق للفقرة ٣ من القرار ٦٦٠ (١٩٩٠) واعادة السلطة الى الحكومة الشرعية في الكويت،

٣- يقرر ان تمنع جميع ما يلي:

آ)- استيراد أي من السلع والمنتجات التي يكون مصدرها العراق أو الكويت، وتكون مصدرة منهما بعد تاريخ هذا القرار، الى اقاليمها،

ب)_ أية أنشطة يقوم بها رعاياها أو تتم في اقاليمها ويكون من شأنها تعزيز، أو يقصد بها تعزيز، التصدير أو الشحن العابر لأية سلع أو منتجات من العراق أو الكويت، وأية تعاملات يقوم بها رعاياها أو السفن التي ترفع علمها أو تتم في اقاليمها بشأن أية سلع أو منتجات يكون مصدرها العراق أو الكويت وتكون مصدرة منهما بعد تاريخ هذا القرار ، بما في ذلك على وجه الخصوص اي تحويل للاموال الى العراق أو الكويت لأغراض القيام بهذه الانشطة او التعاملات،

ج)- اية عمليات بيع أو توريد يقوم بها رعاياها او تتم من أقليمها أو باستخدام السفن التي ترفع علمها لأية سلع أو منتجات، بما في ذلك الاسلحة أو أية معدات عسكرية أخرى، سواء كان منشؤها في اقاليمها أو لم يكن، ولاتشمل الامدادات المخصصة بالتحديد للاغراض الطبية والمواد الغذائية المقدمة في ظروف انسانية، الى أي شخص أو هيئة في العراق أو الكويت أو الى أي شخص أو هيئة لاغراض تجارية يضطلع بها في العراق أو الكويت أو اي منهما، وأية أنشطة يقوم بها رعاياها أو تتم في اقليمها ويكون من شأنها تعزيز، أو يقصد بها تعزيز، عمليات بيع أو توريد هذه السلع أو المنتجات،

٤- يقرر أن تمتنع جميع الدول عن توفير أية أموال أو أية موارد مالية أو اقتصادية أخرى لحكومة العراق أو لأية مشاريع تجارية أو صناعية أو لأية مشاريع للمرافق العامة في العراق أو الكويت، وأن تمنع رعاياها وأي شخص داخل أقاليمها من اخراج أي اموال أو موارد من أقاليمها أو القيام، بأية طريقة أخرى، بتوفير الاموال والموارد لتلك الحكومة، أو لأي من مشاريعها، ومن تحويل أي أموال اخرى الى اشخاص أو هيئات داخل العراق أو الكويت، فيما عدا المدفوعات المخصصة بالتحديد للاغراض الطبية أو الانسانية والمواد الغذائية المقدمة في الظروف الانسانية.

٥- يطلب الى جميع الدول، بما في ذلك الدول غير الاعضاء في الأمم المتحدة، أن تعمل بدقة وفقاً لاحكام هذا القرار بغض النظر عن أي عقد تم ابرامه أو ترخيص تم منحه قبل تاريخ هذا القرار،

٦- يقرر، وفقا للمادة ٢٨ من النظام الداخلي المؤقت لمجلس الامن، تشكيل لجنة تابعة لمجلس الأمن وتضم جميع اعضائه كي تضطلع بالمهام التالية وتقدم الى المجلس التقارير المتصلة بعملها مشفوعة بملاحظاتها وتوصياتها:

آ)- ان تنظر في التقارير التي سيقدمها الامين العام عن التقدم المحرز في تنفيذ هذا القرار،

ب)- ان تطلب من جميع الدول المزيد من المعلومات المتصلة بالاجراءات التي اتخذتها فيما يتعلق بالتنفيذ الفعال للاحكام المنصوص عليها في هذا القرار،

٧- يطلب الى جميع الدول أن تتعاون تعاونا تاما مع اللجنة فيما يتعلق بقيامها بمهمتها، بما في ذلك توفير المعلومات التي قد تطلبها اللجنة تنفيذا لهذا القرار،

٨- يطلب من الامين العام تزويد اللجنة بكل المساعدة اللازمة واتخاذ الترتيبات اللازمة في الامانة العامة لهذا الغرض،

٩- يقرر أنه، بغض النظر عن الفقرات من ٤ الى ٨ أعلاه، لايوجد في هذا القرار ما يمنع عن تقديم المساعدة الى الحكومة الشرعية في الكويت، ويطلب الى جميع الدول ما يلي:

آ)- اتخاذ تدابير مناسبة لحماية الاصول التي تملكها حكومة الكويت الشرعية ووكالاتها،

ب)- عدم الاعتراف بأي نظام تقيمه سلطة الاحتلال،

١٠- يطلب الى الامين العام ان يقدم الى المجلس تقارير عن التقدم المحرز في تنفيذ هذا القرار، على أن يقدم التقرير الاول خلال ثلاثين يوما،

١١- يقرر ان يبقى هذا البند في جدول اعماله وأن يواصل بذل الجهود كي يتم انهاء الغزو الذي قام به العراق في وقت مبكر.

وقد صوتت ١٣ دولة لصالح القرار وامتنعت كوبا واليمن عن التصويت. وبهذا القرار حوصر العراق واحيط نظريا احاطة السوار بالمعصم وطبقت عليه مواد لم يسبق أن استخدم مثيل لها ضد أية دولة في العالم. ورغم ذلك لم يكن الحصار كاملا! لاشك في أن الحصار نشط عمليات التهريب من كل الدول المحلية. لكن ما سيأتي الى العراق لن يبلغ في كمّه وتنوعه ما يكفي للقيام بأود وحاجات دولة محاصرة الا اذا كانت هناك موافقات سرية تغض الطرف عن مرور السلع. وعن هذا الوضع كتبنا في شهر تشرين ثاني/نوفمبر من عام ١٩٩٠ اي قبل الحرب المقالة التالية:

من يُمكّن الرئيس صدام حسين من التصلب والعناد؟

ومن أين يعيش النظام العراقي بعد احتلال الكويت؟.

استمرار الأزمة الكويتية بدون اندلاع شرارة الحرب يرفع من مبيعات الدول المتقدمة الى كل دول المنطقة الى ارقام خيالية ويستنفذ الاموال العربية باستمرار.

حين احتل الرئيس صدام الكويت ارجعت الاوساط العربية والعالمية السبب الى الازمة المالية الخانقة التي يعاني منها العراق خاصة بعد أن خفضت الكويت والامارات سعر برميل البترول ، لأن خفض السعر بمقدار دولار يؤدي الى انخفاض ورادات العراق بمقدار مليار دولار. ولم يقتصر "الحاق الاذى" بالعراق على خفض سعر البترول إنما اخذت الكويت تطالب بالديون التي منحتها الى العراق اثناء الحرب العراقية الايرانية. وادعى جميع الاطراف أن الرئيس صدام لم يحتل الكويت الا لدفع الضغوط المالية الخانقة عليه وطمعًا في ثراء نقدي ونفطي ليس له حدود مرئية في الافق القريب على الاطلاق، ويجعله في بحبوحة فيما لو استتب له الامر في الكويت.

ولكن الامور لم تجر كما يريد الرئيس صدام. فما أن احتل الكويت حتى توقف تصدير البترول من العراق ومن الكويت على حد سواء فتوقف سيل العملات الصعبة تماما. وتم تجميد ارصدة البلدين في كل بقاع العالم الهامة مما يجب أن يؤدي الى تفاقم الازمة الخانقة على العراق. فالاموال السائلة التي تم الاستيلاء عليها من مصارف الكويت اضحت بدون قيمة لوقف التعامل بها عالميا على مستويات المصارف بمبالغ كبيرة، وكميات الذهب أقل من أن تفي بحاجات دولة مثل العراق لأكثر من أيام قلائل. (لابد لنا هنا من ذكر رفع تدابير التجميد على الارصدة الكويتية ليسهل أمر استهلاكها وذوبانها لصالح العالم المتقدم) أي أن العراق وحده هو الذي اضحى بدون موارد بعد احتلاله للكويت وهو الذي بقي تحت وطأة أزمة خانقة متزايدة بعد تجميد ارصدته... فإن كان الامر كذلك فمن أين يعيش العراق؟. ومن يسدد له مصاريفه؟.

يقول المثل العربي: ما لاينبع ينضب. والعراق دولة فيها ١٧مليون من البشر يحتاجون يوميا الى الغذاء والكساء والدواء والمرافق وخدمات النقل والادارة والى السلع التقنية والصناعية المختلفة التي تستورد جميعا من الدول الاجنبية. ولم يكن العراق في أفضل حالاته الاقتصادية خلال نصف القرن المنصرم يحقق اكتفاءه الذاتي إنما كان يشتري باقي حاجاته الغذائية من الدول العربية في البدء ثم من البلاد الاجنبية بعد أن تدهور الانتاج الزراعي في البلاد العربية بفعل الاصلاح الزراعي الذي يجب أن يسمى بالتخريب الزراعي. أما الدواء والمعدات الطبية وحاجات المصانع من قطع تبديل ومن مواد أولية للتصنيع المدني والحربي والتي يجري استهلاكها دون توقف فلا يمكن للعراق توفيرها الا من الدول المتقدمة مقابل عملات

صعبة غير متوفرة لديه منذ احتلاله للكويت. ولولا تدفق البترول وتسويقه قبل احتلال الكويت لكانت حالة الشعب العراقي لاتطاق. أما الان فلقد توقف ضخ البترول وتسويقه ونضبت الواردات وتزايدت المصاريف باستمرار لا يرحم، والمتبقي من الارصدة العراقية مجمد والحصار الاقتصادي " يُفترض" أنه نافذ المفعول وسفارات العراق وبعثاته الدبلوماسية في جميع أنحاء العالم مستمرة في استهلاك العملات الصعبة بدون موارد تقابلها. فمن أين يعيش العراق؟.

والجيش الجاثم على صدر الاقتصاد العراقي منشار ذو حدين كلاهما ينهك ويهدد البلاد. فمن جهة يستهلك افراد الجيش المبالغ الضخمة للرواتب التي وصلت الى اعلى الارقام منذ ظهور العراق الى حيز الوجود. ومن جهة اخرى تدهورت الموارد التي تدفع منها هذه الرواتب. فهناك حوالي مليون مواطن عراقي تحت السلاح اقتطعهم الرئيس صدام حسين من مجالات الانتاج الزراعي والصناعي والخدمات الى مجالات الاستهلاك غير المنتج. وكل جندي تحت السلاح يحتاج الى نظير له يستنفر لخدماته المختلفة فينتقل هو ايضا من مجال الانتاج الى مجال الاستهلاك. فإذا استثنينا بعدئذ ربات المنازل والشيوخ والاطفال والمصابين خلال الحرب مع ايران لوجدنا أن نصف قوى العراق المنتجة واقفة عن النشاط المنتج واصبحت مستهلكة فقط. فمن أين يعيش العراق؟.

قد يجيب بعضهم بأن العراق قد اختزن مسبقا مايلزمه لمثل هذا لحصار. وهذا الجواب ضعيف. لأن المقادير التي يتوجب تخزينها لتوفير حاجات شعب كامل لايتوفر في ارضه كل ما يحتاج أكبر من استطاعة دولة بدون موارد. والمخازن والمستودعات لاستيعاب تلك البضائع بتلك المقادير أكبر من أن تتحملها دول صحيحة البنيان فكيف بدول محاصرة بدون موارد بل مثقلة بالديون؟. فالمخزون اللازم لايقتصر على كميات هائلة من الغذاء والدواء إنما يشمل قطع التبديل لآلاف المصانع التي تُستهلك باستمرار، ويشمل المواد الاولية التي يجب استيرادها لتعمل تلك المصانع، وتشمل الذخائر لكل اسلحة الجيش. فبعض الذخيرة يصنع محليا لكن الذخيرة الأهم هي التي تستورد والتي اذا أُطلقت لم يعد بالامكان ايجاد البديل لها بفعل الحصار. وحتى الذخيرة التي تصنع في العراق تحتاج الى مواد أولية من نحاس وصفر وحديد والمنيوم ومواد كيماوية لاحصر لها... والمخزون الذي لاينبع ينضب كما قلنا آنفا. واستهلاك الذخيرة والاسلحة والطيران مستمر في العراق بعد احتلال الكويت لأن قطعات الجيش لاتستطيع البقاء نصف عام بدون مناورات ولأن المهام التعبوية الجديدة الملقاة

على عاتق الجيش العراقي في حالة الحرب المحتملة تقتضي استمرار التمارين واستهلاك الذخائر لأن ظروف الحرب المحتملة تختلف عن الظروف في الحرب مع ايران.

فكل ثغرات الاستهلاك مفتوحة على مصراعيها بينما الانتاج مبتور والورادات مفقودة والحصار "المزعوم" قائم. فمن أين يعيش العراق؟.

ونلخص ما سبق في جملة واحدة: حين كان كامل شعب العراق يعمل في حقول الانتاج الزراعي والصناعي وحين كان يستطيع استيراد كل ما يلزمه من وسائل الانتاج لم يكن العراق قادرا على الاكتفاء الذاتي. فكيف اصبحت الحال الان بعد شل ايدي نصف القوى المنتجة وبعد ازدياد كل انواع الاعباء وخاصة بعد زوال موارد البترول؟.

هل ستمده بالمال الدول العربية المنتجة للبترول بعد أن انكشفت نوايا الرئيس صدام باحتلال الكويت أم هل يتوقع المساعدة من الدول العربية الاخرى الفقيرة التي هي بأمس الحاجة للمساعدة؟. أم هل يقرضه الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية.. وخاصة بعد أن انحسر الحجاب عن الشيوعية المفلسة وبعد أن اصبح الاتحاد السوفياتي يعتمد على الاعانات والتبرعات لدفع المجاعة؟. أما دول العالم الثالث فهي مدقعة في الفقر.. فمن يزود العراق بالتسهيلات؟.

كل المذكورين في الفقرة السابقة لايمدون العراق بالمساعدات. لكن العراق يعيش.. بل إنه يعيش بصورة أفضل بكثير مما يجب أن يكون الأمر عليه ومما يتوقعه كل عاقل لو كان الحصار المضروب عليه أمرا جديا واقعا.

من ذلك نستنتج أن الحصار المضروب على العراق ذو ثغرات متعددة وكبيرة لايمكن أن تخفى ابدا على اجهزة الرصد للدول التي فرضت الحصار وتشرف عليه. وإن الدول الصناعية، وعلى رأسها الولايات المتحدة -المستفيدة الكبرى من الازمة- تعرف بأمر الثغرات وتعطيها الضوء الاخضر وبالاضافة الى ذلك هي التي تمنح العراق التسهيلات أو القروض بعوائد مجحفة بشكل مباشر أو غير مباشر.. فهذه الدول الكبرى هي الوحيدة التي اذا منحت العراق قروضا فلسوف تعرف كيف تجبيها فيما بعد مع الفوائد وفوائد الفوائد إن بقي

الحكم في العراق كما هو أو اذا انقلب. وانقلابه في رأيي أمر محتوم لكنه مؤجل ريثما يحقق كل مآرب الطامعين.

العراق يضم الكويت

بعد انتشار أخبار نزول القوات الاميركية في المملكة العربية السعودية اجاب العراق باعلان ضم الكويت اليه. واصدر بيانا يوضح فيه خطوته بادئا بالتنديد بمخططات تقسيم الوطن العربي منذ اتفاقية سايكس بيكو من قبل الاستعمار الغربي ثم يتعرض الى ضرورة الوحدة الى أن يقول:

" ولان باب السماء ينفتح للارادة الفعالة الخيرة ولتصميم المؤمنين الرافضين للذل والباطل الظالم فقد انفتح باب السماء سواء في عراق قبل يوم النداء في الثاني من آب أو في جزئه المبعد (الكويت)، وويل لمن ينفتح له باب السماء بشروطها ويتأخر عن فرصته فيها، وويل لنا من عذاب الله ان تأخرنا عن واجباتنا في ارضه الا وهي النضال والجهاد من أجل صحوة قومية عميقة تضع الامور في نصابها وتعيد للانسان العربي مكانته ودوره القائد في رسالة الله وفي رسالة الحياة وان هذا لايتحقق قبل أن تتحقق الشروط الصحيحة فيه مبتدئين بالنفس. وان النفس التي نقصدها هنا وطنية جماعية وعند ذلك فلا تتحقق قاعدة ما هو صحيح قبل ان يعود الجزء المبعد عن اصله والمنبع فكان الذي كان في يوم النداء في الثاني من آب وان يوم النداء لعظيم، فانفتح باب السماء باذن الله أمام العراق وانفتحت فرص واسعة امام كل العرب ولكن في نفس الوقت فقد انفتحت بالتوازي مع هذه الفرصة وكواحدة من شروطها ميادين منازلة جديدة للايمان كله تجاه الكفر كله....

وليس من هم أجدر من شعب القادسية وقيادته من يملأ الفرصة بعد انتزاعها. واستناداً الى كل هذا واشارة للمناشدة الواردة في بيان حكومة الكويت الحرة المؤقتة واستنادا الى التحول العظيم الذي حصل في حياة شعبنا بعد يوم النداء والى دواعي المبادئ والقيم والمعطيات التي جاء بها ذلك اليوم الاغر في الثاني من آب من هذا الشهر الذي باركه الله بفاتحة انتصار العرب في قادسيتهم الثانية ، ونظرا لما آل اليه الحال بعد تزلزل كيان قارون وبعد ان انخسفت به وبأعوانه الارض، وبغية اضعاف اماني الخائبين والاشرار من خارج وداخل الوطن العربي، ولوضع الامور في نصابها الصحيح باعادة الجزء والفرع (الكويت) الى الكل والاصل والمنبع (العراق) لتصحيح ما جار عليه الدهر والغاء الغبن والحيف الذي كان قد اصاب العراق في صميم كيانه قبل يوم النداء..

فقد قرر مجلس قيادة الثورة اعادة الجزء والفرع (الكويت) الى الكل الاصل (العراق) بوحدة اندماجية كاملة ابدية لانفصام لها تسود فيها نفس المفاهيم والقيم التي تسود في اجزاء العراق الاخرى وبما يعزز وحدة العراق ارضا وانسانا ومياها واجواء اقليمية."

ولاينسى البيان العراقي الغمز بقوات الولايات المتحدة وحليفاتها لذلك خصّهم بالاسطر في خاتمة البيان حيث يقول:

" ونقول للاجنبي أن المتورطين سيدفعون ثمناً غاليا... وفي كل الاحوال سيكون من آثار المنازلة ان هي بدأت ان تهتز وتتدحرج من الرؤوس والاكتاف بقايا الشارات والرتب وستزداد وتزهو اكاليل الغار ورتب الشرف والعز على رؤوس واكتاف النشامى، وسيلعن الله الملعونين .. وسيدفع كل ثمن فعله، وسيصيب المؤمنين ما يصيبهم، وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون.....". صدق الله العظيم."

اننا في الوقت الذي نشجب فيه لجوء العراق لاعلان "الضم الابدي" نتساءل عن الدافع الذي جعله يتصرف بهذا الشكل الانفعالي في ذلك الوقت غير المناسب. فالقيادة العراقية تعرف سلفا وبشكل موثق لديها بأن كل الدول العربية بما فيها تلك الدول التي يُنسب اليها ظلما انها سارت معه شجبت الغزو ونادت بعودة الشرعية. ونعرف ايضا أن الاجماع العالمي ضدها. والكويتيون آخر من يقبل بعملية الضم. فلماذا اضاف العراق الى " سلم ذنوبه " ذنبا جديدا كبيرا يستحيل الحفاظ عليه ؟ هل كان يتوقع حقا أن تتحسن الاوضاع بالنسبة اليه من خلال عملية الضم القسري ؟. لاشك في أن الشعب في العراق يفرح لو آلت الكويت اليه. ولكن هل غاب حقا عن المفكرين في صفوف الشعب العراقي القلق بل التخوف من مغبة هذه الخطوة الوحدوية ومن تداعياتهاعلى كل الشعب ؟ هذا ولقد بالغ البيان في لهجة التحدي الدموي . ويبدو انه كان يساور من كتبه الأمل في أن تتحقق نبوءاته بانزال ضربات دموية على القوات المتحالفة . ولكن حين دقت طبول الحرب لم تفسح له القوات المتحالفة أي مجال لأي انتقام مؤثر.

القرار ٦٦٢ بشجب ضم الكويت

ردّ مجلس الامن على القرار العراقي بضم الكويت باصدار القرار رقم ٦٦٢ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٩ والذي ينص على مايلي:

ان مجلس الامن،

اذ يشير الى قراريه ٦٦٠ و ٦٦١ (١٩٩٠) وإذ يثير بالغ جزعه اعلان العراق اندماجه التام والابدي مع الكويت.

وإذ يطالب مرة أخرى بأن يسحب العراق فورا وبدون أي قيد أو شرط جميع قواته الى المواقع التي كانت تتواجد فيها في ١ آب / أغسطس ١٩٩٠.

وتصميما منه على انهاء احتلال العراق للكويت واستعادة سيادة الكويت واستقلالها وسلامتها الاقليمية

وتصميما منه ايضا على استعادة السلطة الشرعية للكويت .

١- يقرر ان ضم العراق للكويت بأي شكل من الاشكال وبأية ذريعة كانت ليست له اية صلاحية قانونية ويعتبر لاغيا وباطلا .

٢- يطلب من جميع الدول والمؤسسات الدولية والوكالات المتخصصة عدم الاعتراف بذلك الضم والامتناع عن اتخاذ اي اجراء او الاقدام على اية معاملات قد تفسر على انها اعتراف غير مباشر بالضم .

٣- يطالب كذلك بأن يلغي العراق اجراءاته التي ادعى بها ضم الكويت .

٤- يقرر ان يبقى هذا البند في جدول اعماله وان يواصل جهوده لوضع حد مبكر للاحتلال .

في العاشر من آب / أغسطس طلبت حكومة بغداد من كل السفارات المعتمدة في الكويت اقفال ابوابها ثم الرحيل اشعارا بانتهاء الصفة الدولية عنها وتأكيداً لصيرورتها ارضا عراقية بحتة. واعطت بغداد السفارات مهلة أسبوعين تنتهي في ١٩٩٠/٨/٢٤ لانجاز المطلوب. ولما حلّ الموعد دون أن تنفذ كل السفارات ما طلب منها حاصرت القوات العراقية سفارتي بريطانيا والولايات المتحدة. وبعد ٢٠ يوما أخرى، أي في ٩٠/٨/١٤ اقتحمت القوات العراقية مبنى السفارة الفرنسية.

لقد شحذنا كل فكرنا بحثا عن تفسير معقول لضغط بغداد من أجل اغلاق السفارات وسحبها فلم نهتد الى أي تبرير معقول. فلو ادعت بغداد بأن اغلاق السفارات ليس سوى خطوة طبيعية وقانونية لازمة لتصبح الكويت عراقية بشكل ناجز لأجبنا بأكثر من اجابة واحدة! فهل تعلقت حقا صيرورة الكويت جزءا من العراق على اغلاق السفارات المعتمدة هناك؟. بل هل تم ترتيب وتصفية كل الامور الدولية العالقة في هذا الصدد ولم يبق من عائق سوى تواجد هذه السفارات؟. اننا ندرك كيف كان العراق يتخبط بحثا عن مخرج مشرف للورطة التي وقع فيها أو أوقع به فيها، وندرك كيف كان يلمس لمس اليد إطباق اذرع المؤامرات عليه ولكن هل كان من الانسب زيادة التصعيد باتخاذ اجراءات التحدي ذات الضرر الاعلامي العالمي المؤكد أم هل كان من الافضل الاسهام في تخفيف حرارة المرجل والعودة الى تهدئة الامور؟.

الفصل الثالث عشر

مؤتمر القمة العربية في القاهرة

لقاء للإعلام ام للبحث عن حل؟

تحت اجواء التصعيد بتوافد القوات الاميركية على اراضي المملكة العربية السعودية، وبعد جواب العراق على ذلك باعلان ضم الكويت اليه على شكل المحافظة التاسعة عشرة بدأت الترتيبات لاجتماع القمة الاستثنائي للدول العربية.

لقد كثرت الكتابات والاحاديث عن مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في القاهرة خلال يومي ٩/١٠ من آب/ اغسطس والذي ارتُجل بشكل لايتناسب مع ما يتطلبه الظرف من التروي وبطريقة نراها لاتليق ولاتحترم المستوى الفكري للرؤساء والملوك العرب المدعوين اليه. لقد قرأنا كثيرا من الشروح والتفسيرات لمضمون مادار هناك وللقرار الذي اتخذ في آخر الأمر مما سنتحدث عنه نحن ايضا إلا اننا نريد افتتاح حديثنا عن المؤتمر بما يختلف عن كل ماذهب الآخرون اليه لأننا نوجه نقدا عنيفا لفكرة الدعوة الى القمة من الأصل ولنعرب عن تولد قناعة لدينا بأن الهدف من الدعوة اليها لايعدو جمع المزيد من النقاط لاستكمال الاحاطة بالعراق وحصاره ولكي تبدو صورة الإدانة وكأنها شاملة وكاملة. فحين تصدر الإدانة وينتشر أمرها في الاعلام العالمي فلن يتعرض الى تفاصيل المشاحنات الساخنة التي رافقت مناقشة الإدانة ولن يذكر ضحالة الاغلبية التي حصل عليها القرار ولن ينوه عن عدم مشروعيته الدستورية وإنما سيقول الاعلام المغرض : ها هي الجامعة العربية ادانت ايضا الغزو العراقي. فإن كان العرب ادانوه فلا حرج ولا عجب في أن يدينه العالم.

ونحن ايضا نصرّ على طلب ادانته ولكننا لانستطيع تقبل اصدار حكم مُلزم دون الاطلاع على المسببات والحيثيات التي سبقته ثم الاستماع الهادئ الى كلا الطرفين على حد سواء.

لقد طرحنا على انفسنا هذا السؤال: ألم يعرف الداعون الى المؤتمربالانقسام السائد في صفوف دول الجامعة حول قضية الادانة قبل التفكير في الدعوة اليه ؟. الم تتوضح لهم الصورة الحقيقية لموقف العرب خلال اجتماع وزراء الخارجية العرب في ٢/٣ آب/ أغسطس حيث تمت ادانة العراق؟. وتساءلنا ايضا: ألم يعرفوا ايضا بأن قرارات القمة في امور من هذا

النوع بالذات والتي تتعلق بأمن كل دولة على انفراد لن تكتسب صفة الشرعية الا إذا اتُخذت بالاجماع ؟ فبما أنهم يعرفون بالانقسام العربي ويعرفون بعدم شرعية مثل هذا القرار بدون اجماع حسب ميثاق الجامعة فلا بد أنهم استنتجوا ايضاً عبثية الاجتماع منذ ما قبل الدعوة اليه. وهذا ما جعلنا نستنتج أن الدعوة الى المؤتمر لم تهدف الى البحث عن حل سلمي وانما الى تضييق الطوق حول رقبة العراق لتبرير تدويل القضية واخراجها عن الطوق العربي .

لقد أوضحنا في مكان سابق عدم قناعتنا بجدوى قرارات الجامعة العربية في الامور ذات الشأن. ولكننا نبقى ملزمين ببحث مادار في المؤتمر طالما لعب دورا اساسيا في سحق الأمل بالحل ضمن الاطار العربي وفي اخراجه الى محيط أممي مجهول حيث ستتلاعب به الأهواء العالمية والغايات. وما أن أنجزت الجامعة هذا القرار " الاعجر" (الفج) حتى توارى دورها في غياهب النسيان الى اجل غير مسمى فيما يختص بهذه القضية.

اعتمدنا في توثيق ما دار في مؤتمر القمة بالدرجة الاولى عى مراجع اربعة. لعل اهمها كتاب هيكل عن حرب الخليج الذي نهل منه عدد من الكتاب كثيرا من معلوماته لأنه يتميز بقربه من الاحداث بسبب العلاقات الشخصية الممتازة التي تربطه بشخصيات مؤثرة على القرار يتبوأون مراكز حساسة من مختلف المستويات.وهو يستطيع الاطلاع على وثائق ومحاضر أكثر من غيره من الكتاب. ولكننا نميز بشدة بين ما نقتبسه منه من معلومات موضوعية عن الحدث وبين تحليله للحدث نفسه لأننا لانتفق معه إلا في القليل من الاستنتاجات التي يتوصل اليها. ونعتمد ايضا على كتاب الاميركي سالنجر. ثم على مقاطع وثائقية عن محضر المؤتمر وردت في كتاب سفيان بن حميدة وعلى " محضر القمة العربية الطارئة " الذي نشرته مجلة " اليوم السابع " الفلسطينية بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢٠ والذي يلحظ كل من يقرؤه النقص في مضمونه[1] واخيرا نقيّم ما ورد عن المؤتمر في كتاب سعد البزاز الذي يعرض موقف العراق.

صدرت فكرة الدعوة الى مؤتمر القمة الاستثنائي بناء على طلب دول مجلس التعاون الخليجي الاربعة ومعها سورية ومصر. وكُلف الرئيس حسني مبارك بتوجيهها الى ملوك ورؤساء العرب. ويقول هيكل ان الدعوة الى الاجتماع لم تتم حسب الاصول المتبعة رسميا بارسال دعوات خطية أو برقية إنما اذيع نبؤها من خلال اجهزة الاعلام الصوتية والمرئية

---

[1] – اخذناه نحن عن" موسوعة حرب الخليج " صفحة ١٥٨

على أن يتم عقدها خلال ٢٤ ساعة من صدور الدعوة.[٢] وقد فوجئت كل الدول العربية بالدعوة المرتجلة ما عدا تلك الدول التي ولدت فكرتها في كنفهم. ولما حاول الرئيس التونسي زين العابدين بن علي تأجيل انعقاد المؤتمر عدة أيام للتهيئة والاستعداد رُفِض طلبه فاستنكف عن الحضور والقى خطاباً بهذه المناسبة يبين الأسباب الموجبة التي منعت تونس من الاشتراك . ونورد هذا الخطاب في نهاية الفصل لوجاهة مضمونه . واعتذر ايضا الملك المغربي الحسن عن الحضور ولم يُنب عنه أحد انجاله كما كان يفعل حين يريد التأكيد على تبنيه لما يحصل من نقاش إنما ارسل رئيس وزرائه. فلو حصل مالا يريده في المؤتمر لكان من الاسهل عليه أن يسحب المسؤولية الملكية مما يحصل.

موافقة العراق على حضور القمة

اما العراق فقد احتار في تعامله مع تلك الدعوة المفاجئة التي الغت امكانية اجتماع مؤتمر جدة المصغر حيث يجتمع ذوو العلاقة المعنيين وجها لوجه بعيدا عن العلنية وعن تشعيب المناقشات الخطابية وتوزيعها على نيف وعشرين وفدا عربيا يمثلون مختلف المشارب والمذاهب واشتهروا في العالم على انهم اذا اجتمعوا فهم "يتفقون على ألا يتفقوا" وكادت بغداد تقاطع هذه القمة التي لم يشاورها في أمر الدعوة اليها أحد بالرغم من أن العراق هو الطرف الاساسي الذي تسبب بالأزمة وأنه هو الذي سوف يُطلب منه الانسحاب. ولكن عدم الرغبة في ترك ميدان المناقشات تحت رحمة الدول التي ادانته تغلب في النهاية فقررت بغداد المشاركة وفضلت مواجهة الطرف الآخر الذي تؤثر فيه وعليه المملكة العربية السعودية التي تشعر وكأنما ثمة خطر عراقي يهددها. وشاعت بغداد ايضا بقرار المشاركة دعم الدول العربية التي لم توافق على ادانة العراق لكيلا تبقى معزولة.

تكوّن الوفد العراقي من السادة طه ياسين رمضان، وطارق عزيز والدكتور سعدون حمادي. في مساء ٨/٩ وصل الوفد الى القاهرة فاستضافته الادارة المصرية في قصر الاندلس بعيدا عن الفندق الذي حلت فيه معظم الوفود العربية الاخرى فأحس العراقيون بأنه يُراد عزلهم ومنعهم من الانغماس مع الآخرين فغادروا قصر الاندلس وتوجهوا الى مكان الوفود وأجروا مقابلات مع الملك حسين والرئيس ياسر عرفات والرئيس السوداني عمر البشير والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرئيس معمر القذافي. وهؤلاء هم رؤساء الدول التي لم

---

[٢] - نستغرب ادعاء هيكل بأن تبليغ الدعوة الى الملوك والرؤساء العرب تم عن طريق الاذاعة والتلفزيون (هيكل صفحة ٤٢٣) بينما يثبت خطاب الرئيس التونسي زين الدين بن علي في ٩٠/٨/١١ والذي نقتبسه في نهاية الفصل اتصالات الرئيس مبارك الهاتفية مساء ٨/٨/ بقادة العرب.

تقبل بادانة العراق. تناولت الاطراف المذكورة اسباب الازمة حيث حرص العراقيون على القاء مسؤولية ما حدث على الكويت وتبادلوا الآراء في الحلول الممكنة والمقبولة للازمة. وتساءل العراقيون وغيرهم عن البرنامج الذي سوف يسير حسبه المؤتمر بعد أن تم انعقاده بدون أي تحضير أو مشاورات وبدون سلم لأولويات النقاط التي سوف يجري بحثها. فتوجه الوزير طارق عزيز الى الأمين العام للجامعة الشاذلي القليبي وسأله عن مكان وموعد اجتماع وزراء الخارجية العرب للتحضير لاجتماع الرؤساء والملوك حسب العرف المتبع منذ تاسيس الجامعة. فأجاب القليبي بأنه هو نفسه فوجئ بالدعوة ولم يتمكن بعد من ترتيب أي تسلسل. فتوجه الوزير طارق عزيز الى المسؤولين المصريين بصفتهم اصحاب الدعوة للمؤتمر وطرح عليهم ذات السؤال فأجابوه بما ننقله عن هيكل بالحرف: " إن الموقف معقد جدا وبلا سابقة، وانه ليس هناك اجتماع لوزراء الخارجية قبل القمة، وأن الازمة بمجملها سوف تعرض على الملوك والرؤساء ليروا فيها رأيهم" ولما اعترض الوزير العراقي على هذا التجاوز اجابه المصريون حسب هيكل :" ان الظروف الاستثنائية تفرض أوضاعا استثنائية، وأن هذا هو الحال هذه المرة"[٣] فقرر الوزير تسجيل احتجاجه على هذا الوضع.

اجتماع رمضان مع مبارك قبل الجلسة

في ذات الليلة دخل موظف من المراسم المصرية على الوفد العراقي الذي كان مجتمعا مع الرئيس معمر القذافي وطلب من رئيس الوفد طه ياسين رمضان التفضل بلقاء الرئيس مبارك على انفراد. يبدو من المراجع التي اطلعنا عليها أن الرئيس مبارك تعمد عزل الوزير العراقي طارق حنا عزيز بصورة لاتخلو من صفة استفزازية نستنتجها من وصف هيكل للواقعة بكلمات قليلة ولكنها لاتخلو من معنى فيقول: " فبعد الاشكالات التي دارت حول اقامة الوفد في القصر أو نزوله في الفنادق مع بقية الوفود، ثم بعد استبعاد السيد " طارق عزيز" من حضور المقابلة التي جرت بين الرئيس مبارك وبين السيد طه ياسين رمضان..." والعجيب لدى هيكل انه لم يذكرخلافا لهذين السطرين اية كلمة عن مضمون الحديث الهام بين الرجلين بينما يكتب سعد البزاز ما يلي مستندا على حديث شخصي ومباشر مع السيد طه ياسين رمضان:

" وبينما كان الرئيس الليبي معمر القذافي يتحادث مع الوفد العراقي، دخل موظف من المراسم المصرية، ليبلغ السيد رمضان أن الرئيس حسني مبارك بانتظاره ليتحدث معه، وحده، على أن لايصطحبه أي عضو آخر من الوفد العراقي.

٣- هيكل صفحة ٤٢٥

وجد السيد رمضان، ان الرئيس المصري قد جعل من فترة استراحة في انتظار وصول طائرة الرئيس اليمني علي عبد الله صالح موعدا للمقابلة.

جلس الاثنان .. معهما أسامة الباز مدير مكتب الرئيس المصري ونبيل نجم سفير العراق في القاهرة.

وقد روى لي السيد رمضان تفاصيل اللقاء، الذي كان الاكثر أهمية بالنسبة له. بعد أن أبلغه الرئيس صدام حسين بالسعي لعقد هذا اللقاء..

قال الرئيس المصري:

– ما هذا الذي حصل .. وكيف حصل..

فأجاب السيد رمضان:

– لقد جئت اسأل اولا عن اسباب الغاء اجتماع القمة الخماسية التي كان مقررا لها أن تعقد في جدة.

رد الرئيس مبارك:

– .. والله.. لم نر فيها فائدة.. وقد طلبت منكم موقفا معلنا عن الانسحاب من الكويت اولا..

قال المبعوث العراقي:

– كيف تريدنا أن نعطي موقفا قبل أن نلتقي، اذا اعلنا موقفا مسبقا عن الانسحاب فلماذا تنعقد القمة اذن..؟ مع أن الرئيس صدام حسين وافق على تلك القمة المصغرة بدون شرط مسبق.. لكننا فوجئنا بدعوتكم لعقد قمة عربية موسعة في القاهرة بطريقة سريعة، من دون التشاور معنا .

اجاب الرئيس المصري:

– لقد طلب بعض الرؤساء عقد القمة، ومنهم الرئيس الليبي والرئيس السوري وملك المغرب، لذلك دعوت لها.

فعلّق المبعوث العراقي:

– انكم في مصر تؤكدون دائما ضرورة الاعداد الجيد لأي مؤتمر .. لكننا هذه المرة نجدكم في عجالة .. هل لنا أن نعرف إن كان هناك أي مقترح للمناقشة ؟

اجاب الرئيس مبارك بلهجة مصرية:

– ابدا .. مافيش حاجة.. مافيش أي قرار.. كل ما في الامر انني تلقيت طلبات لعقد القمة، وقد تمت الدعوة بناء على ذلك، لنتداول بيننا حتى نجد حلا..

رد السيد رمضان:

سنكون ايجابيين .. وسنجد الحل.. وانا مخول من الرئيس صدام حسين والقيادة العراقية للحوار ، ولدينا مقترحات محددة، منها اننا مستعدون لاعطاء اية ضمانات تريدها السعودية، إذ لا وجود مطلقا لكل ما قيل عن وجود نيّات عسكرية عراقية ضدها تبرر قدوم القوات الاجنبية .. مستعدون لقبول فكرة احلال قوات عربية بين الجانبين .. ومستعدون لحضور اجتماع ثنائي أو ثلاثي لبحث اية ترتيبات أخرى.

هنا .. علق الرئيس المصري:

- والله.. انهم لايثقون بكم .. ولديهم الحق في ذلك، فقد سبق ان طمأنا الكويت، ثم صار الذي صار.

وسأل السيد رمضان:

..متى كانت هناك طمأنة للكويتيين؟

اجاب الرئيس مبارك:

لقد حصل ذلك عندما جئتكم الى بغداد نهاية الشهر الماضي.

فتدخل المبعوث العراقي مقاطعا:

- لقد كنت حاضرا، وكان هناك أحد عشر شخصا آخرون، كنا واقفين ونستمع الى ما يدور بينك وبين الرئيس صدام حسين الذي قال لك: لن يكون هناك عمل عسكري حتى اجتماع جدة، وطلب منك عدم طمأنة الكويتيين، لأننا كنا نريد حل القضية، اذ لعل الخوف يدفعهم الى قبول الحل.

هنا، همّ الرئيس المصري بمغادرة الاجتماع، وصاح من مكانه:

- هل أنا كذّاب.. حتى تكذبني بهذه الطريقة..

فما كان من السيد رمضان الا أن طلب من الرئيس مبارك أن يتعامل بهدوء مع مداخلته.

فسحب الرئيس المصري انفاسه وقال:

- على اية حال.. يجب أن تعرفوا ان الاميركان مستعدون لتوجيه ضربات قوية مدمرة ضدكم.

فعلق المبعوث العراقي :

- اننا نتحمل كل النتائج .. ونحن لانحملكم اية مسؤولية، لأننا لم نأخذ رأيكم في قرارنا.. المهم هل لديكم صيغة تريدون طرحها قبل بدء الاجتماع الرسمي؟

اجاب الرئيس مبارك:

- لا.. لاتوجد صيغة مُقترحة.

عاد السيد رمضان يشرح موقف بلاده:

- اننا ندعو الى رحيل القوات الاجنبية، وسنعطي أي تعهد يريده السعوديون، ونرحب بلجنة على رأسها مصر أو أية جهة أخرى تذهب الى بغداد لتلتقي بالرئيس صدام حسين . وسيبحث كل شيء هناك.

وسأل الرئيس المصري على الفور:

- .. الانسحاب..؟

اجاب السيد رمضان:

- تبحثون كل شيء.. أنا لااتحدث عن تفاصيل.

كان الرجلان قد نهضا من مكانيهما، عندما شعر المبعوث العراقي انه لم يحصل على اجابة قاطعة ان كان هناك شيء يُدبر ضد بلاده.

قال السيد رمضان:

- لقد تداولت مع بعض الرؤساء في الافكار التي عرضتها امامك، وكانوا جميعا مع فكرة العمل في الاطار العربي، لكنهم ايضا كانوا يتساءلون ان كانت هناك صيغة مُعدة مسبقا لمشروع قرار يعرض عليهم.. فهل هناك شيء من هذا القبيل؟.

اجاب الرئيس المصري وهو يضع أخر خطواته خارج الغرفة ليستعجل الوصول الى المطار ويكون في استقبال الرئيس علي عبد الله صالح:

- اخ طه اطمئن.. ولا توجد اية صيغة مقترحة.. لا شيء مطلقا."[٤]

اثارت انتباهنا في هذا الحديث المتبادل نقطتان تحملان معنى، **الاولى** هي أن رئيس الوفد العراقي حين قال : "سنكون ايجابيين... وسنجد الحل... الخ." كان يسعى بالحاح الى طمأنة السعودية والى استعداد العراق لقبول قوات عربية تفصله عنها . ولكنه في ذات الوقت

---

[٤] - بزاز صفحة ١٠٩ . هذا ويروي مبارك رواية مخالفة لما رواه البزاز إذ يقول ان رمضان قال له : " إن ضم الكويت للعراق هو اجراء نهائي لارجعة عنه ولا عدول لأي سبب كان، وأن العراق يعتبر هذا القرار وطنيا لايمكن طرحه للمناقشة عربيا" (حمدان حمدان ص ٢٣٨). ولكن كل الاقوال العلنية للسيد رمضان والتي نجدها لدى مختلفِ منْ كَتَبَ عن الخليج لاتبدو لتؤيد هذه الصورة بهذا الشكل القاطع. وإن استعداد العراق للانسحاب موثق في احاديث مع الملك حسين ومع الرئيس عرفات ومع رجالات اليمن فلا يعقل أن يأخذ السيد رمضان موقفا اشد تصلبا من موقف رئيس دولته .

تجاهل التنويه عن استعداد العراق للانسحاب من الكويت. وهذا يوحي بأن العراق كان مازال في قرارة نفسه يأمل بايجاد صيغة ربما تمكنه من"تمرير"احتفاظه بالكويت. فمن المحتمل ان الرئيس صدام حسين ظن أن باستطاعته اقناع أي وفد يأتي الى بغداد بأنه لايستهدف السعودية ولن يتعرض لها بسوء، فإن اقتنعت السعودية بعدم وجود خطر عليها فلربما تغض الطرف هي ايضاًعما يحل بالكويت . أما **الثانية** فهي تأكيد الرئيس مبارك لعدم وجود اية صيغة مسبقة لمشروع قرار جاهز مما يدل على ان مشروع القرار الذي ابرزه وزير الخارجية السعودي صباح اليوم التالي لم يُعرض على الرئيس مبارك قبل العاشر من شهر آب/ اغسطس. ولكن حين نقرأ كيف تعامل الرئيس مبارك مع التصويت على القرار نضطر للشك في ادعائه بأنه لم يكن عارفاً به وبمضمونه من قبل. ويؤيد وجهة نظرنا ما قاله هيكل حين كتب:" وتدخل الرئيس مبارك: " إن لدينا مشروع قرار وزعناه في الصباح وسوف اطرحه الآن للتصويت".

أما ثورة الرئيس مبارك اثناء الحديث وسؤاله :" هل أنا كذاب حتى تكذبني؟.." فلا نرى فيها سوى رد فعل لصاحب الموقف الأضعف الذي لا يملك الحجة القوية مما يدفعه الى هذا النوع من الجواب .

في وقت لاحق من ذات المساء تحادث الرئيس عرفات مع الملك فهد مبلغا اياه سلامة نية العراقيين تجاه المملكة وتجاهه شخصيا ومعربا عن رغبة الرئيس صدام بلقائه في منطقة عرعر الحدودية. فلم تصدر عن الملك اشارة تفيد التجاوب ولكنه لم يرفض. وخلال دعوة العشاء في الحادية عشرة ليلا حاول السيد رمضان الحصول على موافقة الملك فهد على لقاء بينهما على هامش المؤتمر فاجاب الملك : "انشاء الله".

اما الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير البحرين فقد تمنى على العراق الانسحاب غير المشروط من كامل الكويت ليجري بحث نقاط الخلاف بعدئذ في اجواء أسلم.

والتقى الرئيس اليمني علي عبد الله صالح بالرئيس السوري حافظ الأسد من جهة وبالوفد العراقي من جهة أخرى متمنيا على الفريقين عدم التعرض لأمور تؤدي الى تصعيد الموقف المتبادل بينهما مما يؤدي الى انحراف الأمور عن المنحى الاساسي الذي يشكل موضوع الساعة . فأبدى الفريقان استعدادهما لتلبية هذا الرجاء.

ورقة الإدانة الجاهزة

بدأ قدوم الوفود الى قصر المؤتمرات في مدينة نصر منذ التاسعة صباحا من يوم الجمعة الواقع في ١٠/٨/١٩٩٠. وما حدث بعد ذلك نقتبسه من هيكل ثم نورد اقتباسا مكملا أو معاكسا من البزاز لنعلق في النهاية على الجميع انطلاقا من قناعتنا. يقول هيكل:

" صباح يوم الجمعة كان " الشاذلي القليبي" في صدر قصر المؤتمرات تائها في الاسلوب الذي يمكن أن ينعقد على اساسه مؤتمر القمة المنتظر خلال ساعة من الزمن. عرف أن الامير "سعود الفيصل" وزير الخارجية السعودي يبحث عنه. وقصد الامين العام للجامعة العربية الى حيث قيل له أن وزير الخارجية السعودي موجود، وإذا هو يسلمه ورقة رجاه طبعها بواسطة الامانة العامة للجامعة حتى يمكن توزيعها على الملوك والرؤساء قبل دخولهم قاعة الاجتماع، واحس " القليبي" أن معجزة جاءته من السماء ، فهو على الاقل يعرف الآن من أين يبدأ. فلديه الآن مشروع قرار يمكن أن يطبع ويوزع، ويمكن أن تكون منه نقطة بداية لاجراءات الاجتماع. ويروي " القليبي" أنه نظر في ساعته فوجد أنه لم يبق على موعد الاجتماع المقرر سوى نصف ساعة ، ولذلك فإنه آثر ألا يضيع وقتاً في قراءة الورقة التي قدمها له وزير الخارجية السعودي، وفضل أن يعطيها مباشرة لأحد مساعديه ليأخذها الى الغرفة التي خصصت للسكرتارية حتى تباشر في طبعها على الفور. ولم تمض غير دقائق حتى عاد اليه مساعده الذي أخذ منه مشروع القرار الذي قدمه الامير "سعود الفيصل" لكي يقول له إن هناك مشكلة في النص، ذلك أن النص المكتوب في المذكرة يقول في البند السادس منه " إن القمة تقرر الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ، ودول الخليج العربية الأخرى بنقل قوات عربية لتنضم الى القوات المسلحة الموجودة فيها (أي في السعودية) دفاعا عن اراضيها وسلامتها الاقليمية ضد اي عدوان خارجي.

وكانت الملاحظة التي أقلقت مساعد الامين العام ودعته الى مراجعة رئيسه هي عبارة " القوات الموجودة". وكان رأيه أنه توجد الآن قوات أمريكية تم الاعلان عن ذهابها فعلا الى السعودية . فإذا كانت القوات العربية ستنضم الى هذه القوات، فمعنى ذلك الآن أن القمة العربية تقرر في واقع الامر أن القوات العربية التي يمكن أن تذهب الى السعودية نتيجة لقرارتها ذاهبة لتنضم الى القوات الاميركية؟"

ولمح الأمين العام على الفور وجاهة الملاحظة التي أبداها مساعده ، فأخذ منه مشروع القرار وظل يبحث عن الامير " سعود الفيصل" حتى عثر عليه ، ثم قال له: " إن هناك مشكلة في أحد نصوص مشروع القرار الذي تلقاه منه" . وراح " الشاذلي القليبي" يشرح

له الملاحظة مضيفا الى ذلك " أن دلالتها يمكن أن يساء تفسيرها". وفطن وزير الخارجية السعودي بسرعة الى الخطأ، وطلب الى الامين العام أن يغير العبارة بحيث تصبح " لمساندة قواتها المسلحة دفاعا عن اراضيها وسلامتها.. الى آخره "، بدلا من القول " الانضمام الى القوات الموجودة فيها". ثم اضاف الامير " سعود الفيصل" برقته المعهودة قوله " للقليبي" : " شكرا معالي الأمين العام أنك نبهتني الى هذه الغلطة.

وثارت في اروقة المؤتمر عاصفة، ذلك أن أجواء المؤتمرات العربية على مستوى القمة أو دونها – غير قادرة على الاحتفاظ بسر. وهكذا لم يلبث سر مشروع القرار الذي قدمه وزير الخارجية السعودي الى الامين العام أن ذاع في اروقة المؤتمر وتناقلته الروايات ، ثم لم تمض غير برهة وجيزة حتى كان أحد أعضاء الوفود قد تمكن من تصوير الورقة . ثم دارت آلات تصوير المستندات أسرع ، وإذا صورة الورقة موجودة بالفعل في ايدي كثيرين.

كان نص الورقة على النحو التالي:

" إن مؤتمر القمة العربية غير العادي المنعقد بالقاهرة (جمهورية مصر العربية) يومي ١٩ و٢٠ محرم ١٤١١ هجريا، الموافقين لـ ٩و ١٠/٨/١٩٩٠ ميلادياً .

بعد الاطلاع على قرار مجلس جامعة الدول العربية الذي انعقد في دورة غير عادية في القاهرة يومي ٢و ٣ أغسطس/آب/ أوت ١٩٩٠ ميلاديا.

وبعد الاطلاع على البيان الصادر عن المؤتمر التاسع عشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية الذي صدر بالقاهرة في الرابع من أغسطس/ آب/ اوت ١٩٩٠.

وانطلاقاً من أحكام ميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة العربية.

وانطلاقا من ميثاق الأمم المتحدة وبشكل خاص الفقرة الرابعة من المادة الثانية والمادتين (٢٥) و(٥١).

وادراكا للمسؤولية التاريخية الجسيمة التي تمليها الظروف الصعبة الناجمة عن الاجتياح العراقي للكويت وانعكاساته الخطيرة على الوطن العربي والأمن القومي العربي ومصالح الأمة العربية العليا يقرر :

١- تاكيد قرار مجلس جامعة الدول العربية الصادر في ١٩٩٠/٨/٣ وبيان منظمة المؤتمر الاسلامي الصادر في ٨/٤/ ١٩٩٠.

٢- تأكيد الالتزام بقرارت مجلس الأمن رقم ٦٦٠ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٢، ورقم ٦٦١ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦، ورقم ٦٦٢ بتاريخ ٨/٩/ ١٩٩٠ بوصفها تعبيرا عن الشرعية الدولية.

٣- ادانة العدوان العراقي على دولة الكويت الشقيقة وعدم الاعتراف بقرار العراق ضم الكويت اليه، ولا بأي نتائج اخرى مترتبة على غزو القوات العراقية للاراضي الكويتية ومطالبة العراق بسحب قواته منها فورا، واعادتها الى مواقعها السابقة على تاريخ ١٩٩٠/٨/١.

٤- تأكيد سيادة الكويت واستقلاله وسلامته الاقليمية باعتباره دولة عضوا في جامعة الدول العربية، وفي الأمم المتحدة، والتمسك بعودة نظام الحكم الشرعي الذي كان قائما في الكويت قبل الغزو العراقي، وتأييده في كل ما يتخذه من إجراءات لتحرير أرضه وتحقيق سيادته.

٥- شجب التهديدات العراقية واستنكار حشد العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية، وتأكيد التضامن العربي الكامل معها ومع دول الخليج العربية الاخرى وتأييد الاجراءات التي تتخذها المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي الأخرى إعمالا لحق الدفاع الشرعي وفقا لأحكام المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول جامعة الدول العربية والمادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، ولقرارت مجلس الأمن رقم ٦٦١ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٦. على أن يتم وقف هذه الاجراءات فور الانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت، وعودة السلطة الشرعية للكويت.

٦- الاستجابة لطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي الأخرى لنقل قوات عربية لمساندة قواتها المسلحة(وفي النص الاصلي : " لتنضم الى القوات المسلحة الموجودة فيها") دفاعا عن اراضيها وسلامتها الاقليمية ضد أي عدوان خارجي.

٧- تكليف الأمين العام لجامعة الدول العربية بمتابعة تنفيذ هذا القرار، ورفع تقرير عنه خلال خمسة عشر يوما الى مجلس الجامعة لاتخاذ ما يراه في هذا الشأن."

نلاحظ من البند الخامس في هذا القرار الذي جرى اعداده قبل انعقاد المؤتمر كيف تبنّى كتبة القرار وجهة النظر الاميركية فسلموا تسليما تاما بصور الاقمار الصناعية المزيفة التي ابرزها الاميركيون امام السعوديين. وتكهرب جو المؤتمر وارتفعت درجة حرارته. واقبل السيد "طارق عزيز " على الامين العام للجامعة العربية يسأله عن مصدر هذا المشروع الذي وجده في ايدي اعضاء الوفود. وقال الامين العام أنه لايعرف، ولكنه يظن أنه وُضع كمشروع بالتشاور بين مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج. وسأله طارق عزيز" بغضب: " وهل يمكن أن يعرض على القمة مشروع لاتشارك في وضعه إلا مجموعة قليلة من الدول"؟ وكان رأي الامين العام أنه ليس مسؤولا عن ترتيب المؤتمر. ورد

" طارق عزيز" بأن "العراق يطلب رسميا إجراء تحقيقٍ في وقائع ما حدث". وكان تعليق الأمين العام ، أن الأمر ليس في يده، ومن الأفضل أن تتفاهم الوفود مع بعضها مباشرة دون داع لتوريط الأمانة العامة فيما لاتملك سلطة عليه".

وكان تعليق أحد كبار مستشاري الملك "حسين" عندما اطلع على المشروع قوله إنه يشعر أنه ترجمة الى اللغة العربية، وليس كتابة أصلية باللغة العربية.

وكانت المناقشات بين الوفود محتدمة حول مشروع القرار، وقد وجد بعضها هناك ثغرات أخرى فيه غير تلك التي اكتشفها مساعد الامين العام . وتوزع المؤتمر الى جبهات وفرق تتناقش وتحتد على بعضها، والملوك والرؤساء العرب لايدخلون الى قاعة الاجتماع.

١- كانت هناك وجهة نظر تقول إن النص الوارد في المادة (٣)، وهو الخاص بادانة العدوان العراقي على الكويت ورفض نتائجه- يطلب في آخره الى العراق سحب قواته من الكويت فورا، واعادتها الى مواقعها السابقة على تاريخ ١٩٩٠/٨/١، وليس هذا هو التاريخ الذي وقع فيه الغزو العراقي بتوقيت المنطقة العربية . فالغزو وقع فجر يوم ٢أغسطس، وبالتالي فمن المنطقي أن تطالب المادة بعودة القوات العراقية الى مواقعها السابقة على تاريخ ٢ وليس ١ أغسطس ١٩٩٠. وفي وجهة النظر هذه فإن تاريخ ١ أغسطس هو التاريخ الذي وقع فيه الغزو طبقا لتوقيت الولايات المتحدة .

وكان الرد على ذلك من وجهة النظر الأخرى- أن ذلك تعسف ليس له مايبرره لأن قوات الغزو العراقي تحركت في الواقع في الساعة الحادية عشر قبل منتصف ليلة ٢ أغسطس.

٢- وكانت هناك وجهة نظر تقول إن النص الوارد في المادة (٤) يتحدث عن " تأييد الكويت في كل ما تتخذه من اجراءات" ، والكل يعرف أن الكويت طلبت مساعدة الولايات المتحدة عسكرياً بعد نصف ساعة من الغزو، ومعنى ذلك أن الدول العربية الآن مطالبة بإقرار الوضع الذي تم دون انتظار للامم المتحدة، أو لجامعة الدول العربية.

وكان الرد على ذلك من وجهة النظر الاخرى- أن حق أي دولة في رد العدوان عنها ينشأ بمجرد وقوع العدوان .

٣- وكانت هناك وجهة نظر تقول إن النص الوارد في المادة (٥) الذي يقول " استنكار حشد العراق لقواته المسلحة على حدود المملكة العربية السعودية .. الى آخره" - استنكار لحالة لم تنشأ بعد، فقد أكد العراق وتعهد للملك "حسين" أنه لاتوجد لديه حشود على حدود المملكة العربية السعودية ، وانه حتى الرئيس "بوش" قال في تصريح له في بداية الأزمة

إنه لايوجد لديه ما يؤيد امكانية تعرض بلد خليجي آخر لغزو العراق. كما أن العراق أعلن التزامه بمعاهدة عدم الاعتداء بينه وبين السعودية

وكان الرد عل ذلك من وجهة النظر الأخرى – أن أحدا لم يعد له الحق في تصديق تأكيدات العراق ولا معاهداته.

٤– وكانت هناك وجهة نظر تقول إن النص الوارد في المادة(٥) عن " تاييد الاجراءات التي تتخذها المملكة العربية السعودية ودول الخليج المجاورة الأخرى إعمالا لحق الدفاع الشرعي.. الى آخره" – هو نص مفتوح معناه تأييد حشد القوات الامريكية في المملكة العربية السعودية ، وهو حشد بدأ فعلا . كما أن أحدا لايعرف حتى الآن تفاصيل ما دار بين الحكومة السعودية والحكومة الامريكية أثناء زيارة وزير الدفاع الامريكي الى المنطقة بينما أخبار وكالات الانباء حافلة بمعلومات خطيرة عما تم الاتفاق عليه في هذا الاجتماع . وإذا كان يحق للسعودية أن تتصرف من منطلق سيادتها على اراضيها كما تشاء – فإن بقية العالم العربي ليست مطالبة بالموافقة على اجراءات لاتعرف عنها شيئا.

وكان الرد على ذلك من وجهة النظر الأخرى – أن السعودية لاتستطيع الانتظار حتى يقع المحظور، ومن واجب العالم العربي أن يشعرها بالطمأنينة ولايتركها وحدها مع الامريكان." [5]

يبدو للقارئ أن هيكل أراد من ذكر وجهات النظر والردود عليها اتباع مبدأ الموضوعية فلا يتدخل بنفسه ككاتب ومعلق بابداء رأيه وقناعته. ولكننا لانرى ذلك، إنما نجد لديه تهربا متعمدا من اتخاذ موقف يتبناه ويدافع عنه كما كان يفعل في الماضي، وكأنما يخشى نتائج اعلان موقفه الصريح . ونلتقط أحد الردود التي اطلقها هيكل عن عدم وجود أي انسان يثق بتاكيدات العراق ومعاهداته لنقول بأن العراق لم يخرق اي وعد قطعه على نفسه . وسبق أن بينا بالقرائن لماذا نميل الى تصديق العراق في انه لم يقطع وعدا على نفسه بعدم غزو الكويت حتى يقال عنه أنه خرق وعده . ولانعرف أي مثال عن خرق العراق لمعاهدة أو اتفاقية. ورئيس الوزارة البريطاني السابق هيث يؤيد وفاء العراق لالتزاماته . ولكننا نؤكد بذات القوة بأننا في دفاعنا عن نقاط محددة في تصرفات العراق لا نتحيز له . فنحن ندين الغزو العراقي للكويت دون قيد او شرط.

ويصف سعد البزاز تلك المرحلة من مؤتمر القمة كما يلي:

---

[5] – هيكل صفحة ٤٢٦–٤٣٠

" واتصل السيد طارق عزيز بالامين العام لجامعة الدول العربية والخارجية المصرية ليستفسر عن الاجتماع التمهيدي الذي اعتاد وزراء الخارجية العرب ان يمهدوا به للقاءات القمة ويعدوا مشروعات قراراتها، وجاءه الرد المصري أن الوزراء لن يجتمعوا، وأن الملوك والرؤساء سيبحثون مباشرة في الازمة............

كان من المقرر أن يبدأ المؤتمر عمله الرسمي في الساعة الحادية عشرة صباحا يوم ١٩٩٠/٨/١٠.

تدفق رؤساء الوفود واعضاؤها على الصالات المجاورة للقاعة التي تقرر أن ينعقد فيها المؤتمر وجلس رئيس الوفد العراقي الى جوار الرئيس السوداني عمر البشير يتحدث اليه، فاذا بالسيد سعد قاسم حمودي عضو الوفد العراقي يدخل مسرعا ليقدم لرئيس وفده اوراقا طبع عليها مشروع قرار مقدم من عشر دول(دول الخليج الست ومصر وسوريا والمغرب والصومال).

وكانت مفاجأة صاعقة.

التفت رئيس الوفد العراقي يخاطب الرئيس السوداني:

- لقد أكد الرئيس مبارك لي مساء أمس أنه لايوجد أي مقترح أو مشروع قرار يتضمن عقوبة للعراق وان اجتماعنا سيكرس للتداول بالخروج بحل....

وتناثرت الاوراق على رؤساء الوفود ومساعديهم، وحصل ما يشبه الهرج والمرج، نقاش بصوت عال، القادة ينتقلون من مكان الى آخر ، في الممرات وانحاء الصالة ، همس في الاذان بينهم اثنان .. اثنان، الرئيس عرفات أبدى استغرابه مما يقرأ على الورق ، الرئيس القذافي نهض ليترك مكانه بعد أن تسلم نسخة من مشروع القرار، الرئيس المصري دخل متوترا وهو يحمل مجموعة اوراق، الرئيس اليمني سأل المبعوث العراقي مرة أخرى إن كان العراق يدعو لاحلال قوات عربية كبيرة بدل القوات الاجنبية في السعودية، فاجابه السيد رمضان بالايجاب، ثم جاء الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وكانه يطرح سؤالا للمرة الاخيرة على رئيس الوفد العراقي:

- اريد أن اسمع منك أن العراق مستعد لاستقبال وفد من المؤتمر يبحث معه كل جوانب المشكلة بما فيها موضوع الكويت.

قال السيد رمضان:

- اذا لم تقتنعوا بعد زيارة بغداد، سيكون من حقكم آنذاك أن تحاربوا مع الامريكان ضدنا.

في تلك الاثناء كان الرئيس الليبي معمر القذافي قد دخل في جدل بصوت عال مع الكويتيين حول مسؤولية مجيء القوات الاجنبية الى المنطقة.

وانزوى الرئيس السوداني مع مساعديه ليضع مقترحا مكتوبا يكون بديلا عن مشروع القرار الذي وزعه المصريون، وعُرض المقترح السوداني الجديد على عدد من رؤساء الوفود الذين رحبوا به كحل وسط يتضمن فكرة توجه وفد عربي مشترك الى بغداد.

وروى لي [المقصود البزاز] البشير انه لم يكن ليتقدم بمشروعه لايفاد مجموعة من القادة العرب الى بغداد لولا معرفته الشخصية السابقة بالرئيس صدام حسين، وانه كان على ثقة بأن الرئيس العراقي لن يجعل الوفد يعود خائبا من بغداد، وكان بالامكان حل المشكلة عبر هذا الوفد لو ذهب، لكنه لم يذهب مع الاسف لأن المقترح الذي تقدمتُ به تم تجاهله من قبل رئاسة المؤتمر." [٦]

النداء العراقي العنيف ضد مصر والسعودية

يبدو أن صبر الوفد العراقي بدأ ينفد من تلك الممارسات ذات الخلفيات المشبوهة فما كان من رئيس الوفد العراقي إلا أن سطر على ورقة الكلمات التالية " الى السيد الرئيس : إن هناك خطة مدبرة لاصدار قرار يوفر غطاء عربيا لضرب العراق ، ويقود العملية كل من مبارك وفهد" واوعز بارسالها فورا الى بغداد فوصلت في ذات الوقت الذي بدأت خلاله الوفود بالدخول الى قاعة الاجتماعات للبدء رسميا بالتداول والنقاش:

" وبعد ساعتين من وصول برقية الوفد العراقي في القاهرة وجه الرئيس صدام حسين نداء الى العرب والمسلمين للجهاد ضد القوات الامريكية التي وطأت ارض السعودية، وهاجم ملك السعودية والرئيس المصري باسميهما.. للمرة الاولى، باعتبارهما المسؤولين عن استقدام القوات الامريكية الى ارض العرب."[٧] تميز نداء الرئيس صدام بعنف لايوصف يتجاوز ما يتطلبه الموقف بمراحل. فبعد أن تناول كل المثالب التي يمكن ان يُنعت بها حاكم دولة نجده ينادي العرب والمسلمين الى الثورة على الرئيس مبارك وعلى الملك فهد وعلى حكام الخليج. ونقتبس مما قاله المقتطفات التالية:

" وعلى هذا الاساس اصطف في جانب ومرة واحدة الامبريالية والمنحرفون، وتجار وسماسرة السياسة، وخدم الاجنبي والصهيونية ضد العراق، ليس لشيء، الا لأنه يمثل ضمير الامة واقتدارها، وعنوانا معلنا للمحافظة على شرفها وحقوقها من الاذى والدنس.

---

[٦] - بزاز صفحة ١١٢-١١٤

[٧] - بزاز صفحة ١١٧

ان العراق ايها العرب .. هو عراقكم.. وهو شمعة الحق لينزاح الظلام.

.. وبعد أن اصطف الكفر كله في صف واحد.. فليصطف الايمان كله مع العراق.

لهذه الاسباب وفي هذه الظروف ، جاءت القوات الامريكية وانفتحت لها ابواب السعودية، تحت شعار ادعاء كاذب وباطل، بأن جيش العراق سيواصل مسيرته الجهادية باتجاههم، ولم ينفع النفي والتوضيح، مما يعني أن التدبير مقصود لغايات عدوانية على العراق، لأنهم غير قادرين، بعد أن انفضحت وفشلت دسائس السياسة المشتركة، بينهم وبين الاجنبي، ودسائس الاموال، أن يقوموا هم بمفردهم في هذا العدوان.

ايها العرب... ايها المسلمون.. ايها المؤمنون بالله حيثما كنتم.. هذا يومكم لتهبوا، وتنفروا خفافا ، لتدافعوا عن مكة الاسيرة بحراب الامريكان والصهاينة.. هذا يومكم لتهبوا، وتنفروا خفافا، لتدافعوا عن الرسول محمد بن عبد الله، الذي حمل الرسالة الكريمة في هذه الارض الكريمة لتبقى مقدسة .. ثوروا على الظلم والفساد والخيانة والغدر.. ثوروا ضد حراب الاجنبي التي اهانت مقدساتكم.. ابعدوا الاجنبي عن ديارنا الشريفة المقدسة ، ارفعوا اصواتكم، واستنخوا من ينتخي من حكامكم ، ليقف الجميع وقفة عز واحدة، ولنطرد الظلام، وافضحوا الحكام الذين لايعرفون النخوة.. وثوروا على من يقبل أن يستعرض امراء البترول نساء العرب بالسوء، ويدفعون الى الفحشاء.

قولوا للسماسرة من الحكام ، وهم يمارسون دورهم هذا في خدمة الاجنبي، أو يمارسون السمسرة في خدمة امراء البترول على نساء العرب.. وقولوا للخونة، ان لامكان لهم على ارض العرب، بعد ان فرطوا بحقوق الشعوب، واهانوا الكرامة والشرف.

احرقوا الارض تحت اقدام المعتدين الغزاة، الذين يريدون بأهلكم في العراق شرا، ليعم شرهم الوطن العربي من بعد ذلك، وليسكت الى حين صوت الحق في الامة العربية، بعد أن يمنوا النفس، فخاب فألهم، باسكات صوتكم في العراق.

اضربوا مصالحهم حيثما كانت.. وانقذوا مكة المكرمة، وانقذوا قبر الرسول محمد (ص) في المدينة المنورة.

ايها الاخوة في مصر الكنانة.. يا احفاد الرجال المؤمنين... يا ابناء ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ وثورة ٢٣ يوليو.. يا احفاد عرابي وسعد زغلول ... يا ابناء جمال عبد الناصر.. انه يومكم ودوركم لتمنعوا على الاجنبي واساطيله، أن يمر من سماء مصر وقناة السويس، لكي لاتتدنس سماؤكم ومياهكم، ويكتب عنكم التاريخ ما لايليق بمصر... ياابناء مضيق هرمز.. امنعوا على اساطيلهم المرور.. انتم والرجال المؤمنون في رأس الخيمة والشارقة.."[٨]

بصرف النظر عن رفضنا لتلك الطريقة في مخاطبة قادة الدول نرى أن اذاعة هذا النداء من اسوأ القرارات التي اتخذها الرئيس صدام حسين . فإن كان رأيه فيهم هو ذلك فلماذا

---

[٨] - بزاز صفحة ١٢٥-١٢٦

سكت عنهم من قبل؟.[٩].. فإذا اجابنا بأنه كان يلتزم بالصمت دفعا للشقاق أو حقنا للدماء نرد عليه بأنه كان عليه الاستمرار في ذات الاتجاه لأن الاتجاه الآخر هو عين الخطأ. قد يقول البعض بأن قناعته بعبث ما يجري دفعته الى الهجوم عساه ينجح بالوصول الى هدفه من خلال العنف بعد وصوله الى طريق مسدود. ولكننا بالرغم من قناعتنا بأن المؤتمر كان يُحضّر قرار الادانة نرى أن مهاجمة الرئيس مبارك والملك فهد كانت خطيئة لاتغتفر. فلو كان ثمة قبس من أمل في اصلاح ذات البين فإن النداء العراقي بتر كل الوشائج وأحرق خلفه كل السفن. فالبزاز يعترف مثلا بأن الملك فهد لم يتجاوب مع محاولة الرئيس عرفات في رأب الصدع إذا يكتب : " كان الملك السعودي يصغي الى محدثه دون أن تصدر عنه اية اشارة في التجاوب مع العرض الذي عاد به الرئيس عرفات من بغداد." ويعترف البزاز ايضا بأن الملك فهد لم يرفض مقابلة السيد طه ياسين رمضان بشكل قاطع إنما اكتفى بالقول : " انشاء الله". ونحن نرى أن عدم صدور الرفض عن الملك فهد يعني وجود فرصة كان من الواجب متابعتها واستنفادها حتى النهاية خاصة أن الملك فهد في قرارة نفسه يتمنى لو تصلح الامور دفعا للاخطار المخيفة والمجهولة التي تبدو في الافق. بل إنه لم يتحمس ابدا للطلب الاميركي بالسماح بانزال القوات المسلحة. ولولا الضغط على قراره من خلال صور الاقمار الصناعية التي زيفتها المخابرات الاميركية لما وافق على الانزال.

لقد كان لدى الملك فهد بقية من استعداد لتقبل حل تفاوضي بالرغم من الادانة. ولكن نداء الرئيس صدام اجهز على تلك البقية وصارت اثرا بعد عين.

وفي ظل النداء العراقي العنيف استمرت المناقشات في الاجتماع. ونحن نتابع اقتباسنا لها من هيكل حيث يكتب:

" كان مستحيلا أن يتوجه أحد الى قاعة الاجتماعات في هذا الجو المشحون. ورأى قصر المؤتمرات في مدينة نصرمشاهد يصعب جدا أن تقع في مؤتمر قمة أو أن تتكرر.

---

[٩] – من أوقع ما أجيب به على قول الرئيس صدام عن احتلال "الكفار" للأماكن المقدسة هو ما قاله الملك فهد سائلاً إياه:" أنت تقول هذا لمن؟ المدينة المنورة ومكة المكرمة بيت الله الحرام ومسجد نبيه يبعدان عن المشكلة بألف وخمسمائة كيلومتر. طيران حوالي ساعتين ونصف. تكذب على من؟ المسلمون يأتون ويرون.... ولا أدعي أن المملكة العربية السعودية معصومة من الأخطاء فلولا الأخطاء ما وجد العقاب .. الذي أراد رب العزة والجلال أن يقول يا بشر أنتم أمامكم الآن هذا الطريق المضيء وهذا طريق الخير وهذا طريق الشر.. اسلكوا ما تريدون. أنتم أحرار." " موسوعة مطر صفحة ٣٥٢ "

اختلط الجمع كله: الملوك والرؤساء، والوزراء، ومستشارو الوفود، وموظفو الجامعة ، الصحفيون العرب والاجانب وحتى الحراسة – أتيحت لهم الفرصة لرؤية جوانب مما جرى.

وكان العقيد " معمر القذافي" من أكثر الحاضرين هياجاً ، وقد امسك في يده بنسخة المشروع – وكانت الامانة العامة قد وزعته رسميا– ووقف يقول في جمع من المشاهدين ما مؤداه: " إذن فهذا هو مايريدون منا أن نختم بأصابعنا عليه". ثم توقف امام الشيخ "زايد بن سلطان آل نهيان " رئيس دولة الامارات العربية وقال له وهو يلوح بالورقة امامه: " ولماذا تلجؤون للأمريكان لحمايتكم.. لماذا لاتختصرون الطريق وتطلبون ذلك من اسرائيل مباشرة".

وبعد جهد جهيد ، وفي الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا، أمكن جمع الملوك والرؤساء ومستشاريهم الى جلسة مفتوحة للمؤتمر ليلقي الرئيس " حسني مبارك" بوصفه الداعي للقمة – خطابه الافتتاحي، وبعد ذلك تنفض الجلسة لصلاة الجمعة على أن تعود للانعقاد في الساعة الثانية ظهرا حتى يستطيع المؤتمر أن يبدأ اعماله.

وألقى الرئيس " مبارك" خطابه، فبدأ بشكر الملوك والرؤساء الذين لبوا دعوته ، ثم قال إنه دعاهم لكي يبحثوا قضية هامة عاجلة تشغل أذهان شعوبنا في الوطن العربي على امتداده، وتسبب كثيرا من الضيق والقلق لمعظم شعوب العالم التي تتطلع الى الامة العربية في هذه اللحظات الحرجة في محاولة للتعرف على حقيقة ما يدور على ارضها ، والتساؤل عما ستفعله للخروج من المأزق الذي وضعت فيه بعد الأحداث الأخيرة."

ثم قال الرئيس "مبارك":

" إن خطبا جللا قد وقع على ارضنا في الايام الماضية، وقد حدث بشكل مفاجئ، وبصورة لم تشهدها أمتنا العربية في تاريخها القديم أوالحديث ، ويخالف توقعات الجماهير العربية في المشرق والمغرب، فكان طبيعيا أن تكون له انعكاساته واصداؤه المدوية في بقاع العالم، وأن تكون له مخاطره الجسيمة بالنسبة لنا جميعا."

ثم عد الرئيس "مبارك" مجموعة من النقاط اعتبرها ركيزة لحل يؤدي الى مخرج الأزمة:

- إما عمل عربي فعال، أو تدخل أجنبي.
- إن المظلة العربية هي المخرج الوحيد من المأزق.
- إن مبدأ استخدام القوة مرفوض داخل الأسرة الواحدة.
- إن الاستيلاء بالقوة على الارض يشكل تهديدا جسيما على الامة.
- إن الأمن مطلب أساسي، ولاغنى عنه للوجود أو للتطور.

• أن الشعور بالأمن يجب أن يتوافر لدى كل شعوب المنطقة.

• إننا لابد أن نتحرك في اطار عالم اليوم، ونتحدث بلغته.

ثم انتهى الرئيس "مبارك" الى القول: " إن لدينا من الصيغ ما يخرجنا من المأزق إذا خلصت النوايا وصحت العزائم".

كان مؤدى خطاب الرئيس "مبارك" أن الوقت لم يفت، وأن الفرصة لاتزال مفتوحة.

وكان البعض في القاعة يعتقدون - وبعضهم يعرف- أن الوقت فات والفرصة أفلتت.

وخرج الملوك والرؤساء للصلاة، ولبضع دقائق ظل الملك "حسين" جالسا على مقعده وقد استند بكوعيه على المائدة ووضع رأسه بين يديه ... ساكتا لايتكلم!

وقضيت صلاة الجمعة، وذهب بعض المؤتمرين الى الغداء، وتأجلت الجلسة التي كان مفروضا أن تنعقد من الساعة الثانية الى الساعة الرابعة لإتاحة فرصة ساعتين للملوك والرؤساء العرب ليستريحوا أو يباشروا اتصالات بينهم. ثم بدأوا يعودون الى المؤتمر، وكانت الساعة قد تجاوزت الرابعة والنصف.

ورئى أن يعقد الملوك والرؤساء اجتماعا تمهيديا مغلقا قبل أن يدخلوا الى قاعة الجلسة. وفي نفس الوقت كان وزراء الخارجية جالسين في الانتظار في قاعة أخرى ثم سرت في ابهاء المؤتمر شائعة بأن اشتباكا بالايدي وقع بين الشيخ " صباح الاحمد الصباح" نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي، وبين زميله السيد " طارق عزيز" نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية العراقي. ثم تطورت القصة حتى وصلت الى حد أن السيد " طارق عزيز" قذف بطبق عبر المائدة، فاصاب الشيخ " صباح "في وجهه وأسال دمه.

وقد كانت هناك مشادة بالفعل، وسأل فيها الدم ، ولكن بطريقة تختلف عما رددته الشائعات . كان الذي حدث أن السيد " طارق عزيز" دخل حيث كان ينتظره زملاؤه وزراء الخارجية ، وجلس على مقعد مجاور لمقعد الأمير " سعود الفيصل" . وكان الشيخ " صباح " يجلس على الناحية الأخرى من وزير الخارجية السعودي . وقال الامير " سعود الفيصل" للسيد "طارق عزيز" : " هل اسلم عليك أو لا أسلم" ؟ وقال " طارق عزيز : "بالنسبة لي لم يتغير شيء "! وقال " سعود الفيصل: " بالنسبة لي تغيرت أشياء" ورد " طارق عزيز: " لنحتفظ بصداقتنا كبشر على الاقل". ثم استطرد يروي أنه كان هناك مؤامرة على العراق. وتدخل الشيخ " صباح" يقول لوزير الخارجية العراقي" : أنا الذي يقال عنه إنه عميل للاستعمار يا أخ طارق كما تقولون الآن"؟ ورد " طارق عزيز" قائلا: " لسنا نحن الذين نقول

بذلك ولكن تقول به الأوراق التي وجدناها عندكم" ووجدها الشيخ "صباح" إهانة لاتحتمل، فهم واقفا من مكانه مندفعا يحاول الخروج من القاعة" وفي اندفاعه لم يلحظ أن هناك بابا زجاجيا أمامه، فاصطدم به وسال الدم من أنفه وأسرع بعض مرافقيه اليه يأخذونه معهم باحثين عن اسعافات أولية وطبيب .

وكان قصر المؤتمرات مازال في حالة فوضى عارمة.

واخيرا، وفي الساعة السابعة والربع كان محتما أن يدخل الملوك والروساء الى القاعة الرئيسية لقصر المؤتمرات، والكل يحس أنها جلسة واحدة يحضرونها على مضض ، ثم ينفض السامر.

وقد رأى الرئيس "مبارك " بعد أن رجا الجميع أن يضبطوا أعصابهم - أن يعطي الكلمة لرئيس الوفد العراقي السيد "طه ياسين رمضان" ، ثم لرئيس الوفد الكويتي الشيخ "سعد العبد الله الصباح" . ثم يفتح الباب لمناقشة عامة حول الازمة ، ثم جرى بحث مشروع القرارات .

(كان الشيخ " سعد العبد الله السالم الصباح" يرأس الوفد الكويتي لأن أمير الكويت الشيخ " جابر " لم يكن يريد ان يحضر المؤتمر أصلا ، وقد حضر مكرها جزءا من جلسة الصباح، ثم خرج من قاعة المؤتمرات الى المطار مستقلا طائرته عائدا الى الطائف.. مقره المؤقت في المملكة العربية السعودية).

وبدأ السيد " طه ياسين رمضان" فشرح وجهة نظر العراق ، وركز على ضلوع الحكم في الكويت مع الولايات المتحدة الامريكية، وقال " إن اسرة "الصباح" كانت مشتركة مع الحكومة الامريكية في مؤامرة ضد العراق ، ولو لم يكن العراق قد سبق لكانت المؤامرة قد وصلت لأخطر مراحلها، ولنزلت في الكويت قوات أمريكية لضرب العراق". ثم تحدث عن فساد الأوضاع في الكويت و" إهدار الثروة العربية بينما الأمـة تعاني من فقر وحرمان". ثم اشار الى التحركات العسكرية الامريكية في المنطقة وقال " إن العراق ضم الكويت لأنـه يريد تأمين نفسه، الى جانب استعادة حقوقه التاريخية والاقتصادية الضائعة".

ورد الشيخ "سعد" فأبدى دهشته من قيام العراق باحتلال الكويت، ومخالفة ذلك الغزو لكل دواعي الأخوة بين الاشقاء العرب. ثم روى " أنه في محادثات سابقة في بغداد ابلغ "عزت ابراهيم" باستعداد الكويت للتنازل عن ديونه الى العراق شريطة عدم الاعلان عن ذلك، وأن السيد "عزت ابراهيم" أبدى سعادته لذلك، واقترح على الشيخ أن يذهبا معا ويبلغا الرئيس "صدام حسين" بهذا النبأ السعيد." ثم قام الشيخ بتذكير الحاضرين بأن أمير الكويت كان في زيارة رسمية للعراق قبل شهور وان الرئيس صدام أهداه أعلى وسام في العراق ، ودعا

شعراء العراق الى مهرجان شعري في تكريمه. ثم تحدث عن موضوع جزر "بوبيان" و " وربة". وقال إن العراق طلب تاجيرها في زمن الحرب مع ايران، وأن الكويت اعتذرت لأن ذلك كان معناه ان تضع نفسها في حالة حرب فعلية مع ايران، فضلا عن أن ايران نفسها كانت قد تقدمت هي الاخرى بدورها بطلب لاستئجار هذه الجزر."

وبدأت المناقشة العامة، وكان واضحا من البداية أنها واصلة الى طريق مسدود. فقد اثير موضوع التحركات العسكرية الامريكية في المنطقة، بما في ذلك زيارة وزير الدفاع الامريكي " ريتشارد تشيني" والجنرال "شوارزكوف" للسعودية قبل يومين.

وقال الرئيس " الشاذلي بن جديد" مشيرا الى التحركات العسكرية الامريكية " إننا مطالبون بأن نجد وسيلة عربية بحتة لحل الأزمة، والإ فإننا نكون قد ضيعنا كفاح أجيال. فأجيال من شعوبنا قضت عمرها في محاربة الاستعمار، ولايعقل أن نجد الآن من يمهد الطريق للاستعمار كي يعود لأراضينا بقواته العسكرية."

وتدخل الرئيس "حافظ الأسد" في المناقشة، فقال: " إن المؤتمرين يجب أن يفرقوا بين السبب والنتيجة، فإذا كان هناك احتمال لتدخل عسكري أجنبي في المنطقة فإن غزو الكويت هو الذي تسبب في الازمة وليس العكس، وإذن فعلينا أن نجد حلا للازمة، وسوف اكون اول من يناضل لإخراج القوات الأجنبية من المنطقة."

وابدى الرئيس السوداني الفريق "عمر البشير" مجموعة ملاحظات مؤداها ان وجود القوات الاجنبية هو الخطر الاكبر على الامة في هذه الفترة . ورد عليه الملك فهد قائلا :" إن الاخ السوداني لايعرف ماذا يقول وكلامه مليء بالخلط، وانا لم اكن انوي التحدث اليوم، ولكني قررت بعد كل ما سمعت أن أتكلم لأتعهد أمامكم بأن القوات الموجودة في السعودية الآن لن تقوم بأي عمل هجومي ، ولن تتحرك خارج حدود المملكة، وهي موجودة فقط للدفاع عنها."[١٠]

ثم تداخلت أصوات الراغبين في التعليق. وفي هذه اللحظة قام الامير " سعود الفيصل " من مقعده يحمل ورقة وصل بها الى جانب الملك "فهد" وراح يطلعه على محتوياتها. ويبدو أن الملك "فهد" أشار عليه بأن يذهب الى الناحية الأخرى من القاعة وان يطلع الرئيس "مبارك " عليها. وبشكل ما فإن درجة حرارة القاعة زادت فجاة بعد ذلك. وقد عرف فيما بعد

---

[١٠] -اننا لقانعون بأن العاهل السعودي كان يعني ما يقول. ولكن من المؤسف ان الأحداث لم تتماشى مع ما وعد وتعهد به . فالسياسة الأميركية لا تعبأ بما يلتزم به حكام آخرون ولا بما يقطعونه على انفسهم من وعود. فمصالحها هي الأهم . وكل ما يعترضها يُزاح بكل عنف من الطريق .

أن الورقة كانت تحمل نص نداء عراقي يناشد شعب الحجاز أن يثور على حكم الغاصبين من أسرة "سعود"، ونداء الى الشعب المصري لأن يثور ويمنع بالقوة مرور حاملة الطائرات الامريكية "دوايت ايزنهاور" في قناة السويس.

واعتبر الملك "فهد" والرئيس "مبارك" أن هذه الدعوات الموجهة الى شعوبهم تحضها على الثورة – أمر غير محتمل أثناء انعقاد مؤتمر قمة عربي يحاول إيجاد مخرج من أزمة تسبب فيها العراق .

كانت المشاورات التي تمت بين الملوك والرؤساء قبل أن يدخلوا الى قاعة المؤتمرات – قد ناقشت ضمن ما ناقشته اقتراحا عرضه السيد "ياسر عرفات" يقضي بارسال وفد يضم ثلاثة من الملوك والرؤساء الى بغداد يحملون نداء من القمة الى الرئيس "صدام حسين" يدعو الى خروج القوات العراقية من الكويت . وكان تقدير السيد "ياسر عرفات" ، بل وتأكيده ، أن الرئيس "صدام حسين" سوف يستجيب لنداء القمة. ويكون ذلك مخرجا يتقبله الشعب العراقي.

(وكان هناك همس في الاروقة بأن هذا الاقتراح كان متفقا عليه بين السيد "ياسر عرفات" والرئيس "صدام حسين" لتوفير مخرج مناسب يمهد لحل.)

ولكن هذا الاقتراح لم يلق حماسة تذكر أثناء المشاورات التي سبقت الجلسة الرسمية.

وفي الجو الملبد، بعد المناقشات العاصفة وبعد الأوراق المثيرة للأعصاب – عاد السيد "ياسر عرفات" يطرح اقتراحه. وتعالت وتقاطعت أصوات رافضة، وتدخل العقيد "القذافي" يطلب أن يعقد الملوك والرؤساء جلسة سرية تقتصر عليهم وحدهم، فقد لاحظ أن القاعة تسرب إليها كثير من غير أعضاء الوفود. ولم يلق اقتراحه استجابة. وعاد السيد "ياسر عرفات" يلح على اقتراحه، وأضاف اليه أنه يتمنى أن يكون الرئيس "مبارك" بنفسه على رأس وفد القمة. ورد عليه الرئيس "مبارك" بأنه ليس على استعداد للذهاب الى بغداد. وقام الرئيس "مبارك" بسؤال الرئيس "الشاذلي بن جديد" : " هل الأخ الرئيس مستعد للذهاب الى بغداد" ؟ ورد الرئيس الجزائري بأنه "يفضل أن يذهب غيره". والتفت الرئيس "مبارك" للملك "حسين" وسأله :" إذا كان مستعدا للذهاب الى بغداد"؟ ورد الملك "حسين" بأنه "ذهب كثيرا الى بغداد، وربما يكون خيرا لو أن أحدا غيره ذهب الآن". ورفع الملك "فهد" يده محتجا على الفكرة كلها.

وتدخل الرئيس "مبارك" : " إن لدينا مشروع قرار وزعناه في الصباح، وسوف أطرحه الآن للتصويت". وارتفعت أصوات من القاعة تناشد الرئيس "مبارك" تأجيل طرح القرار للتصويت لأن المناقشة لم تستوف حقها بعد، والموضوع خطير والظرف أخطر.

وعلق الرئيس "مبارك" بأنه " لايسمع مناقشة جادة وإنما يسمع مهاترات، وان قراره كرئيس للجلسة هو طرح الموضوع للتصويت". وطلب من الموافقين على مشروع القرار أن يرفعوا أيديهم. وعد الرئيس "مبارك" الأيدي المرفوعة أمامه وقال" حداشر (أحد عشر) – أغلبية موافقة". ثم اضاف قائلا " ترفع الجلسة". وقام من مقعده يخرج من القاعة وأصوات فيها تناديه أن ينتظر ، وكان أعلاها صوت "ياسر عرفات" وصوت "معمر القذافي".

وانفعل السيد "ياسر عرفات" وصاح: " إن التصويت غير دستوري" . (يقصد أن يذكر بأن القاعدة في الجامعة العربية هي ضرورة صدور قرارات بالاجماع ما دام يترتب عليها اجراءات تتصل بالأمن القومي). وكان الذي رد على السيد "ياسر عرفات" هو الدكتور "مفيد شهاب" المستشار القانوني للوفد المصري، وقد قال له " إن القرار دستوري، وهذا اختصاصي ، وأنا أعرف ما أقول". وانفعل السيد "ياسر عرفات" وصاح في الدكتور "مفيد شهاب" قائلا: " إنكم جميعا عملاء" ورد عليه الدكتور "مفيد شهاب " محتجا : " إذا كنت تبحث عن العملاء فابحث عنهم عندكم وليس عندنا".[11]

كان الوفد العراقي قد انسحب محتجا عندما بدأ التصويت. فقد أعتبر أعضاؤه أن الوفد وقع في فخ نصب له. وخرجوا من قاعة المؤتمر متوجهين الى المطار رأسا طالبين من بعض مرافقيهم أن يذهبوا لإعداد حقائبهم في قصر الأندلس، ويلحقوا بهم على الطائرة وقد تركوا مكانهم في القاعة لممثل العراق الدائم لدى الجامعة العربية؛ ولم يجلس الرجل في هذا المقعد بعد انسحاب الوفد طويلا لأن الجلسة ما لبثت أن تبعثرت ثم انفضت.

ووصل الرئيس "مبارك" بعد انفضاض الجلسة الى الباب الخارجي لقصر المؤتمرات وسأل عن الرئيس "معمر القذافي" قائلا : " أين الأخ معمر " ؟ وقيل له إنه أعلن اعتصامه داخل قاعة الجلسة". وبعث الرئيس "مبارك" بمن يدعوه . وجاء "معمر القذافي" يصيح من بعيد قائلا للرئيس "مبارك" : إنك لم تكن ديمقراطيا في ادارتك للجلسة". ورد الرئيس "مبارك" بحدة قائلا : " لاأسمح لك بأن تقول هذا".ثم جذبه من يده بعيدا عن عشرات من أعضاء الوفود والصحفيين الذين كانوا محيطين بالرئيس المصري يتابعون حواره المقتضب الحاد مع الرئيس

[11] – تبين لنا هذه المهاترة مع الدكتور مفيد شهاب مدى التهريج الذي ساد مؤتمر القمة . فبينما يثبت ميثاق الجامعة بما لا يقبل الشك صحة ما قاله الرئيس عرفات نجد الدكتور شهاب "يدق على صدره " مؤكدا على ان هذا هو اختصاصه وعلى انه يعرف ما يقول ثم يجزم بدستورية القرار. ولكن رأي الدكتور خاطىء ! وهذا يثبت لنا انه اما هو بعيد عن الاختصاص او انه لا يدري ما يقول .

الليبي. ووقف الاثنان في ركن بعيد يتحدثان بصوت خفيض، وضباط الحرس الجمهوري يبقون المتفرجين على مسافة كافية من الرئيسين.

وكان الأمين العام للجامعة العربية ومساعدوه عاجزين عن حساب الأصوات، فالأحد عشر صوتا التي وافقت على القرار النهائي للقمة كانت سهلة تستجيب للاحصاء. واما بقية الأصوات فقد كان واضحا أن ايديها لم ترتفع بالموافقة ، بل تومئ الى مواقف مختلفة وحين بدأ التقصي ظهر أن العراق وليبيا كليهما يرفض القرار، وان السودان وفلسطين وموريتانيا ثلاثتها تتحفظ عليه، وان الجزائر واليمن تمتنعان عن التصويت. وكانت الحيرة في صوت الأردن، وقد جرى السيد "الشاذلي القليبي" وراء الملك "حسين" يسأل بالضبط هل الأردن رافض أو ممتنع أو متحفظ؟ ولم يكن الملك "حسين" على استعداد لأن يسمع شيئاً وقد اكتفى بأن قال للامين العام " أن يذهب ويسأل وزير الخارجيه، ثم عرف الأمين العام أن صوت الاردن في صالح الامتناع عن التصويت.

وكان الملك "حسين" – طبقا لروايته – يشعر وهو يدخل مؤتمر القمة أن الموقف العربي سيئ. وفي لحظة خروجه فقد كان شعوره أن هذا الموقف ميئوس منه."[١٢]

وما جاء لدى سالنجر عن اجتماع القمة لايختلف من ناحية المبدأ عما قاله هيكل وعما سنقرؤه في كتاب البزاز ولكننا نريد اقتباس بضعة فقرات مما جاء في كتابه لابراز نقاط توضح لنا كيف ينظر "الخواجات" الى العرب والى التضامن العربي:

" دخل طارق عزيز القاعة دون أن يلتفت الى أفراد آل الصباح، خاصة وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد. جميع الكويتيين كانوا يرتدون سترات واقية من الرصاص. طارق عزيز يتوجه الى المجتمعين:

– إني اعترض على أن يحضر هنا دمى ، عملاء للأمريكيين...

– الشيخ صباح الأحمد يقف في سكرة من الغضب:

– لقد انتهكتم جميع القوانين الدولية و ...

عزيز يقاطعه، ببرودة:

– إصمت ، لست سوى مرتزق أميركي ضالع في عمالة (وكالة الاستخبارات الاميركية)!

الكويتي، فاقدا أعصابه ، يحاول الوقوف ليتابع الكلام ، لكنه يهوي الى الخلف ويهبط في مقعده دون حراك مصابا بوعكة، فيما تابع طارق عزيز رابط الجأش توجيه ضرباته:

---

١٢ – هيكل صفحة ٤٣٠ – ٤٣٧

- بعد هرب آل الصباح، أصبحت الكويت حرة!

وبعيد ساعات تجدد الاشتباك، ولكن هذه المرة داخل المطعم الواقع في قصر المؤتمرات. العراقيون والكويتيون يتابعون تبادل الشتائم، حتى أن رمضان قذف صحنه بوجه ولي العهد الشيخ سعد، الذي انتفض من مقعده مستعدا لضرب العراقي الذي يحمل مسدسا على خصره. وتطلب الأمر تدخل عدد من الوزراء الآخرين والدبلوماسيين للفصل بين المتحاربين الذين استمرا بتقاذف القناني والصحون."

" في تلك الأثناء كانت الانظمة العربية تبدو ضعيفة وهشة واقرب الى البحث عن تسوية منها الى المواقف الحاسمة. وكانت القمم في الماضي تتميز بارادة تتجه الى تلافي اتخاذ أي قرار بشأن المسائل المطروحة. غير أن هذه المرة أصبحت البلدان العربية أمام الحائط، عاجزة عن اخفاء تناقضاتها. وبالفعل فإن المناورات السياسية الكبرى في العاصمة المصرية بدات منذ التاسع من آب، فيما كان عرفات مايزال في بغداد يقنع صدام حسين بزيارة القاهرة."

" لقد بدأ اجتماع القاهرة في اجواء مزرية. إلا أن مبارك وعند افتتاح الجلسة العامة استقبل كلا من رؤساء الدول بابتسامة إعلامية، مازحا مع البعض، اليد باليد ، كما جرت العادة: ربما أمكن تلافي الأسوأ.

ولكن الأسوأ وقع، وذلك طوال "قمة الفرصة الأخيرة" هذه.

بدأت الجلسة العامة في ١٠ آب الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. كان مبارك يرأس الجلسة والى جانبه أمين عام الجامعة العربية الشاذلي القليبي الذي تحول الى أخرس، ومجرد صورة."

" الساعة الثالثة والنصف بدات الجلسة المغلقة. وهي ستدوم خمس ساعات، حيث وصفها أحد رؤساء الوفود بأنها " الأشد فتكا بوحدة العالم العربي."

" أما مبارك فكان يتلاعب من خلال أسلوبه في إدارة النقاش، فيما عرفات حاول، بعد مقدمة طويلة ومبهمة ، أن يقترح خطته.

فبادره مبارك وقد نفذ صبره:

- ارجع الى جدول الأعمال، الوقت يداهمنا .

- اقترح ، اعاد عرفات، بأن تقوم خمس دول ، الاردن، اليمن، الجزائر، مصر ، وفلسطين بتشكيل لجنة وساطة تذهب خلال ساعات الى بغداد.

مبارك يقاطعه بعصبية:

- غير وارد أن أقوم بمثل هذه الزيارة، صدام حسين خان ثقتي. أبو عمار حان وقت التصويت.

- ولكن لم أتكلم بعد! صاح عرفات مذهولا."

احد الموفدين يتدخل :

- لنظل اخوة

مبارك ، وهو ما زال متوتراً :

نحن اخوة ولكن لننتقل الى التصويت .

" في الاروقة مباشرة بعد التصويت، كان ياسر عرفات هادئا: " إنها غلطة، غلطة رهيبة، لو أن وفدا ذهب الى بغداد لكان توصل الى حل أدى الى تسوية أزمة الخليج".

القذافي ظل في مقعده خائرا بعد التصويت ورأسه بين يديه. مبارك يقترب منه فيبادره القذافي قائلا بغضب:

- لماذا لم تعطني الكلام في أي مرة طلبته ؟ لماذا كنت مستعجلا الى هذا الحد لتمرير هذا القرار؟ إنه غير شرعي . قرارك غير شرعي، صاح بأعلى صوته مستشهدا بالذين يحيطون به"

فرد عليه مبارك وهو واقف بوجه شاحب أمامه:

"- انتبه الى كلامك. لاتتهمني!" [١٣]

يؤكد سالنجر كما نرى حصول الاصطدام بالتلاسن وبالايدي، وحذا حذوه كتاب آخرون مثل جون كوولي في كتاب الحصاد حيث يقول [١٤]:

" وفيما وصلتنا تفاصيل عن حدة التوتر التي كانت قائمة بين الوفدين العراقي والكويتي حيث كان أمير الكويت من بين الحاضرين في القاعة بينما غاب صدام حسين كما هو معروف. كما علمنا أنه أثناء تناول طعام الغذاء رمى نائب رئيس الوزراء العراقي طه ياسين رمضان بطبق من الأكل على ولي عهد الكويت الشيخ سعد العبد الله كاد يصيبه بينما تراشق بعض أعضاء الوفود الآخرين بقطع الخبز. واصابت الصدمة أحد أعضاء الوفد الكويتي بالاغماء."

---

[١٣] - سالنجر صفحة ٢٠١-٢٠٧

[١٤] - كل الفقرات المقتبسة من كوولي موجودة على الصفحتين ٣٤٠ - ٣٤١ من كتابه .

ولكننا نميل الى تصديق هيكل والبزاز مع ضرورة طرح تساؤل وجيه : هل معلومات الكاتبين الاميركيين مختلقة تماما وبدون اي أصل ؟ إن كتابيهما يحملان من الجدية ما يفرض علينا قسطا من الشك.

وننتقل الآن الى ماجاء في المرجع العراقي عن كلمات الرؤساء وعن المناقشات في مؤتمر القمة لنجد أن وصف البزاز لما حدث في المؤتمر لايختلف كثيرا عما أوردناه من كتاب هيكل من ناحية المبدأ ، الا أنه تعرض لبعض النقاط الحساسة بتفصيل أكثر وفيما يلي نورد منها ما نشعر بأهميته من كلمتي الملك حسين والرئيس عرفات ثم الملاسنة التي تبودلت بين الرئيس الفلسطيني والرئيس مبارك وتعليق الرئيس القذافي على التصويت:

" ثم تحدث عاهل المملكة الاردنية الهاشمية الملك حسين بن طلال فنبّه الحاضرين الى أن المرحلة التي يعيشها العرب اليوم هي أخطر مراحل التاريخ العربي على الاطلاق، وحدد اولوية العمل بقوله:

– اننا نسعى لكي نحل الثقة محل الشك والتعاون محل الخلاف.

وأضاف الملك حسين:

– في اعتقادي أن هناك اخطار قديمة وحديثة تجابهنا جميعا، تتمثل بالحركة الصهيونية واستمرار احتلال فلسطين وأراض عربية أخرى وتأثير الصهيونية على دوائر صنع القرار في وقت يستمر تدفق المهاجرين اليهود وتتلقى اسرائيل دعما ماديا كبيرا، ناهيك عن ما نواجهه من خطر اعادة الهيمنة الاستعمارية على الطاقة بل على النظام العربي برمته.

وقال العاهل الاردني:

– لقد كان هناك من يريد تحجيم العراق واضعافه والقضاء عليه، وهو البلد الذي ظل ثمانية أعوام يدافع عن النظام العربي وما كاد يخرج من المعركة حتى بدأت الاضواء تُسلط عليه لتشويه صورته وعشنا حالة من التعبئة ضد العراق، ولكن هذا لايعني بحال من الاحوال اننا لن نقف ضد احتلال اراضي الغير بالقوة. فامامنا مأساة اليوم، وأمامنا امتحان عسير.

ثم تحدث الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات:

– انتم تعرفونني جيدا، ما من مشكلة الا وتحركت من أجل حلها حتى عندما حصل خلاف بين السعودية والامارات في منطقة واحة الدورين تدخلت في مسعى للخير، ولكن مع الاسف هناك من ينفجر ضد الفلسطينيين ويتوعدهم ويستخدم الاعلام العربي ضدهم كما يفعل الاعلام الغربي تماما"....

" وبناء على ذلك فانني اقترح تشكيل لجنة للاتصال بالقيادة العراقية ومحاولة حل الازمة.

وجاء الاقتراح الذي قدمه الرئيس الفلسطيني بمثابة تثنية على مقترح الرئيس السوداني وهو أمر يكفي لان يحال الاقتراح الى التصويت، الا ان الرئيس المصري حسني مبارك تجاهل الاقتراحين السوداني والفلسطيني وبدأ يقرأ مشروع القرار داعيا الحضور للتصويت عليه.

فاعترض الرئيس الفلسطيني وطلب نقطة نظام وقال:

– ان لدي اقتراحا بارسال وفد الى العراق لمقابلة الرئيس صدام حسين ، فلماذا لانتوقف عنده ؟.

اجابه الرئيس مبارك :

– خلاص يا أبو عمار ... مفيش فايدة.

واقترح الرئيس ياسر عرفات أن يذهب الرئيس المصري الى بغداد، فاجابه قائلا:

– ما عنديش وقت اضيعه وأنا مش رايح بغداد.

وأعلن التصويت على القرار الذي دخل به الى المؤتمر .. وما كاد يجمع اثني عشر صوتا ، وهي اغلبية بسيطة حتى أعلن انتهاء اعمال المؤتمر.

فضرب العقيد معمر القذافي على الطاولة، وصاح:

– ان مشروع القرار الذي قدمتموه ينبغي أن يكون بالاجماع.

ولفت الامين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي انظار الرئيس المصري الى عدم جواز تمرير هذا القرار الاّ بالاجماع.

فرد الرئيس المصري:

– ان الاغلبية البسيطة تكفي.

كانت الايادي مرفوعة يطلب اصحابها الكلام، الملك حسين، الرئيس عرفات، الرئيس القذافي، الرئيس البشير.

تجاهل الرئيس المصري طلبات القادة العرب، واغلق الحاكية الموضوعة أمامه، بينما كان الرئيس عرفات يصرخ من مكانه:

– ان دم فلسطين في رقبتكم.

اما الرئيس الليبي فقد مزق مشروع القرار ونثره في القاعة في حين غادر الرئيس المصري مسرعا في اتجاه الباب الخارجي حيث لحق به السيد طه ياسين رمضان ليستوقفه:

- اشكرك ياسيادة الرئيس!.

فقال الرئيس مبارك:

- مافيش حاجة يا اخ طه .. ده مجرد كلام." [15]

يجدر بنا الاشارة الى أن الملك حسين بين بوضوح وقوف الأردن ضدالاحتلال العراقي للكويت . فإذا اضفنا الى ادانته للاحتلال اعترافه بحكومة المنفى الكويتية وقبوله بتطبيق برنامج عقوبات الأمم المتحدة الذي أدّى الى اغلاق ميناء العقبة واستمرار سفارة الكويت في نشاطها متمتعة بحصانتها الدبلوماسية في عمان لَثَبَتَ لنا زيف الاتهامات المغرضة التي شاعت وضعه في صف واحد مع العراق. ويتبين من النص ايضا أن فكرة ارسال وفد الى بغداد لم تنطلق فقط من الرئيس عرفات وإنما من الوفد الجزائري ايضا مما كان يقتضي عرض الفكرة على التصويت. لكن الرئيس مبارك سدّ الطريق علىالاقتراح مما يدل على أنه قام بدور مرسوم. فإما أن يكون هو قد قرر باسم دولة مصر ادانة العراق وتغطية دعوة القوات الاجنبية الى الهبوط في المنطقة أو أنه نفذ دورا رُسم له من قبل آخرين للوصول الى ذات الهدف. ونحن نرجح الرأي الثاني دون أن يكون حديثنا بدافع الافتراء. فمنذ ظهور عدة رغبات عربية بعقد مؤتمر للقمة وقبوله تولي الدعوة اليه كان يجب أن يتشاور مع قادة الدول العربية ليسألهم على أقل تقدير عن وجهات نظرهم وعن الموعد الذي يناسبهم. ولكنه لم يفعل إنما جزم من عنده بموعد الانعقاد خلال ٢٤ ساعة وكأنما به يقول: من حضر فأهلا وسهلا ومن لم يحضر فمع السلامة. ثم لماذا هذه السرعة المخيفة في عقد المؤتمر وفي التصويت على القرار؟. فالاحتلال حصل وردود الفعل ظهرت بالعنف الساحق وبالاجماع العالمي. ونجد أن أقرب المقربين من العراق، وهم أقل من قلة ، لايؤيدونه وإنما يدعونه للانسحاب ويكتفون بعدم الادانة فقط . وقرارات الادانة والحصار اتُخِذَتْ عالميا... فما هي الدواعي التي دفعت الرئيس مبارك الى التهالك على الادانة العربية التي لن تكتسب صفة الشرعية بحال من الأحوال كما بيّنا في أول هذا الفصل ؟

ونشير الى موقف الرئيس مبارك حين ذكره عدد من الرؤساء العرب ومعهم الأمين العام للجامعة بأن التصويت بغير الاجماع هو غير شرعي حسب المادة السادسة من ميثاق الجامعة فإذا به يجيب بأن الاغلبية البسيطة تكفي ويأخذ بالتصويت. فأين حصل مثل هذا في التاريخ ؟. إننا لو تحرينا عن الابعاد العميقة لكلمة الرئيس مبارك لأدركنا نتائجها البالغة. فميثاق الجامعة الذي تفاوض وناقش من اجل انجازه سبع دول عربية عام ١٩٤٧ استغرق

---

[15] - بزاز صفحة ١٢٠-١٢٢

الاتفاق عليه عدداً لايحصى من الجلسات في القاهرة والاسكندرية خلال ايام طويلة. وأخذت صياغة هذه المادة الحساسة بالذات عن الأمن الذي يتعلق بكل دولة حيزا كبيرا من الأخذ والرد والتشاور بين كل وفد وعاصمته حتى اتفق على ما جاء فيها. وسارت امور الجامعة على هذا الاساس قرابة نصف قرن. وجاء الآن الرئيس مبارك ولفظ حكمة على هذه المادة بدون استشارة اي انسان ممن يعنيهم الأمر بذات المقدار الذي يعنيه هو ! لقد الغى شرعية وجودها بجملة بلاغية تتكون من بضعة كلمات فجعلها وكأنما هي لم تكن.

ويجدر بنا إذ نعالج شرعية القرار أن نذكر ما جاء في كتاب ابراهيم نافع مدافعا عن تلك الشرعية معتمداً على تفسير يدعي أنه صادر عن الدكتور عصمت عبد المجيد. فهو يتحدث عن اعتراض الرئيس عرفات الغاضب على عدم شرعية القرار ثم يتابع ما ننقله بالحرف: " وردّ عليه د. عصمت عبد المجيد بهدوء الواثق المتمكن : إن ما تقوله ليس صحيحاً على الإطلاق .. لأنني رجل قانون وأفهم ما أقول. إن المادة السادسة التي أحفظها عن ظهر قلب تقول بالنص ما يلي :

" إذا وقع اعتداء على دولة من أعضاء الجامعة أو خشي وقوعه ، فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالإعتداء حق دعوة المجلس للإنعقاد فوراً. ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الإعتداء ويصدر القرار بالإجماع، فإذا كان الإعتداء من إحدى دول الجامعة لا يدخل في الإجماع رأي الدولة المعتدية."

وأضاف د. عصمت عبد المجيد قائلاً :" إن هذه المادة تتحدث عن تدابير أو عن إنشاء قوة حفظ سلام عربية ولا تتحدث عن استجابة بعض الدول العربية لمطلب من المملكة العربية السعودية أو دول الخليج، ولو كان الأمر يتعلق بإنشاء قوة سلام عربية فقد كان من المحتم أن يقرر المجلس التدابير اللازمة ، وتكون الموافقة عليها بالإجماع، ويكون من حق الأمين العام للجامعة أن يشرف عليها. ولكن القرار الذي اتخذه مؤتمر القمة العربي الطارىء مرة أخرى هو مجرد الإستجابة للمملكة العربية السعودية إذا طلبت من أي دولة من الدول العربية التي وافقت على القرار نقل القوات المسلحة إليها، وهو يعني بكل وضوح أن العلاقة بين هذه القوات والمملكة العربية السعودية علاقة ثنائية أو هي توصية بمعنى أصح بالقبول. وإذن فإن نص المادة السادسة في ميثاق الجامعة العربية لا ينطبق على هذا القرار على الإطلاق. "[16] نحن لا نستطيع أن نصدق أن الدكتور عصمت عبد المجيد يمكن له أن يعتمد مثل هذا التخريج المرتبك والخاطىء بل البهلواني لتحليل ما حرّمه

[16] - نافع صفحة ٥٧

كل منطق سليم. وإن تفنيد مضمون مثل هذا النص لا يحتاج لتحليل ، وإنما يكفي أن يكون القارىء أمينا مع نفسه.

لابد لنا من العودة الى النقطة الاولى التي ذكرها الرئيس مبارك في خطبته الافتتاحية حيث قال: " إما عمل عربي فعال، أو تدخل اجنبي". فنحن نرى في هذا القول وبهذا الشكل تحيزا مسبقا لصالح التدخل الاميركي لأنه وضع هذا التدخل كخيار ثان مساو تماما لخيار الحل العربي. ولو اكتفى الرئيس مبارك بذكر النقطة الثانية فقط دون الاولى حيث يقول:" إن المظلة العربية هي المخرج الوحيد من المأزق" لَصَحَّتْ الامور ولما جاز لأحد أن يلقي عليه اي لوم. لكن وضع النقطة الاولى في رأس القائمة جوّف النقطة الثانية من كل مضمون. ونضيف : بما أنه كان يدرك تماما عدم امكان انجاز عمل عربي فعال بسبب الانقسام العربي الواضح له وللجميع فإننا نستنتج بالضرورة أنه قرر سلفا الاسهام في تغليف التدخل الاجنبي "برقاقة" عربية باهتة.

لاشك في أن الولايات المتحدة والكويت والامارات والمملكة العربية السعودية مارست على الرئيس مبارك من الضغوط، ولوحت له بالوعود ما يميع له الجلمود. ورغم ذلك كان عليه أن يطلب منهم هم "حمل السلم بالعرض" ليحمي نفسه من لوم التاريخ، خاصة أن شعب مصر لم يقف في كليته ذات موقف رئاسته من شعب العراق.

لقد اثبتنا في مكان سابق كيف انقلب الرئيس مبارك من داعية للحل التفاوضي ضمن النطاق العربي الى موقف مغاير تماما حين خرق وعده للملك حسين فأصدر الادانة قبل ساعة ونصف من اجتماع وزراء الخارجية العرب بعد ظهر الثالث من آب/ أغسطس. وما فعله الرئيس مبارك اثناء مؤتمر القمة يشكل استمراراً طبيعيا ومنطقيا يتفق كل الاتفاق مع تحول موقفه. فلو القينا نظرة فاحصة على مجرى المناقشات في اجتماع القمة لوجدنا اجماعاً من كل من كتب عن تلك المحادثات شرقا وغربا على وصفها بالمهاترات والصخب . وها هو هيكل يورد كلمات الرئيس مبارك حيث يقول انه :" لايسمع مناقشة جادة وإنما يسمع مهاترات." فإن كان الرئيس مبارك نفسه لايرى مناقشات وإنما مهاترات فكيف يسمح لنفسه بطرح أمر مصيري على التصويت في هذا الجو المحموم؟ ألم يكن من الأسلم التريث حتى تهدأ النفوس ويعود الحديث الى حد أدنى من " المدنية والحضارة " مما يتناسب مع كيان الملوك والرؤساء قبل إجراء التصويت؟. ترى هل كان الصخب والثورة يستدعيان الحاحاً على اجراء تصويت مشبوه ام أنه كان يتطلب العكس تماما، أي الغاءه دون قيد أو شرط وتأجيله الى وقت آخر

يسود فيه الهدوء والروية ؟. وكيف تجاوز الرئيس مبارك الاصول المرعية باهمال مجموعة الطلبات من رؤساء الوفود التي تصر على متابعة النقاش؟.

يمنع علم الطب اجراء جراحة في جسد تتملكه الحمى. ولكن الرئيس مبارك امسك بالمبضع وأعمله في جسم المريض المصاب.

وإننا نتساءل: ما هي الاسباب الموجبة التي منعت قبول ارسال وفد خماسي الى بغداد؟.يقول نافع في كتابات تحاول الدفاع عن موقف الرئيس مبارك: " ومن هنا كان لزاماً على الرئيس مبارك أن يحسم هذه القضية ويطرح مشروع القرار للتصويت عليه، باعتبار أنه ليس هناك بديل من اتخاذ القرارات، خاصة وأن الملك حسين نفسه قد رفض رئاسة الوفد الذي كان مقترحاً ايفاده الى بغداد.." إننا نعجب من هذا المنطق! فكل من تحدث عن مجريات القمة ذكر أن الملك حسين حين طُرِح عليه الذهاب الى بغداد أجاب: " لقد ذهبت كثيراً فليذهب الآن غيري." فهل يجوز اعتبار هذه الملاحظة رفضاً قاطعاً ونهائياً ؟ نحن نرى أن السؤال بالشكل الذى طُرِحَ على الملك لا يعدو عملية رفع عتب تشبهُ دعوةَ امرءٍ شوهدَ وهو يأكل من قبل أحدِ زائريهِ فقال له: " تفضل.". فلما قال الزائر أدباً :" لست بجائع" سُرَّ ذلك المرء وتابع تناول الطعام. ولو كان يوجد خلف السؤال الموجه الى الملك قطمير من الجدية لجرى التأكد من أنه يرفض فكرة الذهاب. وإن برر الملك رفضه لطُرِحَ السؤال على كل الوفود بشكل جازم على الشكل التالي مثلاً:" لقد تقرر إرسال وفد الى بغداد والمطلوب تحديد أفراد الوفد.فمن يقبل حمل هذه المهمة ؟ ". ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. فهل خاف البعض من التعنت العراقي أم خشية التوصل الى تجاوب من قبل العراق؟. نحن نرى ذلك بالضبط. لأن تجاوب العراق كان سيمنع الحرب أو سيجعل الذريعة لاعلانها هزيلة فتنتفي مجموعة الحجج التي تحتاجها الولايات المتحدة لاشعال المنطقة واستنزاف خيراتها لبضعة عقود من السنين.

ويتابع نافع دفاعه فيقول على ذات الصفحة:" في نفس الوقت فإن الرئيس مبارك رأى أنه إذا لم يبادر بالإستجابة الى تدخل عربي، فإن البديل المقابل على الفور هو التدخل الأجنبي." فهل تشكل كلمته دفاعاً عن الرئيس مبارك أم هجوما مستتراً عليه ؟ فأين هي اللحظة في كل فترة جلسات القمة التي سعى خلالها الرئيس مبارك عن حل عربي كبديل يُقابل التدخل الأجنبي؟ وهل استوعب ابراهيم نافع ما يكتب ؟

ونلتفت الآن الى العراق لنوجه اللوم الى وفده وبالتالي الى الرئيس صدام حسين الذي حدد لوفده الخطوط الحمراء التي لايجوز له تجاوزها فيما يدلي به من أقوال واقتراحات. فكل المراجع التي وصلت الى ايدينا عن اجتماع القمة خلت تماما من كلمة سحرية كان لابد منها

من أجل تليين الجبهات وهي الاستعداد الصريح للانسحاب من الكويت. لاشك في أن عرض الوفد العراقي لاستقبال الوفد الخماسي في بغداد يحمل في طياته كثيرا من الايجابية وخاصة عندما قال طه ياسين رمضان: " اذا لم تقتنعوا بعد زيارة بغداد، سيكون من حقكم آنذاك أن تحاربوا مع الاميركان ضدنا"[١٧] . ولكن هذه الايجابيات لم تستطع قلب المواقف. اما لو صرح الوفد العراقي بوضوح لالبس فيه عن استعداده للانسحاب الكامل من الكويت وقبول عودة الشرعية من آل الصباح وبدون التشدد المفرط في وضع الشروط لما امكن تجميع هذه الاكثرية الهزيلة ضده بسهولة . ونحن قانعون بأن الملك فهد كان سيراجع حساباته لو استمع الى مثل ذلك لأنه بالاصل لم يسع الى الشر إنما كان يميل الى الاسترضاء والمسالمة ولو كلفه ذلك الكثير من المال. نحن لا نشك في أن الملك فهد عدّل سلم اولوياته وصار يفضل اسقاط الرئيس صدام عن حكم العراق منطلقا من قناعته بأن خروج العراق من هذه الازمة مع قبس من نصر سيزيد من قوته وسيجعله أشد خطرا في المستقبل على كل الخليج وخاصة اذا تجاوز الأزمة الاقتصادية ورسخ اقدامه في التقدم التقني والصناعي بالاضافة على حصوله على منفذ صالح على مياه الخليج العميقة. وهذا التحول في قناعة الملك فهد هو الذي جعله يعتذر عن استقبال الملك حسين والرئيس ياسرعرفات . ولكننا نرى بالرغم من ذلك أن حرص الملك على عدم تطور الامور الى الابعاد الخطيرة البادية في الافق كانت ستدفعه الى تقبل الحل السلمي العربي مفضلا اتباع سياسة الاستعداد لما قد يأتي به المستقبل من قِبَلِ عراقٍ قويٍ على دمارِ الحربِ القريب مما سيصيب المملكة بشرخ ظاهر أو غير ظاهر مهما كانت نتائج الحرب. أسقط صدام أم لم يسقط.

ربما لم يرغب الرئيس صدام تخويل وفده بطرح فكرة الانسحاب الكامل من الكويت آملا أن يستأثر هو بانجاز هذه اللفتة الايجابية تجاه الوفد الذي كان قد يصل الى بغداد بتكليف من مؤتمر القمة. ولكنه أخطا في التقدير. ولانعتقد أن يكون قد توقع هذه السرعة الخيالية في بت الامور اثناء مؤتمر القمة. ولو حضر بنفسه الى القاهرة لاختلفت الموازين. ولكننا نعتقد بأن خشيته على أمنه أو حرصه على ألا يجري في العراق أثناء غيابه ما لا يرضى عنه جعلته يبقى مفضلاً ارسال الوفد ممثلاً عنه.

وهكذا اجتمع في مؤتمر القمة في القاهرة عاملان متناقضان من ناحية المبدأ ولكن احدهما كمّل الآخر بالرغم من ذلك التناقض ، فالعامل الأول توفر لدى فئة من الدول العربية جاءت سلفا وبيدها مشروع متكامل لادانة العراق ادانة كاملة وشاملة دون أن يُسمح باجراء

---

[١٧] - بزاز صفحة ١١٥

اية مباحثات جدية مثمرة لحل عربي . وتسعى هذه الفئة الى "سلق" و" طبخ" تصويتٍ رخيصٍ ومشبوهٍ وسريع ليلتقي مع عامل نقص قدرة الوفد العراقي على التفاوض الكامل لأن الكلام الأخير ليس بيد اعضائه وإنما بيد الرئيس في بغداد. ولقد أدى هذا الظرف الى انحدار مستوى المناقشات الى المهاترات. فلا عَرَضَ اصحاب العامل الأول اية تنازلات كويتية أو غير كويتية على العراق بحيث يلحظ المرء بأن لديهم حداً ادنى من الشعور بما يتألم ويتوجع منه العراق وينبئ عن تفهمهم لحالة الاختناق التي يعاني منها ، ولا نطق العراقيون بالمقابل بالكلمة السحرية عن الانسحاب. ولو تفحصنا مشروع الادانة الجاهز بدقة لوجدناه يطلب من العراق كل شيء بينما يعفي الكويت من كل شيء. ونجد أن المشروع الجاهز يصنف العراق وحده مذنباً وكأنما هو وحده مرتكب المعاصي الذي يُجسد كل الشر بينما قيادة الكويت هي الحمل البريء الذي لاتكسوه ذرة من غبار النقد واللوم. وهذا يعني أن "عرب مشروع القرار" جاؤوا وبيدهم رمز استخدام القوة . وبالمقابل، وبناء على كل ما كُتب عن الاحداث في داخل مؤتمر القمة نجد أن العراقيين جاؤوا ومعهم بالاضافة الى التشدد والشعور بفوقية القوة وريقات خضراء حقيقية من غصن زيتون، لكن الآخرين لم يسبروا غور هذه الوريقات من جهة. ولم يكن لدى العراقيين التفويض المحسوس ليعلنوا عن ليونة أكثر مما منحتهم القيادة من جهة اخرى.

ومرة أخرى نوضح ادانتنا للغزو العراقي للكويت دون قيد أو شرط، ولكننا نفتقد العدل في التعامل مع شكاوي العراق من قبل الآخرين ، تلك الشكاوي التي استنفذها العراق حتى النهاية ليبرر غزوه للكويت.

اما الدول العربية الاخرى فلم تتمكن من اتخاذ موقف الوسيط المعدل لأن الطرفين لم يتركا لها الهامش الكافي للمناورة مع ملاحظة أن العراق كان الاقرب الى دعم وساطتهم .

إذن فلم تحدث في القاهرة مفاوضات إنما هاجم كل من الطرفين الطرف الآخر. ولو كان ثمة مفاوضات صادقة لما نجحت مسودة المشروع الجاهز كما هي دون أي تغيير لأن التغيير الوحيد الذي تم هو من انجاز الأمير سعود الفيصل. فالمشروع طرح من قبل الرئيس مبارك ككل متكامل على مبدأ سوق الخضار في آخر النهار " بيعة، شيلة" لايجوز فيها أي نقد أو اختيار.

لقد ركز مؤتمر القمة جهوده على استصدار قرار ادانة العراق ولم يكلف نفسه بالبحث عن صيغة للحل.

اكّد الرئيس مبارك للملك حسين ولطه ياسين رمضان ان الغاء قمة جدة المصغرة تقرر لقناعته بعدم جدواها . فإن كان اجتماع الرؤساء الثلاثة المعنيين بالقضية والملتصقين بجذورها وبنتائجها لم يكن ليجدي حسب رأيه ، فهل كان يتوقع حقاً من اجتماع ٢٢ ملكاً ورئيساً عربياً من ذوي المشارب المختلفة والآراء المتضاربة حلاً للنزاع ؟

لا يجوز الشك في ان الرئيس مبارك غير رأيه واتجاهه تماما وبأنه استُخدم بما لا يتفق مع موقفه السليم الاول ولا مع المصلحة العربية . لقد حصل على ثمن لقاء هذا الانقلاب باسقاط الديون عن مصر. دون أن يُقدّر ما سوف تدفعه كل الامة العربية كل التقدير؟

قبل عدة صفحات أعربنا عن الرأي بأن الرئيس مبارك تعرض لضغوط تقصم الظهر ولوعود يسيل لها لعاب الجماد من عرب الخليج ومن الولايات المتحدة . بل اننا لا نستبعد ان قيل له : " اما تستجيب واما تغامر باستمرار حكمك ". ولكن هذا هو المحك الذي يُقاس به عمالقة التاريخ ! ترى ماذا كان شأن الرئيس مبارك لو القى خطابا اعلن فيه عن استقالته لتعرضه لضغوط ساحقة لا تسمح له من إبداء رأيه الحر ؟ ترى هل كان شعب مصر المعطاء ليخذل الرجال ؟ نحن نستطيع تقدير حرص الحكام على التمسك بالحكم. ولكن ألا يمكن أن يؤدي التنازل او التضحية الى تعلق الجماهير بالحاكم فيترسخ ثباته فيما يزهد به؟

يعتقد البعض بان الرئيس مبارك اسهم في اجهاض مؤتمر جدة ونادى الى عقد قمة القاهرة رغبةً منه في التأكيد على مكانة مصر العربية في مركز الثقل القومي. ولكننا لا نذهب هذا المذهب وانما نرى فيه مجرد جدلية يُراد منها تمييع مسؤولية الرئيس فيما حدث . فمصر لا تحتاج لمثل هذه الوسائل لاثبات مكانتها الرفيعة لأنها تشغل المحور الأساسي لمدارات الدول العربية شئنا ام ابينا ، ولا تحتاج الى انعقاد قمة عربية فيها من اجل اثبات ذلك .

ويعتقد البعض الآخر بأن اصرار الرئيس مبارك على دعم الحل العربي ما كان ليجدي وما كان ليغير من الأحداث شيئاً . ولكننا نرفض هذا الرأي ايضاً بالرغم من قناعتنا بقوة التخطيط الاميركية . فلو اصرّت مصر على الحل العربي لما تمت ادانة العراق في اول يوم بعد الأزمة من قبل وزراء الخارجية العرب ، ولانعقد مؤتمر القمة المصغر في جدة . ولو فشل الحل العربي في اجتماع جدة الذي لم يُعقد ، وهذا ما كانت تشتهيه وتخطط له السياسة الاميركية التي تدفع القادة العرب الى طريق الحرب ، لتحتّم على قادة عرب آخرين إعلان تصلبهم هم فيضعون أنفسهم في الواجهة كاشفين بذلك عن اوراقٍ لا يريدون لها ان تنتشر، ولتعرضوا هم للنقد المباشر متحملين مسؤولية ما يفعلون . لكن الرئيس مبارك تولى تغطيتهم ودفع الثمن الاعلامي والتاريخي لذلك . فلماذا غطاهم وكشف مصر ؟ هذا ولكي

ينجح مخطط واشنطن رغما عن مصر كان سيترتب على الولايات المتحدة اللجوء الى ضغوط اكثر صراحة على القادة العرب من جهة ، واشد كراهية بالنسبة للجماهير العربية من جهة أخرى . فوقوف مصر العملاقة في وجه " أمركة " الأزمة لم يكن ليبقى دون أثر على نتائج ما كان يحدث . ولم يكن من المستبعد ان تفشل كل حسابات وتخطيطات واشنطن لو نجح الحل العربي . ونحن بالرغم من قناعتنا من دقة وشمولية التخطيط التآمري الاميركي نجزم بوجود ثغرات ومفاجآت وأخطاء يمكن لها ان تعصف بالارادة الاميركية فتفشل وتنهار . ونستشهد على ما ذكرناه بما حصل بتاريخ ١٩٩٤/٤/١٣ حين اسقطت طائرتان اميركيتان من طراز ف ١٥ في شمالي العراق طائرتي هليكوبتر اميركيتين . ومن المفارقات الغريبة ان كل طائرة قاذفة من الطائرتين حطمت طائرة هليكوبتر بصاروخ . اي ان كلا الطائرتين ارتكبت ذلك الخطأ الكبير في وضح النهار وبالرغم من المشاهدة المتبادلة بين الطائرات الضحية والقاذفة ، هذا الخطأ الذي راح ضحيته ٢٦ من ضباط القيادة الأميركيين والانكليز والأتراك ، وذلك بالرغم من وجود العديد من التجهيزات في كل الطائرات الحربية الأميركية للتعارف المتبادل.

ونعود الآن الى مؤتمر القمة لنجد أن نتيجة ما سميّ تجاوزا بالتصويت كانت كما يلي:

رفض العراق وليبيا القرار وتحفظت موريتانيا والسودان وفلسطين عليه، وامتنعت الاردن واليمن والجزائر عن التصويت وغابت تونس. وفي المقابل ايدته المملكة العربية السعودية والكويت ، والامارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين، وعمان ومصر وسوريا والمغرب والصومال وجيبوتي ولبنان .

وهنا ايضا نقتبس تعليلين يمنيين يتعرضان لأسباب فشل مؤتمر القمة وامتناع اليمن عن التصويت. يقول الرئيس علي عبد الله صالح:

" كان متوقعا للقمة أن تفشل مسبقا لأنه لم يسبق لها الاعداد الجيد، ولم يسبق لها التحضير من قبل وزراء الخارجية لتحديد جدول أعمال كما جرت عليه العادة، في أي قمة، سواء كانت طارئة أو عادية. هذا جانب، أما الجانب الأخر فالقمة كانت قد أعدت قراراتها مسبقا من قبل بعض الدول الشقيقة، واتفقت هذه الدول على القرارات المعدة وهذا كان أمرا غير طبيعي".[١٨]

أما الدكتور الأرياني فيقول:

---

[١٨] -القولان اليمنيان مقتبسان من : " ازمة الخليج وتداعياتها .." صفحة ١٣٩

" امتناعنا عن التصويت لايعني أبدا أننا نقرّ ما حدث للكويت، ولكن هذا القرار يلغي الدور العربي نهائيا. فالاطراف التي تريد أن تكون طرفا فيه هـي حـرة فيه. وأمـا بلادنـا فلن تكون طرفا، وستظل ترقب عن كثب، عسى أن تلوح بارقة أمل لحلّ سلمي أخـوي ودي لهذه القضية. أما اللعبة الدائـرة فـي الاسـاطيل المتحركـة وفـي الاسـراب الهابطـة والمنطلقـة، الـذي تسمعونه أو تشاهدونه، فإن بلادنا ليست طرفا فيها على الاطلاق فما يحدث شيء خطير"

لقد أوجز حمدان كل مـا جـرى حـول مؤتمـر القمـة العربـي بجملـة مفيدة اذ كتـب :

"وبدا .. ان القمة العربية ليست اكثر من وسيط بين مرحلتين ، مرحلة الحل العربـي الـذي تـم وأده قبل ان يولد ، ومرحلة الحل الاميركي الذي ولد في جدة وسُمع نشيجه في انقرة . "[١٩]

بعد يـوم واحـد مـن القمـة العربيـة وصلـت قـوات مصريـة ومغربيـة الـى الأراضـي السعودية للمشاركة في الدفاع عنها بالرغم من انها لم تكن مهددة ابـداً مـن قبـل العـراق . ولـم تسع الولايات المتحدة الى استحضارهم واستحضار آخرين غيرهم الا من اجل التأكيد على ان الحرب هي في الأصل بين العرب والعرب ، وان دور الولايات المتحدة هو مسـاعدة العـرب" المظلومين " ضد العراق " الظالم " .

ومن فشل مؤتمر القمة استمد مؤيدو القـرار شـرعية اسـتدعـاء الجيـوش مـن الشـرق والغرب وتحقق هدف مرحلي جديد للسياسة الاميركية على درب الحرب المدمرة.

الشرعية المشبوهة للتدويل

يقول الكاتب الاميركي جون كوولي في كتابه "الحصاد":

" وبالنسبة لواشنطن فقد كان المؤتمر تجربة ناجحة في التأثير على حلفائها من الدول العربية بطريقة التحكم عن بعد، ودليلا على أن قضية الكويت تتمتع بدعم واسـع فـي المنطقـة. أما بالنسبة للدول المحايدة أو المتعاطفة مـع صـدام حسـين مثـل اليمـن والسـودان والجزائـر – وبالنسبة للملك حسين عاهل الأردن – فقد كان المؤتمر كارثة محققة."[٢٠]

ولم يقتصر نجاح الولايات المتحدة على تمكنها من تدويـل الصـراع وفـرض نفسـها فوق القوى العالمية التي وافقت على المشاركة في العمليات البطولية ضد العراق إنمـا نجحـت ايضا في توريط قوات عربية ومسلمة من غير طرفي النزاع في العمليات العسكرية فضـاعت الهوية الحقيقية للاعتداء الاميركي الغربي. فلم تعد المعركة بين الغرب والعرب ولابين الشمال المتقدم والجنوب المتأخر إنما انحصر بين دولتين عربيتين. احداها معتدية وقوية عسكريا بينما

---

[١٩] – حمدان صفحة ١٦١

[٢٠] – كوولي صفحة ٣٤٠

الأخرى مستضعفة استنجدت ،وهي بكامل حريتها وارادتها ، بقوات الغرب الغيور على احقاق الحق لتستعيد حقوقها المغتصبة.

يجدر بنا في هذا الصدد اقتباس ما ورد لدى شوارزكوف عن ضرورة المشاركة العربية. ففي لقاء له مع السفير الاميركي تشارلز فريمان في الرياض قال له السفير:

" قال: إذا دخلت الولايات المتحدة الحرب ضد العراق، فإن ذلك يمكن أن يسبب نوعا من الهزة في العالم العربي، ولا أدري إن كان أحد في واشنطن قد فكر في ذلك مليا.

أجبت: طيب، من الأفضل أن نبدأ بمعاينة ذلك، كان تشارلز يردد صدى القلق الذي استبد بي منذ وصولي الى الرياض. كنت أحرص حرصا مطلقا على أننا إذا هجمنا على صدام فيجب أن نفوز لا في ميدان المعركة وحده بل في كتب التاريخ ايضا، وهذا يشمل كتب التاريخ العربي. لم يكن ذلك شأنا عسكريا صرفا بحرفية التعبير لامجازه. وكان يجب علينا أن نتحاشى إعطاء الانطباع بأن الاستعماريين الغربيين قد فرضوا إرادتهم من جانب واحد، لذلك عزمت على التخطيط بذكاء، ولذا نظمت القيادة المركزية ما أسميناه " ندوة رد الفعل العربي"، واجتمعت دزينة من الخبراء في غرفة تقارير الإطلاع، وهم خبراء من السفارة والقيادة المركزية، دبلوماسيون، وضباط جيش وبحرية وقوة جوية، ممن عاشوا سنوات في العالم العربي."[٢١]

نلاحظ كيف لايكتفي شوارزكوف بهزيمة كل العرب في العصر الحاضر إنما يزيد توثيق ذلك الى اجيال التاريخ في المستقبل. ونلاحظ كيف يحاربوننا بالتنظيم والتخطيط بينما نقابلهم بالفوضى.

استقالة الأمين العام للجامعة العربية

ونختتم هذا الفصل باستباق زمني بسيط للأحداث فنتعرض لاستقالة الأمين العام للجامعة العربية السيد الشاذلي القليبي فنقتبس من بيان استقالته بعض الجمل. لقد اثبت باستقالته حياداً ورجولةً على حد سواء. فلقد رفض الاجتياح العراقي، وأيد الشرعية الكويتية، وشد من أزر السعودية ولكنه في ذات الوقت رفض "الاجهاز" على العراق . فقد قال : " لقد التزمت الصمت كل هذه الأيام ، وعلى مثل الجمر ، منذ الثاني من آب المنصرم من دون اخلال بواجبي القومي ، فأجريت عديد الاتصالات وأصدرت عديد الرسائل عربياً ودولياً علناً وسراً وشاركت في كل الاجتماعات المشتركة ، وذلك تحاشياً لتعميق الخلافات القائمة داخل الأسرة

---

[٢١] - شوارزكوف صفحة ١٦١

العربية ...ولكن اليوم ، وقد اصبح من الواضح ان العمل العربي مقدم على انقسام خطير وربما لمدة طويلة ، اجدني مضطراً الى الكلام ...

كان لي امل حتى هذه الأيام الأخيرة في الحل السلمي ، على رغم الصعوبات ولكن اتضح لي الآن ان هذا الحل لم يعد مجدياً ، حتى لو تم الاهتداء اليه وقبلت به جميع الأطراف العربية المعنية ، والسبب هو اصرار جهات اجنبية على استعمال القوة ، واولاً واساساً القضاء على قوة عربية بامكانها ان تحد من اطماع اسرائيل ...

من حق الكويت علينا اليوم ان نكون الى جانبها كما من حق المملكة العربية السعودية ان نشد أزرها في ما تعتقد انه خطر يهدد أمنها . ولكن من حق العراق ايضاً علينا الا نتركه عرضة لأشرس عدوان جماعي اجنبي لا يهدف الى الذود عن الشرعية الدولية بل الى مآرب معروفة وحاجات في نفس يعقوب ."

لقد وضع الشاذلي القليبي اصبعه على الجرح ، ثم تنازل تلقائياً عن منصب ذي شأن يصبو اليه ، بل يتهالك على شغله رجال آخرون . ولكنه اشعرنا بأنه يعرف الكثير دون ان يصرح به . لا بد انه قد عانى الكثير من ظلم ذوي القربى ، ولكنه ربما لا يستطيع الكلام . وكم نود لو نعرف منه عن مساعيه لدفع العراق الى التنازل عن المظاهر لإفراغ قلوب الحاقدين عليه من الدول الأجنبية فيتفادى الكارثة الكبرى المرسومة له.

خطاب الرئيس التونسي زين العابدين بن علي

في ١٩٩٠/٨/١١ غداة انتهاء اجتماع القمة الذي تميز بجذوره الغامضة وبقراراته الفجة والظالمة القى الرئيس التونسي زين الدين بن علي خطابا وجيها نقتبسه فيما يلي يبرر فيه عدم اشتراك تونس في المؤتمر ويلقي اضواء توثق تحيز عدد من الدول العربية ضد العراق :

" لقد كثر التساؤل في الرأي العام الوطني والخارجي عن سبب تغيب تونس عن القمة العربية الطارئة. وتوضيحا لهذا الموقف الذي أملته علينا المبادئ التي تقوم عليها سياستنا العربية والدولية وما تقتضيه مصلحة بلادنا في علاقاتها بالأشقاء والاصدقاء أعتقد انه من المفيد ان أذكر بموقف تونس من أصل النزاع العراقي الكويتي ، وان أبين الأسباب التي دعتنا الى عدم المشاركة في القمة العربية في الأجل الذي حدد لها . فقد بادرنا منذ اندلاع الخلاف بين العراق والكويت وفي غياب موقف مغاربي موحد الى توضيح موقفنا منه ، فذكرنا بضرورة التمسك بالشرعية الدولية ، والمبادئ التي ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية وخاصة منها حل القضايا بالطرق السلمية ، وعدم استعمال القوة وعدم التدخل

في الشؤون الداخلية للغير . ودعونا العراق الى سحب قواته من الأراضي الكويتية وأكدنا ضرورة حصر هذا الخلاف في نطاق عربي صرف . وقد صدر هذا الموقف قبل قرارات المجلس الوزاري لجامعة الدول العربية.

وفي نفس اليوم ، اتصلنا بالأمين العام للجامعة ، وطلبنا عقد قمة طارئة لبحث هذا الموضوع ولكننا فوجئنا بعد ذلك بتحديد موعد هذه القمة في وقت ضيق جدا ينم عن تسرع واستعجال لايدع مجالا لاجراء المشاورات والمساعي الضرورية لضمان أوفر حظوظ النجاح لهذه القمة . فقد اتصل بي الرئيس المصري حسني مبارك يوم الأربعاء الماضي في آخر العشية وقال انه يستدعيني للقمة التي ستعقد من الغد يوم الخميس ، هكذا بكل بساطة ، وبدون اي اعداد أو تشاور. وطلبنا تأجيل الموعد ليومين او ثلاثة، وقد كنت أعتزم التحول الى العراق للإتصال بالرئيس صدام حسين لإقناعه بضرورة التوصل الى حل يحفظ حقوق اطراف النزاع ويصون وحدة الأمة العربية . وقد قلت كل هذا للمبعوث العراقي وبيّنت له المخاطر الكبيرة التي تتهدد العراق بالذات، والنتائج الوخيمة التي ستعصف بكل ما بنته الأمة العربية وما حققته من رصيد لإثبات وجودها والدفاع عن كيانها.

ولكن طلَبَنا قوبل بالصمت التام ، وانعقدت القمة على عجل، بل اضطرت الى تأجيل موعد افتتاحها للأسباب التي كنا نتخوف منها، وأفضت الى النتائج التي كنا نتوقعها ولا نرجوها.

وبطبيعة الحال بيّنت نتائج القمة صواب رأينا، بل الأدهى من ذلك أن القوات الأجنبية كانت تصل تباعاً الى الأرض العربية حتى قبل أن تبدأ القمة. وقد كان من باب احترام الشعور القومي واعتبار دقة الموقف توقيف عملية نزول هذه القوات ، لا سيما ان قرار مجلس الجامعة قد قضى بحصر الخلاف في النطاق العربي ، وأن العراق قد نفى بشدة نية الاعتداء على اي بلد واننا لم نتلق اي اشعار رسمي او شبه رسمي بوجود ما يتهدد هذا البلد أو ذاك ، فقد كان من الأولى وفق القيم العربية الاسلامية ونصوص الجامعة الالتجاء أولا واساسا الى الدول العربية للاستعانة بقواتها للفصل بين الفرقاء.

لقد امتنعنا عن المشاركة في هذه القمة لأننا لا نريد الحضور لمجرد الحضور ولا نريد الحضور في اجتماعات شكلية غير مدروسة وعديمة الجدوى . وتونس شعبا ودولة بحكم علاقاتها المتميزة بكل من العراق والكويت وسائر الأشقاء وبحكم واجبها القومي والتاريخي لا تقبل تكريس الأمر الواقع والانحياز الى هذا الطرف أو ذاك . وتونس الساعية بكل جهدها الى تقريب الشقة وتحقيق التضامن العربي لا تقبل ان تكرس الفرقة والانقسام وتونس العربية المسلمة لاتقبل اعطاء شرعية وهمية للتدخل الأجنبي في قضايا الأمة مهما بلغت من حدة لأنها تعتقد ان ذلك لا يخدم المصالح العربية ولا السلم والأمن في المنطقة بل يزيدها تعقيدا بتدويل القضية ودفع الأطراف الأساسية فيها الى مزيد الاصرار والتشدد.

إن ما آل اليه الوضع بمنطقة الخليج وانعكاساته على الساحة العربية يحملنا مسؤولية تاريخية تجاه امتنا وشعوبنا التي تتعرض اليوم لأعسر امتحان يتعلق بوجودها وأمنها وكرامتها.

وذات الوضع يحملنا على التساؤل بمرارة عن جدية التعلل بالشرعية الدولية لإنزال القوات الأجنبية في الأرض العربية . لقد خبرنا هذه الشرعية من خلال المحنة الفلسطينية المزمنة واحتلال الأرض العربية واجتياح لبنان وقمع الانتفاضة رغم القرارات الأممية العديدة ورغم استعمالات الفيتو المتكرر على اصحاب الحقوق المشروعه.

لقد بينت الأحداث والتطورات ان الشرعية وما تستند اليه من مبادئ لا تساوي شيئا امـام المصـالح الحيوية للدول القوية بل تتكيف حسب هذه المصالح وحسب العلاقة بالجهات المطلوب ادانتها.

لقد عرفت تونس دوما باعتدالها وبتمسكها بالشرعية والحلول السلمية ولكنها إزاء هذه التطـورات التي طوعت الشرعية والمبادئ لخدمة المصالح ، وارادت فرض تصوراتها المعينة لا يمكنها ان تحضر محفـلا يريد تكريس هذا الواقع المرير. ان المسؤولية جسيمة ، وقد تحملنا الأمانة ونسأل الله التوفيق في أدائها

والسلام عليكم ورحمة الله .



الفصل الرابع عشر

التنازلات العراقية لصالح ايران

لم يفت بغداد الخطر المتزايد على العراق. فدراسة نتائج زيارة الحسين الى واشنطن التي سنتحدث عنها ، حيث لم يلق الملك سوى الصد، والتي تولى نقلها الى الرئيس العراقي جعل بغداد تفهم الرسالة، وادركت أن واشنطن تسعى الى الحرب. وانطلاقا من قناعتها بأن الحرب لاريب قائمة قامت بغداد بتصرف عجيب تنازلت من خلاله لصالح ايران عن كل ما تبقى لديها من اراض ايرانية بعد حربها معها وعادت بغداد الى اعتبار اتفاقية عام ١٩٧٥ في الجزائر سارية المفعول وقرنت هذه التنازلات باطلاق سراح ١٩ ألف جندي ايراني اسير. ففي رسالته الى الرئيس علي هاشمي رفسنجاني بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٤ والتي اذيعت اعلامياً بعد يوم واحد من تاريخ صدورها حدد الرئيس صدام التنازلات الأربعة التي منحها الى ايران وبرر تنازله بقوله :

" ايها الأخ الرئيس علي اكبر هاشمي رافسنجاني .. في قرارنا هذا اصبح كل شيء واضحاً وبذلك تحقق كل ما اردتموه وما كنتم تركزون عليه . ولم يبق الا ترويج الوثائق لنطل معاً من موقع اشراف بين حياة جديدة يسودها التعاون في ظل مبادىء الاسلام ويحترم كل منا حقوق الآخر ونبعد المتصيدين في الماء العكر عن شواطئنا وربما تعاونّا بما يُبقي الخليج بحيرة سلام وأمان خالية من الأساطيل الأجنبية وقوى الأجنبي التي تتربص بنا الدوائر بالاضافة الى ميادين الحياة الأخرى ."[1]

وتمت كل هذه التنازلات من جانب واحد دون أن يشترط العراق على ايران أي شرط. بل إن العراق لم يحصل على ضمان بقاء ايران على الحياد حتى ما قبل الحرب بأربعة ايام بل على العكس إذ تاكد من عدم حيادها اثناء الحرب على العراق. وفي هذا الصدد كتب البزاز:

" دخل نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي على الرئيس الايراني هاشمي رافسنجاني في زيارة مجاملة وتعارف، بعد أن كان قد بدأ مفاوضات مفصلة مع نائب الرئيس الايراني ، الا انه فوجئ برافسنجاني يطلب اليه البقاء وحده، ليبلغه أن ايران ستكون مع

---

١ – اقتبسنا النص من موسوعة مطر صفحة ٩٥ ولفت انتباهنا عدم انسياب المضمون ، وكأنما يوجد خطأ او نقص عند الكلمات:" لنطل معاً من موقع اشراف بين حياة جديدة.."

العراق في مواجهة الولايات المتحدة، وانها تتفهم الدوافع التي حدت بالعراق للقيام بعملية الثاني من آب(أغسطس)

وعاد الوفد العراقي قبيل بدء الحرب باربعة ايام، ومعه قناعة بأن الايرانيين لن يستغلوا انشغال العراق بأية معركة ليقوموا من جانبهم بتصفية حسابات الماضي. واجتمعت القيادة العراقية، لتعلن بعدئذ، عن ارتياحها لما عاد به وفدها من نتائج.

لكن الاستنتاج الذي توصل اليه الوفد لم يكن دقيقا.. بل على العكس..

كانت طهران تقوم بعملية تضليل منظمة، بحيث تظهر أمرا وتخفي أمرا آخر، في انتظار بدء الحرب، حتى تباشر خطتها في ضوء ما يترشح من نتائج عنها."

ويكتب البزاز عن الاعمال الايرانية بعيد اندلاع الحرب:[٢]

" لكن الذي حصل أن الامين العام للامم المتحدة قرر في منتصف تشرين الثاني "نوفمبر" ١٩٩٠ تمديد بقاء المراقبين الدوليين على الحدود لمدة شهرين فقط تنتهي منتصف كانون الثاني "يناير" ١٩٩١، بحيث لم يكن هناك أي مراقب دولي لحظة بدء الهجوم الامريكي على العراق فجر ١٩٩١/١/١٧.

فضلا عن أن العراق سحب فعليا قطعاته العسكرية من مواضعها على الحدود مع ايران، ووجه قوته النارية كلها في اتجاه ساحة المعركة مع الولايات المتحدة وحلفائها.

حتى اذا بدأ التسلل عبر الحدود، كان الايرانيون ومعهم اسرى عراقيون جرى غسل ادمغتهم وتجنيدهم ضد بلادهم، يمرون من خلال سواتر، ومواقع، كان الجيش العراقي قد اخلاها، بحيث عبر أكثر من ثلاثين ألف شخص في الشهر الاول لبدء الحرب، دون أن يعترضهم أحد، ودون أن يصطدموا بأي موقع عسكري، وارتفع هذا العدد الى خمسين الف شخص انتشروا في محافظات الوسط والجنوب، بعد أن تحددت ساعة الصفر للمباشرة بالتخريب وقتل المسؤولين الحكوميين وحرق مؤسسات الدولة، بعد ٤٨ ساعة من بدء المعركة البرية في الحرب."[٣]

---

[٢] - بزاز صفحة ٤٠٥

[٣] - بزاز صفحة ٤٠٩ -نشير هنا الى أن الامين العام للامم المتحدة لم يمدد الفترة للمراقبين الدوليين على الحدود العراقية الايرانية إلا الى نهاية انذار مجلس الامن الموجه الى العراق، وهذا ليس صدفة بحتة إنما هو تعبير عن عزم الولايات المتحدة التي تؤثر على قرارات هيئة الامم بكشف ظهر العراق من ناحية ايران لكيلا يطمئن، ولم تهدف واشنطن الى فتح المجال لاشراك ايران في الحرب ضد العراق إنما لمجرد تضليل القرار العراقي.

يميل بعض العرب الى تبرير التنازلات العراقية على انها تصرف عمليّ يتماشى مع متطلبات الموقف الراهن، وهذا ما يوصف عادة بالبراغماتية. فالكاتب حمدان حمدان قال: " البراغماتية هي حركة اختلاس محدودة لظروف ناشئة يمكن اهتبالها في سبيل بناء الانسان نفسه على حساب التاريخ." [4] ومن هذا التعريف يستنتج حمدان ايجابية التنازلات العراقية الى أن يقول: " في مقاييس عالمنا المعاصر ، ليس من الصعب تفسير المبادرة العراقية تجاه ايران." ولكننا لا نتفق مع هذا التبرير ولا نرى ذلك ! فلو قلبنا التصرف العراقي على كل الوجوه لما اكتشفنا أي سبب منطقي يبرر التنازلات إنما لالتزمنا بتوجيه لوم شديد لما فعلت قيادة العراق. فهل حارب العراق ايران لمدة ثمانية سنوات وهل بذل مئات المليارات من الدولارات وهل ضحى بدماء مئات الالوف من شباب العراق وهل جازف بطمأنينة وراحة كل الشعب وحرمه من كل رفاهية ليتنازل عنها بجرة قلم واحدة بدون ثمن وبدون قيد أو شرط؟.

قد يقول البعض بأن الحرب المرتقبة مع الولايات المتحدة وحلفائها فرضت على بغداد حماية ظهرها بضمان حياد ايران من خلال منحها تلك التنازلات. ونحن نرفض ذلك لسببين على أقل تقدير. فايران لم تقطع على نفسها رسميا وعدا ملزما إنما مدت سكاكينها محاولة الصيد في الماء العكر ولكن بشكل غير مباشر.

والثاني هو أن العراق الذي كان يترقب انقضاض ٢٨ دولة عليه، وبعضها من الظهر في تركيا، فيها ثلاثة دول عظمى إحداها هي القوة الاولى على وجه الارض لم يكن ليضيره لو اصبحوا ٢٩ دولة بدلا من ٢٨ دولة. ونحن نرى أن عدم استغلال ايران الفرصة وعدم اشتراكها في مهاجمة العراق هو جزء من تخطيط اميركي دقيق هدد ايران بما يشبه في طبيعته الضغط على اسرائيل بألا تأتي بأية حركة مهما حصل لأن اشتراك ايران واسرائيل ضد العراق كان سيفجر الائتلاف العربي الاميركي، مما يفسد انسياب المؤامرة ضد العراق وكل العرب.

ويرى بعض العرب المدافعين عن التنازلات العراقية المجانية أن الهدف الاستراتيجي الفعلي من الحرب السابقة مع ايران كان بالأصل الغاء اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ التي تحرم العراق من منفذ صالح على مياه الخليج العربي وبالتالي الى المحيطات. ويتابع هؤلاء: وبما أن العراق حلّ مشكلة المنفذ على البحار بضمه للكويت فلم يعد ثمة حاجة

---

[4] - حمدان حمدان صفحة ٢٨٢

لمتابعة الموقف العدائي مع ايران ولابأس من منحها التنازلات طالما الحاجة الملاحية تأمنت بشكل أفضل.

أما نحن فلا نرى في هذا المنطق دفاعا عن السياسة العراقية إنما هجوما كاسحا ليس في صالح اصحاب القرار العراقيين. ونعتمد في رأينا على منطلقات ثلاثة : فهل حارب العراق ايران لمدة ثماني سنوات لحماية البوابة الشرقية للامة العربية أم لمجرد الحصول على منفذ صالح على البحر؟ والمنطلق الثاني أخطر من الأول: فإن كان احتلال الكويت كان قمينا بحل مشكلة المنفذ الى البحر فلماذا لم يحتلها العراق منذ عام ١٩٨٠ بدلا عن مهاجمة ايران؟. فلو احتل العراق الكويت في ذلك العام لتفادى (نظريا فقط) الخسائر الهائلة بالاموال والارواح التي ضاعت خلال ثماني سنوات ولما استثار ايران التي كانت عام ١٩٨٠ مشغولة بالعديد من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية.اما المنطلق الثالث فهو ان نتساءل : وهل ضمن العراق استتباب الأمر له بالسيطرة على الكويت ليمنح ايران كل ما تصبو اليه ؟

ونحن نتحفظ على ما اوردناه لأن احتلال الكويت لو حدث عام ١٩٨٠ أو في أي وقت آخر يكون فيه للنفط قيمة لم يكن ليمر عالميا مرور الكرام لأن المصالح البترولية تقف بالمرصاد لأي تحرك كان يؤثر على سياسة البترول. وحتى انشغال ايران بمشاكلها الداخلية والخارجية في تلك الفترة ما كان ليجعلها تستسلم لواقع السيطرة العراقية على الكويت إنما لتعاملت معه وتكيفت خلال اقصر وقت ممكن على انه تهديد لمصالحها ولطموحاتها في كل الخليج.

ويرى مدافعون آخرون عن التنازلات العراقية محاولةً لكسب ايران كحليفة فاعلة ضد التحالف الغربي الذي يقوده الشيطان الاكبر. ويكتب البزاز عن ذلك:

" لقد ظن العراق في لحظة من الزمن، ان بالامكان اقامة صفقة تفاهم مع ايران، واستنتج السيد عزت ابراهيم من زيارته لطهران، ان هناك تحولا في موقف القيادة الايرانية من العراق، يمكن أن تتأسس عليه علاقات جديدة."[٥]

وكان الرئيس صدام حسين قد وجه في أكثر من فرصة رسائل الى الرئيس الايراني هاشمي رافسنجاني سائلا اياه الم نكن نحن وأنتم ضحايا الشيطان الاكبر ثماني سنوات ؟ ألم يكن في وسع دول الغرب لو تصرفت من نوايا حسنة لحقن الدماء التأثير علينا معاً لنوقف الحرب على الفور؟. ألم يسهموا بدلا من ذلك في اطالة زمن الحرب مستغلين تناقضات موجودة ولكنهم يغذونها لامتصاص خيراتنا؟."

---

[٥]- بزاز صفحة ٤٠٩

لاشك في سلامة منطق الرئيس العراقي، ولكننا نراه قد تفاعل أكثر مما يجب. فهل كان لدى الرئيس هاشمي رافسنجاني استعداد لتقبل المنطق السليم من رئيس الدولة الذي اهان كرامة ايران قبل عامين فقط؟ وهل يتنازل الرئيس الايراني عن استغلال هذه الفرصة السانحة الذهبية لسحق العراق والانتقام منه لو كان له الحرية في أن يتصرف كما يريد؟. وهل كان الرئيس رافسنجاني لينزلق وينجر مع العراق الى موقف لايناسبه لا في المضمون ولا في التوقيت خاصة بعد أن فهم الدرس الذي لقنته له السياسة الاميركية والذي انجزته واشنطن باستغلال وتوريط العراق؟.

وجدير بالذكر على هامش الموقف العراقي الايراني محاولة ايران استغلال ظروف العراق الحرجة من اجل تصفية منظمة مجاهدي خلق ومعها المعارضة الايرانية التي كانت تنشط من ارض العراق. يكتب البزاز عن تلك الواقعة:

" اوفدت ايران عشية الحرب احد كبار مسؤولي وزارة الخارجية الى بغداد في مهمة تبدو للوهلة الاولى انها جزء من عملية متابعة امور فنية واجرائية بين البلدين ولكنها في الحقيقة كانت محاولة في اللحظة الاخيرة قبل الحرب لانتزاع قرار عراقي لم تكن إيران لتجرؤ على طلبه في ظروف اعتيادية.

فقد فوجئ وزير خارجيةالعراق ان مصطفى حائري مدير عام دائرة الخليج في الخارجية الايراني يطلب منه خلال لقائهما في بغداد (ظهر ١٤/١/١٩٩١) ان يقوم العراق بتسليم قادة المعرضة الايرانية الموجودين لديه مقابل اغماض العين عن مرور بعض الاغذية والادوية من ايران الى العراق.

وقال المسؤول الايراني:

– اما أن تسلموهم الينا أو أن تسمحوا لافراد منا بالقضاء عليهم."[٦]

نشير الى هذه الواقعة الجانبية من اجل الجملة الاخيرة من النص المقتبس حيث يطلب الحائري إما تسليم المعارضة أو غض النظر وتسهيل القضاء عليهم. فهكذا تعقد الصفقات المنحطة على حساب إرادة الشعوب.

وتكميلا للواقعة نشير الى أن العراق رفض المساومة الايرانية بالرغم من الحاجة الماسة للادوية والغذاء، ولكنه تعهد بعدم السماح لتلك المعارضة بأي نشاط إن تعهدت ايران بمثل ذلك فيما يختص بالمعارضة العراقية التي كانت تنشط من ايران.

---

[٦] – بزاز صفحة ٤١١

الفصل الخامس عشر

الرهائن/الضيوف

من أكثر النقاط حساسية بالنسبة للدول الغربية هو أمن رعاياها. فمنذ أيام الاستعمار القديم كانت كل دولة أوربية تستغل الاعتداء على أحد رعاياها لتنفيذ سياستها باحتلال اقليم بأكمله أو بارتكاب مذبحة كبيرة تأتي على قبيلة أو على فئة كاملة اعتدت على أحد رعاياها. وقد بدأ في العراق قلق الحكومات الغربية على رعاياهم منذ تعرض عدد ضئيل جدا منهم لمضايقات اجهزة الامن العراقية. ولم يتعرضوا للمضايقة لكونهم اجانب إنما لتصرفات صدرت عن عدد محدود منهم توحي بأنهم كانوا يبحثون عن معلومات. ولما اشاعت حكومات الغرب هذه القضية في الاعلام العالمي وادانتها مقترنة مع الاساءة الى العراق "انفعل" فتشبث بالرعايا فأخذت القضية ابعادا ضخمة خاصة بعد أن اعطاهم الاعلام الغربي صفة الرهائن المساكين. مع العلم بأن العراق حتى ذلك التاريخ لم يعامل الرعايا الاجانب بأي سوء. ولكن لا يجوز انكار حرص القيادة العراقية على الاحتفاظ بأكبر عدد من المواطنين الأجانب لاستخدامهم كدرع بشري استراتيجي . وهذا ما سنعود اليه في هذا الفصل. وصدر قرار مجلس الامن رقم ٦٦٤ عنهم وينص على ما يلي:

" ان مجلس الامن،

اذ يشير الى غزو العراق للكويت وإعلانه ضم الكويت اليه، والى القرارات ٦٦٠و ٦٦١و ٦٦٢،

وإذ يشعر بالقلق البالغ بالنسبة لسلامة ورفاه رعايا بلدان ثالثة في العراق والكويت،

وإذ يشير الى التزامات العراق في هذا الشأن طبقا للقانون الدولي،

وإذ يرحب بالجهود التي يبذلها الامين العام من أجل إجراء مشاورات عاجلة مع حكومة العراق بعد أن أعرب أعضاء المجلس في ١٧ آب/ أغسطس ١٩٩٠ عن انشغالهم وقلقهم،

وإذ يتصرف بموجب الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة،

١- يطلب أن يسمح العراق بخروج رعايا البلدان الثالثة من الكويت والعراق على الفور وأن يسهل هذا الخروج ويسمح للموظفين القنصليين بأن يقابلوا، على الفور وباستمرار، اولئك الرعايا،

٢- يطلب ايضا ألا يتخذ العراق أي اجراء يكون من شأنه تعريض سلامة أو أمن أو صحة اولئك الرعايا للخطر.

٣- يؤكد من جديد ما قرره في القرار ٦٦٢ (١٩٩٠) من أن قيام العراق بضم الكويت باطل ولاغ، ويطلب لذلك أن تلغي حكومة العراق أوامرها بإغلاق البعثات الديبلوماسية والقنصلية في الكويت وبسحب الحصانة من أفراد تلك البعثات، وأن تمتنع عن القيام بأي من هذه الاعمال في المستقبل،

٤- يطلب الى الامين العام أن يقدم الى مجلس الامن، في أقرب وقت ممكن، تقريرا عن مدى الالتزام بهذا القرار."

ومنذ ذلك التاريخ استغلت الولايات المتحدة والدول الاخرى قضية الرعايا اعنف استغلال وساعدها على ذلك اخطاء عراقية جسيمة لاتغتفر لأن الادارة في بغداد تخبطت بين الاصرار على الاحتفاظ بالرهائن وبين اطلاقهم. ولسوف نعود بالتفصيل الى هذا الموضوع لنحلل ناقدين ما جاء في كتاب البزاز عن وجهة نظر المسؤولين العراقيين عن هؤلاء الرعايا/ الرهائن/ الضيوف.

بعد يوم واحد من اتخاذ مجلس الامن للقرار ٦٦٥ الذي يسمح باستخدام القوة ضد من يجرؤ على تموين العراق بيوم واحد تعالت الاصوات والآراء التي ترجح قيام الحرب وظهر قلق لدى قيادات مختلف الدول، وخاصة الغربية منها، على مواطنيهم المتواجدين في العراق والكويت.

لم يكن هؤلاء الرعايا سواحا إنما كان معظمهم خبراء أو ممثلي شركات يعملون في العراق وفي الكويت ويجنون لشركاتهم مكاسب ضخمة. ولما أعلن العراق ضم الكويت اليه تم نقل معظم الاجانب منها الى العراق وتم توزيعهم في غالب الاحيان على فنادق الدرجة الاولى على نفقة حكومة بغداد، ووُضع بعض منهم في منشآت صناعية وعسكرية هامة كانت مرشحة لتلقي هجمة جوية أو صاروخية مفاجئة تقوم بها اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية. يقول البزاز: "كان العراق بحاجة الى تعطيل ضربة امريكية أو اسرائيلة بدت امامه محتمة بعد الثاني من آب، في وقت كانت الاشارات التي تُمرّر الى بغداد كل يوم بعد ذلك التاريخ تدل على احتمال تعرض العراق لضربة جوية وصاروخية واسعة في اية لحظة.

لذلك كان اقتراح منع رعايا الدول التي وقفت حكوماتها ضد العراق من السفر".[١]

بلغ عدد الضيوف /الرهائن الغربيين ما يزيد عن ١٢ ألف ضيفا كما ورد لدى البزاز. منهم الاميركي والفرنسي والنمساوي والألماني والياباني والطلياني بالاضافة الى السوفييت.

لقد حاول البزاز وضع خط يفصل بين كون المواطنين الاجانب المحتفظ بهم رهائن أم ضيوف فكتب: " وكاد يكون مستحيلا اقناع الرأي العام العالمي بأن هؤلاء ليسوا رهائن

---

[١] – هذا النص والنصوص التالية عن الضيوف/الرهائن اقتبسناها من البزاز صفحة ٢٦١-٢٦٨ – ويقول البزاز على الصفحة ٤٥٠ بأن : علي سالم البيض و الحسين وعرفات ضغطوا في بغداد من احل اطلاق الرهائن .

مرغمين على البقاء في العراق، في مواجهة طوفان اعلامي وسياسي لم تقاومه حواجز صغيرة ومتناثرة نشرها العراق هنا وهناك."[٢]

لكن جهوده في اقناع العالم بفكرة الضيافة لايمكن لها أن تنجح طالما أن هؤلاء الضيوف مُنعوا منعا من مغادرة البلاد. مع الاعتراف بأنهم في معظم الأحيان عوملوا بشكل مثالي هناك.

نستهل مناقشة موضوع الضيوف/ الرهائن باقتباس حديث صحفي اجراه وفد صحفي نمساوي مع الرئيس صدام حسين في ١٩٩٠/٨/٢٦ بمناسبة زيارة الرئيس النمساوي كورت فالدهايم لبغداد:

" الرئيس : اذن .. نحن جاهزون للاجابة على اسئلتكم.

الصحفي : هل سيسمح للاجانب الآخرين بمغادرة البلد.. واذا كان هذا ممكنا ما هي البلدان التي سيسمح لها.

الرئيس : الذين سيغادرون الآن هم النمساويون ولكننا نأمل أن لاتطول استضافتنا لبقية الاجانب في العراق.

الصحفي: على ماذا يعتمد هذا الامر .. ماذا يمكن لرؤساء دولهم أن يفعلوا..

الرئيس : يعتمد على ابعاد شبح الحرب التي تريد امريكا ان تشعلها في المنطقة ، إذن سيكون الاجانب في العراق ابطال سلام اذا كانوا ضمن العوامل التي تبعد الحرب.. واظن ان كل انسان سوي يعجبه ان يكون بطل سلام.

الصحفي: اذن لماذا سمحتم للنمساويين بالمغادرة ما هي الفكرة وراء السماح لهم ؟

الرئيس : اولا.. إن السماح بمغادرة النمساويين هو تقديرا لزيارة السيد الرئيس فالدهايم.. ان لدى العرب تقاليد تقول ان الضيف عندما يأتي الى البيت يكون صاحب الامر في امور كثيرة.. ولذلك عندما يأتي السيد فالدهايم الى العراق ويكون ضيفا على شعب العراق .. لابد أن يكون مرتاحا عندما يغادر العراق.. والعامل الآخر هو نتيجة لهذا الاجراء.. وهو اننا نريد أن نقول للانسانية جميعا ان عدم السماح للاجانب بالسفر ليس غاية وإنما هو وسيلة للسلام.. وعلى هذا الاساس فإن مغادرة النمساويين للعراق الآن هي الأخرى رسالة سلام.

الصحفي: هل هذا يعني أن الامريكان لن يغادروا مادامت القوات الامريكية موجودة في السعودية.

---

٢ – هذا النص والنصوص التالية من البزاز عن موضوع الرهائن اقتبسناها من الصفحات ٢٦١-٢٦٨

الرئيس : نحن نتحدث عن شبح الحرب ونرى ان دخول القوات الامريكية الى ارض نجد والحجاز تنطوي بالاضافة الى اهانتها لمقدسات المسلمين والعرب على مخاطر الحرب ومن الطبيعي أن تهديد العراق والحصار عليه هو نوع من اعمال العدوان.

ويمكن ان تحدث من كل هذا الذي يحصل شرارة في اية لحظة ينجم عنها حريق هائل. إذن فوجود الاجانب في العراق قد يعاونه في أن يبعثوا برسائل سلام الى الرأي العام الغربي وهذا الذي نريده.. نريد السلام ولا نريد الحرب.

الصحفي: نعود الى زيارة السيد فالدهايم .. إذا ماجاء رؤساء أو حكومات اخرى من بلدان غربية فهل ان هذا سيساعد بالنسبة الى مواطنيهم. وهل سيلقون نفس الضيافة لهؤلاء الضيوف بما يتعلق بمواطنيهم في العراق ..

الرئيس: من المؤكد بشكل عام أنه عندما نقبل استضافته علينا ان نقوم له بواجبات الضيافة.. اما السيد فالدهايم فلا ننظر اليه مجرد ضيف وإنما هو ايضا صديق بمعنى التلاقي على العمل الانساني لخدمة السلام.. كلانا نريد السلام فأمر طبيعي أن نكون أصدقاء من اجل خدمة الانسانية.

الصحفي.. هل سيسركم أن تستقبلوا ضيفا هنا في بلادكم.. الامين العام للامم المتحدة مثلا.

الرئيس.. طبعا.. الامين العام للامم المتحدة دائما نرحب به..

.....

الصحفي: هل فعلا نقلتم الاجانب الذين تصفونهم بأنهم ضيوف الى اماكن تصفونها بانها اماكن استراتيجية .

الرئيس: نعم حصل هذا والقصد ليس لنتقي بهم ضربات وإنما أن نمنع وقوع الضربات وبالتالي ننقذ حياة الامريكان والعراقيين والانكليز والفرنسيين والنمساويين." [3]

نلتقط من النص ملاحظات ثلاثة. اولاها حرص الرئيس صدام على استحضار رجال سياسة عالميين واعداً اياهم بالقيام بواجبات الضيافة تجاههم. والثانية يحاول فيها تلطيف الوجه التعسفي لاحتجاز "الضيوف" بجعلهم ابطالا للسلام والثالثة هي اعتراف واضح بأن العراق استخدم الخبراء الاجانب ليمنع وليتفادى ضربات تُنزل بالعراق.

وننتقل الآن الى ايراد وجهة النظر العراقية في قضية "الضيوف" من خلال كتاب البزاز لأننا لم نجد تلخيصا ابلغ وأوقع مما جاء لديه في أي مرجع آخر. وبعدئذ نتناول رأيه بالتعليق والنقد. يقول البزاز:

---

٣ – نقلاً عن سفيان صفحة ٨٠

" لذلك كان هناك رأيان في بغداد.

الاول: وتتبناه الخارجية العراقية يرى أن العراق لم يكن في حاجة لمنع الاجانب من السفر. وان هذا الاجراء لن يحول دون وقوع الضربة العسكرية، لو كانت هذه الضربة قد تقررت واستكملت مستلزمات تنفيذها، وان الادارة الامريكية قد حصلت على عنصر فعال آخر لتأليب الرأي العام ضد العراق، وتشويه صورة قيادته، وسيكون من اليسر انعاش ذاكرة الجمهور حول صور الرهائن لدى ايران، واستخدام هذا العامل في التعبئة للحرب، وبناء على ذلك فان كل يوم يمر يلحق اذى معنويا للعراق، وينال من الصورة التي يريد بناءها لنفسه، كحامل رسالة انسانية كبيرة، كان خطابه السياسي والاعلامي يبشر بها كل يوم، ويذهب هذا الرأي الى أن الجمهور الغربي عموما، والامريكي خاصة لم يكن معنيا بمصير حكام الكويت وما لحق بهم، ولم يكن مستعدا لاظهار اي قدر من الاستعداد للتضحية من اجلهم، ولكنه ازاء الاستخدام الاعلامي الهائل لموضوع الاجانب في العراق صار مقادا لاظهار مشاعر كراهية ضد العراقيين الذين كان بامكانهم حرمان الادارة الامريكية والبريطانية والفرنسية من الحصول على هذا الامتياز.

أما الرأي الآخر فكان يعاين الامر من زاوية اخرى، فعدا عن ان هذا الاجراء هو اجراء وقائي للحيلولة دون وقوع الحرب، فإنه ايضا عمل سبق لدول اخرى أن لجأت اليه اضطرارا كما حدث في الحرب العالمية الثانية عندما احتجز البريطانيون الألمان، وفعلوا الامر نفسه الى جانب قيود اخرى مع الارجنتين خلال حرب الفوكلاند سنة ١٩٨٢، الى جانب ان بعض دول التحالف الغربي احتجزت بعد الثاني من آب (أغسطس) الرعايا العراقيين بمن فيهم اعداد من حملة جنسيات تلك الدول، وطردت الطلبة العراقيين من جامعاتها، ولكن تلك الاجراءات لم تقابل بإدانة مماثلة لما قام به العراق.

ووجد أصحاب هذا الرأي ان التسفير التدريجي لهؤلاء الاجانب، بعد وساطات يقوم بها سياسيون مرموقون من انحاء العالم، اعطى العراق نافذة للتعريف بقضاياه وفتح امامه قناة للاتصال بالعالم بعد ان سدت عليه المنافذ دفعة واحدة.

وتضاعفت الآثار النفسية والاعلامية والسياسية خلال الاشهر الاربعة التي مرت على منع الرجال من رعايا دول التحالف من مغادرة العراق، وصار واضحا ان الامر يستخدم في التعبئة لشن الحرب وجمع المؤيدين لها وتحريض الرأي العام ضد بغداد.

وبقي هناك رأيان مفترقان.

احدهما يرى أنه مادام القرار قد اتخذ بالتحفظ عليهم فينبغي ان يستمر هذا التحفظ طالما استمر التهديد باستخدام القوة العسكرية ضد العراق وان التراجع عن القرار يعطي اشارات للضعف ستتعامل معها واشنطن على اساس ان الحملة الاعلامية والضغوط الدبلوماسية قد اثرت في القرار العراقي وأنه بالامكان اللجوء الى هذا الاسلوب في اية قضية اخرى للضغط على العراق، اما الرأي الآخر فظل يرى طبقا للاستنتاج الذي توصلت اليه الدبلوماسية العراقية ان استمرار بقاء الغربيين في العراق ادى الى تهشيم صورته في الخارج واعطى للرئيس الامريكي جورج بوش ذريعة مؤثرة في تعبئة الرأي العام لقبول خيار الحرب، وان كل العوامل التي ظهرت بعد الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٠ لم تكن قادرة على تعبئة الرأي العام الامريكي ضد العراق بالقوة ذاتها التي اشتغل بها هذا العامل، ذلك لأن الامريكان لم يكونوا معنيين بوضع الاسرة الكويتية الحاكمة ومستقبلها ....، ولم يكن القول بان العراق يسيطر على خمس احتياطي النفط ليقلق الرأي العام الامريكي بالقوة نفسها التي هزّ بها موضوع منع الغربيين من السفر."

لاشك لدينا في أن رأي وزارة الخارجية العراقية بضرورة اطلاق سراح الرعايا الاجانب هو الأوجه والأصح ولذلك لانستطيع ادراك قوة الاقناع التي جعلت الرأي الاضحل والأضعف يفوز على الرأي الأصوب في بغداد. فوقاية المنشآت الهامة ما كانت لتحول دون تنفيذ العدوان الكبير لأن ابعاد العدوان اضخم من أن تقف الرهائن عقبة في وجهها. وهناك مراجع عديدة تثبت كيف كانت الرئيسة البريطانية مارجريت تاتشر تدق طبول الحرب غير عابئة لمصير الرهائن المحتجزين في العراق . وما يتحجج به اصحاب الرأي الآخر في أن دولا أخرى لجأت الى احتجاز رهائن لايصح سحبه على ما حصل في العراق. فبريطانيا لم تحشر "المحتجزين" الألمان والارجنتينيين في اماكن عسكرية حساسة. وكذلك دول التحالف الغربي لم تضع المواطنين العراقيين في اماكن خطرة لدرء هجمات عراقية من خلال عمليات ارهابية . وإن طرد الطلاب العراقيين الذي يتحدث عنه البزاز هو مقلوب لفكرة الرهائن. فلو شاءت قوات التحالف لأخذتهم الى مناطق حساسة في السعودية.

أما استناد اصحاب الرأي الثاني الى الفائدة الاعلامية العالمية من خلال توافد سياسيين مرموقين الى بغداد مما يعطي العراق نافذة للتعريف بقضاياه فهو رأي مريض دفع ثمنه العراق. فلقد استخدم العمل السيء مطية للوصول الى النتيجة الفاضلة هو منطق غير عقلاني ومرفوض. وبالاضافة الى ذلك فإن حضور السياسيين العالميين الى بغداد مرتبطا

بقضية الرهائن جرى استخدامه من قبل الاعلام المغرض بالشكل الذي يريدونه هم وليس بالشكل الذي يفيد العراق.

لاشك في أن عدة شخصيات عالمية زارت بغداد وتمتعت بحسن ضيافتها وحصلت على "مكافآت " من العراق باطلاق الرهائن من رعاياهم مثل: رئيس النمسا كورت فالدهايم ورؤساء حكومات سابقين من مستوى فيلي براندت الالماني وناكاسوني الياباني وادوارد هيث البريطاني وزعيم الجبهة الوطنية الفرنسية اليميني المتطرف جان ماري لوبين بالاضافة الى مرشح الرئاسة الامريكي جيسي جاكسون. ولكن ماذا افاد كل هؤلاء سوى أن سلطت أجهزة الاعلام العالمية الاضواء على الجانب القاتم من تواجدهم في بغداد وأن عتمت على التفاصيل الايجابية للمباحثات التي اجروها مع القيادة العراقية كل تعتيم؟. ونختار فيما يلي ثلاثة من هؤلاء الزوار لنعالج ما قالوه للمسؤولين العراقيين مقتبسين ذلك من المرجع المحسوب على بغداد أي كتاب سعد البزاز. فالمستشار الألماني السابق فيلي براندت تحدث مع الرئيس صدام في ١٩٩٠/١١/٧ وقال له:

" إن حصل عدوان على العراق فإن اصحاب القرار في امريكا لن تهمهم حياة اولئك الذين وضعهم العراق في المنشآت الحيوية، بل ربما احدث احتجازهم العكس في امريكا، بعد أن ادى الى توفير دعاية اضافية ضد العراق قد تسرع في نشوب الحرب.

وقد اجابه الرئيس صدام حسين على ملاحظته بان قرار منع اي انسان من السفر هو قرار سيء."[٤] ولكن براندت لم يستطع ، ولم يكن في موضع من السلطة تجعله يستطيع منح بغداد اي وعد كان. وقبل ذلك حاول الرئيس صدام خلال حديثه مع رئيس الوزارة البريطاني السابق ادوارد هيث الحصول على ضمانات بأن السلاح لن يستخدم ضد العراق ففشل. ويصف البزاز هذا اللقاء ايضا فيكتب:

" في يوم الاحد ١٩٩٠/١٠/٢١ كان الرئيس صدام حسين يستمع الى ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا الاسبق الذي طلب منه السماح بسفر الرعايا الاجانب بمن فيهم البريطانيون، فأبدى الرئيس العراقي رغبته في عدم وضع اي قيد على حرية المغادرة لأي من هؤلاء، ولكنه طرح حاجة بلاده الى "ضمانات بان السلاح لن يستخدم ضد العراق"، وحدد الضمانات التي يريدها العراق باحد الخيارات التالية:

- تعهد علني من امريكا.
- تعهد ثنائي من بريطانيا وفرنسا.

---

[٤] -- بزاز صفحة ٢٦٦

- تعهد باية صيغة من الصيغ يصدر عن الامم المتحدة.

واضاف الرئيس : اننا لسنا مرتاحين لوجود اجانب وقد قيدت حريتهم في السفر.. لكن هذا حصل لكي ندرأ الحرب، كما نتصور.

علق السيد هيث: ان هذا لن يساعد على بلوغ الحل الشامل الذي يقول به العراق.

فاجابه الرئيس صدام حسين :

- نحن لانريد أن نتوصل الى الحل الشامل لكي نسمح للاجانب بمغادرة العراق.. انما نريد ان يتغلب منطق السياسة على منطق البندقية.

ثم تجاوب الرئيس العراقي مع رئيس الوزراء البريطاني الاسبق في طلباته لتسفير عدد من الاشخاص الذين انتهت عقود عملهم، او كانوا طاعنين في السن الذين قال عنهم هيث: " ان هؤلاء لم يعملوا شيئا يسيء اليكم"[٥]

تميزت زيارة ادوارد هيث عن زيارات الآخرين بالحديث الذي ادلى به في ١٩٩٠/١٢/٢٠ امام لجنة القوات المسلحة في الكونغرس تحت رئاسة ليس آسبن . واشتمل حديثه على ايجابيات كثيرة عن العراق تتفق مع ما كان يرجوه الرئيس صدام حسين من استقدام ساسة الدول الغربية الى بغداد. ونقتبس من هيكل جزءا مما جاء في تلك المقابلة حيث كتب:

" ولقد رأى رئيس الوزراء البريطاني السابق أن يكون صريحا مع اعضاء اللجنة فقال: "دعوني أذكركم أولا أن قرار مجلس الامن رقم ٦٦٠، وهو الأساس في كل دور الأمم المتحدة في أزمة الخليج، يحتوي على ثلاث فقرات: الفقرة الاولى فقرة تدين العراق، وهذه الفقرة لايختلف عليها احد منا وهي لاتحتاج الى طول نقاش. والفقرة الثانية تطلب من العراق سحب قواته فورا وبدون شرط الى المواقع التي كانت عندها قبل الغزو العراقي، وهذه ايضا فقرة لايختلف عليها احد ولاتحتاج الى طول نقاش. واما الفقرة الثالثة في القرار فهي تطالب العراق والكويت بأن يبدآ على الفور محادثات مكثفة لحل مشاكلهما . وهذه الفقرة التي تجاهلتها الاطراف ولم تعطها فرصة حقيقية لاكتشاف امكانياتها ".

ثم استطرد ،هيث، يتحدث عن السبب المباشر الذي دعاه للذهاب الى بغداد، وهو الرهائن البريطانيون المحتجزون في العراق. وقد قال في هذا الصدد:

" إنني قضيت ثلاث ساعات مع "صدام حسين" ، ولم يستغرق موضوع الرهائن في الحديث بيننا أكثر من فترة وجيزة. كنت قد قسمت الرهائن البريطانيين الى مجموعات

---

[٥] - براز صفحة ٢٦٥

متشابهة في ظروفها ، ورحت أضع أمامه كل مجموعة ، وكان رده في كل مرة " نعم هؤلاء يجب أن يطلق سراحهم ويعودوا الى وطنهم في رفقة المستر هيث". وكانت آخر مجموعة تتكون من ٥٩ من عمال البناء يشاركون في بناء القصر الجمهوري ، وقد قاطعني عندما قلت ذلك، وقال لي "ليس عندي قصر جمهوري". ثم التفت الى السيد "طارق عزيز" الذي كان يجلس معنا وسأله "الى ماذا يشير رئيس الوزراء "هيث" وهو يتحدث عن القصر الجمهوري ؟"

- ثم التفت اليّ ثانية وقال: " لدينا بيت ضيافة في مجمع رئاسة الجمهورية حيث يوجد مكتبي، وإذا كان العمال الذي يشتغلون فيه هم الذين تقصدهم ، فسلامتهم مسؤوليتي شخصيا، ولابد أن يعودوا الى بلادهم سالمين فور فراغهم من عملهم ". وسألته كم من الزمن يستغرقه ذلك؟ ورد على بقوله:" أربعة أسابيع.. في اربعة أسابيع سوف يكونون عندكم".

واستطرد "هيث" يقول: " في كل مرة أعطاني وعدا تم تنفيذ هذا الوعد. وقد لاحظت في هذه المسألة أن القرار قراره. وأظن أن هذا هو الشأن في كل المسائل الأخرى. وسألته في نهاية حديثنا عن الرهائن: " لماذا قررت احتجازهم؟ " وكان رده :إنني كنت افكر في أمن بلادنا".

وقد رد "هيث" على الفور بأنه "يختلف في هذه النقطة لأن وجود الرهائن الأجانب في أي موقع لايمثل حماية له ازاء تصميم حماية مصالح استراتيجية حيوية، وهو بمعرفته بالسيدة "مارجريت تاتشر" يعرف أنها لن تتردد ثانية واحدة في الأمر بضرب أي موقع عراقي مهما كان عدد من فيه من الرهائن البريطانيين المحتجزين.. بل ربما كان ذلك يسعدها من حيث أنه يسهل لها تعبئة الرأي العام البريطاني".

ثم راح "هيث" يروي أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الامريكي بقية حديثه مع الرئيس "صدام حسين" حول أزمة الخليج كلها، فقال: " إننا تحدثنا بأسلوب مفتوح ثلاث ساعات متصلة. تحدثنا، ولم يرفع صوته مرة واحدة. إنه تحدث معي بصراحة، وتحدثت معه دون مجاملة، وقلت له: إنني أريد أن اطرح عليك احتمالات لأسمع رأيك حيالها" . وسألني "معنى ذلك أنك ستطرح حالات افتراضية؟" – وقلت له "نعم، وهذه هي الطريقة التي اريد أن استوثق بها من آرائك". وسألني "ما هي الفرضية الأولى؟" وقلت له: " إذا انسحبت من الكويت، فلا يستطيع الامريكيون أو الانجليز أو غيرهم ممن لهم قوات في السعودية – إلا أن يرحلوا عائدين الى بلادهم، واظن أن هذا من وجهة نظرك، ومن وجهة نظر عربية ، أمر مرغوب فيه بشدة" ورد عليّ قائلا: " نعم ، ولكن أي ضمانات تستطيع تقديمها لي بأنني إذ انسحبت من الكويت فإن الامريكان والانجليز لن يأتوا بقواتهم الى مواقع أفضل واقرب ، ثم

يقصفوننا ، بمعنى أنهم سيهاجموننا من الكويت بدلا من السعودية؟" – وقد قلت له إنه "ليست عندي ضمانات أقدمها له "[٦]

وهكذا لم يتمكن هيث ايضا من منح العراق أي وعد أو أمل لأنه خارج الحكم. ويتهيأ لنا أن اختيار الدول الغربية للشخصيات التي ذكرناها كان مدروسا بحيث يقصد منه ارسال رجال لهم وزنهم العالمي الذي يدغدغ ويرضي شعور العراق ولكن دون أن يملكوا أي أثر على اتخاذ القرار. ولانستغرب أن هؤلاء الرجال تلقوا من قيادات بلادهم قبل انطلاقهم تعليمات مشددة وملزمة بألا يعطوا اية وعود . فقط وزير خارجية الصين كان من الرسميين الكبار الذين زاروا بغداد والقاهرة والرياض وعمان . لكن انطباعه الايجابي بعد حديثه مع الرئيس صدام ذهب ادراج الرياح. ويعلق الدكتور عودة بطرس عودة على هذه الزيارة فيقول:" كان وزير خارجية الصين هو الوحيد من وزراء خارجية الدول الخمسة دائمة العضوية في مجلس الامن الدولي الذي زار العراق وتباحث مع الرئيس العراقي. أما الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فقد امتنعت منذ البداية عن ارسال مسؤولين رسميين للتباحث مع القيادة العراقية لمناقشة السبل الكفيلة بحل الازمة سلميا"[٧]

تضع كلمة هيث التي نشرها على الملأ اصبع الباحثين على" الحقيقة/الجرح " في ان العراق نوه بقوة وبوضوح عن استعداده للانسحاب لو ضُمن له الا تُضرب قواته من الخلف حين ينسحب . واعتذر هيث لأنه لا يستطيع منح العراق هذا الاطمئنان . ولم نجد اي مرجع اميركي مسؤول اجاب هيث على ذلك بأن العراق يستطيع الانسحاب دون ان يخشى هجوماً عليه . وسوف نتعرض لهذه النقطة الهامة في الفصل الذي يعالج مؤتمر جنيف بين وزيري الخارجية العراقي والأميركي .

نعود الآن الى استطراد نراه هاما لنوثق ما قلناه عن أن الاعلام الغربي كان يعتم على الايجابيات التي توصل اليها زوار العراق وينشر اي خبر سلبي آخر فنقتبس على سبيل المثال لاالحصر التمهيد الذي قدمت فيه المجلة الألمانية الاولى "دير شبيغل" لزيارة المستشار الالماني فيلي براندت إذ تقول: "كان الارتياح [في المانيا] شديدا أن عاد فيلي براندت ومعه ١٧٥ رهينة. ولكن أمله الكبير في التوصل الى السلام لم يتحقق لأن صدام حسين مارس معه ايضا الاعيبه الكريهة" [٨] وبعد هذا التقديم تحدث المقال عن الديكتاتور الدموي المستبد صدام

---

٦ – من هيكل صفحة ٤٨٥ . وهو اخذها من محضر اجتماع لجنة القوات المسلحة الأميركية بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠ .

٧ – عودة بطرس عودة صفحة ١١٧ .

٨ – العدد ٤٦ لمجلة دير شبيغل لعام ١٩٩١ صفحة ١٨ .

حسين. فلو مرت جملة فيها قليل من الايجابية عن اللقاء مع الرئيس العراقي وجدناها تضيع في بحر من التجني والتشويه. وفي ذات العدد كتبت "دير شبيغل" عن زيارة الرئيس النمساوي كورت فالدهايم تحت عنوان "صدام حسين يلعب بالرهائن" مقالة شديدة المرارة نقتبس منها فقرة كعينة تمثل اتجاهها العام. تبدأ المقالة بقصة أخذ الايرانيين للرهائن الامريكيين في السفارة ثم تعقب على ذلك: " يبدو أن العراقي تعلم من عدوه فأخذ يستخدم خطف البشر وسيلة للوصول الى اهدافه السياسية والعسكرية. وإن صدام حسين الحاكم المستبد يجيد استخدام هذه الطريقة اكثر من غيره ليدعم قيادته وليضمن استمرار نظامه." [٩]

لاشك في أن الاعلام الغربي كان يقلب كل بادرة ايجابية الى عكسها أو يشوه ايجابيتها حتى تضيع. ولذلك لم نر ولانرى في استقدام رجالات الغرب ما يغطي على الكم الضخم من السلبيات التي استغلها الغرب من خلالها اشنع استغلال. ولقد اعترف العراق بذلك كما شاهدنا ولكن بعد أن سبق السيف العذل.

وننتقل الى بحث زيارة الأميركي جون كونالي وزميله اسكي وايت حيث يكتب عنها البزاز:

" جون كونالي، وهو الرجل الذي كان من المحقق أن يموت في حادث اغتيال الرئيس الاميركي السابق جون كندي اذ كان برفقته داخل سيارة الرئاسة وقتما كان حاكما لولاية تكساس عام ١٩٦٣ فاصيب بطلقات مباشرة، وعد قتيلا في الساعة الاولى لحادث الرئيس الا ان الحظ كان معقودا له فقد اجريت له عملية جراحية انقذته من الموت، ويبدو أنه اراد ان يجرب حظه ثانية في قضية مستعصية فحضر الى بغداد بصفته وزير خزانة سابق ومعه اسكي وايت رئيس وفد شركة النفط الساحلي الامريكية (Coastal).

استمع الرئيس في اللقاء الذي جرى في القصر الجمهوري الى عرض مؤثر للطريقة التي يستثمر بها الرئيس بوش هذا الموضوع ضد العراق، وذهب المتحدثان الامريكيان الى أن بوش يقنع الشعب الامريكي اليوم بأن قيادة العراق تضمر الكراهية والعداء له كشعب وليس للادارة السياسية في واشنطن.. والدليل على ذلك هو منع الغربيين من مغادرة العراق.

كان ثلاثة من اعضاء القيادة العراقية هم طه ياسين رمضان وسعدي مهدي صالح ولطيف نصيف جاسم فضلا عن سكرتير الرئيس يستمعون الى حجج جون كونالي، وقبل ان ينتهي اللقاء اعطى الرئيس صدام حسين وعدا قاطعا بالسماح للغربيين بمغادرة العراق.

٩ - ذات العدد صفحة ٢٢

وبالفعل اعلن يوم ١٩٩٠/١٢/٦ عن هذا القرار بصورة رسمية.. ليعود (كونالي) فخورا بحظه الذي جربه امام الملأ مرتين على الاقل."[١٠]

وبذلك يكون كونالي آخر قيادي غربي "يأكل الطعم" في بغداد "ويبصق" على الصنارة. ولكن لزيارة كونالي وزميله بعد بترولي ذو شأن سنعود اليه فيما بعد.

ومن باب الاحاطة بموضوع الضيوف/ الرهائن نذكر زيارة الوسيط السوفياتي يفجيني بريماكوف الذي حاول في بغداد اثناء زيارته لها في ١٩٩٠/١٠/٤ الحصول على موافقة العراق علىالسماح بعودة الخبراء السوفيات الى بلادهم. فعن ذلك كتب بريماكوف:

" ركزنا، ايغور بيلوسوف وأنا، ومنذ اللقاء الأول مع طارق عزيز على ضرورة السماح لكل المواطنين السوفيات الراغبين بمغادرة العراق والعودة الى وطنهم. وفي ذلك الوقت كان حوالي خمسة آلاف خبير سوفياتي يعملون في سائر انحاء العراق. واذا كانت معظم العائلات قد غادرت فان خبراء كثيرين كانوا لازالوا مصحوبين بزوجاتهم.

كنا كررنا المحاولات، قبل وصولنا الى بغداد، ومن دون نتيجة، للحصول على حق خبرائنا العسكريين الذين انتهت مدة عقودهم بالعودة مثلهم مثل سائر المواطنين السوفيات العاملين في العراق في اطار المساعدة التقنية . لم يرفض العراقيون صراحة ولكنهم أبقوا المسألة معلقة. لا بل الغينا عددا من رحلات ايروفلوت" موسكو – بغداد لأنه كان يمكن للطائرات أن تعود فارغة تماما .

لقد كان العراق قد أطلق تحديه في وجه العالم باحتجازه فوق ارضه عددا من الاجانب (اميركيين، اوربيين، يابانيين) واصراره على توزيعهم على عدد من الأهداف الاستراتيجية التي يمكن لها أن تصاب في حال اندلاع الحرب. لقد طلب الينا الرئيس غورباتشوف، بما يشبه الامر ، أن نطرح السؤال حول هذا "الحزام البشري".

كان علينا أن نبذل ما في وسعنا لإقناع العراق بالتراجع عن هذا القرار غير الانساني وغير العقلاني. وقال الرئيس السوفياتي لنا أن كل تقدم في هذا الاتجاه يسهل بشكل مؤكد البحث عن تسوية سياسية."[١١]

لم يكن الهدف الرئيسي من زيارة بريماكوف الى بغداد مجرد بحث موضوع الرهائن إنما أراد محاولة التوصل الى حل للازمة من خلال مبادرة سوفياتية. وسوف نتعرض الى ذلك الجانب من زيارته بعد قليل. ولكننا نشير منذ الآن الى أن الولايات المتحدة لم تكن لتسمح

---

١٠ – بزاز صفحة ٢٦٤

١١ – بريماكوف صفحة ٤٨

للاتحاد السوفياتي بالحصول على اي مكسب دبلوماسي يعيد اليه جزءا من كرامته المهدورة بعد الانهيار الكبير .

ونختتم فصل الضيوف /الرهائن بتأكيد رأينا في اننا لم نكن لنؤيد احتجاز اية رهائن. ونؤيد رأي هيث في أن احتجازهم لم يكن ليمنع الهجوم . ولكننا نستغرب اطلاق سراحهم عن بكرة ابيهم قبل الهجوم الجوي الغادر بأربعة اسابيع. فلماذا احُتفظ بهم لشهور طويلة إن كان سيطلق سراحهم قبل حلول ساعة الصفر؟. ان الاحتفاظ بهم لشهور عديدة مضغت خلالها ألسنة شعوب العالم " وحشية العراق " ثم اطلاقهم يترك اسوأ الانطباعات والتساؤلات عن سلامة القرار العراقي. فلقد عرَّض العراق نفسه لنقمة وعداء معظم دول الارض إن لم يكن كلها في هذا الموضوع وزوَّد اجهزة الاعلام العالمية بكل ما تحتاجه لاستنفاد هذا السلاح على اوسع نطاق والى الرمق الاخير ضد العراق. فلم يبق جيب اعلامي في العالم إلا وعاداه في موضوع الرهائن بما في ذلك معظم المتعاطفين معه. ولما اطلق العراق سراح الرهائن ارتاح الغرب واطمأن ولكن دون أن يترتب على ذلك اية ايجابيات لصالح العراق ودون أن يزول الاثر الاعلامي البغيض الذي استمر بناؤه لعدة شهور.

شهورا طويلة تحمل العراق الاذى الاعلامي للرهائن بل أسهم بنفسه في تعريض صدره لسهام الهجوم عليه . ولما جدّ الجدُّ وأطلّت الحرب برأسها البشع اطلق سراحهم وبقي صفر اليدين. فلا عجب ان يختتم البزاز فصل كتابه عن الرهائن بقوله:

" ولحظة بدء الهجوم على بغداد تمنى القياديون العراقيون لو كان الغربيون موجودين تلك اللحظة حيثما كانوا قبل اربعين يوما... وهم يعدّون ما حصل خطأ وقد وقع..."[١٢]

---

١٢ - بزاز صفحة ٢٦٨

الفصل السادس عشر

المبادرات المتعددة لتجنب الحرب

بعد فشل مؤتمر القمة العربي في اصلاح ذات البين و بعد نجاحه في تدويل الأزمة وفي إخراجها عن الاطار العربي و ادخالها في فلك الولايات المتحدة جرت محاولات ومبادرات متعددة للتوصل الى حل سلمي وسوف نتعرض لمعظمها تباعا محاولين مراعاة التسلسل الزمني قدر الامكان وبالقدر الذي يسمح تداخل احداثها بذلك. وسوف نبدأ بالتعرض لتلك المبادرة حيث حاولت القيادة العراقية فتح حوار مباشر مع واشنطن من خلال وساطة فلسطينية. إننا لم نقرأ عن هذه المبادرة الهامة في أي مرجع الا لدى هيكل. وخشية كون النص بدون أرضية واقعية طلبنا من الأخ سعد البزاز الذي سافر من ميونيخ الى تونس التحقق من صحة الفاكس الذي يُجسّد المبارة ، فأعلمنا بأنه وجده في الأرشيف السري لمنظمة التحرير الفلسطينية في تونس ومعه مراسلات أخرى مشابهة. يقول هيكل:

" كان أهم رسل منظمة التحرير الفلسطينية الى مواقع النفوذ والقرار في واشنطن رجل أعمال فلسطيني بارز، وكانت له صلات وثيقة بعدد واسع من صناع القرار الأميركي، وكان بينهم في اغسطس ١٩٩٠ سياسي يشغل موقعاً بالغ الحساسية بالقرب من الرئيس الأميركي "جورج بوش". وفي ٨ أغسطس تحرك أحد أجهزة الفاكس في البيت الأبيض يحمل رسالة الى السياسي الأميركي القريب جداً من "بوش" وكان نصها كما يلي:

" سري جداً وشخصي

الى: __________

من : __________

التاريخ : ٨ أغسطس ١٩٩٠

يوم الأحد ٥ أغسطس بين الساعة الرابعة والسابعة بعد الظهر بتوقيت لندن تلقيت مكالمتين تلفونيتين من صديقي الطيب نزار حمدون وكيل وزارة الخارجية العراقية الذي سألني باسم وزير الخارجية العراقي عما إذا كنت أستطيع أن أذهب إلى بغداد ومعي إذا أمكن المستر (.....) فاعتذرت له بدواعي الأمن ولأسباب عائلية.

وفي نفس الوقت تقريباً اتصل بي الرئيس عرفات الذي كان في مهمة وساطة بين الكويت والعراق، وكان يحدثني من بغداد، وقد كرَّرَ عليَّ نفس الطلب (الذهاب الى بغداد) ومرةً ثانيةً اعتذرت مقترحاً أن أقابله في أي مكان آخر قريب من لندن، وقد وافق على ذلك.

ويوم اثنين (٦ أغسطس) اتصل بي السيد نزار حمدون مرتين في محاولة لإقناعي بالذهاب إلى بغداد، ولكني تمسكت بموقفي.

وفي نفس الوقت تشاورت في الموضوع مع ريتشارد ميرفي (وكيل وزارة الخارجية الأميركية السابق) الذي اتصل بوزارة الخارجية، ثم اتصل بي لينصحني بعدم الذهاب الى بغداد، وبأن أية اتصالات يجب أن تتم إما بواسطة السفارة الأميركية في بغداد، أو بواسطة السفارة العراقية في واشنطن، وهذا هو الذي دعاني لكي أبعث اليكم بهذه الرسالة.

ويوم الاثنين في المساء اتصل بي الرئيس عرفات من جدة، واقترح أن نلتقي في اليوم التالي في فينا التي سيذهب اليها ليحضر جنازة المرحوم برونو كرايسكي.

ويوم الثلاثاء ٧ أغسطس وصلت الى فينا، والتقيت بالرئيس عرفات الذي قصد بعد ذلك الى جدة.

إن الرئيس عرفات أخبرني أنه خلال اجتماع له مع الرئيس صدام حسين فإنهما اتفقا على ضرورة إقامة خط مباشر بين بغداد وواشنطن، وورد اسمي في هذا الصدد كوسيط محتمل، وكان هذا هو السبب وراء كل الاتصالات التلفونية التي جاءتني من بغداد.

إن الرئيس عرفات قال لي إنه قلق جداً من التدهور السريع في الموقف، وأنه يجب تداركه فوراً. وقد قال لي إن الوفد الفلسطيني الى مؤتمر وزراء الخارجية العرب في القاهرة اتخذ موقفاً غير منحاز لطرف لكي يحتفظ بفرص الوساطة مفتوحة.

إن الرسالة التي كان مطلوباً مني أن أنقلها لواشنطن من بغداد طبقاً لما قاله لي الرئيس عرفات تعرض الإتفاق التالي:

١- إن القوات العراقية سوف تنسحب من الكويت.

٢- إن اسرة الصباح يمكن أن تعود.

٣- حتى يتم الإتفاق على تسوية نهائية، فإنه يجب أن يكون هناك وجود عسكري عراقي في جزيرة بوبيان، وفي منطقة الحدود المختلف عليها في شمال الكويت.

٤- إن قضية الديون العراقية للكويت، والتعويضات المستحقة للعراق(نتيجة الضخ الكويتي من حقل الرميلة) يمكن تسويتها على شكل مرض للعراق.

٥- إن الرئيس العراقي على استعداد للتوصل الى اتفاق مع الإدارة الأميركية على كل المسائل المتعلقة بالبترول

إن الرئيس أضاف نقطة أخرى تتصل بالخطر الذي يمكن أن ينجم عن انسحاب عراقي من غير ترتيبات مؤقتة وبديلة، وهو متنبه لاحتمال قلاقل تثيرها ايران أو عناصر متشددة، وهو يعتقد أن قوة طوارىء عربية يمكن أن تتمركز في الكويت مؤقتاً كما حدث سنة ١٩٦١ حينما قام الجنرال قاسم بتهديد الكويت.

رأي خاص: إن الوضع شديد الحساسية وقابل للإنفجار ومعبأ بالمخاطر الى درجة أنني لا أستطيع المغامرة بإبداء رأي. ومع ذلك فإنني أشعر أن عليّ أن أضيف أن الرئيس عرفات واحد من قلة قليلة من الناس لديهم اتصال مباشر بالرئيس صدام حسين، وهو على هذا النحو قادر وسط الظروف المكفهرة على أن يفتح طاقة يمكن من خلالها لواشنطن ولبغداد أن تدخلا على مجرى حوار بدلاً من تصادم كامل. وإذا دعت الحاجة فإنني على استعداد للمجيء الى واشنطن.

مع كل تحياتي

توقيع

أثار حب الاستطلاع لدينا رغبة في معرفة الاسمين اللذين شطبهما هيكل لتتكون لدينا فكرة صادقة عن مدى قربهما من حلقة أصحاب القرار ولنبني استنتاجنا في تبرير فشل هذه المبادرة التي ما كان يجوز لها أن تفشل. لم يجد الأخ البزاز الاسمين في الأرشيف السري للمنظمة [1]. ولذلك اتصلنا بعدد من رجالات الحركة الفلسطينية فتوصلنا الى قول لا نستطيع توثيقه بشكل نهائي يفيد بأن المرجع الفلسطيني الذي أرسل الفاكس هو السيد حسيب الصباغ ، ممثل شركة بكتل في المنطقة العربية ، وأن المرسل إليه هو ادوارد دجرجيان ، مساعد وزير الخارجية للشرق الأوسط وسفير الولايات المتحدة السابق في دمشق. فكلا الرجلين تتحقق فيه الصفات التي يُرجى منها تنفيذ مضمون الفاكس. والسيد الصباغ له من العلاقات المتينة التي تستند الى شخصيته القوية والنافذة ما يجعله قادراً على الربط التفاوضي بين الطرفين لو كانت النية الأميركية سليمة. فمضمون الفاكس يبين كيف أن العراق متجاوب . بل إنه يبلغ حدّ الاستسلام المنطقي دون تذلل، وخاصة في موضوع عودة الشرعية الكويتية من آل الصباح وفي موضوع استعداد العراق لعقد اتفاق على كل المسائل المتعلقة بالبترول. فلو كانت الولايات المتحدة تسعى الى الحل لتجاوبت مع الحدّ الأدنى مما يطلبه الفاكس ، أي فتح الخط المباشر مع بغداد. لكن واشنطن لم تقتصر في جوابها على الرفض، وإنما لغمت كل السبل وفجرت كل الجسور التي كانت ستؤدي الى التفاهم لأن قرار الحرب كان قد اتخذ ولا سبيل للرجوع عنه.

ومن الرفض الأميركي نستنتج أمراً آخر: فالعراق عرض ما لديه على واشنطن.. فلو كانت الأهداف الأميركية تنحصر في العراق لحددت له شروطها. لكنها لم تفعل لأن أهدافها من بادىء الأمر لا تنحصر هناك وإنما في كل دول الخليج العربي.

ترى هل لم يدرك العراق لدى فشل هذه المبادرة حجم الأخطار التي سوف يتعرض لها؟

المبادرة العراقية في ١٩٩٠/٨/١٢

بعد مضي يوم كامل على احداث القمة العربية اصدر الرئيس صدام حسين ما سمي بمبادرة لحل الازمة. وقد اذيعت في اجهزة الاعلام بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٢ وتنص على ما يلي:

---

[1] – يؤكد لنا الأخ البزاز أن الاسمين مشطوبين في الأرشيف، وأن هيكل لم يكتبهما لأنه لم يعرفهما. ويرى أيضاً أن المرسل اليه في البيت الأبيض ليس دجرجيان وإنما جون سنونو.

" مساهمة منا في خلق اجواء حقيقية في المنطقة. وكشفا لعملاء امريكا في المنطقة، وتسهيلا لوضع المنطقة في حالة استقرار. وكشفا لزيف امريكا وحليفتها اسرائيل، وفضحا لعملائها الصغار وجرائمهم ضد الأمة، وتوكيدا للحق من موقع الاقتدار المؤمن بالله قررنا أن نتقدم بالمبادرة التالية:

لقد حاولت الولايات المتحدة الامريكية ان تغطي على تحركاتها المعادية للانسانية وشعوب المنطقة بدعوى أن قرارات المقاطعة الاقتصادية للعراق هي احتجاج على مساعدة العراق لاهل الكويت الذين انقذوا أنفسهم من حكم آل الصباح ثم طار صوابها يوم قرر الكويتيون والعراقيون اعادة وصل ما قطعه الاستعمار الانجليزي بين العراق والكويت بعد أن كانت الكويت جزءا من العراق حتى الحرب العالمية الاولى، ولم يعترف العراق بما أقدم عليه الاستعمار من جريمة حتى الوقت الحاضر، ثم راحت امريكا تحشد الاساطيل الحربية وأسراب الطائرات وتدق طبول الحرب ضد العراق بدعوى مواجهة التهديد العراقي للسعودية ولأن شرارة الحرب إن هي ابتدات ستحرق الكثير وتسبب لمن يكون في ميدانها ويلات كبيرة...

وبغية وضع الحقائق كما هي في مواجهة الرأي العام العالمي والغربي منه بوجه خاص، وكشف زيف ادعاءات امريكا في انها تناصر قضايا وحقوق الشعوب وتسعى للمحافظة على الأمن ومصالح الشعوب. فانني اقترح ان تحل كل قضايا الاحتلال أو القضايا التي صورت بانها احتلال في المنطقة كلها وفق اسس ومبادئ واحدة ومنطلقات يضعها مجلس الأمن وكما يلي:

* أولا : اعداد ترتيبات انسحاب وفق مبادئ واحدة لانسحاب اسرائيل فورا وبلا شروط من الاراضي العربية المحتلة في فلسطين وسوريا ولبنان والسحاب سوريا من لبنان وانسحاب بين العراق وايران. ووضع ترتيبات لحالة الكويت على أن تنسحب القوات العسكرية في ترتيباتها وكل ما اتصل بها من ترتيبات على كل الحالات ووفق نفس الأسس والمبادئ والمنطلقات المعتمدة آخذين بعين الاعتبار الحقوق التاريخية للعراق في ارضه واختيار الشعب الكويتي، وان تكون البداية في تطبيق كل ما صدر من قرارات لمجلس الأمن وهيئة الامم المتحدة بكل الحالات وهكذا وصولا الى أقرب حالة فيها وان تطبق نفس الاجراءات التي اتخذها مجلس الأمن حيال العراق تجاه من لايلتزم بهذا الترتيب أو يتجاوب معه..

* ثانيا: بقصد اظهار الامور على حقيقتها أمام الرأي العام العالمي ليحكم وفق شروط موضوعية بعيدا عن الرغبة والضغط الاميركي، نرى أن تنسحب فورا من السعودية القوات الامريكية والقوات الاخرى التي استجابت لمؤامرتها وان تحل محلها قوات عربية يحدد حجمها وجنسيتها وواجباتها وأماكن تواجدها مجلس الأمن يعاونه الامين العام للامم المتحدة وبالاتفاق على جنسيات القوات العسكرية بين العراق والسعودية وأن لايكون من بينها قوات من حكومة مصر التي اتخذت منها امريكا متكأ لها في مؤامرتها ضد الامة العربية.

* ثالثا : أن تتجمد فورا كل قرارات المقاطعة والحصار ضد العراق وتعود الامور الى مجراها الطبيعي في التعامل الاقتصادي والسياسي والعلمي بين العراق ودول العالم ولا تعود تلك القرارات الى البحث والتطبيق الا على من تنطبق عليه في حالة خرقه لما ورد ذكره في أولا وثانيا وثالثا اعلاه.

وفي كل الاحوال وعندما لاتتجاوب امريكا هي وحلفاؤها الصغار من عملائها مع مبادرتنا هذه ، فاننا سنقاوم بقوة نحن والخيرون من ابناء الامة العربية والشعب العراقي العظيم نزعاتها الشريرة ومخططاتها العدوانية وسننتصر بعون الله وسيندم الاشرار على فعلتهم بعد أن يخرجوا مدحورين ملعونين من المنطقة يجرون اذيال الخزي والعار..

والله أكبر واليأس للخاسرين."

مناقشة كلمة الرئيس صدام

اذا القينا نظرة متفحصة اجمالية على النص نستنتج أن الصيغة الاعلامية طغت عليه بشكل كامل وكأنما تمت صياغته ليتوجه الى قلوب الجماهير العربية لكسب تأييدها أكثر مما يُقصد منه مبادرة حقيقية تبحث عن حل. فالبحث عن حل مع الجيران العرب لايتماشى مع استخدام تعابير مثل " كشف عملاء امريكا" أو "فضح عملائها الصغار وجرائمهم ضد الامة" إنما يزيد من تحجر المواقف وتصلبها.

وتتحدث المبادرة في فقرتها الثانية عن "زيف اميركا"وعن " تحركاتها المعادية للانسانية" مما يدعونا بالرغم من رفضنا البات للسياسة الامريكية المكيافيلية ألا نرى في هذه التعابير ما يشكل جسرا يوصل الى من يُراد التفاهم معه. ثم نجد في المبادرة تعبيرات لولبية وغير صريحة ابدا وموضوعة في قالب يشبه المتاهات والأحاجي يمكن تفسيرها، إن افترضنا حسن الظن ، على انها استعداد العراق للانسحاب من الكويت . ولكن ما أن ينوه عن الانسحاب حتى يتحفظ عليه باشتراط اخذ حقوق العراق التاريخية في الكويت بعين الاعتبار بالاضافة الى تعليق الانسحاب باستفتاء الشعب الكويتي. وأخيرا تشترط المبادرة أن تنسحب اسرائيل من غزة ومن الضفة ومن الجولان ومن لبنان، وأن تنسحب سوريا من لبنان بالاضافة الى انسحاب متبادل بين ايران والعراق قبل أن يفكر في تنفيذ الاحجية التي تنوه عن الانسحاب من الكويت.

ومن أجل توفير الاجواء المناسبة للوصول الى كل ذلك تشترط المبادرة العراقية انسحاب "القوات الاميركية والقوات الاخرى التي استجابت لمؤامراتها" وتجميد كل قرارات مجلس الأمن التي اتخذت ضد العراق على الفور.[٢]

لايحتاج المرء لأن يتصف بالنبوة ليكتشف أن المبادرة العراقية لم تبحث عن حل إنما توخت هدفين: الأول هو "تهييج" الشعوب العربية ضد امريكا وضد الدول العربية التي وقفت ضده من خلال وضع عدالة القضية الفلسطينية متوازيةً مع غزوه للكويت. والهدف الثاني هو ترسيخ واستمرار بقاء العراق في الكويت من خلال شرعية مقلوبة رأسا على عقب. وتفسير الشرعية المقلوبة هو أن المبادرة العراقية ربطت الانسحاب بتحقيق المعجزات. وطالما

---

[٢] – تناول حمدان المبادرة العراقية هذه ومنحها الصفحتين ٢٦٦-٢٦٧ من كتابه الجيد . لكنه لم يورد النص الأصلي وانما حذف الأشواك والجوارح ثم شذبها بحيث توحي للقارىء بجدية المبادرة بينما نرى فيها تهجمات غاضبة لا تصلح اساساً لمبادرة ايجابية . بالطبع نتفق مع الزميل في عدم امكان ايراد النصوص الأصلية كاملة على الدوام ، ولكن في حالتنا الراهنة يجب ايراد النص الذي يقلب مفهومها الى عكسه .

المعجزات لاتتحقق تبقى قواته في الكويت. فالقضية الفلسطينية بدأت منذ قرابة نصف قرن وازدادت بعدا عن الحل كلما كنا نبتعد عن عام ١٩٤٨. ومن ذلك ندرك عبثية الشرط العراقي. ولكن لايجوز لنا المزج بين الشرطية في المبادرة العراقية وبين الحق والصحة التامة في الرؤية العراقية الى الازدواجية الظالمة والخبيثة في طريقة تعامل العالم المتقدم مع القضية الفلسطينية العادلة. فلو كانت المبادرة العراقية تسعى الى فضح الازدواجية الغاشمة لكان معها كل الحق. أما أن تشترط الانسحاب الاسرائيلي من كل المناطق المحتلة قبل أن ينسحب العراق من الكويت فهو شرط تعجيزي لا جدية فيه وهو ، الاشتراط ، غير مقبول لأنه لم يكن في مصلحة شعب العراق كما اثبتت احداث المستقبل . ونضيف الى هذا النقد للموقف العراقي أن فكرة ربط القضية الفلسطينية لم نسمعها في أي واسطة اعلامية عراقية قبل تاريخ هذه المبادرة. ولو كان حل القضية الفلسطينية هو الدافع لاحتلال الكويت لكان ظهر توضيح ذلك قبل تاريخ المبادرة وقبل الغزو بوقت طويل.

ومن الزاوية نفسها ننظر الى الرسالة المفتوحة التي بعثها الرئيس صدام حسين الى الرئيس بوش في ١٩٩٠/٨/١٦ والتي نقتطف منها بضعة فقرات تنم عن مجمل المضمون:

" بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة مفتوحة.. الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية:

اطلعت على تصريحاتكم وتعليقاتكم المحمومة أمام العاملين في وزارة الدفاع الامريكية والتي أكدتم فيها تصميمكم على الاستمرار في سياسة الايذاء للعراق والاستمرار في سياسة الاحتلال والاهانة لمقدسات وأرض العرب والمسلمين في الحجاز ونجد. ....

لقد حاولت يا رئيس الدولة العظمى أنت وعملاؤك الصغار ان تلصقوا صفة الكذب على صدام حسين بعد أن عجزتم عن الطعن به في صفاته وانتم اصحاب الملفات السمينة عن آخرين ومنهم بل والمقدمة منهم أعوانكم في المنطقة.

حاولت أنت وعملاؤك وشركاء "البزنس" معك في المنطقة ان تقولوا أن صدام حسين وعد حسني مبارك بان لايفعل كذا وكيت وفعلها مع انكم تعرفون بان من أكبر احلامكم هو أن يكذب صدام حسين لأن الذي يكذب يفقد قدرة التأثير ويفقد ارادة التصميم بعد أن يفقد مقومات الايمان.

....

وانك يارئيس الولايات المتحدة الامريكية قد اخترت ان تكون كذابا لتنسجم مع جوقتك الذين اخترتهم واعتبرتهم يمثلون الامة العربية ، انك في تصريحاتك كذبت على شعبك وعلى الرأي العام لأنك اتهمت صدام حسين بالكذب مستندا على رواية حسني مبارك الذي زعم فيها بان صدام حسين قد وعده بانه لن يستخدم القوة العسكرية واستخدمها بينما اصبحت هذه الرواية كاذبة بالدلائل وبحضور ثمانية من المسؤولين العراقيين والمصريين على الاقل من الذين هم احياء ويشهدون على ذلك.. اذ لم أعد حسني مبارك بشيء غير القول بأنني لن استخدم القوة حتى ينعقد اجتماع جدة.............

انك كذبت يارئيس امريكا على شعبك عندما قلت لشعبك انك تحشد القوات لحماية مصالح الامريكان في السعودية ثم تقول لهم الان أنها هناك لتجبر العراق على الانسحاب من الكويت ولم تسأل نفسك هل يجوز ان يطلب منك العراق أن تنسحب قواتك من ولايات الجنوب في امريكا وهل ستستجيب الى ذلك اذا ما طلبنا منك ذلك.

....

وبعد !. الا يحزنك يا رئيس الدولة التي تتشدق بانها ديمقراطية ان يكون حلفاؤك هم المتخلفون والسراق والكذابون من العرب بينما يكون المتنورون والمناضلون والمجاهدون وطليعة الامة في الصف المضاد. ومع كل هذا سوف نبقى نصلي لوجه الله ونصلي لكي لايصطدم الجمعان فيأتونكم الألوف من الامريكان ملفوفين في نعوش حزينة بعد أن ادخلتهم في نفق مظلم."

ترى هل فكرت القيادة العراقية في جدوى بث هذه الرسالة قبل نشرها؟ وهل كانت بمفرداتها القاسية لتدفع الرئيس الاميركي الى التراجع عن مخططه أم تمنحه دفعاً قوياً وتساعده على توسيع القاعدة التي تؤيده في صفوف الشعب الاميركي؟ وما هو الاثر الذي تتركه هذه الرسالة المفتوحة لدى القادة العرب سوى تعميق الهوة في اتجاه الحلول الجذرية للوصول الى طريق اللاعودة؟

هذا ولم تصدر هذه الرسالة بمضمونها المهين للرئيس الاميركي وللرؤساء والملوك العرب عن كاتب أو معلق عراقي ولا عن دائرة من الصف الثاني بحيث يمكن التنصل من مضمونها القاتم إن اقتضى الأمر إنما صدرت عن الرئيس شخصيا.

وبعد ثلاثة ايام أخر اي في ١٩٩٠/٨/١٩ اصدر مجلس قيادة الثورة العراقي قراراً بحجز الأموال المنقولة وغير المنقولة الموجودة داخل العراق أو خارجه التي يملكها الرجال من عائلة الصباح الحاكمة بالاضافة الى اعضاء آخر وزارة كويتية سبقت الغزو وهم: طلال خالد أحمد، الدكتور عبد الرحمن العوضي، الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، الدكتور عبد الوهاب سليمان القوازن، الدكتور على عبد الله الشملان، المهندس فهد عبد الله الحساوي، محمد ناصر العثمان، ناصر عبد الله الروضان، المهندس يحيى فهد السميط.

وقد ورد في القائمة ٤٧ اسما لرجالات آل الصباح.

لاشك في أن القرار العراقي كان يهدف الى بتر الأواصر التي تربط بين المواطن الكويتي والعائلة الحاكمة من آل الصباح أكثر مما كان يهدف الى الاستيلاء على ممتلكاتهم التي اصبح أمر تبعيتها للقيادة العراقية مجرد تحصيل حاصل. ولكن الوجه الآخر لهذا القرار يكمن في أنه دفع آل الصباح الى أقصى التطرف في تصرفاتهم واصبحوا اكثر ميلا لبذل أي

ثمن عادل أم ابتزازي شريطة أن يعودوا الى دفة الحكم واستعادة التملك والملك. وهذا أمر طبيعي ولا يخلو من نصيب من المشروعية ، ولكنه كلف الكويتيين أكثر من كثير.

المحاولات الأخرى

كان الملك حسين أعند الذين بذلوا الجهد لانقاذ الخليج من الكارثة . ولم يكن وحيدا في بذل الجهود إنما قام بمحاولات مماثلة قادة عرب آخرون نذكر منهم على سبيل الذكر لاالحصر الرئيس الليبي معمر القذافي الرئيس التونسي زين العابدين بن علي، والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والملك المغربي الحسن الثاني الذي يتميز ببعد نظرته وواقعية تفكيره وجرأته على طرح مقترحات بعيدة عن أن تتقبلها الجماهير العربية ولكنها اصلح للوصول من خلالها الى الحلول. ولاننسى جهود المنظمة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات الذي كان يرصد السقوط الى الهاوية ويتلمسه باليد دون أن يتمكن من عمل شيء. فالجانب العربي الخليجي حجب عنه الثقة، والجانب العراقي لم يتجاوب معه بالقدر الذي كان من اللازم أن يكون.

كانت المشكلة الكبرى لكل ساع الى اصلاح ذات البين ان الموقف لم يعد يقتصر على كونه خلافا بين فريقين يطالب كل منهما بتنفيذ مايراه حقا له. ففي مثل هذه الاوضاع كان من الممكن لوسيط شريف انجازَ صلحٍ بعد تقريب وجهات النظر. لكن الموقف الآن تميز بوجود اطراف أخرى أقوى من طرفي النزاع بمراحل فلكية وتسعى الى هدف غير سلمي وتقف للملك حسين ولأمثاله من قادة العرب وغير العرب بالمرصاد لتوصد الباب في وجه كل حل. وهذا ما جرى مع الملك حسين في أول محاولة له لاحتواء الأزمة خارج الوطن العربي.

سعدون حمادي في موسكو

قبل التصويت على القرار ٦٦٥ في مجلس الأمن والموافقة عليه بخمسة أيام توجه رئيس الوزارة العراقي الدكتور سعدون حمادي الى موسكو محاولا استثارة بقية باقية من عمود فقري للكيان السوفياتي الذي كان يدعي الصداقة مع العراق. لكن المقابلة مع الوزير السوفياتي ادوارد شيفارنازة اتسمت "بجدية جافة". فبدلا من الاستماع الى الحيثيات التي يريد العراق طرحها على بساط البحث طلب شيفرنادزة من الدكتور حمادي ذات الطلبات التي تصر عليها الولايات المتحدة بفارق واحد وهو عدم وجود لهجة توعد وانذار: الانسحاب بدون وضع شروط مسبقة والافراج عن جميع الاجانب الذين اصبح اسمهم رهائن في الاعلام

العالمي بينما كان العراق يسميهم ضيوفا. ونظرا للاسلوب الجاف للمفاوض السوفياتي توقف الدكتور حمادي عن متابعة الغرض الذي جاء من أجله الى موسكو لأن الموقف لم يعد تفاوضيا إنما كان على الدكتور حمادي أن يسمع دون أن يحاور ودون ان يتوقع من الجانب السوفياتي اي خير. فعاد الى بغداد دون أن يتمكن من التأثير على منحى سير الاستسلام السوفياتي لرغبات واشنطن. فلقد كان الاتحاد السوفياتي قد أصبح أكثر تبعية وحاجة للمعونات الغربية من اي وقت مضى من أجل دفع مجاعات حقيقية عن الشعب السوفياتي في معظم المدن الكبرى.

زيارة الملك حسين الى واشنطن:

في ٩٠/٨/١٢ زار الملك حسين بغداد ليتقصى موقف القيادة العراقية الجديد بعد ما طرأ من احداث بعد النهاية القاتمة لمؤتمر القمة العربي الفاشل. وكان الملك يخطط للانطلاق الى واشنطن بعد زيارته لبغداد في محاولة لاحتواء الأزمة ولايجاد حل. لقد كان ينطلق في محاولته من توفر حد أدنى من حسن النية لدى الاطراف المتنازعة ولم يشأ أن يستسلم بسهولة لرغبات مغرضة تبذل كل الجهد لاجهاض محاولات الاصلاح. في بغداد رصد الملك خيبة أمل العراقيين من الاحداث التي تسير بعكس ما كانوا يتوقعونه تماما. ولمس ميلهم الى التصلب في أخذ المواقف بدلا من الاتجاه بسرعة الى التراجع والى "فلفلة الأمر" بعد أن تبدت لهم ابعاد الهوة التي يُراد ايقاع العراق فيها. ففي ذلك اليوم اعلن الرئيس صدام عن مبادرته لحل الازمة والتي عالجناها قبل صفحات واثبتنا بالقرائن عدم صلاحيتها كقاعدة لأي تفاوض وخاصة مع ند يضمر الشر. وبهذا القليل الذي حصل عليه الملك حسين قرر التوجه الى واشنطن وقرر توجيه رسالة شخصية الى كل فرد من الشيوخ والنواب في الكونغرس يشرح فيه موقف الاردن ووجهة نظره .

يصف هيكل هذه الزيارة التي تمت بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٥ بادئاً بالتمهيد "العسير" الذي سبقها معتمدا على حواره الشخصي مع الملك حسين فيكتب:

" وعاد الملك الى عمان في نفس اليوم . وفي اليوم التالي ١٣ أغسطس اتصل بالرئيس جورج بوش، تليفونيا في مصيفه "كينيبنكبورت" يقول له أنه يريد مقابلته، وألح الملك في طلب المقابلة حتى وإن كان سيقطع على الرئيس "بوش" إجازته. وكانت بين الاثنين صداقة طويلة، وكان كلاهما ينادي الآخر باسمه الأول. وانتهى أول حديث تليفوني بينهما، بأن قال الرئيس "بوش" للملك إنه سوف يرد عليه بعد ساعات. وبالفعل فإنه بعد ساعات اتصل الرئيس الاميركي

بالملك الأردني يقول له إنه في انتظاره في "كينيبنكبورت" في أي وقت خلال الأيام الثلاثة القادمة . وقرر الملك أن يسافر فوراً. ولم يكن السفير الامريكي المعتمد لدى البلاط الأردني، وهو السفير "روجر هاريسون"، قد قدم أوراق اعتماده بعد، لأنه وصل الى عمان قبل أيام، ومع ذلك فقد كان على السفير أن يصحب الملك مادام سوف يقابل رئيس الولايات المتحدة. وجرى إيقاظ السفير "روجر هاريسون" من نومه، وطلب اليه أن يرتدي ملابسه ويجيء الى القصر حاملا معه حقيبة سفر تكفيه لرحلة الى الولايات المتحدة. وتوجه السفير "روجر هاريسون" الى القصر، ثم صعد مع الملك في طائرته، وانطلقت الطائرة تخترق الأجواء دون توقف لمدة ١٣ ساعة الى "كينيبنكبورت" . وتوجه الملك الى بيت يستريح فيه من عناء الرحلة، وبعد ساعات قليلة مرّ عليه الرئيس "بوش" بنفسه ليأخذه الى بيته الصيفي ليسمع ما لديه.

وتكلم الملك " حسين" والرئيس "بوش" يسمع، ووصل الملك "حسين" في حديثه عند نقطة قال فيها "إن الحشود الامريكية في الشرق الاوسط قد رفعت درجة التوتر في المنطقة الى حد كبير". وهنا قاطعه الرئيس "بوش" بحدة ظاهرة قائلا له: " لم نكن نحن الطرف الذي رفع حدة التوتر في المنطقة، وحشودنا العسكرية التي تتحدث عنها كانت ردا على احتلال عسكري عراقي للكويت سبقها". وتنبه الملك "حسين" الى أن جو المقابلة منذ بدايته لم يكن ما عهده من قبل في لقاءات سبقت مع صديقه "جورج بوش"."[3]

يقول سالنجر أن الرئيس بوش استقبل الملك حسين ببرود غير عادي ويكتب : "فالملك الذي كان يصفه بوش حتى الآن "بالصديق القديم والحليف الوفي" بات موضوع شكوك. وعندما غادر حسين الرئيس الاميركي بدا وفق بعض الشهود، منهارا" [4] ويعزو سالنجر برودة الرئيس بوش الى ظهور اشاعة سبقت وصول العاهل الاردني الى واشنطن ومفادها أنه كان يحمل رسالة من الرئيس صدام حسين في وقت يتحاشى فيه الرئيس الاميركي ابراز اية اتصالات بينه وبين العراق. ونجد توثيقا لهذه النقطة لدى هيكل حيث يقول: " ثم قال "بوش": "إنني ترددت قبل أن أوافق على مقابلتك. فأنت كنت في بغداد قبل أربع وعشرين ساعة من اتصالك التليفوني بي. وكان ترددي في تحديد موعد لك هو خشيتي من أن تظهر زيارتك وكأن بيني وبين هذا الرجل وساطة، وأنا لاأريد ذلك، ولا الكونجرس ولا الرأي العام الامريكي يسمحان به."

---

٣ – هيكل صفحة ٤٥٥

٤ – سالنجر صفحة ٢٢٠

ولكننا لانتفق مع سالنجر في سبب برودة الرئيس بوش إنما نرى أن برودته تهدف الى سحب البساط من تحت رجلي الملك اشعارا له بعدم اغتباط واشنطن من جهوده ونشاطاته الداعية الى ابعاد شبح الحرب. فأمريكا لم تسع إلا الى الحرب ولم تكن لتسمح للملك حسين أو لغيره أن يفسد عليها مخططاتها. وقادة الخليج ايضا لم يرتاحوا لأية جهود تبقي في نهاية الامر على قيادة العراق.

ولا نتقبل حجة الرئيس بوش السخيفة التي يدعي انها دفعته للتردد في استقبال الملك حسين . فما هو الأمر الذي يُحرج رئيس اكبر دولة في العالم من التحدث مع الرئيس صدام حسين بالذات ؟ وهل يجلس الرئيس الأميركي في البيت الأبيض ام في صف متواضع من صفوف المدرسة الابتدائية حيث " يُخاصي " تلميذٌ صغير زميلاً له إن تحدث هذا مع تلميذٍ آخر لا يرضى الأول عنه ؟

هذا ولو تفحصنا الحديث بين القائدين لوجدنا أن الرئيس بوش بدلا من أن يبحث الاسباب الموضوعية التي ادت الى الازمة وبدلا عن طرح الاقتراحات المتزنة لاحتوائها نجده يفتعل اظهار الغضب ويبقى في عموميات غير محسوسة . بل نجده يضيف اليها محاولة شبه مباشرة لرشوة الملك حسين إذ لوح له بأموال تدفعها له دول الخليج العربي تعويضا له عن الازمة الاقتصادية التي حلت بالاردن بعد التزامه بالحصار المضروب على العراق. وبذلك نستنتج كيف اصبح الرئيس بوش يتصرف بميزانيات دول الخليج دون الرجوع اليها. لكن الملك حسين اجاب بأنه لم يقطع ١٣ ألف كيلومترا لبحث المعونة الاقتصادية إنما بحثا عن السلم. فالحل السلمي هو الذي يجعل الاردن يتفادى الازمة الاقتصادية.

وفي اثناء المحادثة وصف الرئيس بوش الرئيس صدام حسين بقوله: " إن هذا الرجل اثبت أنه عدو للولايات المتحدة. ولن اسمح لنفسي أن أترك ديكتاتورا يضع يده على شريان حياتنا." وأصر بوش بشكل قاطع وحتمي على انسحاب العراق دون قيد أو شرط ودون أن ينوه اطلاقا الى امكانية عدم مهاجمة العراق إن "اعترف بذنبه وانسحب". ولم يقتصر الرئيس بوش على اعتبار الرئيس العراقي عدواً لواشنطن وانما اراد ابرازه كعدوٍ للعرب ايضاً فقال :" أنتم العرب تعيشون على برميل بارود- هذا الرجل هددكم ومازال يهددكم وهو يستطيع أن يفعل ذلك معكم ولكن ليس معنا. نحن بعيدون عنه ، ولكن لنا في المنطقة مصالح حيوية ونحن هناك لحمايتها. ثم قال " بوش" : " إنني ترددت قبل أن اوافق على مقابلتك. فأنت كنت في بغدا د قبل أربع وعشرين ساعة من اتصالك التلفوني بي. وكان ترددي في تحديد موعد

لك هوخشيتي من أن تظهر زيارتك وكأن بيني وبين هذا الرجل وساطة، وأنا لا أريد ذلك ولا الكونجرس ولا الرأي العام الاميركي يسمحان به."

وتدخل الملك ليقول للرئيس "بوش" : " إنه على استعداد للانسحاب..."

ورد "بوش" بصوت يحتمل كل تأويل : "هـ ..م ..م".

ثم استدرك بنبرة مثقلة بإيحاءات شتى:

-" الانسحاب بشروط؟.. جاءتنا هذه الشروط، ونحن نرفض كل شرط فيها أن ينسحب طبق جدول يضعه هو ، وأن ينسحب الى المواقع المختلف عليها. وحقل البترول المتنازع عليه... والجزر... فات أوان هذا الكلام... إذا كان يريد أن ينسحب فنحن لانمسك به لنمنعه.. ينسحب فورا وبلا قيد أو شرط، وتعود أسرة الصباح الى الكويت... ثم نرى بعد ذلك ما يلزم عمله." [5]

واختتم الرئيس بوش اللقاء بتهجم على الملك حسين مدعياً بأن الاردن لم يغلق ميناء العقبة في وجه البضائع المتوجهة الى العراق فنفى الملك ذلك وأكد بأن الأردن ليس خارجا عن الشرعية الدولية ولا عن قرارات مجلس الامن.

اذن فإن فشل زيارة الحسين يعود الى أن الولايات المتحدة قررت سلفاً عدم إنجاحها.وكانت في الأصل تتمنى عدم حصولها . وبهذا الانطباع انطلق الملك الى بغداد لينبه القيادة العراقية الى ابعاد الخطر الذي يعرّض العراق نفسه اليه . وبعد عدة ساعات عاد الملك الى عمان.

في اثناء تعرض هيكل لذلك اللقاء أورد حادثة صغيرة لابأس من اقتباسها ايضا للمعنى الذي تنطوي عليه فقد كتب:

" وقد روى الملك "حسين" فيما بعد خلال اجتماع مغلق عقده لعدد من أعضاء مجلس الاعيان بعد عودته من الولايات المتحدة – أن الرئيس "بوش" تلقى أثناء لقائه معه مكالمة تليفونية، وأن الرئيس الامريكي قال له بعد انتهاء المكالمة: " هذا أحد زملائك يحثني على سرعة العمل بالقوة قبل أن تؤثر الدعاية العراقية على الشارع العربي"![6]

ونحن نميل الى تصديق ما قاله الرئيس بوش لنرثي الأوضاع التي آلت اليها قيادات بعض العرب.

---

[5] – نلاحظ كيف ان الرئيس بوش يريد البحث فيما يلزم عمله تجاه العراق حتى لو انسحب العراق وسمح بعودة الشرعية الى الكويت .

[6] – هيكل صفحة

مبادرة منظمة التحرير الفلسطينية:

في ٩٠/٨/٢٩ اعلنت المنظمة عن مبادرة من خمسة نقاط لحل الازمة. وقد عرضها ممثل للمنظمة في خطاب وجهه الى مؤتمر المنظمات غير الحكومية المنعقد في جنيف كما يلي:

" ١- ان منظمة التحرير الفلسطينية تقوم بدور الوسيط في هذا النزاع، وليست طرفا فيه، ولاتقف مع طرف ضد طرف آخر. ولذا جاء تصويتنا بالتحفظ على قرار الجامعة العربية لانه ركز على الادانة وتجاهل اية صيغ للحل.

٢- حل جميع المشاكل العالقة والمتأزمة في منطقة الشرق الاوسط سواء كانت في الخليج أو الكويت أو فلسطين أو لبنان أو الجولان، وقد بدأ ذلك فعلا عندما تمت الانسحابات بين العراق وايران، ولكن يمكن من خلال الحل أن ينسحب ذلك على بقية القضايا الاخرى في فلسطين ولبنان والجولان وكذلك الكويت.

٣- يجب أن يتم الحل في الخليج ضمن الاطار العربي للتوصل الى تسوية تفاوضية تأخذ بعين الاعتبار حقوق ومصالح جميع الاطراف وتحفظ الكرامة للجميع مثلما تم ذلك في لبنان وصيغة الطائف العربية له.

٤- انسحاب القوات الامريكية والاجنبية الاخرى من منطقة الخليج واستبدالها بقوات دولية تحت علم الامم المتحدة وفي اطارها دون لبس أو غموض.

٥- وقف العقوبات المفروضة على العراق وتطبيقها على اي دولة ترفض الانسحاب من الاراضي التي تحتلها.

بعد الاطلاع علىالنقاط الخمسة للمبادرة لانعجب من فشلها التام ، بالرغم من وجود عناصر محقة فيها، لأنها أخذت الطابع الاعلامي أكثر من مراعاتها للأحداث على ارض الواقع المحسوس. وهي لم تتعرض الى البديهية الاولى اللازمة لكل مبادرة جدية يُراد لها النجاح ألا وهو شجب االاحتلال العراقي والمناداة بعودة الشرعية الى دولة الكويت. وبالاضافة الى ذلك استخدمت المبادرة لهجة شديدة العدوانية تجاه الولايات المتحدة. فنحن نرى أنه بالرغم من صحة الهجوم على الولايات المتحدة كان من الأسلم حجب ذلك وحذفه من مبادرة تدعو الى السلام.

زيارة الملك حسين الى لندن وباريس:

عند مارجريت تاتشر

لم يستسلم الحسين الى فشل محاولته مع الرئيس بوش إنما قرر زيارة بريطانيا وفرنسا سعيا وراء الحل السلمي. ونحن نرى أنه بدأ زيارته الى الرئيسة البريطانية الحديدية مارغريت تاتشر لقناعته بأنها العنصر الأكثر تشددا وتصلبا. فلو تمكن من تليين صلابتها لكانت مهمته في باريس أسهل بل شبه مضمونة. وإن لم يستطع تليين موقفها فلسوف تأخذ زيارته الى باريس طابع البحث عن "دولاب معدل" في شخص الرئيس فرانسوا ميتران الذي يتسم بثقافة واسعة وبنفسية أقل حقدا مما لدى تاتشر مما يجعله أكثر استجابة للنقاش الهادئ من استجابة المرأة الحديدة الحاقدة. وينبع حقدها من جذور قومية بريطانية تاريخية تخص الملك حسين كما تخص العراق. فالرئيسة تاتشر لم تنس للملك حسين الذي جاء يفاوضها الآن، من موقفٍ فيه من الترجي أكثر مما فيه من البأس ، أنه هو الذي هشّم العمود الفقري للسيادة البريطانية المفضوحة على الاردن حين تخلص من غلوب باشا بطرده من عمان بين عشية وضحاها وبطريقة درامية لم تسمح ولم تفسح المجال لدولة بريطانيا العظمى للتدخل من اجل ارجاعه عن قراره. ولم تنس الرئيسة البريطانية للعراق تأميمه لشركة الـ IPC البريطانية مما حرمها من واحد من ارسخ أركانها في المنطقة التي تعتمد على صناعة البترول. ولم تنس تهديد الرئيس عبد الكريم قاسم لمصالح بريطانيا الحيوية حين اعلن عام ١٩٦١ عن تبعية الكويت الى العراق مما دفع بريطانيا آنذاك لارسال ٥٠٠٠جندي من اجل الدفاع عن الكويت.

يميل بعض الكتاب الى تبني رأي آخر بحيث يُعيدون تصلبها الى اعدام الجاسوس البريطاني/ الايراني فرزاد بازوفت بينما نحن لانرى ذلك اطلاقا. فهذا الرجل لايعني بالنسبة لرئيسة وزارة بريطانيا اي شيء سوى كونه جاسوسا من اصل اجنبي مُنح الجنسية البريطانية لانجاز دور مأجور في العراق ، فاكتُشِفَ واعترف بفعلته وأُعدم. وعقلية المخابرات ايضا لاتعطي مثل هذا الجاسوس ذلك المعنى الكبير لأن أجهزة التجسس تضع في حسابها اصلا فقدان بعض عناصرها فيتحملون مصائبهم مستسلمين لقوانين اللعبة وليحاولوا الانتقام له فيما بعد على مستوى الجواسيس والعملاء.

اجتمع الحسين في ٩٠/٩/١ مع الرئيسة تاتشر في مقر رئاسة الوزراء حيث استقبلته بالمجاملات الالزامية ولكنها حين انتقلت الى موضوع الكويت والعراق ركِّبت على وجهها قالب التصلب والتشنج البغيضين ودار بينهما حوار هو أقرب الى الملاسنة منه الى البحث عن مخرج سلمي. ونقتبس من هيكل ما كتبه عن الحوار ووصفاً للجو الذي تم فيه اللقاء:

" كانت صداقته بها هي الاخرى قديمة، وعلى عكس ما جرى مع الرئيس بوش، فإن رئيسة وزراء بريطانيا لم تترك للملك فرصة ليعرض فيها ما جاء من أجله. إنما بدأت على الفور بقولها:

- "لماذا تؤيد صدام حسين وأنت تعرف أنه شرير؟"

ورد عليها الملك مأخوذا بهجومها المباشر:

- " إنني لاأؤيد أحد، ولكني أحاول أن أبحث عن فرصة لإنقاذ السلام في المنطقة".

وردت "مارجريت تاتشر" بحدة قائلة:

- " ومن المسؤول ؟ من الذي بدأ؟"

وحاول الملك "حسين" أن يمسك بزمام أعصابه، فقال لها:

- "مارجريت، إنني أريد أن أتحدث معك بصراحة. إن عصر دبلوماسية مدافع الاسطول " **Gun-boat Diplomacy** " ينتمي الى القرن التاسع عشر".

ولم تتركه "ماجريت تاتشر" إنما صوبت اليه نظراتها ببريق مخيف قائلة له:

- " اسمعني جيدا.. إنك تقف وراء الطرف الخاسر، وأنا أريدك أن تعرف الحقيقة قبل أن يفوت الأوان".[٧]

ولم يعد هناك مجال لطول الحديث. وفيما بعد تبادل الاثنان الرسائل ، وكتب كلاهما الى الآخر خطابات يصفها الملك "حسين" بنفسه بأنها كانت "مجموعات من الشتائم". وكانت رسائل وخطابات "مارجريت تاتشر" أقسى وألذع في اختيار هذه الشتائم. ويعلق الملك "حسين" فيما بعد على ذلك بقوله: " إن مارجريت تاتشر سيدة في منتهى الذكاء والكفاءة، ولكن لسانها أطول من جسمها كله"

لاغرابة في أخذ السيدة تاتشر لهذا الموقف العنيف، فهي من أول الصقور الذين حثوا الرئيس بوش على ضرب العراق بعنف. فقد كانت في آسبن في الولايات المتحدة يوم ٩٠/٨/٢ حين تقابل معها الرئيس بوش مرتين في نفس اليوم. ففي المرة الاولى قالت له : " يجب أن تعرف ياجورج، إنه لن يتوقف." وفي المرة الثانية طلبت من الرئيس بوش " درجةً عاليةً من الحزم وتحركا دوليا واسع النطاق عن طريق الامم المتحدة. صحيح أن الخيارات

---

٧ - هيكل صفحة ٤٥٨

العسكرية لم يأت ذكرها ولكن تاتشر... تحدثت عن صدام حسين كما تحدث سلفها انطوني ايدن عن عبد الناصر ابان ازمة السويس واصفا اياه بهتلر." [٨]

وقبل ايام من زيارة الحسين كان كبير اساقفة بريطانيا وليام رامزي قد بارك سياسة الحرب حين أوصى ابناءه بالمساهمة في الحرب العادلة. [٩] وبذلك سادت اساليب وعقلية محاكم التفتيش في القرون الوسطى على الانسانية الزائفة التي تأتينا من ساسة الغرب في العصر الحديث .

من صفات السياسة العالمية الزئبقية عدم التزامها بأية قيم ومبادئ إنما بالمصلحة الذاتية فقط. ومن هذه الزاوية نريد القاء بعض الضوء على تشجيع تاتشر للرئيس بوش ضد العراق. فقد ظهرت خلال الفترة الاولى من الازمة اشارات مبهمة توحي بوجود مصلحة بريطانية خاصة وراء سياسة التحريض على استخدام العنف. ولقد حاولنا الغوص فكريا وراء تلك الاشارات واستنتجنا الاحتمال التالي الذي لا يخلو من منطق: لم تنس بريطانيا الطعنة الاميركية لظهرها في ايران عام ١٩٥٣ والطعنة التالية في حرب السويس. ففي ايران لم تكن للولايات المتحدة اية نسبة محسوسة من الثروة البترولية الضخمة هناك فقامت بدعم مصدق الذي طرد الشاه وأمم البترول فضاعت مصالح بريطانيا العظمى. ولما استجابت بريطانيا للمطالب الاميركية ومنحتها نسبة فاعلة من البترول الايراني سحبت واشنطن البساط من تحت مصدق واسقطته وأعادت الشاه الى العرش وسيطرت على سياسة ايران من خلال فضلها على الشاه الى أن اسقطته هي ايضاً فيما بعد حين لم يعد وجوده يتفق مع مصالحها . لقد كانت عملية ابتزاز بين الكبار. وفي السويس اعطت واشنطن لندن وباريس اشارات مبهمة قبل الهجوم الثلاثي بحيث ظن أو توهم الرئيس البريطاني انتوني ايدن بأن واشنطن ، في أسوأ الاحوال، لن تتدخل. ولكن ما أن بدأ العدوان حتى أدانته واشنطن بشدة بذات الطريقة كما ادانت الغزو العراقي فيما بعد، وخذلت الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي وتم لها بذلك استئصال الذراع الاستعمارية العجوز لتستأثر هي بمصير الشرق الاوسط من خلال السيادة على ثورة مصر.

---

[٨] – هذا الاقتباس والذي يليه من سالنجر صفحة ١٣٢-١٣٤

[٩] – حمدان حمدان ص ٢٩٥. ويورد حمدان جملة مغايرة لما أوردناه من سالنجر عن تحريض تاتشر لبوش فيقول أنها قالت له : " لاتكن رخوا ياجورج.. لئن لم توقف هذا الرجل الآن فليس ثمة ما يوقفه غدا."ويقول هيكل عن حديث تاتشر مع بوش انها تحدثت عن ذلك لمجلس وزرائها فقالت: " انها قوت من عزيمة جورج فقد خافت أن تقصف ركبه من الفزع من جراء نصائح بعض الخبراء الامريكيين الذين يلحون عليه بضبط النفس." ص ٣٨٩

والآن بدت الفرصة سانحة لردّ الدين. فلو فاوضت بريطانيا العراق من خلف الستار وحصلت على وعود في صالحها لأمكن لها التأثير على مسار الازمة بما يتفق مع مصالحها وخاصة إن تعاونت مع فرنسا وايطاليا الملسوعتين مرارا وتكرارا من استعلاء واشنطن والمتأذيتين من مقالبها ، ومع المانيا الموحدة القوية. لقد كانت ثمة فرصة سانحة في يد أوربا لتقلب المعادلة لصالحها. ولكن الجرأة لم تتوفر بالقدر الكافي لانجاز هذا الامر، ولم يتمكن العراق من استغلال هذه الفرصة رغم قناعته التامة بأن الاستفادة من ابراز تناقض الطرف الاميركي مع الطرف الاوربي هي السبيل الافضل الذي قد يُمكنه من أن ينجو بجلده.

عند الرئيس ميتران

في الثالث من ايلول /سبتمبر توجه الملك حسين الى باريس للتباحث مع الرئيس ميتران آملاً أن يحصل على تأييد للحل السلمي. ولكن مهما بلغت موضوعية الرئيس الفرنسي فلن يبلغ الأمر به أن يمنح الملك حسين ما لايتفق مع مصلحة فرنسا. فقبل زيارة الملك كان الرئيس ميتران قد أدلى بتصريح رسمي بتاريخ ٨/٢١ إثر اجتماع مجلس الوزراء الفرنسي نقتطف منه ما يلخص وجهة النظر الفرنسية في ذلك التاريخ، تلك الوجهة التي اراد الملك حسين ألا تتطور لتأخذ طابع التصلب مما يضع العقبات في توجه السياسة الفرنسية نحو الحل السلمي. قال ميتران :

" ان البلدان الخمسة الدائمون في مجلس الأمن، مهما كان الاختلاف في تقييمهم لهذا القرار أو ذاك، حافظوا على وحدتهم ولم يتفرقوا. وهم يبحثون بصفة مشتركة عن حلول تعطي للحصار الاقتصادي كل معناه.

....سياستنا واضحة: بالطبع نحن نتمنى انتصار الديبلوماسية ولم نفقد هذا الامل دون التوغل في المبالغة. وقد تمنينا لو أن البلدان العربية كانت قادرة على حل خلافاتها. لكن تعلمون الكيفية التي انقسمت بها هذه البلدان في تقييمها للحدث. وأهم هذه البلدان توجد اليوم فيها وجهات متناقضة.

...ليس لدينا ميل للاعتداء، ربما كان لدينا شعور بالالم: وقد كنا نفكر أن الدفاع عن القانون الدولي كان بوسعه أن يحظى من جانب العراق باهتمام أكثر جدية. لكن القانون تم تجاوزه واغتصابه بصفة متواصلة ومستمرة. ونحن نرفض هذه الوضعية، وعلى استعداد لتحمل مسؤولياتنا والقيام بواجبنا."

وفي الواقع كانت السياسة الفرنسية يتنازعها تياران. التيار الاول يرى أن مصلحة فرنسا تكمن في التزام الخط السياسي الذي تسيّره واشنطن أي التشدد للحرب. ويدعم هذا

التيار مباشرة قطاع الشركات الضخمة التي تبيع الاسلحة والمنتوجات الاستراتيجية. فهي ترى في الحرب اقصر طريق لجني ارباح سريعة ومؤكدة. وصناعة السلاح تستقطب بشكل أو آخر معظم الصناعات الثقيلة والالكترونية في فرنسا. وبالاختصار فإن هؤلاء الصناعيين كانوا قانعين بأن السير في ركاب واشنطن هو الاسلم والأكثر ضمانا للربح السريع بالاضافة الى أنه يتماشى مع السياسة العليا للدول المتقدمة التي تستغل دول العالم الثالث وتستعمرها اقتصادياً ولا تريد لها التقدم ولا التطور.

أما التيار الثاني فيستند الى قناعة متوفرة لدى شريحة أخرى من مجموعة اصحاب القرار ترى أن مصلحة فرنسا مضمونة أكثر من خلال التآلف مع العرب وعدم التصادم معهم لوزنهم الكبير من خلال قيمتهم الاستراتيجية من حيث الثروات الكامنة ومن حيث عدد السكان بالإضافة الى الموقع الجغرافي الحساس على الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر الابيض المتوسط، ومن خلال تأثيرهم على دول كثيرة أخرى في العالم الثالث. ويضاف الى هذه الشريحة التي تحمل طابع المصلحة فئة اخرى من الشعب ومن المجتمع الفرنسي المثقف الذي مازال يحمل الشعارات الانسانية ويرغب في أن تكون هي الديدن الذي يجب أن يسود العلاقات الانسانية في التعامل مع شعوب الارض. يمثل وزير الدفاع الفرنسي جان بيير شفينمان الذي استقال بسبب حرب الخليج هذا التيار. ونحن نقتبس من كتابه فقرة عن الاتجاه الانساني في فكر مثقفي فرنسا ونتبعها بفقرة أخرى توضح الجو السياسي الفعلي الذي نشأ في فرنسا بعد الاحتلال العراقي للكويت:

" إن الواجب يقتضي أن يتبنى المرء أخلاق الرواقيين – رابطي الجأش – فالزمن، هذا النحات العظيم، سوف يعطي لكل انسان الصورة والمكان الذي يستحقه."

ثم يتابع شوفيمان:

" إن فشل التنمية والبؤس والكبت يمكن أن يقود بعض البلدان الى تدهور خطير يمكن أن يحمل في السنوات القادمة هزات عنيفة عبر البحر الابيض المتوسط، أخشى بسببها ألا يتمكن توازن المجتمع الفرنسي مقاومتها، لأن هذا الفشل سوف يسبب حتما خيبة الآمال التي علقت على التنمية. وهنا سوف يكمن اللغم الخطير الذي يجب أن نعرف كيف ننزع فتيله في الوقت المبكر المناسب. ومن هنا تأتي الحاجة الملحة لمبادرة كبيرة متوسطية اقتصادية وسياسية في وقت واحد!. وأن تكون من النوع الذي يمكنه أن ينظم تطور حقيقي مشترك ويحول دون حدوث تصدع خطير يقوم على المجابهات من أجل المستقبل."

ثم ينتقل شوفينمان الى واقع الازمة فيكتب عن المرحلة التي سبقت الاحتلال:

" منذ مطلع آب، كانت دوائر المخابرات الفرنسية تتبنى الفرضية التي تقول: أن الولايات المتحدة قررت فتح الدملة المسماة صدام حسين، بسبب الخطر الذي يمثله النظام العراقي بالنسبة للاستقرار في الشرق الاوسط، وضمان سوق البترول، وأمن اسرائيل!.

كما ترى نفس المصادر: أنه لم يكن من المستبعد أن الولايات المتحدة حرضت صدام حسين على تجاوز الخط الأحمر.!!.

واستنادا لهذه الفرضية: كانت الحملة المكثفة المعادية التي تُشَنُ على العراق منذ عدة أشهر وتطلق على صدام حسين لقب "هتلر الصغير" مقدمة لهذه الحرب، (قضية المدفع العملاق، ومسألة الصواعق الالكترونية، والعجرفة الكويتية خلال المباحثات الثنائية في جدة، والسرعة بردود الفعل الامريكية العنيفة فور بدء الغزو)."

وأخيرا يتحدث شفينمان عن تصرفاته الاولى بعد معرفته بالاجتياح:

" وبتاريخ ٢/آب/١٩٩٠، بدأ الغزو العراقي للكويت وفي ظهيرة يوم ٤/آب، وكنت آنذاك في قلب الريف "التوسكاني" أُبلغت أنه ستعقد جلسة مصغرة لمجلس الوزراء ، بعد الظهر برئاسة السيد "بيير يغوفوا" ونظرا لصعوبة الالتحاق بالوقت المناسب، قام بتمثيلي في هذه الجلسة رئيس غرفتي السيد "ديو دونيه مانديل كيرن.

اتصلت بالرئيس فرانسوا ميتران عن طريق الهاتف العادي ، فأجاب على أول ملاحظاتي بضحكة يمكن أن تخدع أولئك الذين كانوا يستمعون لنا، وقال: يجب علينا ألا نستسلم لوضعنا بالقاطرة!.

وفي ٩/آب، عقدت الجلسة المصغرة الثانية، ودلت المعلومات التي كانت لدي أن الامريكيين مصممون على موقفهم، ومن الممكن أنهم عملوا على أن يسقط العراق في الفخ ويمكن أن ألخص حجتي التي أبديتها في هذه الجلسة بما يلي: " إن خرق القانون الدولي معرّف بدقة، ولايمكن لفرنسا أن تتنكر لما يُعتبر جوهر سياستها في المنطقة، ألا وهو المحافظة على الاستقرار، ولهذا علينا أن نأخذ الأبعاد السياسية والايديولوجية لهذا النزاع: وإن الانحياز الكامل والمبسط للولايات المتحدة واسرائيل سيعرض علاقاتنا مع العالم العربي الى الشكوك والخطر في منطقة تعتبر مصالحنا التاريخية فيها واسعة جدا... وإن طريق المجابهة المباشرة – مع العرب – سوف يزجنا في لعبة سوف نخسر فيها على كل حال : في حالة انتصار صدام حسين أو انتصار المتعصبين الذين سيجنون الثمرات من هزيمته.

أما الملاحظات التي أبديتها فقد انتهت الى النتيجة التالية: "إن الصرامة والتضامن يجب أن توجها سياستنا، ولكن يجب أن نُفضل الحل السياسي في الاطار العربي، وأن نتجنب

بأي ثمن الاستسلام للدخول في آلية تؤدي الى انزلاق قواتنا في القتال، لأن أهدافنا السياسية ليست هي أهداف الولايات المتحدة واسرائيل!.."

إن إرسال حاملة الطائرات الحوامة "كليمنصو" كان بقرار من رئيس الجمهورية، وبدا ذلك بأنه أفضل مساهمة في الرد على "فرضية هجوم بري عراقي موجه ضد المملكة العربية السعودية"."[10]

ودارت المحادثات بين الملك حسين والرئيس ميتران في ظل هذه المعطيات الفرنسية التي لاتخلو من تضارب حسب التوضيح الذي اعطانا اياه شفينمان. واذا استندنا لدى دراسة ما دار اثناء اللقاء بين الملك والرئيس على الصورة التي يذكرها هيكل لاستنتجنا أن الرئيس ميتران لم يكن قد اتخذ موقفا نهائيا من الاحداث حتى ذلك الوقت إنما احتفظ بكلا الخيارين المتوفرين مفتوحا مع التأكيد على أنه أكثر ميلا للحاق بالسياسة الاميركية إن فشل العرب . ونقرأ عند هيكل حديث الملك مع الرئيس ميتران :

" وتوجه الملك "حسين" بعد ذلك الى باريس لموعد مع الرئيس "فرانسوا ميتران" في قصر "الاليزيه" يوم ٣ سبتمبر. وقد وجد الرئيس "ميتران" أهدأ كثيرا من "جورج بوش" ومن "مارجريت تاتشر". وقد استمع اليه "ميتران" بصبر ثم قال له:

– " إن الامريكان والانجليز يتحركون طبقا لخطة واضحة أمامه ومعروفة، وهم قلقون على امدادات البترول، ولهذا القلق من وجهة نظرهم، ومن وجهة نظره أيضا، ما يبرره. وهم على استعداد للعمل العسكري،. ولا يبقيهم في الانتظار إلا استكمال استعدادهم . والسبيل الوحيد لإحراجهم هو الانسحاب العراقي الفوري".

ثم تساءل الرئيس "ميتران" : " أليس في استطاعة العرب أن يقوموا بدور ؟ ثم أين هو العنصر العربي في الازمة ؟ وشرح له الملك "حسين" ظرف العمل العربي والمأزق الذي انتهى اليه مؤتمر القمة العربي الاخير. ودارت مناقشة بين الرجلين استمرت قرابة ساعتين، وفي نهايتها قال الرئيس "ميتران": إن فرنسا انضمت للتحالف لأنها تريد أن تستعمل "الفرامل" من الداخل، ولكن الشيء الذي ينبغي أن يعرفه أصدقاؤنا العرب هو أنه إذا لم يتمكنوا من اعطائنا موقفا واضحا واحدا، فإن فرنسا لاتستطيع أن تتحرك... صعب أن نتحرك"[11]

وهكذا عاد الملك حسين الى عمان لايملك اية ورقة رابحة تبشر بالخير. ولكنه لم يستسلم الى اليأس ابدا إنما حاول انعاش مبادرة عربية جديدة تنطلق من عمان.

---

[10] – هذه الاقتباسات من شيفينمان صفحة ٤٤–٤٧

[11] –هيكل صفحة ٤٥٩

بعد ثلاثة أيام من الاجتماع مع الملك حسين أصدر الرئيس الفرنسي تصريحا جاء فيه:

" *منطق الحرب: "لانزال للاسف في منطق حرب ونعمل كل ما في وسعنا للابتعاد عنه في اطار إحترام القانون". وتعتزم فرنسا الابقاء على مواقفها المتضامنة مع الذين يساهمون في تطبيق قرارات الامم المتحدة. وعبر هذا القرار يمكن أن نأمل في الابتعاد عن منطق الحرب.

* السيناريوهات:" في حالة اعتداء أخر عراقي ضد بلد آخر في المنطقة فرنسا ستعبر عن تضامنها وتتدخل".

"في حالة عملية أمريكية، لن أستطيع الاجابة لأن هذه الفرضية لم تطرح ولم أسمع بها. لن ألزم فرنسا الابتطبيق قرارات الامم المتحدة. فرنسا تطبق قرارات مجلس الامن للامم المتحدة. هذه مهمتها ولاتنوي تجاوز هذه المهمة".

* الحظر الاقتصادي: "احترام الحظر الاقتصادي هو فرصة كبيرة للسلام". " يجب أن نثق في جدوى الحظر الاقتصادي حتى النهاية. لحدّ الآن هذا هو التوكيل الذي تسلمناه . وهو مطبق بحزم وتنوي فرنسا تطبيقه دون خلل."

مشروع عمان:

أوعز الملك حسين الى شقيقه الامير حسن ولي العهد بجمع نفر من المستشارين من أجل تهيئة مشروع عربي جديد. واجتمع هؤلاء واقترحوا حلا للازمة يستند الى الخطوط العريضة الثلاثة التالية:

١- الانسحاب المتزامن للقوات العراقية من الكويت، والقوات الاجنبية من منطقة الخليج، وحلول قوات عربية محلها.

٢- رفع الحصار الاقتصادي عن العراق مع اتمام كل خطوة من خطوات الانسحاب من الكويت.

٣- يمكن أن تظل في جزيرتي "بوبيان" و "وربة" وفي منطقة حقل الرميلة قوات عسكرية عراقية رمزية الى أن تتم تسوية نهائية.

لا حاجة بنا لبذل مجهود كبير لاقناع القارئ بالاسباب التي جعلت المشروع لايرى النور. فهو لم يتعرض لعودة الشرعية الى دولة الكويت إنما يبدي ميلا أكثر الى مراعاة مطالب العراق، وذلك في وقت قررت الولايات المتحدة فيه عدم التنازل قيد انملة تجاه بغداد، وبعد أن دفعت الدول العربية التي تؤثر عليها الى اتخاذ ذات الموقف دون زيادة أو نقصان.

ولاعجب في أن تزيد هذه المبادرة من تزايد سوء التفاهم بين واشنطن ودول الخليج من جهة وبين عمان من جهة اخرى .

المبادرة الليبية

في يوم الأحد الواقع في ١٩٩٠/٩/٢ القى الرئيس الليبي كلمة امام الدورة الطارئة لمؤتمر الشعب العام تعرض فيها الى احداث الخليج وقدم خلالها اقتراحا من ست نقاط لتجاوز الأزمة وأكدّ امام الملأ انه ضد اجتياح الكويت حتى ولو كانت جزءاً من العراق . ونوجز النقاط الستة للمبادرة فيما يلي :

١ – احلال قوات دولية محل القوات العراقية في الكويت
٢ – انسحاب قوات حلف الأطلسي من المملكة العربية السعودية وفك الحصار عن العراق
٣ – تمكين العراق من جزيرتي وربة وبوبيان واعادة حقل الرميلة اليه
٤ – يقرر شعب الكويت النظام الذي يفضله للحكم
٥ – وضع سياسة بترولية عربية موحدة ملزمة لكل الدول العربية
٦ – تُسوى خلال ذلك مسألة الديون والتعويضات للمتضررين .

وتحدث الرئيس الليبي عن الفوائد الجمة التي تنجم عن تطبيق مبادرته ولكنه اختتم حديثه عنها بقولٍ لا يجوز لنا القفز عنه اذ قال : " واذا لم يتم تطبيقها فذلك يعني ان هناك اشياء نجهلها وبالتالي لا نستطيع حقيقة ان نسير في قافلة لا نعرف وجهتها . "

وفي الواقع لم تتلقف هذه المبادرة اية ارض خصبة في اي من الموقعين المتنازعين.

المبادرة اليمنية

انطلقت من اليمن تباشير مبادرة عربية جديدة. ففي ٩٠/٩/٣ وصل الدكتور عبد العزيز الدالي الى المغرب وتشاور مع الملك الحسن حول اقتراح عقد مؤتمر قمة جديد. لكن الملك لم ير فائدة من اجتماع قمة جديد بعد أن وصله تفصيل ما حصل في مؤتمر قمة القاهرة. فالدول العربية منشطرة الى شطرين لاسبيل الى لقائهما. ولذلك ارسل الملك الحسن مستشاره الخاص أحمد بن سودة الى اليمن ليقترح تشكيل لجنة من الحكماء يجري اختيارهم من المغرب والاردن واليمن والجزائر ليتفقوا على مشروع عربي يصلح اساساً الى تفاوض يُبعد شبح الحرب. وتقرر أن يحمل موفد من اليمن مشروع الحكماء المزمع وضعه الى بغداد بينما يحمله موفد من المغرب الى المملكة العربية السعودية. ولكن لجنة الحكماء هذه لم يجر

اختيار اعضائها إذ ماتت المبادرة في مهدها لأن المملكة العربية السعودية تحفظت على اشتراك حكماء اليمن، ولم تبد استعدادا لتقبل بحث المشروع الذي لم تكن اسسه قد وضعت بعد.

مبادرة الرباط وتونس

بتاريخ ٩٠/٩/٢٠ اجتمع في الرباط الملك الحسن والملك حسين والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد سعيا وراء مشروع للحل السلمي. وكانت العقبة الكأداء التي تقف في وجه وساطتهم التباعد العنيف بين وجهتي نظر طرفي النزاع. فحين كانوا يتحدثون مع القيادة العراقية يجدونها مصرة كل الاصرار على الحصول على حد أدنى من مكاسب لا بد للعراق من ان يحصل عليها . ولم يغامروا في تلك المرحلة من الازمة بمصارحة العراق بأنه إذا خرج من الكويت خالي الوفاض من أي مكسب ومكتفيا بألا تناله الضربة الاميركية المتوقع لها أن تكون قاصمة فعليه أن يكون سعيدا كل السعادة. وفي المقابل لم يعد الخليجيون وعلى رأسهم الكويتيون يقبلون بأي حل لايؤدي الى تحطيم قوة العراق.

قرر المجتمعون ايفاد الملك حسين الى بغداد نيابة عنهم للتحدث مع الرئيس صدام حسين. لكن الملك رأى أن يرسل رسالة تفصيلية بدلا من الذهاب الى بغداد شخصيا. ومن نص الرسالة نعرف السبب الذي جعله لاينطلق بنفسه. ونضيف الى الاسباب التي أوردها الملك قناعتنا بأنه كان يحرص على عدم القيام بخطوات تزيد من غضب ومن تحامل واشنطن عليه. فهي من الاصل لم تكن تنظر الى جهوده مع بغداد بعين الرضى. فلماذا يُصعّد حرارة الخلاف معها إن كان العراق لايريد أن يستجيب ؟ وجاء في رسالة الملك:

" سيادة الأخ العزيز الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه

تحية المودة والأخوة، عربية هاشمية أبعث بها اليك وبعد،

فقد عدت لتوّي من لقاء الرباط الذي دعاني اليه جلالة الملك الحسن الثاني، مثلما دعا اليه فخامة الرئيس الشاذلي بن جديد ، وقد كان موضوع اللقاء البحث في أزمة الخليج التي اصبحت أزمة الامة العربية منذ تفجرها في الثاني من آب الماضي حين احتلت القوات العراقية الكويت وبدأ مسلسل الانزلاق نحو المظلم المجهول، وما رافقه من قلق لاينتهي، بل يزداد حدّة مع كل يوم وساعة ونحن نرى أن ما تمكنت أمتنا من تحقيقه بنضالها في مطلع هذ القرن، مهّد بالزوال أو الاندثار. ويحدث ذلك بعيد انتهاء فترة الحرب الباردة، في الوقت الذي يعيش العالم فيه مرحلة انبثاق حقبة جديدة، تتشكل فيها ملامح نظام عالمي جديد، وتوضع للعبة الدولية فيه قواعد وقوانين تختلف عما عهدناه في الحقبة التي انحسرت ثم غربت .

وفي ظل هذه الاجواء، ومع بواكير حقبة الأمل والوعد الجديد، تأتي أزمة الخليج بالشكل الذي تطورت إليه، لتمتحن العالم في توجهه ونزوعه. فأزمة الخليج تتمحور حول النفط الذي تحتاجه كل الشعوب

ويشكل أكثر من أي وقت مضى أهم مرتكزات الحقبة الجديدة التي تتطلع فيها الشعوب للعيش في عالم يسوده السلام والتعاون والبناء من أجل حياة أفضل للانسان، في منأى عن المجابهة والمنازعات التي انهكته واستنزفت طاقاته في العهد الذي مضى.

وبناء عليه، فإن منطقتنا العربية وفق مقاييس هذه الحقبة الجديدة، قد أصبحت ذات أهمية قصوى لهذا العالم، ليس فقط بسبب موقعها واتساع رقعتها وحجم سوقها التجاري، بل لمخزونها النفطي الهائل الذي يقدر بثلثي احتياطي النفط العالمي أو يزيد، وينعكس الاهتمام العالمي بمنطقتنا على صور شتى من أهمها الحرص على استقرارها ضمن الاطر التي ترتضيها الدول الصناعية الكبرى، ومنها محاولات التحكم في مسار نهوضها الاقتصادي والاجتماعي والعسكري والعلمي والثقافي، بحيث ينسجم مع تصورات هذه الدول ومطامحها ولا يتعارض مع مطامعها، ومنها تعزيز علاقاتها مع دول الجوار من غير العرب كي تبقى هذه الدول مصادر تهديد وإزعاج وابتزاز للعرب، سواء فيما يتعلق بقدرتها على التحكم بمصادر المياه المنسابة الى الارض العربية، أو في ما يتصل بقدرتها العسكرية، كما هو الحال مع اسرائيل على شن الاعتداءات المسلحة ومواصلة التوسع على حساب الأرض العربية، أو فيما يتصل بتطلعات بعضها للقضاء على البعد القومي العربي وحلم الأمة العربية الموحدة وتذوب الشخصية العربية المتميزة باسم الدين، أو تمزيق الجسم العربي بالعمل على تجزئة المنطقة ضمن الأطر العراقية.

على هذه الخلفية التي أعلم أنكم أكثر من يدرك تفاصيلها وأبعادها، جاءت أزمة الخليج لترى فيها الدول الكبرى والصناعية، الفرصة الذهبية لإعادة تنظيم المنطقة، وفق مخططات خبيثة تتناسب مع تطلعاتها ومصالح الشعوب العربية، لترى فيها أيضا الفرصة السانحة لوضع وترسيخ قواعد اللعبة الدولية وبلورة نمط التعاون مع منطقتنا في العهد الجديد...

إن هذا ليس رأيي فقط، بل هو رأي جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد، وبالتأكيد هو رأي الجماهير العربية ، فالعراق الذي يحتل هذا الموقع المتميز في القلوب يجعلنا نؤمن بأن العراق ما عاد ملك نفسه وأن قيادته ما عادت للعراق فقط. فالعراق وقيادته أصبحا لكل العرب في كل أقطارهم. ومن هنا يأتي شعورنا الصادق بالقلق عليهما وبضرورة حمايتهما والحفاظ عليهما وبحقنا في إبداء رأينا بما يدور، كيلا تقع الكارثة التي إذا أصابت العراق - لاسمح الله - فإنها ستصيبنا جميعا.

وبناء على هذا الفهم والتحليل والتقييم الذي شاطرني إياه جلالة الملك الحسن الثاني وسيادة الرئيس الشاذلي بن جديد ، وعلى ضوء تطور الازمة ووعينا الكامل على مضاعفاتها ومكتنفاتها التي ذكرت، ومن منطلق حرصنا الأكيد على المحافظة على سلامة العراق وما يمثل، فقد كلفت من قبلهما بطرح السؤال التالي على سيادتكم كبداية لجهد عربي جماعي مخلص، وكلنا أمل ورجاء بالتكرم بالإجابة السريعة عليه.

ما هي طلبات العراق المحددة والمعقولة والمقبولة من دولة الكويت؟ سواء بالنسبة الى حدوده معها، وحاجته الى ممر حرّ للمياه العميقة في الخليج أو بالنسبة للديون والتعويضات المالية عن نفط حقل الرميلة أو غير ذلك إن وجد؟ بمعنى آخر: ما هي الطلبات العراقية بحدودها النهائية المعقولة والواقعية، والتي يمكن أن تلقى قبولا لدى القادة العرب، الذين اجتمعنا بهم قبل زيارتي الأخيرة لكم كي أتبناها مع جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الشاذلي بن جديد ونتحرك بها لاقناع الطرف المعني بها والقادة العرب الآخرين سعيا للتوصل الى حل عربي للمشكلة قبل فوات الأوان، وضياع الفرصة التي أخشى ما أخشاه، أن تضيع وينزلق الوضع في

هوة المجابهة العسكرية المدمرة، التي ستجلب الخسائر والكوارث ليس لعراق الأمل والرجاء وحده، بل للأمة العربية بأسرها..

أخي ابا عدي ،

لقد أصابني والأردن مثلما أصاب إخوتك في اليمن ضرّ بالغ، لايقل في حدته وحجمه عما أصابك وأصاب العراق الحبيب، فهل تتجاوب معنا لما فيه مصلحتك وخيرك ومصلحة وخير العراق وشعبه الذي وحّدت وقدت ، والذي قدم تحت قيادتك وبكل الرضا والسخاء ما قدم من تضحيات جسام ودماء زكية؟ هذا ما أرجوه من صميم فؤادي.

لقد قلت لك عند وداعي لك في آخر مرة سعدت بزيارتي فيها لك: أرجو أن تطلبني إذا شعرت بحاجة إليّ. وغادرت بغداد إلى الأردن مهموما محزونا، فيما كنت أتمنى أن أواصل التحرك لمنع التدهور الذي مازال يجري منذ ذلك الوقت، فهل تسمع ندائي ونداء كل عربي مخلص قبل فوات الأوان؟ وهل يمكن أن نعمل معا لاستعادة الأصدقاء الذين فقدنا منذ تفجر الأزمة وكسب أصدقاء جدد؟ إن لكم أشقاء يعانون أكثر مما تعانون منه مباشرة، تألماً مما يهددك، ومما يحيق بالعراق والأمة من أخطار، فهل تعطينا الفرصة للتحرك نحو تصويب الأمور، وفتح أقنية التواصل بينكم وبين أشقائكم في منطقة الخليج الذين أصيبوا بالذعر والصدمة مما حدث فوقعوا مثلما وقع العراق في حبائل التواجد العسكري الاجنبي الضخم والمتزايد؟.

هذه الاسئلة أوجهها لسيادتكم كتابة، ولاأعتقد أنه يخفى على أخي حجم المسؤولية التاريخية على جوابه. فإن شئتم وحددتم إجاباتكم بشكل إيجابي، فسأتحرك للالتقاء بكم وأخذ الأجوبة منكم مباشرة، وإذا ارتأيت أن ترسلها مع رسول منكم، فأرجو أن يتم ذلك بأسرع ما يمكن، أما إذا ارتأيتم خلاف ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله. وحينئذ لاأجد حاجة للتحرك نحوكم حتى لاأكون مضطرا عند عودتي أن أقول بألا أمل في حل عربي، وهو ما طُلب مني أن أقوله بإلحاح ورفضته ورفضه إخواني الذين زرتهم سابقا ولاحقا، وحتى لايشكل مثل هذا القول الضوء الاخضر والمبرر للانفجار الكبير الذي جرت التهيئة له بكل إتقان،وحتى لانكون سببا في الاقدار التي نخشى أن تكون على درجة عالية من القسوة.

وفقكم الله وأعانكم، وألهمنا جميعا سداد القرار وصواب العمل، وأخذ بيدنا في سعينا لنيل مرضاته، وتقبلوا صادق مودتي ومحبتي، والله يحفظكم ويرعاكم.

عمان في ٣ ربيع الاول سنة ١٤١١ هجرية

الموافق ٢٢ أيلول سنة ١٩٩٠ ميلادية

نلاحظ كيف كان الملك يستصرخ العراق ألا يورد نفسه موارد التهلكة وأن يعود عن خط المجابهة المتصلب حفاظا على قوته. بل كاد الملك يستجدي الرئيس صدام الا يبالغ في المطالب لئلا ينسد طريق السلام. وذكّر الملك رئيس العراق بالاضرار الجسيمة التي تصيب الاردن واليمن لمواقفهما من الازمة. ولكن الرئيس صدام كان ينطلق من قناعات أخرى على ما يبدو وكما سوف نرى بعد أن نورد مبادرة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي.

في ٩٠/٩/٢٢ وجه الرئيس التونسي الى القيادة العراقية رسالة مفعمة بصدق العاطفة والرجاء في أن يعي العراق حجم المؤامرة التي تحاك ضده. وتميزت الرسالة بالموضوعية وبعد النظر بالاضافة الى المصارحة الجريئة التي ندر ان استخدمها الوسطاء العرب في أن الانسحاب العراقي واعادة الشرعية الى الكويت والافراج عن الرهائن هي أهم أسس الخروج من الورطة. ولم تغض الرسالة الطرف عن ان الهزيمة ستكون من نصيب العراق ان اندلعت الحرب . وجاء في الرسالة:

" سيادة الرئيس الأخ العزيز،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فقد عهدت الى وفد يرأسه وزيرنا الأول السيد حامد القروي ويتألف من السيد الحبيب بولعراس وزير الشؤون الخارجية وعضوين من مجلس النواب، بإبلاغ سيادتكم خالص تحياتنا وأصدق مشاعرنا الأخوية، وبمواصلة تبادل الرأي معكم حول المساعي التي قامت وتقوم بها تونس للإسهام في حل مشكلة الخليج، وذلك من منطلق الحرص على المصلحة العربية العليا، واعتمادا على ما تتميز به علاقاتنا الأخوية من موضوعية وصراحة وروح عالية من المسؤولية.

فقد أوفدت مبعوثين الى عدد من الدول العربية والدول الكبرى الدائمة العضوية في مجلس الامن، وكذلك الى بعض الدول الاوربية الصديقة لشرح الآراء والافكار التي كان عرضها عليكم مبعوثنا الخاص السيد الشاذلي النفاتي وزير العدل في الحكومة التونسية في غرة سبتمبر/ ايلول ١٩٩٠ والتعرف على مواقفها وملاحظاتها عسى أن تهتدي إلى أفضل الطرق والوسائل للحفاظ على زمام المبادرة والتوصل الى حل عربي مشرف.

وقد اتفقت آراء القادة والمسؤولين الذين التقى بهم مبعوثونا على جملة من النقاط الأساسية التي لايرون مناصا من اعتمادها في أي مسعى جدي من أجل التسوية السلمية وهي:

١-انسحاب القوات العراقية من الاراضي الكويتية.

٢- استعادة الكويت لسيادته الكاملة وعودة الشرعية الدستورية للحكم.

٣- الإفراج عن الرعايا الأجانب وتمكينهم من حرية التنقل الى الخارج.

٤- الالتزام بالشرعية الدولية ممثلة في قرارات مجلس الامن، ولاحظنا من جانب جلّ هذه الدول تأكيدا على ضرورة إحكام الحظر الاقتصادي والعسكري، وتشديد الرقابة على البلدان التي تحوم الشكوك حول احترامها للحظر، مما من شأنه أن يحرج الدول الصديقة للعراق ويضعها في موقف تضطر معه للتعامل مع حكومتكم خارج حدود القرارات الأممية. والى

جانب التصعيد العسكري الذي يتواصل بحشود مكثفة وعتاد حربي متطور نلاحظ سعيا دؤوبا لتعبئة عديد الدول في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية للمساهمة في الحملة ضد العراق وتضييق الحصار من حوله. وهكذا لم تر هذه البلدان بدا، عن قناعة أو تحت الضغوط الدبلوماسية المركزة، من مسايرة هذه السياسات وتأييدها على اساس اعتمادها على الشرعية الدولية.

على أن المواقف التي سجلناها في مشاوراتنا مع الدول المعنية بالنزاع، تحتوي على عناصر ايجابية تأخذ بعين الاعتبار المصالح العراقية والعربية بصفة عامة.

من ذلك أنها تعترف بوجود خلاف قائم بين العراق والكويت حول عدد من المسائل التي ينبغي أن تجد طريقها الى الحلّ برضا الطرفين، وتعترف كذلك بالآثار السلبية على المنطقة بأكملها لعدم تسوية القضية الفلسطينية وإمعان اسرائيل في سياستها التوسعية على حساب الشعب الفلسطيني والبلاد العربية المجاورة، وتبدي استعداداً للشروع، بصورة موازية، في حل مشاكل المشرق العربي. بما يتماشى مع ما أعلنتم عنه يوم ١٢ أوت ١٩٩٠ في مبادرتكم الداعية الى حل شامل لكافة قضايا المنطقة، ويحقق الأمن والاستقرار لشعوبها.

ومما تجدر الإشارة اليه، من ناحية أخرى، أن القناعة توفرت لدى الجميع بضرورة توزيع الثروات والخيرات التي يزخر بها الوطن العربي توزيعاً أعدل يضيق الفجوة بين الدول العربية الغنية والفقيرة، ويحقق تنمية متوازنة بينها تقضي على أسباب النفور والبغضاء وتعم الرخاء والرفاهية على كافة أبناء الامة العربية. ولاشك أن هنالك وعيا لدى الجميع بأخطار الحرب وويلاتها على كامل المنطقة، وإدراكا لانعكاساتها السلبية على الاقتصاديات العالمية بل وعلى الاوضاع الدولية بصفة عامة، وهو مايفسر الجنوح، في المقام الاول، الى البحث عن حل سلمي للنزاع قبل التفكير في الدخول في مواجهة عسكرية. وفي هذا الصدد، نعتقد أن الحرب، مهما أظهر الجيش العراقي البطل من بسالة وقدرة قتالية عالية، ستسفر بالنظر الى الإمكانات الهائلة التي يتوفر عليها الطرف المقابل، عن تدمير المنشآت العلمية والصناعية والحربية التي تحققت بفضل التخطيط المحكم والتضحيات الجسيمة، وهي مكاسب عزيزة لا على الشعب العراقي فحسب، بل على الامة العربية بأسرها لما تمثله من إضافة نوعية كفيلة بترجيح الكفة لفائدة قضايانا المصيرية. لذلك، تقتضي الضرورة العمل على صيانتها وحفظها ذخرا لأيام الشدة ومنطلقا لمزيد من الانجازات في خدمة التنمية والأمن القومي ، ولا بد من ان نُحلّ هذا الأمر المقام الاول في تقييم الوضع الحالي ونوليه الاهتمام الذي يستحقه. ومجمل القول أنه أصبح من المتأكد نزع فتيل الحرب واستبعاد التعليلات والمبررات لاندلاعها وتهيئة المناخ المناسب لكسب معركة السلم، وفي تقديرنا أن تمكن الرعايا الاجانب من حرية التنقل

سيحدث ردود فعل ايجابية في الرأي العام العالمي، ويضعف جانب دعاة الحرب ويحقق كسبا معنويا يمكن للعراق أن يوظفه في مواجهة المرحلة اللاحقة.

كما أن إلغاء قرار ضم الكويت والاعلان عن انسحاب القوات العراقية من الاراضي الكويتية يعيدان طرح القضية الى أصلها. وليس في هذا الامر جديد إذ أعلنتم ، منذ الايام الاولى، عن استعدادكم للانسحاب ووضع ترتيبات خاصة بذلك.

وإن ما عرفناه فيكم من حكمة وتبصر وبعد نظر ليجعلنا على ثقة من أنكم ستختارون السبيل الأسلم من أجل الخروج من هذه الازمة بما يصون كرامة الشعب العراقي ويحفظ حقوقه ويجنبه المواجهة مع قوى عالمية لها مبرر الانتصار للشرعية الدولية ويوفر لنا الفرصة لأن نتعاون جميعا على فتح الطريق أمام حل عربي وسلمي في آن واحد."[١٢]

جاء رد العراق على رسالتي الملك حسين والرئيس زين العابدين على شكلين مختلفين بالمظهر كل الاختلاف ولكن المضمون واحد من الناحية العملية. وكلا الشكلين خاطئ فيما نرى لأن العراق لم يقدر الموقف حق قدره ولم يكتشف على مايبدو حجم الأخطار المحيقة به أو إنه اضحى مطمئنا لعدم حدوث ما سوف يهدد أمنه. جاء الشكل الاول من الرد العراقي في بيان صدر عن مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لحزب البعث في ٩٠/٩/٢٣ وكانت لهجة البيان صاعقة في هجومها على الولايات المتحدة وعلى حكام الخليج. فقد ورد فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم.

لقد أوغلت امريكا في الاعمال الاجرامية الكبيرة ضد العراق وضد الامة العربية بعدوانيتها المقيتة وخاصة باحتلالها لأرض مقدسات العرب والمسلمين في نجد والحجاز وبالمقاطعة التي فرضتها على شعب العراق الابيّ حتى تجاوزت الحد الادنى من الحدود الانسانية التي قد لاينحدر اليها حتى المؤمنون بشريعة الغاب...

وقد قامت بكل ذلك ارضاء لغرورها الذي جعلها تقع تحت ثقله المتكون بفعل الشعور بالتفرد بدور الهيمنة على العالم.

---

١٢ – لم تقتصر جهود ومبادرات الرئيس التونسي على اتصالاته مع العراق والدول العربية إنما بذل جهودا مع قادة الدول الكبرى. ففي أول ايلول/ سبتمبر وجه الى الرئيس بوش المبعوثين عبد الله القلال، وهو وزير الدفاع ومعه الحبيب بن يحيى ومعهما مقترحات تونسية لحل الازمة، وفي ذات اليوم أوفد الرئيس التونسي السيد عبد الرحيم الزواري، الأمين العام للتجمع الدستوري الديمقراطي الى الرئيس السوفياتي غورباتشوف من أجل ذات الهدف. وفي ٩٠/٨/٣٠ ارسل الرئيس التونسي موفدين الى الرئيس صدام حسين مع رسالة يرجوه فيها مراجعة مواقفه وفي ذات التاريخ أرسل الى الملك فهد موفدا شخصيا مع رسالة من أجل ذات الهدف.

وعلى امريكا الا تتمادى أكثر فأكثر وان تنزع من عقلها التفكير بدفع الامور الى الاصطدام العسكري وان تدرك وبسرعة خطورة ما يسمى بالضربة الخاطفة وان تقلع عن كل هذا وتعالجه بأسرع وقت عائدة الى زوايا النفس لتفتش عن بقايا حكمة تستعين بها تحقيقا للتحول عن هذا المنهج الخطير وبأسرع وقت ايضا، وفي مقدمة ذلك: الانسحاب من أرض العرب وديارهم وديار المسلمين المقدسة.

وبعكسه فان على امريكا ان تدرك بوضوح بأنها انما تدفع المنطقة كلها وليس العراق فحسب بل ربما العالم برمته وفي المقدمة ابناؤها الذين جاء بهم بوش الى المنطقة الى هوة سحيقة قد لاتخرج منها المنطقة الى النور لعشرات السنين وسيصبح البترول وارضه واسرائيل في وضع آخر غير ما هم عليه الان وهكذا يكون الطوفان .

إننا لن نسمح لكائن مهما كان أن يخنق بالطوفان شعب العراق من غير ان يختنق وهنالك من يوجه له ضربة دموية. فاننا سنجعل كل المسببين يختنقون وستصبح ارض البترول في السعودية وغيرها من دول المنطقة وكل منشآت البترول غير قادرة للاستجابة لطلبات الذين جاؤوا الينا محتلين ليستحوذوا على سيادتنا وكرامتنا وثروتنا وسيشمل اسرائيل ما يشمل تلك الديار التي تربع فيها السوء والمحتلون ولم يبق فيها ما هو طاهر غير المقدسات والخيرين الذين يرفضون هذا الظلم والعدوان.

فعلى الذي يتأمل الطوفان لشعب العراق ومن بعده الامة ويخطط لهذا أن يتذكر جيدا بأن موج الطوفان قد يأتي عليه قبل أن يأتي على شعب العراق. وعلى اميركا ومن دفعها أو تعاون معها أن يدركوا هذا جيدا ليعيدوا الحساب ويعاودوا التفكير الصحيح ليعطوا الدقة ميدانها ويبنوا عليها، ويكفيهم ما حصل من تصرف متهور شائن وأحمق.

وإذا ما أراد الخائبون أن ينتزعوا فتيل الاحتمالات الخطرة مثلما نريد نحن وكل الخيرين في الامة عليهم أن يعودوا الى فكرة أن يعم السلام المنطقة كلها وأن تعود الحقوق المشروعة الى أهلها الشرعيين كلهم وفي المقدمة منهم فلسطين المغتصبة وأن تنزع الاسلحة الخطرة من المنطقة كلها وأن يحذر المعنيون الاجانب من تطبيق سياسة العصا الغليظة في المنطقة وأن يستبدلوها بسياسة التفاهم القائمة على العدل والانصاف وأن يتذكر الجميع بأن لامجال ليتعايش الظلم والانصاف في المنطقة والا يتعايش الفقر والاستغلال الهمجي مع الغنى ولا العدوانية مع السلام ولا التخلف مع التقدم ولا القنوط مع التطلع.

وعلى الجميع أن يدركوا أيضا بأن الذي حذرنا منه قد يحصل عندما يتطاير الشرر المنبعث من فوهات الاسلحة المتقابلة ومن احتكاك اساطيل العدوان بوسائلنا وقواتنا وقد يكون الشرر المتطاير صدفة وقد يكون عن عمد ليحدث بعد ذلك حريقا وعند ذلك يكون الطوفان ولكي لايحصل المحذور على المعنيين ان يسحبوا الجيوش والاساطيل البحرية والجوية بأسرع وقت وإن هذا ينبغي بل يجب أن يكون الخطوة الاولى التي تهيئ لاجواء التفاهم ومن غيرها فلا تفاهم تحت أسنة الحراب والتهديد والعاقبة على هواة الحروب والمشاكل والازمات وعلى فاعلي الشر والطاعنين في الظهور وعلى الساعين الى الخير من العرب ان لا يستبدلوا الحل الذي قدمناه في ١٢ آب الماضي بحل جزئي لأن تحويل الصراع من الاصول الى الفروع يفيد تكتيك الاعداء وأعوانهم.

إن القضية الاساس هي قضية نضال العرب والمسلمين في جهادهم الحق ضد الباطل وأن الذي يقع في صدر هذه الاهداف هو تحرير فلسطين من اغتصاب المغتصبين الصهاينة، وإن تمسك العراق بهذا الموقف

بسياسة معلنة لاغموض فيها استجلب عليه سهام الشر وحرك الدبابير السامة من جحورها لتلسع وتدمي جنباته في أخطر مؤامرة استهداف سياسي واقتصادي تمهيدا لاضعاف العراق عسكريا واضعاف دوره الوطني والقومي والانساني، وقد انكشفت هذه المؤامرة والقائمون عليها وكان في مقدمة الذين اوكلت لهم مهمة التآمر هم حكام الكويت السابقون متخذين من الكويت التي اجتزأت عن العراق قاعدة تآمر مضادة واضعين امكاناتها المسروقة في خدمة كل ما هو شر ومؤذ للنضال القومي والاسلامي فكانت الضربة التي وجهت الى تلك الزمرة الحاكمة الشريرة عميلة الأجنبي هي الخطوة الدفاعية التي لابد منها للمحافظة على خواص وامكانات العراق وتطويرها تحقيقا للاهداف النبيلة المعروفة.

وبذلك عادت الكويت المغتصبة الى اهلها لتكون جزءاً من وطنها الاصيل بقرار ابدي لارجعة عنه تحت كل الظروف والاحوال، وفي خضم هذا الفعل ورد الفعل المعادي له استنفر العرب والمسلمون امكانياتهم واستحضروا الدور الذي ينبغي أن ينهضوا به بعد أن غابت عنهم ممارسته سنين طويلة فأخذت المنازلة طورا جديدا انتقلت فيه المبادأة ضد الظلم والطغاة واحتلال ارض مقدسات المسلمين والعرب الى الجماهير والقادة الوطنيين الشرفاء سواء على مستوى من هم في الحكم منهم أو من هم في الحركات والتنظيمات السياسية الوطنية واصبح كل القادة الوطنيين من الذين ذكرنا في مكانة جديدة افضل ان كان عند الله أو عند جماهير شعبهم وامتهم وكل حسب مسعاه، لذلك فإن الذين عليهم أن يقدموا البرهان على انهم جادون في سعيهم لتغيير ما كانوا يفكرون به من شر ضد الامة وما كانوا يعتمدون من خطط خبيثة وشريرة هم الذين يقفون في الصف المضاد ليقنعوا الوطنيين وجماهير الشعب بامكانية التعامل معهم وفق الدرجة التي لاتضيع عليهم فرصة النهوض لاسترداد كل الحقوق المغتصبة والضائعة ان كان على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أو على مستوى اغتصاب الارض والمقدسات في فلسطين واراضي نجد والحجاز ، وان الوطنيين الشرفاء غير مطالبين بشهادة حسن السلوك الا من الله العزيز القدير ومن الجماهير المؤمنة الصابرة المجاهدة. لذلك على الوطنيين الشرفاء حكاما كانوا أو قادة حركات وطنية أن يحذروا من ان يتحولوا الى اوساط ضاغطة بحثا عما يسمى بحلول وسط او الانجراف مع تيار العمل الاعلامي والسياسي الامبريالي الذي تقوده الادارة الامريكية وحليفتها تاتشر والقائم على التخويف والابتزاز . ان العراق بخير وهو قادر على المنازلة والمطاولة التي يكتب الله له فيها الشرف العظيم، (كتب عليكم القتال وهو كره لكم.. وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.. وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون).. صدق الله العظيم.

وإن جماهير أمة الايمان بخير وان صفوفها تحفل بالمؤمنين المضحين الذين يطلبون النصر أو الشهادة دفاعا عن الذي اظهره الله كحق لهم ضد الكافرين الذين افسدوا في الارض وجاؤوا ليفسدوا في ارض المقدسات في نجد والحجاز.

وإذا ما أريد ادخال قدر من الوحدة على مستوى الجامعة العربية والعلاقات بين الدول العربية فعلى الذين مزقوا هذه الوحدة بالتآمر والاعمال المتسرعة المغرضة ان يبتعدوا عن طريقهم ذلك ويدخلوا الطريق الذي يرضي الله والشعب وعند ذلك ومن غير شروط مسبقة ستفتح كل الفرص التي تتوخاها النفوس الطيبة لحلول تجمع العرب في وضع أفضل، وفي كل الأحوال على الجميع ان يعرف بأن حراب الاجنبي وبقاء المحتلين الغزاة في نجد والحجاز وفي الاقطار العربية الاخرى يتربصون الفرص الشريرة ويطلقون التهديدات

لايوفر الحد الادنى لامكانية التفاهم والتفكير الهادئ بحلول تخدم الامة العربية والاستقرار في المنطقة، بل لامجال لحل أو تفاهم تحت أسنة الحراب وتهديد ووعيد اصحاب الاساطيل والجيوش. وإن أي بحث فرعي أو اساسي بين العرب ينبغي بل يجب أن لايعطي الاجنبي غطاء وذريعة لوجوده ريثما يخرج العرب بحلول تجعله قادرا على مغادرة المنطقة وعلى اولئك الذين جاؤوا بالاجنبي ان لايلتمسوا الذرائع ويقفوا بالوهم الذي يجعلهم يتوهمون أن شعار اخراج الاجنبي من ارض الامة العربية وأرض المقدسات ينبغي أن يقود الى تنازلات وطنية في صلب السياسة أو الاهداف الشريفة، إن الشعارات الشريفة ينبغي أن لايكون ثمن تحققها التنازل عما هو حق وأصيل وشريف.

هذا هو موقف العراق وهذه هي دعوته لكل اشقائه العرب ولكل المؤمنين الصابرين الذين يقفون في خط "مواجهة ضد الطغاة والكفر" تجاه اولئك الذين يقفون على الخط الذي تعلو فيه هاماتهم بلا فتات العار والشنار.

إن الحل العربي الذي نقصده وقصدناه منذ البداية هو الحل الذي يبحث في ظرف موات وان الظرف حتى يكون مواتيا يجب أن تستبدل سياسة التهديد باعلان الرغبة في التفاهم ولامجال لان نصدق أي رغبة في هذا المجال من المعنيين الا بالاعلان عن الانسحاب الفعلي للقوات الاجنبية من المنطقة وعند ذلك تتهيأ للعرب فرصة وامكانية التوحد على موقف يُتفق عليه وتبتعد الفرقة على طريق العلاقة العربية الجديدة ويسود التفاهم بدلا من الاحتراب والله أكبر."

فإذا امعنا لنظر في النص وجدنا اصرارا عراقيا عجيبا على عدم التنازل عن اية نقطة من مطالبيه بدءًا من التأكيد على أن قرار ضم الكويت هو نهائي وأبدي ولارجوع عنه مهما كانت الظروف لأن الضم ليس أكثر من عودة أقليم الى الوطن الام. ويؤكد البيان على أن العراق بخير وأنه مازال قادرا على المنازلة والمطاولة.وما يهمنا من البيان لايقتصر على عنف ما جاء فيه ومن رفض لأية مساومة إنما تلك الجملة ايضا التي تحذر "الوطنيين الاشراف" حكاما كانوا أم قادة حركات وطنية [وكأنما يقصد الرئيس ياسر عرفات بالذات كرئيس لمنظمة] من أن يتحولوا الى وسائل مطواعة في يد الامبريالية الاميركية والبريطانية للضغط على العراق . أي أن العراق يرفض تدخلهم ويصفق الباب في وجه مبادراتهم. قد يرى البعض في حدة الجواب العراقي تعبيرا عن تخوفه من أن ترى الولايات المتحدة في اية اشارات لتنازلات عراقية ثغرة تنفذ من خلالها لاستحلاب المزيد من التنازلات. وقد يكون العراق يشعر بحرج تجاه الجماهير العربية الذين لم يسمعوا منه سوى المطالب الكاملة فيحاسبونه على اية تنازلات يعلن عنها . لكن كلا الرأيين لايبرر اسلوب التحدي العنيف الذي لايترك هو ايضا أي شق لمرور مفاوضات . وهذا التصلب هو بالذات ما يريد سماعه الرئيس بوش لاستخدامه حجة اضافية لاقناع العالم بعدم وجود حل سوى الحرب.

ومرة أخرى نتساءل: هل حصل العراق على تطمينات قوية بعدم وجود خطر عليه؟. وإلا فعلام اعتمد في اتخاذ هذا الموقف المتصلب الرافض لأي حل وسط؟. -هل قرر الرئيس العراقي الإنتحار وهو الذي قال أمام الصحفية الأميركية بأن المسلم لا ينتحر؟

هذا وليس من السهل اثبات أن هذا البيان اللاهب هو جواب مباشر على مبادرتي تونس والرباط. ولكن صدوره بعد وصول الرسالتين الى بغداد بيوم كامل يشكل قرينة قوية تؤيد ذلك . وبالاضافة الى تلك القرينة نشير الى الجملة التي تحذر الحكام العرب من الانحدار الى درجة التوسط. فصاحب كل من الرسالتين يدعو الى الوساطة ويناشد العراق ان يستجيب الى الحلول الوسط.

أما الشكل الثاني لجواب العراق على هذه المبادرة فنقتبسه من هيكل إذ يكتب:

" وفي يوم ٢٩ سبتمبر وصل السيد "طارق عزيز" الى عمان يحمل ردا من الرئيس "صدام حسين" على رسالة الملوك والرؤساء الثلاثة السابقة اليه، ولم يكن الرد المكتوب الذي حمله "طارق عزيز" هو الرسالة الحقيقية للملك، وإنما كان الاهم ما دار بين الاثنين من حديث في قصر "الندوة" في عمان.

وتشير دلائل كثيرة الى أن وزير الخارجية العراقي تحدث للملك بمجمل ما توصلت اليه اجتماعات مجلس قيادة الثورة وقيادة حزب البعث من قناعات، وأهمها أن الدول العربية في الوقت الحاضر ليست هي التي تملك زمام الموقف، وبالتالي فإن البحث عن حل عربي لافائدة فيه الآن لأسباب كثيرة أولها وآخرها أن الأمر خرج من أيديهم منذ ساعات الأزمة الأولى، وأنه إذا أتيحت فرصة للحل فإن هذه الفرصة لابد أن تجيء من مصدر آخر. ويبدو أنه من محصلة هذا الحوار – فإن الملك "حسين" بدأ يعد للقاء بينه وبين الرئيس ميتران، فقد كان واضحا رغم موقف فرنسا المساير للسياسة الامريكية والغربية عموما – أن باريس لاتزال تفكر في نهج مستقل لها في إدارة الازمة."[١٣]

أما حمدان حمدان فيورد تفصيلا أوسع عن الاسباب التي حدت بالقيادة العراقية أن تجيب بالطريقة التي نقلها الينا هيكل. ولأهميته نورده ثم نعلق عليه:

" كانت القيادة العراقية حين وصول رسالة الملك حسين (التي تعبر عن رأي المغرب والجزائر والاردن) قد عقدت سلسلة من الاجتماعات الطارئة لدراسة الاوضاع المستجدة، وخاصة تلك التي تتصل بتطور الوضع الميداني على أرض السعودية والمنطقة:

---

١٣ –هيكل صفحة

- كانت السفن الامريكية والاسترالية قد بدأت باطلاق النار التحذيرية على الناقلات العراقية، مع صعود جنود البحرية على ظهر الناقلات الاخرى بالقوة (القوة الأمريكية أصبحت ١٥٠ ألف جندي).

- أعلنت بريطانيا من جهتها عن إرسال الفوج السابع المدرع والمكون من ١٢٠ دبابة من نوع شالنجر مع ٨٠٠ جندي وضابط من جنود الكوماندوس البريطاني (فئران الصحراء)..

- أرسلت كندا ١٢ طائرة من طراز سي إف ١٨ الى مطارات السعودية.

- أعلنت ايطاليا عن إرسال مدمرة جديدة بحماية ثماني طائرات من نوع تورنادو.

- بلغت القوة الفرنسية حتى تاريخه ١٣ ألف مقاتل مع ١٤ سفينة حربية.

- حشدت تركيا على حدودها مع العراق ستين ألف جندي مع الدبابات والمدفعية وطائرات الهليوكبتر...

- طلب كول مستشار ألمانيا تعديل دستور عام ١٩٤٩ ليتاح له إرسال قوات ألمانية خارج نطاق حلف الاطلسي.

- وكانت لتصريحات الجنرال دوغان عن نوايا الولايات المتحدة وخططها الجوية التدميرية والوحشية وقع السخط المزلزل لا في العراق فحسب، بل وعلى صعيد العالم بأسره.. على الصعيد السياسي في المنطقة والعالم:

- كان مجلس الأمن الدولي، يتخذ قراراته المتصاعدة ضد العراق، بسرعة زمنية نادرة، ولم يعد يخامر الشك أحدا، من أن هذه القرارات باتت تصاغ في دوائر الخارجية الامريكية دون تعديل.

- كان البنتاغون يقرر مبيعات السلاح الى السعودية بمليارات الدولارات (٢٠ مليار دولار) مع احتجاجات إسرائيلية هدفها ذر الرماد في العيون ليس أكثر..

- كانت السعودية قد شرعت في الإيعاز لمواطنيها من أرباب العمل، والشركات الخاصة والحكومية، بعدم تجديد رخص العمل لكل من اليمنيين والاردنيين والفلسطينيين.. كما بدأت بإيقاف شحنات النفط الى الاردن.

- بدأت حكومات المجموعة الاوربية بطرد الدبلوماسيين والرعايا العراقيين من بلادها.

- حتى السنغال أعلن في هذه الفترة عن إرسال ٥٠٠ جندي سنغالي الى منطقة الخليج للانضمام الى قوات التحالف هناك.

وكانت القيادة العراقية قد توصلت الى استنتاجات مفادها:

- لم تعد المشكلة في المنطقة هي مشكلة العراق والكويت.

– إن الانسحاب بات يعني هزيمة كاملة دون حرب..
– إن الولايات المتحدة هي خصم المعركة الرئيسي، وإنها لم تعد تسأل عن الانسحاب بمقدار ما هي جادة في تدمير العراق..
– لم يعد بمقدور أي مسؤول عربي، مهما خلصت نواياه، من التأثير في مقدارت الظروف، التي بدأت أمريكا بخلقها يوما إثر يوم من أجل الذهاب الى ساحة الحرب.
– آخر الآمال، هي حركة الجماهير العربية الاسلامية، التي مازال بمقدورها التأثير على مسار الازمة.

وحمل طارق عزيز، كل هذه الاستنتاجات، مشفوعة بوقائعها على الارض، وراح يشرح للملك حسين خلاصة ما توصلت اليه القيادة العراقية قائلا:
– جلالة الملك، بمنتهى الألم أقول، إن البحث عن حل عربي، لم يعد فيه رجاء، لقد خرج الأمر من أيديهم منذ ساعات الأزمة الأولى، وفضلوا تركه للامريكيين نهائيا..

فإذا اتيحت فرصة للحل، فلا بد من أن تجيء من مصدر آخر.

وخبت بارقة الأمل التي سطعت في سماء الرباط لتنطفئ في دياجير العتمة في الخليج.." ١٤

نحن لانرى في الاوضاع المستجدة العسكرية وغير العسكرية مما قرأنا في النص السابق سببا يبرر عزوف العراق عن تقبل المبادرات والحلول العربية إنما عكس ذلك بالضبط. إننا نجد في هذه الاوضاع المستجدة سببا شديد الوجاهة ليحرص العراق على الامساك بأية قشة عربية عائمة على سطح الماء محاولا انعاشها وانجاحها للتملص من الفخ الخطير الذي نُصب له بعد أن شاهد بام عينه الاستعدادات الخطيرة التي يجري حشدها ليلاً نهاراً لتحطيم العراق . ولم يكن من الجائز التحجج بأن المخطط الجهنمي الذي تحضره الولايات المتحدة لايمكن اختراقه ولا افشاله ابدا. ونحن نرى أن الاستجابة لما ورد في رسالتي الحسين والرئيس زين العابدين بن علي كان سيفتح باب متابعة السعي نحو الحل ونحو ربط ما انفصم من روابط كانت تصل العراق بحكام الخليج. نحن مع العراق في أن المؤامرة التي تحاك ضده خطيرة ودقيقة ولكننا لانؤمن بأن المخطط الاميركي مقدس وحتمي النجاح بحذافيره.

---

١٤ – حمدان حمدان صفحة ٣٤١-٣٤٤

مبادرة الرئيس ميتران في الامم المتحدة:

حضر عدد كبير من رؤساء الدول الجلسة الاربعين للجمعية العامة للامم المتحدة المنعقدة بتاريخ ٩٠/٩/٢٤، تلك الجلسة التي مُنع وزير الخارجية العراقي من حضورها لتمثيل بلاده. فقد رفضت الولايات المتحدة اعطاءه حق الهبوط في نيويورك ومنعته بذلك من الوصول الى هيئة الأمم التي يُفترض انها تخص دول العالم أجمع والا تكون اداة يستأثر بها القرار الاميركي حسب مصالحه . ولم يستطع الأمين العام لهيئة الأمم خافير دي كويلار انقاذ الموقف إنما ادلى بتصريح يُعتبر دفاعا عن قرار واشنطن بدلا من محاولة التأثير عليها لتسمح للوزير العراقي بالحضور. فقد برر الرفض الاميركي بوجود الرهائن الاميركيين في العراق. وهذا يخالف منطق العرف الدولي ويخالف منطق من يبحث عن السلام ويتناقض كليا مع تصرفات الرئيس بوش فيما بعد . فهو يخالف منطق العرف الدولي لأنه لايجوز لعضو من هيئة الامم المتحدة أن يقرر عشوائيا من يحضر جلسات الهيئة العالمية ومن لايحضر لأن في ذلك تسلط على سياسة الهيئة. وهو يخالف البحث عن السلام لأن السلام يحتاج الى التفاوض والحوار. ومن يسد طريق التفاوض لايبحث عن السلام. وهو تعبير عن ديكتاتورية اميركية لأنها بالرغم من مناداتها بالديمقراطية تكبت وتطمس الرأي الآخر . وأخيراً فهو يتناقض كليا مع تصرفات الرئيس بوش فيما بعد حين دعى طارق عزيز اليه . فلو كان تحججه بالرهائن هو السبب في منع دخول الوزير العراقي في ٩٠/٩/٢٤لما دعاه هو نفسه لمقابلته في ٩٠/١١/٣، أي قبل أن يُطلق العراق الرعايا الاميركيين. ولذلك نستنتج أن منع الوزير العراقي من الوصول الى هيئة الأمم كان يتعمد منعه من الدفاع عن وجهة نظر بلاده امام ممثلي دول العالم المجتمعين تحت سقف واحد حيث يحصل الحوار والتفاوض والنقاش مباشرة بين من يعنيهم الأمر في كواليس الامم المتحدة دون الاضطرار للاستسلام الى ما يصل الى دول العالم عن طريق الاعلام الموجه. ولايشكل استعداد الرئيس بوش للقاء الوزير العراقي فيما بعد سوى اثباتا لما ذهبنا اليه. فاللقاء المنفرد تحت المظلة الاميركية المفردة لن يسمح بوصول صوت العراق الى العالم إلا من خلال الاعلام الاميركي الملون والمتحيز.

القى الرئيس الفرنسي ميتران في تلك الجلسة كلمة استمرت قرابة ٤٠ دقيقة. يمكننا تجزئة مضمونها الى قسمين . في القسم الاول يهاجم الرئيس ميتران العدوان ويشجبه ويدافع عن الشرعية ويتطرق الى نقاط متعددة نلخصها فيما يلي:

" * نعيش في عالم لايستثني احدا، ولاحتى الاقوياء من ترابط المصير، ولذا فان النتائج الناجمة عن أزمة الخليج ستكون مهمة. وسيستفاد منها مستقبلا ، لا بل قد تصبح مثلا يحتذى به.

* لن يكون هنالك سلام، ولا حرية دائمة الا اذا قبلت كافة الدول الخضوع للقواعد والقوانين الدولية والتي كلفت هيئة الامم المتحدة بالسهر عليها وعلى تطبيقها.

* بدأت هيئة الامم المتحدة بعد ٤٥ عاما من انشائها تبدو أخيرا وكأنها قاض حقيقي ومن هذا المنطلق سيبدأ تغيير كل شيء أو على الاقل هنالك امكانية للتغيير حيث ان الاحداث المتعلقة "بالشرعية" تمسنا جميعا فأي دولة الآن بامكانها الاعتقاد أنها في مأمن من الخطر والتعسف؟ لقد آن الوقت لحتمية تطبيق القانون الدولي.

* بل يجب أن نذهب الى أبعد من ذلك ، فأمامنا إما أن نختار ونقر مبدأ قانون الغاب، أو نطبق القانون الدولي، وماذا سيكون مصيرنا إذا رفض الفصل بينهما. ان النتائج واضحة أمامنا الان.

* لقد أظهر مجلس الامن فيما يتعلق بازمة الخليج والصراع "العراقي الكويتي " تماسكه ، مع السرعة في اتخاذ القرار. إن الكويت دولة ذات سيادة، وعضوة في هيئة الامم المتحدة فبأي حق يمكن لأي فرد أو دولة أن تقرر فجاة الغاء تلك الدولة من الوجود.

* ان سياستنا هي سياسة هيئة الامم المتحدة ولقد أعلنّا وحذّرنا بأننا سنساند أي دولة في المنطقة تتعرض لعدوان جديد، إن مبدأنا هو الدفاع، وليس الهجوم، ولكننا لن نكون مجاملين ولا متواطئين مع المعتدي بأي حال من الاحوال.

* ان توجيهاتي في هذا الشأن لم تتغير وهي: العمل على نجاح الحصار الاقتصادي ضد العراق، والقضاء على أي عدوان، وخدمة السلام، والعمل على احترام القانون الدولي، دون الخضوع للعنف.

* تتحرك المساعي الفرنسية باتفاق وتعاون تام مع الدول الاوربية الاثنتي عشرة وكذلك بالتعاون مع القوات السعودية والعربية والامريكية في المنطقة، تعاونا لايؤثر على استقلالنا في اتخاذ القرارات.

* ان منطقنا هو منطق السلام، المناهض للحرب التي تبدو راجحة حاليا...

* فهل انتهى الامل فلم يعد هنالك مساع اخرى للسلام ؟ لا، لا يجوز لنا الاستسلام لذلك ولا ينبغي أن ننطق بمثل هذا الحكم بل سيتوجب علينا أيضا الاجابة على كثير من التساؤلات التي

تتصاعد في العالم اجمع طالما أن قرارات مجلس الامن لا تزال حروفا ميتة(...) وانه علينا أن نعمل على تطبيق القوانين الدولية، كما يجب أن يتساوى الجميع أمام القانون.

* بما أن النزاع في منطقة الشرق الاوسط ليس نزاعا بين دولة غنية، وأخرى فقيرة، بالتالي ليس نزاع الشمال والجنوب، لذا فانه يجب علينا الحرص على تطبيق الحظر بشدة، لكي يأتي بثماره – ولكي تنسحب القوات العراقية من الكويت.

* ولنعمل جميعا على تطبيق القوانين التي تصدرها هيئة الامم المتحدة، وأنني لواثق بأن التضامن سيؤدي الى السلام من جديد...

وفي القسم الثاني يقترح الرئيس ميتران نقاطا اربعاً من أجل حل ازمة الخليج بعيدا عن شبح الحرب:

١- على العراق أن يخلي الكويت ويسحب قواته ويطلق كل الرعايا الغربيين. ويتابع ميتران فيقول: وبعد انجاز هذه النقطة يصبح كل شيء ممكنا.

٢- تقوم الامم المتحدة بالتحقق من الانسحاب العراقي وتتأكد من عودة السيادة اليها ومن عودة الإدارة الديمقراطية.

٣- يتعاون المجتمع الدولي مع الدول العربية لتسوية نقاط النزاع الاخرى في المنطقة مثل وجود القوات الاجنبية في لبنان، وصبّو الفلسطينيين نحو دولة لهم وحق اسرائيل بالعيش في أمان.

٤- خفض الاسلحة في الشرق الاوسط وبدء تعاون واسع في كل الوطن العربي من حدود ايران حتى المغرب."

إذا درسنا نقاط الرئيس الفرنسي وجدناها في بعض المواضع موزونة بمعيار الذهب. فهو يطالب العراق بالانسحاب واطلاق الرعايا الغربيين [أي أنه يتحاشى استخدام كلمة الرهائن التي نشرتها الولايات المتحدة على العالم] لتصبح بعد ذلك كل الخيارات ممكنة. والنقطة الثانية اشد حساسية لأن الرئيس ميتران لايطالب بعودة الشرعية السابقة الى الكويت ولايذكر آل الصباح إنما يريد للشعب الكويتي أن يستعيد سيادته مقرونة مع عودة الديمقراطية. وهذا التعبير يمكن له أن يعني عودةَ آل الصباح، ولكن يمكن تفسيره ايضا باجراء انتخابات ديمقراطية مفتوحة لآل الصباح وللفئات الاخرى. وهذا التفسير يفتح شقا ولو كان صغيرا جدا لما يرحب به العراق. وتتجاوب النقطة الثالثة مع مطالب العراق في موضوع التسوية للقضية الفلسطينية واخراج القوات السورية والايرانية والاسرائيلية من لبنان، ولكنه يؤكد حرصه على استمرار اسرائيل على قيد الحياة، وهذا الأمر لم يعد يطالب بعكسه عمليا أي حاكم عربي. اما

النقطة الرابعة فتشمل ما يفترض أن يرضي الولايات المتحدة واسرائيل من ضرورة نزع السلاح العراقي. ولكنها تراعي في ذات الوقت رغبة العراق لأنها تشترط على كل الاطراف المعنية الاسهام في عملية خفض السلاح بما في ذلك اسرائيل.

ولكن يا ترى هل التقط "هوائي" القيادة العراقية تلك الذبذبات الحساسة التي بثها الرئيس الفرنسي؟. وهل اعطوها هناك حقها من التقييم والدراسة ؟ وهل حاولوا التمسك بها بأخذ الرئيس ميتران، ولو اعلاميا علنيا بكلمته وعند وعده لتربطه أدبيا بالمبادرة التي اطلقها امام ممثلي كل امم الارض؟. لا شك في أن فرنسا لم تعد تلك القوة العظمى التي كانتها حتى الحرب العالمية الثانية ولم تعد تستطيع التاثير على الاحداث بشكل جذري. ولكن بالمقابل نرى أن الاستهانة بموقف رئيس فرنسا خطأ كبير. فلو تصرف العراق بالشكل الذي يكسب من خلاله موقف الرئيس ميتران او تأييده لدافع الرئيس عن مبادرته ولرفع صوته اعلاميا وادبيا في وجه اميركا التي لاتكن لها فرنسا ذلك الحب الكبير منذ الرئيس شارل ديغول الذي كشف وفضح الانانية وحب السيطرة الاميركيين. ولو أبدت الولايات المتحدة استهتارا بآراء الرئيس الفرنسي لجعلته يلتزم بموقفه بشكل أشد ! ولايُستبعد أن يصبح الموضوع بالنسبة اليه مقترنا مع شرف فرنسا. لقد سبق للولايات المتحدة أن حاولت الضغط على الرئيس الفرنسي السابق جورج بومبيدو من خلال تأليب الاعلام عليه ومن خلال القيام بمظاهرات ضده اثناء زيارته لنيويورك في ١٩٦٩/٢/٢٨ حيث كان بومبيدو بصحبة زوجته في السيارة حين هاجمه المتظاهرون. فثار هو وزوجته التي طلبت منه قطع الزيارة على الفور. وبدلا من أن يستجيب لما يُراد منه تصلّب في موقفه. ونلخص القول بجملة : لو كسب العراق موقف ميتران لتمكن هذا من ازعاج الولايات المتحدة اشد ازعاج وبشكل ربما يجعلها تفشل في تحقيق كل مآربها. لقد كان الرئيس ميتران واقفا بين تيارين كما سبق أن أوضحنا. وبقي يتصارع مع التيارين او بينهما حتى اللحظات الأخيرة مما سوف نتعرض له فيما بعد. فوقوف فرنسا مع تيار الولايات المتحدة يؤمن مصالح فرنسية. لكن وقوفها خارج التيار الاميركي يؤمن لها مصالح أخرى. ويؤكد ذلك الوزير الفرنسي شفينمان في كتابه حين يقول بأن مصلحة فرنسا لاتتطابق مع اهداف الولايات المتحدة في هذه الحرب. وفي الاجتماع الذي عقده الرئيس ميتران في ١٩٩٠/٨/٩ ادلى شفينمان برأيه فقال: " ودلّت المعلومات التي كانت لدي ان الأميركان مصممون على موقفهم ، ومن الممكن انهم عملوا على ان يسقط العراق في الفخ ...يجب ان

نفضل الحل السياسي في الاطار العربي ، وان نتجنب انـزلاق قواتنـا فـي القتـال ، لأن أهدافنـا السياسية ليست هي أهداف الولايات المتحدة واسرائيل ." ١٥

مبادرة من فيلي براندت

بعد زيارته الى بغداد وحديثـه المطـول مـع الرئيس صـدام حسـين اصـدر المستشـار الألماني السابق فيلي براندت مبادرة تشير الى ضرورة عقد قمـة عربيـة بسـرعة لأن " الأمـم المتحـدة لـن تدخـل فـي اي مفاوضـات ". وتطـالب مبادرتـه بانسـحاب العـراق مـن الكويـت ، وباجراء استفتاء عام في الكويت تحت رعاية الأمم المتحـدة ، والسـماح للعـراق بالملاحـة فـي الخليج ، واجراء تحكيم حول عوائد النفط المتنازع عليها ، والتوصـل الـى اتفاقيـة بيـن العـراق والكويت للتشاور حول حصص واسعار النفط .

لا يهمنا من ايراد مبادرة فيلي براندت المبادىء التي نصت عليها بقـدر مـا جـاء فـي التقديم لها حيث قال : " بعد ان تحدثت مباشرة مع الرئيس العراقي صدام حسين وآخريـن فـي بغداد اصبحت اكثر اقتناعاً من ذي قبل بأن الجهود المبذولة للتوصـل الـى حـل غيـر عسـكري يتوجب ان تمضي قدماً ...

وان ربط مستقبل الكويت مع غيره من الحلول ..هو جزء من تفكير صدام حسـين ، الا انني لا استطيع ان اؤكـد ان الرئيس العراقـي ينظـر الـى هـذا الربـط كشـرط مسـبق " للتضحيات " التي قد يضطر الى تقديمها ..."١٦

فالمستشار براندت تحسس استعداد العراق للانسـحاب بنفسـه . وان معرفتنـا بـه منـذ كان عمدة برلين الأول في اواخر الخمسينات ، وبأسلوب معالجته للوقائع والأحـداث تؤكـد لنـا انه لم يذكر هذه الاشارة عن استعداد العراق للانسحاب لولا انه لمسـها بقـوة اكبـر بكثيـر ممـا عبر عنه . وما وجده براندت لدى بغداد انتقل بصورة اوضح الى الحكومـة الألمانيـة وبالتـالي الى المجموعة الأوربية ثم الى واشنطن . ولكن احدا من هـؤلاء لـم يحـاول الامسـاك بطـرف الخيط المؤدي الى السلام .

نختتم هذه المجموعة من المبادرات بابراز ملخص لتصريحات صدرت عن الرئيس بوش اثناء حوار مطول مع الصحافة العالمية بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٢ حيث يقول:

١٥- شفيتمان صفحة ٤٦

١٦ - من موسوعة حرب الخليج صفحة ٢٨٧

" أكد الرئيس الاميركي جورج بوش ان الحرب مع العراق ليست حتمية ولكنه لم يستبعد مع ذلك أن تبادر الولايات المتحدة بتوجيه الضربة الاولى ضد العراق. وحذر بغداد من أنها ستواجه عواقب خطيرة في حالة مساندتها لهجمات إرهابية ضد اهداف امريكية في أي منطقة من العالم. وقال الرئيس بوش في تصريحات الى الصحفيين قبيل مغادرته البيت الأبيض الى منتجع كامب ديفيد بولاية ميريلاند أنه مازال يعتقد أن اندلاع صراع مسلح مع العراق ليس أمرا محتوما.. معربا عن ثقته في أن الرئيس العراقي صدام حسين سوف يستسلم في نهاية الامر تحت ضغط عقوبات الامم المتحدة واضاف ان هذا الضغط سيأتي من احكام فرض الحظر الاقتصادي الذي يحتاج الى بعض الوقت لكي يكون مؤثرا وفعالا بشكل كامل.

وأشار الى استعداد الولايات المتحدة لاعتراض الطائرات التي تنقل شحنات تجارية الى العراق إذا ما قرر مجلس الامن الدولي فرض الحظر الجوي.

وردا على سؤال عما إذا كان من المتعذر تفادي نشوب الحرب قال بوش: " لا.. فنحن مازلنا في انتظار أن يشعر العراق بألم المقاطعة الاقتصادية" وسئل ما إذا كان هذا يعني الالتزام بعدم المبادرة بشن الحرب فقال :" لااستطيع تقديم تعهدات بعدم توجيه الضربة الاولى.. فالحالات الطارئة المحتملة كثيرة والقلق يساورنا بشأن الرعايا الامريكيين في العراق والكويت وكذلك احتمالات الارهاب".

واستطرد الرئيس الامريكي قائلا إنه يحمل صدام حسين شخصيا مسؤولية تعرض الولايات المتحدة لأي عمل ارهابي ، إلا أنه أوضح انه لايرغب من وراء هذا التحذير الايحاء بقرب نشوب نزاع مسلح."

نكتشف في النص لهجته الاستفزازية التي تطبش (توصد) الباب في وجه العراق. فالجملة من التصريح التي تبدأ باعتقاد الرئيس بوش "أن الصراع المسلح مع العراق ليس محتوما" كان يمكن اتمامها بكلمات اخرى لتصبح: "... لثقته بأن الرئيس العراقي صدام حسين سوف يستجيب لصوت العقل وللسعي نحو السلام." فمثل هذا التعبير لايحرج إنما يسهم في التئام الجرح. لكن الرئيس بوش استخدم تعابير الاثارة والتحدي التي تستنهض الكرامة لدى الرئيس العراقي لتجعله يفضل الانتحار على الاستسلام الذليل لهذا الاسلوب المهين. وهذا كان بيت القصيد. ويوجد أكثر من مرجع يشير الى أن الرئيس بوش جمع حوله العديد من المستشارين، وبعضهم من الاميركيين العرب، ليقترحوا عليه التعابير اللغوية العربية التي تثير الرئيس صدام حسين.

الفصل السابع عشر

قرارات اخرى ضد العراق

القراران ٦٦٥ و ٦٧٠ لمجلس الأمن

في ٩٠/٨/٢٣ أي بعد يوم من عودة الدكتور حمادي الى بغداد وصلت رسالة من الرئيس جورباتشوف الى الرئيس صدام حسين " تعلمه" أو " تمننه" بأن الاتحاد السوفياتي تمكن من تأجيل التصويت على القرار ٦٦٥ المطروح للبحث لمدة ٢٤ ساعة، وتطلب منه ارسال الجواب ايجابيا خلال يوم واحد مقرا بالانسحاب غير المشروط وباطلاق الرهائن. وكانت المهلة المعطاة للعراق تشبه الانذار. ولما لم يتجاوب العراق مع مطلوب الرسالة صوت الاتحاد السوفياتي مع قرار مجلس الامن وهو "مرتاح الضمير ". وهذا هو نص القرار:

" ان مجلس الامن،

إذ يشير الى قراراته ٦٦٠ (١٩٩٠) و٦٦١ (١٩٩٠) و ٦٦٢ (١٩٩٠) و ٦٦٤ (١٩٩٠).

وإذ يطالب بتنفيذها التام والفوري،

وقد قرر أن يفرض العقوبات الاقتصادية بموجب الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة، وذلك في قراره ٦٦١ (١٩٩٠)،

وتصميما منه على انهاء احتلال العراق للكويت، وهو ما يعرض للخطر وجود دولة من الاعضاء، وعلى استعادة السلطة الشرعية للكويت وسيادتها واستقلالها وسلامتها الاقليمية، مما يتطلب التنفيذ العاجل للقرارات السالفة الذكر.

وإذ يشير جزعه الشديد استمرار العراق في رفضه الامتثال للقرارات ٦٦٠ (١٩٩٠) و ٦٦١(١٩٩٠) و ٦٦٢(١٩٩٠) و٦٦٤(١٩٩٠)، وخصوصا تصرفات الحكومة العراقية التي تستخدم السفن الرافعة للعلم العراقي لتصدير النفط،

١- يطلب من تلك الاعضاء التي تتعاون مع حكومة الكويت والتي تنشر قوات بحرية في المنطقة أن تتخذ من التدابير ما يتناسب مع الظروف المحددة وحسب الضرورة في اطار سلطة مجلس الامن، لايقاف جميع عمليات الشحن البحري القادمة والخارجة بغية تفتيش حمولاتها ووجهاتها والتحقق منها ولضمان التنفيذ الصارم للاحكام المتعلقة بهذا الشحن والتي ينص عليها القرار ٦٦١(١٩٩٠)،

٢- يدعو الدول الاعضاء، بناء على ذلك، الى التعاون ، حسب اللزوم، لضمان الامتثال لاحكام القرار ٦٦١(١٩٩٠) مع استخدام التدابير السياسية والدبلوماسية، الى أقصى حد ممكن، وفقا للفقرة ١ اعلاه،

٣- يطلب من جميع الدول أن تقدم من المساعدة ما قد يلزم للدول المشار اليها في الفقرة ١ من هذا القرار وفقا للميثاق،

٤- يرجو ايضا الدول المعنية أن تنسق اعمالها الرامية لتنفيذ فقرات هذا القرار، الواردة اعلاه، على أن تستخدم بالشكل المناسب آليات لجنة الاركان العسكرية، وان تقدم بعد التشاور مع الامين العام، التقارير الى مجلس الامن ولجنته المنشأة بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠)، بهدف تسيير رصد تنفيذ ذلك القرار،

٥- يقرر أن يبقي هذه المسألة قيد نظره النشط.

وبعد تصويت الاتحاد السوفياتي في صالح القرار دعم الوزير شيفاردنازه موقف دولته منه باصدار البيان السوفياتي الفرنسي المشترك بعد يوم واحد من التصويت. ففي ختام لقاء الوزير السوفياتي مع وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما صدر عنهما البيان المشترك التالي:

" ان فرنسا والاتحاد السوفياتي اللذين يعربان عن قلقهما العميق للازمة الناجمة عن العدوان العراقي ضد الكويت الدولة السيدة والمستقلة يشيدان باعتماد مجلس الامن القرار رقم ٦٦٥ الرامي الى التطبيق الحازم للعقوبات المقررة ضد العراق.

ان هذا القرار هو شهادة جديدة على اتفاق الاعضاء الدائمين في مجلس الامن والمجتمع الدولي على أن ينهوا بأسرع وقت وضعا يشكل خرقا فاضحا للمبادئ التي تسود العلاقات بين الدول وتعريضا خطيرا للسلام والامن الدوليين.

ان الجانبين يؤكدان تمسكهما بمبدأ العمل الجماعي وفقا لميثاق الامم المتحدة بغية التوصل الى تسوية سياسية للازمة القائمةعلى اساس انسحاب القوات العراقية من الكويت وأعادة السيادة الى هذا البلد العربي.

ان الوزيرين (الفرنسي والسوفياتي) اذ يعبران عن قلقهما العميق لوضع الرعايا الاجانب في العراق والكويت رغم الموجبات التي تمليها الشرعية الدولية وحقوق الانسان يجددان طلب مجلس الامن الذي يدعو العراق الى ترك الاجانب يغادرون بحرية ودون ابطاء الى بلادهم.

ويطلبان من العراق الامتناع عن القيام بأي عمل يعوق عمل البعثات الدبلوماسية والقنصلية في الكويت ويلحق ضررا بوضع وسلامة الموظفين.

ان الاتحاد السوفياتي وفرنسا يضغطان على العراق لاثبات الواقعية والحكمة من خلال التقيد برغبة المجتمع الدولي كما عبرت عن ذلك القرارات التي اعتمدها مجلس الامن حول الازمة في الخليج.

ان الجانبين يعربان عن اقتناعهما بأن هذه الازمة تظهر مرة جديدة الضرورة الملحة للجهود المكثفة لتسوية الاوضاع الاخرى لأزمة الشرق الاوسط وخصوصا المسألة الفلسطينية، ويجددان دعمهما للعمل العربي لتسوية الازمة اللبنانية.

ويكمل مفعول القرار ٦٦٥ تكميلا محكما القرار رقم ٦٧٠ الصادر عن مجلس الامن بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٥ والذي ينص على ما يلي:

" ان مجلس الامن،

اذ يعيـــد تـــأكيد قراراتـــه ٦٦٠(١٩٩٠)، ٦٦١(١٩٩٠)، ٦٦٢(١٩٩٠)، ٦٦٤(١٩٩٠) و ٦٦٥(١٩٩٠) و٦٦٦(١٩٩٠) و٦٦٧(١٩٩٠)،

واذ يدين استمرار احتلال العراق للكويت، وعدم قيام العراق بالغاء اجراءات ضمه المزعوم واحتجازه رعايا دول ثالثة ضد رغبتهم، مما يمثل انتهاكا صارخا للقرارات ٦٦٠(١٩٩٠) و٦٦٢(١٩٩٠) و٦٦٤(١٩٩٠) و٦٦٧(١٩٩٠) وللقانون الانساني الدولي،

واذ يدين كذلك معاملة القوات العراقية للمواطنين الكويتيين، بما في ذلك اتخاذ التدابير الرامية الى ارغامهم على مغادرة بلدهم وسوء معاملة الاشخاص والممتلكات في الكويت مما يعد انتهاكا للقانون الدولي،

واذ يلاحظ بقلق بالغ المحاولات الدؤوبة للتهرب من التدابير الواردة في القرار ٦٦١(١٩٩٠)،

واذ يلاحظ كذلك أن بعض الدول حددت عدد الموظفين الدبلوماسيين والقنصليين العراقيين في بلدانها وأن دولا أخرى تعتزم القيام بذلك،

وتصميما منه على أن يضمن بجميع الوسائل اللازمة التطبيق الصارم والكامل،

وتصميما منه على ضمان احترام مقررات وأحكام المادتين ٣٥ و٤٨ من ميثاق الامم المتحدة،

واذ يؤكد أن أية اجراءات تتخذها حكومة العراق وتكون مناقضة للقرارات المذكورة اعلاه أو للمادتين ٣٥ و ٤٨ من ميثاق الامم المتحدة، من قبيل المرسوم رقم ٣٧٧ الصادر عن مجلس قيادة الثورة في العراق في ١٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٠، تعتبر لاغية،

واذ يؤكد من جديد تصميمه على ضمان الامتثال لقرارات مجلس الامن عن طريق استخدام الوسائل السياسية والدبلوماسية الى أقصى حد ممكن،

واذ يرحب باستخدام الامين العام لمساعيه الحميدة لتعزيز التوصل الى حل سلمي يستند الى قرارات مجلس الامن ذات الصلة، واذ يلاحظ مع التقدير الجهود المتواصلة التي يبذلها تحقيقا لهذا البند،

واذ يؤكد لحكومة العراق أن استمرارها في عدم الامتثال لاحكام القرارات ٦٦٠(١٩٩٠) و٦٦١(١٩٩٠) و٦٦٢(١٩٩٠) و٦٦٤(١٩٩٠) و٦٦٦(١٩٩٠) و ٦٦٧(١٩٩٠)، يمكن أن يدفع المجلس الى اتخاذ اجراءات خطيرة أخرى بموجب ميثاق الامم المتحدة، بما فيه الفصل السابع،

واذ يشير الى احكام المادة ١٠٣ من ميثاق الامم المتحدة ،

١- يطلب الى جميع الدول ان تفي بالتزاماتها لضمان الامتثال الصارم والكامل للقرار ٦٦١(١٩٩٠) ولاسيّما الفقرات ٣ و٤ و٥ منه،

٢- يؤكد ان القرار ٦٦١(١٩٩٠) ينطبق على جميع وسائل النقل بما فيها الطائرات،

٣- يقرر أنه على جميع الدول، بصرف النظر عن وجود أية حقوق يمنحها أي اتفاق دولي أو أي عقد مبرم أو أي ترخيص أو تصريح ممنوح قبل تاريخ هذا القرار، أو أية التزامات يفرضها مثل هذا الاتفاق أو العقد أو الترخيص أو التصريح، الاتسمح لأية طائرة بأن تقلع من اقليمها اذا كانت الطائرة تحمل اي شحنة الى العراق أو الكويت أو منهما، عدا الاغذية في الظروف الانسانية، وهذا بصدور اذن من المجلس أو اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠) ووفقا للقرار ٦٦٦(١٩٩٠)، أو الامدادات المقصود أن تستخدم، تحديدا، للاغراض الطبية، أو التي تخص على وجه الحصر فريق مراقبي الامم المتحدة العسكريين لايران والعراق،

٤- يقرر كذلك الاتسمح جميع الدول لاية طائرة من المقرر أن تهبط في العراق أو الكويت، ايا كانت الدولة المسجلة فيها، بالمرور فوق اقليمها ما لم:

(أ) تهبط هذه الطائرة في مطار تحدده تلك الدولة خارج العراق او الكويت، ليتسنى تفتيشها ضمانا لعدم وجود أية شحنة على متنها تمثل انتهاكا للقرار ٦٦١(١٩٩٠) أو هذا القرار، ويجوز لهذا الغرض احتجاز الطائرة لأية فترة يقتضيها الأمر،

(ب) او توافق اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠) على هذه الرحلة الجوية المعينة،

(ج) أو تأذن الامم المتحدة بهذه الرحلة بوصفها مخصصة على وجه الحصر لأغراض فريق مراقبي الامم المتحدة العكسريين لايران والعراق،

٥- يقرر أن تتخذ كل دولة جميع التدابير اللازمة لضمان أن تمتثل لأحكام القرار ٦٦١(١٩٩٠) وهذا القرار يخص أية طائرة مسجلة في اقليمها أو يشغلها متعهد يوجد مقر عمله الرئيسي أو محل اقامته الدائم في اقليمها،

٦- يقرر كذلك أن تخطر جميع الدول، في الوقت المناسب، اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠) بأية رحلة جوية بين أقليمها والعراق أو الكويت لاينطبق عليها شرط الهبوط المنصوص عليها في الفقرة ٤ أعلاه، وبالقصد من هذه الرحلة الجوية،

٧- يطلب الى جميع الدول أن تتعاون في اتخاذ ما قد يلزم من تدابير، بما يتسق مع القانون الدولي، بما في ذلك اتفاقية شيكاغو، لضمان التنفيذ الفعال لاحكام القرار ٦٦١(١٩٩٠) أو هذا القرار،

٨- يطلب الى جميع الدول أن تقوم باحتجاز أية سفن عراقية التسجيل تدخل موانئها وتستخدم أو تكون قد استخدمت بما يمثل انتهاكا للقرار ٦٦١(١٩٩٠) أو يمنع مثل هذه السفن من دخول موانئها الا في الاحوال التي يعترف، في اطار القانون الدولي، بأنها ضرورية لحماية حياة البشر،

٩- يذكر جميع الدول بالتزاماتها بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠) فيما يتعلق بتجميد الاصول العراقية، وحماية الاصول التي تمتلكها حكومة الكويت الشرعية ووكالاتها، الموجودة داخل اقليمها، وتقديم تقارير بشأن تلك الاصول الى اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١(١٩٩٠)،

١٠- يطلب الى جميع الدول أن تزود اللجنة المنشأة بموجب القرار ٦٦١ (١٩٩٠) بالمعلومات المتعلقة بالاجراءات التي تتخذها لتنفيذ الاحكام الواردة في هذا القرار،

١١- يؤكد أن على منظمة الامم المتحدة والوكالات المتخصصة وسائر المؤسسات الدولية في منظومة الامم المتحدة أن تتخذ ما قد يلزم من تدابير لتنفيذ احكام القرار ٦٦١(١٩٩٠) وهذا القرار،

١٢- يقرر، في حالة التهرب من احكام القرار ٦٦١(١٩٩٠) أو هذا القرار من قبل أحدى الدول أو مواطنيها أو من خلال اقليمها، أن ينظر في اتخاذ تدابير موجهة نحو الدولة المذكورة لمنع هذا التهرب،

١٣- يؤكد من جديد أن اتفاقية جنيف الرابعة تنطبق على الكويت، وأن العراق، بوصفه طرفا متعاقدا ساميا في الاتفاقية، يلتزم بالامتثال بالكامل لجميع احكامها وهو مسؤول بوجه خاص بموجب الاتفاقية عن الانتهاكات الجسيمة التي يرتكبها، كما يعتبر الافراد الذين يرتكبون انتهاكات جسيمة أو يأمرون بارتكابها مسؤولين عنها.

وبذلك توصل مجلس الامن الذي تحركه الولايات المتحدة كما تشاء بعد غياب كل اصحاب حق الفيتو أو لنقل بعد أن اصبحوا اضعف من أن يقفوا في وجه السياسة الاميركية الى الاطباق على كل المنافذ التي تؤدي الى العراق ما عدا الحدود البرية مع ايران وسوريا

وتركيا والمملكة العربية السعودية، وكلها مجتمعة تقف في وجه العراق بحيث لايمر منهـا ايـة سلع إلا من خلال عمليات التهريب الصعبة، بل الخطرة وغالية التكاليف.

لقد رأينا كيف قالت واشنطن لمجلس الأمن بعد ساعات من الغزو العراقي : كـن ، فكان ، واجتمع وقرر وأدان . واجتمع مجلس الأمن ايضاً مـن اجل كل قـرار يُحكم الإطبـاق على انفاس العراق . اما في مواضيع اخرى فلا يجتمع مجلس الأمن بسرعة لأن واشنطن لا ترى مصلحة لها في ذلك . وعلى سبيل المثال نشرت صحف العالم بتاريخ ١٩٩٤/٣/١ خـبراً كيف رفض وزير خارجية الولايات المتحدة اقتراحاً يدعو الى اجتماع مجلس الأمن لبحـث مـا يجري في البوسنة والهرسك من اعمال عدوانية شنيعة لا تقل في وحشيتها عن أفظع ما وصل اليه فن القتل وانتهاك الموبقات . وهذه الأعمال الوحشية لم تكن حديثة التاريخ وانما استمرت منذ اعوام ثلاثة سبقت ذلك ولم تنقطع . ورغم ذلك نسي الوجدان الاميركي والغربي القيم التي يدعي أنه حرص عليها لدى معالجته لموضوع العراق .

قرارت من الجامعة العربية

في هذه الاثناء اجتمـع مجلس الجامعـة العربيـة فـي دورة غـير عاديـة خـلال يومـي ٣١/٣٠ آب/ أغسطس صدرت عنها بعدها خمس قرارت تناولت الازمة في الخليج:

١- قرر مجلس الجامعة العربية متابعة تنفيذ قرار مؤتمر القمة رقم ١٩٥ بتاريخ ١٩٩٠/٨/١٠ والتأكيد مجددا على قرار المجلس رقم ٥٠٣٦ بتاريخ ١٩٩٠/٨/٣ وبيان منظمة المؤتمـر الاسلامي الصـادر فـي ١٩٩٠/٨/٤ وتاكيد الالتزام بقرارات مجلس الامن ومطالبة السلطات العراقية عدم المساس بالتركيبة السكانية وتغيير التقسيم الاداري وتبديل المسميات في دولة الكويت ومطالبة كافـة الـدول والمنظمـات الدوليـة والاقليمية بالامتنـاع عن القيام بأي عمل أو تعامل قد يُفسر على انه إقرار ضمني بمثل هذه الاجراءات. كما قـرر المجلس التـاكيد علـى أن أي حل عربي لأزمة الخليج، ينبغي أن يكون منبثقا من ميثـاق الجامعـة العربيـة ومستندا الـى قـرار مؤتمـر القمة العربي رقم ١٩٥ وصادرا عن مؤتمر القمة أو مجلس الجامعة ودعوة الدول الاعضاء التي قد يكون لديها مشروعات لحل الازمة التي عرضها على المجلس ليتخـذ مـايراه مناسبا فـي شـأنها. كمـا اعلـن المجلس تـأييد السكرتير العام للأمم المتحدة في مهمته الرامية الى تنفيذ قرارات مجلس الامـن، وتكليـف الامين العـام لمتابعـة اتصـالاته بالدول الاعضاء لاستطلاع مواقفها بصفة خاصة من الفقرتين ٣، ٤ (الانسحاب وعودة الشرعية) من قرار القمة العربي رقم ١٩٥ ورفع تقرير بهذا الشان الى المجلس خلال ثلاثة اسابيع واعتبـار المجلـس دورتـه غير العادية هذه في حالة انعقاد دائم.

فإذا امعنا النظر في مضمون هذا القرار لوجدنا انه يشكل تكرارا للمطالبة بتنفيـذ مـا جاء في قرارات مجلس الامن فهو يقول أن اي حـل عربـي يجـب أن يكـون منبثقـا مـن ميثـاق الجامعة العربية ومستندا الى قرار مؤتمر القمة العربي رقم ١٩٥...!. ولكن أين هو هذا الحـل العربي المزعوم؟ ألم يجر استبعاده قبل عشرين يوما من ذلك التاريخ؟. اذن فنحن نرى أن هذا

المطلب في القرارنفسه لايعدو كونه تغطية للنقطة التالية في القرار ألا وهي التأكيد على فصل العرب وعزلهم عن مجرد التفكير في حل عربي وعلىتدويل الازمة بوضع زمامها في ايدي السكرتير العام الضعيف أو المستضعف الذي لم يبد له صلابة في عموده الفقري في اية مرحلة من مراحل الازمة. وسوف نتعرض لمواقفه بتفصيل أوسع.

٢- ينص القرار الثاني الذي يخص السكان المدنيين في الكويت على مايلي:

قرر المجلس استنكار ما بدر عن السلطات العراقية من خروج على احكام القانون الدولي الانساني فيما يتعلق بمعاملة المدنيين في الكويت آلتي ترزح تحت الاحتلال العسكري العراقي، ومطالبة السلطات العراقية بضرورة توفير اقصى الحماية لكافة المدنيين الذين يوجدون في المناطق الواقعة تحت الاحتلال العراقي، ووجوب التزام السلطات العراقية بتوفير الحماية لكافة المنشآت العامة والخاصة والممتلكات الثابتة والمنقولة في الكويت واعتبار الاجراءات المنافية لهذا الالتزام لاغية ومطالبة السلطات العراقية بعدم المساس بالتركيبة السكانية للاراضي الكويتية . واعتبار ان مثل هذا العمل ينطوي على انتهاك جسيم لاحكام القانون الدولي . كما قرر المجلس تحميل العراق مسؤولية الاضرار الناجمة عن غزو الكويت و عن ممارسات القوات العراقية فيها، وتاكيد الحق المشروع للمتضررين من الكويتيين وغيرهم من رعايا مختلف الدول في الحصول على التعويضات العادلة عما اصابهم من اضرار وخسائر.

٣- يخص القرار الثالث احتجاز الرهائن فيقول:

قرر المجلس مطالبة السلطات العراقية بعدم عرقلة الحق المشروع لرعايا الدول الاخرى في كل من الكويت والعراق من المغادرة في أي وقت يشاؤون وحث السلطات العراقية على ضرورة الوفاء بالتزاماتها الدولية المقررة لرعايا الدول الاخرى بوجوب توفير الحماية المناسبة لهم وتامين سلامة ارواحهم وممتلكاتهم وتجنبهم اخطار التعرض للعمليات العسكرية وتحمل العراق المسؤولية الكاملة عن اية أضرار تصيب ارواح رعايا الدول الاخرى أو ممتلكاتهم نتيجة لاخلال السلطات العراقية بالتزاماتها الدولية في هذا الشأن.

٤- ويخص القرار الرابع البعثات الدبلوماسية والقنصلية فيقول:

قرر المجلس اعتبار قرار السلطات العراقية بانهاء عمل البعثات الدبلوماسية والقنصلية المعتمدة لدى دولة الكويت باطلا ولاغيا. وأكد على مشروعية استمرار البعثات الدبلوماسية والقنصلية المعتمدة لدى دولة الكويت في مباشرة مهامها وعلى تمتع مقارّها وأعضائها بكامل الحصانات والمزايا المقررة وفقا لاحكام القانون الدولي واتفاقيتي فيينا للعلاقات الدبلوماسية والقنصلية.

٥- ويطلب القرار الخامس من العراق الكف عن الحاق الاضرار بالسكن والسكان والأسواق والتعويض على ما حصل حتى ذلك الوقت .

وقرر المجلس استنكار ممارسات السلطات العراقية التي تنطوي على الحاق الضرر بالممتلكات العقارية والمنقولة المملوكة للحكومة الكويتية والهيئات والشركات العامة والخاصة

والمنظمات العربية والدولية وفروعها العاملة بالكويت، أو المساس بممتلكاتها وأموالها وودائعها بأي شكل أو تحويلها الى خارج الكويت.

كما قرر تحميل العراق مسؤولية التعويض عن الاضرار والخسائر الناجمة عن الغزو والاحتلال العراقي للكويت التي ادت وماتزال تؤدي الى الحاق اضرار وخسائر مادية بالمصالح الحكومية الكويتية والبنوك والهيئات والمؤسسات والشركات والاستيلاء على ممتلكاتها واموالها وودائعها أو تحويلها الى خارج الكويت. كما طالب المجلس السلطات العراقية باحترام وحماية الممتلكات الخاصة والعامة.

وبالاجمال فلا تشكل هذه القرارات سوى رجع صدى لقرارات مجلس الأمن ذات الارقام ٦٦٢ و ٦٦٤ التي صدرت من قبل بالاضافة الى المطالبة بالتعويض عن الاضرار والخسائر. وهذه المطالبة وردت في قرار مجلس الامن رقم ٦٧٤ .

الفصل الثامن عشر

إقالة الجنرال دوغان

لا نتناول حادثة تصريحات الجنرال دوغان من زاوية الأخذ بالعلم بما حصل ، كما ورد لدى بعض المؤلفين الآخرين، وانما من أجل الاستنتاج الأخير الذي استخلصناه.

في النصف الثاني من شهر ايلول /سبتمبر ١٩٩٠ صدرت عن قائد سلاح الجو الاميركي الجنرال مايكل دوغان تصريحات عسكرية شديدة الاثر اعلامياً وعليه بشكل خاص لأنها ادت الى فصله عن وظيفته بشكل غير مشرف له.

كان الجنرال دوغان قد بذل جهودا كبيرة من اجل تلميع صورة سلاح الجو الاميركي لدى الاعلام بعد أن كانت قد بلغت حدا سيئا للغاية خلال ادارة سلفه في قيادة سلاح الجو الجنرال لاري ويلش الذي كان يتشدد ويبخل تجاه الصحفيين فلا يكثر من اعطائهم ما يحتاجونه من معلومات وأخبار للسبق الصحفي عما يجري في دهاليز سلاح الجو. ومن اجل اصلاح ذات البين مع الصحافة والاعلام عكس الجنرال دوغان الآية وفتح صدره لها ومنحها ما لم يمنحه لها سلفه ومنها مقابلة طويلة استغرقت عشرة ساعات وتمت احداثها في الجو اثناء رحلته من الولايات المتحدة الى المملكة العربية السعودية في فترة ٩/١٠ ايلول/ سبتمبر. وخلال ساعات عشرة متواصلة غرف المراسلون من معين معلوماته الكثير. وشهد الحوار خمسة جنرالات من التابعين للجنرال دوغان الذي كان متحمسا لسياسة المصارحة التي يُشاع عنها انها سمة العصر فصارح محدثيه واجاب على اسئلتهم. ولكنه لم يحسن التمييز بين المصارحة وبين افشاء الاسرار لأنه تحدث بما لايتفق مع السياسة العليا للدولة. يقول ودورد عن تلك الواقعة:

" في الساعة السادسة صباحا سمع الجنرال كولن باول تقريرا من محطة سي. إن . إن حول بيانات ألقاها كبير جنرلات سلاح الجو مايكل دوغان حول خطط الحرب ضد العراق. وكان هذا التقرير مبنياً على قصة غريبة نشرت ذلك الصباح في الواشنطن بوست، فذهب باول للبحث عن جريدة البوست على عتبة الباب خارج المبنى، ولكنها لم تكن وصلت بعد، وبعد ٤٠ دقيقة وصلت الجريدة وبدأ باول بقراءة القصة المنشورة في اعلى الصفحة الاولى، وتحت عنوان "الولايات المتحدة تعتمد على الهجمات الجوية إذا اندلعت الحرب"، قرأ

باول: قادة اركان الحرب المشتركة استنتجوا بأن القوة الجوية العسكرية للولايات المتحدة، بما في ذلك حملة قصف شامل ضد بغداد، وتستهدف بشكل خاص الرئيس العراقي صدام حسين – هو الخيار الفعال الوحيد لاجبار القوات العراقية على الخروج من الكويت إذا اندلعت الحرب، طبقا لما يقوله رئيس اركان سلاح الجو الجنرال مايكل ج.دوغان.

وقرأ باول بمزيد من الدهشة بأن القادة الآخرين وكذلك الجنرال شوارزكوف شاركوا دوغان وجهة نظره بأن "القوة الجوية هي الرد الوحيد المتوفر لدى بلدنا، لتجنب حرب دموية أرضية يمكن أن تدمر الكويت".

واستمرت الصحيفة في روايتها "وقبل اسبوعين جمع مخططو الأهداف الامريكان قائمة عادية نوعا ما للاهداف العراقية، وقد تضمنت حسب الاولوية : الدفاعات الجوية العراقية والمطارات والطائرات الحربية ومواقع الصورايخ المتوسطة المدى، بما في ذلك صورايخ ارض – ارض من طراز سكود، ومراكز الاتصالات والقيادة ومصانع الذخيرة النووية والكيماوية والتشكيلات المسلحة العراقية.."

وقال دوغان : " هذه قائمة جيدة من الاهداف، وبإمكاني تقبل ما فيها ولكن هذا لايكفي"، وطلب من مخططيه ان يقابلوا الاكاديميين والصحافيين و " رموز عسكرية سابقة" والمنشقين العراقيين وأن يتوصلوا الى ما هو الشيء المتميز في الثقافة العراقية، والذي يقدرونه هؤلاء جدا. وما هو الشيء النفسي الذي يؤثر على الشعب والنظام في العراق؟ وأوضح أن الهدف هو ايجاد "مراكز جذب حيث يمكن للقوة الجوية أن تحقق ضربات مؤثرة بشكل مبكر". " [1]

لكن ودورد لم يلخص كل النقاط الهامة في الحديث الصحفي لذلك نقتبس من حمدان نقطتين إضافيتين نراهما مهمتين ايضا :

"لقد نصحتنا المصادر الاسرائيلية بأن أفضل طريقة لايذاء صدام تتمثل في استهداف اسرته وحرسه الشخصي وزوجته لأن صدام هو الشخص الاول والحاكم الفردي، الذي عندما نختار العنف يجب أن يكون محور جهودنا، وهذه هي استراتيجية عسكرية تعرف بضرب العنق"... " إن الحاجة لاستخدام القوة الارضية لاستعادة الكويت، بعد الضربات الجوية الماحقة ستكون حاجة كمالية بعد أن تكون القوات المعادية قد اصبحت اثرا بعد عين."

[1] – ودورد صفحة ٢٤٣-٢٤٤. نشير مجدداً الى الترجمة التعيسة لهذا الكتاب .

واختتم دوغان تصريحه بقوله : " اعتقد بأن الشعب الاميركي سيدعم هذه العملية اطول مما يعتقد البعض. فالشعب الاميركي سيؤيد هذه العملية طالما أن اكياس الجثث التي وعد بها صدام لن تصل الى البلاد." [٢]

لم يصدق الجنرال باول ما سمع وما قرأ إنما اتصل بوزير الدفاع تشيني ولفت نظره الى الحديث الصحفي فوجد انه لم يكن قد سمعه بعد. احضر وزير الدفاع صحيفة واشنطن بوست وقرأ التحقيق الصحفي المثير ثم طلب اليه صحيفة لوس انجلوس تايمز وقرأها ايضا ليقارن بين التحقيقين عن الموضوع ذاته فاستنتج صدق الخبر. عندئذ ثارت ثائرته واتصل بالرئيس بوش فوجد انه قرأ القصة وعلق على قراءته لها بأنها كانت حلقة من سلسلة الخدع الماكرة التي يلجأ اليها البنتاغون عادة لزعزعة الخصم ولبث الرعب في قلبه. فأجاب وزير الدفاع بالحرف:

" Unfortunatly it was not a ploy "[٣] أي "لسوء الحظ. انها لم تكن خدعة" وبعد ذلك استأذن تشيني في معاقبة الجنرال دوغان بسبب استقلاليته الفاضحة، فوافق الرئيس.

اجرى تشيني بعد ذلك عدة اتصالات مع مسؤولين عسكريين ومدنيين قياديين مستمزجاً رأيهم ومهيئا اياهم لفكرة طرد الجنرال دوغان من منصبه. ثم دعاه الى مكتبه صباح ١٩٩٠/٩/١٧ ووجه اليه قائمة التجاوزات التي ارتكبها والتي نقتبسها عن هيكل لأن تعريبه لها افضل من تعريب الآخرين لكتاب ودورد :

"١- إنك اظهرت سوء تقدير.

٢- إنك أفشيت أسرار عمليات، واعطيت ترتيب اولويات.

٣- إنك جعلت نفسك - بلا تفويض - متحدثا باسم قيادة الاركان المشتركة، وقائد مسرح العمليات.

٤- إنك أعطيت مثالا سيئاً للآخرين وبخاصة في سلاح الطيران.

٥- إنك تحدثت عن آثار الحرب بطريقة غير مسؤولة.

٦- إنك أفشيت أننا نخالف القرار بعدم القيام باغتيالات سياسية لأفراد.

٧- إنك أفشيت معلومات سرية عن حجم القوات الموجودة تحت قيادتك.

٨- إنك قللت من ادوار بقية الاسلحة (غير الطيران) في المعركة.

---

[٢] - حمدان صفحة ٣٢٧-٣٢٨

[٣] - ودورد النسخة الانكليزية الأصلية صفحة ٢٩٣

٩- إنك أفشيت أسرارا تتعلق بالسياسة والدبلوماسية، بما في ذلك أننا حصلنا على معلومات عن الاهداف من اسرائيل."

ثم سأله فيما اذا صدرت عنه تلك التجاوزات أم انها من اختلاق الصحافة. فلم يكن امام دوغان أي مجال للانكار لوجود اكثر من صحافي في الطائرة بالاضافة الى جنرالات الجو الخمسة. فاعترف بأنه مصدرها. فأعفاه وزير الدفاع من منصبه بعد أن وجه اليه التأنيب اللازم.

لفت نظرنا من حديث الوزير تشيني مع الرئيس بوش اعترافه بأن ما قاله الجنرال دوغان لم يكن خدعة إنما افشاء لأسرار. أي أن كل ما قاله الجنرال قبل قيام الحرب بأربعة شهوركان الخطة الحقيقية التي ستتبعها الولايات المتحدة في محاربه العراق والتي نفذتها فيما بعد بالحرف الواحد . فهل من شك إذن في ان الحرب كانت مرسومة سلفا والخطة لتلك الحرب ايضا ؟ ألم يكن كل الاخذ والرد خلال الشهور التي سبقت الحرب مجرد جهودٍ جبارة لاجهاض كل المحاولات المؤدية الى الحل السلمي كي تظهر الحرب على العراق في نهاية المطاف وكأنما هي السبيل الوحيد ؟ ألم يكن الأخذ والرد ستاراً يحجب قرار الولايات المتحدة تنفيذ وانجاز التخطيطات العسكرية التي كان قد تم تحضيرها النظري من قبل ؟ الا يتفق هذا الاستنتاج مع القيام بالمناورات العسكرية التي تحدث عنها رامزي وشوارزكوف وكوولي و ودورد وغيرهم والتي تمرنت عليها قوات الجيش الاميركي خلال عامي ١٩٨٩-١٩٩٠ ؟

الفصل التاسع عشر

اجتماع هلسنكي

رسالة الرئيس صدام حسين الى هلسنكي

قبل اجتماع هلسنكي الذي سوف نتطرق اليه بعد هذه النقطة مباشرة وجه الرئيس صدام حسين رسالة الى الرئيسين السوفياتي والاميركي لأنه أدرك أن موضوع الكويت سوف يشغل حيزا هاما من المباحثات. لقد أراد استباق المفاوضات قبل أن يلتقي الرئيسان ويتفقان على موقف ثابت يصعب تعديله فتتصلب الجبهات ضد العراق . ولذلك ارسل ايضاحات رآها هامة ليضعها الرئيسان في عين الاعتبار حين يجري بحث أزمة الخليج.

قبل ارسال الرسالة بأربعة أيام جرت حادثة في موسكو نريد التعرض لها بسبب الانطباع الذي تركته لدى وزيري الخارجية العراقي والسوفياتي وما صدر عن الوزير السوفياتي فيما بعد، ففي ٩٠/٩/٥ اجرى الوزير طارق عزيز مع الرئيس غورباتشوف في موسكو محادثات عن الازمة ثم اتجه الى مطار موسكو في طريق العودة الى بغداد. في المساء تحدثت جريدة التلفزيون السوفياتي "فريميا" عن المقابلات التي اجراها رئيس البلاد في ذلك اليوم ولكنها اهملت الحديث عن لقائه مع وزير الخارجية العراقي كلياً . وفي مطار موسكو القى الصحفيون على الوزير العراقي اسئلة مختلفة ثم طُرح عليه سؤال يتعلق باهمال ذكر محادثاته مع غورباتشوف على الشكل التالي: " ما رأيك باخفاء غورباتشوف المتعمد للقائه معك ؟" فاجاب الوزير بسرعة بديهة: " ربما يكون قد سقط سهوا ومع ذلك وبدون تردد لا أزال بامكاني أن أصف الاتحاد السوفياتي بالصديق المخلص لقضايا الامة العربية."

يلقي هذا الجواب ضوءا شاحبا على مباحثات ذلك اليوم ولكننا لانريد الوقوف عند هذه النقطة إنما عند سؤال الصحفي الاستفزازي لنتساءل:

- ألم يتعمد الصحفي نسب اخفاء الخبر الى الرئيس غورباتشوف للتقليل من شأن العراق ولتوجيه اهانة مستورة اليه بهدف استثارته ؟.
- ألم يرغب الاتحاد السوفياتي من وراء اخفاء الخبر وابراز السؤال الاستفزازي اشعار الاميركيين بمدى استعداده للسير معهم على حساب الأزمة ؟.

وعلى كل حال فقد صرح وزير الخارجية السوفياتي بعد عدة ساعات من الحادثة الى الصحافة العالمية مندداً بالعراق بلهجة حاقدة إذ قال: " إن الاسرة الدولية لايمكنها أن تتغاضى عن انظمة القرصنة في العالم".[1]

لاشك في أن شيفرنادزة اغتاظ من جواب الوزير العراقي فاتخذها فرصة لارسال الاشارة الاستسلامية الى واشنطن مع العلم بأنه لايجوز له التكلم باسم الاسرة الدولية.

ونأتي الآن الى مضمون رسالة الرئيس صدام الى هلسنكي فقد كتب:[2]

" من صدام حسين الى الرئيسين ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش..

السلام عليكم..

تجتمعان اليوم التاسع من أيلول عام ١٩٩٠ م المصادف ١٩ صفر ١٤١١هـ . عندما ينعقد اجتماعكما سيتابعه العالم باهتمام غير عادي ومنهم شعوب المنطقة التي شرفنا الله بأن نكون جزءا من أمة فيها هي أمة العرب التي شرفها الله بأن تكون مهد الأنبياء والرسالات على مر الازمان.

وإنني لا أقول لكما ولا ألتمس أحدا منكما ما يقرر لأن كلا منكما يملك إرادته ويملك حرية التقرير وفق ما حباه أو أراده الله له من عقل وعلى الطريقة التي تشكل فيها وعليها ضمير كل منكما..

ولكنني وبعد الاتكال على الله القادر العظيم أقول.. عليكما وقبل أن تقررا ما تقررانه أن يتذكر من تنفعه الذكرى منكما ما يلي:

١- إن العراق لم يغز بجيوشه ايا من بلديكما وليس في نيته المسبقة أن يلحق أذى بكائن من كان من الناس والدول وبالمصالح المشروعة، وإنما هو دولة تحب السلام القائم على العدل والانصاف، وتحترم خيارات الانسانية كلا حسب اجتهاده وحسب ما يرضي الله والناس.. في الوقت الذي يتوكل العراق شعبا وقيادة على الله الواحد الأحد ويعمل بما يرضي الله وبما يهديه اليه كاختيار لابد منه لبناء مقتضيات وطنيته وشرف انتمائه القومي والانساني المؤمن وأمنه وسعادة الناس الذين رتب الله لهم حقوقا قرر إيصالها بكتاب بل وبكتب معلومة الى الانسانية كافة وعن طريق أنبيائه على التوالي.

٢- إن الكعبة التي تحتل أرض دولتها جيوش الامريكان ومن سولت لهم أنفسهم بالسوء هذه الفعلة الفاجرة قد حاول قبل ما يزيد على ألف واربعمائة سنة أن يحتلها ويحتل أرضها أبرهة الحبشي الذي أغواه الشيطان وزين له قدرة التسلط والتوسع فغضب الله عليه وهزمه شر هزيمة فعاد منكس الرأس والأعلام، ولم يجرؤ بعد ذلك أن يرسل جيشه أو يتجرأ على الكعبة.

٣- قبل أن يتخذ أي منكما القرار الذي يتخذه حول الكويت عليكما أن تتذكرا أن أمة العرب هي أمة واحدة وإن تجزأت الى ما هي عليه، وأن هذه الحقيقة لاينكرها حكامها وقادتها ولاشعبها وأبناؤها. وأن الكثرة الساحقة من ابنائها حكاما وشعوبا يتشرفون بكونهم جزءا من هذه الامة العظيمة وأنهم يتشوقون الى أن يكونوا كيانا سياسيا واحدا مهما كانت خصوصية هذا أو ذاك من أقطارهم.

---

[1] – حمدان حمدان صفحة ٣١٤

[2] – اقتبسنا النص من حمدان صفحة ٣١٧ – ٣٢٠ . وهو ناقص. والنص الكامل موجود في " الموسوعة " صفحة ١٥٥ – ١٥٧

وأن الكويت جزء من العراق الى وقت ليس بعيدا وأن شعب الكويت جزء من شعب العراق وان الاستعمار البريطاني قد فصله عن العراق لأسباب واغراض استعمارية وأن العراق لم يسلم بهذا الإجراء حتى في عام ١٩٥٨ عندما كان رئيس وزراء العراق نوري السعيد الذي هو صديق للغرب وانكلترا صاحبة هذا القرار الاستعماري المقيت.. وأن رئيس حكومة العراق عبد الكريم قاسم الذي كان صديقا للاتحاد السوفيتي قد اتخذ في عام ١٩٦١ نفس القرار الذي اتخذناه الآن.

إن محاولة البعض لإعادة الامور الى ما كانت عليه قبل ٩٠/٨/٢ هي محاولات غير عملية وعقيمة فضلا عن انها محاولات يقصد منها الدفع باتجاه عدم استقرار المنطقة، بل التآمر المسبق على الامة العربية وفي مقدمة ذلك العراق الأبي.

وعلى اساس هذه الحقائق وبغض النظر عن اتفاق أو اختلاف وجهات النظر بين هذا أو ذاك من أبناء الوطن العربي أو الاجانب فالواجب في هذه المرحلة يقتضي أن تستذكروا هذه الحقائق، وأن توطنا النفس على أن هذا الذي نقوله لكما اليوم هو حقائق الوطن العربي والأمة العربية وليس اختراعا أو مجرد حجة لتبرير أو غطاء لمآرب مختلف عليها.

٤- إذا ما أدخلكما البحث مدخل حامي حمى قرارات المنظمة الدولية فعليكما أن تتذكرا بأن المنظمة الدولية قد اتخذت قبل القرارات التي تخص العراق قرارات كثيرة منذ تشكيلها، ومن بين تلك القرارات قرارات تخص قضايا عربية وأطرافها بعضهم عرب وآخرون أجانب، وفي مقدمة هذه القضايا قضية شعب فلسطين الصابر المبتلى وشعب الجولان، ورغم أن تلك القرارات كانت قد اتخذت في وضع يسوده نوع من التوازن على مستوى القوى الدولية العظمى والكبرى، ولم يكن الحال الذي كنا فيه مماثلا له الآن، فلم يسبق لمجلس الامن أن أتخذ فيه هذه القرارات المستعجلة والمنفعلة، ولم تكن قراراته على هذا المستوى من القسوة والإجحاف مما يفضح معه وجود الغرض المسبق.

٥- قد يكون الذي يبرز أمامكما في معالجاتكم عندما تلتقيان فقط هو العراق الذي لايزيد شعبه على ثمانية عشر مليونا، والذي هو دولة من بلدان العالم الثالث الذي يفصلكما عن مستوى تطوره عالمان وأنكما من العالم الاول الذي يتفوق في الميدانين المدني والعسكري، فإذا كان هذا الذي يبرز أمامكما سيدفعكما الى اتخاذ قرارات تعيد اليكما جانبا من الشعور بالمسؤولية التي تجنب منطقتنا شر الحروب وما تجره من مآسي، فالخير فيما يختاره الله وعسى أن يدخل الرحمن ضوء ايمان الى القلوب القاسية لتأخذ طريق الهدى والصلاح والإنسانية في تصرفاتها وخاصة قلب بوش.

٦ - إن موقف أي منكما أيها الرئيسان ميخائيل غورباتشوف وجورج بوش سيثبت وهو يتخذ قراراته في اجتماعكما هذا مكانة بلاده ودرجة ثقلها في الانسانية وربما جانبا أساسيا من مصيرها على مدى بعيد، وأجزم بأن الذي يشتط في فكره وعمله عن الموضع الصحيح سوف يهبط ببلده درجة أو درجات في سلم ما يسجل عليها وفي سلم ودرجة مكانتها، وعلى من يمثل الاتحاد السوفيتي أن يتذكر أن الهواجس والشكوك في درجة الدولة العظمى والاتحاد السوفيتي قد راودت كل سياسيي العالم منذ زمن وخاصة بعد أن راحت الولايات المتحدة الامريكية تنفرد بالعالم وتتجبر من غير أن تظهر الذي كان يظهر في السابق ليهديها الى الطريق الأكثر توازنا في الخلق والمسير، فعلى من يعنيهم الأمر أن يختاروا هذا الوقت الحاسم ومن خلال هذه القضية الحاسمة ليعيدوا الاعتبار للاتحاد السوفيتي بموقف يحاكي ما هو حق وعادل ومنصف وأن يرفض الحالة

الانتقالية التي تدفع اليها الولايات المتحدة الامريكية لتبتعد عن الحل العادل لقضايا المنطقة ككل وفق الاسس التي وردت في مبادرتنا في ١٩٩٠/٨/١٢، وعلى الرئيس بوش الآن ألا يهبط أكثر بدرجة بلاده ومكانتها، لأننا نجزم بأن مكانتها ستهبط عن موضعها في سلم التقدير والتأثير إذا ما انزلقت الى هاوية الحرب وبقيت جيوشها وجيوش حلفائها على أرض مقدساتنا وبقي الحصار الظالم الذي منع عن شعب العراق حتى الغذاء والدواء ومنع عن أطفال العراق الحليب الذي يحتاجونه، وسيكون الله على المعتدي وستتساقط رؤوس الخونة والله أكبر ."

عبد الله المؤمن

صدام حسين

مناقشة الرسالة

لو حللنا مضمون الرسالة لوجدناها تجنح الى اسلاميات لانعتقدها تصلح لاقناع رئيس دولة ملحد وآخر يرتكب من الآثام الجماعية ما يفوق مستوى الالحاد، وخاصة في وقت يستغل فيه العالم الغربي الاصولية الاسلامية اشنع استغلال من اجل ضرب المصالح في الوطن العربي. ويذكرنا اسلوب المخاطبة في السطر الأول من الرسالة برسائل الخلفاء الأوائل الى ملوك الدول الأخرى. لذلك نرى أن الرسالة أكثر صلاحية للجماهير العربية ولعواطفهم منها الى الرئيسين اللذين لن يندفعا بعد قراءتهما للرسالة الى الهدف الذي يرجوه منها الرئيس صدام. ويورد الرئيس العراقي في ما يشبه مرافعة تاريخية تبريرات لغزوه للكويت لا يقبلها معظم العرب . فكيف يتوقع ان يتقبلها منه أحفاد رجالات الامبريالية الذين قسّموا الوطن العربي ؟

ويطلب الرئيس صدام من الرئيسين أن يتذكروا أن الامة العربية هي واحدة. وهذا صحيح بالطبع! ولكن من هي الدولة الغربية أو الشرقية التي ترتاح لسماع تعابير تطالب بالوحدة العربية؟ ألم تؤكد لنا احداث التاريخ وكتابات الوزير الانسان شفينمان حرص أوربا على استمرار تفتت المجتمعات العربية وعلى منعها من الوحدة ومن التقدم؟. ويوضح الرئيس العراقي أن الاستعمار هو الذي بتر الكويت عن العراق. ولكن هل كانت هذه الفكرة غائبة عن انظار الرئيسين في اي لحظة من اللحظات؟.

ثم يقول الرئيس صدام ما مفاده عدم استجابة العراق لأية خطوة تدعو الى عودة الشرعية السابقة الى الكويت ويسمي مثل هذه المحاولات عقيمة وغير عملية ومؤدية الى عدم استقرار المنطقة لأنها "تآمر على العراق الابيّ."

نحن لانشك في اباء شعب العراق ولا بصلابة الرئيس صدام حسين ولكننا نتساءل: هل هذا هو الوضع والموضع الذي يحسن فيه ايراد موضوع الإباء؟..

هذا ولاتنسى الرسالة تذكير "من يمثل الشعب السوفياتي " بتدهور قوته العظمى محاولا استثارته واستنهاضه ضد تجبر الولايات المتحدة على العالم وضد محاولاتها للاستفراد بالعالم أجمع.ولكن هل يفيد تذكيره بالأزمة الخانقة التي يعاني منها وبانهيار عظمته في تزايد تعاطفه مع العراق ؟

لاشك في أن الرسالة جيدة في مضمونها من حيث المبدأ ولكنها فاشلة في مفعولها وخاصة انها أصرّت إصراراً عجيباً على عدم التراجع ولم تتعرض الى استعداد العراق للتفاوض، هذا التفاوض الذي تحرص الولايات المتحدة ايضا على عدم حصوله ليتحقق هدفها بإشعال الحرب ضد العراق.

المذكرة الختامية للرئيسين في هلسنكي

كان الاتحاد السوفياتي غاطسا حتى الاذنين في الكارثة التموينية التي نتجت عن سياسة الاصلاح التي تهدف الى العودة الى الاقتصاد الحر بعد فشل النظام الشيوعي وبعد تآكله من الداخل وانهياره. وكانت حاجته الى المساعدات الغربية ماسة جعلته يستجيب للضغوط وللشروط . وفي هذه الظروف الصعبة بالنسبة للاتحاد السوفياتي تم اجتماع هلسنكي بتاريخ ١٩٩٠/٩/٩.

نحن نرى أن الدوافع التي دفعت كلا من الرئيسين الى هلسنكي شديدة التباين. فالرئيس غورباتشوف انطلق الى هناك ليقدم الى اميركا المزيد من التنازلات مبدياً استعداده لتخفيض الاسلحة طمعا بالحصول على المساعدات والتسهيلات بأسرع وقت وبأكبر حجم ممكن . ولو شئنا الواقع لوجدنا الاتحاد السوفياتي صار يستجدي الولايات المتحدة وقف مباريات التسلح الذي حطّم العمود الفقري لاقتصاده. أما الرئيس الاميركي فقد سعى نحو هلسنكي لكي يبتز الاتحاد السوفياتي ليضمن التزامه بخط التشدد الاميركي ضد العراق. نعم إننا نرى أن موضوع خفض السلاح لم يؤد الى انشراح وسعادة الولايات المتحدة لأن شركات صناعات السلاح من طائرات الى صواريخ الى الكترونيات الى ارضيات لن تزدهر وتترعرع وتتطور نحو الافضل إلا إذا كان هناك خطر شيوعي عملاق يبرر تمويل الابحاث والتجارب ثم الانتاج . بينما نجد أن خفض التسلح يخدم الاتحاد السوفياتي الذي سوف يستطيع استخدام الاموال التي يوفرها في قطاع السلاح الخاسر في قطاعات الاستهلاك والاستثمار المجدي. نعم ! لقد كانت الولايات المتحدة توافق على خفض التسلح على مضض. أما الاتحاد السوفياتي فعن حاجة ماسة. في هذه الظروف تمت مفاوضات هلسنكي حيث استجاب الاتحاد السوفياتي الى الرغبات والضغوط الاميركية. فلو القينا نظرة متفحصة على البيان المشترك الذي اصدره

الرئيسان للمسنا الانصياع السوفياتي واستسلامه للولايات المتحدة التي تمكنت من وضعه حيث هي تريد. يقول البيان:

" بالنظر للغزو العراقي للكويت واستمرار الاحتلال العسكري لها فإن الرئيسين غورباتشوف وبوش يصدران البيان التالي:

إننا متحدان في الاعتقاد بضرورة عدم التسامح إزاء العدوان العراقي وبعدم امكانية إيجاد نظام دولي سلمي إذا تمكنت دول كبيرة من ابتلاع الدول المجاورة لها الأصغر حجما. وأننا نؤكد من جديد البيان المشترك الصادر عن وزيري خارجيتنا في الثالث من أغسطس عام ١٩٩٠ ودعمنا لقرارات مجلس الامن الدولي ٦٦٠ و ٦٦١ و٦٦٢ و٦٦٤ و٦٦٥ . واليوم فإننا ندعو الحكومة العراقية من جديد الى الانسحاب غير المشروط من الكويت والسماح بإعادة الحكومة الكويتية الشرعية الى السلطة والإفراج عن جميع الرهائن المحتجزين حاليا في العراق والكويت. ولن يقبل أي شيء يقل عن التنفيذ التام لقرارات مجلس الامن الدولي، ولايمكن لشيء يقل عن إعادة الوضع في الكويت الى ما كان عليه قبل الثاني من أغسطس الماضي أن يلغي عزلة العراق.. وإننا ندعو المجتمع الدولي بأسره الى التقيد بالعقوبات التي فرضتها الأمم المتحدة على العراق ونتعهد بالعمل منفردين ومجتمعين لضمان التقيد الكامل بتلك العقوبات.

وفي الوقت ذاته فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي تعترفان بأن قرار مجلس الأمن الدولي (رقم ٦٦١) يسمح لظروف إنسانية باستيراد العراق والكويت مواد غذائية، وستتقدم لجنة العقوبات الى المجلس بشأن الظروف التي تعتبر انسانية. كما أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي متفقان على أن استيراد أي مواد غذائية يجب أن يخضع لمراقبة مشددة من الوكالات المختصة لضمان عدم وصول المواد الغذائية الى غير الأشخاص المرسلة اليهم مع إعطاء أولوية خاصة لتلبية احتياجات الأطفال.

إننا نفضل حل الازمة حلا سلميا، وسنقف متحدين ضد العدوان العراقي ما دامت الازمة قائمة. غير أننا مصممان على التأكد من إنهاء هذا العدوان. وإذا فشلت الامم المتحدة في انهائه فإننا مستعدان للنظر في خطوات اضافية تتماشى مع ميثاق الامم المتحدة .

وحالما يتم تنفيذ القرارات التي حددتها قرارات مجلس الامن المذكورة آنفا وطالما نظهر أن العدوان لايجدي فإن الرئيسين سيوعزان الى وزيري خارجيتهما بالعمل مع دول المنطقة وخارجها لاتخاذ إجراءات وإيجاد تنظيمات إقليمية أمنية لتعزيز السلام والاستقرار.

ومن الضروري العمل بفعالية لحل جميع النزاعات المتبقية في الشرق الاوسط ومنطقة الخليج وسيواصل الجانبان التشاور مع بعضهما والمبادرة الى اتخاذ إجراءات المتابعة لتنفيذ هذه الأهداف الموسعة في الوقت المناسب."

إن العنف والحزم يشعان بقوة من هذا النص بحيث لايجوز للعراق أن يكون قد غفل عنه. بالطبع كان العراق يحسب حسابا لاصدقاء أقوياء له في صفوف العسكريتاريا السوفياتية وفي صفوف " الحرس القديم "في الدبلوماسية الروسية. ولاشك في توفر اعداد كبيرة من الشعب تمثلها فئات ضاغطة تندد بتخلي الاتحاد السوفياتي الذليل عن مواقعه المتينة في انحاء العالم عموما وفي منطقة الشرق الاوسط وبالعراق بشكل خاص الذي تربطه بالاتحاد

السوفيايتي اتفاقية صداقة تلزم الطرفين بالتعاون المتبادل حين وقوع اي أزمة. ولا شك في ان مضمون الفقرتين الأخيرتين من البيان اللتين تتحدثان عن حل النزاعات الأخرى في الشرق الأوسط قد ادرج بناء على اصرار سوفياتي . ولقد تمكن الأميركيون من تقليم كل اظافر الفقرتين لكيلا يجد العراق فيها وعدا ملزما يُسهل عليه اتخاذ قرار بالانسحاب .

ومما يُلفت النظر في البيان استعداد الدولتين للقيام بخطوات إضافية ضد العراق إذا فشلت الأمم المتحدة في إنهاء الغزو!. صحيح أن اللجوء الى الخطوات الإضافية يخضع للتماشي مع ميثاقها. ولكن هناك تناقض واضح. فكيف يُمكن الإستناد على الميثاق إن كان الممثل الشرعي لهذا الميثاق قد فشل في إنهاء الغزو؟

الفصل العشرون

نشاطات الوسيط بريماكوف

يقول يفجيني بريماكوف في كتابه " مهمات في بغداد " أن الاتحاد السوفياتي تعمد عدم بذل محاولات أو مبادرات سلمية لتجنب الحرب خلال الاسابيع الاولى من الازمة لكي يترك للدول العربية المجال للوصول الى حل من داخل الصف العربي. ولما لم يلمح أي نجاح للوساطات العربية قرر التدخل بمبادرة من طرفه إذ كلفه الرئيس غورباتشوف بزيارة بغداد لمحاولة التوسط وللحصول على موافقة العراق على عودة الخبراء السوفيات الى بلادهم .

زيارة الى بغداد :

في ٤/١٠/٩٠ غادر بريماكوف عمان الى بغداد حيث استقبله الوزير طارق عزيز وتحادث معه قبل أن يلتقي مع الرئيس صدام حسين. وفيما يلي نوجز ما كتبه بريماكوف عن حواره مع الوزير طارق عزيز لننتقل بعد ذلك الى لقائه مع الرئيس صدام . يشعرنا بريماكوف بالضيق الذي اصابه من الوزير العراقي فيقول أن الحديث المطول والممل للوزير العراقي " تمكن من أن يجعله يشعر بالاستياء". فقد افتتح الوزير العراقي الحوار بما يشبه محاضرة مطولة وملحاحة للبرهنة على أن الكويت هي جزء من العراق تاريخيا وسياسيا واقتصاديا. ثم انتقل الى موضوع العلاقات العربية العربية شاكيا له الاذى وقلة الوفاء الذي يصيب العراق منها. ثم حاول القاء اللوم على الاتحاد السوفياتي الذي لم يتصرف كما يجب تجاه الازمة بالرغم من المعاهدة التي تربط بين البلدين فأجابه بريماكوف على هذه النقطة على الفور قائلا له: " لماذا أغفلتم أنتم كطرف ثان في المعاهدة ابلاغ موسكو بنواياكم ثم بقراركم غزو الكويت؟ " لاشك بوجاهة جواب بريماكوف لأنه ينبغي على الشريك الذي يريد حشر قرينه وشريكه في مغامرة ضخمة الأبعاد أن يعلمه مسبقا عن نواياه ليحسب الشريك حسابه وليدلي بوجهة نظره وليأخذ حذره، إذ لايجوز أن يورطه فيما لاعلم له به بوضعه فجاة أمام أمر واقع لاناقة له فيه ولاجمل.

وتحدث بريماكوف مع الوزير العراقي عن الخبراء السوفيات وضرورة السماح لهم بمغادرة العراق بعد أن كانت بغداد قد تمنعت عن ذلك من قبل.

ومما اثار انتباهنا اشارة بريماكوف الى وجود تباين بين موقف الوزير طارق عزيز حين يتحدث في حضور عراقيين آخرين يفهمون ما يجري امامهم من حديث وبين موقفه حين يكون معه على انفراد. ويكتب عن ذلك:

" أسهب طارق عزيز في اطراء سياسة صدام حسين من دون تقديم أجوبة ملموسة على اسئلتنا. وفي المساء قادنا الى النادي في سيارته. كان من الواضح أن السائق والحارس لايفهمان الانجليزية وهكذا عاد طارق عزيز ليصبح الرجل الذي عرفته في السابق. أحسست بذلك من طريقته في الاجابة على اسئلتي المتعلقة بالرهائن الأجانب"

ثم يتابع بريماكوف فيقول:

" عندما ناقشنا، أنا وايغور بيلوسوف أمر الرهائن مع طارق عزيز حين كنا في النادي اعتصم بالصمت. ولما عدنا الى الموضوع نفسه في السيارة اجابنا: " أنا لست راضيا عن هذه الحالة"." [١]

فهل للإنفصام في تصرفات الوزير العراقي رصيد على ارض الواقع ام كان ذلك مجرد صدفة ؟

في ٩٠/١٠/٥ تم لقاء الموفد السوفياتي مع الرئيس صدام وتم الاتفاق معه على جدول للسماح بعودة الخبراء الى بلادهم. ثم تناول الرئيس صدام موضوع تبعية الكويت الى الوطن الام، وعدّد النقاط التي يشكو منها العراق من تصرفات دول الخليج ووجه اليهم العديد من الاتهامات التي يرى فيها بريماكوف قدرا من الحقيقة "وقدرا من الاختلاق العائد الى مخيلة ارتيابية مهتاجة". ويتابع بريماكوف وصف مجرى الحديث الذي نقتبسه منه لأنه يشمل أفكارا لم نواجهها في مصادر أخرى. فقد طرح بريماكوف على الرئيس صدام السؤال التالي:

" – ألا تعتقدون أنكم، مثل الاسرائيلين، ضحية "عقدة ماسادا"؟

(....ماسادا، هذه القلعة الاخيرة التي سقطت في الحرب بين اليهود والرومان في القرن الميلادي الأول والتي فضل المدافعون عنها الموت على الاستسلام بعدما فهموا أن وضعهم ميؤوس منه).

أجابني صدام موافقا بهزة من رأسه.

– أعمالكم نابعة، إذا، من منطلق المحكوم عليه ؟

بدا لي صدام يوافق ولو أنه لم يجب.

---

[١]– بريماكوف صفحة ٤٨

ناقشنا بعد ذلك النتائج المحتملة لرفض سحب القوات العراقية من الكويت، وفي ردات الفعل التي اثارتها أزمة الخليج في العالم. كنت أرغب كثيرا اثارة هذين الموضوعين لأني كنت أحس أن صدام حسين قد لايكون ممتلكا للمعلومات الضرورية.

الواضح أن المعلومات التي تعجبه هي التي تعرض عليه أولا، تظاهرات الدعم للعراق في العالم العربي، التظاهرات السلمية في الغرب، علامات التصدع الأولى في التحالف المعادي للعراق. من المجازفة بمكان تقديم الاخبار السيئة إليه، فالإقدام على ذلك يمكن أن يستدر غضبه. ما من أحد، من المحيطين به، في مأمن، ان لم يكن من العقاب فعلى الأقل من " برودة" القائد حياله.

عرضنا لصدام رأينا في طابع الحرب التي تنتظره اذا لم ينسحب من الكويت، ففي اثناء الحرب مع ايران كان العراق يتحكم بالسماء ويملك تفوقا تقنيا على الارض، اما في حال نزاع مع التحالف الدولي، الذي تشكل القوات المسلحة الاميركية نواته، فالوضع سيكون معكوسا تماما. ستكون سيطرة التحالف على الاجواء واضحة مثل تفوقها التقني - العسكري على العراق. قدم ايغور بيلوسوف، خبير قضايا التقنية العسكرية، حججا وازنة حول كل من هذه النقاط.

لفتنا نظر صدام حسين أيضا الى العزلة العميقة التي تحيط بالعراق حيال المجتمع الدولي بفعل احتلاله للكويت. وكان جو الدورة العادية للأمم المتحدة يشهد على ذلك بسطوع.

طلبت، بعد ذلك، من صدام حسين أن يستمر لقاؤنا على انفراد. سألني:

- هل يزعجك أن يبقى طارق عزيز من الجانب العراقي؟

بقيت مصحوبا بكيربيتشنكو الذي يعرف اللغة العربية جيدا والذي يعتبر أحد أفضل اختصاصي الجيل السوفياتي الجديد بالعالم العربي. تولى الترجمة.

باشرت كلامي دون ابطاء:

- إذا لم تسحبوا قواتكم من الكويت ستقع الحرب. لاوجود لأدنى شك في ذلك، أنا لم آت الى هنا لمحاولة التأثير عليكم. ولكنكم لاتملكون وسيلة أخرى للخروج غير سحب قواتكم من الكويت.

كان جواب صدام حسين ملتبسا.

فمن جهة، قال لي:

- في حال المواجهة سأستخدم كل ما في حوزتي وسأمد حريق الحرب الى بلدان أخرى وبخاصة اسرائيل.

وأضاف:

– إذا لم يكن أمامي من خيار إلا الركوع والاستسلام أو القتال. سأختار الحل الثاني.

استطرد مقدما الملاحظة التالية التي أنقلها حرفيا:

– لأنـي شخص واقعي فأنا أعرف أنه بالامكان التوصل الى سحب القوات في ظروف معينة. لكني لاأستطيع أن أفعل ذلك ما لم يرتبط هذا الانسحاب من الكويت. وبشكل وثيق، بحل المشاكل الأخرى في المنطقة. هذا ما قلته في الثاني من آب (أغسطس).

ثم ألمح صدام الى مسألة انسحاب قواته من الكويت باشارة غير مباشرة:

– عليكم ان تفهموا أمرا، إذا كنت تخليت في ١٥ آب (أغسطس) عن ثمار ثماني سنوات من الحرب مع ايران وعدت الى الوضع السابق، فإن الشعب العراقي لن يغفر لي انسحابا غير مشروط من الكويت. سيسألني: "والمنفذ على البحر؟".

رددت عليه:

– إذا كان الشعب العراقي قد وافق، من دون شرط، على التخلي عن مكتسبات الحرب الدموية ضد ايران، فإنه سيقبل ايضا القرارات التي تتخذونها في مسألة الكويت.

أضفت:

– إن "الحزام البشري" المزعوم المتشكل من رهائن أجانب والموجود فوق أهداف عسكرية أو غيرها، لن يمنع الاميركيين من الهجوم إذا رفضتم سحب قواتكم من الكويت. بمثل هذه الاساليب تضعون العالم كله، نهائيا، ضدكم.

لم يجب صدام بكلمة ولكنه استغرق، لفترة، في التفكير."[٢]

اجتذب نظرنا من هذا الاقتباس بشكل خاص العزلة التي تُفرض على الرئيس العراقي من قبل الحاشية التي تستطيع الوصول اليه. فهم يحجبون عنه ما لايحب سماعه ويطنبون في الاخبار التي يرتاح اليها. هذا ما يقوله بريماكوف. ولكننا لانستطيع التوقف عند هذا الحد إنما نتساءل: هل كان الرئيس صدام خاضعا أو مسيرا من قبل تلك الحاشية؟ ألم تصدر تصرفاته وردود فعله استنادا على ما يتجمع لديه من معلومات وأخبار تصله عن طريقهم؟. ولانطرح هذا السؤال على الرئيس العراقي فقط إنما على كل الحكام العرب وغير العرب من الذين يضعون بينهم وبين الآراء الحرة تلك " الجدران " المغرضة. فكلما ازدادت شفافية هذه الحجب البغيضة كلما ازداد علم الحكام بحقائق ما يجري في صفوف الرعية وفي السياسة العالمية مما يصحح قراراتهم ويسدد خطاهم .

---

٢ – بريماكوف صفحة ٥٥-٥٧

ونعود الى ما اقتبسناه من بريماكوف لنستنتج انه لم يطلب من الرئيس العراقي الا الحد الادنى من التنازلات التي لو استجاب لها في حينها لأصيبت الولايات المتحدة بالحرج الذي سيؤثر على مخططاتها ويعرقل حساباتها قبل أن تقوم بالعدوان على العراق. لكن القيادة العراقية لم تقدر الموقف حق قدره ولم تتجاوب بأكثر من الاعلان عن عزمها بمتابعة الاتصالات مع موسكو.

لكن ما قرأناه في مذكرات بريماكوف لم يشمل كل النقاط الهامة عن لقائه مع الرئيس صدام. فقد وجدنا لدى هيكل نقاطا اخرى لم يتعرض لها بريماكوف باسهاب. وهي توضح ما بقي مستورا أو مبتورا لديه. فلدى هيكل جاء ما يلي عن زيارة بريماكوف :

"وفي المساء توجه "بريماكوف" الى لقاء الرئيس "صدام حسين" وكانت رسالته الاولى من الرئيس "جورباتشوف" : "إن الموقف خطير، وسوف يزداد خطورة إذا لم يبادر العراق الى الانسحاب من الكويت سريعا".

ورد عليه الرئيس العراقي بقوله:

" إنك تطلب مني أن أعلن الانسحاب، وكأن هذه الكلمة هي الكلمة السحرية التي يمكن أن تحل كل المشاكل دفعة واحدة، وانا لن أقول هذه الكلمة بهذه البساطة".

ثم واصل الرئيس العراقي كلامه للمبعوث السوفيتي قائلا:

- " وحتى لو انسحبنا من الكويت، فإن ذلك لن يكون كافيا لجعل الامريكان يشعرون بالرضا، وانتم ليست لديكم ضمانات تقدمونها لنا ضد أي هجوم أمريكي."

وعندما راح "بريماكوف" يلح، قال له الرئيس "صدام حسين" :

- لنفرض أنني قلت هذه الكلمة السحرية، ما الذي يمكن أن تعطونه للعراق من ضمانات".

ثم وجه اليه ثلاثة أسئلة محددة:

- ما هي الضمانات التي يمكن أن تقدموها للعراق ولأمنه؟
- ما هي الضمانات التي يمكن أن تقدموها للنظام في العراق ولأمنه؟
- ما هي الضمانات التي يمكن أن تقدموها لتسوية إقليمية لقضايا المنطقة، وبالذات للفلسطينيين في الأرض المحتلة؟.

ورد "بريماكوف" بأنه "يخشى من ربط عضوي بين الانسحاب والضمانات، مما يجعل الرئيس "بوش" يفسر طلب الضمانات وكأنه شروط مسبقة للإنسحاب." - ثم أضاف "بريماكوف" إنه يخشى من إثارة موضوع الضمانات الان حتى لايفسرها الغرب باعتبارها

خدعة يقصد بها العراق أن يدخل في مفاوضات مع الولايات المتحدة، وهو أمر أعلن الرئيس "بوش" رفضه له، كما أن الكونجرس والرأي العام سوف يمنعانه من القبول به على فرض أنه كان مستعدا لذلك."

ورد الرئيس "صدام حسين" بقوله إن المشكلة – في رأيه – هي " أن الأمريكان مصممون على تدمير العراق".

وقال "بريماكوف" :

– "لنفرض أن ذلك هدفهم فعلا، فإن انسحابا عراقيا من الكويت سوف يقيد يد الرئيس "بوش" لأنه سيجعل الولايات المتحدة في وضع من يقبل على الحرب دون سبب."

وكان تعليق الرئيس "صدام حسين" :

– "إنه يشك في ذلك". " [3]

بالرغم من أن هيكل لايوثق مصدر ما جاء به الاقتباس المذكور اعلاه نميل الى تصديقه تماما. فالمضمون منطقي جدا ويفرض نفسه فرضا. إذ لا يعقل أن يتحدث الرئيس صدام عن الانسحاب دون أن يحاول وضع شروط تحمي ظهر الانسحاب. وهذا يدل على أن بريماكوف لم يذكر في مذكراته دوماً كل ما كان يحصل. ومما لم يذكره بريماكوف انه بعد خروجه من اللقاء المذكور تناول طعام العشاء مع الرئيس ياسر عرفات حيث عبر له عن عدم ارتياحه لنتائج لقائه مع الرئيس صدام. وقال بريماكوف للرئيس عرفات أن الشرط الاصعب الذي اشترطه الرئيس العراقي للانسحاب هو مطالبته بتسوية القضية الفلسطينية. فأجاب الرئيس عرفات :" اني باسم الشعب الفلسطيني متنازل عن الضمانات التي طلبها الرئيس صدام حسين لتسوية القضية الفلسطينية ولحماية شعب الانتفاضة، وإن الشعب الفلسطيني يرفض أن يتحقق أمنه وسلامه على حساب أمن الشعب العراقي وسلامته."[4]

بريماكوف في ايطاليا

بتاريخ ٩٠/١٠/٦ التقى بريماكوف مع الرئيس غورباتشوف ونقل اليه مضمون ما حدث في بغداد فقرر الرئيس متابعة الجهود من خلال لقاءات يجريها موفدون سوفيات مع الرؤساء ميتران ثم بوش، ثم مبارك ثم الاسد ثم الملك فهد واخيرا مع الرئيس العراقي مرة أخرى. خطط السوفيات لمحادثاتهم على اساس نقطتين رئيسيتين : الاولى تقضي بوجوب انسحاب العراق من الكويت بدون أية شروط مع وعد من موسكو بسعي حقيقي لتسوية

[3] – هيكل صفحة ٤٧٨-٤٧٩

[4] – قارن مع هيكل صفحة ٤٨٠

القضية الفلسطينية في مرحلة تالية. وتعتمد النقطة الثانية على وجود تقبل مبدئي لدى بعض العرب بالسماح للعراق بالاحتفاظ بجزيرتي وربة وبوبيان وبقسم من حقل الرميلة النفطي. وقد استند السوفيات في ادراجهم للنقطة الثانية على تصريحات من نوع التصريح الذي ادلى به وزير الدفاع السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز بهذا المعنى. هذا الحديث الذي سنتطرق اليه بتفصيل أكثر في المكان المناسب.

توقع السوفيات انهم اذا نجحوا في اقناع خصوم العراق بتقبل انسحابه غير المشروط وغير المقترن بأية وعود سيدفعهم لأن يمنحونه بعدها التنازلات المذكورة وعلى اساس ذلك سوف يستطيعون اقناع العراق بالانسحاب. ونحن نرى ذلك فيما لو كان القرار بأيد عربية. أما بعد سحب المبادهة من الايادي العربية منذ القمة العربية فأضحى الأمل يقارب العدم.

انطلق بريماكوف الى روما في ٩٠/١٠/١٦ قبل أن يتوجه الى باريس بناء على طلب من رئيس الوزراة الايطالية الذي كان يتخوف من الحرب ومن خطر امتدادها الى منطقة البحر الابيض المتوسط الحساسة بالنسبة للمصالح الايطالية . ولمس توفر قناعة لدى الرئيس اندريوتي بأن الولايات المتحدة سوف تشن الحرب خلال وقت قصير بحيث لاتتجاوز مدتها نهاية آذار المقبل لكيلا تختلط وتتضارب احداثها مع موسم الحج. وتمنى اندريوتي لمبادرة موسكو النجاح راجيا أن يقبلها الرئيس بوش . ووعد بأن ايطاليا سوف تدعم المبادرة السوفياتية بعد أن توافق عليها واشنطن.

بريماكوف في فرنسا:

في ١٠/١٧ وصل بريماكوف الى باريس ليجري محادثاته مع الرئيس ميتران قبل أن يجتاز المحيط الى واشنطن. في باريس وجد بريماكوف أن موقف الرئيس الفرنسي يشبه موقف الرئيس الايطالي ولكنه يشدد على ضرورة حل القضية الفلسطينية كشرط اساسي لاستتباب الهدوء في الشرق الاوسط.

بريماكوف في واشنطن : في ١٠/١٨ التقى بريماكوف ومعه السفير السوفياتي في واشنطن الكسندر بسمرتنيخ (الذي أصبح فيما بعد وزيرا للخارجية) مع وزير الخارجية جيمس بيكر الذي احضر معه من طرفه دنيس روس رئيس دائرة التخطيط السياسي. وكان الهدف الاميركي من هذا اللقاء التمهيدي استقراء كل ما جاء في جعبة الموفد السوفياتي قبل لقائه مع الرئيس بوش شخصيا. فحين يستقبلهم الرئيس بوش فيما بعد يكون على اطلاع مسبق بما سيقترحونه عليه مما يسمح له بتحضير الاجوبة المناسبة التي تتلاءم مع مخططاته. ولكن اللقاء لم يقتصر على استقراء ما لدى السوفيت إنما حضّرَ بيكر وروس الموفدَين السوفيات

ايضا لسماع الرفض الاميركي لمقترحاته . يقول بريماكوف : " كان روس مهتما بشكل خاص بتفاصيل روايتي. يبدو ذلك على وجهه وفي تعابيره. لكنه استقبل شروحاتي بكثير من التردد لا بل التشكك. ورفض بشكل جاف فكرتنا الرئيسية : تقديم ضمان لصدام حسين أنه بعد انسحاب قواته من الكويت سنكون مستعدين لتشجيع لقاء اسرائيلي - عربي لحل القضية الفلسطينية. لكن روس استنتج بلهجة حاسمة : اسرائيل لن تذهب لمثل هذا اللقاء." [5] [من المفيد أن ننتبه الى أن القرارات المصيرية الخاصة بيهود اسرائيل لاتصنع في تل أبيب أو القدس إنما في البيت الابيض. وقد كتبنا عن ذلك عدة مقالات آخرها يحمل عنوان : " امريكا هي سيدة اسرائيل وليس العكس] .

كان اللقاء الثاني الذي اجراه بريماكوف مع مستشار الرئيس بوش لشؤون الأمن الجنرال سكوكروفت. وخرج بريماكوف من الاجتماع بالانطباع أن الجنرال " كان مهتما بتقديرنا للوضع في العراق أكثر من اهتمامه باقتراحاتنا للخروج من الازمة".

وفي ١٩/١٠ استقبل أخيراً الرئيس بوش الموفد السوفياتي ودار بينهما حوار نقتبسه من بريماكوف:

" استقبلنا رئيس الولايات المتحدة في البيت الأبيض محاطا ببيكر، سكوكروفت، مدير البيت الابيض جون سنوسنو، وعدد آخر من المستشارين المقربين . كان يقدر عاليا ، كما قال لنا، ان الرئيس غورباتشوف أوفد مبعوثه الشخصي الى واشنطن لاطلاعه على مهمتنا في الشرق الاوسط. وقد عاد الى هذه الملاحظة مرات عدة.

كان جورج بوش شديد الاهتمام بالانطباعات التي تولدت لدينا من الحوار مع صدام حسين. سألني:

- هل يمكن الاعتقاد فعلا أنه "واقعي" وانه مستعد لاخلاء الكويت؟

سألنا عن الخصائص النفسية لصدام حسين وعن تاريخ علاقاتنا معه وكان يدون الملاحظات.

لم تكن كل أحكامنا وملاحظاتنا متطابقة مع وجهة نظره ولكنه ، على العموم، وكما يبدو لي، لم يكن إتخذ القرار النهائي بالهجوم على العراق.

قال انه يؤيد لقاء ثانيا بيننا وبين صدام حسين من أجل هدف محدد: اطلاع صدام حسين على الموقف الاميركي غير القابل للمساومة". لكن بوش أضاف. وهذا أمر له معناه:

---

[5] - بريماكوف صفحة ٧٤-٧٥

– إذ أعرب صدام حسين عن اشارة حسن نية فنحن مستعدون لسماعه. انتهى لقاؤنا الذي دام ساعتين بهذه الكلمات للرئيس الاميركي:

– قلتم أشياء مهمة جدا. أفكار عديدة لديكم تبدو لي جديدة. ولكن عليّ أن أناقش فحواها مع مستشاري. هل أنتم مستعدون للبقاء مدة أطول في واشنطن. أجبته:

– نعم، إذا اقتضى الأمر.

– سأعطيكم جوابا خلال ساعتين أو ثلاث، ختم الرئيس بوش وهو يصافحنا بحرارة.

وصل الجواب بسرعة أكبر. فبعد ذهابنا أظهر عدد من المحيطين بالرئيس نشاطا أكثر من الذي أظهروه في خلال اللقاء. لم يكن ثمة داع للانتظار ساعتين أو ثلاث. فبعد خمس واربعين دقيقة قال لي غايتس ونحن الى مائدة سنونو:

– طلب مني الرئيس أن أبلغكم أنه في وسعكم تحديد موعد السفر:

فهمت ان لاتتمة للقائنا."

نستنتج من ذلك اعترافا صريحا من قبل الموفد السوفياتي بفشل مهمته في واشنطن. فالرئيس بوش استمع اكثر مما شارك في الحديث ولم يتجاوب مع اية نقطة مما جاء في جعبة السوفيات من اقتراحات لحل الازمة. بل إنه تصرف بعكس ذلك إذ "أوعز" الى بريماكوف أن يذهب الى الرئيس صدام مرة أخرى لاطلاعه على أن الموقف الاميركي غير قابل للمساومة. ولا مانع لدى بوش من الاستماع لبغداد بعد أن يركع العراق على ركبتيه. لكن الرئيس الاميركي لم يقبل منح مجرد وعد بالسلامة أثناء قيامه "بالركوع " على ركبتيه. هذا ونشعر من النص الحرفي الذي كتبه بريماكوف أن الاستهتار الاميركي بالموفد السوفياتي وبما يحمل من اقتراحات بلغ أن "صرفه" الرئيس بوش بعد ٤٥ دقيقة من اللقاء.

وباجهاض الرئيس بوش لتلك المبادرة السوفياتية لم يعد بالامكان كسب فرنسا وايطاليا لانجاز اية خطوة نحو حل سلمي إنما كان ذلك اشعار ضاغط لهم بوجوب التزام خط التشدد الاميركي المؤدي الى الحرب.

بريماكوف عند تاتشر:

بناء على طلب من الرئيسة مارغريت تاتشر أوعز الرئيس غورباتشوف الى بريماكوف بالمرور على لندن للتباحث معها. ويقول بريماكوف انها استقبلته في اطار حميم بحضور مساعدها باول وبحضور السفير السوفياتي في لندن. ثم يتابع بريماكوف وصف اللقاء فيكتب:

" كان كل شيء ينبئ بحوار هادئ لاعقبات فيه. استمعت رئيسة الوزراء، من دون تعليق، الى معلوماتنا كلها. ولكنها، في المقابل، وخلال ساعة، لم تسمح لأحد أن يقاطع مداخلتها التي طورت فيها وبتركيز شديد، توجها شديد التصلب، انسحاب القوات العراقية من الكويت لايكفي، يجب توجيه ضربة حاسمة الى العراق، وإذا أمكن، البنية التحتية الصناعية.

لم تكن تاتشر مهتمة بزخرفة كلامها. التعابير التي استخدمتها آنفا لتحديد الوجهة التي تقترحها حيال صدام حسين هي تعابير مأخوذة حرفيا عنها. قالت:

– لايجوز لأي شيء أن يعيق تحقيق هذه المهمة.. على صدام حسين أن يقتنع ان المجموعة الدولية لن تتراجع وسوف تصل الى أهدافها. لايجب لأحد أن يحاول انقاذ نظامه من الضربات التي سيتلقاها.

نجحت في صعوبة في أن امرر كلمة واسألها:

– ألا ترين مخرجا آخر إلا المخرج العسكري؟

– كلا، أجابت تاتشر.

– إذا متى تبدأ العملية العسكرية؟

– لن استطيع قول ذلك لأنه يجب أخذ العراق فجأة.

بقيت "السيدة الحديدية" أمينة لنفسها عندما تطرقت الى مسألة تنظيم الشرق الاوسط بعد الازمة. وفي حال انشاء نظام للأمن الاستراتيجي في المنطقة يجب أخضاع العراق لرقابة صارمة لمنعه من اعادة بناء قدرته العسكرية.

نجحت، مرة أخرى، ولو بصعوبة، في أن أطرح سؤالا جديدا:

– هل تنطبق الملاحظة الأخيرة على بلدان المنطقة كلها؟ اسرائيل مثلا؟

اجابتني رئيس الوزراء بحزمها الواضح:

– اسرائيل، هذا شيء مختلف تماما!"[٦]

يُبرز هذا الحديث مع الرئيسة تاتشر نقاطا ثلاثة. الاولى هي رفضها، الذي يحمل طابع التحذير، لتدخل الاتحاد السوفياتي في أي عمل يعيق تهشيم ظهر العراق. وتعبر الثانية عن الازدواجية الخلقية لدى تاتشر في تعاملها مع العرب ومع اسرائيل. والثالثة تتعلق باسلوب وبلهجة الرئيسة تاتشر. فالبعض قد يسميها "صراحة"مفرطة بينما نراها وقاحة، ولقد سبق أن رأينا ما يثبت ذلك حين تعرضنا الى طريقة حديثها مع الملك حسين.

---

[٦] – بريماكوف صفحة ٨٥–٨٧

الفصل الواحد والعشرون

مجلس الأمن والقرار ٦٧٨

١ – الخلفيات للقرار ٦٧٨:

آ – انقلاب المؤامرة من الدفاع الى الهجوم:

خلال الاشهر الثلاثة الاولى للأزمة اكتمل للرئيس الاميركي تنفيذ الجزء الاول من المخطط الذي يضمن عملية الدفاع .. الدرع. وكان كما رأينا حريصا أشد الحرص على عدم الافصاح عن أي تفكير بالهجوم من أجل تحرير الكويت حتى يكتمل الخط الدفاعي المتين الذي يستطيع دفع أي خطر عراقي فيما لو فكر الجيش العراقي في تنفيذ هجوم استباقي أو احترازي. بالطبع لم يكن الاميركيون يخشون العراق في أية لحظة من اللحظات. كل ما في الامر هو أنهم لم يرغبوا في أن يهاجمهم العراق قبل اكتمال خط دفاعهم، فلو فعل لأنزل بهم اصابات أكثر بكثير مما لو هجم عليهم بعد أن يكون استتب لهم الامر فنصبوا اجهزة الانذار الدقيقة وتحضروا لكل طارئ.

في ٩٠/٩/٢٨ استضاف الرئيس الاميركي الامير جابر الاحمد الصباح وأعلن على الملأ بقوة وحزم ان لقاءه المقبل معه سوف يكون في بلاده بعد تحريرها. ومنذ ذلك التوقيت شرعت اجهزة الاعلام الاميركية في نشر الأخبار عن عدم نجاح اساليب الحصار في دفع العراق الى الانسحاب من الكويت وبدأت في تهيئة الرأي العام العالمي على ضرورة قلب خطة الدفاع (درع الصحراء) الى خطة هجوم (عاصفة الصحراء). وغداة انجاز الانتخابات الثلثية لمجلس الشيوخ الاميركي قرر الرئيس بوش زيادة القوات المرابطة في الخليج الى الضعف وكان ذلك في ١٩٩٠/١١/٧.

لم يعط العراق هذا المؤشر حقه من الانتباه ولم يتصرف باسلوب السعي الى الانسحاب بأقل خسارة ممكنه إنما تابع خطة المواجهة. لقد كان لاعلان الرئيس الاميركي على الملأ وأمام صحافة واذاعات العالم بأنه سوف يزور الامير في بلده بعد تحريرها مغزى ذا دلالة قوية وملزمة له كرئيس للدولة العظمى الاولى في العالم مفادها أن الولايات المتحدة سوف تهجم إن لم ينسحب العراق. فإذا كانت توجد أي تطمينات للعراق "من تحت الطاولة" بأن اميركا لن تهجم وانها تائهة، وحائرة ومنقسمة على ذاتها في موضوع تحرير الكويت،

فكان على العراق اعتبار الكلمة العلنية الجازمة سارية المفعول واهمال أية "طمأنة" غدارة محاطة باللف والدوران.

احتاج الرئيس بوش لتجاوز عقبات عدة قبل أن ينجح في قلب الدرع الى عاصفة. فكان لابد له من اقناع الكونغرس بضرورة أخذ زمام المبادرة والعمل الذاتي من أجل تحرير الكويت دون المزيد من الانتظار وسيعلل ذلك بأن الانتظار الطويل قد يؤدي الى انفراط عقد التحالف، وقد يمنح العراق فرصة ينفذ من خلالها الى مواقع اشد مناعة وتتطلب تضحيات أكبر. فإذا اقنع الرئيس بوش الكونغرس بذلك اصبح موضوع زيادة القوات تحصيل حاصل. وكان على الرئيس لبلوغ اربه استدراج القيادة العسكرية الاميركية ليستنتج افرادها من انفسهم ضرورة الهجوم بدلا من الانتظار الممل والذي قد يؤدي الى مفاجآت غير مرغوبة . فقد كان بعض قادة الجيش يشجبون الحرب . وخلال الاسبوع الأخير من تشرين أول/ اكتوبر اجرى الجنرال شوارزكوف مقابلة مع مجلة اتلانتك جورنال قال خلالها:

" لقد بدأنا الآن نلمس الادلة الواضحة على أن العقوبات بدأت تحدث أثرها. لذلك لماذا نقول: حسنا لقد أعطيناهم شهرين ولكن ذلك لم ينجح. لننه الامر ونقتل عددا كبيرا من الناس ؟ إن هذا جنون"[1]

وخلال الفترة نفسها أعطى شوارزكوف حديثا صحفيا لمجلة لايف قال فيه: " انا رجل محب للسلام من نواح كثيرة، وقد يكون هذا التعبير قويا، ولكني اعرف ما هي الحرب، وأنا بالتأكيد ضدها" وابدى الجنرال كولن باول ايضا آراءه في أن الحصار والخنق الاقتصاديين قمينان ببلوغ المراد. وعن ذلك يكتب ودورد:

" بدأ باول بكتابة بعض الملاحظات، فقد شعر بأن الإحتواء أو الخنق قد بدأ يعمل، التحالف الدبلوماسي والسياسي الكبير تم تجميعه، تاركين العراق دون حلفاء مهمين - بالاضافة الى استنكاره واحتقاره وعزله- وهذا لم تتعرض له أي دولة في التاريخ الحديث. واظهرت المعلومات الاستخبارية بأن العقوبات الاقتصادية كانت تقتطع ما نسبته ٩٥٪ من واردات صدام وجميع صادراته تقريبا، لقد حبس صدام في العراق والكويت، وشعر باول بأن التأثير لايمكن قياسه في اسابيع، فربما يستغرق أشهرا، سيأتي الوقت ربما بعد شهر أو ستة أسابيع، عندما يكون قد استنفذ آخر باوند من الرز، وعندها تكون العقوبات قد بدأت حصادها."

ويتابع ودورد سرد الملاحظات التي كتبها باول:

---

[1] - ودورد صفحة ٢٦٣

" إنهم لن يستطيعوا ان يخوضوا الحرب حتى يتأكدوا من أن العقوبات الاقتصادية لم تؤت أكلها، ولو كان هناك أدنى فرصة لنجاحها فيجب عليهم الانتظار الى حد معين على الاقل، وأن القيام بعمل لم يحن أوانه بعد قد يكون خطأ جسيما مادام هناك فرصة في تحقيق أهداف سياسية من خلال العقوبات".

بل إن ودورد لايكتفي بتلك المؤشرات التي توحي بميل العسكر الى المسالمة (Pacifist) إنما يدعي أن موقف وزير الخارجية جيمس بيكر يتفق مع موقف باول. فهو يكتب:

"ذهب باول بعد ذلك الى بيكر للتحدث عن الاحتواء، فوزير الخارجية كان الحليف الرئيسي لباول من بين الرتب العليا في الادارة، وتفكيرهما كان متطابقا بشأن العديد من القضايا، وكلا الرجلين كان يفضل عقد الصفقات على المواجهة أو الصراع، وكلاهما عمل مع وسائل الاعلام الاخبارية لجعل وجهة نظره تنتشر، كان بيكر غير سعيد حول استخدام أو تطوير خيار عسكري هجومي، كان يريد من الدبلوماسية – وهذا يعني وزارة الخارجية – أن تحقق نجاح السياسة " [٢]

ويتابع بعد قليل فيكتب عن موقف بيكر:

" كان سكاوكروفت قلقا منذ أشهر من كون بيكر غير مؤيد لسياسة الخليج، وفي مناقشات الدائرة الداخلية بدا أنه يعارض الانتشار الضخم للقوات ويفضل حلا دبلوماسيا الى درجة أنه يرغب في استثناء الضغط العسكري. ولكن بدا أن بيكر استوعب وجهات نظر الاخرين، فتشيني كان يصطاد السمك معه في نهاية الاسبوع، وكان لديهم الوقت للتحدث. " [٣]

نحن لانتفق مع ودورد في هذا الادعاء لأننا نعتقد بأن المؤامرة المرسومة ضد العراق لم تكن متمثلة وراسخة في فكر الرئيس بوش فقط إنما كان يعرف بأمرها حفنة من السياسيين حوله ايضا. ولايمكن للوزير بيكر الا أن يكون من اوائل العارفين بالاهداف الحقيقية لمكانته البارزة في الحكم كوزير للخارجية ولصداقته الحميمة مع الرئيس بوش منذ ايام الدراسة الاولى. ولو نظرنا الى تصريحاته الاعلامية والتي نأخذ نموذجا عنها ما قاله في ٢٨/١٠/٩٠ امام مجلس الشؤون العالمية في لوس انجلوس حيث قال:

" إن المئة امريكي أو أكثر وهم دروع بشرية يجبرون على النوم على الارض المليئة بالجرذان، ويبقون في الظلام خلال اليوم وينقلون في الليل فقط، وتم تخفيض وجباتهم الى وجبتين. والعديد منهم قد أصيب بالمرض، وهم يمرون بمحنة فظيعة، إن الفكرة ذاتها بأن

[٢] – ودورد صفحة ٢٥٠ – ٢٥٢

[٣] – ودورد صفحة ٢٦٥

الامريكان يستخدمون كدروع بشرية شيء لايمكن استيعابه ببساطة."..لما وجدنا لهجة من يسعى الى المسالمة إنما لرأينا صقرا من الصقور. وقد استخدم بيكر لهجة غاضبة مشابهة خلال اللقاء مع وفد الكونغرس بعد يوم واحد من ذلك وتحدث عن الخطف والقتل الذي يدعي حدوثه في الكويت والعراق.

وكان على الرئيس بوش كسب حلفائه الاوربيين والضغط على الاتحاد السوفياتي ليتقبلوا الأمر . فإن تم له ما يريد وانجز كل ذلك يبقى عليه إلباس مؤامرته صفة الشرعية الدولية من خلال استصدار قرار من مجلس الامن، وهذا ما كان.

ب – بوش والكونغرس:

في ٩٠/١٠/٢٤ اتفق الرئيس بوش مع وزير الدفاع تشيني على أن الوقت حان لقلب الدرع الى عاصفة ولتحضير ارسال ١٠٠ ألف جندي اميركي الى الخليج واتفقا ايضا على عدم جواز الاعلان عن ذلك قبل انجاز الانتخابات الثلثية التي ستكون في ٩٠/١١/٦. فلو تم الاعلان عن خطوات تنبئ بزيادة تورط الولايات المتحدة في الخليج لجاءت نتائج الانتخابات في غير صالح الرئيس. وفي ٩٠/١٠/٣٠ اجتمع الرئيس بوش مع خمسة عشر شيخا من مجلس الشيوخ وجس نبضهم من جهة وأشعرهم بضرورة اللجوء الى الهجوم من جهة أخرى بحجة أن الحصار لن يفعل فعله مع العراق. واعلمهم عن تقارير المخابرات التي تثبت الاساءات العنيفة التي يقوم بها العراقيون ضد الرهائن الاميركيين. لكن أقوال الرئيس بوش لم تمر على المجتمعين بدون اعتراض. فلقد اجابه رئيس مجلس النواب توماس فولي قائلا له بأن لاجديد في موضوع معاملة العراق للرعايا الاميركيين بعد المواقف المعروفة من قبل. ثم سأله عما يجعله يفتح هذا الموضوع في الظرف الحاضر. وآزره في الاعتراض الشيخ جورج ميتشل زعيم كتلة الاكثرية في مجلس النواب وافصح عن اعتقاده بأن المعلومات التي تصل الى الكونغرس عن الرهائن مبالغ فيها وغير موثوقة. وجاء السيناتور وليم كوهن ليدعم ذلك الموقف بأن أكد أن أجهزة المخابرات شهدت في ٩٠/١٠/٢٣ امام لجنة الكونغرس بعدم وجود اي مؤشر أو دليل على تصرف عراقي جديد ضد الرعايا الاميركيين. عندئذ ثار الرئيس بوش واحتقن وجهه بطريقة تمثيلية درامية وقال بأنه لايستطيع السكوت على انزال العلم الاميركي عن سفارة الولايات المتحدة في الكويت الى الابد. وانتهى الاجتماع مع

رجالات الكونغرس بعد أن عرفوا بأن شيئا ما يدور في خلد الرئيس يهدف الى التصعيد والى قلب خطة الانتظار والدفاع الى عمل هجومي.

لاشك في أن لهم تأثيرهم على السياسة العامة. ولكنهم افراد في الكونغرس بينما هو رئيس البلاد.وإذا لعب ورقة "الغيرة الوطنية" الدرامية اعلامياً لخسروا هم ولربح هو.

ج - بوش والعسكر

قبل صفحتين عبرنا عن رأينا في حتمية اطلاع افراد قلائل من رجال السياسة حول الرئيس بالاهداف التي يسعى اليها. ولكننا لانسحب هذه القناعة على العسكريين الاميركيين القادة الذين ما زالوا في الخدمة إنما نعتقد بأن الرئيس لم يطلع احدا منهم على مخططاته. فهناك نوع من "الود اللدود" بين رجالات السياسة والضباط في الولايات المتحدة كما في كل دول العالم بدون استثناء. فرجال السياسة المحنكون يرون في "العسكر" عنصرا ساذجا يأتمر بالقوة ويأمر بها ولايحسن التأقلم مع مجاهل السياسة وسراديبها العتمة. ويرى السياسيون عدم جواز تحكم العسكر بالسياسة. وفي المقابل فإن الضباط يحملون للسياسيين نفحة من الازدراء وينسبون لهم الخبث والإعوجاج والانغماس في موبقات من كل نوع ويتهمونهم باللولبية والخداع ويرون ان اساليبهم منحرفة وباطنية لأنهم يعلنون ما لايضمرون. وإذا استقرأنا الأمور لوجدنا أن السياسيين يفضلون المطاطية والأخذ والرد في تعاملهم مع الاحداث بينما يختار العسكريون طريقة البتر. فحين يصف ودورد الجنرال شوارزكوف بالدب يقول عنه ما يلي:

" كان شوارزكوف ضخم الجسم وعدوانيا وصريحا ولاعب كرة سابق في كلية ويست بوينت الحربية (دفعة ١٩٥٦) وقد عرف بـ "الدب"، و"نورمان العاصف"، طوله ستة أقدام وثلاثة إنشات، كان يبدو وكأنه نسخة مطولة لممثل كارول أوكونر في المسلسل التليفزيوني القديم "الجميع في العائلة". وقد أسماه رئيس الجيش فونو "إتش نورمان سيجار" فقد شعر فونو بأن هناك دخانا كثيفاً ونيران خلف مظهره الخارجي القاسي.

كان رهيبا كرئيس، وغالبا ما يكون غاضبا عندما يكون غير سعيد أو غير راض، وذا سمعة سيئة بطرد المراسلين الذين يجلبون الانباء السيئة، وكان يغضب عندما يتقدم المدنيون في البنتاغون ذوو الخبرة العسكرية القليلة أو بدونها باقتراحات كان يجدها عسكريا غير صحيحة." [٤]

---

[٤] - ودورد صفحة ١٧٥

ويصف سالنجر الجنرال كولن باول بأنه " من والدين مهاجرين من جامايكا. ترعرع في الاحياء الأكثر حرمانا من هارلم وجنوب برونكس. حياته الدراسية رديئة. في الابتدائية. أُلحق بالصفوف البليدة المخصصة للتلامذة الذين يعانون من صعوبة في تتبع الدروس." [٥]

فهما (ودورد وسالنجر) لاينطلقان فقط من وصف واقع الرجلين إنما يعبران عن الفوقية التي يشعر بها السياسيون تجاه رجالات الجيش. ولكن هذه الصورة لا تصلح للتعميم ابداً ولا تمثل الواقع بدقة . إذ يوجد ثعالب وعباقرة في صفوف العسكر ويوجد مستبدون في صفوف السياسيين. ولكن الاتجاه العام عن الموقف المتبادل بين الطرفين هو الصحيح. وهذا ما دفعنا الى القول بأن الرئيس بوش لابد أنه أعلم بعض السياسيين من المقربين اليه ومعهم الجنرال سكاوكروفت، وهو خارج الخدمة العسكرية، بمخططاته أو بجزء منها بينما لم يعلم أي جنرال في الخدمة إلا بالخطوة التي رُسِمت له وعليه ، أي الجنرال، انجازها.

فحين كان الرئيس بوش يتحدث مع جنرالاته كان يضع امامهم نقطة معينة أو يصف لهم ظرفا معينا ويطلب منهم رأيهم فيه والتخطيط لتنفيذه دون أن يترك لهم مجالا كبيرا لاجتهاداتهم الشخصية. ونحن نرى أن الرئيس لم يعلم القادة العسكريين عن عزمه على قلب الدرع الى عاصفة الا بعد ان انجزوا عملية الدرع. ولما حان موعد قلب الخطة بدأ بالتمهيد البطيء من خلال التصريحات المتفرقة التي بدأ يطلقها بكثافة أكبر عن مآسي المدنيين الكويتيين والرعايا الاجانب في العراق والكويت وعن قلق واشنطن من الحشود العراقية المتزايدة في داخل الكويت. واستنتج شوارزكوف نية الرئيس في وضع حد لكل ذلك بالانتقال من الدفاع الى الهجوم. ويذكر ودورد بأن شوارزكوف أصبح يحتاج لمن يشفق عليه حين كان يرى" المهام الصعبة التي تكمن أمامه وذلك في ظرف لا يستطيع هو نفسه أن يتكهن بما يمكن لواشنطن أن تأمره به . فلقد أصبح عصبيا بشكل متزايد حول حجم الحشد العراقي، وكان يسأل حول أهداف الولايات المتحدة ومستويات القوة، ومع أن مهمته العسكرية المعلنة كانت حماية السعودية فقط، فقد كان مدركا كيف أن البيانات الرئاسية المتكررة جعلت المهمة أقرب الى تحرير الكويت.

وكان أحيانا يطيل محادثاته اليومية عبر تلفونه السري مع باول في البنتاغون، وذلك لأنه كان يبحث بانتظام عن أية دلائل، وكان احيانا يسأل مباشرة عن الخطوة التالية، هل ينوون التمسك بالمهمة الدفاعية ؟ أم هل ينوون حشد القوات لفعل شيء أكبر؟" [٦]

---

[٥] - سالنجر صفحة ١٦٤

تولى باول التحري عن جواب شاف علـى اسئلة شـوارزكوف القلقـة فـاتصل بوزير الدفاع تشيني الذي اشعره تلميحا بأن قرار الهجوم سوف يصبح بديلا عن الدفاع لأن العقوبـات الاقتصـادية وسياسة الخنق لن تؤدي الى الهدف المطلوب في انسحاب العراق.

حاول باول التعاون مع بيكر للابتعاد عن التصعيد ولاستمرار محـاولات الاحتـواء. بل انه كلف بعض اعوانه في القيادة بتحليل خطة الاحتواء وابراز ميزاتها. وتوقـع أن ترضـى واشنطن عن مساعيه غير العسكرية ولكن العكس هـو مـا حصـل. فـالبيت الابيض لـم يمسـك بطرف الخيط من اقتراحات باول وإنما تجاهله ، ولم تعقد أية اجتماعات لمتابعـة هـذا الخيـار. لقد كان الجنرال باول في واد وكانت الادارة الحقيقية صاحبة القرار في واد آخر تماما، ولكنـه لم يستسلم على الفور إنمـا اجتمـع بـالجنرال سكاوكروفت ، مستشـار الرئيس للامـن القومـي، وتحدث معه عن خيار الاحتواء والخنق الاقتصادي فأجاب سكاوكروفت بـأن " الرئيس يـزداد اقتناعا بأن العقوبات لن تنجح، فلقد أوضح بأنه مطلع على آراء الرئيس جيدا، إن موقف إدارة بوش واضح، وإن الابواب في الحقيقة قد أغلقت أمـام أي امكانيـة بـأن اراء الرئيس يمكـن أن تتغير."

لقد كان سكاوكروفت نسخة عن الرئيس بوش في ميله واستعداده لدخول الحرب لأنه لم يكن يرى في الحروب مطحنة للارواح وللقيم الانسانية والحضاريـة والاقتصاديـة إنمـا كـان يراها مجرد "أدوات ووسائل مشروعة" تلجأ اليها السياسة عـادة لبلـوغ مرادهـا. وانطلاقـا مـن هذا الموقف المكيافيلي انتهز سكاوكروفت الحاح الجنرال بـاول علـى سياسـة الاحتـواء وأنهـى لقاءه معه بأن قـال لـه مـا نقتبسـه مـن ودورد ايضـا : " ونفـذ صـبر سـكاوكروفت، وقـال بـأن الرئيس كان يفعل كل شيء يمكن تخيله."

وابدى وزير الدفاع تشيني بعض الاستجابة لآراء باول أو تظاهر بذلك وعرض عليه مقابلة الرئيس بوش ليشرح فكرة الاحتواء. فرحب باول بذلك، واعتقد بأن فكرته ستعم الآفـاق. وتم اللقاء مع الرئيس وشعر بعدم استجابته لأية خطة غير الحرب ورأى بوضـوح أن الرئيس " كان ثابتا ومصرا على أن الكويت يجب أن تُحَرَّر. بوش لم يتزحزح، وكان من الواضح أن الإحباطات تتراكم في البيت الابيض، لأنه بعد مرور أكثر من شـهرين مـن بـدء الأزمـة ومـن

---

[٦] – مجموعة اقتباسات من ودورد صفحة ٢٥٠ – ٢٥٣ ومن صفحة ٢٦٨ . من المؤسف ان ترجمـة هـذا الكتاب تعيسة جداً . فالترابط والسبك معدومان . وعلى القـارىء بذل جهد اضـافيّ ليدرك المعنى الـذي اراده المؤلف الأصلي ودورد .

إصدار قرارات الأمم المتحدة ومن الجهود الدبلوماسية ومن انزال العقوبات الاقتصادية ومن استخدام الكلام المنمق لم يبدُ أي تأثير على صدام".

" أدرك باول بأن الصبر لم يعد مرغوباً به. ولم يعد يدافع عن مسألة الاحتواء بدون حرب، فالناس الذين كانوا يستمعون الى لهجته المسالمة في الماضي لم يعودوا يلمسون ذلك لديه .... وشعر أنه لم يعد يُسمح له بالكلام عن الاحتواء، والتعبير عن آرائه السياسية برحابة صدر."

وأدرك باول فشل اللقاءات المتعددة التي أجراها للدفاع عن خيار الخنق الاقتصادي وصار يتصرف حسب ذلك. فبما أنه رجل عسكري فعليه الالتزام برغبات الرئيس بصرف النظر عن مشاعره وقناعاته الشخصية. ولذلك استسلم لما تريده السياسة وانجرف بشكل نهائي مع التيار .

في عيد كولومبس في الاسبوع الاول من تشرين الاول/ اكتوبر انطلق كارل فونو قائد اركان الجيش الى السعودية لمقابلة شوارزكوف ولاحظ انزعاجه من عدم وضوح الرؤية لديه وعن جهله بالاهداف الحقيقية وبالخطط المقبلة. واوضح لقائد اركان الجيش، وهو صديق قديم وشخصي له، بأنه ما كاد ينجز عملية درع الصحراء الدفاعية حتى أصبح يسمع كيف تتحدث واشنطن عن الهجوم. فها هو لس آسبن، رئيس لجنة القوات المسلحة في الكونغرس يؤكد ذلك الاتجاه، وها هي صحيفة نيويورك تايمز تنشر الأخبار عن ان الكلام الدائر في البنتاغون يفيد بأن الهجوم سيبدأ في منتصف الشهر ذاته، وقال شوارزكوف بأنه لم يبق سوى أن يصحو فجأة على أمر من الرئيس ببدء الهجوم. فكيف يهجم في وقت لم يكن قد تجاوز فيه مرحلة الدفاع عن السعودية. ثم يتابع شوارزكوف: فإن كان يراد مني الهجوم فيجب أن أحصل على الوقت الكافي والذي سبق أن حددته لتحضير العاصفة، ويجب أن أحصل على المزيد من القوات البرية والبحرية والجوية لتكون تحت تصرفي عند الهجوم.

اهمل الجنرال فونو كل ما قاله شوارزكوف عن خطط الدفاع وتمسك بالنقطة حيث يحدد مطالبه لانجاز خطة الهجوم. وجابه بأن واشنطن والبنتاغون سوف يستجيبون بالطبع لها. ولكنهم يريدون بسرعة " مسودة خطة هجومية" أو "خطة أولية" ليتمكنوا من تكوين فكرة عن اللازم وليتخذوا بعدئذ قرارتهم. فوافق شوارزكوف ووضع الخطة الاولية خلال ٤٨ ساعة من لقائه مع فونو ثم كلف رئيس اركانه الميجر جنرال روبرت ب جونستون بالذهاب الى واشنطن لشرح الخطة امام البنتاغون. وفي ١٩٩٠/١٠/١٠ تم اجتماعه مع مجموعة من الضباط القادة وبحضور تشيني وولفيتزر وكيلي من المدنيين ولخص امامهم الخطة التي كانت

على اربعة مراحل. ثلاث منها جوية يجري تنفيذها جميعا قبل الشروع بالمرحلة الرابعة وهي برية. وأكد جونستون على ضرورة مراعاة حالة الطقس حين يجري تحديد ساعة الصفر بالاضافة الى مراعاة اعياد المسلمين لكيلا يستمر القتال خلال فترة تكون فيها أفئدة الجماهير المسلمة أكثر تحسسا وأشد تأثرا لأي نداء عاطفي. وبعد يوم واحد اجتمع جونستون مع الرئيس بوش وشرح امامه الخطة بعد أن شذب طريقة عرضه لها استنادا الى التجربة التي حدثت في البنتاغون قبل يوم واحد. فسأله الرئيس عن الزمن اللازم الكافي لوضع الخطة موضع التنفيذ وعن حجم ونوع القوات الاضافية اللازمة لنجاح الهجوم فوعد جونستون بالاجابة خلال وقت قريب ، ولكن الرئيس فضل ايفاد الجنرال باول للقاء شوارزكوف شخصيا ليتباحث معه مباشرة عن المطلوب.

انطلق كولن باول الى السعودية يوم الاحد ٩٠/١٠/٢١ واجتمع مع شوارزكوف وسأله عن تقديراته للقوات اللازمة لخطة الهجوم.

" قدر شوارزكوف بأن العملية تحتاج الى ضعف مستوى القوة التي لديه والى زيادة وجود سلاح الجو الى الضعف ومضاعفة حاملات الطائرات من ثلاث الى ست، ومضاعفة كل من المارينز والقوات الارضية. وفي النهاية قال: " أريد الفيلق السابع". كان الفيلق السابع هو الجزء الاساسي في الدفاع البري الامريكي في اوروبا وهو يتكون من ثلاث فرق مدربة، ومجهزة جيدا بالاضافة الى فرقتي مدفعية ثقيلة، إحداهما آلية. كان هذا الطلب سيكون مذهلا وغير ممكن لو تقدم به قبل سنة عندما كان هناك تهديد حقيقي من حلف وارسو. ولكن غورباتشوف وانهيار حلف وارسو جعلا ذلك ممكنا الآن.

قال شوارزكوف: إذا كان الرئيس جادا حول الهجوم، فإن عملية إرسال الفيلق السابع ستكون ممكنة، وقال باول بأنه سيدعم هذه المطالب واكثر من ذلك، فقط كان مصمما على أن يزيد من ضخامة حجم القوات على قدر الامكان. كانت هناك فرقة عسكرية موجودة في الولايات المتحدة وكانت قد تدربت مع الفيلق السابع. وتسمى الفرقة الحمراء الكبيرة. وكذلك فإن فرقة المشاة الآلية الاولى ستكون مناسبة جدا حسب اقتراح باول. ووافق شوارزكوف " [٧]

ثم اجتمع باول مع ضباط اركان آخرين لدى شوارزكوف ليستأنس بآرائهم ايضا وعاد الى واشنطن ليضع تقريره امام الرئيس بوش.

في ١٠/٢٣ تم نقاش ما جاء به باول من السعودية في غرفة الاجتماعات الخاصة. وحضر الاجتماع الرئيس بوش وبيكر وتشيني وسكاوكروفت.

---

[٧] - ودورد صفحة ٢٦٠

افتتح باول حديثه مرة اخرى وأخيرة بتلميح خفيف عن مقدرة السياسة على متابعة الاهداف وانجازها. ولكنه وجد أن الرئيس بوش والجنرال سكاوكروفت مصممان على المضي في تطوير الخيار الهجومي. فانتقل الى الموضوع واعلم المجتمعين بطلبات شوارزكوف:

" كان سكاوكروفت مندهشا لكثرة مطالب شوارزكوف، وكان مما أثار دهشته بشكل خاص طلب الجنرال لثلاث حاملات طائرات بالاضافة الى الثلاث التي كانت لديه ، وهذا ما أثار دهشة سكاوكروفت خاصة. كانت أصوات التعجب تسمع حول الطاولة. ولكن ليس من بوش. قال باول إنه يدعم توصيات شوارزكوف إن كان الرئيس يريد خيارا هجوميا. واستدار نحو الرئيس قائلا: "إذا منحتني المزيد من الوقت – لنقل ثلاثة أشهر – فسأحرك قوات أكثر فالامر مهم. ... كان باول يلمح بأن العملية ستكون باهظة التكاليف." فأيد تشيني الطلبات وابدى ضرورة الاستعداد لارسال قوات ومعدات أكثر مما طلبه شورازكوف. وبعد يوم آخر، أي في ٩٠/١٠/٢٤ اعطى الرئيس بوش مباركته ووافق على كل المطلوب ".

يجذب انتباهنا مما قرأناه استعداد الولايات المتحدة للاسراف في استخدام الجيوش والمعدات لأن كل جندي يذهب الى الخليج ينتقل من عامل اقتصادي يرهق الخزانة الاميركية الى عامل منتج يأتي الى الخزانة والى الاقتصاد بسيل من الاموال لأن تمويل هذه الحرب سوف يكون معظمه من دول الخليج. ويعتصر قلوبنا التصوير المسرحي لاثبات ضرورة كل هذه القوات بما فيها الفيلق السابع الذي كان مكلفاً بصد حرب برية وجوية ونووية من قِبَلِ حلف وارسو . ولم يبق من احتمالات التصعيد سوى ان تقترح الولايات المتحدة تخزين قنابل ذرية وهيدروجينية على ارض المملكة تذرعاً بأن العراق يملك بضعة كيلويات من اليورانيوم المخصب . ويجذب انتباهنا ايضا اتخاذ هذا القرار الخطير قبل استشارة الملك فهد الذي كان قد وعد بعدم السماح لأية قوات بالانطلاق من الاراضي السعودية في أي عمل هجومي. نعم لقد تجاوزوه. ولكن بعد اتخاذ القرار تم اطلاع الامير بندر على مضمونه. وفي ٩٠/١١/٥ زار جيمس بيكر المملكة العربية السعودية حيث زار القوات المرابطة هناك وتوجه الى قصر الملك لأخذ موافقته على ماقررته واشنطن بدون علمه.

د – بوش ودول الفيتو قبل قرار ٦٧٨:

كان استصدار قرار من مجلس الأمن يخول الأمم المتحدة باستخدام القوة ضد العراق من أهم الانجازات التي حرص الرئيس بوش على تحقيقها. فبهذا القرار اكتسب مشروع الحرب الهجومية على العراق صفة الشرعية وتبلورت صورة اجماع عالمي لتبدو الازمة

وكأنما " الحق الذي تمثله كل دول العالم " يقف ضد " الباطل الذي يمثله العراق وحده ". ويؤدي اتخاذ مثل هذا القرار الى احكام الحصار على العراق والى المزيد من عزله عن المجتمع الدولي تمهيدا للمجزرة المرسومة لشعب العراق. ومن أجل تمرير هذا القرار في مجلس الأمن كان على واشنطن الحصول على موافقة الاكثرية في مجلس الامن شريطة أن يكون ضمن هذه الاكثرية كل الاعضاء الدائمين في المجلس الذين يملكون حق الفيتو (الاعتراض – النقض) وهم : الولايات المتحدة ، بريطانيا، فرنسا، الاتحاد السوفياتي ، والصين. و يدعي بعض من ينسبون لأنفسهم العلم بالقانون الدولي انه كان يكفي ألا يستخدم هؤلاء الاعضاء الخمسة حقهم في الاعتراض لتزول العقبة الرئيسية في وجه القرار. فإن تمكنت الولايات المتحدة من الحصول على موافقة الدول الخمسة هذه أو على موافقة معظمها دون أن يستخدم الباقون حق الفيتو لضمنت نجاح القرار .وحين لا يتم استخدام الفيتو من قبل أحد ، يكتسب القرار صفة التقبل العالمي له مما يمكن واشنطن من التأثير على عدد من الدول الاخرى الاعضاء في المجلس من غير أصحاب حق الفيتو لتضمن موافقتها ايضا فينجح القرار.

إذا تفحصنا مواقف الدول الخمسة صاحبة حق الفيتو لوجدنا أمامنا الصورة التالية:

– الولايات المتحدة هي التي تتبنى القرار وهي التي وضعت مسودته. ولذلك ستوافق عليه.

– وانكلترا ستوافق حتما وبسرعة لأن الرئيسة مارغريت تاتشر كانت تتميز بعدوانية متأصلة في طبعها عموما، وخصوصا تجاه القضايا العربية. ولقد اطلعنا على نماذج من مواقفها حين تعرضنا لنقاشها مع الملك حسين ومع الموفد السوفياتي يفجيني بريماكوف. ولم يتغير موقف بريطانيا بعد سقوط الرئيسة تاتشر وقدوم جون ميجور. ويؤكد التزامه بسياسة تاتشر اللقاء الودي الذي تم بينه وبين الوزير بيكر في ١٩٩١/١/٦ حيث تم التفاهم على متابعة ميجور للخط السياسي الذي بدأته تاتشر .

– كانت فرنسا "تكاد تكون مضمونة" بالرغم من وجود التيارين اللذين تجاذباها بين السير مع قرار الحرب ضد العراق وبين اتخاذ موقف وفاق مع العرب. ورأت واشنطن انها إذا دعمت التيار الفرنسي الذي تتماشى مصالحه مع مصالحها بالضغوط وبالاموال لاستجابت فرنسا للقرار. وهذا ما حصل كما سوف نرى. وساعد على خسارة فرنسا أن العراق لم يمنحها أوراقا رابحة كان يمكن لها استخدامها من أجل شجب الحرب وتحبيذ الحل السلمي للظهور أمام المجتمع الدولي كصانعة للسلام. لاشك في أن للعراق اسبابه في عدم منح فرنسا

لتلك الاوراق لأنه كان يخشى أن تستخدمها لمصالحها دون أن تلتزم بأي وعد تجاهه كما حصل مع الرئيس ياسر عرفات حين ابدى العديد من التنازلات امام فرنسا مقابل أن يحصل على حلول وسط، فإذا بفرنسا تناول الخصم الاسرائيلي التنازلات الفلسطينية بدون مقابل. ورغم ذلك نرى نحن أنه كان على العراق المجازفة بتوجهاته الفرنسية لأن النتيجة الحالكة ما كانت لتزداد سوءا لو أبدى تجاوباً مع جهود فرنسا.

– أما الصين فقد أمكن ضمان عدم استخدامها لحق الفيتو مقابل مكافآت اقتصادية. ولقد انطلقت الصين لدى السماح بمرور القرار ٦٧٨ باتخاذها موقف "الموافقة السلبية" على قرار مجلس الامن من منطلق: " فخار يكسر بعضه". فأية نتيجة لتلك الأزمة ستكون لديها سيان. فماذا يضيرها اذن اذا حصلت على اعتراف المملكة العربية السعودية بها وأخذت بضعة مليارات من الدولارات بشكل قروض مباشرة أو بشكل عقد صفقات وتركت الامور تسير كما تريد واشنطن ؟ وماذا يهمها في المحصلة إن بقي العراق في الكويت أو أُخرج منها طالما يبقى قرار النفط في ذات الأيدي على كل الأحوال؟.

– كان الاتحاد السوفياتي يشكل شبه عقبة في وجه واشنطن بالرغم من حاجته الملحة للمساعدات التي يتوقعها من دول الغرب عموما ومن الولايات المتحدة خصوصا. لاشك في أن الاتحاد السوفياتي الذي تداعى على بعضه البعض من الداخل في أشد الحاجة للتموين بأضر الضروريات كما رأينا، ولكن بعض التيارات التي مازال لها اوزان ضاغطة على الحكم في موسكو لم تكن لتتقبل بسهولة التنازلات المعيبة لصالح "العدو اللدود القديم" الذي نشأوا على عدائه وتصدوا له عشرات السنين. ويضاف الى ذلك توفر شعور حقيقي له جذوره في الاتحاد السوفياتي وفي قطاع الضباط والخبراء بشكل خاص ويطالب بحد ادنى من الوفاء تجاه العراق ، هذا الشريك الذي استفاد منه الاتحاد السوفياتي الكثير والذي يرتبط معه بمعاهدة صداقة.

منذ بدء الازمة كان الرئيس غورباتشوف يعارض استخدام القوة. وكان وزير خارجيته شفرنادزة قد ندد منذ الايام الاولى للازمة امام الوزير بيكر بسياسة القوة واسلوب التهديد بالبوارج والمدافع. ولكن الاتحاد السوفياتي سار خطوات واسعة في اتجاه رغبات واشنطن وخاصة في مؤتمر هلسنكي، ورغم ذلك فإنه لم يكن قد وصل الى حد الموافقة على استخدام القوة ضد العراق.

بدأ بيكر خطة كسب الاتحاد السوفياتي لصالح قرار استخدام القوة بأن مرّر الى الوزير شفرنادزة مسودة لنص القرار كما سوف يطرحه على مجلس الامن. وكانت المسودة

تشمل العبارة: "بما في ذلك القوات المسلحة". فرفض الوزير السوفياتي استخدام هذا التعبير الصريح ونوه الى أن ايراد النص عن استخدام القوات المسلحة سيوقظ كوابيس مزعجة في صفوف الشعب خشية أن تتورط قوات سوفياتية في حرب مع العراق من نوع الحرب الدموية التي عانى منها الاتحاد السوفياتي في افغانستان. واقترح شفرنادزة استخدام تعبير فيه تورية من جهة ويفيد استخدام القوة من جهة اخرى. فأجابه بيكر بأن القوة هي القوة ولايحل محلها تعبير آخر ولايجوز المجازفة باستخدام تعبير غير واضح يؤدي الى بلبلة في الرأي إذا ما احتاج الأمر الى استخدام القوة. وتم جدال وحوار بين الوزيرين حول التعبير القائل باستخدام "كل الوسائل الممكنة". وأصر شفرنادزة على عدم قبوله لأي تعبير آخر أكثر توضيحا من ذلك. وبيّن ايضا لجيمس بيكر أن هذا التعبير يفي بالمطلوب ويعني استخدام القوة . وكانت كلمته الاخيرة للوزير بيكر: " إن الولايات المتحدة تعرف ماذا تعني جميع الوسائل الممكنة، فلا تحرجونا ولاتضغطوا علينا ولاتكونوا متطرفين." [8] فأذعن بيكر ، بل إنه استجاب ايضا لتعديل طفيف آخر في مسودة القرار إذ قبل باضافة الكلمات الخمسة التالية:

" كلفتةٍ تتم عن حسن النية ". واصبحت الجملة في القرار: " .. أن تمنح العراق فرصة أخيرة كلفتةٍ تتم عن حسن النية للقيام بذلك." ويكتب ودورد في ذات المكان تعليقا عن ذلك فيقول: " كان غورباتشوف فخورا بتلك الصيغة. كان يريد لتلك الفترة الزمنية البالغة ٤٥ يوما أن تكون فرصة حقيقة للقيام بالمساعي الدبلوماسية ، وكان يريد استغلال علاقة الصداقة السوفيتية – العراقية للوصول الى حل سلمي. واعتبر الرئيس السوفيتي أن إدراج تلك الفقرة في نص القرار شرط لازم. ولن يدعم الاتحاد السوفيتي ذلك القرار بدونها."

وبذلك نجحت واشنطن في مسعاها وضمنت الا يقف في وجه القرار أي من الخمسة الكبار. لم تهتم واشنطن كثيرا بمواقف دول آخرى كبرى مثل ألمانيا التي كانت على طريق الوحدة واليابان وايطاليا واسبانيا ولم تعاملها بذات الحرص الذي كانت تبديه تجاه فرنسا والاتحاد السوفياتي لأنها غير ممثلة في مجلس الامن حيث سيجري التصويت على القرار. وفي ذات الوقت لم يكن خافيا على الرئيس بوش الاثر القوي الذي يمكن أن تمارسه المانيا على القرار الفرنسي. ومثل ذلك ينطبق على ايطاليا والسويد واسبانيا والدول الاسكندينافية الاخرى ولكن بوزن وبأبعاد أقل. ولكيلا تترك واشنطن الامور للصدف استغلت مؤتمر الأمن والتعاون الاوربي المنعقد في ١١/١٩ في باريس حيث سيجتمع ٣٤ رئيس دولة وحكومة اوربية فقرر الرئيس بوش الاشتراك شخصيا بالمؤتمر ومعه وزير خارجيته. ولم يكن

---

[8] - ودورد صفحة ٢٨٢

اشتراكهما لمجرد تهيئة وكسب معظم الاعضاء لخطة الحرب وإنما من أجل الحدّ من المبادرات المقلقة التي تسعى نحو الحل السلمي والتي تظهر هنا وهناك وتهدد نجاح المؤامرة الاميركية على العراق. وكان الرئيس ميتران مستهدفا أكثر من غيره لنشاطه في طرح الاقتراحات للحل السلمي. ويرى البعض في نشاط الرئيس ميتران محاولة لابتزاز أكبر كمّ من الفوائد الاقتصادية من الولايات المتحدة اكثر من حرصه على السلام ، وخاصة لأن إحكام قبضة واشنطن على المشاريع الصناعية والعمرانية في كل الخليج اصبح حقيقة مؤكدة لا ريب فيها . فبعد انتهاء مؤتمر باريس صرح الرئيس ميتران امام الصحافة العالمية وأعلن عن اعتقاده "بأن الأمم المتحدة ستصدر قرارا جديدا خلال ثلاثة اسابيع ويصرح على الارجح باستخدام القوة" [9] ولو شئنا الدقة في مضمون التصريح لاكتشفنا أن ميتران لم يلتزم بشكل قاطع برغبات واشنطن إنما نوه بأنه أصبح اقرب الى القرار الاميركي منه الى البحث عن الحل الذي لايحرج العراق.

في ٢٦/١١/٩٠ أي قبل اجتماع مجلس الامن بأيام ثلاثة وصل الوزير طارق عزيز الى موسكو فلم يحظ بأي تجاوب إنما اضطر لسماع كلمات متشددة تطالب العراق بتنفيذ معظم ما كانت واشنطن تصر عليه. ولاشك في أن موقف الاتحاد السوفياتي ازداد شدة تجاه العراق وتراخيا واستسلاماً تجاه رغبة واشنطن بعد أن وصل الامير سعود الفيصل، وزير الخارجية السعودية، الى موسكو ومنح الاتحاد السوفياتي قرضا بلغ ٤ مليارات دولار.

٢ – المباريات الخطابية في مجلس الأمن ضد العراق

لا يمكن لنا الخوض في حيثيات موافقة مجلس الأمن على القرار الخطير رقم ٦٧٨ الذي يخول الأمم المتحدة اتخاذ كل التدابير التي تراها لازمة لاخراج العراق من الكويت لسبب وجيه وهو انه لم تحصل أية مناقشات جادة حول القرار اصلا ولا حول مشروع القرار الذي وضعته واشنطن ووزعته على جميع الاعضاء. كل ما حصل هو ان اعضاء مجلس الأمن القوا بكلماتهم التي تمثل وجهات نظر بلادهم وكأنهم في حفل خطابي بلاغي حيث تفنن كل خطيب في انتقاء كلمات الشجب والاتهام من اجل ادانة العراق ، ولم نقرأ مثيلا حيا للنفاق العالمي الدعي في الدفاع عن القيم الحضارية والانسانية كما هو موجود في كلمات

---

[9] – لوران ، عاصفة الصحراء صفحة ٨٦

رؤساء الوفود في هذا الاجتماع الذي تميز بأن حضره وزراء خارجية الدول الاعضاء بناء على مساع مسبقه شارك في اجرائها الرئيس الاميركي بنفسه مع حكومات الدول . ولقد قام بذلك من اجل اعطاء الاجتماع والقرار المتخذ في الاجتماع طابعا مميزا على أعلى مستويات اصحاب القرار . فقط اليمن وساحل العاج شذتا عن ذلك فمثلهما مندوباهما الدائمان في الأمم المتحدة . ولا نعتقد ان الأمر مصادفة بحته أن كان دور الولايات المتحدة في ترؤس تلك الجلسة .

كان الاعضاء في مجلس الأمن آنذاك هم :

الولايات المتحدة ويمثلها جيمس بيكر ، المملكة المتحدة (بريطانيا) ويمثلها هيرد ، فرنسا ويمثلها دوما ، والاتحاد السوفياتي ويمثله شفرنادزه ، والصين ويمثلها اويان اويشن ، وهؤلاء هم الاعضاء الدائمون الذين يتمتعون بحق الفيتو ، ويضاف اليهم كندا ويمثلها كلارك ، وكولومبيا ويمثلها جارابيلو ، وساحل العاج ويمثلها ايسي ، وكوبا ويمثلها باوولي ، واثيوبيا ويمثلها دينكا ، وفنلندا ويمثلها باسيو ، وماليزيا ويمثلها ابو حسن ، ورومانيا ويمثلها ناستازة ، وزائير ويمثلها كاتانا ، واليمن ويمثلها الاشطل .

تحدث في الجلسة كل الاعضاء الدائمين والمرحليين دونما استثناء بالاضافة الى كلمة السكرتير العام خافيير دي كويلار وكلمتي الكويت والعراق . القى الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية كلمة الكويت والسيد عبد الاميرالانباري كلمة العراق ، وهو سفير العراق الدائم في الأمم المتحدة ، ونحن لن نورد كل كلمات الوفود انما نختار ما نراه ضروريا فنورده كاملا في ملحق هذا الفصل وهي كلمات العراق والكويت والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، ونتعمد ايراد كلمتي اليمن وكوبا اللتين رفضتا القرار ثم كلمة الصين التي تلاعبت بشكل بهلواني غير مقنع على النصوص من اجل تبرير عدم استخدامها لحق الفيتو الذي كان سيجهض تمرير القرار ، ونختار أيضاً من كلمات بعض الوفود ما نراه يفيد البحث .

الافتتاح من قبل جيمس بيكر : افتتح جيمس بيكر الجلسة بكلمة منه كرئيس لها مستشهداً بنص مؤثر جدا كان قد استخدمه امبراطور اثيوبيا السابق هيلاسيلاسي عام ١٩٣٦ امام عصبة الأمم منددا بالغزو الايطالي لبلاده:

" لا توجد سابقة لشعب كان ضحية لمثل هذا الظلم ، وهو الآن مهدد بأن يجري التخلي عنه لصالح من اعتدى عليه. وكذلك لم يحدث قط ان مارست حكومة ما ابادة منهجية على امة بوسائل بربرية مخالفة بذلك الوعود الجدية المعطاة لكل أمم الأرض بأن لا يلجأ احد لحرب فتوحات وأن لا تستعمل الغازات الضارة والسلامة ضد الناس الأبرياء . " ثم تابع بيكر كلمته الافتتاحية :

" هذه الكلمات كان يمكن ان يقولها على ما أظن امير الكويت . لكنه لم يفعل انما قيلت هذه الكلمات في عام ١٩٣٦ حين رأى قائد اثيوبيا هايلا سيلاسي بلاده تفتح وتحتل تماما كما أذلت الكويت منذ الثاني من آب/اغسطس . ومن المحزن ان النداء الموجه الى عصبة الأمم آنذاك اصطدم في نهاية الأمر بآذان صماء . وقد أخفقت جهود عصبة الأمم في ازالة العدوان فنجمت عن ذلك الفوضى الدولية التي انتهت الى الحرب.

وها هو التاريخ يعطينا فرصة اخرى الآن . فلدينا الآن بعد انتهاء الحرب الباردة الفرصة لبناء العالم الذي ارتآه مؤسسو هذه المنظمة ، منظمة الأمم المتحدة . لدينا الفرصة لنجعل مجلس الأمن والأمم المتحدة أداتين حقيقيتين للسلام والعدل لتشمل كل العالم . لا يجوز أن نجعل الأمم المتحدة تسير على خطى عصبة الأمم انما يجب ان نحقق رؤيتنا المشتركة لعالم ما بعد الحرب الباردة السلمي والعادل .ولنحقق ذلك يجب ان نجابه التهديد الذي يتعرض له السلام الدولي والذي أوجده عدوان صدام حسين . وهذا هو السبب الذي سيجعل من النقاش الذي نوشك أن نبدأه واحدا من أهم النقاشات في تاريخ الأمم المتحدة والذي سيكون له بالتأكيد أكبر الأثر في تحديد مستقبل هذه المنظمة .

يجب أن تكون غايتنا اليوم اقناع صدام حسين بأن المطالب العادلة والانسانية لهذا المجلس وللأسرة الدولية لا يمكن تجاهلها . وان لم يتراجع العراق عن منهجه بسلام يتوجب علينا اتخاذ اجراءات ضرورية اخرى بما في ذلك خيار استخدام القوة . وعلينا أن نضع صدام حسين أمام الخيار بعبارات لا تقبل اللبس . "

بعد هذا التقديم اعطى بيكر الكلمة الى ممثل الكويت المعتدى عليها والى ممثل العراق المعتدي استنادا الى المادة ٣١ من ميثاق الأمم المتحدة التي تعطي كل عضو في المنظمة حق الاشتراك في طرح وجهة نظره امام مجلس الأمن ولو كان غير عضو فيه ، ولكنه لا يتمتع بحق التصويت . وبعد كلمتي العراق والكويت تحدث كل رؤساء الوفود بدون استثناء. ونحن نورد في ملحق الفصل كلمات الدول التي سميناها. أما فيما يلي فنكتفي بتحليل الكلمات هذه لكشف الظروف المأسوية عن كيفية صنع القرارات هناك.

مناقشة كلمة الكويت:

إذا لخصنا كلمة الشيخ صباح الاحمد لوجدناه يمتدح بطولة المقاومة الكويتية ليقرن بين شجاعة الشعب الكويتي وبين شرعية حكم آل الصباح دون ان يتعرض لخروج هذه العائلة الى السعودية دون مقاومة تذكر ، ويؤكد على دور الولايات المتحدة الرائد ممتدحا الشعب الاميركي منذ حرب الاستقلال حتى الاجيال الحاضرة متناسيا الكم الهائل من الامثلة على نفاق السياسة الاميركية على مر العصور قبل حرب الخليج وبعدها ، ولا ينسى الشيخ صباح أن يرمي بكلمة مديح الى بريطانيا العظمى لئلا تشعر بالعزلة ولئلا تعتب .

ويؤكد الشيخ صباح ان الكويت مدينة الى الدول الاعضاء في مجلس الأمن وكأنما هو على اطلاع مسبق بأنهم سيوافقون على مشروع القرار ، ويشكر ايضا الدول التي ارسلت قواتها الى الخليج من اجل احقاق الحق وقهر العدوان . وندد الشيخ صباح بالاجتياح العراقي وبأعمال التخريب التي احدثها ويحدثها العراقيون لينتقل الى ان المجتمع الدولي عموما والعربي خصوصا اعطى العراق كل الفرص من اجل الحل السلمي ولكن العراق ركب رأسه، ولو التزم الشيخ صباح الاحمد جانب الحق لكان عليه ان يعترف بأن معظم المبادرات السلمية، عربية كانت أو غير عربية قد تم اجهاضها من قبل ذات القوى التي تدق اليوم طبول الحرب وتندب الحريات والقيم الانسانية .

ويرى الشيخ صباح الاحمد أن موافقة مجلس الأمن على القرار المطروح من قبل الولايات المتحدة سوف تفتح الباب للحل السلمي ، ولكننا نعترف بعجزنا عن ادراك هذه المعادلة المستعصية التي تسمح لدول العالم بالهجوم على العراق من اجل احلال السلام ، ونحن نرى ان من يريد السلام لا يحرص على اجهاض كل المحاولات والمبادرات التي تؤدي اليه .

نحن نؤكد مجددا بكل قوة رفضنا للغزو العراقي الذي استباح لنفسه الكويت ظلما وبهتانا ، ولكننا لا نستطيع تقبل كلمة الشيخ صباح الاحمد على انها تمثل الحق والحقيقة ككل، ولو اراد تمثيل الحقيقة لتساءل عن سبب اهمال المجتمع الدولي لحقوق الشعب الفلسطيني ولطالب بمنح القضية الفلسطينية ذات المعاملة الممتازة التي عوملت بها الكويت .

مناقشة كلمة العراق :

لو شئنا مناقشة كلمة الانباري لما وجدنا نقطة اساسية فيها الا ونوافقه عليها ونؤيده فيها ولكن كلمته ناقصة ! لقد اجاد في تفنيد استناد مجلس الأمن على ميثاق الأمم المتحدة لتبرير موافقته على القرار ، وسوف نعود الى معالجة هذه النقطة من اكثر من طرف آخر بعد قليل. وطَعَنَ بقوة في استئثار الدول القوية بحق الفيتو على حساب باقي الشعوب ، ثم كشف عن امبريالية الولايات المتحدة الأمريكية التي تبتز كل القوى الضعيفة في العالم بما في ذلك الاتحاد السوفياتي الذي كان له شأن في وقت ليس بالبعيد وبَيّنَ بوضوح كيف تمنعت واشنطن عن الخوض في حوار مع بغداد من اجل السلام وكيف حاصرت محاولات النقاش الاخرى ، وفضح الازدواجية السافرة في تعامل الولايات المتحدة مع مشاكل العالم وخاصة مع قضية الشعب الفلسطيني الصابر المجاهد ، ثم سعى الانباري الى تأليب وزراء خارجية الدول الاعضاء في الجلسة على الولايات المتحدة بالرغم من علمه بان سوادها الاعظم إما شريك

غير ملتصق بالولايات المتحدة أو خاضع لها مصلحيا كل الخضوع . ولو بذل جهداً في ابـراز الاذى الذي اصاب بلاده من السياسة الكويتية الفوقية التي لا تخلو من عجرفة وقرن ذلك مـع اعلان العراق عن استعداده للعودة عن الخطأ فلربما كان حظه اكـبر فـي ضـرب اسـفين يؤثـر ويهز تبعية الـدول الاعضـاء لـلارادة الاميركيـة ، فـالاميركيون حين يضغطـون علـى دولـة يستخدمون الضغط المصلحي مقرونا مع كلماتِ حـقٍ يُراد بهـا بـاطل حيث يُبرزون الصلـف العراقي واصرار العراق على رفض كل جنوح الى السلم ، فلـو سـحب ممثـل العـراق البسـاط من تحت الاساليب الاميركية الماكرة لما استتبت الامور لواشنطن بالشكل الذي تريده بالسهولة التي حصلت ، ولقد اعطت كلمة العراق واشنطن الذريعة التي تحتاجها تماما وخسر العـراق ! نعم إننا افتقدنا فـي كلمـة ممثـل العراق تقديـم اقـتراح واضـح مـتزن يعـرض اسـتعداد العـراق للانسحاب الكامل من الكويت وتـرك امورهـا لارادة مواطنيهـا إن تعهد مجلـس الأمـن باتاحـة الفرصة للانسحاب العراقي دون أن تهاجمه القوات فتغدر به .

لقد بدا خطاب ممثل العراق وكأنما كان يتكلم مع الولايات المتحـدة كنـدٍّ كـامل يتكافأ معها ، وحين كشف تمنع واشنطن عن التفاهم وفضح لجوءهـا الـى محـاصرة اي حـوار لحـل الأزمة استخدم اسلوبا قويا فيه ترفع القوي وفيه ادانة القوي للقوي ، وهذا ما لـم يكـن يتناسـب مع الموقف الذي كان يتواجد فيه العراق ، لاشك في ان قادة العراق تملكهم شيء من الاعتزاز والفخر ، وربما بعض الغرور في انهم يتعاملون مع دول العالم من خلال منبر الأمـم المتحـدة كخصم عنيـد يُحسـب لـه حسـاب ، ولا شـك فـي اننـا نفخـر بـأن يظهـر العـراق قويـا ، ولكننـا لانشارك العراق في تقديره لنفسه ولا نعتقد انه ذاته كان يقدر الموقـف الـذي كـان يتواجـد فيـه حق قدره ربما يكون العراق على حق في انه اضحى قوة عسكرية لها وزن كبير في المنطقـة بل ربما يكون اقوى قوة ضاربة فيها . ولكـن كـان علـى العـراق تقديـر حقيقـة ضعفـه الكـامل بالمقارنة مع القوى العالمية التي تتربص بـه الدوائـر وتتـآمر عليـه وتحـرص هـي ذاتهـا علـى خداع العراق من خلال ابرازه كند يتساوى معها.

مناقشة كلمة اليمن:

بَيَّن مندوب اليمن في خطابه وقوف بلاده على الحياد لتتمكن من الاسهام في التوسـط والبحث عن الحل السلمي، وهذا الحياد صحيح تماما وينطبق على كل فترة الأزمة ما عدا مـا يخص التصويت الاول في مجلس الأمن على القرار ٦٦٠ حيث غادر السيد عبداللـه الاشـطل قاعة الاجتماع وقت التصويت مما سمح بتمريـر ادانـة العـراق ومـمـا ادى بـدوره الـى تثبيـت الاتجاه العام ضد العراق ، وهذا هو ما استند اليه وزراء الخارجية العرب فاسـتخدموه نبراسـا

لاتباع خطة الادانة حسب الرغبات والضغوط الاميركية ، ولقد بينا لدى معالجتنا للقرار المذكور مدى دهشتنا من تصرف المندوب اليمني وشرحنا الاسباب التي تجعلنا نُعَرِّضُ بدوره السلبي اشد تعريض لانه لو استخدم حقه القانوني في تأجيل قرار الادانه لمدة ٢٤ ساعة لأمكن للأمور أن تسير في منحى آخر وفندنا ايضا حجته التي حاول من خلالها تبرير عدم مشاركته في التصويت .

وفيما عدا ذلك نتفق مع السيد الاشطل في كل كلمة قالها ، فلقد ندد بالاجتياح العراقي وطالب بعودة الشرعية السابقة الى الكويت وبكل ما تطالب به قرارات الأمم المتحدة العشرة التي سبقت ذلك التاريخ ، واوضح عدم استناد القرار ٦٧٨ الى أية مادة محددة في ميثاق الأمم المتحدة ، وبين ان القرار يمنح القوات العالمية حق الهجوم المسلح على العراق بشكل لا تحديد له ولا قيود ، وشكا من ان تدابير الحصار على العراق لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم المتحدة مبيناً بمرارة كيف ان قرارات الحصار على العراق تطبق بكل حذافيرها بقوة المدفع والصاروخ بينما قرارات الحصار الاخرى بقيت بعيدة عن المراقبة الحقيقية . وكانت الجملة الاوقع والاكثر رصانة في كلمته هي التي تحدث فيها عن توفر سيناريوهات متعدده للحرب بينما غاب اي سيناريو آخر يبحث عن السلام ، ثم استغرابه المحق في تصرفات الأمم المتحدة حيث قال :

" اليس غريبا أن مجلس الأمن ولفترة طويله لم يخرج بقرار واحد يطلق يد الأمين العام ويفوضه بوضوح بالدخول في جهود وساطة لحسم الأزمة بالطرق السلمية ؟ ".

هذا وأوضح السيد الاشطل بأن العراق أعرب عن استعداده للدخول في مباحثات مع الولايات المتحدة بينما اوصدت هذه الباب في وجهه .... الى ان وصل الى الطف الجمل واكثرها مرارة وسخرية في كلمته حيث قال :

" من دواعي السخرية ان الدول التي ظلت تحاضر فينا لمدة سنوات طوال عن فضائل الحوار والتفاوض الدبلوماسي هي نفسها التي تقول " لا " لمبادرات السلام وخطط السلام " .

تعليق على كلمة كوبا:

لا تحتاج كلمة كوبا الرائعة الى الكثير من الشرح . فهي في رأينا شديدة التكامل وتضع الاصبع فوق الجرح المؤلم دون غوغائية وبدون اي استطراد مسرحي للاستهلاك الشعبي . ان كلمة كوبا افضل من كلمة العراق الذي لم يعط الموقف حقه من المعالجة

الموضوعية الرزينة وأفضل من كلمة الكويت التي أفاضت في التباكي والتجريح والتكرار المفرط مما أضاع جزءا من مصداقيتها بالرغم من صحة مضمونها من حيث المبدأ.

مناقشة كلمة الصين:

لا نشك في وجاهة كلمة الصين . ولكننا نتساءل اين نجد التوازي بين المضمون الجيد لهذه الكلمة التي تدافع عن حقوق الدول وبين ما فعلته الصين مع كوريا عام ١٩٥٠ ومع فيتنام في فترات تالية . ونتساءل : هل اتخذت الصين هذا الموقف المحايد انطلاقا من قناعاتها المعروضة في كلمتها السابقة ام انها تأثرت شديد التأثر بالقروض المالية التي حصلت عليها " بالصدفة " بعد اتخاذها لهذا الموقف بقليل ؟ ويهمنا على كل حال ان موقفها الذي يبدو للبعض محايدا لم يكن كذلك تماما لأن الولايات المتحدة استخدمته وتعاملت معه كعقبة تم تجاوزها ، لأن الصين كانت تستطيع استخدام حق الفيتو لايقاف القرار ، ولكنها لم تفعل فأمكن بذلك قبوله من قبل الأكثرية. لقد شابه تصرف الصين تصرف مندوب اليمن عند التصويت على القرار الأول ٦٦٠ ، وفلسفت الصين مخططها الثابت الذي سمح للقرار بالمرور.

مناقشة كلمة الولايات المتحدة:

تميزت كلمة بيكر بالعنف مستخدمة اكثر التعابير اثارة للعراق ، فقد ورد فيها : ارتكاب العراق للجرائم ، اهانة المجتمع الدولي ، الاعمال الوحشية ، العدوان الوحشي ، النهب والسلب ، الرهائن والعدوان السافر وغير ذلك من التعابير ، وتطابقت لهجة كلمة بيكر مع الخط العام للسياسة الاميركية التي لا تسعى الا الى استفزاز العراق ودفعه الى الحرب .!

افتتح بيكر كلمته بمآسي الجرائم التي ترتكب ضد المواطنين في الكويت مع ان هذا الموضوع لا يمس جوهر القضية انما يُتخذ عادة ذريعة لتبرير تحطيم الخصم الذي تنسب له هذه الاعمال ، اننا لا نقلل من شأن الاعمال غير الانسانية التي لا بد قد قام بها بعض العراقيين واعدم بسببها عدد من الذين اقترفوها ، ولكننا لا نستطيع تقبل ايراد هذه الحجة كوسيلة لبلوغ المآرب السياسية المشبوهه وخاصة حين تكون الاتهامات مبالغاً بها أو كاذبة في الاصل ، ونستشهد على ذلك بشهادة الفتاه الكويتية " نيرة " التي زعمت امام الكونغرس الاميركي مزاعم شنيعة عن تجاوزات العراقيين امام أعينها ، وبعد الحرب ظهرت الحقيقة في ان تلك الفتاة هي ابنة السفير الكويتي في واشنطن وانها لم تكن في الكويت منذ ما قبل الاحتلال. وفي سياق تطرقنا لهذه النقطة من الموضوع نتساءل أين اختفت هذه المفردات التي

استخدمها الوزير الاميركي حين كان الاسرائيليون يحطمون عظام الفلسطينيين بالصخور وهم احياء ونتساءل عن صمته حين طمرت القوات الاميركية البطلة الجنود العراقيين احياء تحت الرمال.

واستثار بيكر حفيظة دول العالم منبها اياهم الى ان العراق اصابهم باهانة كبرى من خلال اعماله الوحشية ، ثم ذرف بيكر دموع التماسيح على الكويت الضحية ، ولكنه صمت صمتا مطبقا عن الحقيقة الواضحة في انه لو تكلم باللهجة المناسبة في الساعة المناسبة قبل الغزو العراقي لما اصاب الكويت اي اذى ولما تجرأ جندي عراقي واحد على تجاوز الحدود .

ووصف بيكر الرئيس صدام حسين بأنه رجل خطير وطموح يمتلك كميات هائلة من السلاح ويهدد الشرق الاوسط ، ولكنه نسي أن كل السلاح كان يأتيه من الولايات المتحدة ومن تلك الدول التي تحمل الآن الوية المحبة والعدالة والسلام .

وأكد بيكر على أن قرار مجلس الأمن يهدف الى تبديد اوهام العراق في امكانه البقاء في الكويت ، وأخذ يهدده بالكوارث إن لم ينسحب ممتثلا الى قرارات مجلس الأمن التي سبقت ذلك التاريخ، تلك القرارات التي لم يكن ليصدر واحد منها لولا ابتزاز واشنطن لعلاقاتها مع مختلف الدول .

ثم وجه بيكر الى الرئيس صدام قوله بأن واشنطن تبحث عن حل دبلوماسي وخاطبه بقوله :

"بوسعك أن تختار السلام باحترام ارادة المجتمع الدولي ، ولكن اذا لم تفعل ذلك فإنك ستجازف بكل شيء".

كانت هذه هي الجملة الوحيدة التي جرت على شفتي الوزير الاميركي عارضا على العراق السلام ، ولكننا إن امعنا في كلماتها لما وجدنا فيها اي قبس من مسالمة إنما التهديد والوعيد الذي يوجه العراق الى التصلب والتحجر في اخذ المواقف بدلا من الاستجابه ، ويدفعه الى تفضيل الانتحار مع الكرامة بدلا من الاستسلام لعجرفة اقوى دول الارض .

مناقشة كلمة الاتحاد السوفياتي :

نلاحظ أن شفرنادزة افتتح كلمته بتلك الفقرة الصغيرة التي لا تخلو من ممالأة غير محببة بأذيال الولايات المتحدة . ولكن باقي ما ورد في كلمته يختلف في نقاط هامة وجوهرية عن كلمة بيكر المسعورة . فلقد لجأ شفارنادزة الى تحذير العراق من مغبة تصلبه وناشده أن يحكم العقل . وناشد العراق والرئيس صدام أن يترفع عن اعتبارات المقام والهيبة واستحثه بقوة على عدم الانفعال تجاه التحريضات الاميركية . ويبدو أن شفارنادزة اكتشف نقطة

الضعف لدى الرئيس صدام فحذره من الوقوع في " حفرة المقام والهيبة " التي تحفرها له واشنطن .

لقد وجه شفرنادزة تهديداً الى العراق . لكن تهديده لم يأخذ صفة التحدي إنما ترك للحوار باباً ورجا العراق أن يبدأ بطرق هذا الباب وأن يستخدمه لإنقاذ جلده . وحين أورد شفرنادزة التهديد قرنه بتوفر المشاعر الطيبة التي تكنها بلاده نحو دولة العراق ونحو شعبه .

وفي ذات الوقت الذي لم يحبذ فيه شفرنادزة الربط بين القضية الفلسطينية وأزمة الكويت وجدناه يرفض بل يندد بوجهة النظر الاميركية التي تؤكد عزمها على تأجيل بحث حل القضية الفلسطينية الى ما بعد انتهاء ازمة الكويت . لم يفصح شفرنادزه عن تنديده بالموقف الاميركي بوضوح ولكن التنديد موجود ، والمطالبة بحل مشاكل الشرق الاوسط الاخرى موجوده ، وانتقاد المجتمع الدولي في تقاعسه السابق وايقافه الحالي لبحث حل تلك المشاكل واضح ، فهو يتساءل : (لماذا ينبغي ايقاف كل ذلك الآن ؟) ويدافع بعد ذلك عن فكرة الربط بين القضيتين ثم يعلن عن استعداد الاتحاد السوفياتي للدخول مع كل الاطراف في الحوار .

ولما طالب شفرنادزه العراق بوضع نهاية للعدوان اكد على عدم تأييد الاتحاد السوفياتي لأية قرارات جديدة في مجلس الأمن تهدف الى المزيد من الضغط على العراق وحصاره .

اتصفت كلمة الاتحاد السوفياتي بالعقلانية والمصداقية وبشيء من المرونة ، لقد سايرت الخط الاميركي في نهاية المطاف ولكنها عبرت عن قسط من الوفاء لشعب العراق وأسدت اليه النصح ، ولو لم يكن الاتحاد السوفياتي يواجه كوارث تموينية حادة لكان لموقفه آنذاك شأن آخر ، ونحن نأسف أن لم يتجاوب العراق مع الخط السياسي الذي اقترحه الاتحاد السوفياتي. فلو استجاب العراق وركبت واشنطن رأسها بالرغم من ذلك لَبَرَزَ احتمال في أن يتصرف الاتحاد السوفياتي بشكل مغاير تماماً. صحيح أن الاتحاد السوفياتي كان بحاجة ماسة للمساعدات ، ولكن كانت هناك (عتبات من الكرامة) لم يكن للاتحاد السوفياتي ليتخلى عنها بسهولة إن وصل الاستهتار الاميركي به الى حد لا يطاق .

مناقشة كلمة دي كويار

ترى كيف لنا أن نعلق على هذه الكلمة التي صدرت عن هذا الرجل الذي يشغل أهم منصب في العالم ؟

حين كنا في الصف الثاني إعدادي في مدرستنا في دمشق شرع استاذ الكيمياء في تعليمنا صفات الهواء فقال لنا أن الهواء هو مادة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. وهذا

الوصف هو الذي ينطبق تماما على كلمة هذا الرجل المسكين المدعو خافيير بيريز دي كويـار ، بل إن الهواء يتميز عنها بأن لـه وزن بينمـا كلمتـه بـدون اي وزن ، ولـو قلّبنـا كلمتـه علـى مختلف الوجوه ولو اعتصرناها اعتصاراً بأكبر قوة في متناول ايدينا لما خرجنـا الا بالانطبـاع انها بدون لون وبدون طعم وبدون رائحة وبلا وزن .

لقد امتنع هذا السكرتير العام عن ملء الوظيفة التي عهد بها اليه بأي مضمون مؤثـر فـاعل واكتفى بكلمـات جوفـاء . نحن لا نشك فـي ان واشنطن أثرت علـى قراراتـه وعلـى تصرفاته فاستسلم واستجاب ولم يبد تجاه التآمر الدولـي علـى العراق اي صلابـة ولـم يشـجب التآمر لاسرا ولا علنا ولم يدعُ الى شيء من العدل في التعـامل مـع الأزمـة ، انـه لـم يقـدم اي اقتراح محسوس يفرض علـى اطـراف الأزمـة الحـوار ولـم يطـالب لنفسـه بـأي دور حقيقـي لمحاولة جادة لتطويق الأزمة إنما ارتضـى لنفسـه دورا مهلهلا معيبا جعلـه كمضغـة لفظتهـا سياسة البيت الابيض .

ولو حللنا كل تصرفاته التي سنعالج بعضها في مرحلة قادمة فسوف نجد انـه تخلـى عن شخصيته كليا منذ بدء الأزمة حتى آخر لحظة من شـغله لمنصـب السكرتير العـام للأمـم المتحدة . قد يكون دي كويلار اعتبر من مصـير داغ همرشـولد الـذي اغتالتـه المصـالح حين اراد التشبث بالحق في قضية الكونغو وكاتنجا فخاف من أن يلقـى ذات المصـير ، ولكـن كـان من الافضل له أن يستقيل فينجو دون ان يحمل اوزار الخطيئة على كاهله ودون أن يذهبَ فـي كتب التاريخ الى حالك الظلام .

٣ – نص القرار ومناقشة شرعيته

وننتقل الآن الى نص القرار الخطير الذي يقول :

ان مجلس الأمن اذ يشير الى، ويعيد تـأكيد قراراتـة ٦٦٠(١٩٩٠) و ٦٦١(١٩٩٠) و ٦٦٢(١٩٩٠) و٦٦٤(١٩٩٠) و٦٦٥(١٩٩٠) ، و٦٦٦ (١٩٩٠) و ٦٦٧ (١٩٩٠) و٦٦٩ (١٩٩٠) و ٦٧٠(١٩٩٠) و ٦٧٤ (١٩٩٠) و ٦٧٧(١٩٩٠).

واذ يلاحظ رغم كل مـا تبذلـة الأمم المتحـدة مـن جهـود ان العـراق يرفـض الوفـاء بالتزاماتـه بتنفيذ القـرار ٦٦٠(١٩٩٠) والقـرارات اللاحقـة ذات الصلـة المشـار اليهـا اعـلاه ، مستخفا بمجلس الأمن استخفافا صارخا.

واذ يضع في اعتباره واجباته ومسؤولياته المقررة بموجب ميثاق الأمم المتحدة تجاة صيانة السلم والامن الدوليين وحفظهما.

وتصميما منه على الامتثال التام لقراراته

واذ يتصرف بموجب الفصل السابع من الميثاق،

١- يطالب بأن يمتثل العراق امتثالا تاما للقرار ٦٦٠(١٩٩٠) وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة ويقرر، في الوقت الذي يتمسك فيه بقراراته، ان يمنح العراق فرصة اخيرة، كلفتة تنم عن حسن النية، للقيام بذلك.

٢- يأذن للدول الاعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت، ما لم ينفذ العراق في ١٥ كانون الثاني/يناير ١٩٩١ أو قبله القرارات السالفة الذكر تنفيذا كاملا، كما هو منصوص عليه في الفقرة ١ اعلاه ، بأن تستخدم جميع الوسائل اللازمة لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠(١٩٩٠) وجميع القرارات اللاحقة ذات الصلة واعادة السلم والامن الدوليين الى نصابهما في المنطقة.

٣- يطلب الى جميع الدول ان تقدم الدعم المناسب للاجراءات التي تتخذ عملا بالفقرة ٢ من هذا القرار.

٤-يطلب الى الدول المعنية ان توالي ابلاغ مجلس الأمن تباعا بالتقدم المحرز في ما يتخذ من اجراءات عملا بالفقرتين ٢و٣ من هذا القرار.

٥- يقرر ان يبقي المسألة قيد النظر.

وافق على القرار ١٢ دولة وامتنعت الصين عن التصويت كما رأينا ورفضته كوبا واليمن ، وكان يكفي لنفاذ القرار تسعة اصوات حسب المادة ٢٧ من الميثاق شريطة أن تشمل اصوات الاعضاء الدائمين .

ليس من السهل علينا المرور على القرار ٦٧٨ دون تناوله بالنقد والتجريح ، وحين نفعل ذلك نتوصل الى نتيجة معيبة لوجدان المجتمع الدولي إن كان لهذا الوجدان ثمة وجود ، ونستنتج ايضا بالضرورة ان نصوص الميثاق وضعت لتنفذ على الضعفاء وليس على الاقوياء، بل إن المدى الذي تتضمنه هذه النصوص يجري تضخيمه حين يراد تحجيم دولة مستضعفه مثل العراق، ويجري مسخه الى حدود العدم حين يتعلق الأمر باحدى القوى الكبرى في هذا العالم .

قبل الشروع في تحليل القرار نلفت الأنظار الى أن الأمم المتحدة اتخذت خلال ثمانية أعوام من الحرب الضروس بين العراق وايران ثمانية قرارات خالية من العنف وأضعف من ان تؤدي الى حل المشكلة. أي بمعدل قرار في كل عام بأكمله. أما في حال العراق فقد أنجز

مجلس الأمن اثنى عشر قراراً كلها عنف واستثارة لمشاعر العراقيين لكي لا تترك لهم فرصة للتفكير بهدوء.

نبدأ تحليلنا لنص القرار بادانة استناده الى " بابٍ " بأكمله من ابواب الميثاق ، وهو الباب السابع . وهذا إن دل على شيء فعلى هزال وضعف حجة من وضع نصه ، فالقرار القوي يجب ان يستند الى مادة محددة شديدة الوضوح قانونياً . فلو نظرنا الى الباب السابع في الميثاق لوجدناه يتألف من ثلاثة عشر مادة يتألف عدد منها من عدة بنود ، كل مادة وكل بند منها تم تحضيره بدقة وجرت قبل اعتماد كلماته وحروفه مباحثات ونقاش بين مختلف الوفود التي أسست الأمم المتحدة لكي يستند اي قرار خطير كالذي نحن بصدده على مادة أو على بند بذاته. وإن لم توجد تلك المادة يعتبر النص في الميثاق ناقصا فيه ثغره يجب تلافيها .

وبعد هذه الادانة العامة نخوض في تفاصيل تثبت لنا عدم شرعية القرار ، فالبند الاول من المادة الاولى من الميثاق تقول :

إن اهداف الأمم المتحدة هي :

١- حماية السلام العالمي والامن الدولي. وتحقيقا لهذه الغاية تتخذ التدابير المشتركه الفعالة لدرء الاخطار التي تهدد السلام وابعاده ، والقضاء على كل عدوان أو غيره من الاعمال التي تخل بالسلام والتمسك في حل المنازعات ذات الطابع الدولي بالطرق السلمية وفقا لقواعد العدل والقانون الدولي في حل هذه المنازعات أو الاوضاع الدولية التي من شأنها أن تؤدي الى فصم عرى السلام .

اذن فإن اول اهداف هذه المؤسسة العالمية هو التمسك بالطرق السلمية لدى حله للنزاعات الدولية وفقا لقواعد العدل والقانون الدولي ، وهذا ما لم تلجأ اليه الأمم المتحدة في أية لحظة منذ الاجتياح العراقي حتى نهاية الحرب المدمرة .

ونتأكد ايضا من عدم شرعية القرار من خلال إحجام الصين عن الموافقة عليه ، وما اعتبارُ رئيسِ الجلسةِ المعنيةِ (جيمس بيكر) امتناعَ الصين على أنه موافقة، سوى تزييف ودجل ، فنص المادة ٢٧ من الميثاق التي تحدد حيثيات التصويت يقول:[١٠]

المادة ٢٧ :

١- لكل عضو من اعضاء مجلس الأمن صوت واحد .

---

[١٠] - يكتب شفيلمان على الصفحة ١٢٩ بهذا الصدد:" إن ميثاق الأمم المتحدة ينص على أن استخدام القوة يجب أن يكون نتيجة تصويت تأكيدي من قبل الأعضاء الخمسة الدائمين، ولهذا يمكن التأكيد بأن القرار ٦٧٨ كان غير شرعي."

٢- تتخذ قرارات مجلس الأمن حول المسائل الاجرائية، بتصويت تسعة من اعضائه لصالحها .

٣- تتخذ قرارات مجلس الأمن في كافة القضايا الاخرى ، بتصويت تسعة من اعضائه لصالحها بما فيها اصوات الاعضاء الدائمين ، على ان يراعى قبل التصويت احكام الباب السادس والمادة ٥٢ الفقرة ٣ الخاصة بتحفظ العضو المشترك في النزاع عن التصويت .

اذن فالبند الثاني من المادة يتحدث عن ضرورة تصويت ٩ أعضاء بما فيها اصوات الاعضاء الدائمين الخمسة ليصبح القرار نافذا ، ولكن الصين لم تكن مع القرار ، فلو قرأنا كلمة مندوب الصين اثناء الجلسة لاثار انتباهنا شرحه للاسباب الموجبة التي جعلته لا يصوت مع القرار فاصلا اياها عن شرح الاسباب التي جعلته لا يصوت ضد القرار ، اذن فالصين اتخذت موقفا قاطعا في وضوحه واخذت موقف الحياد وهذا يختلف كليا عن امكان ادراجه تحت التعبير (بما فيها اصوات الاعضاء الدائمين) واذا رجعنا الى الجملة الختامية في كلمة المندوب الصيني لوجدنا فيها قرينة واضحة ضد قرار استخدام القوة .

ولننظر الآن الى نصوص المواد ٣٣ - ٣٤ من الباب السادس من الميثاق والتي تقول :

المادة ٣٣

١- على اطراف النزاع الذي من شأنه تهديد السلام والامن الدوليين ان يسعوا لحله قبل كل شيء بالمفاوضات ، أو عن طريق لجان تحكيم ، أو الوسطاء ، أو لجان التقريب ، أو التسوية القضائيه ، أو الاتفاقات الاقليمية ، أو التفاهم ، وغيرها من طرق التفاهم السلمية التي يختارونها .

٢- يدعو مجلس الأمن ، عندما يرى ضرورة لذلك ، اطراف النزاع الى تسويته بهذه الوسائل.

المادة ٣٤ :

يمكن لمجلس الأمن أن يحقق في كل نزاع أو في كل حالة يمكن لها أن تؤدي الى خلاف دولي أو تتحول الى نزاع ، كي يتمكن من التأكد من أن استمرار هذا النزاع أو الحالة يشكل خطرا على السلام والامن الدوليين .

فإذا قارنا تلك النصوص المحددة والواضحة مع واقع التدابير التي انجزتها هيئة الأمم مع الأزمة لاكتشفنا انها لم تحاول في أية لحظة من لحظات النزاع جمع الفريقين للتفاوض بشكل جدي وفاعل ، فقط في القرار رقم ٦٦٠ تمت دعوة العراق للبدء فورا باجراء مفاوضات مكثفة لحل الخلافات ، ولكن كل النص الباقي من القرار ذاته اوصد الباب باحكام

في وجه استجابة العراق لأية مفاوضات ، وفضلا عن ذلك فإن مطالبة مجلس الأمن في القرار ٦٦٠ باجراء المفاوضات لم يكن اكثر من" رفع عتب " إذ لم يحصل أن كرره مجلس الأمن في اي قرار لاحق ولا توجد اي وثيقة تشير الى ان الأمين العام للامم المتحدة طالب الفريقين بالاجتماع لحل النزاع ملوحا بتدابير العنف التي على العراق توقعها إن بقي على عناده ، ولم يقترح تشكيل لجان تحكيم ، ولم يعين وسطاء ولا لجان لتقريب وجهات النظر أو للتوصل الى تسوية قضائية ، هذا وان المادة ٣٧ من الميثاق تنص على مايلي :

المادة ٣٧ :

١- اذا لم يتوصل اطراف النزاع من النوع المذكور في المادة ٣٣ ، الى تسويته بالطرق المبينة في تلك المادة ، فيمكن لهم ان يرفعوه الى مجلس الأمن .

٢- اذا رأى مجلس الأمن أن استمرار النزاع يمكن أن يهدد حفظ السلام والامن الدوليين ، فعليه أن يقرر اما طبقا لاحكام المادة ٣٦ أو اقتراح شروط الحل المناسب .

وهذا يعني التزام الهيئة الدولية بمتابعة المفاوضات التي يجريها طرفا النزاع. فإذا لم تنجح المفاوضات تبدي الهيئة الدولية استعدادها لاخذ زمام الامور إن رفع المتنازعان امرهما لمجلس الأمن ، اما اذا لم يفعل المتنازعان ذلك ، وإن رآى مجلس الأمن أن النزاع يهدد السلام العالمي فعليه إما أن يقرر أو ان يقترح الشروط المناسبة للحل ، وهذا ما لم تفعله الأمم المتحدة في اي وقت من الاوقات انما اقتصر دورها على ادانة طرف واحد من طرفي النزاع ولم يكلف مجلس الأمن نفسه مجرد البحث في اخطاء أو تجاوزات قد يكون ارتكبها الفريق الآخر ، وبالاختصار : لقد كان هناك مراحل متعددة كان على الأمم المتحدة أن تخطوها قبل ان تصل الى استخدام اللهجة التي وردت في القرار الاول ذي الرقم ٦٦٠ .

قد يرى بعض المفكرين السياسيين بأن هيئة الأمم لم تكلف رسميا بالتدخل من اجل حل هذا النزاع لانه يحمل الطابع الاقليمي ولذلك فهو خارج نطاق اختصاصها ، وهذا خطأ يُراد به تشويه الحقيقة فمجرد اصدار القرار ٦٦٠ بعد ساعات من الاجتياح العراقي هو اعتراف رسمي بانضواء النزاع تحت اجنحة الأمم المتحدة وبضرورة حمل مسؤوليتها عما سوف يحدث وعما يجب أن يحدث في اوساطها من اجل التوصل الى الحل السلمي . بل إن هذا القرار يمثل قفزة مرعبه لان الأمم المتحدة قفزت عن كل المواد والبنود المنصوص عنها في الميثاق والتي تدعو الى البحث عن سلام تفاوضي . فلقد اصدرت قرار الادانة دون قيد أو شرط .

ولو شئنا الدقة لوجدنا انه كأن على الأمم المتحدة الشروع في تفادي الأزمة قبل اندلاعها وذلك من خلال محاولات لتقريب وجهات النظر بين العراق والكويت بمجرد ظهور السحب الداكنة في سماء الخليج . فالخطر ظهر للأمم المتحدة ولكل دول الارض قبل ١٩٩٠/٨/٢ . وموضوع الحشود العراقية تناوله الاعلام العالمي بصراحة وعلنية قبل الاجتياح ايضا . والمادة ٣٤ تمنح الأمم المتحدة حق التحقيق بل تكلفها تكليفا به وفي كل ازمة عالمية قبل انفجارها لمجرد انها قد تؤدي الى نزاع يهدد الأمن والسلام . فأين اختفى خافيير دي كويار في ذلك الحين ؟

إننا نحاول ايجاد العذر لعدم نشاط الأمم المتحدة لتفادي الأزمة الى انها كيان اداري روتيني بطيء لم يستوعب من لدنه الخطر المحدق بمنطقة الخليج . ولكن تلك الحجة واهية . فهل يعقل أن لم تستخدم أية دولة عضو أو غير عضو في الأمم المتحدة حقها القانوني المنصوص عنه صراحة في المادة ٣٢ من الميثاق في لفت نظرها الى الغيوم السوداء التي تهدد السلام ؟ واين هي اتصالات الولايات المتحدة مع هيئة الأمم منبهةً لها الى الاخطار المحدقة ؟ الم تنفعل يا ترى واشنطن بالشكل الذي يتفق ويتماشى مع جزعها العظيم من الخطر الذي يهدد مصالحها الحيوية في الخليج ، فتعلم الأمم المتحدة عن الخطر ؟ .

وهل فضّلت الأمم المتحدة ترك المجال مفتوحا امام الجامعة العربية ، وهي منظمة اقليمية معترف بها عالميا لتحل هذا النزاع بوسائلها المحلية والقومية وذلك طبقا للبند الثاني من المادة ٥٢ من الميثاق ؟ لو كانت الأمم المتحدة قد قررت ذلك لما استبقت هي اي قرار آخر بادانة الغزو العراقي ؟ ولو قبلنا جدلا بأن الأمم المتحدة ارادت منح الجامعة العربية فرصتها فهل لم تستنتج بعد ثمانية ايام من الغزو عجز الجامعة العربية التي انشقت على نفسها في قمة العاشر من آب / اغسطس وحيث وافق عدد كبير من اعضائها على دخول القوات الاجنبية الى الخليج وذلك تحت جنح الأمم المتحدة ؟ .

لاشك اذن في ان الأمم المتحدة تعمدت عدم بذل اي جهد للاحاطة بالنزاع وفي انها سارت حسب المخطط الذي حددته لها واشنطن ولم تحد عنه قيد انملة منذ البدء حتى وقوع الكارثة .

ونضع الآن المواد ٤١ - ٤٢ - ٥١ من الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة تحت المجهر متسائلين عن مدى تغطيتها للقرار ٦٧٨ وسوف يثبت للقاريء بأننا حين نحاكم هذه النصوص بالمنطق الرياضي الملزم فسوف نستنتج عدم شرعية القرار من الاصل .

المادة ٤١ : على مجلس الأمن أن يقرر ما يجب اتخاذه من تدابير لا تتطلب استخدام القوة المسلحة لتنفيذ قراراته ، وله أن يدعو اعضاء الأمم المتحدة الى تطبيق هذه التدابير ، ومن ضمن هذه التدابير يجب أن تشمل قطع العلاقات الاقتصادية والخطوط الحديدية والجوية والبحرية والبرية والبرق واللاسلكية وغيرها من وسائل الاتصال ووقفها وقفا تاما أو جزئيا وكذلك قطع العلاقات الدبلوماسية .

المادة ٤٢ : اذا ارتأى مجلس الأمن بأن التدابير المنصوص عليها في المادة ٤١ غير مجدية او تبين انها غير كافية ، جاز له أن يستخدم القوى الجوية أو البحرية أو البرية اللازمة للحفاظ على السلام والامن الدوليين ، أو اعادتهما .

إذن فنص المادة ٤١ يُلزم مجلس الأمن بأن يقرر التدابير المختلفة ضد الدولة المعتدية ليضمن وليفرض اعادة الامور الى نصابها كما كانت قبل العدوان ، ولكن المادة تستثني بوضوح التدابير التي تحتاج الى استخدام السلاح ، وفي الوقت نفسه تحدد المادة ٤١ بالاسم تلك التدابير التي يجوز اللجوء اليها ، وكلها يصب في حصار اقتصادي واعلامي ودبلوماسي ، اذن فالمادة ٤١ لا تغطي القرار ٦٧٨ بأي غطاء شرعي.

ولكن المادة ٤٢ تجيز استخدام القوة الجوية أو البحرية أو البرية اللازمة للحفاظ على السلام والامن أو لاعادتهما إن كان قد تم تجاوزهما ، ولكن هذه الاجازة مشروطة ولا يجوز اللجوء اليها الا اذا تيقن مجلس الأمن ان التدابير المنصوص عنها في المادة ٤١ لم تأت بالنتائج المتوخاه منها أو اذا ثبت للمجلس عدم كفايتها لتحقيق الهدف المرجو منها .

هنا نريد الاشارة بوضوح الى كلمة " للحفاظ على السلام ". فمجلس الأمن كان يحق له اذن اتخاذ التدابير العسكرية منذ ما قبل الاجتياح العراقي للكويت لحفظ السلام الذي كان مستتباً . ولكنه لم يقم بأي عمل من شأنه ردع العراق قبل غزوه للكويت ، وهذا ينسحب بدقة على قناعتنا في ان الولايات المتحدة الاميركية كانت تحرص على دفع العراق الى الهاوية لكي تندلع في نهاية الأمر الحرب الاستهلاكية الكبرى التي خططت لها ونفذتها بنجاح كبير .

ونعود الى متابعة مناقشة المادة ٤٢ فنتساءل : اين هي تقارير هيئة الأمم المتحدة التي تفيد أن تدابير العقوبات الحازمة ضد العراق لم تأت بنتيجة ؟ لو كان يتوفر لدى الأمم المتحدة مثل هذه التقارير لكان واضع مسودة القرار ٦٧٨ اول من صاغ نصه على شكل مغاير تماما مثل :

" بعد التثبت من ان تدابير العقوبات ضد العراق المعتدي لم تعط النتائج المطلوبة لاعادة الشرعية ، واستنادا الى التقارير كذا وكذا التي توثق فشل تلك التدابير تأذن الأمم المتحدة للدول الاعضاء باستخدام جميع الوسائل اللازمة لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠ " .

ولكن هذا النص أو ما يشابهه مفقود في القرار الذي تم التصويت عليه في حين ان ايراده ليس موضوع امكانية ادراجه او عدمها إنما يشكل العمود الفقري لشرعية الانتقال من تدابير المادة ٤١ الى تدابير المادة ٤٢ ، تلك الشرعية التي لن تكتسب قانونيتها الا اذا ورد النص الذي يفيد فشل تدابير المادة ٤١ في بلوغ الهدف .

ونتساءل الآن : ترى لماذا لم يشمل القرار ٦٧٨ مثل هذا النص ؟ ونحن نتولى الاجابة على تساؤلنا من منطلقين :

١-يعرف كل مطلع على حقيقة الاوضاع في داخل العراق كيف ان الحصار ادى مفعوله احسن اداء وان تردي الاوضاع الصحية والتموينية كان كفيلاً بأن يُرْكِعَ العراق بالرغم من البطولة الحقة التي ابداها الشعب العراقي في تحمل العوز والشح وبالرغم من الابداع الخلاق في استنباط المواد البديلة التي تعوض عن الضروريات . وقد تعرض سعد البزاز الى الاثر التمويني للحصار الذي توقعه العراق منذ بدء الأزمة . فبعد يومين من تجميد الارصدة صدرت التعليمات في بغداد بتكوين غرفة عمليات للغذاء في البلاد ، ونقتبس من البزاز عن هذا الموضوع فقرات متفرقة تثبت لنا في محصلتها ان الحصار المضروب كان يكفي لانهيار العراق :

" ولم يكن بامكان غرفة عمليات الغذاء أن تقدم حلا سحريا لازمة خانقة وجدية صارت ماثلة امام ابصار السكان ، وكانت الاشارات التي صدرت عن سياسيين امريكان سابقين مثل الرئيس الاسبق جيمي كارتر ووزير الخارجية الاسبق سايروس فانس قد التقطت في بغداد على انها تأكيد احد خيارات المواجهة ، فكارتر وفانس ومعهما سياسيون آخرون وجدوا أن الولايات المتحدة ليست بحاجة الى القيام بهجوم عسكري غير مضمون النتائج وقابل لان يكون باهظ التكاليف ماديا وبشريا ... اذ ان الحظر الاقتصادي وفرض حصار بري وجوي وبحري يمكن ان يؤدي الى انهيار العراق من دون اللجوء الى الخيار العسكري ، وادركت القيادة العراقية أن سيناريو الحظر يقوم على دفع البلاد للوصول الى حالة المجاعة الجماعية الشاملة بحيث تنتشر الاوبئة وتنشأ الظروف التي تؤدي الى الانفجار الاجتماعي وانهيار البنى الاقتصادية الى المستوى الذي تفقد فيه الدولة سيطرتها على البلاد ويتم انذاك تغيير النظام السياسي في العراق وارغام القوات العراقية على الانسحاب من الكويت بعد أن يكون الجنود

العراقيون انفسهم ضحية المجاعة والاوبئة والانهيار النفسي ، وآنذاك يكون العراقيون قد انشغلوا بالتنازع على الغذاء. وكان لابد من ازاحة شبح المجاعة المحتملة "

وفي مكان آخر كتب البزاز :

" ولأول مرة منذ ربع قرن تعرضت شاحنات الاغذية لعمليات نهب وسطو وهي تتنقل بين المدن وداخل الاحياء السكنية . ونشأ في السوق على الفور قانون الاقوياء الذين يستحوذون على المعروض من السلع والاغذية ، ولم يكن ثمة خيار الا اللجوء الى نظام التقنين . وبعد شهر واحد من دخول الكويت أعلن بطريقة حذرة عبر وسائل الاعلام في الاول من ايلول (سبتمبر) ١٩٩٠ عن بدء تطبيق نظام التموين الذي كان قد استخدم آخر مرة في اثناء الحرب العالمية الثانية في العراق ولم تضطر البلاد اليه طوال ثماني سنوات من الحرب مع ايران ."

فإذا وضعنا في الاعتبار العنف في تنفيذ القوانين في العراق وسيطرة الدولة الكلية على مقادير الشعب لادركنا ابعاد الأزمة التموينية حينما نرى قراصنة الاغذية تغامر بحياتها فتسطو على القوافل بالشكل الذي يحدثنا عنه مسؤول من العراق .

ويتحدث البزاز عن صعوبة تأقلم الشعب العراقي مع الواقع التمويني المرير فيكتب :

" تراجع على الفور اقبال الجمهور على الحاجات التكميلية ، وباع بعضهم الذهب وموجوداته الثمينه للحصول على كميات احتياط من الحبوب والرز والزيوت والبقولات اليابسة والشاي والسكر والمعلبات والادوية وحليب الاطفال تحسبا لحصول نقص حاد في المواد الاساسية ، في حين مكث سكان آخرون حائرين يترددون في التصرف بحاجاتهم الثمينة لانهم يعتقدون ان قيمة هذه الموجودات ستزداد في المستقبل وقيمة العملة المحلية مقبلة على التراجع .... واظهر العراقيون قدرة على التأقلم مع اوضاعهم المعاشية الجديدة ، فلم يعودوا يتذكرون مذاق الرز الأمريكي واعتادوا رزا من مناشىء جديدة ، وهو الغذاء الاساسي اليومي للاسرة ، وتآلفوا مع الخبز الاسود ، بل ربما احبوه .. وصاروا يتحدثون عن ميزاته الصحية للسكر والسمنة وضغط الدم وامراض القلب ، وحين شح وقود السيارات ابتكروا اساليب غريبة للحصول عليه بأن عزلوا الوقود عن الغاز السائل من بقايا قناني الغاز في المنازل ، وعندما غابت الانارة عن البيوت بسبب تدمير محطات توليد الطاقة الكهربائية توجهوا لاستخدام الشموع ، وحين شحت الشموع وارتفعت اسعارها ، لجأوا الى التمور بأن وضعوا حبة تمر على راس كل قنينة مليئة بالنفط الابيض ومدوا قطعة قماش ملفوفة من داخل قنينة عبر التمرة

ثم اشعلوها .. وصرت ترى من يقول لك :كل شيء نستورده وسيختفي الا التمور ولذلك ستبقى بيوتنا مضاءة ."

ويختتم البزاز هذا الفصل من كتابه بفقرة ربما يقفز عنها القارىء العادي في حين نراها زاخرة بمعنى اجتماعي عميق وكأنما كان يريد البزاز تحميل فقرته اكثر مما توحي به فقرته بكثير :

" وكانت العين تكتفي بأن ترى .. ولكن العقل كان دائما يريد ، ولا يرى سببا لان يحصل انسان آخر على سلع يستحيل عليه اقتناؤها .. فشبعت العين .. واصابت الحيرة العقل ، بالقوة التي اصابت النسيج الاجتماعي وعمقت الفروقات بين الافراد والشرائح وفتحت الباب امام العنف والسرقة والجريمة .. لتجعل المجتمع امام اولوية اعادة اللحمة الى هذا النسيج الاجتماعي لمعالجة اثار متراكمة عن حربين امتدتا عشر سنوات "[١١] .

ونورد الآن المنطلق الثاني الذي تحدثنا عنه :

٢- شهد خبراء المخابرات الاميركية **CIA** امام القيادة الأمريكية بأن الجيش العراقي يستطيع الحفاظ على فاعليته الدفاعية لمدة تسعة شهور . فإذا عكسنا اتجاه هذه المقولة بالمنطق المُلزم لوجدنا أن فاعلية الجيش العراقي الدفاعية سوف تنهار بعد ذلك الوقت . وهذا الاستنتاج ليس بالعجيب ولا بالمختلق فاستمرار دولة محاصرة بعنف واحكام في الحفاظ على جاهزية مليون جندي مستنفر في ظروف عصيبة تحتاج هي خلالها الى استيراد كل شيء تقريبا من الغذاء حتى السلع التقنية من الدول الاجنبية التي تحاصرها وفي ظرف جُمِّدت خلاله ارصدتها في انحاء العالم هو الأمر المستحيل . ولو حصل ذلك لكان الاعجوبة الثامنة في العالم . وهذا الوضع الحرج في العراق الذي سوف يهدد استمرارية النظام هو الذي كانت ترصده واشنطن وتتحرى عنه بشكل متواصل من خلال اجهزة مخابراتها مباشرة أو من خلال طرق غير مباشرة . بل إننا نعيقد بأن الولايات المتحدة تغاضت عن تمرير كميات من ضروريات الحياة الى العراق خلال الأشهر الخمسة التي سبقت الحرب لكي يتمكن من المكابرة والمقاومة مما يفتح المجال ويبرر انزال نصف مليون جندي من جهة ولكي تنقضي فترة الطقس المحرق في المنطقة وتأتي فترة مثالية لإنزال الضربات التي لا ترحم. ولهذين السببين نرى أن الولايات المتحدة هي التي مارست على مجلس الأمن الضغوط لكيلا يجري التعرض في نص القرار المُتَّخذ الى العقوبات المضروبة على العراق والى آثاره الحتمية . فمجرد بحثها في

---

[١١] - بزاز صفحة ٢٥٠-٢٥٧

جلسة مجلس الأمن كان سيفضح كفايتها فتنتفي الحاجة لاستخدام القوة وتخريب العراق . وهذا يهدد ايضاً باجهاض التركيبة الاميركية المهلهلة التي وافقت على القرار .

وإذا وضعنا الآن المادة ٥١ من الميثاق قيد الدرس لما وجدنا فيها كلمة واحدة تؤيد استناد مجلس الأمن عليها في موافقته على القرار ، فهي تعترف بحق المعتدى عليه في الدفاع عن نفسه بصورة فردية أو جماعية منذ تعرضه للهجوم حتى لحظة اتخاذ مجلس الأمن لقراراته واتخاذ تدابيره للحفاظ على السلام والامن الدوليين ، ولكن المادة لا تلزم مجلس الأمن بالوقوف موقف المتفرج من النزاع إنما تمنحه حق التصرف من لدنه حسب القناعة التي تتكون لديه بصرف النظر عما اذا التمس منه المُعتدى عليه التدخل ام لا . ولكي تكون هذه القناعة مرتبطة ارتباطا وثيقا بفشل التدابير المنصوص عنها في المادة ٤١ ، وهذا يعني بوضوح أن المادة ٥١ لا تغطي أيضاً القرار ٦٧٨ بأي غطاء شرعي وبالتالي فهي لا تبرر استخدام القوة العسكرية لضرب العراق . كل ما في الأمر هو أن واشنطن جمعت اشباه حجج وضغطت على المجتمع العالمي فقلبت الشبهات الى حجج دامغة ووضعت مجلس الأمن في المكان الذي تريد .

ولو شئنا التسليم جدلا بشرعية القرار ٦٧٨ لكان على مجلس الأمن الانتباه الى مدى المهمة التي سيوكل بها الى القوات المجتمعة في الخليج . فالميثاق يخوله باعادة الشرعية الى الكويت ولكنه لا يسمح بما يتجاوز ذلك . فالهجوم على العراق بالشكل الذي حصل هو عمل غير شرعيّ. وإن رمز الى شيء فلا يرمز الا الى سخرية القوي بالقانون على حساب الضعيف .[١٢]

---

[١٢] -نقتبس هنا ما يتعلق بهذه النقطة من كتاب الوزير الفرنسي الانسان شفينمان حيث كتب على الصفحة ٦٢ من كتابه "وإن اتساع الدمار الذي تكبده العراق بالجسور ومحطات معالجة المياه ومراكز توليد الكهرباء ، والمصانع والمباني العامة تجاوز بشكل واضح لائحة الاهداف العسكرية الموضوعة مسبقا ، وتبين لنا أنه لا علاقة لهذا الدمار الهائل مع مبدأ استخدام "الوسائل الضرورية" لتحرير الكويت ! كما ظهر نهائيا أن فكرة "الهدنة" التي تسمح للعراق بالانسحاب ، كما اقترحتها في بداية كانون الثاني ، والتي لم يستبعدها رئيس الجمهورية ، اصبحت باطلة وليست ذات موضوع ١. وهكذا هيمن منطق الحرب على الوضع ، فأصبح تدمير القدرات العراقية هو الهدف المعلن لحرب لم تكن طبيعتها الوقائية خافية على احد ! وإن عدم مباشرتها اليوم لم يكن سوى جزء من اسلوب خطة الاداء والتنفيذ .." ويتابع شفينمان :

" احسست بعمق بطبيعة هذه الحرب غير المتجانسة لان الولايات المتحدة لم تفعل شيئا ، ولم تسمح لاحد أن يفعل شيئا جديا لتجنبها ، بل على العكس تماما ـ! ونظرا لانني كنت اعيش هذا الاحساس منذ ستة شهور لم يعد بإمكاني الا أن اعترف بالطبيعة المدمرة لهذه الحرب ، وإن توسيع العمليات الحربية لتشمل

هذا وحين كلَّفَ مجلس الأمن القوات المجتمعة في الخليج باعادة الشرعية الى الكويت لم يكلف نفسه تنفيذ بندين هامين آخرين من ميثاق الأمم المتحدة ، فالبندان الثاني والثالث من المادة ٤٧ يقولان :

٢- تتألف لجنة اركان الحرب من رؤساء اركان حرب اعضاء مجلس الأمن الدائمين وممثليهم، وتدعو هذه اللجنة كل عضو من الأمم المتحدة من غير الاعضاء الدائمين في اللجنة للاشتراك في عملها عندما يكون اشتراك هذه الدولة العضو ضروريا لتنفيذ مهمتها.

٣- وتكون لجنة اركان الحرب ، وتحت اشراف مجلس الأمن ، مسؤولة عن الادارة الاستراتيجية لجميع القوات المسلحة الموضوعة تحت تصرف المجلس وتسوي القضايا التي تنشأ فيما بعد بما فيها قضية قيادة هذه القوات .

ولكن البند الاول من البندين لم يجر اتباعه اطلاقا اذ لم يحدث أن اجتمع العسكريون المذكورون حسب الكيفية المنصوص عليها إنما استأثرت الولايات المتحدة بكل قرارات الاعتداء على ارض العراق وتصرفت تجاه كل القوات المشتركة في الحملة بشكل كيفي ومهين في بعض الحالات كما حصل مع القوة الافرنسية . ولم يجر تطبيق البند الثاني لان مجلس الأمن لم يحصل ان اشرف على اجتماعات او قرارات تلك اللجنة .

بعد صدور القرار ٦٧٨ لم تعد واشنطن ترغب صدور أي قرارعن مجلس الأمن. بل إنها خشيت مجرد اجتماعه لئلا يحصل أي تطور يعرقل تخطيطاتها. لقد حصلت واشنطن بموافقة مجلس الأمن على قمة ما يمكن للمجلس أن يقدمه لها بتمكينها من التفرد في قيادة الحرب/المذبحة كما تشاء. ولما اقترح دي كويار على الرئيس بوش جمع مجلس الأمن ليتبنى هو إرساله الى بغداد قبل أيام من نهاية مدة الإنذار رفض بوش ذلك بشكل قاطع، وحرص على أن ينطلق دي كويار الى بغداد " مسلوباً " من أي غطاء شرعي لكي يعود فاشلاً خالي الوفاض.

هذا ونود اختتام هذه النقطة من البحث بالاشارة الى تجاوزات عسكرية لا حصر لها في العالم بعد الحرب العالمية الثانية حيث هجم جيش دولة على دولة اخرى ، ولكن الأمم

القدرات العراقية بأكملها لا علاقة له أبدا بقرارات هيئة الأمم المتحدة .. هذه الهيئة التي ادانت ، قبل عشر سنوات تدمير المفاعل النووي "تموز" من قبل الطيران الاسرائيلي ، وتغطي اليوم دمارا رهيبا اعظم بكثير من "تدمير تموز" يتناول جميع البنى التحتية الضرورية لحياة بلد حديث ".

المتحدة لم تلجأ الى الباب السابع من الميثاق من اجل رد العدوان ، لقد تناسته الأمم المتحدة وكأننا بها لا تتذكره الا حين تذكرها به واشنطن و تسمح لها بالانطلاق في هذا الاتجاه كما حصل اثناء الأزمة الكورية في عام ١٩٥٢ .

قرارات أخرى لمجلس الأمن

أوردنا سابقا وفي المكان اللازم قرارت مجلس الأمن التي تحمل الارقام التالية:

قرار ٦٦٠ عن ادانة العراق

قرار ٦٦١ عن مقاطعة العراق

قرار ٦٦٢ عن بطلان وشجب قرار العراق بضم الكويت

قرار ٦٦٤ عن مطالبة العراق باطلاق الرعايا الاجانب

قرار ٦٦٥ عن شرعية استخدام القوة لفرض الحظر

قرار ٦٧٠ عن الحظر الجوي على العراق

واقتبسنا نصوصها كاملة للاهمية. وفيما يلي سنتعرض لقرارات مجلس الأمن الأخرى بايجاز وبدون سرد النصوص الكاملة لمجرد الاستكمال.

القرار ٦٦٦ الذي صدر بتاريخ ٩٠/٩/١٤ الذي طالب بأن تنقل وتوزع المساعدات الانسانية الى العراق والكويت عن طريق الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر أو باشرافها. وقد قُبل القرار بأغلبية ١٣ صوتا مقابل صوتي كوبا واليمن.

القرار ٦٦٧ الذي صدر بتاريخ ٩٠/٩/١٦ فأدان العراق بسبب اعماله العدوانية ضد مكاتب وموظفي البعثات الدبلوماسية في الكويت وخطف الرعايا الاجانب فيها. وطالب القرار بالافراج الفوري عن كل المحتجزين في الكويت وفي العراق. وقد قُبل القرار بالاجماع.

القرار ٦٦٩ الذي صدر بتاريخ ٩٠/٩/٢٤ والذي طلب من لجنة العقوبات البحث في كل طلبات المساعدة التي تتقدم بها الدول التي تواجه صعوبات اقتصادية بسبب التزامها بالحظر على العراق. وقد قبل القرار بالاجماع.

القرار ٦٧٤ الذي صدر بتاريخ ٩٠/١٠/٢٩ والذي يدين التجاوزات العراقية في الكويت والاعمال التي تشكل خرقا لميثاق الأمم المتحدة ولاتفاقية جنيف الرابعة، واتفاقية جنيف للعلاقات الدبلوماسية والقنصلية. ويذكّرُ القرار بمسؤولية العراق عن الخسائر

والاضرار التي تحصل. وقد صوت ١٣ وفداً لصالح القرار وامتنعت اليمن وكوبا عن التصويت.

القرار ٦٧٧ والذي صدر بتاريخ ٩٠/١١/٢٩ والذي يدين الاجراءات العراقية لتغيير البنية السكانية في الكويت واتلاف ملفات القيود المدنية هناك. وقد قبل القرار بالاجماع.

ونحن نود ايراد تعليق قصير على القرار ٦٦٩ الذي يمنح الدول حقا في المطالبة بتعويضات عن"مصائبها" الاقتصادية. لقد منحنا هذا القرار اسم " قرار الشحاذة والابتزاز " لأنه يفتح المجال لكل دولة في العالم ضاعت عليها فرص الارباح الذهبية بسبب التزامها بالحظر لرفع قائمة بالاضرار الى مجلس الأمن ليعوض عليها خسارتها. ولكن مجلس الأمن لا يحدد من هو المرجع الذي سوف يسدد تلك القوائم مع ان المقصود أوضح من ان يضيع. وهم مجموعة دول الخليج.

ملحق الفصل : كلمات الوفود في مجلس الأمن بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٩

كلمة الكويت:

" انني باسم الكويت اتقدم للجمعية بخالص امتنان شعب الكويت الصامد الذي يقاوم الآن العدوان العراقي . وفيما نحن نتابع عن كثب وبأمل كبير مداولات المجلس يحدونا الأمل ان يعكس هذا الاجتماع التاريخي الصوت الحقيقي للأسرة الدولية الذي يشكل وقفة تاريخية موحدة تدين العدوان وتبرهن ثانية على عزمها مقاومة هذا العدوان مؤكدة بذلك ان المستقبل سيكون محكوما بالقانون وان العلاقات الدولية ستقوم على مبادىء ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي على التفاهم والحوار وتسوية الخلافات بالطرق السلمية .

ان صوت المجلس هو رسالة موجهة الى شعب الكويت لتؤكد له أن الأسرة الدولية تقف وراءه في نضاله لوضع نهاية للقمع وللتخلص من الاستبداد ولتقوي أمله في التغلب على محنة الاحتلال .

اني اذ احييي هذا المجلس أعبر عن عميق امتنان الشعب الكويتي وتقديره وعن أمله في أن يكون الغد يوما أفضل . وأن تكون معاناته الحالية درساً للعالم بأسره بأن اللجوء الى القوة والتعنت والقسوة والعدوان كلها اشكال من السلوك التي تنتمي الى الماضي وان المجموعة الدولية لا تتحمل ولا تتقبل مثل هذا السلوك بعد اليوم .

ويسرني يا سيادة الرئيس أن اعبر لكم باسم الكويت عن خالص شكرنا للدور الرئيسي الذي لعبتة الولايات المتحدة خلال توجهها الى مجلس الأمن في شهر تشرين الثاني / نوفمبر .

على الصعيد الشخصي اسمحوا لي أن امتدح جهودكم الجديرة بالثناء في تأكيد الدور الحيوي للمجلس باعتباره اداة لحفظ السلام والأمن في العالم ، بل لفرضهما اذا ما اقتضى الأمر ذلك . ان شعب الكويت يعبر عن امتنانه لكم ولبلدكم . وقد عكس التصريح الذي ادلى به سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح ،

امير دولة الكويت هذا الامتنان عندما استقبل الرئيس بوش في المملكة العربية السعودية منذ اسبوع . واود هنا ان اذكر بعض المقاطع من هذا التصريح :

" اني اشيد بالدور الحاسم الذي لعبته الولايات المتحدة حكومة وشعبا في مواجهة العدوان وصده . ومثل هذا الموقف الاميركي لم يأت من الفراغ لأن الأميركيين هم سلالة هؤلاء المهاجرين الرواد الذين اختاروا منذ قرون المغامرة والمجازفة بحياتهم بالهجرة الى عالم مجهول بعيدا عن الاستسلام الى الظلم وتقييد الحرية . وبذلك أوجدوا تراثا في مقاومة الظلم والعدوان وحققوا آمالهم في بناء عالم حر يرفض الاستصغار والاستسلام للطغيان . وأصبح هذا العالم اليوم ملاذا لمحبي السلام . وسلالة هؤلاء الرواد تستمر وتثابر على اتباع الطريق الذي شقه اسلافهم عاملين على تبديد الظلمة المخيمة على ارض أناس احرار ، ظلمة ممثلة بشبحي الدكتاتورية والكبت .

واود ان اتقدم بالاحترام الى المملكة المتحدة للدور الهام الذي لعبته خلال ترؤسها للمجلس في الشهر الماضي . وبالاضافة الى ذلك اود ان يعكس محضر هذا الاجتماع تقديرنا العميق الى حكومة بريطانيا العظمى الصديقة التي تجمعها مع بلادي روابط تاريخية طويلة ، لوقفتها الشجاعة والعادلة الى جانب حقوق الشعب الكويتي..

اود ايضا ان اغتنم هذه الفرصة لاتقدم بالاحترام الى كل وزراء الخارجية الذين تكبدوا عناء السفر لحضور هذا الاجتماع شخصيا مؤكدين على أهمية جلسة اليوم . ان الشعب الكويتي مدين لكل منكم لأنه يدرك ان حضوركم لجلسة اليوم هو تعبير عن الدعم ، وعزاء له من آلامه ، وانصاف له من الظلم الذي عاناه .

ان المجلس يجتمع اليوم ليعبر عن قراره ان مبادىء ميثاق الأمم المتحدة يجب أن تكون حقائق ملموسة وان الكلمات ستترجم الى افعال حقيقية وان مبدأ الأمن الجماعي يجب أن يكون الاطار الذي ينظم العلاقات الدولية حتى تطمئن الشعوب الى أن القوي لن يفترس الضعيف وان اصحاب النوايا العدوانية سوف يترددون ويحسبون الأمور قبل اللجوء الى القوة لأنهم يعرفون الآن ان العالم بأسره سوف يقاوم عدوانهم ويضع حدا لمغامراتهم .

ان مجلس الأمن يجتمع اليوم بموجب الفصل السابع من الميثاق الذي ينظم العلاقات الدولية بطريقة لا تترك مجالا للعدوان ولا تسمح باستخدام القوة ولا تتساهل مع هؤلاء الذين يخرقون مبادىء الميثاق . وفي هذا السياق اود ان اتقدم باحترامي الى الدول التي اسهمت مع القوات المتعددة الجنسيات مظهرة بذلك التزامها بسيادة القانون وتعزيز السلام وعزمها على الاثبات بالفعل ان العدوان والتكبر والظلم هي أنماط من السلوك تعود الى العصور الوسطى وليس لها مكان في عام ١٩٩٠ . ان القوات متعددة الجنسية هي ترجمة حقيقية لارادة المجتمع الدولي القائلة بأن العدوان نهايته الخسارة وان استعمال القوة لا يجلب سوى الدمار .

تشارك الكويت في اجتماع اليوم وهي مدركة تمام الادراك ان السلام يعني البناء وان الحرب يعني الدمار وان الازدهار والتقدم الاجتماعي والاقتصادي يعتمدان على الاستقرار .

لقد وقعت الكويت ضحية العدوان والغزو لأنها لجأت الى حل المشاكل بالحوار والتفاهم . لقد كنا على ثقة من ان القوة لن تستخدم من قبل بلد عربي آخر ، من قبل بلد جار تربطنا به دائما أواصر الأخوة وعلاقات الجوار والتراث المشترك .

ان هذا المجلس يجتمع للمرة الثانية على مستوى وزراء الخارجية بعد العدوان العراقي الوحشي على الكويت واحتلالها وضمها بالقوة العسكرية . ان هذا بحد ذاته حدث هام لأنه يعكس الطبيعة الحقيقية للعدوان الذي نناقشه الآن ، وما ينطوي عليه وتأثيره على السلام العالمي . ان هذا العدوان لم يقتصر على احتلال الأرض . في الواقع منذ اليوم الأول للغزو بدأت سلسلة من أعمال القتل والتعذيب والتهجير والوحشية تجاه الشعب الكويتي الذي رفض الاحتلال ورفض بإباء التعاون مع المحتل بأي حال من الاحوال ، بل بالعكس لأن شعب الكويت بدأ المقاومة بالعصيان المدني معبرا بذلك عن رفضه للاحتلال . وقد ثبت ان ذلك من أنجح الأسلحة ، ولكن رد المعتدي العراقي كان بدون رحمة او شفقة وبدون اي احترام لمبادىء الأخلاق الانسانية والسماوية . وربما يفسر ذلك ما أحدثت قواته من الدمار الشامل والواسع النطاق في سائر انحاء الكويت .

لقد تنكرت القوات العراقية للحقوق وللحريات الشخصية ودمرت وسلبت كل الممتلكات المنقولة ونقلتها الى العراق في حملة منظمة لتدمير الاقتصاد والبنية التحتية للكويت.

ان السياسة الحاقدة التي يتبعها المعتدي والفظائع الفظة التي يرتكبها تهدف الى غرس الخوف والهلع في نفوس الكويتيين لاكراههم على ترك ممتلكاتهم ومدخراتهم لينهبها هؤلاء الوحوش البرية . ولقد نقلت اعدادا كبيرة من العراقيين والأجانب ليحلوا محل الكويتيين وليستقروا على أرضهم فيعيشوا في بيوتهم . انها حملة منظمة لتدمير وتحويل التركيبة الديموغرافية للكويت .

ولعل أعضاء مجلس الأمن شاهدوا بأنفسهم في اليومين الماضيين بعض أوجه المأساة التي يعيشها مواطنو الكويت يرويها شهود عيان عانوا من قهر الاحتلال وممارساته الوحشية . وما هذا كله سوى مثال بسيط على الممارسات اليومية التي يرتكبها الغاصبون ضد الشعب الكويتي . وقد أظهر هؤلاء الغاصبون عدم اكتراث بكل القيم الانسانية وبمبادىء السلوك الاسلامية والدولية . ولكننا ازاء هذه الأوضاع نجد عزاءنا في قناعتنا بأن الله معنا والحق الى جانبنا ، ونثق في مصداقية الدعم الدولي الكبير الذي نلقاه وبالتصميم على قهر العدوان مهما كان الثمن مما سيضمن لنا استعادة حقوقنا الشرعية .

صحيح ان الكويت بلد صغير في المساحة وعدد السكان ولكننا نشعر بفضل الدعم الدولي الكبير الذي حصلنا عليه على اساس ان العدالة هي الدرع الحقيقي للسلام ان الكويت بلد قوي فعلا وله وزنه الهام .

ومنذ العدوان العراقي تبنى المجلس بطريقة لا سابقة لها احد عشر قراراً بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة طلب فيها الانسحاب الكامل والفوري وغير المشروط للقوات العراقية من الكويت وعودة الحكومة الشرعية اليها . وبعض هذه القرارات هدف الى اجبار العراق على الامتثال للارادة الدولية بطرق سلمية من خلال قرارات حصار اقتصادي ضده بالاضافة الى وسائط اخرى . وان هذا الحصار هو مجرد وسيلة لبلوغ نهايةٍ ولا يشكل نهاية في حد ذاتها .

ان قرارات مجلسكم قد اتخذت في ذات الوقت الذي اتخذت فيه قرارات مماثلة على الصعيد القومي العربي وعلى الصعيد الاسلامي وفي اطار حركة عدم الانحياز على نفس قاعدة القرارين ٦٦٠ و ٦٦٢ عام ١٩٩٠ . وبالاضافة لتلك القرارات كانت هناك مبادرات وجهود فردية بذلتها شخصيات دولية واقليمية رفيعة وبارزة منها الأمين العام ومبعوثون من الاتحاد السوفياتي والصين وبلدان اخرى بهدف اقناع القيادة العراقية بالاستجابة للارادة الدولية . وللأسف اصطدمت كل هذه الجهود بجدار حجري من التعنت العراقي بينما استمر

العدوان والاحتلال في زعزعة كل اسس الاستقرار في المنطقة ، واستمر شعب الكويت في التعرض الى معاناة تفوق الوصف.

وقد بُذلت في نفس الاتجاه جهود من بعض الدول العربية التي لم تكن مواقفها منسجمة تماما مع قرارات مجلس الأمن والتي أبقت قنوات الحوار مفتوحة مع بغداد . وبالرغم من هذه الجهود والمساعي الحميدة استمر النظام العراقي في عناده وتعنته ورفضه لكل المقترحات ساخرا من كل المحاولات السلمية ومزدريا للمجتمع الدولي ونابذا للارادة الدولية .

ان قرارات مجلس الأمن لا تعني شيئا بالنسبة للعراق الذي لا يظهر اي احترام أو أية حساسية والذي شرد مئات الآلاف من الناس من مختلف الجنسيات ونشر الفوضى في النظام والاقتصاد العالميين وأقحم المنطقة بأسرها في صراع رهيب في سبيل تحقيق طموحاته وليثبت موقفه القائم على المجابهة والهيمنة .

ان الفظائع التي ارتكبها النظام العراقي تتحدى كل الأعراف التي يتقبلها السلوك الحضاري والواردة في الوثائق الحقوقية. وهذا النظام الذي لا يحترم النفس البشرية وكرامة الانسان وحقوقه يحاول الانتقام من بعض الدول باعتقال مواطنيها الذين تواجدوا في العراق والكويت وبأخذهم كرهائن وحرمانهم من حرياتهم الاساسية. لقد عرضهم للتعذيب والرعب باستخدام بعضهم كدروع بشرية بعد ان احتجزهم رغماً عنهم بصفة ضيوف في بعض المنشآت الاستراتيجية . ولعل هذا الاسلوب نمط جديد من وسائل الاذلال . ويستخدم النظام العراقي هؤلاء الناس كسلعة للمساومة اذ يعرض اطلاق سراح بعضهم كاسلوب للابتزاز وتكتيك لتحويل الانتباه عن اعتدائه على الكويت.

وبعد كل هذه الجهود وكل هذه القرارات وبينما يعيش شعبي الذي ينزف بغزارة الزمن بالدقائق لا يمكن لأحد ان يدعي الآن ان المجتمع الدولي لم يمنح العراق الفرصة الكاملة للامتثال للارادة الدولية او ان يدعي ان المجتمع الدولي لم يوفر الأسس العملية الطيبة لتسوية سلمية ولاستبعاد احتمالات الحرب ولانقاذ المنطقة من محرقة حقيقية لا يقدر أبعادها الصحيحة الا الله العلي القدير .

كذلك ما من احد يمكنه ان يدعي ان المجتمع الدولي قد تجاهل اي اشارة ايجابية او مبادرة عراقية ذات معنى حقيقي تشكل استجابة لقرارات مجلس الأمن . ان قنوات الاتصال مع النظام العراقي حافلة بالامكانيات الحسنة لتحقيق تسوية سلمية وعادلة . وفي الواقع هناك عدة صيغ ومجالات يمكن ان تقود الى السلام ولكن تعنت النظام العراقي هو السبب الحقيقي الذي يدفع المنطقة في هذه المرحلة الى حريق لا نرغب في ان نراه . ولكنه مفروض علينا لأنه يبدو السبيل الوحيد لضمان استعادة حقوقنا .

لقد حاول النظام العراقي ابعاد الانظار عن جريمته ضد البشرية والسلام العالمي باستناده الى قضايا لا علاقة لها بعدوانه على الكويت مثل استشهاده بخطر الوجود الأجنبي في المنطقة . والعراق هو أول العارفين انه هو السبب الحقيقي لهذا الوجود . ولقد أثار مسألة الرهائن ليخلق مهربا انسانيا ولكنه لم يكترث الى كرامتهم وعزتهم كبشر . لقد جرهم الى خططه المغامرة في محاولة يائسة لربط عدوانه على الكويت واحتلاله لها وطرد الشعب الكويتي بالقضية الفلسطينية والتي اصبحت للأسف اولى ضحايا عدوانه . ويستمر العراق في استغلال هذه القضية كأداة للدعاية الرخيصة . فهو يدعو الى حل عربي هو أول من يشذ عنه ثم لا يلبث ان يرفضه وبعدها يستخدمه في زرع بذور الشقاق في الصف العربي .

ان الاستغلال الفج لهذه القضايا يفضح تكتيك النظام العراقي لكسب الوقت وليسبب الانقسام وليتلاعب بالمشاعر والعواطف . ولكن العالم العربي والاسلامي والاسرة الدولية اكتشفوا الحقيقة وحددوا الطريق والأهداف وبرهنوا على وحدةٍ وتصميمٍ ثابتين . وهذا كله هو ما تعبر عنه مسودة القرار المعروضة على المجلس .

ان الرسالة التي تتضمنها مسودة القرار تعطي في الواقع السلام فرصة جديدة ستمكننا من انتشاله من الظلام الدامس الذي يفرضه النظام العراقي على منطقتنا . وهذه الفرصة هي في حقيقة الأمر وميض من الأمل الذي لن يخفت . انها مشعل الضوء الذى سيرشدنا جميعاً الى خارج النفق المظلم الذي ساق النظام العراقي المنطقة اليه . لقد تجاهل النظام العراقي النداءات التي تدعوه الى الاستجابة للقرارات التي اتخذها المجلس وأصم اذنيه عن صرخات الذين يعانون من قساوة الاحتلال في بلدي ، الكويت . وها هي قواته الآثمة الغازية مستمرة في تدمير كل امكانية للسلام . ولذلك فان على المجموعة الدولية ممثلة بمجلس الأمن ان تشعر بأن لها مطلق الحرية في هذه المرحلة لاستخدام كل الوسائل الضرورية المتاحة لها وبالتعاون مع حكومتي كما جاء في مسودة القرار لتعمل على تطبيق القرارات التي يتبناها المجلس بغية وضع حد لهذا التحدي السافر ولانهاء معارضة العراق لارادة المجتمع الدولي ، هذا المجتمع الذي يرفض استخدام القوة والعنف كوسائل للتعامل مع الآخرين.

ان هدفنا هو السلام وعقيدتنا الاسلامية تنادي بالسلام وتفرض علينا العمل بكل شرف واخلاص من أجل السلام . والاسلام الحقيقي يلزمنا ان نقاوم العدوان وان لا نستسلم للمعتدي . ولعل الله تعالى العلي القدير قد حدد لنا قانونا يوجهنا الى السبيل العادل في مواجهة هذا العدوان اذ يقول الله تعالى في القرآن الكريم : " وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين ."

ان اجتماع مجلس الأمن اليوم سيمثل حدثا تاريخيا . وقراركم اليوم سوف يرسم الخطوط التاريخية التي سيكون لها تأثير على مستقبل البشرية . لذلك لعل الله القدير يرشدكم الى الطريق الصحيح ويضمن في نهاية الأمر نجاح مساعيكم . وفي الوقت نفسه نبتهل الى الله العلي القدير ان يلهم الذين انحرفوا عن طريق الصواب ليستعيدوا صوابهم وان يصغوا الى نداءات السلام ويستجيبوا الى صوت العدالة . وابتهالنا الأخير هو ان نحمد الله تعالى رب العالمين . "

كلمة العراق:

" أ شكركم لاعطائي الفرصة للتكلم في المجلس في حضور عدد كبير من وزراء الخارجية الموقرين . في ٢٥ تشرين الاول (أكتوبر) عندما كان المجلس يناقش القرار ٦٦٥ (١٩٩٠) تكلمت في المجلس محاولا تركيز انتباهه على المتطلبات القانونية التي لابد للمجلس أن يحترمها عند اصدار أي قرار يتضمن أي استعمال للقوة . وقلت أن المجلس كان يتصرف بطريقة تتعدى ولايتة . و يجب أن يعتبر عملة باطلا ولاغيا . وهناك سبب أفضل أرى من اجله أن نفس الحجة تنطبق اليوم . لأنه بموجب ميثاق الأمم المتحدة ان اي استعمال للقوة من شأنه ان يعتبر عملا عدوانيا . الا في حالات ثلاث : الحالة الأولى بموجب المادة ٥١ التي تتضمن

حق الدفاع عن النفس . واستعمال القوة محدود في هذه الحالة الى ان ينظر مجلس الأمن في الموضوع . وفيما يتعدى ذلك فان اي استعمال للقوة من شأنه ان يكون عملا عدوانيا. وفي الحالة الثانية يمكن لمجلس الأمن ان يتصرف في حالة ثبوت عدم فعالية العقوبات التي فرضت بموجب المادة ٤١ أو عدم قابليتها للتنفيذ . و في هذه الحالة يمكن للمجلس ان يتصرف على نحو جماعي بموجب المادة ٤٢ باستعمال القوة وفقا لآلية منصوص عليها في المادة ٤٣. وبعبارة أخرى في هذه الحالة فقط يمكن للاجراء الجماعي المتخذ تحت قيادة مجلس الأمن و سيطرته ، وبالتنسيق مع لجنة الاركان العسكرية، ان يؤدي الى استعمال القوة ضد اي بلد ولا يمكن تفويض أية دولة عضو بمفردها صلاحية تجاوز القانون والاعتداء على بلد معين لاي سبب كان . والحالة الثالثة التي اشرت اليها ترد في المادة ١٠٦ من الميثاق . اذا تعذر على المجلس التوصل الى اتفاقات خاصة مع الدول الاعضاء لتقبل بوضع قواتها تحت قيادة مجلس الأمن ، فيمكن عندئذ للبلدان الاربعة الموقعة على اعلان موسكو الصادر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٢ اضافة الى فرنسا وبالتشاور مع الاعضاء في الأمم المتحدة ، ان تقوم بعمل جماعي ضد اي بلد . هذه هي الحالات الثلاث المحددة التي يمكن فيها لمجلس الأمن ان يفوض على نحو قانوني باستعمال القوة . غير ان مجلس الأمن للاسف تصور فيما يبدو ان المتطلبات القانونية هذه هي مجرد تعابير جميلة ويمكن الاستغناء عنها في هذه الحالة ، لذلك سأوجه الانتباه اليوم الى الجانب السياسي للخلاف . يجتمع مجلس الأمن اليوم بهذا المستوى الرفيع ليصوت على قرار سعت حكومة الولايات المتحدة الى اصداره بشكل حثيث دون كلل او ملل ولكي يحكم فيه المجلس على العراق بكونه دولة لا تريد السلام ولا ترغب فيه . ان هذا الاتجاه يعني ان العراق لا يعرف سوى استخدام القوة ، وهو اتجاه مغرض وتشويه متعمد ومشبوه للحقائق . لقد كانت حكومة بلادي ولا تزال تدعو الى السلام ، ولكنه السلام الشامل والدائم و العادل الذي لا ينقص من حق طرف ولا يزيد عليه . ولا يخفى على اعضاء المجلس ان حوارا معمقا قد جرى فقط مع دولتين من الدول دائمة العضوية في المجلس ، اما الدول الثلاثة الاخرى فقد امتنعت عن الحوار وبالاخص منها الولايات المتحدة الاميركية.

لقد فرضت الولايات المتحدة الاميركية مقاطعة وحصارا على الحوار والمناقشه مع حكومة بلادي واختارت بدلا عن ذلك اسلوب اصدار الاوامر والمطالبه بالتنفيذ وكأننا فرع من فروع الادارة الاميركية . ان هذا الاسلوب نرفضه تماما لخرقه الفاضح لمبدأ المساواة بين دول وشعوب العالم ولمساسه بالجوهر الانساني الذي يجب ان تبنى عليه العلاقات الدوليه . ان المنطق الأمريكي هذا الذي يخنق اي بادرة للحوار من اجل التوصل الى التسوية السلمية سواء على الصعيد العربي او الصعيد الدولي ينطلق من أعتبارات الامبرياليه الأمريكية التي باتت واضحه اكثر من اي وقت مضى وخاصة في منطقتنا العربية ومما يؤكد ذلك ان المنطلقات التي تستند عليها الولايات المتحدة في سياستها هذه والحجج التي تزعمها والأهداف التي تعلنها تتنافس مع بعضها البعض وتنتهي في محصلتها النهائيه لتجسد اسلوب القياسات المزدوجه للتعامل مع القضايا ذات الطبيعه الواحده لاعتبارات المصلحه الأمريكية صرفاً . فأين هو النظام الدولي الجديد الذي تزعمه الولايات المتحدة ؟ ومن يشير اليه عن وعي أو لا وعي ؟ واين هي صفة " النظام " فيه اذا كان المطلوب اتباع نهج السياسات المزدوجة التي لا تعترف بطبيعتها بمفاهيم العدل والانصاف ؟ واين هي صفة "الدولية" لهذا النظام اذا كان مؤداه فرض الهيمنة وتنفيذ الاوامر الأمريكية لتأمين المصالح السياسية والاقتصادية والامنية للولايات المتحدة دونما حساب لمصالح الاخرين ؟ ثم اين هي صفة "الجديد" لهذا النظام اذا كانت صفاتة الجوهرية خارج

فلك القارة الاوروبية تعني منطق القوة المتغطرسة والغاشمة الذي يتباهى فيه الأمريكيون بما تحقق في الساحة الاوروبية الذي يصوروُنة وكأنه سار على العالم اجمع بتوافق عالمي شامل على مجمع الكرة الارضية ؟

وكغطاء لسياسة الأمم المتحدة العدوانية والامبريالية في المنطقة ، يدعي الرئيس الأمريكي ان الأزمة ليست بسبب وقوف الأمم المتحدة ضد العراق ، بل ان العالم يقف ضد العراق بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمم المتحدة . ان مثل هذا الكلام يفضح حقيقة ان الدول الصغيرة التي لا تتمتع بحق الفيتو في مجلس الأمن ولا تجد من يحميها من الدول الكبرى دائمة العضوية هي فقط الدول المعرضة للعقوبات بموجب الفصل السابع من الميثاق .

ويكفينا ، كمثال ، الاشارة الى ان الولايات المتحدة هي التي منعت الاجماع الدولي من انزال العقوبات عبر سنين طويلة على الكيان الصهيوني لسياسته العدوانية والتوسعية وللجرائم التي اقترفها منذ نشأتة بحق الشعب الفلسطيني والشعب العربي علمة . ان الأزمة الحالية برهنت بين امور اخرى ، سيطرة الولايات المتحدة التامة على مجلس الأمن واجراءاتة المجحفة والمنحازة .

الا انها اثبتت في الوقت نفسة استقلالية العراق وكونة دولة غير منحازة بمعنى الكلمة انضوائة تحت لواء او حماية اي من الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن .

أليس من قبيل المصادفة المثيرة ، ام هو تعمد مقصود ، ان يأتي اجتماع المجلس هذا ، وبهذا المستوى الرفيع الذي دعت اليه وعملت عليه الولايات المتحدة بكل الطاقات والاساليب المتاحة لها والذي تترأسة هي في اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في الوقت الذي يعلم العالم اجمع بان الولايات المتحدة الأمريكية هي القوة الوحيدة في العالم التي منعت صدور القرارات العادلة التي تضمن حقوق الشعب الفلسطيني ، وحالت دون تطبيق القرارات الصادرة عن هذه المنظمة العالمية ويضمنها مجلس الأمن هذا، برغم الطبيعة المحدودة التي دعت اليه؟

لنتذكر الاهداف التي اعلنتها الادارة لحشد قواتها ، لغاية التصريح بأن الهدف هو ضمان الأمن الاقتصادي الأمريكي في مجال الطاقة وتوفير العمل . واخيراً الادعاء بحيازة العراق للسلاح النووي عندما اتضح للاداره الأمريكية أن الاهداف التي اعلنت سابقا لا تحظى بالدعم الكافي داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها لأن يتحول الموقف الدفاعي المعلن لتواجد القوات الأمريكية المحتشدة في المنطقة الى قوات هجومية تشن الحرب ضد العراق . ان اختلاف الحجج واعلان الاهداف السياسية الأمريكية المختلفة قد دفع باحد المعلقين السياسين الى القول : ان الفكرة هي اثارة البلبلة الى درجة كبيرة يستحيل معها ظهور رد فعل منطقي لدى الناس" .

ان خلافنا مع المجلس في الشأن المطروح عليه هو اننا نرفض هذه السياسة . ان الواجب يقضي على اعضاء المجلس بأن يستذكروا كيف تعاملت الولايات المتحدة مع حقوق الشعب الفلسطيني عبر تاريخ قضيته في الأمم المتحدة.

وبالاخص حديثا لدى عرض الجرائم الاسرائيلية الاخيرة ضد اطفال الحجارة وابناء الانتفاضة . كان التعامل الأمريكي والحليف لة حصيلة مخزية من التأخير والمراوغة والمماطلة والتسويف واللف والدوران ومنع اصدار القرارات التي تقرر الاجراءات السليمة لحماية الشعب الفلسطيني . والهدف طبعا هو حماية

إسرائيل وجرائمها وسياستها العدوانية ، وفي هذا السياق لا نسمع ذكرا للميثاق وللقانون الدولي وللنظام الدولي الجديد. اذن فالمنطق هو أن يكون الكل سواسية. ولكن يبدو أن البعض اكثر مساواة من الاخرين.

ومن هنا نتساءل لماذا العراق فحسب ؟ هذا من جهه . ومن جهه أخرى لابد من قول صريح للمجلس ، فمنذ القرار ٦٦٠ (١٩٩٠) الصادر في ٢ آب /أغسطس الماضي ، تلاحقت القرارات المتسارعة الواحد تلو الاخر.

ان شعبنا ايها السادة يعتقد ان قراراتكم هذه ما كانت لتتسارع لولا الجهود الأمريكية الضاغطة التي يفخر الساسة الأمريكيون بها علنا كل يوم تقريبا بحيث اننا اصبحنا لا نسمع عن أي مسعى اخر سوى ما يصدر عن الولايات المتحدة.

ان شعبنا يعلم تماما بان البعض في هذه الهيئة وفي المنظمة العالمية اصبح يقلق على مظاهر الهيمنة داخل المجلس التي تصور وكأنها انعكاس لرأي مجموع المجتمع الدولي. كما ان البعض يتساءل عن دور اعضاء المنظمة العالمية الذين ادلوا باصواتهم لاختيار من يمثلهم في هذه الهيئة في الوقت الذي يقفون فيه دون حول او قوة لإعلاء شأن مبادىء الميثاق التي ترتكز بالدرجة الاولى على الحوار والتسوية السليمة وليس على دق طبول الحرب لاهداف امبريالية . كما ان شعبنا يتساءل كيف تقفز هذه الهيئة الى تبني القرار تلو القرار في الوقت الذي يمنع فيه وزير الخارجية العراقي بذريعة مكشوفة من الادلاء بموقفة قبل ان تصدروا احكامكم . لقد اكد كل ذلك الانطباع لدى شعبنا بأن المجلس قد تعامل باسلوب خاص مع قضايا الشعب العربي اعتمدت فيه القياسات المزدوجة اذ تمثل امام انظاره تعامل المجلس مع الاغتصاب الاسرائيلي للحقوق الفلسطينية والعربية.

ومن المفارقات المؤلمة بالنسبة الى المنظمة الدولية ومجلس الأمن المكلف بصيانة الأمن والسلم الدوليين أن يكون المجلس أداة طيعة في يد الادارة الأمريكية ، في الوقت الذي لم تستطع تلك الادارة نفسها لحد الآن ان تقنع الكونغرس الأمريكي باللجوء الى استعمال القوة في هذه المرحلة . ويحاول الرئيس جورج بوش ان يستغل مجلس الأمن ليؤثر على قرارات الكونغرس ويحصل على تخويله باستعمال القوة.

اننا نتساءل مرة اخرى، اين هو النظام العالمي الجديد ؟ ان تحشيد القوات الأمريكية ونشرها في منطقه الخليج والتهديد بالهجوم على العراق وتدميره ووضع تاريخ محدد كانذار نهائي هي اقرب الى عملية بوليسية منها الى محاولة جادة ومسؤولة لحل مشاكل المنطقة.

ومن المناسب هنا ان استشهد بما قالة عضو الكونغرس الأمريكي الخبير بالحروب الأمريكية السيد بوب كري وهو يعلق على التحشدات الأمريكية في الخليج :

" انه خطأ لانه يعني التخلي عن امكانية نظام عالمي جديد لصالح تكتيكات النظام القديم . وبدلا من الاعتماد على الدبلوماسية والتعاون والتنظيم المتعدد الاطراف لتدفقات الاسلحة فاننا -اي الأمريكين - سنلجأ اساسا الى الاعتماد على قوات الولايات المتحدة وبيع اسلحة الولايات المتحدة ."

ان العراق يدعو للسلام ، ويرغب فيه ، ليس لة فحسب بل لكل منطقة الشرق الاوسط. إن العراق يدعو لهذا السلام ويرغب فيه على اساس تطبيق قرارات مجلس الأمن كافة بشكل عادل وطبقا لمقاييس واحدة تعتمد العدل والانصاف . واسمحوا لي ان اقتبس في هذا الصدد عبارة لعميد الدبلوماسين الأمريكين السيد جورك كنن حيث كتب ما يلي :

" الأمر الهام عند التفكير في الامور الدوليّة ليس هو اصدار احكام ادبية او توزيع اللوم ، ولكن فهم طبيعة القوى العاملة كاساس للتفكير فيما يمكن عمله ، اذا وجد ما يمكن عمله."

ولقد جسد العراق هذه النهج في المبادرة التي اعلنها السيد صدام حسين رئيس جمهورية بلادي في ١٢ آب/اغسطس الماضي ، حيث اقترحت تصورا لاسلوب متكامل وشامل لمعالجة كل قضايا منطقة الشرق الاوسط من خلال مجلس الأمن وعلى اساس القانون الدولي لتأمين الحقوق والمصالح المشروعة لكل الاطراف لكي تنعم شعوب المنطقة بالسلام والاستقرار والرخاء الآن وفي المستقبل

لقد رفضت الادارة الأمريكية هذه المبادرة قبل ان تتفحصها وعمدت على فرض رفضها على الاخرين..

ان مشاكل الشرق الاوسط ليس بعضها منعزلا عن بعض فهي ذات جذور تاريخية مشتركة ، وان الملموس منها ان المشكلة الواحدة تكون في احيان كثيره السبب لظهور مشكلة جديدة ، كما انها قد تكون لبقاء مشكلة مزمنة دونما حل . لذا فإن الربط بين المشاكل لهو الأمر المنطقي والطبيعي وان الفصل بينها امر مصطنع ويتجاهل الترابط العضوي والتاريخي والسياسي القائم بينها . ان الرفض الأمريكي لهذه الحقيقة اساسه دوافع مشبوهة ومغرضة وليست فيها اي مصلحة لشعوب الشرق الاوسط . انه سياسة مقصودة ومتعمدة لاحكام السيطرة على مقدرات المنطقة ومستقبلها لاغراض امبريالية صرفة . وانه لامعان في النفاق السياسي ان الموقف الأمريكي يجسد في الواقع ربطا معاكسا بين قضايا الشرق الاوسط حينما يدعو الى الفصل ويمارس التسويف والمماطلة للحيلولة دون البت في حل لقضية فلسطين برغم ان دماء الفلسطينين تسفك كل يوم والجرائم الاسرائيلية للاحتلال والضم والقمع الوحشي تستمر بلا هوادة . هل هذا لأننا عرب ؟ وهل هذا لان مشاكل الشرق الاوسط لا يمكن حلها وفق قياس واحد هو الميثاق والقانون الدولي اللذان تزعم الولايات المتحدة نصرتهما؟

ورغم ان المجلس لم يلتفت الى ما قلناه بدرجة كافية من الاهتمام ، فإن على المجلس ان يعي بان ما اقترحناه لم يكن تكتيكا لصرف الانظار عن مسألة دون اخرى ، انه جوهر المواقف الذي تؤيده الجماهير العربية والعديد من انظمتها السياسية فضلا عن العديد من القوى الدولية من خارج منطقتنا . ولاننقل لكم صورة واحدة من هذا التأييد الذي صدر لنظرتنا هذه وهي تتمثل في الموقف الذي عبر عنه المجلس الوطني للكنائس في الولايات المتحدة حينما أكد في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) الحالي على ضرورة عقد مؤتمر دولي للنزاع الاسرائيلي الفلسطيني ، واتهم الاداره الأمريكية بالازدواجية حينما تلح على انسحاب القوات العراقية حسب قرارات مجلس الأمن دون ان تكترث جديا بتطبيق قرارات مشابهة تطالب بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة في الضفة الغربية والقدس وسيناء والجولان وجنوب لبنان. لقد اكد المجلس الكنائسي في بيانه:

" ان المنطقة تطالب بسياسة امريكية تسعى الى معالجة كل اسباب الظلم بما فيها قضايا اسرائيل ولبنان وفلسطين وقبرص."

والسؤال الذي يجب ان يطرح هو : هل سيرقى مجلس الأمن الى مستوى المسؤولية في احلال السلام الشامل والدائم والعادل من خلال النهج المتكامل لمعالجة كل قضايا المنطقة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هو مسؤولية هذا المجلس التاريخي.

ومن جانبنا . نحن ماضون على عهدنا . السلام هذا هو هدفنا ، نعمل من اجله ونرغب فيه . وإذا فرضت الولايات المتحدة الحرب علينا فذلك هو قدرنا.
وأؤكد لكم ان شعبنا لن يركع ، وسيرقى الى مستوى المسؤولية لأنه يطالب بحق ، ويدافع عنه ضد الظلم والطغيان . "

كلمة اليمن :

" يسعدني سعادة بالغة ، سيدي الرئيس ، ان انقل اليكم تحيات السيد عبد الكريم الارياني ، وزير خارجية اليمن ، الذي تعذر عليه لسوء الحظ الاشتراك في هذه الجلسة التاريخية لمجلس الأمن . واسمحوا لي في هذه المناسبة ان اعبر عن ارتياح وفد بلادي اذ يراكم ، وزير خارجية الولايات المتحدة - تترأسون اعمال هذه الجلسة الهامة.

اليوم يصادف اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ، وهو تذكرة صارخة بمحنة شعب لا يزال يحرم بصورة منهجية من حقه الاساسي في تقرير مصيره الوطني وبوجود ازمة اخرى في منطقة الشرق الاوسط لا تعالج بنفس المعيار الذي ما فتىء مجلس الأمن يطبقه على الأزمة في الخليج . وبيت القصيد هنا ليس مصير الفلسطينين فحسب، وهوشعب شرد وعذب ، وانما مصداقية مجلس الأمن ايضا.

لقد صدر في ختام قمه باريس في الاسبوع الماضي اعلان بالغ الأهمية سجل نهاية الحرب الباردة، وهي عهد في التاريخ المعاصر اتسم بصورة رئيسية بالمواجهه الأيديولوجية والعسكرية بين كتلتي القوة المتعارضتين . ويقال لنا الآن انه بدأ يلوح في الافق نظام عالمي جديد ، نظام عالمي يسوده القانون وترفرف في سمائه الحرية . ولكننا لا نجتمع هنا اليوم للاحتفال بنهاية عهد وبداية عهد جديد ، كما اننا لا نجتمع هنا لوضع حجر اساسي للنظام العالمي الجديد الذي يمثل عملة مستنبطة تتأثر حتما بقرارنا . اننا هنا اليوم لنواجة اول تحد خطير لعهد ما بعد الحرب الباردة : الأزمة في الخليج. منذ قيام العراق بغزو الكويت في ٢ آب / اغسطس إتخذ مجلس الأمن ١٠ قرارات تطالب بالانسحاب الكامل للقوات العراقية من الكويت ، والافراج الفوري عن جميع الرهائن ، واستعادة سلطة الحكومة الشرعية للكويت.

ومن اجل ان يضمن مجلس الأمن تنفيذ قراراته فرض على العراق نظام عقوبات كاسحة وملزمة. واليوم معروض على مجلس الأمن مشروع قرار يأذن فعليا للدول باستخدام القوة من اجل تنفيذ تلك القرارات. وهذا القرار سيذكر في سجلات الأمم المتحدة لزمن طويل بوصفة " قرار الحرب."

منذ اندلاع الأزمة في الخليج ظل موقف اليمن متسقا واضحا ، مع انه جرى احيانا تشويهه عن عمد . فمنذ البداية ، اعلنت اليمن انها ستتخذ موقفا محايدا من هذا الصراع حتى يكون في مقدورنا ان نسهم في البحث عن حل عربي سلمي للصراع ، كما ايدت اليمن قرارات مجلس الأمن الداعية الى انسحاب القوات العراقية من الكويت والافراج الفوري عن جميع الرهائن ، علاوة على استعادة الحكومة الشرعية للكويت . وبالتالي ، يجب الا يندهش احد بان جمهورية اليمن لا تستطيع ان تؤيد مشروع قرار يأذن للدول باستخدام القوة ، وذلك للاسباب المحددة التالي :

اولا : ان مشروع القرار المعروض علينا لا يستبعد استعمال القوة ، وهو واسع النطاق وغامض بحيث انه لا يقتصر على هدف فرض تنفيذ القرارات العشرة التي اتخذها مجلس الأمن حول ازمة الخليج . اذن ، سيكون

الأمر متروكا للدول التي لها قوات عسكرية في المنطقة في ان تقرر الشروط المسبقة لاستعادة السلم والأمن الدوليين الى المنطقة ، الأمر الذي قد يؤدي الى مواجهه عسكرية على نطاق اوسع.

ثانيا : ان مشروع القرار المعروض علينا لا يتصل بمادة محددة من الفصل السابع من الميثاق . اذن لن يكون لمجلس الأمن سيطرة على تلك القوات ، التي سترفع اعلامها الوطنيه ، وفضلا عن ذلك ، فان قيادة تلك القوات لن تكون مرتبطة بالأمم المتحدة ، مع ان اعمال هذه القوات أذن بها مجلس الأمن . وهذا مثال تقليدي على تحكم السلطة بلا رقيب.

ان جمهورية اليمن تؤيد نهجا سليما ايجابيا لحسم الأزمة في الخليج وفقا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة . وفي هذا الصدد اود ان اؤكد على ما يلي :

ان نظام العقوبات الذي فرضه مجلس الأمن على العراق ليس لة في الواقع مثيل في تاريخ الأمم المتحدة . فلم يحدث من قبل ان فرضت مثل هذه العقوبات الشاملة والكاسحة على اي بلد . وبامكان المرء التأكد بسهولة من ان العراق ، من جميع النواحي العملية ، معزولا بالكامل عن العالم الخارجي ، وبالنسبه لبلد يكاد يكون مغلقا بلا منفذ الى البحر ولا يستطيع ان يُصَدِّرَ اي شيء، بما في ذلك البترول ، ولا ان يستورد اي شيء، بما في ذلك المواد الغذائية ، فلن يمر وقت طويل ، في رأينا ، قبل ان يُجْبَرْ العراق على الامتثال والانسحاب من الكويت.

وفضلا عن ذلك ، فأن لنظام العقوبات المفروض على العراق ، على عكس العقوبات التي طبقها مجلس الأمن في السابق على روديسيا ، يجري فعلا تنفيذة قانونيا من خلال وجود سفن وحاملات طائرات اجنبية كثيرة . ومع ان الصحف لا تنكر ذلك ، الا انه يجري توقيف الكثير من السفن العراقية والاجنبية التي تبحر من الموانئ الكويتية والعراقية واليها وتفتيشها في اعالي البحار وفي الموانئ القريبة بغية التأكد من عدم حدوث أية انتهاكات للعقوبات المفروضة ، وفي الحقيقة ان لجنة مجلس الأمن المنشأة بموجب القرار ٦٦١ (١٩٩٠) للاشراف على التنفيذ الصارم لنظام العقوبات المفروض على العراق لم تقدم حتى اليوم اي تقرير عن وقوع اي انتهاكات للعقوبات ، انه نظام عقوبات محكم تماما.

ومما يدهشنا بعض الشيء ان الذين اعتادوا على تلقيننا الدروس حول ضرورة التحلي بالصبر حتى تؤتي العقوبات مفعولها عندما يكون الأمر يتعلق بروديسيا وبجنوب افريقيا ، هم الذين يتعجلون اليوم اعلان ان العقوبات الشاملة والجاري تنفيذها على العراق ليست فاعلة . اذا اردنا للجزءات ان تنجح وان ترغم العراق على تنفيذ قرارات مجلس الأمن لابد ان نتحلى بالصبر . فهذ هو البديل لاندلاع مواجهة عسكريه مفجعة لايمكن التنبؤ بعواقبها في منطقة متفجرة من العالم ، ولكن يبدو ان الصبر اصبح سلعة نادرة هذه الايام. وبالاضافة الى وجود نظام عقوبات صارم لابد بالضرورة ان ينطوي النهج السلمي لحل الأزمة على عمل دبلوماسي نشط . لقد قال رجل حكيم جدا ، تعقيبا على الأزمة في الخليج ان هنالك سيناريوهات كثيرة جدا للحرب ولكن ليس هناك سيناريو سلام واحد . والواقع ان بعض المحربين الذين نفد صبرهم يشعرون بالهلع من احتمالات السلام حتى انهم على استعداد لأي ثمن لاشعال نار الحرب . اليس غريبا ان مجلس الأمن ولفترة طويلة لم يخرج بقرار واحد يطلق يد الأمين العام ويفوضه بوضوح بالدخول في جهود وساطة لحسم الأزمة بالطرق السلمية ؟ صحيح ان رد الفعل العراقي على قرارات المجلس ليس ايجابيا ، كما ان استجابة العراق لبعض المبادرات ليست مشجعه و لكن المفاوضات الدبلوماسية الجادة لا يمكن اجراؤها على الملأ .

لقد أعرب العراق بالفعل عن إستعداده للدخول في محادثات ومفاوضات مع الولايات المتحدة الاميريكية . ألم يحن الوقت بعد للدخول في حوار جاد مع العراق ؟ علاوة على ذلك نسمع بين حين وآخر عن بعض الاقتراحات والمبادرات البناءة تقدمها شخصيات بارزة في منطقتنا. ألا ينبغي لنا ان نشجع تلك التحركات الصامتة التي هي أشبه ما تكون بالمجسمات ؟

من دواعي السخرية أن الدول التي ظلت تحاضرنا في العالم العربي عن فضائل الحوار والتفاوض الدبلوماسي هي نفسها التي تقول الآن " لا " لمبادرات السلام وخطط السلام .

قبل حدوث أزمة الخليج بأقل من ثلاثة أشهر ، اندمجت اليمن الشمالية و اليمن الجنوبية سلميا وديمقراطيا في دولة واحدة هي جمهورية اليمن . و بالنسبة لبلدنا الواقع في الجزء الجنوبي من شبة الجزيرة العربية لا تعتبر الأزمة الحاصلة في الجزء الشمالي من شبة الجزيرة شيئا بعيدا . وحتى قبل اندلاع حرب ، تدفع اليمن ثمنا باهظا لاصرارها على سياسة الحياد وتصميمها على اتباع نهج سلمي تجاه الأزمة. بداية ، أقول ان اقتصادنا تلقى ضربة عنيفة نتيجة لامتثالنا لنظام العقوبات و تصدع العلاقات الاقتصادية بين اليمن وكل من العراق و الكويت . وبالذات في مجال الانشطة المتصلة بالنفط وتكريره. هذا علاوة على ان حوالي ٩٠٠ ألف من العمال اليمنيين المهاجرين أصبحوا فجأة من ضحايا الأزمة في الخليج حينما اوقفت اقامتهم نتيجة للوائح جديدة ولأنه لم يكن أمامهم سوى شهر واحد لمغادرة البلاد فقد اضطر الكثير منهم الى بيع ممتلكاتهم باسعار بخسة حتى يتمكنوا من الرحيل قبل الموعد النهائي . وهذا يعد ، من باب المقارنة ،أقرب ما يكون الى عودة ٢٠ مليون عاطل أمريكي الى بلادهم في غضون فترة قصيرة - شهرين مثلا - و لكم ان تتخيلوا مدى الضغوط الاقتصادية التي ستنجم عن هذا الخلل الديموغرافي. وبالتالي، لا يوجد امام اليمن من بديل للسلام ، فبغيره ستكون منطقتنا في طريقها الى الكارثة .

من قبيل الصدفة ان تندلع ازمة الخليج في وقت بدأ فيه عصر ما بعد الحرب الباردة يتبلور في شكله الجديد . ومن ثم فان الطريقة التي ستحسم بها هذه الأزمة ستؤثر لا محالة على طبيعة ومستقبل العلاقات الاقتصادية والسياسية . و قد يَحرم خيارُ الحربِ الانسانيةَ من فرصةٍ تاريخيةٍ لانتقالٍ ميسرٍ سلسٍ نحو نظام عالمي جديد لا يكون طابعه النصر العسكري لبلد او مجموعة من البلدان على بلدان اخرى . ان أية مواجهة عسكرية ، حين تحدث تصدعات وانكماشات اقتصادية حادة من شأنها ان تقوض العملية الديمقراطية الناشئة في مناطق كثيرة من العالم ، بما في ذلك بلادي التي التزمت باصلاحات ديمقراطية حقيقية. وهذا ما يجعلنا نأمل صادقين ان يسود السلام في منطقتنا وفي العالم باسره. فلنعط السلام فرصة. "

كلمة كوبا :

رفضت كوبا القرار ايضاً والقى ممثلها كلمة تضع النقاط على الحروف تُندد بازدواجية الأمم المتحدة وتعطي العراق ما له ، وتوجه اليه ما عليه طالبةً منه الاستجابة الى قرار الانسحاب:

" سيدي ، اود في البداية ان اقدم لك تحياتي بمناسبة رئاستك لهذا الاجتماع الهام لمجلس الأمن . ونأمل انه في ظل رئاستك للمجلس ان يعمل بكفاءة لحماية الجنس البشري من أخطار الحرب .

ونود ايضا ان نبعث بتحيتنا الى وزراء خارجية الدول الأعضاء في مجلس الأمن الذين حضروا الى نيويورك لتثبت الحقيقة وهي انه يجب ان نضاعف جهودنا للوصول الى الحل العادل الذي تتطلع اليه جميعا ، ولقد تم إبلاغنا ان هذث انا الاجتماع على مستوى وزراء الخارجية ومسودة القرار المقترح اليوم تهدف الى تشجيع فرص الحل السلمي للأزمة . ولذلك فقد قبلنا بكل سرور الدعوة الموجهة لنا للمساهمة فيه .

ولقد اشترك الوفد الكوبي في المجلس مع الوفدين الماليزي واليمني خلال الاسابيع الماضية بمبادرة من كولومبيا ومن منطلق الرغبة في التوصل الى مشروع قرار لحل سلمي للصراع ووضع الأسس التي يمكن ان يُبنى عليها هذا الحل . والمجلس مطلع على المباحثات التي جرت بين هذه الأقطار خارج نطاق المجلس في أمل الوصول الى الحل الضروري . ولسوف نستمر في هذا الطريق .

في نفس الوقت فإن حكومتنا منذ بداية الصراع ناشدت ليس فقط الرئيس العراقي بل جميع رؤساء الدول العربية وأقطار اخرى ورئيس حركة عدم الانحياز وهذه المنظمة ان تعمل على تحقيق حل سريع للصراع . وقامت بارسال نائب رئيس الوزراء في كوبا كمبعوث خاص الى العراق منذ اسبوعين حاملاً رسالة الى الرئيس صدام حسين تهدف الى المساهمة في تحقيق حل سياسي للصراع .

وقبل ذلك قامت بلادي في هدوء بجهود عديدة لاقناع العراق بضرورة تصحيح موقفه وجعله اكثر مرونة . ومنذ بدأت المشكلة كنا نراهن باستمرار على السلام وليس على الحرب . وكنا مقتنعين انه حين سَمَحَ المجلس ان يُستدرج الى قرارات متعجلة اكثر من مرة ادى ذلك الى تعقيد الطريق الى السلام .

ان اجتياح العراق للكويت وضمها اليه هو امر غير مقبول ويجب ادانته . وبالنسبة للدول غير المنحازة ودول العالم الثالث فإنه يمثل عملاً مضراً يؤسف له لأنه يفتت الوحدة والتضامن التي نحتاج اليها بشدة لمواجهة تحديات التخلف والسعي للحصول على وضع كريم لثلثي سكان العالم الذين يحتاجون الى الموارد التي تُهدر في سباق التسلح والحروب المحلية .

ان احتجاز اشخاص ابرياء كرهائن هو امر مرفوض ايضا . وقد قمنا بادانته بشدة في المجلس . وبالمقابل فان تبني مجلس الأمن لقرار شامل للمقاطعة دون استثناء المواد الغذائية او الأدوية حوّل الملايين من كبار السن والأطفال الأبرياء والنساء الى رهائن في ايدي الجوع والموت . وقد مات اطفال ومرضى آخرون من الشعب العراقي نتيجة لنقص الأدوية في المستشفيات . ان وجود اكثر من مائتي طبيب وممرضة من كوبا قدموا خدماتهم بلا مقابل لهذا البلد على مدى اثنى عشر عاما مكننا من معرفة ذلك . وعلى ذلك فإن اتخاذ خطوات كالحصار او ما يشبه ذلك لن يؤدي الى حل الموقف وانما سيزيد التصلب .

ان موقفنا الواضح في الأساس بالنسبة للقرارات المقترحة لا يترك مجالا للشك . لقد ساندنا القرارات التى نعتبرها عادلة وغير قابلة للنقاش وامتنعنا عن التصويت او عارضنا القرارات التي نرى من وجهة نظرنا انها تعيق الحل السلمي او تقود بعناد نحو الحرب . ولقد اعربنا ايضاً عن قلقنا من تركيز الحشود الهائلة من القوات المسلحة للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها في منطقة الخليج ومن خطر نشوب الحرب التي حتى لو بقيت تقليدية [المقصود عدم استخدام اسلحة دمار شامل فيها] فانها ستصيب المنطقة بدمار هائل يشمل الكويت والعراق وجيرانهما بالاضافة الى الخسائر التي سوف تتعرض لها القوى المهاجمة .

ان تدمير حقول البترول ومنشآتها وما سينتج عنه من نقص في امدادات البترول الخام والارتفاع المحتمل في اسعاره سوف يؤثر على الدول الصناعية المستهلكة له وسيؤثر بصفة خاصة على الدول غير

المنتجة للبترول من دول العالم الثالث التي سوف تحتاج لمبالغ هائلة من اجل تسديد الأسعار المرتفعة اصلاً والتي ستضاف الى الديون الخارجية الخانقة في وقت تسود فيه شروط قاسية ومجحفة في عالم التجارة .

ولقد ابرزنا في مناسبات سابقة التباين بين موقف المجلس حيال الاجتياح العراقي للكويت وبين حالات اخرى نختار منها مثالين :

- التدخل الاميركي في بنما منذ فترة ليست ببعيدة
- والموقف بالنسبة لفلسطين والأراضي العربية الواقعة تحت الاحتلال منذ ٢٣ عاما .

والاجابة التي حصلنا عليها في هذا المجلس حول ذلك هي ان هناك اموراً ترجع الى الماضي ، في عصر الحرب الباردة التي انتهت بينما نحن الآن في مرحلة جديدة يحترم فيها الجميع ميثاق الأمم المتحدة . واجابونا ايضاً بأن العمل العراقي هو اعتداء على النظام العالمي الجديد الذي ولد في ظل روح ما بعد الحرب .ولكن الحقيقة هي ان هذه الهيئة لم تتمكن من ارسال ممثل عنها الى الأراضي المحتلة ولم تتمكن من اعطاء الحد الأدنى من الضمانات للشباب الفلسطيني الذي يُقتل في كل يوم في الأرض التي أُخرج منها بالعنف .

ولو تركنا الاخلاقيات والاعتبارات القانونية والتاريخية جانبا فإن كوبا لم تحاول ان تربط بين الانسحاب العراقي من الكويت والانسحاب الاسرائيلي من الأراضي التي تحتلها . ولقد احجمت كوبا عن الربط لأنه لا يتناسب مع ضرورات الموقف الراهن . ولكن أليس من الشائن والغريب ان نطالب بتطبيق قواعد في موقف معين بينما نتجاهلها في مواقف تخص آخرين ؟ أليس هذا المجلس هو ذاته الذي كان يُجري المشاورات خلال الايام القليلة الماضية حول مشروع قرار وُصف بأنه معتدل وانساني بالنسبة للقضية الفلسطينية كانت قد قدمته كل من كولومبيا وماليزيا واليمن وكوبا فإذا برئيس المجلس يتجاهل طلب عقد اجتماع المجلس متخطيا القواعد المرعية ؟ الا يشبه هذا ما حصل مع اللبنانيين حين مارست اسرائيل ، وهي الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة ، ضدهم الارهاب بمختلف اصنافه فإذا بالدول تسكت وتتغاضى عن ذلك بينما نجدها تهتز لانتهاكات مماثلة للقانون العالمي ؟

اذا كنا فعلا في بداية عصر جديد واذا كنا نطمع في ان يسود القانون الدولي واذا كنا مهتمين حقاً بتحقيق العدالة وليس الهيمنة والسيطرة على اكبر مخزون بترولي في العالم فإن هذا هو الوقت لنعمل من اجل النظام العالمي الجديد الذي يتمشى مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة والذي قبلناه من اجل تحقيق العدالة والمساواة للجميع . وقد يكون من الأفضل ان تسعى الأمم المتحدة نفسها الى تحقيق الديمقراطية وتلفظ المفاهيم والممارسات التفضيلية التي سادت منذ نصف قرن مضى والتي لا تناسب عالم اليوم . فتلك المفاهيم تحرم الأغلبية العظمى من دول المجتمع الدولي من ممارسة حقوقها الخاصة ومن الاستفادة من قدراتها .

اننا نتفهم ان المشاكل المختلفة التي تواجه البشر في الوقت الحالي لا يمكن حلها دفعة واحدة . ولكن إن وُجدت الارادة الصادقة يمكن العثور على حلول كاملة. فالحوار والمفاوضات اثبتت انها افضل الوسائل المتاحة للأمم المتحدة والدول الأعضاء لحل الصراعات . وناميبيا تشكل مثالاً مشجعاً للصعوبات التي يمكن التغلب عليها على مائدة المفاوضات بين الأطراف المتنازعة . وعلى العكس فقضية كوريا هي مثال على ان استخدام القوة تحت علم الأمم المتحدة ادى الى الخراب بعد ثلاثة سنوات من الحرب التي خلفت مئات الآلاف من الضحايا ودمرت الثروات . وانتهت الحرب الى هدنة أبقت على هذا البلد مقسما مثلما كان قبل

نشوب الصراع بالاضافة الى انشاء قواعد عسكرية اجنبية والى تجنيد عشرات الألوف من الجنود في الجزء الجنوبي من البلاد .

وتعتقد كوبا انه ليس من المقبول ان ننصح بتبني قرار هو في الحقيقة بمثابة قرار الحرب، فهو يعطي مهلة محددة تشتعل بعد انقضائها المعارك . وفي نفس الوقت يمنح القرار الولايات المتحدة وحلفاءها تفويضاً على بياض باستخدام قواتها العسكرية الضخمة . فإذا كان هذا طريق حل الصراع فلن نستطيع ان ننكر انها خطوة غير متحضرة وانها ستسبب للمجتمع الدولي احباطا هائلا وستبرهن على ان الأمم المتحدة وزعماء العالم لا يستطيعون حل المشاكل سلمياً وسياسياً .

ان المشروع المطروح علينا ينتهك ميثاق الأمم المتحدة لأنه يعطي الحق لبعض الدول باستخدام القوة العسكرية بدون مراعاة الخطوات المقررة في الميثاق .

ولقد كان من الممكن ان نؤيد قراراً يهدف الى تأكيد احترام رغبة المجتمع الدولي وفي نفس الوقت يكون فيه من الكرم والشهامة ما يصحح القرار الخاص بمنع الطعام والأدوية عن الاطفال والنساء والمسنين في العراق ويمنح الأمم المتحدة في ذات الوقت السلطات لتتصرف هي بحيث تنسحب القوات العراقية من الكويت بحيث تستعيد سيادتها وحقوقها وليتم الافراج عن الرهائن فورا .

ولكننا بدلاً من ذلك نجدنا مطالبين بأن نؤيد موعدا نهائيا للحرب . وبذلك نواجه التصلب من جانب الحكومة العراقية بتصلب وعناد الى اقصى الدرجات من جانب مجلس الأمن بينما نرى انه من واجب الأمم المتحدة ان يكون رد فعلها متعقلا تجاه اي بيان يعكس التعالي او التطرف . ولا يجوز لها ان تتعصب لخيار استخدام القوة .

ولقد اصبح واضحا ان القوة لم تجعلنا قريبين من الحل بل انها على العكس شجعت التصلب في الموقف العراقي . فالاجراءات الاقتصادية التي اتخذت تعتبر اكثر من كافية . فالعراق لا يستطيع الآن ان يحصل بحرا او جوا على اي بضائع حتى الطعام والأدوية الضرورية لحياة المواطنين . ومن الواضح انه لا توجد دولة تستطيع ان تتحمل العزلة السياسية والاقتصادية المفروضة على هذا البلد دون ان يموت جوعا النساء والأطفال والمسنين او تواجه حربا مدمرة .

ان هذه هي لحظة فريدة في التاريخ . فمنذ بدء اللحظة التي نتبنى فيها هذا القرار فإن العالم كله سيظل على مدى ستة اسابيع يشبه المتفرجين في استاد كبير انتظاراً لاندلاع الحرب. واذا تذكرنا عنوان الرواية الشهيرة لـ " جابرييل جارسيا ماركيز " فإن هذا القرار المعروض علينا يمكن ان نسميه : سرد تسلسلي لحرب خُطط لها سلفاً " . وهذا هو التفسير الوحيد للورقة المعروضة علينا الآن .

لا يستطيع احد ان يهرب من الحقيقية في ان اصدار هذا القرار مقترنا مع تمرير الصلاحيات المخولة بالأصل لمجلس الأمن الى الآخرين لتجنب الصراعات بطرقها الخاصة بها هو اسوأ تعبير عن ازدواجية دور الأمم المتحدة . وان كوبا لا توافق عليه لأنها ليست مستعدة لتحمل هذه المسؤولية التاريخية. "

كلمة الصين :

"سيدي الرئيس ، اسمح لي في البداية ان اهنئك على تولي رئاسة هذا الاجتماع الهام لمجلس الأمن على مستوى وزراء الخارجية . فمهارتكم الدبلوماسية وخبرتكم معروفتان .

لقد مرت شهور اربعة على الاجتياح العراقي للكويت وضمها اليه . وقد بذل المجتمع الدولي كل انواع الجهود لحل ازمة الخليج واصدر مجلس الأمن عشرة قرارات متتابعة في هذا الصدد . ولكن مع الأسف رفض العراق تنفيذ هذه القرارات ولم يبد اي مؤشر يدل على نيته على الانسحاب ، واصبح الموقف في الخليج اكثر توتراً وتزايد خطر اندلاع الحرب .والحكومة الصينية تشعر بقلق بالغ تجاه ذلك . ومن اجل معرفة وجهات نظر الأطراف المختلفة المهتمة بحل مشكلة الخليج واستكشاف احتمالات الحل السلمي للمشكلة قمت بزيارات عمل في الفترة الواقعة بين ٦ – ١٢ من شهر تشرين الثاني / نوفمبر الى بعض دول المنطقة وارسلت شخصيا للقادة العراقيين في وقت مبكر جدا مطلب المجتمع الدولي الذي يطالب بانسحابهم فورا من الكويت وشرحت لهم المواقف الحازمة للحكومة الصينية . ونتيجة لزياراتي شعرت بثقة ان اعضاء المجتمع الدولي تجمعهم قاعدة واحدة حيال مشكلة الخليج وتتمثل في نقطتين اساسيتين . فجميعهم يعارضون احتلال العراق للكويت وضمها اليه ويطالبونه بالانسحاب فوراً ، وجميعهم يرغبون في نفس الوقت حلا لمشكلة الخليج من خلال الوسائل السلمية . واليوم ايضا حين يلتقي وزراء الخارجية للدول الأعضاء في مجلس الأمن ثانية نلاحظ ان هناك ارضية مشتركة بيننا .

فالحكومة الصينية مقتنعة بأن العلاقات الدولية يجب ان تقوم على مبادىء خمسة هي الاحترام المتبادل لسيادة كل دولة على اراضيها ووحدة اراضيها ، وعدم اعتداء فريق على آخر ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، والمساواة والمنفعة المتبادلة والتعاون السلمي ، وان المنازعات الدولية يجب ان يجري حلها من خلال الحوار والتشاور .

والصين تعارض الاعتداء المسلح وضم دولة ذات سيادة الى دولة اخرى مهما كانت الظروف والأسباب . ولهذا فإن الصين طالبت منذ البداية بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات العراقية من الكويت واحترام استقلالها وسيادتها ووحدة اراضيها وعودة حكومتها الشرعية .

والصين لا تبحث وليس لديها اي مصالح ذاتية في منطقة الخليج ولكنها مهتمة بالمحافظة على السلام والاستقرار في المنطقة . ومن ثم فإن الصين بذلت كل جهد ممكن للتوصل الى حل سلمي لمشكلة الخليج .وتحقيق هذا الخيار قد يستغرق وقتاً اطول ولكن التكلفة ستكون اقل من حيث القيمة ومن حيث خطورة النتائج اذا ما لجأنا الى استخدام القوة . فاستخدام القوة سيؤدي الى نتائج خطيرة لأن كل الأطراف المشتركة في الصراع ستعاني من خسائر كبيرة ذات آثار سلبية ليس على دول الخليج فقط بل على السلام العالمي وعلى الاستقرار وعلى الاقتصاد في العالم ككل .

والأمم المتحدة كمنظمة دولية مكلفة بصيانة السلام والأمن مسؤولة عن كل من الأمن الدولي والتاريخ . ولذلك عليها ان تتصرف بحذر شديد وان تتجنب الاجراءات المتسرعة في مسألة حيوية مثل اعطاء الحق لبعض الدول الأعضاء بالقيام بعمل عسكري ضد عضو آخر . والسبب الذي جعل الصين تصوت لصالح القرارات العشرة الصادرة من قبل بالرغم من كون بعض اجراءات العقوبات الواردة فيها كانت قاسية هو انها لا تدخل في نطاق استخدام القوة .

ولكن المشروع المعروض للتصويت والذي يحوي تعبير " استخدام كل الوسائل الضرورية " يسمح باستخدام العمل العسكري . وهذا يتعارض مع الموقف الثابت للحكومة الصينية الذي يحبذ السعي لحو الحل السلمي بكل الوسائل . ولذلك فإن الوفد الصيني يجد صعوبة في التصويت لصالح مشروع القرار . ومن ناحية

اخرى فإن مشكلة الخليج هي نتيجة لاحتلال العراق للكويت وضمها اليه . ولم يتخذ العراق اي خطوة عملية بشأن استعداده لسحب قواته من الكويت . وقد لاحظنا ان مشروع قرار مجلس الأمن يناشد العراق ان ينفذ بكل دقة قرار المجلس رقم ٦٦٠ لسنة ١٩٩٠ والقرارات التالية المرتبطة به والتي ترجو من العراق الانسحاب الفوري من الكويت . وحيث ان الصين تؤيد هذا الموقف فإننا لن نصوت ضد مشروع القرار .

ان الحكومة الصينية ما زالت تتمسك بأن على المجتمع الدولي ان يحافظ على تشديد الضغط السياسي والدبلوماسي والاقتصادي على العراق . وطالما هناك بصيص من الأمل للسلام يجب متابعة الجهود حتى النهاية . ان الحكومة الصينية تحث العراق مرة اخرى على الانسحاب الفوري من الكويت وترغب في ان تستعيد الكويت سيادتها واستقلالها ووحدة اراضيها وحكومتها الشرعية . وحكومة الصين تدعو المجتمع الدولي مرة اخرى ان يكرس كل جهده للاستفادة من كل الفرص والوسائل المتاحة له لتحقيق حل سلمي لمشكلة الخليج . "

كلمة الولايات المتحدة :

بالاضافة الى كلمة جيمس بيكر التي افتتح بها جلسة مجلس الأمن بوصفه رئيسا للجلسة القى كلمة اطول بوصفه وزير خارجية للولايات المتحدة جاء فيها :

" اعتقد ان تصويت اليوم يسجل خطأ فاصلا في تاريخ الأمم المتحدة . في وقت سابق من هذا الاسبوع استمع اعضاء مجلس الأمن الى شهادة ادلى بها عن الجرائم التي ارتكبت ضد المواطنين في الكويت. ولايمكن ان يكون هناك ادنى شك في ان هذه الجرائم لاتتماشى مع اي نظام متحضر . انها جزء من نفس النمط الذي يتضمن ، كما ذكر العديد من المتكلمين ، اخذ الرهائن الابرياء الذين ينتمون الى العديد من الدول.

إن المجتمع الدولي بأسره قد تعرض الى الاهانه عن طريق ارتكاب سلسلة من الاعمال الوحشية . فالقوات العراقية غزت بلدا كان ينعم بالازدهار في يوم من الايام قد سلب ونهب . وان بلدا كان مسالما في يوم من الايام تحول الى معسكر مسلح ، وان بلدا كان في يوم من الايام ينعم بالأمن يتعرض الآن للرعب .

إن دول العالم لم تقف مكتوفة الايدي حيال ذلك . فقد اتخذنا تدابير سياسية واقتصادية وعسكرية لعزل العراق واحتواء عدوانة . اننا بذلنا جهدا دوليا منسقا اشتركت فيه اكثر من ٥٠ دولة لتقديم المساعدة للدول الاشد حاجة نتيجة للحظر الاقتصادى المفروض على العراق . وقد تم توزيع قوات مسلحة من ٣٧ دولة لدراء اي عدوان آخر قد يقع على جيران العراق ولتنفيذ قرارات هذا المجلس . إن الاثنى عشر قرارا التي اتخذها هذا المجلس قد بينت بوضوح ان هناك مخرجا سلميا من هذا الصراع الا وهو انسحاب العراق الكامل والفوري من الكويت دون قيد او شرط وعودة الحكومة الشرعية الكويتية واطلاق سراح جميع الرهائن . لا اعتقد انه يمكن ان يحدث هذا كله مالم تكن غالبية الدول تتشاطر رؤيتنا لما هو في كفة الميزان . ان رجلا خطيرا قد ارتكب عملا عدوانيا سافرا في منطقة حيوية وفى لحظة حرجه من التاريخ . ان اعمال صدام حسين وما بحيازته من اسلحة هائلة وما يسعى الى الحصول عليه من اسلحة التدمير الشامل كلها تشير بوضوح الى ان الكويت لم تكن الوحيدة ولا الاولى ، غير انه من المحتمل الا تكون الهدف الاخير على قائمته . واذا ما كسب هذا الصراع ، فلن يكون سلم في الشرق الا وسط ، ولن نتوقع سوى وقوع المزيد من الصراع ونشوب

حرب اوسع نطاقا . وإذا ما سيطر على موارد الخليج فان طموحاته ستعرضنا جميعا للخطر وتعرض للخطر الرفاه الاقتصادى لجميع الدول . واخيرا اذا ماخرج العراق من هذا الصراع بمكسب اقليمي اومالى او سياسي فإن العبرة ستكون واضحة كل الوضوح ، اي ان العدوان مربح .

وكما ذكرت آنفا اليوم لابد ان نتذكر عبرة الثلاثينات وانه لايجب مكافأة العدوان . منذ ٢ أب / أغسطس ما برحت العديد من الدول تعمل سوية لتبرهن ذلك على وجة التحديد لقد اتخذت اجراءات عديدة لم يسبق لها مثيل والنتيجة هي واقع جديد الا وهو مجلس أمن فعال حديث خال من قيود الحرب الباردة ومع ذلك فالحقيقة المرة هي ان الواقع الجديد لم يمح واقع العدوان العراقي وإن ذلك - وذلك وحده - هو الاختبار الأخير للنجاح . وعلينا ان نسأل انفسنا لماذا لم يتخل صدام عن عدوانه . ولابد لنا ان نتساءل لماذا لايفهم مدى ضخامة القوات التي حشدت ضده ومدى الشعور الشديد بالاشمئزاز ازاء سلوكه ولابد ان تكون الاجابه انه لايصدق اننا نعني حقا ما نقوله . وانه اعتقد ان واقع عدوانه سيدوم اكثر من واقعنا . ان المجتمع الدولي يعارض العدوان .

لذلك نجتمع هنا اليوم اولا وفي المقام الاول - كما ذكر بالفعل العديد من المتكلمين - لتبديد اوهام صدام حسين ، فلا بد له ان يعرف ان عدم الامتثال بصورة سلمية لقرارات مجلس الأمن بالنسبة اليه ينطوي على خطورة الحاق الكارثة به .

ايها الزملاء اعضاء مجلس الأمن ، اننا نقف على مفترق طرق ، اننا نبين اليوم لصدام حسين ان الشارة المكتوب عليها كلمة " السلام " هي الاتجاه الذي يتعين عليه اتباعه . وقرار اليوم واضح كل الوضوح . ان العبارات تجيز استخدام القوة . غير اني اعتقد مرة اخرى ان الغاية ، كما ذكر العديد بالفعل ، تتمثل في التوصل الى حل سلمي للمشكلة . اذ ما من احد هنا سعى الى هذا الصراع . ان دولا عديدة هنا تتمتع بعلاقات طيبة جداً مع شعب العراق . ولكن ليس بمقدور مجلس الأمن ان يتحمل هذا ، وهو لا يزال مخلصا للمبادئ المتجسدة في ميثاق الأمم المتحدة .

اننا باتخاذنا لقرار اليوم نتفق في الرأى مع اعضاء المجلس الآخرين على ان هذا ينبغي ان يفضي الى توقف مؤقت في جهود المجلس . وبالطبع نفترض عدم احداث تغيير ضار بالظروف . اننا نفعل ذلك بينما نحتفظ بحقوقنا ، كما تفعل الدول الاخرى ، في حماية رعايانا في العراق ونضع في الحسبان الكامل احكام اتفاقية جنيف الرابعة وبروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ اذا ما لجأ صدام حسين الى استعمال الاسلحة الكيميائية والبيولوجية . اننا باتخاذنا قراراليوم ، الذي نعتقد انه عبارة عن توقف قصير من اجل السلم ، نقول لصدام حسين مايلي :

سنواصل البحث عن حل دبلوماسي . ان السلم هو الخيار الوحيد المعقول . بوسعك ان تختار السلام باحترام ارادة المجتمع الدولي . ولكن اذا لم تفعل ذلك ، فانك ستجازف بكل شيء فالخيار خيارك انت . واذا ماقصرنا في الرد على هذا العدوان سنفقد ما هو اكثر من السلم في منطقة الخليج . وقد اجتمعت مؤخرا في اوروبا الدول التي كانت اطرافا في الحرب الباردة لدفن ذلك الصراع .

ان كل شعوب اوروبا واميركا الشمالية التي لم يكن لديها شيء تتطلع اليه سوى فجر كفاح مستمر، امامها الآن بداية جديدة ، بل فرصة جديدة . ان الصراع والحرب لم يعودا كلمات السر في السياسة الاوروبية. اننا نجتمع في فترة حاسمة من التاريخ . بوسعنا ان نسخر انتهاء الحرب الباردة لتجاوز النمط

الكامل لتسوية الصراعات بالقوة اوان ننزلق الـى الـوراء بـالدخول فـي صراعـات اقليميـة متزايدة الـهمجيـة ، تكون فيها الغلبة للقوة . بوسعنا ان نسلك الطريق المفضي الى السلم وحكم القانون او ان نسلك طريق صدام حسين الذي ينطوي على العدوان الوحشي وشريعة الغاب . وببساطة ، انه خيار بيين الصواب والخطأ . اعتقد ان لدينا الشجاعة والجلد على اختيار جادة الصواب . "

كلمة الاتحاد السوفياتي :

"اعتقد انه من المنطقي والرمزي ان يترأس هذه الجلسه لمجلس الأمن السيد جيمس بيكر ، وزير خارجيه الولايات المتحدة الأمريكيه ، وهي البلد الذي اضطلع منذ بدايه ازمة الخليج بدور نشط في مواجهة العدوان.
ان هناك منطقا في الاجراءات التي يتخذها مجلسنا ، الذي عمل منذ بداية الأزمة بتماسك وتنسيق ، وفي نفس الوقت بطريقة مسؤولة متزنة بما يتفق اتفاقا تاما مع ميثاق الأمـم المتحدة نصـا وروحـا فـي تفسيره الحديث الذي يعيد اليه سلطاته وحقوقه الاصلية. اننا نواجه اول اختبار خطير للغاية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ونحن نتعامل معه واضعين المصلحة المشتركة للبشـرية فـي مركـز سياسـتنا ، ومسترشدين بمبـادىء التفكير الجديد في الشؤون الدولية. ان هناك عدلا وقدرا من السخاء في القرار الذي اتخذناه تواً . وفي الوقت الذي نقترب فيه من نهاية الشهر الرابع للأزمة ، يبدي المجتمع الدولي شهامة حقيقية ويعطي الجانب الذي انتهك السلم وقتا للتفكير مرة اخرى .وفي الوقت نفسة فإننا نعطي الضحية في هذه الأزمة تعهدا قويا بأنـه عليـه ان يواصل الإنتظار ، فالمساعدة في الطريق وان حقوقه ستعود بالكامل.

اليوم بدأنا عدا تنازليا " لمهلة حسن النية " ونحن مقتنعون بأنـه قبل ان يمضي الوقت ستتحول الاحداث باتجاه السلام، وبأن المهلة ستبشر بتحول الى تسوية سياسية.

فلو فكرنا بطريقة اخرى سنجد ان لا ضرورة لهذا القرار : فالقرار يشكل محاولـة صادقـة وخيرة لاعطاء الرشد فرصة ان يسود أو ان شئت فرصة لبقاء غريزة البقاء، واعطاء العراق وقتا للتفكير بالعواقب الناتجة عن حصيلة الأزمة اذا لم يتوصل لحلها سلميا.

وهكذا فإننا نريد ان نستهل مهلة حسن النية بمناشدة العراق والرئيس صدام حسين بالارتفاع فوق اعتبارات المقام والهيبة ، واظهار الحكمة وبعد النظر وأن يضع مصالح البلد ومصير شعب ومصير السلم والاستقرار على كوكبنا فوق اي اعتبار.

لا يريد اي عضو من اعضاء المجلس ولا يسعى للتوصل الى نتيجـة مأسـوية . ولكن ينبغي ألا يخطئن احد بحق الارادة الجماعية للمجتمع الدولي كما ظهرت هنا ، او بحق تصميمة واستعداده للقيام بالعمل. ان تدبير المجلس يستند الى وعي واقتناع واضحين بأن التهرب من القيام بواجبه الآن بالتقاعس عن قلب العدوان من شأنه ان يعني حتى انزال مزيد من المعاناة والمشقات بالعالم وشعوبه.

ان الذين قاموا بانتهاك السلام عليهم ان يدركوا ان "كافة الوسائل الضرورية" ستستعمل فعلا ضدهم وبشكل عنيد، وسنكون جميعا سعداء لو لم تكن هناك ضرورة للجوء الى مثل هذه الوسائل.

دعني اقول بصراحة ان قرار اليوم لم يكن قرار سهل بالنسبة للاتحاد السوفياتي. فالجميع يعلم بعلاقتنا الطويلة الأمد مع العراق والمشاعر الطيبة التي تكنها لشعب هذا البلد . الا ان ما يدفعنا هو قلقنا الحقيقي تحديدا بشأن مستقبل ملايين العراقين ، بالاضافة الى قلقنا على العالم الذي سنعيش فيه جميعا.

لقد خرجنا لتونا من ظل المواجهه المظلم الذي كان مرارا غطاء لاعمال تعسفية غير قانونية . علينا ان نضع ذلك كله وراء ظهورنا ونبعده من اجل المستقبل. لقد بدأنا لتونا في التغلب على العداوة المتبادلة والشك والعزلة التي ولدت التوتر والنزاع . مرة اخرى ، علينا ان نلقي ذلك وراءنا والا تثقلنا بعد اليوم تلك التركة المرهقة.

لقد اصبحنا ندرك لتونا القيم العالمية للحرية والديمقراطية بالنسبة للانسان والمجتمع والعلاقات الدولية ، وهذه القيم ينبغي التمسك بها وحمايتها . ولا يمكن لنا ان نبني ونثبت نظاما عالميا جديدا وعادلا ونتنقل نحو عالم متساو ، يتسم بالعلاقات القائمة على الاحترام والمنفعة المتبادلة بين الدول والشعوب الا على اساس هذه القيم . اقول بصراحة جارحة ان ما يحدث في منطقة الخليج وجه صفعة ضد السلوك المتحضر وسبب ضرراً يتعذر اصلاحه لمؤسسات السلم والديمقراطية. وبذلك يغرق العالم في الفوضى . ولن يدخل العالم مرحلة اكثر صفاء وهدوء واستقرارا ما لم يواجه التحديات المتبقية من الماضي ويرتفع الى تحديات الحاضر والمستقبل الجديدة .

ان من الاهمية الفائقة اننا لم نعد اليوم نستجيب لهذه التحديات بالطريقة نفسها التي مارسناها بالامس. إننا نعطي الافضلية للقانون ، والعمل في ظل سلطة الميثاق ومجلس الأمن ، والجهود الجماعية . لقد تصرفنا على هذا النحو -جماعيا وبشكل متضافر – خلال الاسابيع الطويلة والصعبة من ازمة الخليج، ونحن مستمرون في ذلك ، اننا على حق بتصرفنا بهذه الطريقة .وانني ارى في ذلك علاوة على اننا فعلا ندخل زمنا يتسم بالنضوج السياسي واننا ادركنا ان الديمقراطية والحرية لا تنفصلان عن وعي كل واحد منا بمسؤليتنا تجاة النظام ، وتجاه بيتنا المشترك وتجاه انقاذ الحضارة العالمية.

وفي الوقت الذي لا يمكن فيه ان نقلل بأي حال من الاحوال من تعاطفنا مع الكويت ، او ألمنا لمعاناتها ، اريد ان اقول ان الخطر المحدق يتهدد ما هو اكثر من مصير هذه الدولة الواحدة .ان مستقبلنا المشترك مهدد، ومن هنا يقيننا بأن الكويت ستولد من جديد باعتبارها دولة مستقلة وذات سيادة ، كما طالبت بذلك القرارات التي اتخذها مجلس الأمن.

وكما لاحظ بعض زملائي وبحق ، فاننا لا نحبذ الروابط في السياسة، خصوصا تلك الروابط السخيفة التي يبدو انها تتطلب خلق مشكلة جديدة لكي تحل اخرى قديمة، او استعباد امة واحدة ،لكي تعزز حرية امة اخرى . ان هذا لسخف حقاً . ولكن بالمقابل لا نرى اي منطق في وقف الجهود بطريقة مصطنعة لحل مشكلة طال امدها ليس لسبب سوى ظهور مشكلة جديدة يتوجب حلها اولا.

لقد حاولت الأمم المتحدة والمجتمع الدولي لسنوات عدة معالجة مشاكل ايجاد تسوية للشرق الاوسط وحل الصراع العربي – الاسرائيلي والمسألة الفلسطينية – و لسوء الحظ دون تحقيق نجاح كبير لحد الآن . لقد كانت هذه المشكلة شاغلنا قبل اندلاع احداث ٢ آب/ اغسطس . ولقد اتخذت اشكالا عدة . عقدت مشاورات ، وتم استكشاف مناهج عدة ، وكانت مناقشات حول امكان اقامه هياكل امنية في المنطقة ، وتنفيذ

اجراءات بناء الأمن واشياء اخرى كثيرة ، ولقد كان اجراء حوار واسع النطاق حول جميع هذه المسائل ولمدة طويلة جزءا من المحادثات التي تعقد بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة على مختلف المستويات.

لماذا ينبغي لنا ايقاف كل هذا الآن ؟ هل اننا بطريقة غريبة ما ترعبنا كلمة "ربط" ؟ اننا نعتقد بانه ينبغي لنا مواصلة ما كنا نعمله وما ينبغي لنا فعله الآن : السعي لإيجاد سبيل نحو تسوية شاملة للمجموعة الكاملة من مشاكل الشرق الاوسط التي قامت قبل الثاني من آب/اغسطس . هذا ليس مكافأة لأحد: انه مجرد حسن ادراك وسياسة سليمة.

ان الاتحاد السوفياتي على استعداد لتطوير اتصالاتة على نحو ابعد بكافة الاطراف المعنية الساعية لايجاد تسوية للنزاع في الشرق الاوسط. وفي هذا المجال فقد كنا نتعاون بشكل ناشط مع البلدان العربية والفلسطينيين. اننا على استعداد للدخول في حوار ، على اي مستوى ومهما كان شكله ، مع اسرائيل. اننا نعتبر نهج البلدان الاوروبية نهجا هاما. وبالطبع فإن المشاورات بين الاعضاء الدائمين في مجلس الأمن بشأن المسائل المتعلقة بتسوية في الشرق الاوسط لها دور خاص جدا.

ان موقفنا الواضح والمستقيم ازاء ازمة الخليج يمكننا من العمل في ذلك الاتجاه دون ان تعيقنا تعليقات او اتهامات باننا الى حد ما نربط هذه الأزمة بمشكلة ايجاد تسوية عربية-اسرائيلية. دعنا لا نوهم انفسنا بتصديق أمر لا حول له ولا قوة.

ان الهدف من القرار الذي اتخذناه لتونا هو وضع نهاية للعدوان وان يكون واضحا للعالم ان العدوان لا يكافأ. واملنا ان يكون لقادة العراق القوة على ادراك المسؤولية التي تقع على عاتقهم امام التاريخ وامام شعبهم، وان يمتثلوا لارادة المجتمع الدولي. اننا نقدم لهم تحذيرا خاصا بشأن المسؤولية الشخصية التي يتحملونها فيما يتعلق بمصير الرعايا الاجانب في العراق . ان تعريض حياتهم للخطر سيعد جريمة ضد الانسانية ، مع ما ينتج عن ذلك من عواقب.

باسم الاتحاد السوفياتي، اود ان اعلن انه وفقا لتأييد حكومتي لمفهوم اعطاء" مهلة كلفتةٍ تنم عن حسن النية " المشار اليه في القرار المتخذ اليوم فاننا بالنسبة لمدة هذه المهلة سنسترشد بقواعد السلوك التالية التي سبق ان اشار اليها بعض زملائي:

اولا: على افتراض انه لا توجد تغيرات معاكسة في الظروف، لا تعتزم حكومتي تقييم او تأييد اي عمل لمجلس الأمن من اجل توسيع نطاق العقوبات المفروضة بمقتضى قرارات مجلس الأمن ٦٦١ (١٩٩٠) و ٦٦٥ (١٩٩٠) و ٦٧٠ (١٩٩٠) ، او أية تدابير جديدة لمجلس الأمن فيما يتعلق بالعراق خلال الفترة بين الآن والموعد المحدد في الفقرة ٣ من قرار مجلس الأمن ٦٧٨(١٩٩٠) .

ثانيا: ان هذا التعهد لا يعني المساس بأي حق او حقوق لحكومتي بمقتضى الميثاق بما في ذلك حقوقها اذا سمحت حكومة العراق بوقوع أية اضرار للرعايا الاجانب الذين تحتجزهم ضد ارادتهم.

ثالثا: تذكر حكومتي باحكام الفقرة ١٣ من طوق قرار مجلس الأمن ٦٧٠(١٩٩٠) وبمقتضاه يعتبر الافراد مسؤولين شخصيا عما يرتكبونة من انتهاكات جسيمه لاتفاقية جنيف الرابعة ، وينص على ان جميع المشتركين في انتهاكات لقوانين الصراع المسلح بما في ذلك تحريم البدء باستخدام الاسلحة الكيمائية او البيولوجية بما يتعارض مع بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ والعراق هو احد الموقعين عليه يعتبرون كذلك مسؤولين شخصيا.

وختاما: اعرب عن الثقة بانه سيكون بمقدورنا التغلب على هذه الأزمة سلميا . واكرر سلميا ، وبطريقة سياسية، وانهاؤها على نغمة امل في مستقبل افضل لنا جميعا. "

كلمة خافيير دي كويار:

قبل أن يختتم وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الاحمد الجلسة بكلمته الثانية القى السكرتير العام بكلمة قصيرة جاء فيها :

" لقد اتخذ مجلس الأمن قرار ينطوي على خطورة بالغة.واود ان اؤكد على انه حتى بالمعنى الاكثر تشدداً للقرار الذي اتخذ الآن ، فإنه يتوخى ٤٥ يوم من الجهود الصادقة التي ترمي الى التوصل الى حل سلمي للازمة. ولادراكي بالمسؤولية المعقودة على منصبي، فإنه يجب عليّ ان اعرب عن الامل في ان يستغل هذا الوقت في سبيل تحقيق غرض بناء الى اقصى حد.

في بياني في اجتماع المجلس على مستوى الوزراء في ٢٥ آيلول(سبتمبر) حاولت ان اوضح الموقف القائم على المبادىء والمستمد من الميثاق والذي تنطوي عليه هذه المسألة . ان الأمم المتحدة ، في طلبها الامتثال الى قرارات مجلس الأمن، لا تسعى الى الاستسلام بل الى اشرف السبل لتسوية الأزمة بطريقة تحترم كل المصالح المشروعة وتفضي الى سلم اعم وسيادة القانون.

ويجب التأكيد على ان هذا الأمر لا ليس مجرد بلاغة، وليس مسألة تغليف النوايا العدائية في صيغة مقنعة . وارى ان الحالة تتطلب بذل جهود دبلوماسية بعزم متجدد بغية وضع الأزمة الحالية على الطريق الذي يفضي الى نتيجة سليمة.

والعمل الجماعي، كما لاحظت من قبل، يتطلب نظاما خاصا به ، وبالاضافة الى ذلك فإن تدابير الأمم المتحدة الرامية الى اصلاح هذا الخطأ الدولي يجب اعتبارها جزءاً من المساعي الأعم التي ترمي الى اقامة السلم من خلال العدالة اينما تعرض السلم للخطر وانكرت العدالة . "

كلمة شكر ختامية من الكويت:

وفي نهاية الاجتماع القى وزير خارجية الكويت كلمة ختامية لا تحتاج لأي تعليق :

" لقد ذكرت في كلمتي في مطلع هذا الاجتماع ان شعب الكويت يتطلع الى المجلس في مساعدته في عودته الى ارضه، واستعادة حريته، وممارسة حقوقه في بلده ، آملا منكم مؤازرته في دحر العدوان، ومساندته في ازالة الظلم، ومناصرته في نزع الجريمة عن ارضه .

وقلت انكم صوت الانسانية التي تصرخ طالبة العدالة، وصرخة الضمير المتلهف للعدالة، والمطالبة بسيادة القانون واعلاء كلمة الحق.

اني اعبر عن مشاعر الامتنان لكم جميعا باسم شعب الكويت. فقد ضاعفتم امله، وعمقتم تصميمه وزدتم من عزمه على ان يستخرج من الالم آمالا ومن العذاب قوة بناءة .

ان وقوف مجلس الأمن امام جريمة العراق في الكويت درس لكل من تغريه القوة ليغزو غيره ، ولكن من يستسلم للاطماع معتمدا على البطش. فقرار المجلس رسالة قوية وفصيحة الى العالم كله بأن العدوان منهزم وعصر اللجوء الى القوة اندثر.

اشكركم باسم كل الكويتين المعذبين، والمحتلين. والمحرومين ، والمشردين، اشكركم باسمهم، لتصميمكم، واشكركم نيابة عنهم لقراركم ضد العدوان. واعبر عن املهم ان يعودوا الى ارضهم بلا دمار . وان يسود العقل وتنتصر الحكمة، بعد ان يتأمل النظام العراقي في قرار المجلس ليستخلص منه حقائق اليوم ويمتثل لدعوتكم وندائكم.

سأعود الى شعب الكويت لانقل لهم ما شهدتة معكم، وما لمستة منكم، وما عرفتة من مداولاتكم. قريبا سيعبر الى دنيا النور والعمل بعد ان قلتم جميعا بأن عهد الظلام اختفى.
ولكم كل التقدير والامتنان والسلام عليكم ورحمة الله ."

الفصل الثاني والعشرون

المبادرة المكيافيلية للرئيس بوش

في الساعة السادسة و ٥٥ دقيقة حسب توقيت نيويورك من يوم ١٩٩٠/١١/٢٩ انفض مجلس الأمن بعد ان اصدر القرار ٦٧٨ . وبعد اقل من ساعة اتصل ممثل العراق عبد الامير الأنباري مع الامير بندر بن سلطان واعرب عن رغبته في مقابلته فوافق الامير بندر ، وتواعد الرجلان على اللقاء في صبيحة اليوم التالي . وفي وقت الموعد انتظر الامير بندر حضور السفير ولكنه لم يحضر ولم يعتذر عن الحضور . فقام الامير من طرفه بالاتصال بالسفارة العراقية التي اجابت بأن السفير غادر الولايات المتحدة الى بغداد وأن الموضوع الذي كان سيبحثه مع سموه لا يعدو كونه دردشة بعد طول افتراق . وفي ذات الوقت الذي كان يفترض فيه حصول اللقاء اعلن التلفزيون الامريكي عن مبادرة جديدة بحثا عن السلام إذ اقترح الرئيس بوش اجراء لقائين : الاول أن يستقبل هو الوزير العراقي طارق عزيز والثاني هو أن يوفد وزير خارجيته جيمس بيكر الى بغداد للقاء الرئيس صدام حسين .

هذه هي الصورة التي تناقلها معظم الكتاب الذين كتبوا عن حرب الخليج دون اعارتها حقها من البحث والتدقيق .ونحن لا نستطيع تجاوز هذا الحدث دون الغوص وراء خلفياته ذات المغزى الكبير . فما هي الدوافع التي جعلت الأنباري يسعى الى لقاءالامير بندر؟ ثم ماهي الاسباب الموجبة التي جعلته يستنكف عن الزيارة دون اعتذارويعود فجأة الى بغداد؟

يمكن تفسير الواقعة على الشكل التالي : تيقن العراق من خلال الكلمات المتفجرة ضده في جلسة مجلس الأمن من أن الهجوم العسكري واقع لا محالة ، وكان العراق قد قامر على ما يبدو حتى الورقة الاخيرة على ان الحرب لن تقوم ، وربما لم يتصلب الأنباري في كلمته في مجلس الأمن الا انطلاقا من قناعتين :

- لقد تصور انه كان من الممكن من خلال تصلبه وتحجره في مواقفه اثناء جلسة مجلس الأمن جعل بعض الدول تصوت ضد قرار الحرب تحسباً من آثارها المدمرة للقيم المادية والانسانية فتسقط مسودة القرار الاميركي . فلو حصل ذلك لاعتبر العراق نفسه رابحا ولوجد نفسه قد حقق المراد في احداث شرخ في الصف الدولي مما يفتح الباب امامه لبلوغ اربه .

- أما إن وافق مجلس الأمن على قرار الحرب ، وهذا ما حصل ، فسوف يتراجع

- أما إن وافق مجلس الأمن على قرار الحرب ، وهذا ما حصل ، فسوف يتراجع العراق عن معظم مواقفه لترتيب الانسحاب الذي يحفظ اكبر كم من ماء الوجه لقيادة العراق . وسوف يبدأ التفاهم مع السعودية في نيويورك من خلال اللقاء مع الامير بندر بن سلطان ، وهذه هي القناعة التي توصل اليها الامير بندر.[1]

وهذا التفسير هو الذي نراه نحن ايضا اقرب الى العقل . ولكن اعتبارا من هذا الحد الذي نشارك فيه الآخرين في آرائهم نجد لدينا تفسيرات اخرى اعمق مما يبدو على السطح ، فنحن ندعي بأن اجهزة المخابرات الاميركية تنصتت وسجلت هذه المخابره الهاتفية كما تتنصت على كل مخابرة اخرى يجريها اي رجل ذو شأن أو حامل قرار على وجه المعمورة، ونقلتها فورا الى القيادة الاميركية التي قامت قيامتها ولم تقعد لهذا الخبر الخطير.. فلقد قيّمَتْ واشنطن مبادرة ممثل العراق وتوصلت الى ذات النتيجة التي توصل اليها الامير بندر واصيبت برعب حقيقي خشية ان ينجح لقاء الأنباري مع السفير السعودي فتنفتح القناة التي ربما تسمح بعودة زمام المبادرة الى الصف العربي. ولرعب واشنطن مبررات قوية جدا . فلو اجتمع المندوب العراقي مع السفير السعودي وتصارحا وفتحا قلبيهما الى بعضهما البعض لذابت الخلافات وتلاشى الغضب وحل محلهما الكرم والتفاني في استجابة احدهما للآخر. وهذه الصورة ليست بغريبة عن الحاكمين العراقي والسعودي ، فكلاهما شهم وصاحب نخوة ، وإن انفتح باب التباري بالكرم والتسامح لوصلت الامور الى ما يدمر كل مخططات الولايات المتحدة. وحين نقول ذلك نذكر ما حصل بين بغداد والرياض حين تفاوض الطرفان على ترسيم الحدود بين البلدين عام ١٩٧٥ ، يقول البزاز :

" وضع السيد صدام حسين (نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق) ورقة بيضاء امام الامير فهد بن عبدالعزيز(ولي عهد السعودية آنذاك) ، واعطاه قلما ، وقال له :

- ارسم الحدود بين العراق والسعودية كما تشاء ، اذا كان هذا الأمر يشغلك ... فالعراق لا يبيت موقفا عدائيا ضدكم ، ولا ينبغي أن تبقى عوامل التوتر قائمة بيننا .. إذ بامكاننا أن نعمل سوية.

اجتمع اثر ذلك وفدان من البلدين في بغداد لبحث موضوع الحدود ، وفاجأ رئيس الجانب العراقي الحضور عندما اعلن :

- إن بغداد هي حدودكم .

لم يجد رئيس الجانب السعودي ما يقوله فطلب تعليق الاجتماع ٤٨ ساعة للتداول مع

---

[1] - حمدان حمدان صفحة ٤١٧ وانظر ودورد صفحة ٢٨٣

حكومته ، التي تلقت نبأ بغداد بارتياح وامتنان .

وتمكن الوفدان خلال بضعة ايام من حسم مشاكل الحدود ، وتوقيع اتفاق جديد يطوي صفحة هذه القضية بما يرضي الجانبين ."[٢]

نعم ! لقد استمعت واشنطن الى هذا الحديث الهاتفي فقرع لديها ناقوس الخطر وبدا لها بأن كل الجهود الجبارة التي بذلتها من اجل حصار العراق وتكبيله واثارة غضبه والحفاظ عليه في الفخ ستذوب مثل فص الملح بالماء وسيفلت من المصيدة وسوف تضيع احلام اليقظة التي تسعى الى تحقيقها هي الى اجل غير مسمى ، وربما لن تعود الفرصة ثانية خلال عشرات السنين لان ظرف انهيار الاتحاد السوفياتي الذي سهل على الولايات المتحدة بلوغ مآربها لن يحدث في كل يوم من ايام التاريخ . ولما وعت واشنطن الخطر الذي يتهدد مخططاتها الجهنمية تفتقت عبقريتها عن ألمعِ ومضةِ قرارٍ سياسيٍ في العصور الحديثة منذ نشاطات الدبلوماسي الداهية تاليران حتى اليوم ، الا وهي اقتراح الرئيس بوش لاجراء اللقائين المذكورين .

نحن لا نشك لحظة في ان قرار المبادرة جرى ايصاله الى مندوب العراق قبل اعلانه وهذا ما يفسر انطلاقه الى بغداد قبل اذاعة خبر المبادرة وقبل ان يتاح له الاعتذار من الامير بندر ، فلما سمع الأنباري الاقتراح طار صوابه فرحا وطربا وتيقن بينه وبين نفسه ان الولايات المتحدة لا تريد الحرب انما تناور وتقوم بدور تمثل فيه التشدد والتصلب تجاه الرأي العام المحلي وللاستهلاك العالمي بينما هي في واقع الأمر تتابع سياسة الأضواء الخضراء وتوافق ضمنا على ضم العراق للكويت اليه والاعتماد على العراق كرجلها في منطقة الخليج .

لقد خدعت الولايات المتحدة العراق وخدعت معه قوى كثيرة في العالم . بل ان اليمن الذي لم يقف مع واشنطن في كثير من الاحيان خُدع ايضا . فبعد يوم واحد من صدور المبادرة وجه الرئيس اليمني على عبدالله صالح رسالة الى الرئيس بوش يهنئه على مبادرته ويقول له فيها "إن اليمن تؤيد اعلان بوش ونحن نضع يدنا في يدكم ما دمتم قد قررتم الذهاب ميلا آخر نحو السلام" [٣]

هذه هي قناعتنا ، ولا يوجد ما يبدو ليدحض تلك القناعة سوى حديث سكاوكروفت في تهدئة الامير بندر حيث ادعى بأن هذه المبادرة ليست سوى ضرورة ليكسب من خلالها

---

[٢] -بزاز صفحة ٢٠١

[٣] -بزاز صفحة ٤٤٩

الرئيس بوش الشارع الاميركي لدعم سياسته حين تنشب الحرب . [4] ونحن نتفق مع سكاوكروفت تماما على أن البادرة لم تهدف البحث عن طريق السلام انما ارادت من خلالها كسب قوى وذرائع جديدة من اجل تفجير الحرب .

لاشك في أن الرأي العام الاميركي سوف يدعم خطوة الرئيس بوش وسوف يجعله يبدو رجل سلام يكره الحرب. ويؤيد هذه الفكرة أن صحيفة واشنطن بوست نشرت بعد ذلك نتائج اقتراع شعبي فظهر ان ٩٠٪ من الشعب الاميركي يؤيد ايفاد بيكر الى بغداد . ويقول ودورد في ذات المكان من كتابه ان الامير بندر تلقى إثر نشر نتائج هذا الاقتراع مخابرات هاتفية من سكاوكروفت ومن بيكر ومن تشيني تلفت نظره الى اثر المبادرة في تحول الرأي العام لصالح رئيس البلاد .

ورغم هذه القرائن نصر نحن على أن المبادرة لم تهدف الا الى اعادة الاطمئنان الى العراق بأن الولايات المتحدة لن تحارب ، فإذا اقتنع استرخى وتخدر واصبح في مقدور خصمه ضربه كما يريد[5].

اطلق الرئيس بوش مبادرته في آخر يوم من تشرين ثاني/ نوفمبر ١٩٩٠ وحدد فترة اللقائين بين ١٩٩٠/١٢/١٥ و ١٩٩١/١/١٥ مع مراعاة أن يلائم التوقيت الطرفين معا ، وهذا ما يثير لدينا اكثر من تساؤل :

-فلماذا " اغلقت " المبادرة اسبوعين كاملين منذ الاعلان عنها حتى "بدء سريان مفعولها" ؟ ولماذا لم يبدأ مفعولها منذ تاريخ الاعلان عنها ؟ ، قد يجيب البعض بأن مثل هذا اللقاء يحتاج الى تحضير دقيق ، وجوابنا هو أن النزاع الذي نحن بصدده قد قُتِل بحثا خلال الشهور الماضية وتوضحت وجهات النظر المختلفة وتصلبت الجبهات واصبحت بأمس الحاجة للشروع بأي لقاء وفي اقرب وقت ممكن لتحريكها ولبعث الحياة في طريق السلام .هذا إن كان السلام هو المطلوب .وان كان لابد من تحضير للاجتماعين فكان يمكن ذلك خلال فترة الايام الفاصلة بين يوم الاتفاق على اللقاء ويوم اللقاء ذاته اذ لا يعقل ان يتفق الطرفان اليوم على اللقاء غدا أو بعد غد .

لقد تعمدت الولايات المتحدة ازهاق اسبوعين ثمينين من الزمن لاقناع العراق بأنها

---

[4] -ودورد صفحة ٢٨٣

[5] - كتب شفينمان عن المبادرة:" وبالرغم من الفرحة التي تلت إعلان جورج بوش عن رحلة طارق عزيز الى واشنطن، ورحلة جيمس بيكر الى بغداد - تلك الرحلة التي لم تتم أبداً - ولكن الفرحة لم تعمر الا ساعات.. وكان الإعلان وسيلة لخداع الرأي العام." (صفحة ٥٨).

قررت "تمييع " القرار ٦٧٨ لكامل الفترة التي نص عنها القرار ، وبذلك تمر الفترة سدى فلا يجد العراق نفسه الا عرضة لهجوم مفاجيء يفوق كل تصوراته .

–ولماذا نصت المبادرة على لقائين محددين دون ان تنص على اية مفاوضات ؟ بل إن كل التصريحات المسؤولة التي صدرت عن واشنطن بعد الاعلان عن المبادرة لم تشر الى مفاوضات انما جزمت بأن الموقف الاميركي الذي اتخذته قبل المبادرة ثابت ولن يتغير ، فلماذا يتم اللقاء اذن ؟ وخاصة إن كان الموقف الاميركي الذي تؤكد واشنطن على انه لن يتغير معروفاً لكل اطراف النزاع وفي كل انحاء العالم .

– وتتحدث المبادرة عن رغبة واشنطن في ابداء حسن النوايا ، ولكن حسن النوايا يبقى ادعاء كاذباً طالما لا يسأل الفريق "القوي المتربص" الضحية المهددة" و " المضبوعة " عن اسباب اوجاعها التي جعلتها تخرق القانون .

لقد كان على من يريد فتح عيونه جيدا أن يرى الفخ الكامن وراء المبادرة التي لم تبحث ابدا عن السلام .

– ولو كان هدف المبادرة فتح اي نوع من الحوار مع بغداد لما كان هذا اليوم هو اول يوم مناسب للاعلان عنها وانما كان يجدر بواشنطن البدء بها فور الاحتلال العراقي وليس بعد ان تكون القيامة قد قامت وبعد أن تكون الجيوش وصلت الى مياه الخليج وتمركزت هناك واطبقت على خناق كل دول الخليج .

وفي مقابل كل سوء النية في السياسة الأمريكية نوجه الى قيادة العراق سؤالا محددا لا لبس فيه ولا مواربة : لماذا تصرف العراق تجاه هذه المبادرة بما يجهضها ؟ ولماذا تملكه الصلَّفُ والكِبَر فظن ان قوى العالم تتوجه بانظارها رانيةً اليه تلتمس منه ان يمنح السلام موعداً وفرصةً فيتكرم بمقابلة الاميركان ؟ لاشك في وجود عدد من دول العالم الثالث انخدعت وحسدت العراق على هذه المكانة التي تبدو لتجعل منه قوة فاعلة ومؤثرة على النظام العالمي ، ولاشك في وجود طبقة عريضة في كل الوطن العربي اختالت زهواً بما صنع العراق ، ولكن دول الصف الاول كانت تعرف الحقيقة عن وضع العراق الذي لا يحسد عليه اطلاقا . اما الولايات المتحدة فكان القلب منها يضرب ضرباً بقوة خشية أن يُحسن العراق التعامل مع هذه المبادرة "فيملص" من خلالها من الفخ المنصوب لخرابه ودماره . إنه العراق هو الذي ماطل ورفض مختلف التواريخ التي عرضتها عليه واشنطن ، فلماذا ؟ لا يوجد جواب شافٍ على استغرابنا وتساؤلنا لعدم تجاوب العراق مع الفرصة السانحة سوى وجود قناعة تملكته بأن الولايات المتحدة لن تهجم عليه ، فهل كانت هناك قنوات سرية تطمئن

العراق ؟ بعد قليل سوف نتطرق الى القرائن التي تجعلنا نرى ذلك الرأي .

يحلو للبعض تفسير المماطلة العراقية في تحديد المواعيد بعدم استعداد العراق لان يصبح "مفعولا به" في يد الدول الاخرى " فيقفز فور ان يطلب منه سيدُهُ ان يقفز " ، ونرى في ذلك الرأي تفسيرا مريضا أو مغرضا او كلاهما معا ، فالعراق كان الضحية المستهدفة ، وكان عليه هو أن يعي موطىء قدميه وأن ينطلق في تصرفاته من ذلك المنطلق فلا يتشبث بالثانويات وبالقشور . ، فالتشبث بفكرة المساواة مع الخصم والتحجج بالكرامة هو تعبير عن جهل في تقييم المكانة التي يقف عليها المتشبث وخاصة حين يكون على اطلاع بأن التصلب على معايير الكرامة قد يؤدي الى اغتصابها كاملة وبشكل لا يخلو من الاذلال وخاصة بعد ان رأينا فيما بعد كيف يقبل الجندي العراقي .... الأمريكي .

وحتى لو افترضنا جدلا وصول "التطمينات" عبر القنوات السرية ، فلماذا لم توافق بغداد على اللقائين المقترحين بسرعة وتستخدمهما كستارٍ لتستوثق من البيت الأبيض بشكل مباشر من ان تلك التطمينات السرية جادّة وصحيحة وسارية المفعول ؟ .

هذا وإن العراق هو الذي كان يشرئب بعنقه بحثا عن الحوار مع واشنطن ، ونجد توثيقا لذلك لدى سعد البزاز الذي كتب :

" لم تنزع جهود القادة العرب الفتيل من قنبلة اقترب موعد انفجارها .

اذن كانت هناك حاجة لمن يستطيع الجلوس امام بغداد لعقد صفقة شاملة تنزع الشعور بالخطر من اذهان العراقيين وتكفل لهم ضمانات لاعادة البناء وتوفر مستلزمات ثبات الوضع القائم جغرافيا وسياسيا في الخليج ، وضمان تدفق النفط باسعار متوازنة .

ولذلك كان هناك من يتحدث عن امكانية قيام وزير خارجية الولايات المتحدة جيمس بيكر بزيارة تاريخية الى العراق .

وكانت هناك اكثر من فرصة لنجاح مثل تلك الزيارة – لو أنها وقعت فعلا – ومن ذلك أن العراق حرص على عدم المس بوزير الخارجية بل على العكس سبق للقيادات العراقية ان اشادت به واظهرت رغبتها في التعاون معه .. ثم ان واشنطن كانت تملك اكثر الاوراق حسما عشية الانفجار ، فهي الطرف الذي يوفر الحماية والتشجيع للكويت ، وتستطيع ان تحدد اتجاهات الموقف الكويتي في لقاء جدة ، وهي الجهة المعنية بمسألة اسعار النفط وسياسة زيادة الانتاج ، وهي الدولة التي تستطيع وحدها ان تبرهن للعراق زوال احتمال تعرضه للضربة الاسرائيلية التي كانت بغداد تتوقعها في اية لحظة ، وهي ايضا القوة الدولية الاهم المعنية بالتعامل مع انتشار اسلحة الدمار الشامل في الشرق الاوسط .

ثم ان بغداد كانت ستفضل التعامل مع السيد لا مع التابع في موضوع الكويت واسرائيل ... اذن ماذا لو زار الوزير جيمس بيكر بغداد يوم ٢٨ أو ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٩٠ ..؟ ماذا لو جاء وبدأ الحوار الشامل الذي يبدد الشكوك ويقدم الضمانات ؟

الجواب الذي تقدمه بغداد عن هذا السؤال الافتراضي : ان بيكر كان قد جاء لو كانت الولايات المتحدة راغبة فعلا في منع وقوع الانفجار .. لكان بدأ عصر آخر في المنطقة .

ومنذ اعلان العراق شكاواه من مواقف الكويت وسياساتها ، لم تعمد الادارة الأمريكية الى الاتصال بالعراق ، بل كانت مواقف واشنطن تعلن عبر وسائل الاعلام مباشرة دون ان يسبقها مرور عبر قنوات الاتصال الدبلوماسية التي اعتاد الطرفان ان يخاطبا بعضهما من خلالها على مدى السنوات الست الماضية منذ اعادة العلاقات الدبلوماسية سنة ١٩٨٤ .

وكان اكثر ما يثير حساسية القيادة العراقية أن يخاطبها طرف مقابل عبر وسائل الاعلام متجاهلا الاتصال المباشر. " [٦]

اذن ها هو الرئيس بوش يعلن عن استعداده لاستقبال وزير الخارجية العراقي في واشنطن ويعرض ارسال وزير خارجيته الى بغداد ، وهو ذات الرجل الذي تتوق بغداد الى زيارته ، بل انها تعمدت عدم التعرض الى شخصه في اعلامها الرسمي بأي سوء لتسهل له مهمة "عقد صفقة شاملة " مع العراق . ولكن القيادة العراقية تحججت بأوهى الحجج ووضعت شروطا تعجيزية منعت حضوره الى بغداد ، فأين المنطق في هذا التصرف المزدوج ؟

يجيب بعض المدافعين عن الموقف العراقي بأن اسبابا هامة وملزمة جعلت العراق يصر على المواعيد التي اقترحها ، وهذا الرأي اشد مرضا من سابقه ، فهل كان يوجد ثمة أمر مصيري تعرض له العراق اكثر ضغطا واشد اثرا من هذا الموضوع على الدولة وعلى المجتمع العراقيين منذ عصور بني العباس حتى هذه اللحظات ؟ .

نجد ضمن النص الذي اقتبسناه اعلاه من البزاز فقرة ذات مغزى عميق حين قال " إن بيكر كان قد جاء لو كانت الولايات المتحدة راغبة فعلا في منع وقوع الانفجار " ونلمس من ذات النص خشية العراق من ضربة اسرائيلية تتوقعها في اية لحظة ، إذن فلقد استنبط العراق بنفسه ذلك المنطق السليم وادركه فلماذا لم يتصرف حسب ما يقتضيه ذلك المنطق المُلزِم ساعياً الى تفادي الوقوع في المصيدة ؟ ولماذا لم يرسل مثلا رسلا تُبدي استعداده للانسحاب الى جميع من يهمهم الأمر في المنطقة العربية بما في ذلك حاكم الكويت والى كل

---

[٦] - بزاز صفحة ٦٤

الدول الاجنبية التي في مقدورها ممارسة قسط من الضغط على الولايات المتحدة بحيث لاتتمكن واشنطن من تنفيذ خطتها الجهنمية بحدودها القصوى ؟ ولماذا اعطى العراق خصمه كل الذرائع التي يحتاجها ليضربه بلا هوادة ولا رحمة حتى آخر لحظة ؟

ويبدي سعد البزاز وعياً رائعا حين يكتب :

" ولم تكن بين بغداد وواشنطن عشية الانفجار الكبير اية دبلوماسية وسيطة عبر اطراف ثالثة ورغم أن الاميركان بارعون في تحريك مثل هذه القوى الوسيطة في اللحظات الحرجة ، عندما يكونون راغبين فعلا في منع حصول تدهور في ازمة ما . فلم يمنع حصول الانفجار في ازمة جزيرة الخنازير ١٩٦١ غير تحرك في لحظة ما قبل الصدام قام به طرف ثالث لا يتمتع بصفة حكومية عندما اتصل دبلوماسي سوفيتي بصحفي امريكي وقدم عبره عرضا لعقد صفقة سلام تقوم على الانسحاب السوفيتي مقابل ضمانة عدم غزو كوبا ، وتولى الصحفي لاحقا دور المكوك بين الادارة الأمريكية والسفارة السوفيتية حتى نضجت ظروف ممكنة للحوار المباشر والرسمي بين الطرفين ..

اما على جبهة الخليج فلم تكن ثمة دبلوماسية سرية خلف الكواليس بين اهم مركزين للمواجهة .. بغداد .. وواشنطن .. وتدافعت الاحداث .. في ممر لا أمان فيه ، ولا كابح .. وكأن المتنافسين جميعا كانوا متوجهين الى معركة كبيرة .. بحجم ما سيقع ."

ولهذا الكلام معنى اعمق مما يبدو على السطح ، فهو يشير بقوة لا تبلغ حد الاعتراف الصريح بأن العراق إما بحث طوال الوقت عن اطراف ثالثة للوساطة ولكن بدون جدوى لأن الولايات المتحدة لم تتجاوب ، أو انه انتظر مبادرة أو غمزا من واشنطن "لينفعل " معها . فإن كانت فكرة التحرش بواشنطن متوفرة فَلماذا لم يجاهر بذلك ولماذا لم يسع بنفسه اليها ؟.. المهم بالأمر أن واشنطن حين "تحرشت" ببغداد من خلال المبادرة التي اعلنها الرئيس بوش كان العراق هو الذي تصرف بعشوائية غامضة ومشبوهة وغير مسؤولة فأجهضها وقام بترسيخ جذوره على دروب الكارثة.

قد يوافق المرء على تحليلات المعلقين العالميين في تلك الفترة في أن بغداد لو استطاعت الاتفاق مع واشنطن على موعد اللقاء الثاني قبل موعد الانذار بأيام ثلاثة لأمكن لها في ذلك الوقت ابداء الاستجابة واللين مما يفتح ملف المفاوضات فيتأجل الموعد النهائي للانذار مما يميع مضمون القرار ٦٧٨ . ولكن واشنطن اوضحت رفضها للموعد المتأخر وصرحت بعدم استعدادها للتفاوض في اي من اللقائين . وما قالته واشنطن في العلن يُلزمها بينما ما يمكن ان تكون سرّبَته الى العراق من تطمينات ومن خلال قنوات سرية لا يُلزمها

وإنما تستطيع التتصل منه! فلماذا استمر العراق بالعناد ؟

نحن نرى ظلالا كثيفة لحلقة مفقودة تفصل بين الاستنتاجات العقلانية التي يبدو أن بغداد احسنت ادراكها وبين الانفعال العراقي الفعلي الذي لا يتناسب طردا ولا يتطابق مع وعيه لتلك الاستنتاجات . لقد تساءلنا ومازلنا نتساءل على السبب الذي جعل الرئيس صدام حسين يصر على اتخاذ موقف التحدي حتى وقوع الضربة القاصمة ، يوجد كثيرون من الذين يستسهلون وصم الرئيس صدام حسين بالخيانة وبكونه جزءا من المؤامرة التي أملت عليه ما يجب أن يفعله ولكننا لا نستطيع تبني هذه الصورة انما نميل الى استبدالها بصورة اخرى تفيد بأنه كان ضحية خدعة مرسومة بدقة ، ونعتقد بأنه لم يماطل في مواعيد اللقائين الا لوجود اصوات قوية اكدت له ان الهجوم لن يحصل كما قلنا قبل قليل ، ومرة اخرى نقرأ لدى البزاز ما يشير بقوة الى ذلك دون ان يصرح عنه بوضوح ، فهو يلقي لوماً على آخر سفير عراقي في واشنطن، وهو الدكتور محمد المشاط، في الوصول الى هذه النتيجة مع الولايات المتحدة فيقول :

" لكن المشكلة مع امريكا ، أن السفير الذي اختاره العراق فيها اظهر في اللحظات الاخيرة تخليه عن مواصلة تمثيل خطاب بلاده بعد أن كان مفروضا أن يعود الى بغداد إثر قطع العلاقات الدبلوماسية ، اليست مفارقة بأن يكلف رجل لم يكن مستعدا حتى النهاية لتبني خطاب بلاده في التعامل مع امريكا ؟ ثم هل كان ذلك احد اسباب الاختناق في قناة الاتصال ؟

كان الاستنتاج الذي توصلت اليه الخارجية العراقية أن سفيرها في امريكا وقع ضحية الخوف . وكان تحت طائلة تأثير الاعلام الأمريكي والضخ السياسي اليومي باتجاهه لاضعاف ارادته ، وقد انتبه الرئيس صدام حسين الى هذه النقطة مبكرا ، فأوصى في احد تعليقاته على مراسلات سفارة العراق في واشنطن بتنبيه السفير وتحذيره من الوقوع ضحية عمليات التخويف الموجهه ضده .

وانزوى الدكتور محمد المشاط ، آخر سفير عراقي في واشنطن في مدينة فانكوفر الكندية ليستعيد ذكرياته ويسكن الى حياة مسترخية بعيدا عن صراع قرر عدم التعايش معه حتى النهاية ".[٧]

توحي هذه الصورة بالكثير. ولكن الإبهام يحيط بها اكثر من التصريح وهذا يدل على أن هناك من حدد للبزاز الخط الاحمر الذي لا يجوز له تجاوزه فيما ينشره ، او ربما وضع لنفسه خطّه الأحمر لكيلا يحصل احراج لأحد .ومما يزيد من الابهام حول دور السفير المشاط

---

[٧] - بزاز صفحة ١٥٠

حديثنا مع البزاز حيث يؤكد ان المشاط رجل وطني مخلص وليبرالي و"غير مقتنع بكل هذه الضجة " ، وكان تحت ضغط نفسي جعله يرسل الى بغداد كل مايخيفها من التقارير.

اما الصورة التي سمعناها شخصيا من ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بون فتفيد بأنه كان للدكتور المشاط دورا مخربا في مفعوله دون ان يكون بالضرورة متآمراً او عميلا للمصالح الأميركية . فقد استمر في اخطار بغداد حتى آخر لحظة بأن الولايات المتحدة لن تهجم وانما ستجنح الى التفاهم مع العراق في نهاية الأمر. ونحن اكثر ميلاً لتبني هذه الصورة عن المشاط . إننا نقرأ لدى اريك لوران ما يؤيد اقوال ممثل منظمة التحرير في بون. فقد كتب عن البرقيات التي كان يرسلها المشاط الى بغداد ما يلي: " كانت البرقيات المرسلة الى بغداد والموجهة الى رئيس الدولة العراقية تشير جميعا الى ضعف احتمال صدور رد فعل اميركي اذا حصل تدخل في الكويت ." ويتابع لوران :" وقبل بضعة ايام من الغزو وفي الوقت الذي كانت تتجمع فيه القوات العراقية على الحدود مع الامارة بعث المشاط بمذكرة طويلة الى الرئيس العراقي ، نجحت المخابرات الأميركية في اعتراضها وحل شفرتها ، وتحدد المذكرة كثيرا من امثلة السلبية الأميركية في الأزمات الدولية مؤكدة: " هل ارسلت الولايات المتحدة قوات حين غزت تركيا قبرص ؟ وهل تدخلت حين غزت الصين التبت ، وهل حدث تدخل عندما دخل الاتحاد السوفياتي افغانستان ؟ "[8]

فهل كان الدكتور المشاط يمثل احد عناصر التوريط لبغداد ؟ انه تساؤل ربما يجيب عليه التاريخ وربما يبقى في سراديب اجهزة المخابرات[9]. ترى لو كان الدكتور المشاط سليم الطوية في كل ما نقل الى بغداد فهل كان يطلب حق الإقامة ويحصل عليه بسرعة لينزوي في مدينة فانكوفر على الشاطيء البعيد من كندا ؟ وإن شئنا العدل في حكمنا لكان علينا الاشارة ايضا الى ان خوف الدكتور المشاط من العودة بعد الهزيمة. وربما يعود الى خوفه الى البطش

---

[8] – لوران صفحة ١٩

[9] – في حديث لنا مع أحد سفراء العراق السابقين أعرب عن قناعته بأن الدكتور المشاط كان مُخترقاً من قبل الأجهزة الأميركية لضخ معلومات مهدئة للعراقيين مفادها أن الولايات المتحدة تتردد وتتحسب من الحرب خوفاً على مصالحها وخشية سقوط الضحايا الأميركيين. وأفاد هذا السفير بأن المشاط كان في فيينا أثناء الحرب. وكانت الخارجية العراقية قد طلبت منه العودة الى بغداد خلال ٣٠ يوماً فتذرع بزوجته المريضة لكيلا يعود. وعلى أثر ذلك اختفت أخباره الى أن ظهر في كندا . وحصلت في البرلمان الكندي ضجة ضد ايوائه لأنه من العراق. ويقول السفير بأن روايات تحدثت عن أن الحكومة الأميركية كانت الواسطة لقبول كندا منح المشاط الإقامة. (تم هذا الحديث مع السفير في باريس بتاريخ ١٩٩٤/٥/٢٣ في القسم الداخلي من مقهى **Le Paris** الشهير.

المعروف عن الرئيس صدام حسين. لكننا اكثر ميلا الى القناعة بدور سلبيٌ قام به الدكتور المشاط . ولو كان صافي النية وواثقا من الخط الاعلامي السياسي الذي كان ينقله الى بغداد لواجة الرئيس صدام ولما طلب اللجوء بعيدا عن الأهل والوطن .

نحن لا نشك في عجزنا عن الاحاطة بالاحداث بشكل كامل ، ولا نشك ابدا في وجود دوافع كامنة ربما جعلت العراق يتصرف بذلك التصرف فتفسر او تبرر ما حصل من فواجع . ولكن على الاطراف المعنية الاعلان عنها من اجل الحقيقة ومن اجل التاريخ ومن اجل قطع الشك باليقين . قد يكون الاعتراف عاراً ! ولكن العار الذي لحق بالعراق والاذى الذي لحق بكل الامة العربية سوف يغطي على عار الاعتراف.

الفصل الثالث والعشرون

اجتماع جينيف

في اليوم الاول من كانون ثاني عام ١٩٩١ هاجم السيناتور الجمهوري روبرت دول ومعه مجموعة قوية من اعضاء الكونغرس سياسة الحكومة في واشنطن التي كانت قد قررت اعتبار يوم ١٩٩١/١/٣ موعدا نهائيا لتبادل الحديث مع بغداد .وطلب منها السناتور دول سحب هذا القرار . وفي ١٩٩١/١/٣ اعلن الرئيس بوش عن اقتراح لقاء بين وزيري خارجية البلدين وحدد موعدين ليختار منهما العراق ما يناسبه . وتم ايصال هذه الرسالة الى وزارة الخارجية العراقية عن طريق جوزف ويلسون القائم بالاعمال الاميركي في سفارة بغداد . هذا ويبين المتحدث باسم البيت الابيض بأن هذا اللقاء هو محاولة اخيرة لتفادي الحرب في الخليج وأن اللقاء سوف يتم حسب ذات الشروط التي حددتها الحكومة الاميركية سابقا والتي تؤكد على أن واشنطن "غير مستعدة لاجراء اية مفاوضات ، ولا لتقديم حلول وسط ، ولن تسمح لمحاولات (الرئيس العراقي) للحفاظ على ماء وجهه ، ولن تكافيء المعتدين" ، فقبل العراق بهذه الشروط واختار الموعد الأبعد أي في ١٩٩١/١/٩ للاجتماع في جنيف .

نلاحظ مما سبق أن الرئيس بوش فهم الاشارة التي ارسلها السيناتور روبرت دول وأحس بأهمية النقد القوي من نواب الكونغرس فخشي أن تتأثر خططه في كسب تأييد النواب وجموع الشعب لمشاريعه فأطلق هذه المبادرة التي لو تفحصنا فحواها لوجدناها لا تقدم ولا تؤخر من الناحية العملية .

لاشك ايضا في وجود عامل آخر دفع الرئيس بوش الى هذه المبادرة وهو خوفه من نجاح الاتصالات الاوربية مع بغداد مباشرة .صحيح أن انكلترا وقفت الى جانب واشنطن في وجه الاتصالات المباشرة مع بغداد ولكن فرنسا واسبانيا وايطاليا والمانيا كانت ترغب بمتابعة الاتصال معها الى ان جاءت مبادرة بوش. اثار هذا اللقاء والمباحثات التي جرت خلاله تساؤلات عديده لدينا منذ ما قبل حصوله حتى آخر لحظة فيه ، أما ما أثارنا في امره قبل حصوله فهو تفضيل الرئيس العراقي ارسال وزير خارجيته الى جنيف بدلا من استقبال الوزير الاميركي في بغداد . فالرئيس صدام هو صاحب القرار في بلده وهو الذي يستطيع التحدث بصراحة مع محاوره فيقول له على سبيل المثال :" سوف نعطيكم البترول بالشروط التي تناسبكم مقابل ان تجعلونا في مكان متقدم على رأس الخليج ". انه هو الذي يستطيع المساومة

وهو الذي يستطيع تنفيذ ما يتم الاتفاق عليه. فلماذا لم يستغل استعداد بيكر للحضور اليه ؟ هذا وإن جلسات التفاوض على الامور الخطيرة التي تمس بلدين لا تجري عادة بشكل شبه علني وبحضور مجموعة من ممثلي الوفدين إنما تحدث بين صاحبي القرار ومعهما مترجم إن لم يكن التفاهم المباشر ممكنا . وبعد الاتفاق على الاصول والمبادىء تحال النتائج الى الحلقة الاوسع حيث يتولى ذوو الاختصاص صياغة ما اتفق عليه الرأسان ، فلماذا لم يحرص الرئيس صدام على توجيه الامور بالشكل الذي يُمكّنُ من التوصل الى حل يتفق مع مصالح ومطامح العراق ولماذا ترك الأمر لوزير خارجيته الذي لا يستطيع الجزم بشيء الا بعد الرجوع اليه ؟

وأثار انتباهنا وعجبنا الشديدين نص الحوار الذي دار بين وزيري الخارجية في جنيف ، ولقد فكرنا في سرده كاملا كما أورده المؤلف حمدان نقلا عن وثيقة (نصوص الحرب) التي اصدرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر ولكننا ارتأينا الاستغناء عن نقل ما يزيد عن ٦٠ صفحة مفضلين اقتباس الفقرات الحساسة التي نراها تمثل مضمون الحوار الذي دار بين الوزيرين تمثيلا حقيقياً ثم نستقرىء مضمونها لنستنتج عدم وجود ذرة ايجابية واحدة ومحسوسة من الهدف الذي يُفترض أن الاجتماع عُقد من اجله ، ونعني : التفاوض بحثاً عن الحلول السلمية . هذا ونريد التأكيد ثانية على اننا حين نتحدث عن " المضمون الاجوف" لما دار في الاجتماع لا نقصد سطحية الحديث المتبادل إنما نشير الى عدم انسجام نصوص الحوار مع الهدف الذي يُفترض ان الاجتماع عُقد من أجله. واما من الناحية الموضوعية فنكاد نلمس في كل كلمة تبودلت مضمونا ذكيا يثبت القوة الفكرية لطرفي الحوار .... ولكنه لا يتعرض لبحث الحلول . لننظر الى الفقرة الاولى من الحديث الذي بدأه بيكر فقال :

" هذا اجتماع مهم جدا . نحن نجتمع كممثلين لدولتين ذات سيادة . ان الغرض من هذا الاجتماع ليس بأي صفة الضغط على بعضنا البعض ولكن يجب ان لا يكون مفاجئا لكم اني لست هنا لاعادة التفاوض بشأن قرارات المجتمع الدولي التي صدرت عن مجلس الأمن ، ولكن انا هنا لكي اتصل بكم وهذا يشمل ليس الحديث فقط ولكن الانصات ايضا ولذا فإني لست راغبا في مجرد الحديث ولكن الانصات ايضا وآمل انكم هنا ايضا بروح الانصات الى جانب الحديث وسأبدأ بالطريقة التي تفضلونها اما ان تبدأوا اذا فضلتم أو ابدأ انا ولكن قبل أن تبدأوا أود أن اسلمك رسالة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام حسين وهذه نسخة من الرسالة لكم ".

يفرض هذا الافتتاح التساؤل عن جدوى هذا الاجتماع إن لم يصرّ المفاوضان اصرارا قوياً على الدخول في معمعة نقاش حامية الوطيس من اجل التوصل الى حل ؟ فهل

اراد بيكر مجرد مداهنة ندّه وتحسسه باللمس الرقيق فقط ؟ ألم يكن من صلب واجبهِ اعتصار المواقف اعتصاراً لاستسناح فرص التقارب لتفادي الحرب ؟ ولماذا " طمأنَ " بيكر نده بأنه لم يأت من اجل " اعادة التفاوض " حول قرارات المجتمع الدولي ؟ وهل هو عار عليه لو فتح ملف تفادي الخراب ؟ ومن المستغرب أن يذكر بيكر تعبير " إعادة التفاوض " لأنه لم يحصل في اية لحظة سبقت هذا الاجتماع اية مفاوضات ، لا في جلسات مجلس الأمن ولا بين العراق وواشنطن . ألم تصرّ واشنطن وتحرص على عدم اجراء أي حوار منذ ١٩٩٠/٨/٢ حتى قيام الحرب ؟

هذا وان كانت الولايات المتحدة ارسلت بيكر للاجتماع مع طارق عزيز استنادا الى شرعية مستمدة من قرارات الأمم المتحدة فهذه الشرعية تخوله بل تلزمه حسب القانون الدولي وحسب ابسط قواعد المنطق المرعي في الاوساط المتمدنه بالتفاوض بحثا عن السلام . اما إن جاء الى جنيف دون الاستناد الى قرارات الأمم المتحدة فيحق لنا السؤال عن الصفة التي سمحت له بأن تطأ قدماه مدينة جنيف سوى ان الولايات المتحدة لجأت الآن الى كشف القناع لتفصح صراحة عن انها اصبحت الندّ المباشر للعراق . وحتى لو قبلنا الافتراض الاخير في اعتبار واشنطن نفسها ندّا مباشرا للعراق فكان عليها التفاوض قبل الانذار محاولة تحقيق اهدافها القصوى من خلال الحوار، فإن لم يستجب عدوها لما تريد تنذره، وحين لا يستجيب تعلن عليه الحرب ، هذا ما يحصل عادة بين الأمم المتحضرة ، أما في الادغال فتجري الامور حسب شريعة الغاب .

لقد حدد بيكر لطارق عزيز عزمه على التحدث وعلى الاستماع وعن عدم استعداده لاجراء ما هو اكثر من ذلك ، فهل كان يحتاج الأمر الى اجتماع عالمي يشد اعناق وأفئدة العالم الى جنيف إن كان المطلوب هو التحدث في اتجاه واحد والاستماع في اتجاه واحد ايضا؟ ألم يكن يكفي اعلان كل طرف لوجهة نظره من خلال الرسائل المتبادلة أو من خلال الاعلام إن لم يكن المطلوب الخوض في النقاش الجاد لمنع الحرب ؟ فالهدف المنطقي لاي اجتماع بين قطبين متنازعين هو أن يتحدث الطرف الاول فيعرض وجهة نظره ويقرن ذلك بمطالبه ، فيجيب القطب الثاني متقدما بذرائعه المضادة وشارحًا لما يعاني منه من اوجاع . ومن خلال هذه المبادلة الاولى تنشأ لدى الطرف الاول اسئلة واقتراحات معاكسة فيطرحها على الطرف الثاني مما يثير لديه اسئلة ومقترحات اخرى وهكذا دواليك الى أن ينجح اللقاء ويتحقق السلام أو يكون الطرف الاول قد استنفد ما في جعبته من مقترحات فيرسل بعد فشل الحوار انذاره ثم تندلع الحرب . هذه هي البنية الطبيعية لاي اجتماع من هذا النوع. والفريق الذي يبدأ من

منطق عدم التفاوض والاصرار على عدم الحوار يكون هو المتآمر على العدل وعلى السلام مع سابق العزم والاصرار . إنها قصة الذئب الكاسر مع الحمل تتكرر.. مع الاشارة الى ان العراق لم يكن في تصرفه تجاه الكويت حملا على الاطلاق. ولكن وضع النسبة والتناسب في كفة الميزان تجعل من العراق بعوضة بين اصبعي الابهام والسبابة الاميركيتين دون توفر اية قوة تدافع عنه او تدعمه بينما تبقى مصالح الولايات المتحدة ومعظم دول العالم وراء الكويت. وهذا موضوع مقال كتبناه ونشرناه خلال حرب اميركا على العراق تحت عنوان " هل هي حرب أم مجزرة ".

واختتم بيكر كلمته الافتتاحية بتسليم الرسالة الموجهة من رئيسه الى الرئيس صدام حسين لطارق عزيز.

ولنستمع الآن الى جواب طارق عزيز على تقديم بيكر ، فقد قال :

" شكرا سيادة الوزير. اني ارغب فعلا في ان يكون هذا اللقاء لقاء مثمرا واعتقد أن السبيل الى ذلك هو ان ننصت الى بعضنا البعض. انا اعرف موقفكم واعرف أن بيننا خلافات كبيرة ولكني كما قلت مستعد للانصات لكم كما ارحب باستعدادكم للانصات لما اقول ".

أي أنه ايضا يوافق على التحدث والانصات وكأنما كان متفقا مع محاوره على ذلك منذ ما قبل الاجتماع. لقد استسلم لرغبة ولارادة واشنطن دون قيد او شرط بحيث لم نجد في جوابه اي مضمون يعبر عن رغبته في البحث عن الحل . لقد اكد عزيز وجود " الخلافات الكبيرة " بين البلدين ، فهل لم يعرف ان الخلافات الكبيرة لا يحلها الانصات المتبادل إنما الخوض في المفاوضات بحيث يحدد كل فريق حسابات السالب والموجب ثم يفاوض من اجل الوصول الى النتائج التي تُرضى الطرفين ؟ إن كلمة طارق عزيز لم تحو اي تعبير يوحي بالمطلوب .

ثم يمسك طارق عزيز بالرسالة ويستأذن بيكر في قراءتها قبل حملها الى رئيسه فيأذن هذا له ويؤكد على أن نسخة منها سوف يجري تسليمها الى السفارة العراقية في واشنطن ، ونصت الرسالة على مايلي :

" السيد الرئيس

إننا نقف اليوم على حافة حرب بين العراق وبقية العالم ، وهذه حرب بدأت بقيامكم بغزو الكويت ، وهي حرب يمكن أن تنتهي فقط بانسحاب عراقي كامل ، وغير مشروط وفق قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ . وأنا اكتب الآن مباشرة لك لانني حريص على الا تضيع هذه الفرصة لتجنيب شعب العراق مصائب معينة. واكتب لك مباشرة ايضا لانني سمعت من البعض انك لست على علم بمدى عزلة العراق عن العالم نتيجة لما وقع. وأنا لست في مركز يسمح لي بأن احكم فيما إذا كان هذا الانطباع صحيحا او لا ، وقد وجدت أن خير ما

استطيع عمله هو ان احاول بواسطة هذا الخطاب أن أعزز ما سوف يقوله وزير الخارجية بيكر الى وزير خارجيتكم، وحتى ازيل اي اثر للشك أو الالتباس قد يكون في فكركم فيما يتعلق بموقفنا وما نحن مستعدون لعمله .

إن المجتمع الدولي متحد في طلبه الى العراق أن يخرج من كل الكويت بلا شرط وبلا ادنى تأخير ، وهذه ببساطة ليست سياسة الولايات المتحدة وحدها ، انما هي موقف المجتمع العالمي ، كما يعبر عنه ما لا يقل عن ١٢ قرارا صادرا عن مجلس الأمن. إننا نفضل الوصول الى نتيجة سلمية ، ولكن اي شيء اقل من التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ هو امر غير مقبول بالنسبة لنا ، ولن تكون هناك مكافأة لعدوان ، ولن تكون هناك مفاوضات ، لان المبادىء ليست قابله للمساومة .

وعلى اي حال، فإن العراق إذا قام بالتنفيذ الكامل للقرارات يستطيع أن ينضم الى المجتمع العالمي، وفي المدى القريب فإن البنيان العسكري العراقي يستطيع أن يهرب من التدمير ، ولكن اذا لم تقم بالانسحاب من الكويت انسحاباً كاملا غير مشروط ، فإنك سوف تخسر ما هو اكثر من الكويت . إن ما هو مطروح الآن ليس مستقبل الكويت ، فالكويت سوف يتم تحريرها وحكومتها سوف تعود اليها – ولكن المطروح هو مستقبل العراق ، وهو خيار يتوقف امره عليك .

إن الولايات المتحدة لن تنفصل عن شركائها في التحالف ، فهناك ١٢ قرارا من مجلس الأمن. ٢٨ دولة شاركت بقواتها العسكرية لضمان تمثيل هذه القرارات ، واكثر من ١٠٠ حكومة التزمت بتنفيذ العقوبات، وهذا كله كاف ليؤكد لك أن القضية ليست العراق ضد الولايات المتحدة ، ولكنها العراق ضد العالم ، إن معظم الدول العربية والاسلامية تقف ضدك وهي جميعا مستعدة لتعزيز ما أقول ، والعراق لا يستطيع ، ولن يستطيع أن يبقى في الكويت ، أو يحصل على ثمن لقاء خروجه منها .

ولقد يغريك أن تجد رائحة في اختلاف الاراء الذي تراه في الديمقراطية الأمريكية ، ونصيحتي لك أن تقاوم هذا الاغراء ، إن اختلاف الآراء لا ينبغي خلطه بالانقسام ، ولا ينبغي لك ، كما فعل آخرون غيرك، أن تقلل من أهمية الارادة الأمريكية .

إن العراق بدأ يشعر فعلا بآثار العقوبات التي قررتها الأمم المتحدة واذا جاءت الحرب بعد العقوبات، فستكون تلك مأساة اكبر لك ولشعبك ، ودعني انبهك الى ان الولايات المتحدة لن تتسامح مع اي استخدام للاسلحة الكيماوية أو البيولوجية ، أو أي تدمير للمنشآت البترولية في الكويت ، وفوق ذلك فإنك سوف تعتبر مسؤولا مسؤولية مباشرة عن اي عمل ارهابي يوجه الى اي دولة عضو في التحالف ، في هذه الحالة سوف يطلب الشعب الأمريكي اقوى رد ممكن عليك ، ولسوف تدفع انت وبلادك ثمنا فظيعا اذا اقدمت على عمل من هذا النوع. انني لا اكتب لك هذا الخطاب لكي اهددك ، وانما اكتبه لمجرد اخطارك ، ولست افعل ذلك بسعادة ، فالشعب الأمريكي ليست لديه معركة مع الشعب العراقي .

إن قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ يحدد فرصة لاختبار حسن النوايا تنتهي يوم ١٥ يناير حتى تنتهي هذه الأزمة دون عنف ، واستغلال هذه الفرصة للهدف الذي اتيحت من اجله لتجنب العنف هو خيار في يدك ، وفي يدك وحدك ، وإني لآمل أن تزن خياراتك ، وأن تنتقي منها بعقل لان كثيرا سوف يتوقف على ذلك .

جورج بوش "

قبل أن ننتقل الى معالجة نص الرسالة نشير الى أنها موجهة من رئيس الولايات المتحدة الى رئيس العراق. فكيف يسمح طارق عزيز لنفسه بطلب قراءتها قبل ان تصل الى رئيسه ؟ وكيف يسمح جيمس بيكر للوزير العراقي في الاطلاع على رسالة ليس هو بكاتبها انما رئيسه ؟

وكان تاريخ الرسالة هو ١٩٩١/١/٥ فلماذا لم توصلها واشنطن الى بغداد من خلال السفارة أو من خلال اي طريق دبلوماسي آخر في ذات التاريخ الذي كتبت فيه أو بعد يوم واحد على ابعد تقدير ؟ الم يكن من الاجدى لو وصلت الرسالة الى الرئيس صدام قبل اجتماع جنيف مما يسمح له باعطاء وزير خارجيته احدث التعليمات التي تتناسب مع مضمونها ، أم هل كان يُراد من عملية تسليم الرسالة على طاولة فندق الانتركونتننتال تمثيل مسرحية بحيث تُثبت واشنطن ان الرئيس بوش قام بالمستحيل لانقاذ السلام ؟

وأثار انتباهنا تعليق طارق عزيز على الرسالة بعد قراءته لها حيث قال :

" سيادة الوزير ، في بدء حديثكم قلت أن هدف الاجتماع ليس الضغط على بعضنا البعض وقد قرأت رسالة الرئيس جورج بوش الى رئيسي وهي مليئة بعبارات التهديد كما أن فيها لغة غير مألوفة في التخاطب بين رؤساء الدول لذلك فإني اعتذر عن تسلمها وبإمكانكم أن تنشروا هذه الرسالة في وسائل الاعلام وسنرد عليها بوسائلنا ".

فأجاب بيكر :

" اولا ارجو أن اكون واضحا. انني لا ارى في هذه الرسالة لغة غير متحضرة .ثانيا من الضروري جدا أن نفهم بعضنا. وان الهدف من هذه الرسالة ان نجعل ما نقوله منذ اشهر عديدة واضحا جدا كما تظهر الرسالة أن المجتمع الدولي جاد جدا في فرض القرارات الاثنى عشر الصادرة عن الأمم المتحدة . لا أستطيع أن اجبرك على اخذ هذه الرسالة ولن احاول " .

إننا نعجب من تصرف الوزير العراقي ازاء الرسالة ، فاستنادا الى اي منطق رفض استلام الرسالة تاركا اياها على طاولة الفندق ؟ لقد كانت الرسالة موجهة الى رئيس دولته وليس هناك اية حجة تجيز له حجب مضمونها عن رئيسه مهما كان مضمونها . فالرسالة وثيقة لها حصانتها وذات هدف ولها مكانة اعتبارية في القانون الدولي وخاصة انها صادرة عن رئيس اقوى دولة على وجه الارض وفي ظرف تهدد فيه هذه الدولة بلده ، فكيف يمنع هو وبقرار منه وصولها الى رئيس البلاد ؟ هذا وتضمنت الرسالة ملاحظة من الرئيس بوش حيث يقول : " واكتب اليك مباشرة لانني سمعت من البعض انك لست على علم بمدى عزلة العراق عن العالم نتيجة لما وقع ". اي أن الرئيس بوش كان على علم بوجود عملية "تصفية

وانتخاب" للمعلومات التي تتابع طريقها الى الرئيس العراقي . فهل كان الوزير طارق عزيز يشكل جزءا من حلقة التعتيم التي تمنع وصول كل الوقائع الى مسامع الرئيس ؟ لقد ذكر يفجيني بريماكوف ما يشير الى شيء من الازدواجية في الاجوبة التي كان يطلقها عزيز ، ويشير ايضا الى وجود حلقة التعتيم التي كانت تحيط بالرئيس صدام حسين .
وحتى لو شملت الرسالة " لغة غير متحضرة " فلا تقع مسؤولية " الخروج عن الادب " الدبلوماسي عليه ولا يتحمل هو وزره إنما على الجهة التي كتبت الرسالة ووقعتها . ولذلك لا حرج عليه في ان يحملها الى بغداد ، فناقل الكفر ليس بكافر . لقد كان الوزير العراقي في هذه النقطة مجرد رسول ، وما على الرسول الا البلاغ ، فكيف يستنكف عن التبليغ !

لقد تساءل سعد البزاز مشككا في تطابق نص الرسالة الذي نشرته واشنطن فيما بعد مع النص الذي قرأه طارق عزيز في جنيف ، ونحن لا ننزه الدبلوماسية الأمريكية عن تورطها في ارتكاب موبقات التزييف ، بل إننا سوف نثبت بالقرائن بعد قليل لجوء واشنطن الى تزييف النصوص تماما كما اثبت لنا رامزي كلارك كيف زيفت واشنطن صور الاقمار الصناعية بعد احتلال الكويت . ولكن كيف مر هذا الاحتمال على الدبلوماسي المخضرم طارق عزيز ومعه كل افراد الوفد العراقي ؟ لماذا لم يضع الرسالة في جيبه ويقول لبيكر : لقد استلمنا الرسالة ولكننا لن نوصلها الى رئيس البلاد بسبب اللهجة التي صيغت بها ، إنما سوف نحتفظ بها في ارشيف وزارة الخارجية حسب الأصول ؟

هذا وقد سمع عزيز من بيكر ان نسخة من الرسالة سوف تسلم الى السفارة العراقية في واشنطن ، فكيف وفق بين تركه الرسالة على الطاولة في الفندق وبين احتمال وصول الرسالة الى الخارجية العراقية في بغداد من خلال السفارة ؟

تُرى هل منحنا هذه النقطة من "مقدمة" لقاء جنيف اكثر مما تستحق وحملناها اكثر مما تحتمل ؟ قد يكون ذلك صحيحا . ولكن تحسسنا بوجود اجواء غامضة تحيط بالحدث كله فرضت علينا الاشارة اليها وتحليلها لعل الزمن يكشف عن الخلفيات المستورة والتي ادت الى حدوث ما حدث ، فنحن نرى ان واشنطن ارادت لهذا اللقاء ان يتم كحلقة من حلقات المؤامرة التي ستقول للاعلام العالمي : لقد فعلنا كل المستطاع من اجل السلام ولكن العراق لم يرتدع ولم يعد الى جادة الصواب . ومن المؤسف ان العراق سار في المخطط كما تشتهي واشنطن دون ان يحاول استغلال الفرصة الاخيرة لتفادي الدمار .

واذا القينا نظرة متفحصة على رسالة الرئيس بوش لما وجدناها تتصف باللين ولا تعبر عن اي ود إنما شملت التحدي والتهديد بالرغم من ادعاء كاتبها بأنه لا يريد التهديد. ولقد

عبر بوش في الرسالة عن تفضيله الوصول الى نتيجة سلمية ولكنه قرن فكرة السلام فورا باقامة جدار من الصخر الأصم يمنع البحث في امر السلام ، فهو يؤكد على رفض اية مفاوضات وعلى عدم استعداده لمكافأة العدوان وعلى عدم تقبله لاية مساومة ، فماذا كان يريد اذن سوى حشر العراق في زاوية الاضطهاد المُذل مما سيدفعه الى العناد والتشبث مفضلا الانتحار على الاستسلام ؟ وحتى حين تحدث بوش عما يمكن تسميته "امكانية خروج القوات العراقية بسلام" نجده يقول في الرسالة : "وفي المدى القريب فإن البنيان العسكري العراقي يستطيع ان يهرب من التدمير" . ولكن ما هو البنيان العسكري العراقي ؟ الا يمكن لفلاسفة التعبير السياسي من جعل هذا التعبير لا ينطبق على الهدف الذي يريد بوش تحطيمه في العراق ؟ ثم إن الرئيس بوش يحدد بدقة ان البنيان العسكري العراقي يستطيع الهرب من التدمير " في المدى القريب " الا يمكن تفسير ذلك بأن واشنطن لا تمانع في تأجيل تحطيم العراق الى " أمد ابعد بقليل ؟ "اننا اذا نظرنا الى الجملة الاولى في حديث بيكر اثناء الاجتماع حيث يعرض السلام لتأكدنا من ان هدف ضرب العراق مرسوم ومحسوم ولا مجال للمناقشة فيه بالنسبة لواشنطن . وسنتناول هذه الجملة بعد عدة سطور .

ويلفت نظرنا في رسالة بوش اعترافه بأن العقوبات المضروبة على العراق فعلت فعلها وظهرت آثارها. فلماذا يتحدث بعد هذا الاعتراف عن " الحرب المقبلة " بدلاً من التأكيد على ضرورة استمرار الحصار وتضييق الخناق على العراق ، بل وعلى اية دولة اقليمية ينفضح أمر خرقها لقرارات الحصار؟ وهل كان من العسير على الولايات المتحدة مدّ رقعة الحصار لو شاءت ذلك حقاً ؟ وهل كان بامكان العراق متابعة العناد ؟

ولننظر الى لهجة الرئيس بوش في رسالته التي يؤكد اكثر من كاتب اميركي انه رفض ان يكتبها غيره وانما اصر على صياغتها بنفسه وانه مزق مسودتين لها قبل ان ينجزها بالشكل النهائي . فهو يستخدم أكره تعبير بالنسبة لرجل عربي أبي ، فالهارب جبان وذليل ومحتقر ، فحتى لو كان العراق يرغب أو يتمنى الانسحاب المأمون لمنعه نعته " بالهروب " من الخروج من الكويت .

لو كان في نية الرئيس بوش السماح للعراق بالخروج سالما لأخذت صياغة الرسالة طابعا آخر لا يتعمد جرح الرئيس العراقي في اكثر النقاط حساسية في كيانه وكرامته. ولو كان في نية الرئيس بوش تفادي الدمار والسماح للعراق بالانسحاب لوجّه اليه الرسالة المناسبة منذ احتلال الكويت وقبل ان يشرع بالانزال الضخم في الخليج ، ذلك الانزال الذي يصعب الرجوع عنه لئلا تعود القوات الضخمة المستنفرة بخفي حنين فتصبح كل الحملة

اضحوكة امام العالم . لقد ارادت الولايات المتحدة الحرب وقررت تدمير العراق ولم يَعِدْ أي مسؤول اميركي العراق بأنه اذا انسحب فلن تتعرض قواته لضرب ، ونستطيع اثبات ذلك من متابعة الحديث/المحاضرة الذي القاه بيكر على طارق عزيز في الاجتماع الذي نحن بصدده ، فخلال طوال الساعات الست التي تحدثا فيها لم يذكر بيكر امكانية خروج القوات العراقية بسلام الا في موضعين : الاول ينص على ما يلي :

" اود أن اقول : لو حدث الصراع ، وانني لا اريد هذا واعرف انكم لا تريدون هذا ، فنحن سوف نعطي قواتكم في الكويت الفرصة لانقاذ نفسها . ليس في خططنا ان ندمر هذه القوات بشكل فوري وسريع وليس بطريقة حربكم مع ايران ولكن هؤلاء الذين يختارون الا ينقذوا انفسهم سيكونون عاجزين على ان يدافعوا عن انفسهم تجاه القوات الجوية والبحرية والبرية التي ستدمرهم ."

إذن فالولايات المتحدة سوف تعطي العراق فرصة لسحب قواته اذا حصل الصراع ، اي حين تندلع الحرب. اما اذا لم تقم الحرب فلن تلتزم واشنطن باعطاء العراق فرصة لانقاذ قواته . وبهذا النص يؤكد بيكر بوضوح لا لبس فيه بأن تدمير قوات العراق هو من صلب المخطط الاميركي ولكن التدمير لن يحدث على الفور وليس على طريقة الحرب العراقية الايرانية وانما بطرق اخرى .

أما الموضع الثاني الذي يتحدث فيه بيكر عن السلام فنقتبسه مع بضعة سطور من النص ايضاً :

" قال بيكر : إني سعيد لاتاحة الفرصة لعقد مثل هذا الاجتماع لاننا ننزعج لفكرة عدم القيام بحسابات دقيقة من قبل الجانب العراقي واعتقد ان رئيسكم قد اساء التقدير فيما يتعلق بارادة المجتمع الدولي عندما غزا الكويت ونأمل الا تقوموا باساءة اخرى في التقدير فيما يتعلق بارادة الولايات المتحدة .

كان هناك حكام مستبدون في السابق كانوا يعتقدون ان الديمقراطية الاميركية غير مستعدة لخوض القتال وقد دفعوا الثمن الاعظم لاساءة التقدير .وألح على عدم تكرار هذه الاخطاء .

لا تسيئوا تفسير الاحداث الكثيرة التي تسمعونها والتي تأتي من مجتمعنا الديمقراطي .

تعرفون أن نظامنا يشجع على هذا ولكن بفضل هذا الحوار المفتوح والديمقراطي نشعر أن هذا النظام اقوى نظام في العالم وان الاميركيين سوف يتحدون للحرب لو تركوا دون خيار .

دعني اذهب من هذا الجانب المشرق .

قال وزير الخارجية (طارق عزيز) : على قاعدة الجزرة والعصا .

قال بيكر : انت شديد الملاحظة . اولاً علمنا انكم قلقون فيما اذا انسحبتم او لن تنسحبوا. اود ان اعيد التأكيدات التي قالها بوش والتي كررتها انا . لن تهاجموا اذا استجبتم لقرارات مجلس الأمن . لن نهجم على بلدكم او قواتكم وذلك في حالة وجود استجابة كاملة للقرارات ."

ونحن نشكك في ورود الجملة التي تعد العراق بعدم الهجوم عليه اذا ما استجاب لقرارات مجلس الأمن . بل نجزم في انها حُشرت في النص فيما بعد بالرغم من ان البزاز أكد

لنا خلال حديث هاتفي مباشر بشدة ورودها في المحضر العراقي . ويؤكد البزاز ان وكالة الأنباء العراقية هي التي نشرت المحضر بأمانة ما عدا خذفها لكلمتين بالانكليزية قالهما بيكر جواباً على مطالبة طارق عزيز باستمرار الحوار بعد ذلك الاجتماع . ففي النص الذي سربته السلطات العراقية وردت الكلمات الانكليزية التالية :" it is too late " بينما كانت التي قالها بيكر لعزيز :

" you have got your chance it is too late "

ويبدو أن الجانب العراقي يعترف بأنه لم يسجل ما دار في الجلسة صوتاً واكتفى بالتدوين بينما الوفد الأميركي سجله . ولكن هل يمكن الاعتماد في استصدار وثيقة على ملاحظات دونها اكثر من شخص ؟

وبهذا الصدد بالذات يقول البزاز على الصفحة ١٦٤ من كتابه : "وعندما انتهى الاجتماع ، اعتمد العراقيون الملاحظات التي دونوها بأقلامهم ، بالعربية والانكليزية ، اما الأميركان فكانوا يسجلون على الورق ايضا ..لكنهم في حقيقة الأمر كانوا يسجلون بالصوت كل ما دار في الجلسة .. ويحصون أنفاس الحاضرين ليعودوا الى واشنطن بشريط مسجل عن لقاء لم يكن احد ليتوقع منه صنع المعجزة."

ومرة اخرى نود قبل ان نتابع معالجة ما كنا فيه الاشارة الى ان وثيقة محضر لقاء جنيف وردت في " موسوعة حرب الخليج " التي صدرت عن مركز فؤاد مطر للاعلام والتوثيق -المؤسسة العربية للدراسات والنشر اعتبارا من الصفحة ٣٢٢ . وورد في التقديم لهذه الوثيقة ما يلي : " هنا نص محضر المحادثات التي جرت في احدى قاعات فندق انتركونتيننتال في جنيف يوم الأربعاء ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠ بين وزير الخارجية الأميركية جيمس بيكر ونائب رئيس الوزراء ووزير خارجية العراق طارق عزيز . ومصدر هذا المحضر هو الصحف العراقية التي نشرت المحضر في الأيام الاولى من كانون الثاني (يناير)١٩٩٠ ".

يحوي هذا التقديم ثغرات هامة لا تتناسب مطلقاً مع المضمون العلمي الذي تتصف به الموسوعات عادة . فعام لقاء جنيف هو ١٩٩١ وليس ١٩٩٠ ! ولو وردت الخطيئة مرة واحدة لقلنا خطأ مطبعي . والأهم من ذلك هو نسبها الى " صحف عراقية " فأين العلمية والدقة اللازمة ؟ واين اسم الصحيفة وصفحة النشر بالضبط؟ ويقول التقديم ان صحفاً عراقية نشرت المحضر " في الأيام الاولى من كانون ثاني " فكيف يمكن نشر محضر لاجتماع انتهى انعقاده

في سويسرا في ليل التاسع من كانون الثاني في صحف عراقية خلال الأيام الاولى من الشهر بالرغم من ان النص لم يكن قد دُوِّنَ بعد ؟

هذا واذا قرأنا النص اعتبارا من : "قال وزير الخارجية طارق عزيز" حتى نهاية الاقتباس لاكتشفنا ان الجملة بكاملها دخيلة وغريبة على النص ولا يوجد صلة تربط "الجزرة والعصا" بما سبق ولا بما جاء بعده. ولقد راعينا احتمال وجود خطأ مطبعي فدققنا في الأمر ولم نجد ما يدل على خطأ من هذا النوع. فالنص غير المترابط موجود كما هو في الموسوعة وفي الكراسة التي استقينا منها النص ولدى حمدان حمدان. فهل عشيت كل العيون عن هذا الخطأ ؟

ولكننا لا نكتفي بهذه القرينة لاثبات غياب الدقة وانما نورد القرائن التالية ايضا :

لو كان الرئيس بوش عرض حقا على العراق الخروج آمنا فيما سبق لوجدنا ذكرا لهذه البادرة في اول قرار من قرارات مجلس الأمن أو في اي من القرارات اللاحقة ، فكل مسودات القرارات صنعت في واشنطن وبمعرفة الرئيس الاميركي .

ولو كان الرئيس بوش قد عرض ذلك حقا لوجدنا عرضه في واحد من خطاباته السابقة أو في احاديثه مع رجالات السياسة العالميين الذين فاوضوه أو تحدثوا معه بحثا عن حل سلمي .

وهناك قرينة اخرى ، إذ لا يوجد رئيس وزارة أو سياسي مرموق جاء الى بغداد للتحدث مع القيادة العراقية تجرأ على "التلويح" للعراق بإمكان انسحابه دون ان يخشى ان تغدر به اميركا . كلهم طالب العراق بالانسحاب دون أن يتمكن من الوعد بشيء من هذا القبيل ، فهل جهل كل هؤلاء السياسيين القادة وجود عرض اميركي من هذا النوع ؟

ولا يقتصر هذا التعليل على محادثات ساسة العالم الذين زاروا بغداد مثل: فالدهايم ، براندت ، هيث ، ناكاسوني ، لوبين ، جاكسون ، كونالي ، اورتيغا ، الخ .... انما ينسحب ايضا على رؤساء وزارة عالميين في وقت كانوا يشغلون فيه موقع القوة وأخذ القرار مثل ميتران وغورباتشوف ، فلو كان الرئيس بوش قد عرض في اي وقت سابق خروج العراق سالما دون التعرض للضربات الاميركية لكان الرئيس ميتران استطاع "تجيير" هذا الوعد الى العراق ، ولكننا نجد أنه في كل مرة حاول المفاوض العراقي الحصول على ضمانات من الرئيس ميتران بأن العراق لن يُهاجم حين ينسحب كان الرئيس الفرنسي يجيب :

" انني استطيع ان اعطي ضمانة باسم فرنسا وليس باسم بلدان اخرى بأن بلادكم لن تتعرض للهجوم وبأنه لن تكون حرب." ولو كان ثمة وعد اميركي بعدم الهجوم لكان جواب ميتران

اخذ الشكل التالي : " انني استطيع اعطاء ضمانة باسم فرنسا ، ولديكم وعد مماثل من الرئيس بوش ". وكذلك لم يستطع غورباتشوف مجرد التلويح بوعد الى العراق بأن الولايات المتحدة لن تهجم ، أما لو كان هناك اي عرض حقيقي سبق ان تقدم به الرئيس بوش بهذا المعنى لاستطاع كلا الرئيسين الفرنسي والسوفياتي الاستناد عليه فوعدا العراق بأنه لن يتعرض للهجوم إن انسحب .

قد يعترض بعض البسطاء بالقول بأن دولة عظمى لا تلجأ الى تزييف النصوص . ونجيب على ذلك بما ذكرناه آنفا من أن الولايات المتحدة التي زيفت صور الاقمار الصناعية لتتلاعب على قرار المملكة العربية السعودية لن يضيرها أبدا أن تتلاعب على النصوص من اجل تزييف التاريخ . وهل هذه هي المرة الاولى في تصرفات واشنطن؟ الم تزيف الادارة الاميركية احداث مقتل الرئيس جون ف. كندي لتوهم العالم بأن الجريمة لا تعدو كونها عملاً فردياً قام به الشاب المشبوه " لي هارفي اوزوالد " الذي اطلق عليه الرصاصات الثلاثة من بناء المدرسة ومن الخلف فيما تثبت صور الفيديو الموثقة والموجودة بحوزتنا كما هي في حوزة غيرنا بأن الطلقة القاتلة اصابته في الجبهة من الامام فدفعت برأسه الى الخلف ليصطدم بالمقعد وبعد الطلقة الاولى لحقتها الطلقات من الخلف مما يثبت وجود مخطط تآمري مرسوم بدقة على اعلى مستويات الجريمة للتخلص من كندي ؟ إن ترتيب عملية اطلاق النار على كندي من نقطتين متباعدتين واثناء سير السيارة اكثر تعقيدا من ان ينجزه رجل بمفرده وتحتاج الى تمارين دقيقة لمدة ليست بالقصيرة . وهل يمكن ان يتصور اي باحث مدقق أن تزييف مقتل كندي بل تزييف تقرير لجنة وارين الذي يزيد في سماكته عن موسوعة كان ممكنا لولا أن قمة السلطة الاميركية متورطة ومستعدة لارتكاب كل الموبقات للوصول الى الأهداف البعيدة عن الأخلاق؟

لقد قلنا في موضوع تزييف ورود الجملة ما فيه الكفاية . ولكننا لم نكتفِ بعد . لأن تأكيد الأخ سعد البزاز بورودها يفرض علينا معالجتها من هذه الزاوية ايضاً . وهذا يوصلنا الى استنتاج شديد المرارة ولا نستطيع تصديق إمكان حدوثه . فإن كان بيكر قال لعزيز ولأفراد الوفد العراقي بأعضائه المختارين بما يتناسب مع اهمية الحدث هذه الكلمات الواضحة تماماً: " لن تُهاجموا اذا استجبتم لقرارات مجلس الأمن. لن نهجم على بلدكم او قواتكم في حالة وجود استجابة كاملة للقرارات." دون ان يتجاوب معها طارق عزيز او اي عضو آخر من الوفد فإننا نستنتج وجود سوء نية مُبَيَّتْ اسهاماً بطعن العراق عن سابق عزم واصرار او تصرف اعمى من قبل اعضاء الوفد العراقي يستحق ان يوصف بالخيانة

العظمى. فالقيادة العراقية في بغداد كانت " تزحف زحفاً " وراء وعد من هذا النوع لِتُبْعِدْ عن الشعب العراقي وعن نفسها البلاء الأعظم . فهل يمكن ان يكون بيكر قد قدّم هذه الفرصة على طبق من الذهب فرفضها طارق عزيز او الوفد ؟

يذكرنا ماقلناه بملاحظة وردت في كتاب البزاز على الصفحة ١٦٣ حيث كتب ان برزان التكريتي، وهو الرجل الثاني في لقاء جنيف جلس الى جانب عزيز " دون ان يتكلم طوال الاجتماع . وقد يكون وجد من المناسب ان يتكلم شخص واحد في اجتماع حاسم من هذا النوع. حتى ان الوزير العراقي اظهر عدم ارتياحه لمداخلة قصيرة من قبل المشاور القانوني العراقي رياض القيسي." ولذلك نتساءل :هل كان المطلوب سكوت أعضاء الوفد لكي يتم تمرير مخطط بعينه دون غيره ولكيلا تحصل مفاوضات أم هل هذا هو الأسلوب المتبع حين يلتقي وفدان ؟

ونتابع الآن حديث بيكر الشيق لنجد فيه طرافة ايضا فهو يقول للوفد العراقي :

" كذلك ان من واجبي أن اقول لك انه لن تكون هناك وقفة في وجهة نظرنا . ولو حدث هناك صراع فلن تكون هناك هدنة من قبل الأمم المتحدة من اجل خلق ساحة للتنفس والتفاوض ولابد انكم سمعتم في الشهور السابقة اذا بدأ الصراع فإنه سيكون ضخما ولن يكون هناك فيتنام اخرى ولن نضع جيوشنا في موقف لا تستطيع فيه انجاز العمل واذا بدأت الحرب فإنها ستحارب من اجل نهاية سريعة وحاسمة." فكيف يتحدث بيكر باسم الأمم المتحدة ويقفز عن سلطات مجلس الأمن وعن شرعية الهيئة العامة ليؤكد انه لن تكون هناك هدنة ؟ أيلحظ القارىء معنا الأمرين التاليين ؟ :

١- يثبت حديث بيكر وتصرفه للعالم بأن الولايات المتحدة " وضعت هيئة الأمم المتحدة في جيبها " واغلقت عليها امكانية اي تصرف مستقل .وقد ابرز طارق عزيز ذلك حين قال بعد اربع ساعات من قول بيكر اعلاه ما يلي :

" انا وانت نعرف كيف اتخذت قرارات مجلس الأمن ، انت قلت لي انك في مركز المسؤولية منذ ٢٤ شهرا وانت لم تسافر الى اية عاصمة من العالم من اجل أن يصدر قرار من مجلس الأمن ، ولكنك سافرت عشرات الالوف من الاميال لكي تقنع الدول الاعضاء في مجلس الأمن ، بصدور القرار الاخير ، واعرف انا ايضا كيف تمت القرارات الاخرى ، وماذا كان دوركم فيها . إذن نحن ننظر الى هذه القرارات على انها قرارات امريكية ضد العراق ، واحد الادلة على انها قرارات امريكية ضد العراق هو اننا وانت نجلس هنا اليوم ، ان الحوار لا يجري بيني وبين الامين العام للأمم المتحدة ولا بيني وبين وزير خارجية اثيوبيا

وساحل العاج ورومانيا . تحولت هذه المواجهة الى مواجهة بين امريكا من جهة ، والعراق من جهة اخرى ."

٢- ويثبت حديث بيكر ايضا أن الولايات المتحدة صممت منذ ما قبل الحرب على ان تستمر العمليات الحربية بدون اي مهلة او هدنة الى ان تحقق اهدافها في تدمير العراق . ونتابع بيكر حيث يقول :

" هناك نقطة اخرى فيما سأصفه بالجانب المظلم من هذه المسألة وقبل أن نذهب الى الجانب الآخر . وهو اذا بدأ الصراع لا سمح الله واستعملت الاسلحة الكيماوية أو البايولوجية ضد قواتنا فإن الشعب الاميركي سيطالب بالثأر ولدى استخدام لمثل هذه الاسلحة فإن هدفنا لن يكون فقط تحرير الكويت ولكن سيكون ايضا الاطاحة بالنظام الحالي .وان اي شخص مسؤول عن استخدام هذه الاسلحة سيكون عرضة للمساءلة في المستقبل "

من كلماته هذه نلمس التهديد المباشر للعراق ككل وللحكام وللافراد المسؤولين عن استخدام اية اسلحة تشجبها واشنطن . إنها لا تحب هذه الاسلحة بالرغم من انها شاركت في انتاجها وقبضت هي والدول الغربية الأخرى المبالغ الضخمة من خلال بيعها الى العراق .

ونقرأ في حديث بيكر ايضا :

" إن الوجود العسكري الاميركي الكبير في الخليج الآن هو هناك بسبب ما عددناه في آب تهديدا كبيرا وخطيرا وكنتيجة لتفاوت قوتكم العسكرية في المنطقة مقارنة بالقوة الموجودة في شبه الجزيرة العربية . وليست لدينا اية نوايا للاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة وخاصة تلك المجهزة لاعطاء قدرة هجومية ضد العراق وذلك فور انسحاب العراق وذهاب التهديد ".

فإذا دققنا في مضمون هذه الجملة الأخيرة وقلبناها رأساً على عقب لاكتشفنا ان الولايات المتحدة كانت قد قررت منذ ما قبل قيام الحرب الاحتفاظ بقوات عسكرية في منطقة الخليج . ولا يحتاج الأمر الى كثير من الذكاء لتحديد المرجع الذي سيمول هذه القوات ذات التكاليف الباهظة والتي تسبب الكثير من الأعباء الاجتماعية والحضارية على المجتمعات المحافظة في المنطقة .

ومن اقوال طارق عزيز نختار فقرات ذات مغزى لمجرد عرض مضمونها . فكل ما تحدث به لا يعتبر تفاوضا ولا محاولة للبحث عن مخرج سلمي . يقول طارق عزيز مخاطباً بيكر :

" علاقة الاحداث التي وقعت في آب بالقضية الفلسطينية ، انا شرحتها لك . نحن كنا مقتنعين بأن هنالك تحالفاً بين الولايات المتحدة واسرائيل وحكام الكويت السابقين لتدمير العراق . وقد ضربنا احد اطراف هذا التحالف وهو الذي كان باستطاعتنا ان نضربه مباشرة . ومن هنا يأتي الربط ومن هنا يأتي وصفنا لعملنا بأنه دفاعي ، ونحن مقتنعون بذلك ."

فهل انتبه طارق عزيز قبل ان يتفوه بذلك الى التناقض الواضح بين استخدام القيادة العراقية لحجة "توحيد الكويت مع الوطن الام " وبين حجة ضرب الكويت " الضالعة في مؤامرة مع اسرائيل والولايات المتحدة " ضد العراق ؟ بل اين هي الحقيقة ؟ هل احتل العراق الكويت لدعم انتفاضة من داخل الكويت ؟ أم هل قام بذلك عقابا للعائلة الاميرية التي اساءت اقتصاديا الى العراق ؟ أم هل فعل ذلك من واقع تحقيق الوحدة أم من اجل ضرب ضلع في اضلاع المؤامرة الثلاثية ؟ اننا نرفض صورة المؤامرة الثلاثية اصلا وفصلا ونميز بشدة بين تورط حكومة الكويت في تصرفات تسيء الى العراق وتستثيره بدفع من واشنطن وبين التورط في مؤامرة صريحة مع واشنطن واسرائيل . وحتى لو كانت فكرة المؤامرة واردة فما هو يا ترى المنطق الملزم والمنطقي الذي توصلت اليه القيادة العراقية فجعلها تعتقد بأن ضرب الجار العربي الاضعف سوف يجعل المتآمرين الآخرين يحجمون عن تنفيذ مخططهم البغيض ؟ ويقول البعض بأن العراق احتل الكويت للامساك بها رهينة يفاوض عليها الولايات المتحدة قائلا : "اذا انسحبت اسرائيل من فلسطين ننسحب من الكويت " ونحن لا نرى في هذه المعادلة سوى منطقا شديد الاعوجاج . فكيف يمسك العراق بكيانٍ" من دمه ولحمه " كرهينةٍ يفاوض عليها خصماً حاقداً لا يهمه أعاش الشعب الكويتي أو لم يعش ؟ " .

ومن النقاط الايجابية في حديث طارق عزيز اشارته الواضحة الى مقال في صحيفة الواشنطن بوست يعالج دراسة قامت بها مؤسسة اميركية بالتعاون مع البنتاجون ويثبت بأن ايران هي التي كانت البادئة باستخدام السلاح الكيماوي في حلبجة .

ولا شك في إجادة طارق عزيز حين ابرز واثبت ازدواجية الولايات المتحدة في تعاملها مع القضيتين الفلسطينية والعراقية. ولكن اصرار عزيز المتكرر على الربط الطردي بينهما خلال هذا الظرف الحرج بل الخطير قبل انقضاء مدة الانذار بخمسة ايام فقط هو عبث وتصرف غير مسؤول ، لاشك في اننا معه بكل جوارحنا في استنكاره لجور واشنطن على الحق وعلى العدل ، ولكن الموقف كان يتوجب " تقبل الخسارة لتفادي ما هو اعظم " بدلاً من الاصرار على طلب المستحيل والذي لا يمكن التوصل اليه في ذلك الظرف العصيب الخطر .

وعبر عزيز عن قناعته الأكيده في ان حكم العراق هو الذي سيبقى وسينتصر إن اندلعت الحرب ، فهو يقول للوزير الاميركي :

" قلت وانا لا اشك فيما تقول بأنك قد تلجأ الى قرار الحرب ويعني هذا انك لاتخشى من هذا الاحتمال وانا ايضا اقول انني لا اريد الحرب ولكن اذا وقعت فنحن لا نخشاها ." ...

"كيف ستنتهي المواجهة بيننا وبينكم ... انتم دولة عظمى تمتلكون اسلحة قوية ولديكم تقديراتكم عن فعالية هذه الاسلحة ... ولديكم خططكم وانتم مقتنعون بأنكم اذا ما بدأتم بالحرب ضد العراق فإنكم ستنتصرون وانكم ستسحقوننا . نحن لدينا قناعة مختلفة واقول لك بصدق وبدون ادعاء بأن ١٩ مليون عراقي ومنهم القيادة العراقية مقتنعون انه اذا ما نشبت الحرب بيننا وبينكم فإننا نحن الذين سننتصر اقول هذا بدون غرور ... هذه هي قناعتنا ."...

" فيما يخص الربط اذا وقعت العمليات العسكرية فإن جميع الاطراف في المنطقة ستشترك فيها ، واذا اشتركت هذه الاطراف فبعد فترة من الزمن ستتوقف الحرب ، بعد سنة أو سنتين أو ستة اشهر ، انا لا اجادل على الزمن ، انتم تظنون انها ستكون قصيرة ، ونحن مصممون وواثقون انها ستكون طويلة."...

"من المؤسف اننا مقبلون على احتمال نزاع مسلح ، ونحن لا نعرف بعضنا جيدا ، وانتم لا تعرفوننا جيدا ، انكم ستحاربون بلدا لا تعرفونه ، واسمحوا لي ان اقول لكم انكم ستندمون على ذلك ."

فإذا سألنا الوزير العراقي عن الفريق النادم لما احتجنا الى جواب منه لان الواقع الاليم يمثل خير جواب ، ولا يبقى لنا الا ان نتساءل عما جعل طارق عزيز يفرط في تفاؤله وعلام اعتمد في تلك الادعاءات البعيدة عن المنطق ؟

وحاول عزيز جذب واشنطن الى اجواء التفاهم وربما التعاون فقال :

" اذا وضعنا جانباً الخلاف بيننا فيما يخص الصراع العربي الاسرائيلي فإن العراق لا يعتبر نفسه عدوا للولايات المتحدة أو دور الذي يهدد مصالح الولايات المتحدة حتى الآن لم يساهم العراق في قتل مواطن امريكي ولم يساهم العراق في تهديد اية مصلحة امريكية والآن نجد أنفسنا وجها لوجه لنقاتل بعضنا البعض سنقتل الكثير منكم وتقتلون الكثير منا .هذه لم تكن رغبتنا " .

وفي مكان آخر قال عزيز :

" صحفكم كانت تصف رئيسي بأنه اخطر رجل في العالم هناك عدد من مجلة " يو إس نيوز اند ورلد ريبورت " في ٤ حزيران فيه صورة للرئيس العراقي ومعه عبارة اخطر

رجل في العالم وهناك عدد من نيوزويك يقول ان صدام حسين عدو الشعب رقم واحد وانا قلت لك اننا لم نساهم في قتل امريكي واحد لحد الآن ولم نهدد اية مصلحة امريكية في اية بقعة من العالم فكيف يصبح رئيسي عدو الشعب رقم واحد في امريكا ؟ "

ثم أمعن عزيز في محاولة كسب الولايات المتحدة الى جانب العراق "مدغدغا" المصالح الشبقة للربح لدى الاحتكارات الكبيرة هناك فأبرز أن ثروة العراق لا تقتصر على النفط انما يوجد ثروات كبيرة اخرى من جميع الانواع المطلوبة في العالم ، وغاب عن تصوره على ما يبدو ان الولايات المتحدة التي قررت الحرب والاستئثار بمعظم الفوائد المادية والاستراتيجية التي تنتج عنها لم تكن "لترتخي" امام العروض التي طرحها ، فالولايات المتحدة كانت تخطط للحصول على مكاسب الحرب ثم يصبح كل ما يعرضه طارق عزيز عليها مجرد تحصيل حاصل بعد هزيمة العراق بعام أو بعدة اعوام .

وبعد ستة ساعات من الاجتماع انقلب الحوار الى شبه ملاسنه سفسطائية حيث يكرر كل فريق نفسه. فاختتمه الطرفان وخرج كل منهما ليدلي بوجهة نظره تجاه الصحافة العالمية ، فبدأ بيكر قائلا :

" منذ لحظة كنت اتحدث مع الرئيس بوش واعطيته ايجازا كاملا عن مضمون لقائنا وكان مما قلته في هذا الايجاز ، اننا قد فرغنا منذ لحظات من اللقاء الدبلوماسي حيث دارت نقاشات طويلة وجادة للوصول الى حل سلمي لازمة الكويت ، وقد افهمت الوزير عزيز أننا جئنا الى هنا للاتصال ، لا للتفاوض ، فقرارات مجلس الأمن ، غير قابلة للتفاوض .وقد كان الاتصال كي نسمع ونتكلم ، وفعلنا ذلك "

ثم تحدث بيكر امام رجال ونساء الاعلام عن رسالة بوش الى الرئيس صدام فقال :

" نعم، لقد سلمت الوزير عزيز رسالة من الرئيس بوش الى الرئيس صدام، وكان فحواها ، أن ينسحب من الكويت ، والا فإنه سوف يطرد من هناك بالقوة ، ومع ذلك ، وأنا آسف لما أقوله لكم : انني لم اسمع اي شيء يوحي بالمرونة العراقية مهما كان نوعها ."[1]

انه كلام عجيب الذي قاله بيكر ، فهو يثير الحفيظة والاسى معا ، فحتى في كلمته الختامية الى ممثلي الانسانية يهدد العراق بالطرد بالقوة ثم يختتم كلمته بأنه لم يسمع من وفد العراق ما يوحي بالمرونه ، فهل ابدى هو اي قسط من المرونه ليجعل العراق يجنح الى منطق اللين ؟ ان الصورة التي تتجلى لنا من خلال كلمة بيكر لا تختلف مطلقا عن اللهجة

---

[1] -اقتبسنا كلام جيمس بيكر وطارق عزيز من حمدان حمدان صفحة ٥١٠-٥١٢ وما ورد عند حمدان هو تصوير طبق الاصل لما نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر بعنوان " نصوص الحرب "

الفوقية المتعجرفة التي كانت تصدر عن اسوأ رجالات الاستعمار القديم حين كان يتحدث ممسكا السوط آمرا ناهيا ، وخصما وحكما ومنفذا احكامه على رعايا المستعمرات. ونشير مجدداً الى أن بيكر في حديثه أمام الصحافة والإعلام تحدث عن " طرد " العراق دون أن يشير ولو بإشارة خفيفة عن استعداد واشنطن لمنح العراق فرصة الإنسحاب دون أن يتعرض للهجوم عليه. فهل يمكن له أن يحجب هذا العرض السخي الذي يدفع عبء العدوانية عن واشنطن ويثبت أن العراق هو الذي ركب رأسه؟

وبعد بيكر واجه عزيز الصحفيين العالميين وقال لهم :

" لقد جئت الى اللقاء بعقل مفتوح ونية صادقة ، وكنت اتمنى لو أن مثل هذه الاتصالات كانت قد تمت منذ مدة كافية لا في اللحظات الحرجة الاخيرة ، فقد لاحت العديد من الفرص ، الا انها كانت تنهار الواحدة بعد الثانية ، وقد تصرفت الولايات المتحدة منذ بداية اللقاء بطريقة لاتترك مجالا للظن في نواياها المبيته رغم اننا لم نبخل بالقاء الاضواء على قضايانا العادلة المرة تلو المرة ... ولم يكن للاميركيين اي استعداد لسماعنا ."

وهنا دخل طارق عزيز في موضوع رسالة بوش الى الرئيس العراقي فقال :

" تلقينا رسالة من الرئيس بوش الى الرئيس العراقي ، لم يكن فيها من الدبلوماسية غير لغة المدفع ، فإذا ما خطر للولايات المتحدة أن تعتدي على العراق ، فإن ذلك ليس بجديد ، ولن نستغرب ، فقد انفقوا خمسة اشهر في لغة التهديد ، ولم يكلفوا انفسهم مرة واحدة ، بالاعتماد على لغة الدبلوماسية ، وقد اكدت للوزير بيكر اننا سندافع عن بلادنا بكل ما أوتينا من قوة ، وإن الشعب العراقي من الشعوب الشجاعة ، ولن تقبل امتنا العربية اخضاع شعب العراق او كسر ارادته ، لان ارادة العراق جزء من ارادة امته العربية ، وإن ارادتنا جميعا هي تحرير فلسطين ."

تميزت كلمة عزيز بالإتزان، ولكنها بقيت ناقصة ومبتورة المضمون ، فلماذا لم يركز الاضواء بقوة على السلبية الاميركية حين قررت منذ ما قبل الاجتماع على انه لن يكون هناك تفاوض ؟ ولماذا لم يستغل الفرصة فيعلن امام ٤٠٠ صحفي يمثلون كل من له وزن في صحافة العالم بأن العراق مستعد للانسحاب إن اعطيت قواته "منديل الامان" بأنها لن تهاجم اثناء الانسحاب ؟ وإن كان عزيز لا يستطيع اطلاق هذا القول من لدنه فنحن نفهم ذلك ، ولكن كان على القيادة العراقية الاحتياط ودراسة الامور المحتملة من كل الوجوه وتزويد وزير الخارجية بما يمكنه من تقديم هذا العرض .

ولـم تنـس كلمـة عزيـز اسـتغلال الفرصـة السـانحة "لكسـب نقـاط" فـي نفـوس الجماهير العربية حين أكد على عزم العراق على المقاومـة ، ولقد اثبتت الاحداث اللاحقة أن تلك "النقاط المكتسبة" لم تأت على العراق بالخير ولم تسهل له ربح المعركة .

وهناك نقطة اخيرة نعالجها قبل ان نختتم فصل اجتمـاع جنيف ، فنحن نتسـاءل عن السبب الذي جعل الاجتماع يقتصر علـى العراق والولايات المتحدة دون اشراك ايـة دولـة اوربيـة أو غير اوربيـة من الدول الثمانية والعشرين الضالعـة في التحالف والملتزمـة مـع الولايات المتحدة . بالطبع نقدر حرص واشنطن على عزل اي شريك مزعـج وخاصـة فرنسا التي ربما تتعامل مع حوار جنيف بشكل يؤذي ويؤثر على مسار المخطط الامـيركي ، فنحن نرى في فرنسا بالطبع قوة استعمارية سابقة وقوة اوربية حالية لها مصالحها الخاصة بها الى جانب مصلحة اوربا . ولكن يوجد لدى فرنسا عنصر انساني يميزها عن دول اخرى يمكن ان يستيقظ فيحرك مسار الامور في غير صالح واشنطن ، وخاصة أن فرنسا منذ الجنرال شارل ديغول لا تكن للسياسة الاميركية اي ودّ ، فلماذا لم يطالب العراق باشراك فرنسـا ؟ ولمـاذا لـم يحاول احراج واشنطن بهذا الطلب ؟ لابأس من أن ترفض ... ولكن رفضها سيضعف من موقفها تجاه الرأي العام العالمي وتجاه الرأي العام الفرنسي الذي قد يثور لكرامته .

الفصل الرابع والعشرون

اسرائيل وحرب الخليج

ارتبطت اسرائيل اشد الارتباط بالحربين المتتاليتين في الخليج ، ففي الحرب العراقية الايرانية لعبت ادوارا متعددة نورد منها ثلاثة تصلح لتفسير الخلفيات التي سبقت حرب الخليج الثانية ، اولها أن اسرائيل جعلت من نفسها وسيطا لبيع السلاح الذي تنتجه هي وللسلاح والعتاد الذي تحتاجه ايران من مصادر اميركية وغير اميركية بموافقة واشنطن . وحققت اسرائيل ارباحا هائلة لانها كانت تضاعف اسعار الاسلحة التي تبيعها كما تشاء الى ايران المتعطشة الى كل قطعة سلاح ، وكانت اسرائيل تتذرع لدى زيادة الأسعار في الفواتير في ان ما تعمله هو خروج عن القانون ، ومجازفة ، وتجاوز للتعليمات الأمريكية التي تصر خلال السنوات الاولى من الحرب على منع ايران من الحصول على السلاح. وشاركت ثانيا في العملية السياسية المتعلقة بالسلاح ايضا والمسماة "ايران كونترا" والتي تسببت في فضيحة كبيرة في اميركا. ويشير الكاتب ودورد الذي سبق ان شارك في اسقاط الرئيس نيكسون بسبب فضيحة ووترجيت الى ان الامير بندر بن سلطان متورط في عملية ايران كونترا . وثالثا ضربت اسرائيل المفاعل النووي العراقي "تموز" في ١٩٨١/٦/٧ في هجوم مفاجيء مجازفةً في انتشار الاشعاع النووي القاتل لكمية (٥را١) كيلوغرام من اليورانيوم المخصب على كل دول الشرق الاوسط .

اما دورها في حرب الخليج الثانية فقد اخذ اشكالا مختلفة . فقد كانت تشكل جزءا صلبا من "الفخ /المؤامرة " الذي استخدمته الولايات المتحدة مطيةً لدفع العراق في اتجاه "الجزع" من الضربة الاسرائيلية من جهة وفي اتجاه التهجم واطلاق التهديدات بحرق نصف اسرائيل من جهة اخرى . فالخوف لا يدفع الخائف بالضرورة الى التقوقع او الى الهرب انما قد يلجأ الخائف الى رد فعل هجومي إن لم يع ابعاد الفخ . وهذا ما حصل مع العراق .... وهذا ما توقعته الدراسات النفسية الاميركية لدى تحليلها لشخصية الرئيس العراقي .

هذا ونحن لا نتجنى على العراق حين نتحدث عن خوفه من ضربة غادرة اسرائيلية انما نستند في قولنا على وقائع نستمدها من مراجع عراقية ومن اخرى اميركية ، ونشير الى ان خوف العراق لم يكن من احتمال مواجهة مع اسرائيل بحد ذاتها وانما من القوى العالمية

التي تستخدم اسرائيل اداة لبلوغ اهدافها ، ونعني بالدرجة الاولى الولايات المتحدة الاميركيـة .
وفي هذا الموضوع كتبنا في الماضي مقالة بعنوان "اميركا هي سيدة اسرائيل وليس العكس".

لم يعد سرا على احـد ان الولايـات المتحـدة شرعت فـي التحضـير للحـرب الخليجية الثانية منذ اواخر ايام حرب العراق مع ايران حيـث بـدأت تدير ظهـر المجن للعـراق بعـد أن قدمت اليه مساعدات هامة خلال معظم سنوات الحرب . وأخذ انقلاب الموقـف الامـيركي مـن مؤازرٍ الى خصم شكلا تدريجيا باصدار اتهامات اعلامية سبق ان ذكرناها مثل كـون العـراق يتربع على رأس قائمة الارهاب وانه اصبح خطراً علـى دول الخليـج الآمنـة وعلـى اسـرائيل "المسـالمة ". ثم انتقلت الـى مضايقـات اقتصاديـة ، ثم بلـغ الأمـر ان سـمت اجهـزة الاعـلام الأمريكية الرئيس صدام حسين العـدو الاول للولايـات المتحـدة . وبالتماشـي مـع هـذه التدابـير اطلـق وزيـر العلـوم الاسـرائيلي يوفـال نيئمـان تهديـدا بمهاجمـة العـراق بالاسلحة الكيماويـة ، ويستنتج البزاز من ذلك التهديد ما يفيد بقوله : " ادى ذلك الى زيادة درجة التحسب والقلق فـي العراق وبلوغ استنتاج قاطع بأن البلاد ستكون هدفا لضربـة اسـرائيلية ." [١] وفـي مكـان آخـر ورد لدى البزاز جملة اخرى تعبر في الحقيقة عن القناعة المتوفرة لدى القيادة العراقية فتقـول : "إن اميركا هي الدولة التي تستطيع وحدها ان تبرهن للعراق زوال احتمال تعرضه للضربـة الاسرائيلية التي كانت بغداد تتوقعها فى أي لحظة [٢]". وحتى بعد الاجتياح العراقي للكويت بقي العراق يخشي الضربة الاسرائيلية و يتوقعها .

و يكتب البزاز عن ذلك :

" ان العراق ظل يترقب وقوع ضربة عسكرية اسـرائيلية علـى مـدى الاسـبوع الاول الذي اعقب دخول القوات العراقية الى الكويت ، مستندا فـي ذلـك الـى معلومـات سـابقة عن قائمة من الاهداف كانت اسرائيل قد حددتها منذ شهر نيسان (ابريل) ١٩٩٠ ، وتلقى العـراق انذارات كانت تبدو حاسمة بان الضربة ستقع يوم الجمعة الثالث من آب ١٩٩٠ ، أي بعد يوم من الدخول الى الكويت ، مما جعله يغلق اجواءه بالكامل وينشط دورياتـه القتاليـة فـي سـماء الجهتين الغربية و الجنوبية من العراق ، ثم تلقت القيادة العراقية تحذيرا واضحا باحتمال وقوع هجـوم اسـرائيلي مدعـوم مـن الطـائرات الأمريكيـة علـى بغداد يـوم الجمعـة العاشـر مـن آب/ اغسطس ، و اتخذت الاحتياطات ذاتها ، و ارتفعت درجة الترقب .

---

١ – بزاز صفحة ٥١

٢– بزاز صفحة ٦٣

نفهم من اقتباسات البزاز السابقة ان العراق كان يتوقع الضربه الاسرائيلية و يتحسب لها و يخشاها منذ (آذار/مارس) ١٩٩٠ ، وهذا هو ما جعل الرئيس العراقي يلقي خطابة الشهير في ١٩٩٠/٤/٢ الذي يشتمل على مقدمات ارتأينا ايراد بعض منها لنصل الى " تهديده لاسرائيل " . قال الرئيس صدام :

" اقول ان (زت المشاهيب) - رمي المشاهيب - مثلما يسمونها في الريف و رمي (مشاهيب النيران) على العراق لم ينته .ولكن كان اللاعبون الاساسيون في السابق أثناء الحرب يلعبون عن طريق ايران والآن وبعد النتيجة الكبرى التي حصلت رأوا انه ليس أمامهم الا ان يلعبوا اللعبة بلحيتهم... لنستذكر اننا مكلفون ايضا بان نقوم بواجبنا هذا عندما يقع عدوان من اجنبي على اى عربي أينما يكون من المشرق الى المغرب . وعندما نكون قادرين . والعربي يسمح لنا بأن نكون جزءا منه لندافع عن حقه تجاه اجنبي محتل مغتصب .. من واجبنا ايضا ان نقوم بهذا...فهل في ادائنا هذا الواجب امر غريب . اننا لم نحمل راية التحدي .. ولا نتحدى احدا و لكن عندما يريد احد ان يتحدانا سيرانا اصلب من الماس ."

ثم يتطرق الرئيس الى محاولات سماسرة السلاح لتوريط العراق ببيعه اليورانيوم بل القنبلة الذرية فيقول :

" منذ سنوات وعناصر المخابرات الاسرائيلية و الأمريكية و الانجليزية يحملون اليورانيوم المخصب بحقائب. و يأتي كل يوم واحد يعرض " الا تريدون يورانيوما مخصبا لعمل قنبلة ذرية ؟ "..ونقول له اتركنا وابعد عنا شرك .. خذ حقيبتك وارحل . اننا لسنا بحاجة الى قنبلة ذرية . لدينا الكيمياوي المزدوج . وبعض العروض قدمت لنا قبل الحرب .. اكثر من الآن .. تقول ان لدينا يورانيوما الا تشترونة ؟ . ونحن نقول لهم .. لا نريد اليورانيوم و ماذا نفعل به .. ان المخابرات الانجليزية و الأمريكية و الصهيونية ترسل هؤلاء .. حتى يقولون ان العراق يصنع القنبلة النووية بدليل كذا و كيت .. و هذه سياسة توريط . لان البلد في حالة حرب. واحدهم قال لنا : لدينا قنبلة نووية اذا اردتم شراءها . "

قبل ان نتابع اقتباسنا من الرئيس صدام نرى ضرورة التعليق على عرض قنبلة ذرية جاهزة على العراق اثناء حربه مع ايران . فعلى من كان سيرميها الا على ايران ؟ وهل كان يهم باعة القنابل الذرية ماذا كان سيحصل في ايران من موت زؤام ؟ اما كانوا على استعداد لتقديم القنبلة الذرية الى العراق هدية مجانية ان التزم باستخدامها ضد ايران لمجرد تنمية الكراهية بين المجتمعين الى حدود لا يمكن تجاوزها الى عدة قرون وليستغلها باعة السلاح

اشنع استغلال ؟ اننا لا نعتقد الا ان سماسرة السلاح تقدموا بعرض مماثل الى ايران لتقصف بغداد فرفضت هي ايضا التورط في مثل هذه الجريمة .

ثم يتحدث صدام عن ثقة العراق بقوته فيقول :

" واذا ما واجهتنا بالباطل اكبر قوة في الارض فسنقاتلها بالمرأة العجوز في ناحية الهندية .. نقاتلها " بعجوز الهندية " التي عمرها مائة سنة . و تقول لصدام حسين لا تخف و تقول لصدام نحن ذراعك الايمن . الم تشاهدوها في التلفزيون .. ان عمرها مائة سنة . وبهذه الثقة نجعل المرء يتقدم الى النار و لا يتردد عندما يقتضي الواجب ذلك .. عمرها مائة سنة و تقول لصدام حسين لا تخف من احد ، نحن ذراعك الايمن .

وعن تآمر مختلف الدول ضد العراق و ايران معا اثناء حرب الثماني سنوات قال الرئيس متسائلا:

" الم يكن باستطاعة اللاعبين الكبار ان يوقفوا الحرب التي استمرت ثماني سنوات ؟ الم نكن نعرف انهم يوقفون الحرب التي يريدون ايقافها بأسابيع وبأيام ؟ ولكنهم يتركون العراق وايران يتقاتلان ثماني سنوات .. ويجري القتال على فوهة البئر التي يوجد فيها ٦٥٪ من احتياطي النفط العالمي ٣.. ورغم ذلك على فوهة البئر هذه يجرى القتال وتراشق المدافع .. وهم كما يقال بالانكليزى (نو بروبلم) اي لاتوجد مشكلة .. هؤلاء جماعة (نو بروبلم) ثماني سنوات ينظرون الينا وهم مرتاحون . ويبيعون اسلحة لدول المنطقة ويخفضون سعر النفط في السنوات الثماني الى ان بلغ سبعة دولارات فقط ويخفضون الدولار على اهل النفط لكي يخفضوا عوائدهم منه الى ثلث القيمه وظلوا يلعبون هذا اللعب لثماني سنوات بينما كان على العراقيين ان يقاتلوا في سبيل حقهم. وتآمروا على العراق فاعطوا الفاو للايرانيين عام ١٩٨٦ . وهم يعرفون اننا نموت ولانحتمل ان نرى المحتل . لقد تآمروا علينا في عام ١٩٨٦ ودبروا موضوع الفاو "

---

٣ – يكتب غروبارد عن حرص الولايات المتحدة على اطالة الحرب مع ايران على الصفحة ٢٧ : " وصرفت الولايات المتحدة نظرها عن ايران عندما هاجمها العراق .وبدت حيادية من الناحية الرسمية ، غير انها ساعدت الطرفين في الحقيقة بطرق متعددة واوقات مختلفة وبصورة سرية ، متظاهرة في نفس الوقت بعدم الاكتراث سواء استمرت الحرب ام توقفت . ولم تقم الولايات المتحدة ابداً بتحركات جادة سعياً وراء احلال السلام بين الدولتين .. بيد انها عملت من خلال وسطاء جيدين يمكن الاعتماد عليهم في ارسال الأسلحة والمعلومات الاستخبارية الى الطرفين ولم تعمل على وقف الحرب .

"وفي عام ١٩٨١. ومن مكان معين والواقعة مسجلة ويستطيع الاعلاميـون ان يرجعـوا اليـه. خاطبتُ اسرائيل وقلت لهم اننا نعرف انكم تطيلون هذه الحرب.ولكن ان لـم يـأت يـوم تندمـون فيه على اطالة الحرب فانني لا اعـرف اقرأ الافكـار بصـورة جيـدة .. هـل نحـن الذيـن اردنـا الحرب ؟ وهل أردناها بهذه المدة الطويلة ؟ انهم هم الذين اشعلوها. وهم الذين اطالوها . وهـم الذين ندموا على نتائجها اننا شعب يريد ان يعيش بكرامة. ومن حقه ان يعيش بكرامة ".

" لقد تعلموا الدرس الاول فـي الانسـانية مـن بغداد . الـدرس الاول فـي العلـم ولكـل مخترعاتهم التي يتباهون اليوم بها والتي ينكرون على العرب بالذات ، على العراق ايضاً ، ان يستفيدوا من العلم العالمي والانساني . لقد تعلموا كلهم هذا الدرس من بغداد ..أفليس مـن حـق شعب الحضارة العميقة التي تمتد ستة الاف سنة في بطـن التـاريخ . ان يعيش بكرامـة ؟ نعـم من حقه ان يعيش بكرامة

وأخيراً اطلق الرئيس صدام جملة التهديد المشروطة :

" اذا توهموا انهم يعطون غطاء لاسرائيل لكي تضرب بعض (الحدايد) بالصناعـة. فانهم واهمون في ذلك . فو الله لنجعل النار تأكل نصف اسرائيل اذا حاولت القيـام بـأي شـيء ضد العراق " .

ولقد استنفدت الولايات المتحدة مضمون الجملة الأخيرة على انه تهديد اشنع استنفاد بالرغم من انه لايعتبر تهديدا على الاطلاق . فالعراق صرح بأنه لن يضرب إلا إذا بدأت اسـرائيل . هـذه الـ " اذا " التي اخفاها الاعلام الاميركي لإبراز العراق كبعبع خطير يهدد أمن المنطقـة ككـل . ولما هاجت اجهزة الاعلام ضد العراق توجس قادته الشـر . فـاتصل الرئيس العراقـي بـالملك فهد وطلب منه ايفـاد شـخصية سـعودية علـى مسـتوى عـال لينـاقش معـه مسـألة عاجلـة تمـس العلاقات مع الولايات المتحدة فأوفد اليه الأمير بنـدر بـن سـلطان . وكـان اختيـار الملـك جيـداً بسبب العلاقة الطيبة التي كـانت تربـط الرئيس العراقـي بـالأمير بنـدر الـذي سبق أن عمـل " كوسيط بين العـراق ومدير المخـابرات المركزيـة ويليـام كيسـي ، وذلـك لتمكيـن العـراق مـن الحصول على معلومـات سـرية مـن الأقمـار الصناعيـة حـول تحـرك القـوات الإيرانيـة خـلال الحرب .وايضاً وقع السعوديون عقداً مع الفرنسيين لتسليم طـائرات ميراج إلـى العـراق وقـدم خدمات لاتعد ، صغيرة وكبيرة لصدام " ٤.

١٣- هذا الاقتباس والذي يليه مأخوذان من ودورد صفحة ١٦٨ -١٧١

اعرب الرئيس صدام خلال لقائه مع الأمير بندر عن عجبه واستغرابه لرد الفعل الاميركي المبالغ به على خطبة ٢ نيسان / ابريل . وتعمد الرئيس صدام أن يشرح للامير بندر إمكانيات أسلحته الكيماوية وهدد بحرق نصف إسرائيل إذا ما هوجم من قبلها ، قال صدام :

" سوف يكون الغرب مخدوعا إذا تصور أن بإمكانه إعطاء إسرائيل الغطاء لتأتي وتضرب ، فوالله سنجعل النار تلتهم نصف إسرائيل إذا حاولت عمل اي شيء ضد العراق ."

ويتابع ودورد وصف اللقاء بين الرئيس صدام والأمير بندر مانقتبسه ايضاً لأنه يثبت أن خلفية " الخوف " العراقي من الضربة المتوقعة أقوى من الرغبة بالتحرش باسرئيل . فالعراق مشغول بمشاكله وبأمور التنمية وتطوير مرافق الحياة بالداخل وهو في غنى عن هذه المشاغبة التي تشغله وتهدد نجاح سياسة التطوير. يقول ودورد :

" أخبر صدام بندر بانه قد اسيء فهم كلماته لتعني بانه ينوى تسديد ضربة هجوميه ضد اسرائيل واعترف لبندر بانه تمنى لو كانت خطبته مختلفة، فقد تم توجيهها لأعضاء فى قواته المسلحة فى اجتماع عام حيث العواطف فى اوجها والناس تصفق وتصرخ وقال : كما يعرف كلاهما ان تهديد اسرائيل لايسىء الى احد فى العالم الغربى ولذا فعلها ، وبالرغم من ذلك فقد هدد بالهجوم إذا ما هوجم فقط ، فقد كان من المحتمل دائما ان تقوم اسرائيل بأي ضربة مفاجئة . ففي عام ١٩٨١ قامت اسرائيل بضربة جوية وقائية دمرت خلالها مفاعل اوزيراك النووي للابحاث في جنوب بغداد وبقي هذا في الذاكرة، وكما قال لم يُرد استثارة ضربة اخرى.

كان الرئيس العراقي يعرف بأن الاعدام القريب العهد للصحفي البريطاني، الايراني المولد، فارزاد بازوفت في العراق كان يسبب له النقد في الغرب[٥] ولكن صدام قال بأن الصحفي كان يتجسس، وقد وجدوا ارتباطات مباشره بينه وبين اسرائيل.

وقال صدام : " إذا ما هوجمت من اسرائيل الآن، فإنني لن اتأخر ست ساعات .فعندما هوجمتُ اول مرة (١٩٨١) كنت في حرب مع ايران وكان بإمكاني القول دائما انني في حرب. والآن إذا هوجمت فإن الناس لن يفهموا سبب حدوث ذلك وإن أي هجوم آخر سوف يسبب له الاحراج . كان هنالك اجتماع لقمة عربية على وشك الانعقاد، وكان بندر يعرف ان صدام كان رجلا يعتز بنفسه.".

---

٥ – بمناسبة ذكرى الثورة العراقية اطلق العراق سراح الممرضة البريطانية " دافني باريش " التي قُبض عليها لتورطها مع فرزاد بازوفت . وتلقى الرئيس العراقي من داونينغ ستريت رسالة شكر تُعرب فيها بريطانيا عن تطلعها لأن تؤدي هذه الخطوة الى فتح الطريق امام اعادة العلاقات بين البلدين.

وقال صدام مؤكدا : " اريد ان اطمئن الرئيس بوش والملك فهد بأني لن اهاجم اسرائيل. وقال بالمقابل بأن على الأمريكان العمل مع اسرائيل لضمان ان لا تقوم اسرائيل بمهاجمة العراق، وبما ان العراق والسعودية لا تقيمان علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فقد طلب صدام من بندر والذي له اتصال مباشر مع بوش ان يرسل الرسالة ويستلم الرد من خلال الولايات المتحدة.

سأل بندر:" هل تريدنا ان نذكر هذا لبوش كملاحظة منا ، أم هل هي رسالة منك الى الرئيس بوش؟".

فأجاب صدام : هي رسالة مني للرئيس ".

بعد هذا اللقاء في بغداد قدم الامير بندر تقريرا الى عمه الملك فهد ثم تابع طريقه الى الولايات المتحدة والتقى مع الرئيس بوش في المكتب البيضاوي وقال له : " صاحب الجلالة ارسلني هنا لاعطائك رسالة من الرئيس صدام يطمئنك فيها بأنه ليس لديه النية في مهاجمة اسرائيل ".

وتابع :" لقد كانت هذه رسالة مباشرة وليست تفسيرا سعوديا وليست من افكار الملك فهد، ولكنها مقتصرة على صدام وحده. واضاف بأن صدام يقول بأنه سوف يرد إذا هوجم من اسرائيل ولكنه لن يكون البادىء بالهجوم عليها. "

بعد يومين من لقاء الامير بندر مع الرئيس بوش اتصل الرئيس صدام بسفيره في واشنطن الدكتور محمد المشاط واستفسر منه عن استلامه لأي جواب. فنفى السفير ذلك. وبعد إنصرام عدة ايام اخرى اتصل الرئيس صدام بالملك فهد ورجاه اخذ المبادرة والاتصال بواشنطن لمعرفة وجهة نظرها. فطلب الملك من الامير بندر ان يذهب الى بوش مرة اخرى . وطلب بندر اجتماعا فوريا في ذلك اليوم، كان بوش مشغولا ولكن كان بامكانه دائما اعطاء بعض الوقت لبندر، وفي البيت الابيض كان لدى بوش القليل من الوقت للتحدث بين الاجتماعات، لذلك وقف الاثنان جانبا . قال بندر:" كما تعرف يا سيادة الرئيس، فهم جادون حول هذا ويريدون ان يطمئنوك" . إن صدام والعراقيين لن يهاجموا إسرائيل وهم يريدون ضمانات بأن إسرائيل لن تهاجم وهم متوترون بشأن هذا الأمر. "

فلم يتجاوب الرئيس الأمريكي بما كان يقتضية الموقف إنما قال :

"لا اريد من احد ان يهاجم اي احد". وقال انه يريد للناس ان يستقروا في تلك المنطقة وفي غيرها، وقال: " سنتحدث مع الاسرائيليين، وسوف اعود اليكم، ولكن على الجميع ان يهدأ . "

من كل ما سبق ان اوردناه بتوثيق من كاتب امريكي عُرف عنه تداخله الوطيد مع اصحاب القرار نتبين عدم وجود تهديد عراقي صحيح. ويبدو أن الرئيس صدام لجأ لاستخدام صيغة التهديد المشروطة ليبعث الخوف في صفوف الشعب في إسرائيل فإن خاف الشعب فلربما يجعل الحكومة الاسرائيلية تعيد الحسابات فلا تقوم بأي هجوم كما حدث عام ١٩٨١ .

ولكن العراق اخطأ في تقديراته. فما تقوم به إسرائيل خارج حدودها أو تحجم عن القيام به لا يحدث من خلال قرار محلي انما يتأثر كليا بالمصلحة الأمريكية التي لا تسأل عن إسرائيل في الامور الحيوية بالنسبة للولايات المتحدة .

ولو تابعنا تفاعلات التهديد العراقي لاسرائيل في تعليقات الصحافة الأمريكية لما وجدنا الا تجاهلا مطبقا للشرطية في وجهة النظر العراقية وحرصا من قبل الاعلام الغربي على ابراز خطاب الرئيس صدام على انه تهديد سافر واستفزاز حقيقي وتهديد للسلام. وهذا يثبت لأي مراقب واعٍ وجود نيات غامضة ومآرب باطنية لدى واشنطن . وهذا ما اثبتته الايام فيما بعد.

ومما يزيد تعقيد القضية هو ان البيت الابيض اتصل بالاسرائيلين "فاجابوه" اذا لم يبدأ العراق اي شيء ضدهم فإن إسرائيل لن تكون البادئة . فنقلت الخارجية هذا الجواب مباشرة الى القيادة في بغداد والى الامير بندر الذي تولى اعلام عمه الملك فهد بالمضمون . ثم جرى اتصال بين الملك وبين الرئيس صدام بهذا الخصوص . اذن فالعراق هو الذي كان يرى نفسه مهدداً وليس العكس.

اننا لنتساءل: هل ساعد حصول العراق على " منديل الامان " من واشنطن مباشرة ومن خلال العاهل السعودي على نمو الاطمئنان بأنه لا بأس من ان يطلق يده في منطقة الخليج؟ . وهل مررت واشنطن هذا الاطمئنان في وقت مبكر نسبياً بقصد ان ينطلق العراق بهذا الاتجاه بالذات؟ .

الى هذا الحد من حديثنا عن علاقة إسرائيل بالازمة نكون عالجنا الفترة منذ ما قبل الاجتياح العراقي حتى ما بعده . ولكننا لن نقتصر على هذا الحد انما سوف نتعرض للدور الذي لعبته اثناء الحرب بالرغم من ان ذلك لا يشكل جزءا من موضوع كتابنا لأننا وضعنا حدا مبدئيا له ينتهي بقيام الحرب .ولم نتجاوز الحد الزمني الذي رسمناه إلا في حالات محدودة ليس الهدف منها بحث العمليات الحربية إنما إلقاء نظرة على الظروف والخلاصات غير العسكرية التي اقترنت بالحرب، ومنها دور إسرائيل بعد اندلاع الحرب.

فمنذ هجمت القوات العالمية على العراق توقع كل مواطن عربي من الخليج الى المحيط ان تنهال الصواريخ العراقية على إسرائيل. وكانت المشاعر تنقسم الى قسمين. فالجماهير العربية وحكومة العراق تمنت ذلك بينما صلى بعض العرب الى الله ألا يحصل . لقد تمنت القيادة العراقية ان تتمكن من استثارة جماهير عربية ضد حكوماتها فترتفع اسهم العراق. وتمنت ان ينفلت " لولب التفكير " " الزنبرك" في الحكومة الاسرائيلية فتهجم على العراق مما يجعل تعاون الدول العربية مع قوات التحالف ضربا من المستحيل فتتصدع الجبهه المتماسكة وينفرج ضيق العراق. اما العرب الذين صلوا الى الله ألا تهجم إسرائيل فكانوا أولئك الذين يصرون على اسقاط حكومة العراق. وهناك فئة قليلة من العرب تمنوا ايضا ألا تشترك إسرائيل خشية ان تتوسع ساحة المعركة غير المتكافئة فينتشر الخراب والدمار ليصيب الجميع.

لقد تابعنا نحن احداث الحرب/المجزرة ، ونحن في اوروبا وشاهدنا على شاشات التلفزيون خبر اطلاق الصاروخ العراقي الاول على إسرائيل وسمعنا إثر ذلك تهديدات المسؤولين الاسرائيلين بالانتقام مما جعل الولايات المتحدة تسعى حثيثا لتهدئتهم" متمنية عليهم ألا يهجموا على العراق." وبعد اطلاق الصاروخ الثاني فعل الاعلام الأمريكي العجب العجاب لابراز" الحنق الاسرائيلي الذي كاد ان ينفجر ضد العراق . وبلغ من تصعيد مشاعر جماهير العالم وشد اوتار اعصابها ان شاهدنا على شاشات التلفزيون نصوصا متحركة ومتكررة تمشي " فوق " البرامج العادية خلافا لنشرات الاخبار تقول:" بالرغم من الصاروخ العراقي الثالث فإن إسرائيل وعدت بالصبر وبعدم ضرب العراق ". وكأن الوقت لم يعد يسمح بتأجيل هذا الخبر الخطير والحيوي والمصيري الى ان يحين وقت الاخبار أو بث التعليقات الكثيرة التي تغير من اجلها كل البرامج في كل دول اوربا وفي مناطق اخرى من العالم ايضاً. ولكن هل كانت اسرائيل ستدخل الحرب لو اطلق العراق عليها صواريخه ؟ وهل كان سيزيد اشتراكها في طنبور الحرب/المجزرة نغماً ؟ وهل كان سيؤدي اشتراكها الى مزيد من التدمير عما تنجزه القوات المغوارة التي تنفذ مجاناً المآرب الإسرائيلية دون أن تضطر لدفع اي ثمن ؟

قطعا لا وحتما لا .اننا نرى ان اسرائيل ما كانت لتتدخل إلا في ظرفين سنتعرض اليهما بعد قليل .لأنها لو هجمت خلال ايام الحرب الاولى لانهار استمرار ائتلاف الحكومات العربية المشاركة في الحرب مع الولايات المتحدة ومن معها فيتنفس العراق الصعداء . فالجماهير العربية كان سيصيبها غليان يصعب التحكم فيه لو استمرت تلك الحكومات في الوقوف مع واشنطن . والولايات المتحدة لم تكن لتسمح للمسخ الاسرائيلي بأن يعكر عليها

برنامجها . ولو فكر آنذاك اسحق شامير في معارضة مصالح امريكا الحيوية جديا لسحقت عظامه ونثرت ذراتها في مياه البحر قبل ان ينجز ما يخطر في باله. وما هذه الحملة المدروسة بدقة من الناحية النفسية إلا من أجل احتلاب أو ابتزاز مليارات اخرى من الدول العربية المعنية ليجري استخدامها في تطبيب خاطر اسرائيل. وقد افادت تلك الحملة في اطالة زمن الحرب لأن العراق استمر في آماله بأن هجوم اسرائيل اصبح قاب قوسين أو ادنى . فإذا ما هجمت فسوف يتداعى ائتلاف العرب مع الولايات المتحدة مما سوف يزيل القبضة القوية على خناقه.

اما الظرف الاول الذي كان يمكن له ان يجعل اسرائيل تتدخل فهو حين تهجم عليها واحدة من دول المواجهة مثل الاردن أو سوريا، وهذا احتمال يكاد يقارب الصفر المطلق في علوم الطبيعة. واما الظرف الثاني فهو مجرد احتمال نرى له ارضيةً من واقعية ومنطق. فإذا استمرت الحرب/المجزرة ضد العراق ووصلت الى المدى الذي تريده القوات الأمريكية فلا مانع عندئذ من اشراك اسرائيل في عملية الاجهاز على البقية المتبقية .وبذلك تحصل على " وريقات" من اكليل غار النصر بأقل التكاليف . وفي هذه الحالة لن تسأل الولايات المتحدة عن تصدع الجبهة التي تربط بعض العرب المتعاونين معها لأن الهدف الاكبر يكون قد استكمل حدوده ... وليشرب العرب بعدئذ مياه المحيط .

الفصل الخامس والعشرون

خافير بيريز دي كويار وأزمة الخليج.

لاشك في اغتباط العديد من دول العالم الثالث لإنتخاب خافيير بيريز دي كويار الأمين العام من صفوفهم مما يوحي بأنه سوف يدافع عن عالمهم المسكين الفقير . فهو مواطن من بيرو في امريكا الجنوبية .

لكن تجربة العراق مع هذا السكرتير العام لم تكن مشجعة لأنه لم يلمس اية معاملة ايجابية توحي بوقوفه متضامنا مع شعوب العالم الثالث وإنما استاء من المواقف السلبية التي وقفها من العراق أثناء حربه مع ايران. وكثيرا ما اشتكى العراق من عدم جرأة الأمين العام في دفع المنظمة الى قرارات كانت قمينة بتقصير مدة تلك الحرب كما سنورد بعد قليل . وبما أن اطالة زمن الحرب يخدم المصالح الأمريكية بشكل خاص فقد استنتج أن واشنطن تمكنت من احتواء الأمين العام ومن تسييره حسب رغباتها . ولو إنتخب الأمين العام من رعايا دولة اوروبية قوية لما انصاع للارادة الامريكية بسهولة. فمن المعروف أن الأمين العام السويدي داج همرشولد سقط قتيلا بحادث طائرة في ١٨ /٩ / ٦١. ضحية معارضته للمصالح الأمريكية في الكونغو/ كاتنجا . ولا نعتقد أن الكونت برنادوت الذي قتل في القدس من قبل اليهود في ٤٨/٩/١٧. قد مات الا لمعارضته للسياسة الامريكية العليا.

يستحسن في بعض الحالات الشروع في بحث موضوع معين ابتداء من الخلف . ونحن نختار هذا المنهج في هذا الفصل بالذات بادئين بعرض مقتطفات أساسية من حديث اجراه دي كويار في المركز الدائم للامم المتحدة في نيويورك مع مُراسِلَيْن خاصَّين اوفدتهما مجلة "دير شبيغل" الالمانية خصيصا إليه ونشرته في العدد رقم ٢٧ في عام ١٩٩١، اي بعد انتهاء الحرب مع العراق وقبل انتهاء رئاسته للأمم المتحدة .

فلما سأله المراسلان فيما اذا كان يفضل استمرار العقوبات الإقتصادية المفروضة على العراق اجاب بأنه كان من اللازم اعطاء العقوبات الإقتصادية فرصة اطول لضمان نجاحها .ولما ذكّره المراسلان بأنه اعترف قبل عدة شهور بأن حرب الخليج لا يجوز اعتبارها حرب هيئة الأمم بالرغم من شرعيتها اجاب بأن الحرب الكورية كانت حرب الأمم المتحدة لأنها قامت تحت سيطرتها ونُفذت من قبل جنود يرتدون قبعاتها وبإمرة قوات تابعة لها ايضا.

أما في الكويت فكانت حرباً وافقتْ عليها الأمم المتحدة ولكن الولايات المتحدة هي التي أدارتها. وان تقارير الجنرال شوارزكوف لم تصل الى دوائر الأمم المتحدة ولم يكنِ لمجلس الأمن أية سيطرة على العمليات العسكرية . ولما انتقده المراسلان لانه لم يعمل على تفادي الأزمة قبل اندلاعها اجاب بأنه لم يكن تحت تصرفه اقمار صناعية ترصد المائة الف جندي العراقي على الحدود العراقية الكويتية. وتابع دي كويار بأنه لو عرف بتجمعها لأعلم مجلس الأمن بها ، ولأخبر الأعضاء بان هناك تطورات تبعث على القلق وتأخذ ابعادا تنسف كل الابعاد المألوفة سابقا. ويتابع دي كويار " وبذلك اكون قد نفذت عملا وقائيا ، ولكن الدول الأعضاء التي تمتلك الاقمار الصناعية رفضت اعطاءه المعلومات التي تجمعت لديها والتي كان يستطيع استخدامها للقيام بالإنجازات الوقائية ".

اننا لو وجهنا الى دي كويار تهمة النفاق والذيلية قبل ان نورد ما جاء في حديثه مع مجلة "دير شبيغل" لاعتُبِرَ قولنا زائفا ومشوها ولكن حين نقارن بين اعترافاته السالفة التي ادلى بها بعد وقوع الطامة الكبرى بشهور وبين الإنجازات التي اجراها – او لم يجرها– منذ ترائي شبح الأزمة قبل الغزو العراقي بأسابيع حتى قيام الحرب نجد أن لومنا إليه لا يبتعد عن الحقيقة. قد يكون الرجل عظيما او رائعا في شخصه الموضوعي . ولكن ما قام به تجاه الأزمة فقير ولم يتعد السير في ركاب المخطط الامريكي في توجيه الاحداث . فكيف يندب دي كويار حظه أن لم يطلعه اصحاب الاقمار الصناعية على الحشود العراقية ؟ . ألم ينتشر خبرها في جميع أنحاء الأرض ؟ ألم تصله المذكرة الكويتية بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٢ ومعها المذكرة العراقية التي كانت قد ارسلتها بغداد الى الجامعة العربية بالاضافة الى جواب الكويت عليها ، اي قبل الغزو بثمانية أيام لتعطيه أوضح الصور عن الأزمة المرشحة للانفجار ؟ الم يصرح دي كويار بنفسه بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٤ بما يؤكد اطلاعه الوافي على خطر الأزمة حين قال بأنه يستبعد " احتمال تصعيد الأزمة بشن هجوم عراقي ضد الكويت او حدوث تدخل عسكري أميركي في المنطقة ."[1] فلماذا لم يتصرف من لدنه استناداً الى ميثاق الأمم المتحدة ؟ ألم تتوضح له من خلال ما تناقلته صحف العالم اجمع ومن خلال المذكرة الكويتية الموجهة إليه شخصيا والتي اعتبرها العراق محاولة كويتية لتدويل الأزمة خطورة الاحداث التي تهدد السلام ؟ اليست المادة ٣٩ من ميثاق الأمم المتحدة صريحة حين نصت على أنه إذا تأكد

---

١ – من جريدة " الوطن " الكويتية عدد ٥٥٤٦ بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٥ وعلى الصفحة الاولى .اذن فهو لا يقتصر على علمه بوجود ازمة ساخنة في الخليج وانما كان تطلعاً ايضا على الأبعاد المتوقعة لها : غزو عراقي ثم تدخل أميركي . وهذا هو بالضبط ما يتفق مع التخطيط الأميركي خلال الفترة التي سبقت الغزو.

لمجلس الأمن وجود تهديد للسلام أو إخلال بـه أو عـدوان ، عليـه أن يوصـي أو يقـرر الاجراءات التي سيتخذها وفقا لأحكام المادتين ٤٣،٤١ لتثبيت السلام و الأمن الدوليين او اعادتهما" .

ألا تدعم المادة ٤٠ من الميثاق مضمون المادة ٣٩ مما يفرض على الأمين العام التصرف بالشكل المناسب لحماية السلام؟ فهي تنص على ما يلي :

المادة ٤٠ : " منعا لتفاقم الاوضاع ، يمكن لمجلس الأمن ، وقبل ان يقدم توصياته او اتخاذ قراره حول التدابير الواجب القيام بها وفقا للمادة ٣٩ ، دعوة اطراف النزاع الى التقيد بالاجراءات المؤقتة التي يراها ضرورية او مرغوبة، على الا تؤثر هذه الاجراءات الضرورية او المرغوبة على حقوق المتنازعين او مطالبهم. وعلى مجلس الأمن التنبه لحالات التمنع في تنفيذ هذه الاجراءات . "

فلماذا لم يخبر دي كويار مجلس الأمن بالأحداث ويجمعه بالشكل الذي ينسجم مع الميثاق من جهة ويتفق أيضا مع وجهة نظره التي أعلنها امام مراسلي مجلة "دير شبيغل" "؟ نحن نرجح صدقه في ان واشنطن لم توصل إليه صور الاقمار الصناعية بصورة رسمية . ولكن عدم مشاهدته للصور لا يعني عدم وصول صوت نواقيس الخطر تطرق مسامعه طرقا عنيفاً . فلماذا لم يوجه اسئلة رسمية الى واشنطن عن المعلومات التي تجمعت لديها ؟ وان كانت الولايات المتحدة رفضت طلبه فلماذا لم يعلن عن ذلك فيكشف عن دورها السلبي ؟ هذا وان اعتراف دي كويار في أن واشنطن حجبت عنه الصور التي تُشعر بالخطر يعتبر قرينة جديدة وقوية في أن الولايات المتحدة " ابتزت " الأوضاع الدولية الراهنة واستخدمتها ابشع استخدام من اجل توريط المنطقة ودفعها الى الحرب . ويعترف دي كويار بأنه كان من الضروري فتح المجال امام العقوبات الإقتصادية لتفعل فعلها .. ولكننا لم نجد اي تصريح رسمي صدر عنه خلال شهور الأزمة يفيد بهذا المعنى ..؟ فلماذا لم يبذل اي جهد لاستمرار العقوبات الإقتصادية ولماذا لم يعلن عن قناعته بالجدوى المتوقعة منها وبأنه يحبذ ذلك بدلا من السير مع المندفعين الى الحرب؟ واعترف أخيرا دى كويار بأن الحرب لم تكن حرب الأمم المتحدة وإنما حرب الولايات المتحدة. فكيف سمح بحصول ذلك تحت سمعه وبصره ؟. وكيف وافق على استخدام مجلس الأمن والمجتمع الدولى بأجمعه مطيةً لمآرب واشنطن؟. وأين هى النصوص الرسمية التى تُشعرنا بأى جهد بذله لجعل الحرب حرب هيئة الأمم وليس حرب الولايات المتحدة الأميركية ؟ ولو ألقينا نظرة على كلمته فى ختام جلسة مجلس الأمن التى وافق خلالها الأعضاء على القرار ٦٧٨ لما وجدنا فيها اية إشارة تفصح عن قناعته

الجديدة التي أبداها في حديثه الى المجلة الألمانية ولم يعمل بها حين اقتضى الأمر العمل بها والتى فاجأنا بها فى وقت متأخر جدا بعد قيام الساعة. هذا وكان من واجب الأمم المتحدة بعد اندلاع الحرب ان تسأل عن تقارير العمليات العسكرية وتتولىالاشراف على سيرها من خلال لجنة اركان الحرب التى كان يجب تشكيلها حسب الفقرة الأولى والثالثة فى المادة ٤٧ من الميثاق التى تقول :

١- تؤلف لجنة اركان الحرب من اجل اسداء المشورة لمجلس الأمن لمساعدته فى كل ما يختص بالشؤون العسكرية التى يحتاج إليها المجلس : حفظ السلام والأمن الدوليين وفى استخدام القوات الموضوعة تحت امرته وتصرفه ، وتنظيم التسليح ونزع السلاح اذا امكن .

٢- وتكون لجنة اركان الحرب ، وتحت اشراف مجلس الأمن ، مسؤولة عن الادارة الاستراتيجية لجميع القوات المسلحة الموضوعة تحت تصرف المجلس وتسوى القضايا التى تنشأ فيما بعد بما فيها قضية قيادة هذة القوات".

ولكن تسلط الولايات المتحدة وضعف السكرتير العام سمح لواشنطن بتنحية كل من له شأن فى اتخاذ القرارت.

ولنترك الآن الصورة التعيسة التى تركها دى كويار فى الاذهان ولننتقل الى جهوده الفعلية لتحقيق الحل السلمي. فلقد عرفنا بأنه لم يقم بأي جهد جديّ قبل اندلاع الأزمة. وعرفنا بانه اشترك فى اصدار القرار ٦٦٠ الذي مر على المراقبين مرور السحر فأدان العراق كما رأينا. ولكن النقطة الثالثة من القرار تطالب الكويت والعراق بالبدء فوراً في مفاوضات مكثفة لتسوية خلافاتهما ، فأين نجد مجرد إشارة الى انه قام بجهد لتنفيذ هذا البند من القرار ؟ وأشرف دي كويارعلى صدور القرارات الأخرى ضد العراق دون ان يفعل من اجل السلام شيئاً. وما يهمنا الآن هو جهوده الشخصية خلال زيارته للمسؤولين العراقيين فى عمان وفى بغداد. فماذا فعل هناك ؟.

انه لما اجتمع في عمان بتاريخ ١٩٩٠/٨/٣١ مع طارق عزيز لم يتطرق الى اية نقطة تفاوضية إنما شدد على ضرورة انسحاب العراق دون قيد او شرط وعلى ضرورة تنفيذ مضمون القرارات التى لحقته . وخلافا لذلك وضع كل ثقله لدفع العراق الى الافراج عن الرهائن . ولكن العراق لم يحاول الاستفادة من اللقاء ايضا . فبدلاً من التلويح بالإنسحاب لقاءَ استجابةِ الأمم المتحدة لشيء مما يطالب به نجده يصر على شرعية عودة الكويت الى الوطن الأم ويحاول اقناع مفاوضه بمختلف الحجج.

ولا يبقى امامنا في الواقع سوى زيارة دي كويار الأخيرة الى بغداد قبل ثلاثة أيام

من نهاية موعد الإنذار. وهو يدعي بأن زيارته هذه انبثقت عن رغبته الشخصية دون ان يطلب منه احد ذلك ولكنه يؤكد فى ذات الوقت التقاءه مع الرئيس بوش اربع مرات خلال الأيام الستة التى سبقت رحلته الى بغداد تمنى خلالها الرئيس بوش لمهمته النجاح . ونحن نميل الى تكذيب دي كويار فى ادعائه ونرى ان الرئيس بوش املى عليه تلك الرحلة الكريهة جدا بالنسبة إليه املاءً . [٢] لقد ارادت واشنطن ارساله الى بغداد ليعود خالي الوفاض . وبفشل مهمته يعلن الرئيس بوش امام الشعب الامريكي وامام الملأ ان الحرب لم تقم الا بعد ان استنفد هو والأمم المتحدة كل السبل والوسائل لاقناع العراق بضرورة الإنسحاب ولكن العراق ركب رأسه واستحق التحطيم.

حين طلب الرئيس بوش من دي كويار زيارة بغداد حاول دي كويار اقناع الرئيس بجمع مجلس الأمن ليكلفه بالذهاب بتلك المهمة فرفض الرئيس بوش رفضاً باتاً لكيلا يمنحه أية سلطة تفاوضية ولأن الحكمة المرجوة من هذه الزيارة هي ألا تؤدي الى حلّ. ولم يكن يخطر للرئيس بوش على بال جمع مجلس الأمن خشية أن يحصل ما يعطل عليه مخططه لتدمير العراق. لقد كان الهدف من مجلس الأمن استخدامه لاستصدار القرارات المختلفة منذ القرار ٦٦٠ حتي قرار استخدام القوة. وبذلك استنفدت واشنطن المجلس ولم يعد يوافقها جمعه الا بعد تدمير العراق .وسوف نرى كيف ان حديث دى كويار مع الرئيس صدام قد تمّ بشكل يُراد منه الا ينجح اللقاء.

لم تتصف العلاقات بين الرئيس صدام والسكرتير العام بالودّ فى اية لحظة سابقة وخاصة حين شعرت بغداد بوقوف دى كويار ضد وجهة نظر العراق خلال حربه مع ايران .

---

[٢]– يقول هيكل على الصفحة ٥٣٣ : " يوم السبت ١٢ يناير ١٩٩١ كان الرئيس بوش على وشك ان يضيف لمسة ظل هناك فقد كان ذاهبا الى كامب ديفيد لقضاء عطلة نهاية الاسبوع هناك واتصل بالسكرتير العام للامم المتحدة خافيير بيريز دى كويلار يطلب اليه ان يصحبه الى كامب ديفيد وان يتعشى معه هناك. وبين الاثنين صداقة قديمة منذ ان كان كلاهما ممثلا دائما لبلاده في الأمم المتحدة قبل ان يصبح "بوش" رئيسا للولايات المتحدة و"دى كويلار" سكرتيرا عاما للأمم المتحدة . وعلى التليفون لفت دى كويلار نظر بوش الى انه ذاهب بعد غد الى اوروبا. قال له بوش انه يريده على العشاء وبعده يستطيع مغادرة كامب ديفيد اذا اراد . ولم يكن بوش على استعداد لقبول اعتذار دي كويلار . وقد عرض عليه السكرتير العام للامم المتحدة ان يتركه يبعث بممثل شخصى له يذكر بغداد بان المهلة التى اعطاها لها مجلس الأمن قاربت يومها الاخير واصر بوش قائلا له انه يريده ان يذهب الى بغداد ولو لساعة واحدة ثم يتوجه منها الى اوروبا لان ذهاب السكرتير العام للامم المتحدة شخصيا وفى الدقيقة الاخيرة سوف يجعل العالم كله يحس بـ : " دراما " الموقف !. "

فلما طلب العراق منه في آب/اغسطس ١٩٨٨ بذل جهده لجعل المفاوضات العراقية الايرانية مباشرة وبدون اي وسيط رفض دى كويار رجاء العراق. ولقد صرح دى كويار بدون اية مواربة الى متحدثه العراقي : " واين يكون دوري انا اذا اصبحت المفاوضات مباشرة ؟ ".

هذا الجواب الذى صيغ بشكل سؤال يحوي من الخلفية ما هو اعمق مما ينم عنه النص بكثير.

فملاحظتنا الأولى هي ان دي كويار كان يهتم بدورٍ له اكثر مما كان يهتم بنجاح المفاوضات المباشرة بين الفريقين المتنازعين. ولكن ملاحظتنا الثانية ابعد مدى من الأولى. فلو حصلت المفاوضات المباشرة بين طهران وبغداد لكان امل النجاح اكبر بكثير لغياب الايدي الخارجية المغرضة عن الساحة والتي في مصلحتها افساد أي إصلاح. اما بوجود دي كويار فيصبح بإمكان واشنطن الاطلاع على تفاصيل المحادثات والتأثير على مجراها من خلاله او من خلال حلقات أخرى جاهزة للحيلولة دون اتفاق الطرفين الا في الحدود التي تناسبها وتباركها.

وإنطلاقا من تزايد شكوك بغداد بالأمين العام سمحت لمراسل وكالة الأنباء العراقية في الكويت بإصدار بيان صاعق يهاجم فيه دي كويار بالاسم ويصفه برجل عاجز عن ملء مكانه ويطالب المجتمع الدولي باعادة النظر في اهليته لتبوء منصب الأمين العام . فثارت حفيظة دي كويار واحتج في بغداد فأجابته بأن كاتبَ البيانِ ليس اكثر من صحفي بسيط في وكالة انباء ذات جهاز ضخم حيث يصعب مراقبة كل اطرافه . فاضطر لابتلاع " المقلب ". ولكن هل نسيه ام احتفظ به في ذاكرته ضد العراق ؟

وحدث خلال حرب الخليج ما زاد من سوء التفاهم وذلك حين رفضت واشنطن السماح لطارق عزيز بالهبوط في نيويورك بطائرة عراقية خاصة ليمثل وجهة نظر بلاده امام الهيئة العامة للأمم المتحدة واشترطت مجيئه بطائرة مسافرين عاديين. ولكن الأمين العام لم يفعل شيئا ضد هذا التعنت الامريكي الذي لا يتفق مع أي منطق ولا ينسجم مع أية نوايا حسنة للبحث عن الحلول السلمية . لقد ادعى الأمين العام انه حاول ثني واشنطن عن عزمها في رفض نزول طارق عزيز فاصرت على الرفض. ولكننا لا نقبل هذا القول ونثبت عدم صحته بقرينة لا تقبل الجدل . فالفقرات التالية من المادة ٢٨ من الميثاق تسمح بانعقاد الجلسات في اي مكان خارج مقر المنظمة الدائم . وقد تمت ممارسة هذا الحق اكثر من مرة نذكر منها انتقال الجمعية العامة الى جنيف لسماع وجهة نظر الرئيس ياسر عرفات . فلو لم يشارك دي كويار واشنطن في رفضها نزول طارق عزيز في نيويورك لقرر المكان الآخر

للاجتماع .

ونورد أخيراً وليس آخراً موقف دي كويار من تمديد فترة تواجد قوات الأمم المتحدة على الحدود العراقية الايرانية . فبينما كان يجري التمديد لتلك القوات لمدة ستة شهور سابقا نجد ان آخر تمديد إقتصر على شهرين فقط ينتهيان في ذات يوم انتهاء الإنذار، اي ان قوات الأمم المتحدة سوف تُخلي مراكزها من الحدود لتتواجه القوات العراقية مع الايرانية وجهاً لوجه مما سوف يفرض على العراق تشتيت قواته نحو تلك الحدود ايضاً لأنه لا يستطيع اعتبارها آمنة تجاه خصم يهتبل الفرصة لإسترداد كرامته المهدورة قبل اقل من سنتين .

فهل هذا التاريخ القاتم للعلاقات بين دي كويار وبغداد يبرر له او يدفعه الى زيارة العراق بحثا عن السلام ؟

وصل دي كويار الى بغداد بعد ظهر السبت الواقع في ٩١/١/١٢ ورغب في مقابلة الرئيس العراقي على الفور . ولكن العراق ارادت " اذلاله " بالإنتظار الطويل. ففي المساء تناول طعام العشاء مع طارق عزيز وجرى نقاش لا يقدم ولا يؤخر . وفي صباح وظهر اليوم التالي لم يحظ ايضا بمقابلة الرئيس . ولم يقابله الا قبيل الساعة السابعة من مساء الاحد الواقع في ٩١/١/١٣ أي بعد انتظار ما يزيد عن يوم كامل . واتصف الحوار بالعتاب المتبادل وعدم الرضا . واكد دي كويار بوضوح ملفت للنظر بأنه جاء الى بغداد دون ان يحمل اي تفويض ، وانه غير مكلف لا من مجلس الأمن ولا من الأمم المتحدة . ثم اكد أنه لا يحمل اي رسالة من اي شخص وانه ليس رسولاً لأي إنسان . واكد ايضا خلال حديثه انه ليس بصدد الدخول في مناقشات .

فلماذا جاء اذن؟ وهل تسمح لنا الخلفية السلبية لعلاقاته مع العراق بأن نصدق وجود اية عناصر غيرية لديه دفعته لزيارة بغداد ؟ ولو كان لديه اية مؤشرات او اثر لدوافع إنسانية حقيقية فاين هو نشاطه في هذا الاتجاه منذ ٩٠/٨/٢ ؟ الا يؤكد حديثه الموثق مع مجلة " دير شبيغل " انه لم يسع ابدا الى السلام ؟

يعالج البزاز زيارة دي كويار الأخيرة الى بغداد بتفصيل مقبول نقتبس منه نصا اساسيا يفيدنا في فهم حقيقة ما دار بين الرجلين ويذكر لنا خلاصة اللقاء . فقد خاطب الرئيس العراقي ضيفه قائلا :

" انهم يقولون الآن لينسحب العراق من الكويت ثم نعقد بعد ذلك مؤتمراً دوليا لمناقشة قضايا المنطقة وهذا ليس وعدا قطعيا بل هو مجرد احتمال . في حين قدمنا في ٩٠/٨/١٢ مبادرة ولم نكن نتصور انها ستقبل بحذافيرها . ولكننا لم نكن نتصور انها سترفض من غير دراسة . فالرئيس الامريكي رفض المبادرة وهو في الطائرة بعد ساعتين من إعلانها وقبل ان يطلع عليها . والاتحاد السوفيتي رأى انها تتضمن عناصر ايجابية . ثم عاد وانسحب من الموضوع عندما وجد رد الفعل القوي من جانب الولايات المتحدة. معنى ذلك ان هناك اصرار على منهج معين يراد منه تحقيق اغراض سياسية وعسكرية . وعند ذلك لم تعد هناك قيمة للحديث عن مبادرات .

واضاف: حتى الآن يقال لنا طبقوا الشيء الفلاني والفلاني . هذا ليس حواراً وهذه ليست محادثات . بل انها فرض ارادة . وعدد الرئيس العراقي الضغوط التي مارستها الادارة الامريكية على مجلس الأمن من ناحية ومجلس الشيوخ والنواب من ناحية أخرى لاستصدار تخويلات باستخدام القوة، عمليات تهدف للضغط على العراقين لينسحبوا بالتهديد . وعلق على ذلك : العراقيون لن ينسحبوا بالتهديد. عند ذلك سيضع بوش نفسه في الزاوية وسيضطر ليستخدم السلاح لان الذي يهيء مستلزمات استخدام السلاح لا يشغل تفكيره بالبحث عن سبل أخرى . لقد تعقدت الأمور . وحتى الذين يدعون الى انسحاب العراق لم يقولوا الى اين ينسحب بغض النظر عن راي العراق. لم يتوقف الأمين العام عند واحدة من اهم الاشارات التي اعطاها الرئيس له .. فقد فتح الباب لفكرة (انسحاب) ، وتحفظ على الاطلاق في استخدام كلمة (الإنسحاب) . وهنا دعا الرئيس المبعوث الدولي لمشاهده خريطة للمنطقة . وبدأ يشرح له على الخارطة الكيفية التي توسعت بها حدود الكويت حتى وصل الى المطلاع التي كانت حتى سنة ١٩٦٣ نقطة الحدود وقال لدي كويار : ان جواز سفر السيد ياسر عرفات مختوم من المطلاع واضاف :

في ضوء هذا التعقيد عندما يقول احدهم لينسحب العراق فالى اين ينسحب؟

وتجاهل السيد دي كويار الملاحظة مجددا رغم ان كلمة "انسحاب " عادت للظهور مرة أخرى خلال دقيقه واحدة. وفجأة وصف المبعوث الدولي مهمته بانها مهمة تسير عكس اتجاه الرياح . ان الذين يريدون الحرب سيجعلون من عودتي دون ان احمل اي شيء جئت اطلبه . ليس باسم الأمم المتحدة بل باسم المجتمع الدولي .. قاطعه الرئيس صدام حسين : "

"– ان كل نقطة تحدثنا عنها تتضمن اعطاءك شيئاً .

– أخشى ان لا يعد ما آخذه معي ملموسا بدرجة كافية لتخفيف التهديد المفروض علينا مثل

السيف المسلط على رأس العالم . كان الحوار يتصاعد , وكأن الرئيس العراقي يخاطب من خلال السيد دي كويار القوى الدولية التي طلبت منه ان يأتي في الساعات الأخيرة . ليُلْحِقَ بالعراق ارهاقا عصبيا وذهنيا في ادق لحظات الإنتظار والترقب.

قال الرئيس .. لابد انك تبحث عن النقطة المعلنة . وهي ان يعلن العراق الإنسحاب. وبعد ذلك .. كل شيء ممكن ! هذا ما اقتبسه من ميتران وليس من بوش الذي جاء يحارب . ولكن هذا الموضوع القاسي ليس فيه ضمانة لا من بوش ولا من ميتران ولا من الأمم المتحدة .[3]

واضاف: احتمال الحرب اصبح بالساعات ولن ينطق احد بكلمة الإنسحاب .. لان النطق بكلمة الإنسحاب مع وجود احتمالات الحرب تعني تمهيد الأرضية النفسية لانتصار العدو علينا ، اليس هذا ما يريده الامريكان ؟

وبدا ان الرئيس يلقي بالفرصة الأخيرة وهو يتحدث بكلمات حازمة :

اننا مستعدون لمناقشة صفقة كاملة ، ولأننا نريد السلام ، وليس الحلول الجزئية ، نصر على مبدأ الصفقة الكاملة حيث لا يستطيع احد ان يخدع احدا، والكل يعرف بماذا يضحي وماذا يكسب ..اما البحث المجزأ فسوف يؤدي في نهاية المطاف الى ظهور خادع ومخدوع .. خاسر ورابح ، ولا نعتقد ان هذا يخدم السلام.

وفي اللحظة الأخيرة من اللقاء اراد دي كويار ان يعرض ما استنتجه من المقابلة بقوله : " فهمت ان موقفكم من الكويت لا يمكن التراجع عنه ، وفي هذه الحالة لا يمكن العمل بمبدأ الصفقة "

فعلق الرئيس صدام حسين : انا لم اقل هذا .. انا قلت ما قلته .. اذا وجدتم ان الامريكان يفتشون عن طريق لإخراج انفسهم من المأزق دون ان يخسروا وليس بالضرورة ان يحققوا كل الذي في " مخهم " .. فمن الممكن ان نسطر مبادىء ليفتش العرب عن حل طبقا لها . قال دي كويار , وكانت الساعه تقترب من العاشرة ليلا :

– هل تخولني ان اقول لمجلس الأمن أنكم تريدون مناقشات مستمرة من خلال الأمين العام .؟

---

٣ – نشير هنا الى قولنا السابق بأن الجملة الواردة على لسان بيكر في اجتماع جنيف التي تعد العراق بعدم الهجوم عليه إن انسحب هي تزييف محض . ولو كان هناك اي مؤشر جدي عن استعداد واشنطن لنبذ فكرة الهجوم على العراق لكنا شاهدنا دي كويار يشير اليها على الفور . بل ان من مظاهر " هلهلة " السكرتير العام او تآمره مع واشنطن ، وهذا ما نرجحه ، انه لم يجب الرئيس صدام بأنه سوف يستصدر قرار نبذ القوة من قبل واشنطن استصدارا ملزما . وإن لم توافق يجمع مجلس الأمن . فمجلس الأمن هو الذي يُفترض فيه قيادة الأزمة وكل ما يتبعها .

- اعتبر ان هذا تحصيل حاصل ، ونتيجة الاستمرار قد تقدم صفقة ."

نحن لا نجد في الصورة التي اعطانا اياها البزاز أي ابتعاد عن المصداقية إنما نراها تنسجم كل الإنسجام مع الدور السلبي الذي لعبه دي كويار . ونضيف الى ذلك قناعتنا ان زيارته الى بغداد لم تهدف الا لان يقال بعدها أن الأمين العام للامم المتحدة كان هناك ، وبذل جهدا آخر وعاد بخفي حنين بسبب تصلب العراق. نشير الى جملة الرئيس صدام حيث قال:" لأن النطق بكلمة الإنسحاب مع وجود احتمالات الحرب تعني تمهيداً لانتصار العدو علينا ". إذن فإن خشية الرئيس العراقي تكمن في أن إعلانه عن الإنسحاب لن يحميه من تلقي الضربات. وهذا يؤكد الاستنتاج بأنه لو وعدت واشنطن بعدم إنزال الضربات كان سيفسح المجال للإنسحاب . ونرى في ذلك قرينة أخرى في أن الجملة التي " أطلقها " بيكر في اجتماع جنيف كانت دخيلة على النص.

هذا ونحن لا نستطيع المرور على هذه الزيارة مرور الكرام قبل ان نسأل القيادة العراقية : لماذا استقبلتم دي كويار ان كنتم واثقين من ان مهمته لا تتعدى كونها طعماً يستخدمه الرئيس بوش لاستنهاض الشعب الامريكي ضد العراق ؟ . وان كنتم قررتم استقباله فلماذا اهنتموه بالإنتظار الطويل الذي يذكرنا بانتظار مواطني العالم الثالث ساعات طوال قبل ان يسمح لهم بمقابلة مسؤول المخابرات ؟ ترى الم يكن من الاجدى محاولة كسبه ، بالرغم من الموقف السلبي الذي يلتزم به ، بدلا من دفعه دفعا الى طريق التزامه ؟ .. ترى ما هي الحكمة في انكم أخرتموه ٢٦ ساعة في بغداد في وقت كانت كل ساعة تلعب دورا مصيريا ؟ الم تسهموا باحتجازه في بغداد في استهلاك المدة الحرجة التي يحتاجها الرئيس بوش الذي كان ينتظر انقضاء مدة الإنذار قبل ان تتخذوا اي قرار ؟.

ولنسمح لأنفسنا باستطراد خطر فى بالنا خلال تلك الساعات حيث تواجد دى كويار فى ضيافتكم: هل فكرتم بالإعلان وبالشروع بالإنسحاب الفوري بأسرع وقت ممكن خلال وجوده فى كنفكم والاتصال بالرئيس مبارك وبالملك فهد والعالم اجمع بقراركم لاحراج الرئيس بوش الذى كان يريد ضربكم مهما كان الموقف ؟. لقد كنتم تفكرون بالإنسحاب وتخشون الضرب الأميركى من الخلف كما رأينا فى اقتباسنا من البزاز. أفلم تكن آنذاك الفرصة سانحة لاستقبال دى كويار فى المطار وجمع اكبر عدد من ممثلى الإعلام العالمي فى تلك اللحظة لتعلنوا ان الإنسحاب سيبدأ على الفور ؟. اننا ندرك أن الفكرة غير ناضجة تماما. ولكن دراستها مع حساب احتمالات النجاح كان واجبا ، ولا نظن ان الخسارة التي مني بها

العراق فيما بعد وعزله عن العالم كان سينجح بالشكل الذى حدث لو انجز العراق عملا من هذا النوع.

وغادر دى كويار بغداد الى باريس بنفسية ليست فى صالح بغداد ابدا فأجهض من خلال حديثة مع القيادة الفرنسية مشروع زيارة وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما الى بغداد والتي كان قد جرى التمهيد لها بشكل يسمح لنا بأن نتوقع نجاحها.

لايجوز لنا اغلاق ملف دي كويار دون ان نورد نص تصريحه الذي قدمه الى الصحافة العالمية فى ١٩٩١/١/١٥ والذى سلمه الى مجلس الأمن فى ١٩٩١/١/١٦ لوجود فقرات فى النص وكأنها تنفى ما ذهبنا إليه على الصفحات السابقة. ونبدأ بايراد النص ذاته مزودين الفقرات بأرقام متسلسلة للتعليق على بعضها بعد ذلك :

١- بمضي الخامس عشر من كانون الثانى / يناير ، وخلال تأرجح العالم بين السلام والحرب اناشد الرئيس صدام حسين بكل إخلاص أن يغير اتجاه الأحداث فى سيرها نحو الكارثة الى عهد جديد من العدالة والإنسجام المبنيين على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

٢- كل جهودنا فى هذا الاتجاه ستفشل الا اذا لوح العراق باستعداده للاستجابة الى قرارات مجلس الأمن بدءا من القرار ٦٦٠ لعام ١٩٩٠.

٣- فاذا التزم بذلك متخذا الخطوات الثابتة لتنفيذ هذه القرارات لتَبِع ذلك سلام عادل مقرون بكل الفوائد التابعة له. ولذلك احث الرئيس صدام حسين ليبدأ فى سحب القوات العراقية بشكل كامل من الكويت.

٤- وأؤكد له بأني استنادا على تفاهم حصلت عليه من حكومات من أعلى المستويات بأنه حالما تكون عملية الإنسحاب قيد التنفيذ فلن يهاجم العراق ولا قواته من قبل الارتال المصطفة فى التحالف ضد بلاده.

٥- وفضلا عن ذلك فانى كسكرتير علم للأمم المتحدة ، وبموافقة الاطراف المختصة ومجلس الأمن سأكون مستعدا لنشر مراقبين دوليين بل قوات تابعة للأمم المتحدة ان اقتضى الأمر للتحقق من الإنسحاب ولضمان عدم حدوث اعمال عنف على الأرض.

٦- وفى حال الامتثال للقرارات سوف احث مجلس الأمن على مراجعة قرارات العقوبات ضد العراق وسوف اشجع عملية انسحاب القوات المنتشرة فى المنطقة على دفعات.

٧- هذا ويتطلب السلم فى المنطقة أن يتم حل كل مشاكله بالعدل والمساواة التى تتماشى مع المبادئ المنصوص عنها فى ميثاق الأمم المتحدة .

٨- ولدي تأكيدات شاملة من أعلى المستويات الحكومية أن حل الأزمة الحالية سيتبعه بذل كل جهد للتوجه الى حل شامل للنزاع العربى الإسرائيلى بما فى ذلك القضية الفلسطينية واني أتعهد ببذل كل جهدى لبلوغ هذه الغاية.

٩- وكما ذكرت امام المجلس مساء أمس ندرك جميعا الأهمية القصوى للقرارات التى سوف تتخذ خلال الفترة المقبلة . اذ لايوجد أي إنسان ولا أية دولة تستطيع اللجوء الى " جميع الوسائل اللازمة " المنصوص عليها فى القرار ٦٧٨/١٩٩٠ اذا عرفت مستقبلا بالنتائج المأسوية التى ستتبعها والتى لايمكن لأحد التكهن بها.

١٠- آمل فى هذه الظروف أن يسود العقل وحسن التدبير لدى جميع الأطراف حرصا على تفادي النزاع، وإنني اذ أتوجه الى الرئيس صدام حسين بكلمتي اليوم أرجو أن يعرف بأنى سوف أكرس نفسي وكل طاقاتي للعمل معه ومع كل الآخرين المعنيين بالموضوع لتفادي النزاع.

١١- وانني اذ اقضي العام العاشر والأخير كسكرتير عام للأمم المتحدة لا أجد أى حدث يرضيني أكثر من أن أترك منطقة الشرق الأوسط كلا متكاملا يسير على طريق العدل والسلام الدائمين . ولايوجد ما يخيب الآمال أكثر من مشاهدة أمم هذا الكون متورطة فى نزاع لاترغب به أية أمة من أممه.

خافير بيريز دي كويار

نلاحظ أن هذا النص صدر في بحر الخامس عشر من كانون الثاني / يناير ١٩٩١ أي في الساعات الأولى من ١٩٩١/١/١٦ حسب توقيت الخليج ، قبل أن تحين ساعة الصفر بوقت قصير جداً يصعب على العراق أن يستفيد منه. ونلاحظ أن المناشدة المقرونة مع اللوم الضمني موجهة الى العراق فقط لاغير وكأنما واشنطن بريئة تماما براءة الذئب من دم يوسف.

يتحدث دي كويار في الفقرة الثانية عن أمله في أن " يلوح " العراق عن استعداده للانسحاب . ولكن هذا التلويح صدر عن العراق أكثر من مرة وفي أكثر من تاريخ تجاه الرئيس ميتران وتجاه رجالات سياسية عالميين ومن الدول العربية وتجاهه هو نفسه خلال زيارته الى بغداد التي انتهت قبل يوم واحد فقط . لاشك في أن التلويح العراقي اقترن مع التساؤل الى أين ينسحب العراق ، فمن يضمن عدم ضربه من الخلف أثناء انسحابه؟ ولكن دي كويار لم يشأ الإمساك بالخيط الذي كان يستطيع الإمساك بطرفه لمتابعة استعداد العراق للانسحاب وإنما بتر الحديث منتقلا الى فكرة أخرى.

وفي الفقرة الثالثة يعد دي كويار بسلام عادل تتبعه فوائد جمة اذا التزم العراق بتنفيذ القرارات . ولكننا نتساءل : في أي مكان آخر يمكن لنا العثور على أي تصريح رسمي أمريكي يمنح العراق مجرد الأمل بالسلام العادل وبالفوائد التي تتبعه ؟ . ألم يحرص الرئيس بوش حرصا لايعرف المساومة على مطالبة العراق بالإنسحاب دون قيد أو بشرط مع رفض منحه مجرد الأمل بربط معالجة القضية الفلسطينية مع انسحابه ؟ . ألم يؤكد بوش أنه يرفض ذلك رفضا باتاً لئلا يُعتبر ذلك تشجيعا أو مكافأة لصدام حسين ؟ . ألم تفشل آخر مبادرة

أطلقتها فرنسا في آخر يوم قبل الحرب لهذا السبب بالذات ؟ . اذا فكيف تجرأ دي كويار فسمح لنفسه بالقفز عن واشنطن وعن مجلس الأمن دفعة واحدة سوى إنطلاقا من علمه الأكيد بأن السيف قد سبق العذل وأن رسالته هذه ليست أكثر من حلقة أخيرة للاستهلاك الجماهيري العالمي فتدين العراق وتستثيره ضده ؟. ثم تأتي الفقرة الرابعة التي نرى فيها قمة المكيافيلية والزيف حيث يعد دي كويار بأن القوات المصطفة لن تهاجم العراق ولا قواته حالما تكون عملية الإنسحاب قيد التنفيذ . فكيف استطاع دي كويار اعطاء هذا الوعد الذي رفض الرئيس بوش اعطاءه بأي شكل من الأشكال ؟ يقول دي كويار بأنه استند في وعده على " تفاهم " مع حكومات تقع " في أعلى المستويات " . ولكن من هي تلك الحكومات بالضبط ؟ انه لو كان حصل على هذا الوعد رسميا لتوجب تحديد المسؤول الذي وعده بالاسم والرتبة لا أن ينسب ذلك الى حكومات لايوجد لها "الـ" التعريف وإنما بقيت مبنيةً على المجهول . وان كان يقصد الولايات المتحدة ، وهي الوحيدة التي كانت تستطيع اطلاق هذا الوعد والالتزام به ، فلماذا لم يسمها بالاسم ؟ ألا يدل حجب أسماء هذه الدول التي " تعتلي أعلى المستويات " على عدم جدية الوعود؟ الا يشير الى ضبابية ولولبية وزئبقية متعمدة يراد استخدامها ضد العراق على وجهين متباينين : فالوجه الأول سيقول بعد قيام الحرب أمام العالم بأن الأمم المتحدة أعطت العراق منديل الأمان الموثق حتى الرمق الأخير ولكنه لم يستجب فنشبت الحرب .

لو كان دي كويار قد قدم حقاً في رسالته أعلاه الأمور التي يحتاجها العراق ليبرر انسحابه أمام شعبه وأمام الجماهير العربية وخاصة في فلسطين المحتلة التي كان سكانها يعلقون أكبر الآمال على الرئيس صدام حسين ، وهي لاتتعدى امرين :

- وعد بالبحث عن السلام العادل لكل المنطقة بما في ذلك قضية فلسطين
- وعدم ضرب العراق ولاالقوات العراقية من الخلف أثناء الإنسحاب وبعده .

فأين كانت المشكلة التي تمنع الحل ؟.

أما الوجه الآخر فيكمن في الخلفية الماكرة لدى واشنطن التي تصر على ضرب العراق مهما فعل . فلو باشر بالإنسحاب فور وصول رسالة دي كويار الى علمه فضربته الولايات المتحدة فلن يستطيع أي ناقد اتخاذ رسالة دي كويار حجة لإدانة واشنطن التي كانت ستتملص بقولها : نحن لم نعط دي كويار تلك الوعود . ولو كنا نحن الذي وعدناه لصرحنا بذلك ولما بقينا في الظلام.

ولو كان لدي كويار قسط من الجدية أو من حسن النية لكان عليه قول ما قاله قبل وقت طويل. لكن واشنطن كانت تمسك بتلابيبه فلا يستطيع الإتيان بأي حراك ولا ان ينبس

ببنت شفة الا بعد مرورها على الرقيب في البيت الأبيض.

نحن نرى ان دي كويار كان متورطاً حتى العنق في مخططات واشنطن . وبذلك شارك في جعل الأمم المتحدة تعتدي على المبادىء التي من اجلها تم انشاؤها بالأصل. ولو كان إندفاع دي كويار لاحقاق الحق من منطلق نزيه لسألناه عن اية جهود او محاولات بذلها لإخضاع إسرائيل واجبارها على تنفيذ قرارات لا تعد ولا تحصى طال عمرها حتى كاد يبلغ نصف قرن من السنين . فهل من ازدواجية ابلغ واكثر استهتارا بالشعوب مما شارك في صنعه دي كويار ؟

الفصل السادس والعشرون

الأيام الحرجة قبل الإنفجار

موافقة الكونغرس الأميركي على استخدام قوة السلاح

لما فشل اجتماع جنيف قوي موقف الرئيس بوش تجاه أعضاء الكونغرس واستغل الفرصة بأن طرح طلباً يخوله به الكونغرس استخدام كل الوسائل الضرورية التي نص عنها القرار ٦٧٨ وبالاضافة إليها استخدام القوات العسكرية الأميركية ضد العراق . فوافق الكونغرس بأكثرية غير مقنعة تماما لأنها بلغت ٥٥ صوتا مقابل ٤٧ صوتاً . اما في مجلس النواب فكانت الأكثرية أوضح اذ بلغت ٢٥٠ موافق مقابل ١٨٣ صوتوا ضد رغبة الرئيس . ولو ظهرت بوادر استجابة بشكل مقنع من طرف العراق لكان الأمل في حصول الأكثرية اقل بكثير. وبالطبع لا يجوز لنا تقييم هذه الظاهرة بأكثر مما يلزم ، لأن رئيس الولايات المتحدة كان قادرا على استخدام القوة بدون الاضطرار الى الأكثرية النيابية . ولكنه رغب باستتباب الصورة الديمقراطية المثالية استطاع التلاعب بالأحداث بما مكّنه من الوصول الى هدفه . وتصرف العراق بما لا يعيق هدف الرئيس الأميركي . وبذلك دخلت الأحداث المراحل النهائية قبل الإنفجار .

اذا القينا نظرة متفحصة على احداث الاسبوعين الأخيرين اللذين سبقا اندلاع الحرب لاحظنا ارتفاعا شديدا في حرارة الأزمة . ونُشبه تسارع ايقاع الأحداث بعش من الدبابيرجرى نبشه وإثارته فانتشر في الجو المحيط بالعش . ثم حوصرت الدبابير حصارا محكما ومُنع عنها كل شيء . وبدأ بعد ذلك تضييق الخناق عليها شيئا فشيئا فتسارعت حركتها وزاد هياجها وصارت ابعد ما يكون عن امكان الرؤية بوضوح ومحاكمة الأمور بما يمليه المنطق والصالح العام . وفي هذه الظروف تسارع ايضا ايقاع المحاولات المختلفة الصادقة والكاذبة لتفادي الإنفجار بينما وضعت الولايات المتحدة كل وزنها وكرست كل اجهزتها ومن هو تابع لها في انحاء العالم لمطاردة اية محاولة قد يُقدر لها النجاح في منع الإنفجار لتجهضها مهما كلف الثمن . وكانت مصلحة خصوم العراق من دول الخليج تكمن ايضا في ضرب العراق لأن الزجاج بينهم انكسر والجبهات تحجرت والجروح تفتقت فلم يعد من السهل تصور عودة

الأمور الى ما كانت عليه قبل الأزمة .ولذلك كان الخليجيون يفضلون تغيير الواجهة في بغداد لكي يبدأوا عهدا جديدا مع واجهة جديدة . وكما رأينا فوتت عليهم واشنطن ذلك فيما بعد فأبقت على القيادة العراقية وحرمتهم من الشعور بالأمن المطلق . فرحلة جيمس بيكر الى السعودية بعد فشل محادثاته مع طارق عزيز أخذت طابع التأكيد أن الحرب لا بد واقعة . واجتهد بيكر في دحض الشائعات التي تحدثت عن صفقات أميركية عراقية تمت في الخفاء . ويقتبس حمدان حمدان جملة قالها بيكر للملك فهد يقول فيها:" تأكد يا جلالة الملك ان هذا اللقاء هو الأخير بيننا قبل اندلاع الحرب."[1]

ويصف حمدان حمدان كيف تفاهم الملك مع بيكر على الشيفرة التي سوف يجري استخدامها لإشعار الملك بموعد الهجوم. واتفقا على ان يخابر الأمير بندر عمه الملك ويقول له : سليمان سوف يحضر اليكم في الساعة كذا . وهذا يعني ان الهجوم سوف يبدأ في الساعة كذا .

لقد بحثنا حتى الآن محاولتين غير صادقتين لإيجاد الحل وهي اجتماع جنيف بين عزيز وبيكر ورحلة دي كويار الى بغداد . ونستعرض فيما يلي محاولات أخرى .

محاولة يوغوسلافية

في أول كانون ثاني/يناير ١٩٩١ عاد وزير الخارجية اليوغوسلافي من زيارة استطلاعية وناصحة في بغداد واجرى احاديث صحفية تؤكد استعداد العراق للانسحاب من الكويت لتفادي خطر الحرب . وتحدث الوزير اليوغوسلافي عن ضرورة قيام الطرف الآخر في النزاع باتصالات من جانبه ايضا ليستشف وليتابع الاستعداد العراقي للتراجع عن مواقفه . ولكن شيئا لم يحدث ، وإنما بقيت واشنطن تصر على الإنسحاب دون قيد او شرط ودون ان تقوم بمجرد محاولة للاتصال مع بغداد. وهذا ما لا يتوافق مع شعور القائد العربي بالكرامة . ولقد عرفت واشنطن ذلك حق المعرفة وتصرفت حسبه .

محاولة أردنية

في ٢ / ١ / ١٩٩١ غادر الملك حسين عمان الى اوربا لمتابعة مساعيه السلميه فقابل بتاريخ

٣ /١/١٩٩١ رئيس الحكومة البريطاني الجديد ميجور عساه ينجح معه فيما فشل بالتوصل إليه مع مارجريت تاتشر . ولكن ميجور لم يكن ليستطيع تغيير الخط الاساسي الذي التزمت به

---

[1] -حمدان حمدان صفحة ٥١٢

بريطانيا او اصحاب المصالح البريطانيين الذين علقوا على النتائج الإقتصادية للأزمة الكثير من الآمال .وربما تأمل اصحاب القرار السياسي والإقتصادي الإنكليز في ان تعود بريطانيا الى مناطق البترول من الباب الخلفي بالتعاون مع واشنطن من جهة وبمحاولة ايجاد دور جديد لبريطانيا من خلال الاستفادة من أخطاء واشنطن ومن خلال محاولة احياء العلاقات التقليدية القديمة مع رؤساء دول الخليج منذ عدة قرون. وهذا الحلم يبدو انه مازال يراود اصحاب القرار في لندن من وقت الى آخر .

ولم يقتصر جواب ميجور على رفض جهود الملك حسين السلمية وإنما انطلق يوم الاربعاء الواقع في ٩/١/١٩٩١ الى الشرق الاوسط فالتقى مع الرئيس مبارك ومع السلطان قابوس لتنسيق المواقف المتفق عليها معهم محاولاً ابراز الموقف البريطاني بشكل يميزه عن الموقف الأميركي ويثبت وجوده .[٢] وفي يوم الثلاثاء ٨/ ١/ ٩١ زار الملك حسين رئيس جمهورية المانيا " فون فايتسيكر " وتباحث معه لمدة ساعتين حول ضرورة الحل السلمي . وبعدها التقى مع المستشار الألماني هلموت كول ومع وزير الخارجية المخضرم هانز ديتريخ جينشر لذات الهدف . فلم يحصل على أي تجاوب . وتعللت الحكومة الألمانية بأنه لم يبدُ حتى ذلك الحين اي استعداد عراقيّ لقبول حل وسط . وهذا التبرير بعيد عن الواقع . ولم تفشل المحاولات الألمانية باتخاذ موقف مستقل الا لالتزامها بشريكاتها الأوربيات . وكانت المانيا اكثر ميلا الى الخط الافرنسي منها الى الخط البريطاني المتشدد الداعي الى الحرب .

ليس من المستبعد ان تكون المانيا قادرة على فرض السياسة التي تراها افضل بالنسبة لها ولكنها لم تكن لترغب في ابراز قدرتها على الضغط على اوربا في هذا الوقت

---

[٢]- ربما من المفيد ان نعرف ان الرئيس الوزارة البريطاني "ملوث الثوب " فيما يتعلق بتعامل بريطانيا مع العراق . فقد كان وزيراً للخزانة قبل الغزو العراقي ، وشغل ايضاً وزارة الخارجية لمدة ثلاثة شهور . وخلال وجوده في وزارة الخزانة وقع بنفسه على قرارات تسمح للشركات البريطانية بتصدير الاسلحة الى العراق . وتم بيع العراق مصانع للذخيرة بقروض حصل عليها من بريطانيا ايضاً وبمعرفة الحكومة . ولما مثل ميجور امام المحكمة في ١٨/١/١٩٩٤ وسئل عن كل ذلك من قبل المحققة الشهيرة باكسنديل والتي استجوبت قبل ذلك الرئيسة تاتشر اجاب بما لا يمكن وصفه الا بالاستخفاف بهيئة المحكمة فقد قال انه لايقرأ القرارات التي يوقع عليها والتي يحولها الى موظفي وزارته . فما اهمية توقيع وزير لايقرأ على ماذا يُوقع ؟ ووصف معلق التايمز "جهل " ميجور فكتب بسخرية لاذعة :" ان ميجور لم يعرف انه لم يكن يعرف شيئاً وذلك لأنه لم يعلم بأنه يوجد اشياء كان يجب عليه أن يعلم بأمرها ."

المبكر بعد إنجاز الوحدة الألمانية التي لم يرض بها الأصدقاء " الألداء " الا مع غصة خوف من المانيا الجديدة القوية .

اجتماع مصراتة في ليبيا

بناء على دعوة من الرئيس الليبي معمر القذافي اجتمع في مصراتة بتاريخ ١٩٩١/١/٤ الرئيس السوري حافظ الأسد والرئيس المصري حسني مبارك والرئيس السوداني عمر البشير وبحثوا معا امكانيات الخروج من الأزمة ورأوا أن الفرصة سانحة حين يلتقي الوزير العراقي طارق عزيز مع الوزير الأميركي جيمس بيكر. وأجمع الرؤساء على أن لا مندوحة للعراق من الإنسحاب ، وأن الإنسحاب الجزئي من الأراضي الكويتية لن يُبعد خطر الحرب. وناشدوا العراق أن يستجيب لضرورات الموقف الخطير.[٣]

المبادرة الأوربية

اقترحت المجموعة الأوربية في اواخر عام ١٩٩٠ استقبال طارق عزيز في اللوكسمبورغ للتباحث معه لايجاد مخرج سلمي . ولكن ما ان اصدر الرئيس بوش مبادرته في ١٩٩١/١/٣ من اجل لقاء بيكر مع عزيزحتى سحبت المجموعة دعوتها خوفاً من ان تشعر واشنطن بضغط عليها من قبل المجموعة الأوربية ولكيلا تضيق حرية المناورة الأميركية فتضطر الى الالتزام او الى مراعاة ما قد يتم بين اوربا وبغداد . ونحن نرى ان مبادرة بوش كان يُراد منها إخراج المجموعة الاوربية عن الخط الذي قد يؤدي الى السلام .

اعترض وزير الخارجية البلجيكي على سحب الدعوة قائلاً بان الخلاف حول تحديد يوم الموعد هو امر ثانوي ولا يجوز اعطاءه اية أهمية لان البحث عن السلام يبقى مجدياً ولو حصل ذلك في الدقائق الخمسة الأخيرة قبل انقضاء اليوم . فقررت المجموعة الاوربية دعوة طارق عزيز الى اللوكسمبورج في ١٠/ ١/ ١٩٩١ لمقابلة وزير خارجيتها جاك بوز شريطة ان يقابل بوز جيمس بيكر قبل ان يجتمع مع عزيز بعد مؤتمر جنيف . ولكن طارق عزيز رفض تلك الدعوة بحجة ان المجموعة الاوربية غير مستقلة في قراراتها وانها تابعة لارادة الولايات المتحدة . وعرض بالمقابل استقبال وفد من المجموعة الاوربية في بغداد ، ولكن وزير الخارجية البلجيكي الذي اعترض قبل أيام ثلاثة فقط على قرار سحب الدعوة رفض الآن

---

٣ – نجد بعض التفصيل عن اجتماع مصراتة لدى نافع صفحة ٢٦٢ . ويقول نافع أن الرئيسين مبارك والأسد فوجئا بحضور البشير.

فكرة الذهاب الى بغداد وقال : " اننا لن نسمح بالرضوخ لهذا الابتزاز". وفي يوم الاثنين الواقع في ١٩٩١/١/٧ جددت المجموعة الأوربية عرضها استقبال طارق عزيز في اللوكسمبورج بتاريخ ١٩٩١/١/١٠ اي بعد إنجاز اجتماع جنيف مع جيمس بيكر . ولكن الوزير العراقي رفض العرض الأوربي . ورغم ذلك فقد أبقت المجموعة الأوربية الدعوة مفتوحة للوزير العراقي ولم تسحبها في حينه .

تثير لدينا اقتراحات هذا اللقاء ثم سحبها ثم اعادة طرحها تساؤلا معينا نوجهه الى العراق والى المجموعة الأوربية ايضاً . فإذا كان طارق عزيز يرفض التفاوض مع الأوربيين في لوكسمبورج متذرعاً بتبعيتهم لواشنطن فلماذا يعرض عليهم الحضور الى بغداد للتفاوض ؟ وإن كان يقصد الجدوى المتوقعة من لقائهم المباشر مع الرئيس صدام فما كان من المناسب ان يختار صيغة الرفض القاطع الذي يندد بخضوعهم الى ارادة واشنطن وإنما كان عليه اتخاذ صيغة أخرى لا " تصفق " الباب في وجوههم مثل ان يقول لهم :

" اننا على استعداد للحضور الى اللوكسمبورج والى اي مكان آخر في اوربا ان كان ذلك يؤدي الى تفادي الحرب . ولكن حضوركم الى بغداد هو الذي سوف يضمن اتخاذ القرارات النهائية الملزمة التي تقترب من الحل او تؤدي مباشرة إليه ." فلماذا اختار عزيز جواب المجابهة بدلا من اعطاء الإنطباع بالاستجابة واللين ؟ ترى هل كان طارق عزيز يتصرف في غير مصلحة العراق ؟ هناك شكوك يجب علينا التعرض لها حول ما كان ينجزه طارق عزيز. ولقد ذكرنا في مكان سابق الازدواجية التي نسبها يفجيني بريماكوف الى طارق عزيز . ويذكر جلال كشك اقتباسات تفيد بأن الرئيس جورباتشوف لم يكن يثق بأمانة طارق عزيز في نقل رسائل الاتحاد السوفياتي الى صدام حسين [٤] . نحن نرى بعض النقاط المستغربة في تصرفات طارق عزيز لكننا لا نميل الى تأييد اية شبهات من هذا النوع . من المؤسف ان العراق لم يسمح لنا بالتحقق من أمور كهذه ومن أمور أخرى أكثر أهمية منها . ولذلك لا يجوز القاء مثل هذه التهمة الخطيرة قبل ان يُسمع رد عزيز عليها .

---

[٤] – محمد جلال كشك صفحة ٤٤٠ " الجنازة حارة " وينقل كشك اقتباساً على لسان المحلل السياسي جيم هوجلاند اذ قال:

" ... وضرب لهم مثلاً كيف نشر جورباتشوف حديثه علنا في الصحافة قبل وبعد الاجتماع مع طارق عزيز ونشرت تاس التحذير الحادّ الذي وجهه جورباتشوف له في اجتماعهما بينما كان الاجتماع ما زال منعقداً لكي لا يحرفه عزيز عندما ينقله لصدام " (من الهيرالد تريبيون بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٦)

ونوجه ذات النقد الى الاوربيين ! . فإن كان الهدف من اللقاء مع المسؤول العراقي هو البحث عن السلام فما الذي كان يمنعهم من الذهاب الى بغداد ؟ . وما هذا الأخذ والرد الطفولي او المتعمّد في عرض مبادرتهم ثم سحبها ثم اعادة عرضها ؟ . فهل كانوا جديين حقاً ام هل كانت مبادرتهم برمتها لا تعدو جعل العراق يسبح في المجهول فيشك في كل شيء ويفقد الثقة بالجميع . ومن اهتزاز الرؤيا امامه يفقد الرؤية الواضحة والروية ويستسلم منقاداً الى ما تجري به الرياح ؟ . نحن نميل الى هذه الصورة بالنسبة للمبادرة الاوربية كمجموعة ولكننا نفصلها عن المبادرة الفرنسية التي نعطيها قسطاً كبيراً من الجدية مما سنتعرض إليه الآن .

المبادرة الفرنسية

التقى في ١٩٩١/١/٥ في بغداد البرلماني الافرنسي ميشيل فوزيل، القريب جداً من الرئيس ميتران مع الرئيس صدام حسين في محاولة لاحياء مبادرة فرنسية لإنجاح المخرج السلمي . تحدث فوزيل عن الصداقة التقليدية التي تربط فرنسا بالعراق وتحدث عن وجود انشقاق داخل المجموعة الاوربية حول العراق . فبينما بريطانيا وهولندا تقفان مع الولايات المتحدة دون قيد او شرط يميل باقي دول المجموعة الى الحل السلمي. وطلب فوزيل من الرئيس العراقي الإنسحاب من الكويت بما يتفق مع المبادرة الافرنسية التي كان الرئيس ميتران قد اعلن عنها في الامم المتحدة بتاريخ ٩٩٠/٩/٢٤ وأكد فوزيل بان الإعلان عن الاستعداد للانسحاب سوف يعطي فرنسا الحجة تجاه شريكاتها في المجموعة لطرح مبادرة السلام بشكل رسمي. ووعد بأن فرنسا سوف تراعي رغبة العراق في دمج فكرة الإنسحاب مع ضمانات بألا يُضرب العراق أثناء الإنسحاب وبعده وفي بحث حل للقضية الفلسطينية. واظهر الرئيس العراقي تجاوبه مؤكداً رغبته في بحث مضمون اية مبادرة تصدر عن باريس.

عاد في ١٩٩١/١/٦ فوزيل الى بلاده وقدم تقريره إلى الرئيس ميتران .واتصل أيضاً بسفير العراق في باريس السيدعبد الرزاق الهاشمي واعلمه بالجو الايجابي الذي صاحب زيارته الى بغداد . وبعد ذلك تبلور في باريس مشروع قرار من خمس نقاط وتم تسليمه الى السفير العراقي من قبل وزير الخارجية الفرنسي رولان دوما باليد .

من المؤسف ان البزاز الذي تحدث عن النقاط الخمس لا يذكرها بشكل واضح إنما يجملها اجمالاً بحيث لانستطيع تفصيل بنودها .ولذلك نقتبس منه ما كتب عنها بينما سوف

نورد بعد قليل نقاطاً ستاً محددة وواضحة اعلنتها فرنسا فيما بعد على انها المبادرة الفرنسية .
يكتب البزاز : " سحب السفير ورقة وبدأ يسجل مايتلوه عليه الوزير دوما :
– الخطوة الأولى بعد الإنسحاب هي ان يتم تشكيل قوة عربية من البلدان التي لم يكن لها موقف منحاز لأي من الطرفين كدول المغرب العربي ، وتأخذ هذه القوة على عاتقها تسيير شؤون الكويت خلال مدة انتقالية _ ثم تبدأ دول هذا التشكيل بمفاوضات حول كل المشاكل والمواضيع التي يريد العراق ان يطرحها مثل الحدود ومستقبل النظام في الكويت والأمور المالية وتحديد شرعية السلطة في الكويت. واضاف دوما :

في الوقت نفسه ، او قبل الخطوة رقم واحد ، او بعدها ، وحسبما سيتم الاتفاق عليه تقوم فرنسا بدعم من الدول الأخرى مثل الجزائر واسبانيا وروسيا والمانيا بإثارة القضية العزيزة على قلب الرئيس صدام حسين ، وهي القضية الفلسطينية من خلال الدعوة لعقد مؤتمر دولي حول الخليج وفلسطين ولبنان ، ونحن نأمل ان تؤيدنا الصين في هذه الخطوة .

واستدرك الوزير الفرنسي :
– لانريد ان نخدع العراق ، فأميركا وإسرائيل لن توافقا على هذه الخطوة .. اما الاتحاد السوفياتي فسأتحدث الليلة مع وزيره .

اما الخطوة الثالثة فقد وصفها الوزير دوما على الشكل التالي : " مقابل الموافقة على الفقرتين الأولى والثانية يتعهد العراق بالإنسحاب حسب جدول زمني يحدده هو " . وأشعر دوما محدثه بأن الجزائر تؤيد هذه الخطوات وان وزير خارجيتها الذي كان في جنيف أمس ١٩٩١/١/٩ تحدث عن هذا البرنامج مع الوزير العراقي طارق عزيز .
سأل السفير : وما هي الخطوات العملية ؟
اجاب دوما : اذا وافقت بغداد من حيث المبدأ على هذه الأفكار سأتوجه الى بغداد لمناقشة التفاصيل . "[٥]

تميزت اقتراحات الوزير دوما كما نرى بالتجاوب الذي يُلفتُ النظر مع مطالب العراق . فهل كان حديثه عن موافقة الصين وعن عزمه بالاتصال بالاتحاد السوفياتي وعن موافقة الجزائر مجرد فقاعات ملونة اشعاراً للعراق بأجواء حبلى بوليد الحل ؟

ارسل السفير العراقي المشروع الى بغداد على جناح السرعة فأبرقت إليه بعد ٢٤ ساعة بأنها ترحب بالوزير دوما لمناقشة المشروع . اي ان بغداد ابدت الاستعداد المبدئي للانسحاب .

---

[٥] – بزاز صفحة ٢٨٣-٢٨٤

وفي الساعة السابعة من مساء الاحد ١٩٩١/١/١٣ طلب مدير المراسم في الخارجية الفرنسية من السفير العراقي الاستعداد لمقابلة الرئيس ميتران في الساعة الخامسة من بعد ظهر الاثنين الواقع في ١٩٩١/١/١٤ . فاتصل ببغداد وابلغها عن الموعد سائلا عن اية تعليمات او توجيهات فأجابوه : اسمع ما سيقوله الرئيس ميتران واعلمنا بالمضمون .

وصل السفير العراقي في الوقت المحدد الى مكتب الرئيس حيث تواجد وزير الخارجية دوما والسيد "انكن" ، مستشار الرئيس والسيدة ندى يافي التي تولت الترجمة .

تحدث ميتران عن عزمه على اصدار مبادرته وشدّد على انه لا يريد ان يفشل في مساعيه . فأثنى السفير على مساعيه واشاد بدور فرنسا الإنساني ، وأكد على ان العراق لن يخذل مبادرته وإنما سيوفر كل ظروف النجاح من طرفه .

ثم تحدث ميتران عن حرج اللحظات الأخيرة وخاصة بعد لقائه المتشائم مع الأمين العام للأمم المتحدة والذي نصحه بألا يرسل اي مسؤول الى بغداد لأن العراق لم يُبد اي استعداد للاستجابة ولأنه سيعيد المبعوث فاشلاً من بغداد. وبيّن ميتران بدون اية تورية بأن فرنسا ايضا تشترط الإنسحاب العراقي غير المشروط حسب جدول زمني سريع . هنا سأله السفير الهاشمي عن الخطوة التي سوف تتبع ذلك . فأجاب ميتران بأن قوات عربية ستحل محل القوات العراقية المنسحبة . فانتقل الهاشمي الى النقطة الأكثر حساسية في الموضوع وهي الضمان بأن العراق لن يُهاجم أثناء الإنسحاب او بعده . فأجاب ميتران بأنه يستطيع اعطاء الضمان الذي يُلزم فرنسا بينما لا يستطيع اعطاءه بالنسبة للبلدان الأخرى ولا يتمكن من الجزم بأنه لن تكون هناك حرب . بل ان الرئيس ميتران شدّد علىضرورة إعلان العراق عن استعداده للانسحاب دون شروط قبل ان يرسل الوزير دوما الى بغداد لمتابعة خطوات المبادرة .

استمر لقاء السفير مع الرئيس الفرنسي ٤٥ دقيقة خرج بعدها ليعلم بغداد بمضمون الحديث وأعرب عن قناعته بأن الرئيس ميتران سوف يرسل الوزير دوما الى بغداد . وفي الواقع اتصل كيسي جان من الخارجية الفرنسية في الساعة الثامنة والنصف من صباح الثلاثاء الواقع في ١٩٩١/١/١٥ بالسفير العراقي وسأل عن استعداد مطار بغداد لاستقبال طائرة الكونكورد التي سوف تحمل الوزير دوما ، وحصل على الجواب الايجابي . لكن الطائرة لم تحلق بين الحادية عشرة والثانية عشرة حسب الوعد ،وإنما بقي دوما في باريس ليعطي الأوامر الأخيرة للتحضير لحالة الحرب بدلا من التفاوض في بغداد من اجل تطوير مبادرة السلام .

ولننظر الآن الى المبادرة الفرنسية من خلال النص الرسمي الذي نشرته فرنسا ومن خلال تعامل واشنطن ودول المجموعة الأوربية معها . فالنقاط الست تقول :

١- بعد الاستماع الى تقرير السكرتير العام للأمم المتحدة عن مهمته في العراق ، وحرصا على عدم إضاعة اية فرصة للحفاظ على السلام ، يناشد أعضاء مجلس الأمن العراق بإنجاز الطلبات التالية :

٢- ان يعلن بدون اي تأخير اضافي عن عزمه على الإنسحاب من الكويت حسب جدول زمني محدد وان يبدأ بالإنسحاب الشامل بسرعة .

٣- فور إعلان العراق عن التزامه بالتنفيذ يساعد الأمين العام بمراقبة الإنسحاب بارسال مراقبين دوليين وبتشكيل قوات سلام من دول عربية .

٤-يُمكن ان يعطى العراق ضمان بعدم الهجوم عليه .

٥- سوف يقوم تعاون مع الدول العربية لاتخاذ الخطوات المناسبة لدفع عملية التفاوض الذي يهدف الى توطيد السلام .

٦- وما ان يتم تنفيذ المطلوب مع مراعاة قرارات مجلس الأمن حتى يقوم أعضاء هذا المجلس بجهد فاعل من اجل حل مشاكل المنطقة الأخرى وعلى رأسها النزاع العربي الإسرائيلي والقضية الفلسطينية من خلال الدعوة لانعقاد مؤتمر دولي .

فإذا امعنا النظر في ما تطلبه النقاط الست لما وجدنا فيه اي بند لا يتفق مع ميثاق هيئة الأمم المتحدة او يسيء او يجرح نصوص القانون الدولي . فقد طُلب من العراق الإنسحاب غير المشروط . اي ان على العراق وحده التراجع عن كل مواقفه مع ما يرافق هذا التراجع من احراج لا بد منه للحكومة العراقية تجاه شرائح من الشعب العراقي والعربي التي لا تتفهم حكمة الإنسحاب التي لا بد منها . بل ان النقاط الست تطلب من العراق الالتزام بكل قرارات مجلس الأمن وفيها ما فيها مما يضغط على العراق . ورغم كل ذلك فان لندن وواشنطن شجبتا المبادرة على الفور ووجهتا اللوم الى الرئيس الفرنسي لأنه لم يتشاور معهما قبل اصدار هذه المبادرة .[٦]

وبما ان النقاط الست كانت سوف تضمن السلام فإن رفض لندن وواشنطن لها هو تأكيد لرفضهما فكرة السلام . وما حصل بعد ذلك على أرض الواقع يؤيد هذا الاستنتاج.

---

[٦] – كتب شفينمان عن هذا الموضوع:" أذيع المشروع الفرنسي الخاص بالتسوية الدبلوماسية للنزاع في أروقة الأمم المتحدة بعد ظهر يوم ١٩٩١/١/١٤ ، ولكنه لم يطرح للتصويت عليه في مجلس الأمن مطلقاً." (صفحة٦١)

ولا يفوتنا ان نُعرب عن استغرابنا لإعلان العراق ايضا عن رفضه للمبادرة . فلماذا فعل ذلك ان كان خصومه قد تحملوا مسؤولية رفضها ؟ ولماذا لم يستفد ولو إعلامياً بترك الكرة في هدف الخصوم ؟ إنهم لم يتركوا فرصة لخداع العرب والعالم الثالث الا واستنفذوها . فلماذا لم يحتذ بهم الآن ؟ ترى هل رأت القيادة العراقية ان اصدار الرفض سوف يرفع من شأن كبريائها تجاه الجماهير العربية ؟ وهل هذا هو الوقت المناسب لخداع الذات ؟

يبقى في موضوع هذه المبادرة تساؤل لا يجوز اهمال الاجابة عليه . فهل كانت المبادرة برمتها صادقةً ام كانت هي ايضا حلقة أخرى من الحلقات التي جعلت القيادة العراقية تنتظر وتُحجم عن اتخاذ اي قرار حتى آخر لحظة قبل ان تحين ساعة الصفر ؟ فبعد ظهر الاثنين الواقع في ١٤/١/١٩٩١ اجتمع وزراء خارجية المجموعة الأوربية في بروكسل لبحث الأزمة في الخليج . ولكن الوزير الفرنسي دوما تغيب عن الاجتماع ليكون جاهزا " للمهمة الدقيقة والمصيرية " في بغداد . وقد القت اجهزة الإعلام الفرنسية الأضواء على بقاء الوزير الفرنسي في باريس مما جعل العراق يثق بجدية المساعي الفرنسية . ثم جاءت في صباح اليوم التالي مخابرة الخارجية الفرنسية عن مدى استعداد مطار بغداد لاستقبال الطائرة الكونكورد التي تحمل الوزير دوما في وقت الظهر . فهل حصل كل ذلك امعاناً في تضليل العراق وخديعته ؟ نحن نرى قرائن تبدو لتثبت مشاركة فرنسا في مؤامرة الخديعة . أولها وجود مصلحة فرنسية تتماشى مع سياسة الغرب بأجمعه في ايقاف أية دولة عربية عند حدها ومنعها من التطور كما يؤكد لنا كتاب وزير الدفاع الفرنسي المستقيل بيير شفينمان . وثمة قرائن أخرى اكثر مباشرة : فلماذا الغت باريس زيارة دوما الى بغداد بعد ان وصلت " اللقمة الى الفم " ، وبعد ان استعدَّت لاستقباله واعدة سلفا بالتجاوب معه الى الحد الذي يضمن نجاح مهمته ؟ ولماذا اشترطت باريس على العراق إعلان انسحابه غير المشروط قبل ان ترسل الوزير دوما ؟ وما هي ضرورة زيارته ان كانت بغداد ستعلن عن الإنسحاب بدون اية شروط؟ وما الذي حدث خلال الساعتين بين مخابرة الخارجية الفرنسية عن انطلاق الكونكورد وبين الحادية عشرة مما قلب التفكير في رأس الرئيس ميتران فجعله يبقيها على الأرض بدون ذكر الأسباب ؟ وان قيل بأن الرئيس ميتران قد قرر الغاء مبادرته بسبب التشاؤمية التي اوصلها إليه دي كويار لاكتشفنا تناقضا منطقيا يبدو ليثبت ازدواجية التصرف الفرنسي لأن دي كويار نقل" تشاؤميته " قبل ظهر الاثنين الواقع في ١٤/١/١٩٩١ بينما استمر النشاط الفرنسي الحقيقي او المزيف الى ما بعد ذلك التوقيت . هذا وقد كان يجدر بالرئيس الفرنسي

الحَذَرُ مما ينقله دي كويار الذي حدثه عن اهانة بغداد له بالإنتظار الطويل [٧] بينما سمع من الممثل الرسمي للعراق كل ترحيب وثناء مما يوجب عليه التصرف من منطلق الإنطباعات التي تكونت لديه من خلال الحديث المباشر معه كصاحب العلاقة وليس من خلال الحديث مع الأمين العام " المَوْتور ".

ولماذا صدرت المبادرة الفرنسية ناقصة من الأصل ؟ فهل يوجد اي منطق يبرر اشتراط الرئيس ميتران الإنسحاب العراقي غير المشروط وهو يعلم تماما بأنه لا يستطيع منح الاطمئنان للعراق بأن الهجوم لن يقع عليه ؟ ولماذا لم يطالب واشنطن علناً أو بالسر قبل إعلان مبادرته بضرورة تخويله بث الاطمئنان في قلب العراق بعد ان يوافق على كل الشروط الأخرى ؟

ترى هل اعلمت باريس واشنطن بالتحول في الموقف العراقي نحو القبول بمختلف الشروط في اللحظة الأخيرة فأسرعت هذه ومعها لندن على تأكيد رفض المبادرة خشية خروج بغداد من الفخ في آخر لحظة ؟

هذا ولماذا لم تطور فرنسا في حينه مبادرتها امام هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٤ بالرغم من التجاوب المبدئي الذي أبدته بغداد ؟

ومما يثير الشبهة في جدية المبادرة الفرنسية شعور العراق بالتحول في موقف فرنسا تجاه العراق منذ اواخر الحرب الايرانية العراقية . فقد اوقفت فرنسا شحن الاسلحة فور رجحان كفة العراق في الحرب مما يدفع الى الشك في سلامة الأهداف السياسية الفرنسية .[٨] فهل كان تزامن التحول الفرنسي مع التحول الإعلامي الأميركي ضد العراق كناية عن تطابق

---

[٧] – يقول ايريك لوران على الصفحة ١٤٧ من كتابه " عاصفة الصحراء " وقال أمين عام الأمم المتحدة ان كل هذه المضايقات قد انتهت الى مونولوج لا ينتهي من جانب الرئيس العراقي ، الذي ما زال متشدداً ولا مبالياً بالضغوط الخارجية ، وأضاف بيريز دي كويار " الحق أنه اساء معاملتي ." وانظر ايضا " حمدان حمدان " صفحة ٥١٣ .

[٨] – تذكرنا الأيام الأخيرة من الحرب العراقية الايرانية بما جرى خلال الحرب العالمية الثانية حيث كانت الولايات المتحدة لا تزود الاتحاد السوفياتي الا بالقدر اللازم الكافي من الأسلحة والذخيرة لكي لا تكتسحها الجيوش الألمانية من جهة وبحيث لا تستطيع التقدم نحو الغرب بسرعة فتكتسح كل المانيا قبل وصول الحلفاء الغربيين . فهل كانت فرنسا ايضا " تقنن الشحنات الى العراق بحيث لا ينتصر بسرعة لئلا تنتهي الحرب الاستهلاكية التي تدر الأرباح الضخمة على الدول المنتجة للسلاح ؟ وهل تمكنت القيادة العراقية من " اجتزاء " وخزن كميات من شحنات الأسلحة الى ان زجت بكل ما لديها في المعركة فتمكنت من اخراج الايرانيين ؟ وهل غضبت فرنسا من هذه الخدعة العراقية التي انهت الحرب ؟

في الاهداف السياسية لدى الدولتين ؟ ومما يؤيد هذه الفكرة وقوف الوزير دوما بعد عقد الهدنة الايرانية العراقية في صف معارض لرغبات العراق حين جرى بحث مفاوضات السلام بين طهران وبغداد في الأمم المتحدة . فهو رفض ايضا اجراء المفاوضات المباشرة بين الفريقين المتحاربين متخذا ذات الموقف الذي وقفه دي كويار والذي تعرضنا لتحليله في الفصل السابق من الكتاب .

هذا ولما طلب العراق اعادة جدولة الديون المستحقة عليه لفرنسا لم تتجاوب الحكومة مع رغبات العراق الا بعد مشقة واشتراطات .

وفي مقابل المؤشرات السلبية السابقة هناك قرائن قوية أخرى تجعلنا اكثر ميلا الى تصديق جدية المبادرة الفرنسية . فالعنصر الإنساني بين المفكرين والمثقفين والوجدانيين الفرنسيين اكثر استقلالا وأبلغ اثرا على المجالس النيابية وعلى الحكم مما نجده في الولايات المتحدة حيث المصلحة باردة برود القبور ومستعدة لسحق العنصر الإنساني ان بلغ مبلغاً لا يتفق مع مصالح اصحاب القرار الكبار .

هذا ولو تمكنت فرنسا من انقاذ السلام بمبادرتها لأصبحت بطلة السلام ولكانت مكاسبها الإقتصادية اكبر بكثير مما ستكسبه من خلال الإنضواء تحت الجناح الأميركي الذي سيسعى ألا يترك للآخرين الا الفتات. ففي الحالة الأولى تكون فرنسا الرائدة بينما تصبح في الحالة الثانية جزءاً صغيراً من كلٍّ أميركيّ. ولكن هل كانت " زميلات " فرنسا لتسمح لها بالوقوف في هذا الموقف وباقتطاف الثمار الكبرى على انفراد ؟

وهناك الجناح الديغولي بين المفكرين والسياسيين الفرنسيين الذين ما زالوا يحقدون على الولايات_المتحدة التي حاربت الجنرال ديغول وقاومت نزعته الاستقلالية بكل وسيلة بما في ذلك المشاركة مع حركة **OAS** اليمينية في محاولة تصفيته الجسدية أيام حرب التحرير الجزائرية. وهذا الجناح يتمنى لو تتمكن فرنسا من تسديد ضربة الى مصالح واشنطن في اي مكان من العالم . ولم يقف الديغوليون وحدهم في موزاييك السياسة الفرنسية في صفٍ معادٍ لواشنطن وإنما شاركهم في هذا الشعور قسم كبير من الاشتراكيين الذين لم ينسوا كيف اجهضت الولايات المتحدة النصر الفرنسي البريطاني على مصر عام ١٩٥٦ . ففي هذا العام اجهزت واشنطن على الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية بتوريطهما في محاربة الرئيس جمال عبد الناصر ثم تخلت عنهما وخذلتهما بذات الطريقة التي استخدمتها ضد العراق في حرب الخليج . ومن يقرأ مذكرات انتوني ايدن وجي موليه المفعمة بالمرارة من واشنطن يدرك الشماتة المحتملة لأتباعهما فيما لو امكن تسديد ضربة الى واشنطن .

المبادرة اليمنية

لم ينجح لقاء جيمس بيكر مع الرئيس اليمني عبد الله صالح في صنعاء بتاريخ ١٩٩٠/١١/٢٢ لأن اليمن ندّد باسلوب الولايات المتحدة في تعاملها مع الأزمة ومع العراق . وفي ذلك اللقاء ابرز بيكر مخالب الولايات المتحدة وبين مدى حماسها لتسديد ضربة الى العراق . ولم يلطف الجو تأكيد الرئيس اليمني على ان بلاده ترفض الغزو العراقي ولا أعلام محدثه عن استعداد العراق للانسحاب . وكان نقد الرئيس صالح عنيفا حين واجه بيكر بقوله : " هل تعتقد ان قرار مجلس الأمن هو لخدمة المجتمع الدولي والكويت ، ام انه لخدمة آخرين في المنطقة ؟ واستطرد : لو كنتم جادين وعادلين لرأيتم اوضاعنا . ان لدي مليونا ونصف المليون من اليمنيين المهاجرين لم يتحرك احد من اجلهم ، في حين تحركتم بجيوشكم واساطيلكم في الخليج واتخذتم قرارات في مجلس الأمن خلال وقت قصير جدا من الزمن ..ان الحرب كلها هي حرب عيش ، وحرب غذاء وخبز وإقتصاد. فلماذا لا تتدخلون من اجل مليون ونصف المليون من اليمنيين ؟

كان بيكر يستمع بدقة الى الترجمة التي تلاحق كلام الرئيس دون ان يعلق بشيء على مشكلة اليمنيين الذين تدفقوا عائدين من السعودية والخليج ليضيفوا عبئاً إقتصادياً على البلاد ، وليتسببوا في إختناق منظومات الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية التي تتكفل بهم . ناهيك عن خسارة اكثر من مليار ونصف المليار دولار من تحويلاتهم ."[٩]

تجاوزالوزير بيكر هذا التساؤل المحق وتابع كيل التهم والتهديدات الى العراق بالرغم من ان الرئيس اليمني اعلن عن وقوف اليمن في ذات الموقف العام الذي يدين احتلال العراق للكويت .

هذا هو الجو الذي ساد الموقف الرسمي بين الدولتين خلال لقاء صنعاء . ولكن بعد صدور مبادرة الرئيس بوش مقترحاً اجتماع بيكر- صدام و بوش-عزيز اعتدل الموقف اليمني وارسل برقية عرفان وتأييد الى الرئيس بوش . وما ان مضت الاسابيع الستة او كادت دون حصول اي تحرك ايجابي حتى قرر اليمن تكرار المحاولة لانقاذ الموقف فسود مبادرة

---

[٩]- بزاز صفحة ٤٤٤ . لا يرى جلال كشك جدية حقيقية في وقوف اليمن الى جانب العراق . فهو يتساءل عن التوافق بين التظاهر اليمني بتأييد العراق مع توقيع ثلاثة اتفاقيات بترولية مع الشركات الأميركية اثناء فترة ازمة الخليج فهو يقول بقلمه اللاذع: جاء منح اليمن عقد امتياز نفطي لثلاث شركات اميركية في عنفوان ازمة الخليج يؤكد ان أم المعارك لم تفسد للنفط قضية ." (صفحة ٣٦١ وصفحة ٣٤١ ايضاً)

من طرفه تطلب من العراق الإنسحاب من الكويت وتحثه على تقبل عودة الشرعية الى ما كانت عليه قبل الغزو شريطة ان يتبع ذلك الكف عن حصار العراق وعدم التعرض لقواته . ولم يسوّد اليمنيون هذه المبادرة الا بعد استمزاج رأي العراق الذي وافق على ان تصدر هذه المبادرة [10] بشروطها المذكورة طالما هي لا تنطلق عن العراق مباشرة وإنما من خلال طرف ثالث . اي ان العراق وافق ضمنياً على الشرطين حين يجري عرضها عليه من طرف ثالث لأنه لم يشأ كشف اوراق استعداده للتنازل من لدنه بدون اي مساومة او ثمن .

وقرر اليمن الإنطلاق الى القاهرة ليحصل علىموافقة الرئيس مبارك وتأييده مما كان سيجعل النجاح اكثر ضماناً . فقبول القاهرة سيحمل بين طياته اشعاراً باستعدادها لممارسة ضغط على الكويت وعلى الرياض لتقبل العاصمتان بما تكون قد اعلنت عن قبولها به .

تشكل الوفد اليمني الى القاهرة من رئيس الوزراء حيدر العطاس ومن نائبه العميد مجاهد ابو شوارب ومن وزير الخارجية عبد الكريم الارياني. حضر اللقاء مع الرئيس مبارك بحضور الأمين العام للجامعة العربية د.عصمت عبد المجيد واسامة الباز وبدأ بتبادل عبارات العتاب حيث اعرب الوفد اليمني عن ألمه من الحملة الإعلامية التي تُثار ضده في الصحافة المصرية . وبعد ذلك ابرز الارياني نص المبادرة اليمنية الى اسامة الباز الذي قرأها بتمعن وهدوء . ويبدو انه فوجيء من انها تنص على اعادة الشرعية السابقة الى الكويت فسأل : " هل انتم متفقون مع العراق على هذا الكلام ؟ " فلم يجب اليمنيون بالايجاب " لأن التعليمات التي تزود بها الارياني تطلب منه نفي ان تكون اليمن قد اعلمت العراق مبكراً بهذه المبادرة " وإنما اعرب عن رغبته بالذهاب الى بغداد ان وافقت القاهرة على المبدأ . ولكن الجانب المصري لم يحدد موقفاً لأن المبادرة حيرته . فهي تمنح الإنسحاب وتمنح عودة الشرعية الى الكويت بموافقة العراق . وهذا هو ما تطالب به حكومات دول الخليج. ولكن المبادرة تطلب ايضا فك الحصار عن العراق والامتناع عن مهاجمته. وهذا ما لا تريد واشنطن منحه . ولذلك اقترح الرئيس مبارك ان يقابل الارياني جيمس بيكر الذي كان في القاهرة في ذلك اليوم. وأعلمت القاهرة بيكر بمضمون المبادرة اليمنية واقترحت عليه لقاء الوفد اليمني. ولم يستطع بيكر رفض الاتصال مع اليمنيين . ولكنه لم يقابلهم بنفسه إنما تحدث مع الارياني في فندقه على الهاتف ونصحه بالذهاب الى بغداد ليعلمهم هناك بأن السماء ستمطرهم جحيماً ان لم ينسحبوا قبل ١٩٩١/١/١٥. واعلمه ايضا بأنه سيرسل إليه جون كيلي و بوب كيميت للبحث

---

[10] - بزاز صفحة ٤٥٨ -٤٥٩

في بنود المبادرة بالتفصيل . وتم اللقاء على المستوى الأدنى ، ولم ينتج عنه اية ايجابية لأن الوفد الأميركي لم يبد اي استعداد للموافقة على اي اقتراح يبعد شبح الحرب .

بهذه الإنطباعات السلبية انطلق الوفد اليمني الى بغداد مروراً بعمان وأوضحوا للقيادة العراقية ما دار في القاهرة ولم يقصروا في وصف مدى العدوانية التي اتصف بها المسؤولون الأميركيون واصرارهم على سحق العراق. وناشد العميد ابو الشوارب الرئيس صدام حسين بقوله : " لقد عودتنا أثناء الصراع مع ايران بانك صاحب مبادرات كبيرة .. ولذلك فاننا نتوقع منكم مبادرة في هذه اللحظة التي نواجه فيها الإنفجار الكبير . " وثنّى رئيس الوزراء اليمني على طلب العميد ودعا العراق ايضاً الى الإنسحاب ولكن الرئيس صدام اجاب : " ليس امامنا الا الصمود .. واذا تراجعنا في هذه اللحظة فسيحصل الإنهيار .. ولذلك نفضل المواجهة .. الافضل ان نموت في قمة الهرم بدلاً من الموت في القاع .. وليس لدينا اية ضمانات لو انسحبنا .. فلماذا نستسلم في آخر لحظة ؟ "

ويصف البزاز تلك الجلسة بقوله : " كان الحوار كئيباً ومتقطعاً .. ينتقل من موضوع الى آخر . ماذا دار في القاهرة ؟ ماذا اعدوا للحرب ؟ . ما صورة المنطقة بعد الحرب ان وقعت . ؟ انسحاب ام لاانسحاب ؟ وانتهى اللقاء .. ويقول اليمنيون ، انهم ودعوا العراقين وداع من قد لا يلتقي بعدها مرة أخرى . "[١١]

---

[١١] - بزاز صفحة ٤٥٩ .

الفصل السابع والعشرون

نقاط على الحروف

السجل الدموي في العراق

نحن نكرر عدم توفر أية شكوك لدينا في وطنية الرئيس صدام حسين ونؤكد على قدراته التنظيمية التي أثمرت الكثير من الايجابيات من تصنيع الى إسهام فاعلٍ في محو الأمية والظهور كقوة مُهابة يُشار إليها بالبنان. ولكن ما هو الثمن الذي دفعه العراق وشعب العراق ؟

من يريد وصفاً شاملا لشخصية الرئيس صدام منذ بدء تكونها مروراً بمراحل تطورها بما في ذلك العوامل التي أثرت على منحاها يجدها في كتاب السياسي والكاتب اللبناني اللامع الرائع كريم بقرادوني.(لعنة وطن). يتميز بقرادوني بمقدرة غير عادية على تحليل الشخصيات التي يتعرض إليها. ونحن نتفق معه لأنه يذكر الايجابيات بوضوح ويُمَرِّرُ في ذات الوقت بذكاء شرحاً لجذور السلبيات في شخص الرئيس العراقي من خلال كلمات ايجابية . ونحن لا نستطيع الا ان نواجه الرئيس صدام حسين بالسجل الدموي الذي أنجزه أعوانه خلال سنوات حكمه عساه يلقي نظرة عابرة عليه فيراجع نفسه وطريقته في ادارة دفة حكم الشعب. والقائمة التالية غير كاملة ولا تذكر سوى الضحايا الذين شغلوا مراكز حساسة في سلم الحكم من وزراء وأعضاء قيادات حزبية وضباط قادة. ولقد جمعنا الأسماء من كتاب المواطن العراقي حسن العلوي وسألنا عدداً من المطلعين على دخائل الأمور فأقروا بصدق ما ورد لدى حسن العلوي الى حد بعيد. ونحن لم نتبع في تنظيم اللائحة تسلسلاً محدداً :

أُعدم في نيسان/ابريل من عام ١٩٨٠ المفكر محمد باقر الصدر ومعه أخته.

وقتل الحاكم العسكري رشيد مصلح التكريتي الذي اختفى في منزله الرئيس صدام حسين عندما كان مطارداً عام ١٩٦٤ .

وقتل أمين العاصمة مدحت الحاج سري.

وقتل اللواء مصطفى نصرت

واغتيل اللواء حردان التكريتي في الكويت وكان رئيساً للأركان

واغتيل الفريق عبد الرزاق النايف في لندن وهو رئيس وزراء ذات الإنقلاب الذي جاء بصدام حسين على يد سالم أحمد الذي كان يحمل جوازاً بحرانياً ويقضي عقوبته في سجن دورشستر.

وقتل عبد الخالق السامرائي واعدم معه ١٧ عضوا من مجلس قيادة الثورة

وقتل الاستاذ المفكر منيف الرزاز مسموماً وهو المفكر الأهم لحزب البعث بعد ميشيل عفلق. وهو أردني الجنسية.

وقتل فؤاد الركابي مؤسس حزب البعث في العراق ، حيث طُعن بسكين في السجن وترك حتى قضى نحبه بدون اسعاف

وقتل سعدون البرماني ومعه زوجته في حادث سيارة مشكوك به .

وقتل حمودي العزاوي ، المستشار السابق في السفارة الكويتية والذي تولى تنظيم اغتيال حردان التكريتي.

وقتل سليم الزبيق بسم الثاليوم .

واغتيل ناصر الحاني وزير الخارجية العراقي في بيته في بغداد.

وقتل مرتضى الحديثي في السجن وكان وزيرا للخارجية.

وقتل شاذل طاقة مسموما في المغرب وكان وزيرا للخارجية.

واغتيل عبد الكريم الشيخلي الذي لازم الرئيس صدام على مدى عشرين عاما .وقد شغل الشيخلي منصب وزارة الخارجية. (قتل في محطة بغداد بتاريخ ١٩٨٠/٤/٨) .

وقتل في السجن محمد صبري الحديثي ، الوكيل في وزارة الخارجية وسفير العراق في تونس

واغتيل قاسم السماوي ، الوكيل لوزارة الخارجية لأنه تأخر في دعوة السفراء الأجانب المعتمدين في بغداد قبيل الحرب مع ايران

واعدم محمد حسين الشامي ، سفير العراق في الأمارات

واعدم مدلول ناجي ، سفير العراق في الأردن

وأعدم طالب صويلح ، عضو القيادة القطرية في الأردن رميا بالرصاص بتاريخ ١٩٧٩/٨/٨

وأعدم شنقا محمد فاضل ، عضو القيادة القطرية بتاريخ ١٩٧٣/٧/٣

واختفى طه محمود السامرائي ، عضو القيادة القطرية ولم يُعثر له على أثر فيما بعد

وأعدم عدنان الحمداني ، وزير التخطيط بتاريخ ١٩٧٩/٨/٨

وأعدم غانم عبد الجليل ، عضو قيادة الثورة ، وتولى عدة مناصب وزارية.

وأعدم اسماعيل النجار ، عضو قيادة فرع ، واستلم أمور البترول بعد غانم عبد الجليل

واعدم محمد محجوب ، عضو القيادة القطرية ووزير التربية .

وقتل عبد الوهاب كريم ، عضو القيادة القطرية عام ١٩٦٨ .

وقتل حماد شهاب ، وكان وزيراً للدفاع

وأعدم محسن الشعلان ، رئيس اتحاد الفلاحين

وقتل طارق الحمد العبد الله في غرفة نومه ، وكان رئيساً لديوان الرئاسة لدى أحمد حسن البكر وصدام حسين. ثم شغل منصب وزير الصناعات الخفيفة. ويُنسب إليه أنه كان يتجسس على البكر لصالح الرئيس صدام .

وقتل الدبلوماسي وليد الجناني .

وقتل سلام ، ابن احمد حسن البكر في حادث سيارة ، وكان قد كتب رسالة مؤثرة الى والده، يسأله كيف سيواجه وجه الله بعد مشاركته أو سكوته على تلك الممارسات الدموية ويقال ان أحمد حسن البكر قُتل بحقنة من الدواء الذي يستخدمه ضد مرض السكر خشية استنفار كل ما بقي له من علاقات في كادر الدولة والجيش للانتقام.

وقتل مسموماً شفيق الكمالي عضو القيادتين القومية والقطرية بعد الاعتقال لمدة عدة شهور وذلك عام ١٩٨٥.

وأعدم الدكتور رياض ابراهيم حسين عام ١٩٨٥ وكان وزيراً للصحة.

وأعدم الدكتور عبد الله الدانوك عام ١٩٨٩ ، وكان وزيراً للزراعة.

نؤكد على أننا لم نورد هذه القائمة بقصد الإساءة الى شخص الرئيس صدام حسين ، وفي ذات الوقت نحن لا نعتذر عن ايرادها لأنه هو المسؤول عما حدث. ولقد أوردنا هذا السجل بطريقة لا تخلو من شيءٍ من الاستفزازية ليراجع اسلوبه في الحكم. فهل كل هؤلاء الرجال ، وبعضهم كان من اقرب المقربين إليه خونة ، وعملاء ، ومرتشون، ومتآمرون ؟ لقد أكد لنا مطلعون على خفايا الأمور أن معظم المذكورين في القائمة أدلى باعترافات مسجلة بالصوت والصورة في بعض الأحيان. ولقد شاهد الرجل الذي أخبرنا عن ذلك شرائط الفيديو بنفسه. ولكن كيف تم يا ترى التحقيق معهم قبل الإجهاز عليهم بالقسوة التي عُرفت عن النظام؟ وهل كان المحققون على مستوى المسؤولية ام كانوا من مستوى المجرم ناظم كزار الذي ارتقى الى القمة في جهاز الأمن العام حين تمكن من جعل حفنة من المقبوض عليهم بتهمة التآمر يتكلمون عن أشياء حصلت وعن أشياء لم تحصل على الإطلاق وإنما اعترفوا بها استعجالا للموت وتفاديا للمزيد من التعذيب الرهيب ؟ فماذا فعل هذا الوحش ؟ لقد أحضر

تابوتا من الخشب الى غرفة التحقيق " واستدعى من يعتقد أنه كان أصلب معتقل سياسي بين رفاقه ولف الحبل حول رجليه ويديه وجسده وأدخله في التابوت ثم اغلق الغطاء بالمسامير وقطعه من وسطه بالمنشار على مرآى من الموقوفين جميعاً فخرج المعتقلون عارضين تفريغ اعترافاتهم على اجهزة التسجيل بعد ان قاوموا رجال التعذيب لأكثر من ثلاثة اسابيع ."[1]

هذا السجل الدموي لا يقتصر على العراق . وهو ظاهرة اجتماعية سرطانية . لقد قرأنا كما قرأ غيرنا الكثير عن وحشية انظمة الحكم في العالم منذ هابيل وقابيل حتى روبسبيير الى ستالين وهتلر والى مختلف النظم الديكتاتورية في عالم اليوم بما في ذلك في تلك الدول المتحضرة التي تبيع المبادىء وتوزعها على العالم. ونحن لا نريد هنا إدانة هذه الممارسات من الناحية القانونية الجنائية المتعارف عليها في قاعات القضاء لأن مجرد محاولة ذلك نراه جريمة نرتكبها نحن ، ولأن موضوع إدانتها مبتوت فيه ولا يوجد عرف او قانون في العالم والتاريخ الا وأصدر حكمه فيها ، وإنما نريد معالجتها بعيداً عن الدموية والوحشية باحثين في جدواها وصلاحيتها للوصول بالمجتمع الى الأهداف التي يدعي كل طاغية بأنه يسعى إليها.

إننا لو درسنا كل تجارب حكام الارهاب لما وجدنا واحدةً منها أدّت في نهاية الأمر الى الخير. كل تلك النظم انهارت مذمومة ملعونة وزال حكامها بذات الطريقة العنيفة التي مارسوها على شعوبهم الا في حالات نادرة حيث تدرّج الحاكم الطاغية في التراجع عن ممارساته فاتجه الى شيء من الإنسانية والإصلاح وتقبل أصوات النقد ، او في الحالات التي إختطفهم الموت إختطافا قبل ان يقعوا بين براثن ضحاياهم.

في مثال الرئيس صدام حسين نكتشف امرين متلازمين. الأول هو ان ارتكاب اجهزته للأعمال الوحشية يرتبط اما بمحاولات انقلاب عليه او للتخلص من خصم له أضحى له من الشأن والبأس والتنظيمات ما يهدد استمرار بقائه على كرسي الحكم. وفي حالات أخرى كان يتخلص من الزبانية الذين التصق اسمهم بالتعذيب والارهاب كما انتهى إليه الوحش ناظم كزار حيث يقال انه نال جرعة مناسبة من الكأس التي سقى منها ضحاياه .

نحن نميل الى تصديق الحاكم حين يقول بأنه لو لم يفعل بخصومه ما فعل لفعلوا هم به ذلك. ولكن هل هذا هو المقياس والفيصل الصادق في ممارسة عملية حكم الشعوب ؟ الا

[1] – حسن العلوي صفحة ٤٧. في مقابل ما كتبه العلوي يوجد من المسؤولين العراقيين السابقين من ينفي واقعة ناظم كزار. ومن المؤسف أن هؤلاء يحرصون على قرن أحاديثهم معنا بكلمة" Please do not quote me " ولولا خشيتهم من ملاحقة النظام لهم لكان لحديثهم شأن آخر.

تكمن جرثومة الحكم في هذا المنطق بالذات ؟ ترى هل سيكتب لهذا النوع من الحكام ان يكتشفوا ان هذا الطريق هو الطريق المسدود ؟

يبدأ طريق الحاكم بالإنحراف من الاسلوب الإنساني ليصل الى حدود الجريمة لدى إختياره للطريقة التي يتعامل من خلالها مع اصحاب الرأي الآخر الذين يسمون بالمعارضة. فإختلاف الآراء ازليّ ابديّ ولا يمكن تصور مجتمع او جماعة لا يبرز فيها أكثر من رأي . فإذا فتح الحاكم صدره واستمع لما يقترحه مواطنون وطنيون آخرون لعرف طريقة تفكيرهم وجادلهم فيها بدون اللجوء الى كبتهم وبدون الحاجة الى ان تسود الأجواء المقيتة من التربص المتبادل . ولن تضطر المعارضة الى التفكير باستئصال الحاكم بالقوة إن كان طريق الاستبدال المسالم يمكّنهم من التوصل الى دفة الحكم عن طريق الاقتراع . إن استعداد الحاكم للتخلي عن كرسي الحكم بالحسنى هو جواز المرور الذي يُمكّنه من خلال عدم رضا الشعب عن الذي كان قد خلفه للعودة مجددا الى الحكم بعد أن يكون قد اكتسب دروساً وخبرات هامة من خلال تأمله للأخطاء التي ارتكبها هو ، ومن خلال مطالعاته لأخطاء الآخرين الذين حلّوا محله. اما اذا نفد صبر الحاكم بالآراء الأخرى فشرع بمنع رجالات المعارضة من ابداء آرائهم علنا فإنهم ينصرفون الى توزيع المنشورات المناهضة في السر. وان بدأ الحاكم باعتقالهم وبسجنهم فسيختفون تحت الأرض ويشرعون في اعمال المقاومة من هناك . فإذا بدأ الحاكم بعمليات تعذيبهم واعدام بعضهم لانقلبوا الى اساليب الإرهاب . وكلما تصاعدت قوى الضغط لحقت بها قوى الضغط المعاكس لأن العلاقة بينهما ابدية ايضا. فمن المستحيل حبس الماء عن التفجر. واذا خبا صوت المعارضة حتى يكاد ان يضمحل ، يكون الديكتاتور على حافة النهاية لأن الإنقلاب في هذه الحال سوف يتفجر دون سابق إنذار. فالحساسية المفرطة تتكون لدى كل طاغية بالتدريج بحيث يصبح يشتبه بأصغر شاردة أو واردة. وعندما يشتبه بأحد يجزم بأن اشتباهه محق لأنه يعتقد بأنه معصوم . وهو عندما يشتبه لا يحقق وإنما يتصرف دون أخذ او رد. ولذلك فإن الفرد او المجموعة التي ستتولى قلبه لن تُظهر له الا الولاء الظاهري الأعمى ريثما تسنح لها فرصة تنحيته.

تكمن مشكلة الحكام الطغاة في انهم يعتبرون انفسهم وطنيين مخلصين ويعتقدون انهم وحدهم اصحاب الرأي الصائب. إنهم يُصابون بالعمى الفكري بحيث لا يمكن لهم ان يقروا بوجود آراء أخرى يمكن لها ان تكون صائبة ايضاً. فمن هو الإنسان البطل الذي يجرؤ على تقديم اية مشورة في تلك الأجواء المسمومة حيث لا يترعرع سوى المؤامرات وتَربُّصُ الواحدُ بالآخر؟ ومن هذا المنطلق يرون في كل من يحيد عن خطهم خائناً مارقاً يجب استئصاله. بل

يبلغ الأمر في بعض الظروف ان يستأصل الحاكم كل من لا يُسَبِّحُ بحمده هو كبديل عن تسبيح الله. وبذلك تفْسد الأخلاق ويطفو النفاق وتغيب النفوس الشريفة في شيعاب الموت، وتضيع ارادة الشعب في اقبية التعذيب.

كما قلنا قبل قليل لا نستطيع تبرئة حاكم من توفر عنصر كبت المعارضة لديه. ولكن المستويات تتباين وتختلف الى حدود يصبح فيها بعضهم مُجَسِّداً للإنسانية اذا ما قورن بآخرين.

وما يجهله كل طغاة العالم الثالث هو ان قيادات العالم المتقدم تحرص كل الحرص وبطرق كلها التواء على دعمهم هم بالذات . ويستمر دعمهم الى ان يتمكن خليفة لهم من تنحيتهم. وحين يستتب للخليفة الأمر يدعمه المتقدمون ويدفعوه الى طريق الإنحراف ليحقد عليه الشعب . فالقيادات في العالم المتقدم تدعو دول العالم الى ممارسة الديمقراطية ليلا ونهاراً ولكنها تعمل بقوة على منع استتبابها هناك لأنها هي التي تتيح التقدم والنهضة . وهذا ما ليس الغرب بحاجة إليه. إن من ابرز المهمات التي تحرص على استتبابها الدول المتقدمة هو تسميم الأجواء بين حكام العالم الثالث وشعوبهم لحرمانها من النهوض. فتقدم العالم العربي والثالث سيعيق دول الغرب عن ممارسة سياسة الإستغلال.

هذا وان الديمقراطية من اصعب تجارب الحكم. وهي شديدة الحساسية والتعرض للأخطار وخاصة حين تتربص لها اقوى دول العالم فتستخدم الأساليب الديمقراطية بذاتها وتمول المأجورين من ضعاف النفوس لجعل الحاكم الديمقراطي يعيش في جحيم مستمر فتعم الفوضى وتسيطر الديكتاتورية من جديد. وحينئذ تعود ديمقراطيات الغرب الى الاسترخاء وتتعامل مع الديكتاتور بهدوء. ان الديمقراطية تحتاج الى صبر ايوب لكي تنجو من المؤامرات التي ستتعرض لها والتي تهدف الى إجهاضها. ومن أول المسلمات لنجاحها المصالحة بين الحكام والشعوب لأن الحقد مفتاح الخراب.

* * *

حين ننتقل الي معالجة عامة لأزمة الخليج نطرح افكاراً عدة ليست مترابطة تماما ولا متسلسلة ولكنها جميعا تلازم الموضوع وتلاصقه . وننطلق من اننا حين قررنا كتابة هذا الكتاب اكتشفنا اننا لا نستطيع الإنطلاق من الفكرة التي تقول بأن على المرء ان يتخذ موقفا واضحا يلتزم به . فإما هو مع العراق دون قيد او شرط واما مع الكويت. فاتخاذ اي باحث

لمثل هذا الموقف الذي يوصف عادة بالأبيض والاسود هو عمل مهزوز يعبر عن خلل فكري لا يجوز لمن يريد الاقتراب من الموضوعية ان يقع في مغباته. هذا وان منطق الاسود والأبيض سوف يدفع الكاتب بالضرورة الى الدفاع عن السلطة التي يراها على حق فيغض الطرف عن أخطائها ليبرر كل افعالها منتحلاً لتجاوزاتها الأعذار . وسوف يشجب هذا الكاتب ويُدين الطرف الآخر مهما كان على حق او على شيء من الحق . ولذلك لا نستطيع إتهام العراق بارتكاب كل التجاوزات والإعتداءات وتبرئة الكويت كليا على انها الحمل الوديع و الضحية . فهي متورطة حتما و لو على شكل آخر يخالف ما ارتكبه العراق من عدوان لا شك فيه.

نلاحظ مبدئيا وظاهرياً ان أزمة الخليج كانت نتيجة للخلاف بين العراق من جهة وبين الكويت والإمارات من جهة أخرى مع العلم بأن الإمارات تعرضت للهجمات الإعلامية العراقية بأبعاد أقل بكثير مما حدث مع الكويت . ولم تكن المملكة العربية السعودية طرفا في النزاع . ونلاحظ ايضا كيف تطور الخلاف الأصلي إعلاميا وتفاقم الى ان احتل العراق الكويت . وفي الوقت بين الخلاف والغزو لم نجد في أي مرجع وقع عليه نظرنا أي كلمة "نصح " من الولايات المتحدة الى دولتي الخليج تدعوهما أو تحثهما على سلوك طريق التفاهم او التفاوض . وفي ذات الوقت لم تدعم واشنطن الكويت والإمارات بحزم ووضوح بحيث يرتدع الرئيس العراقي فلا يقدم على مغامرته. بل ان واشنطن كانت تلمس وترصد الأذى الذي يسببه الضخ الاضافي على الإقتصاد العراقي دون أن تحاول التأثير على الدولتين طالبة منهما ايقاف التجاوزات إنما صمتت كالإسفنكس (أبو الهول) مما يوكد في رأينا أن زيادات الضخ ما كانت لتحصل لولا الدفع الأميركي في هذا الاتجاه .واذا قيل لنا أن الولايات المتحدة ارسلت الى الإمارات طائرتين لتزويد الطائرات بالوقود أثناء تحليقها في الجو وفرقاطتين الى الخليج لأجبنا بأنها اضطرت لهذا التصرف اضطراراً ملزماً " لتؤكد " لحكام الدولتين استعدادها للدفاع عنهما فيما لو هجم العراق . ولو لم ترسل واشنطن هاتين "البعوضتين " بالمقارنة لما كان يقتضيه الموقف لإنجاز مثل تلك المهمة لما اطمأن حكام الخليج ولأبدوا استعداداً وميلاً للتفاهم مع العراق . وقد حرصت واشنطن على تقليل القوى المرسلة الى حد أدنى بحيث لا يبلغ حجمها ما يؤثر على نية العراق على غزو الكويت فيرجع عن نيته المبيتة. ولم يساور العراق شك في "قوة " الضوء الأخضر الذي ابدته واشنطن تجاه بغداد . وحتى لو اعترض مسؤول عراقي معلقاً على ارسال واشنطن لتلك القوة الهزيلة سائلاً: "كيف تعطونا الضوء الأخضر وترسلون في ذات الوقت قوات لمجابهتنا تقف الى جانب الكويت ؟ " كانت

أميركا في رأينا تجيب: " لو كنا نريد زجركم لما ارسلنا هذا الكمّ الهزيل إنما كنا ارسلنا الاساطيل ! ولو لم نتعاطف معكم لكنا ارسلنا التهديد الواضح قائلين بأن أي إعتداء على الكويت هو بمثابة إعتداء على الولايات المتحدة .ولكننا مضطرون لإرسال تلك القوة الرمزية لاشعار الكويت والإمارات بأننا نقف معها . وهذا النوع من التهديدات ليس بجديد في السياسة الأميركية. وآخر مثال عن ذلك كان حين اعلنت الحكومة الأميركية بتاريخ ١٩٩٤/٢/٢٨ تجاه الكروات في يوغوسلافيا بوجوب التفاهم مع مسلمي البوسنة لتشكيل دولة فيدرالية وهددت الطرفين: اما تفاهم واما فرض عقوبات على الفريقين. وبتاريخ ١٩٩٣/١١/٢٧ اعلن كلينتون امام العالم بأن اي إعتداء من كوريا الشمالية على الجنوبية سيعتبر إعتداء على الولايات المتحدة . وسبق ان هدد كلينتون بتاريخ ١٩٩٣/٣/١ القوات الصربية بغارات جوية عليها ان غامرت بضرب المسلمين الألبان في كوزوفو . وبتاريخ ١٩٩٠/٩/٢١ هدد الرئيس بوش العراق بعواقب وخيمة اذا دعم الارهاب . فلماذا لم يستبق بوش كل الأزمة بتهديد العراق بعواقب وخيمة ان احتل الكويت ؟ ولقد حصلت كل هذه التهديدات التي اوردناها كأمثلة بالرغم من عدم وجود احلاف او اتفاقيات دفاع مع من يُراد حمايتهم. وبالفعل لم تهاجم كوريا الشمالية الجنوبية ، ولم يهاجم الصرب مسلمي كوزوفو . اذن فالحجة الأميركية في عدم وجود حلف دفاعي مع الكويت باطلة وهم يستخدمونها عشوائياً كما يريدون . وان واشنطن لم تعلن عن عدم وجود الحلف الدفاعي مع الكويت الا لكي توثق ايحاءها للقيادة العراقية بأن احتلالها للكويت امر موضوع في الحسبان ومقبول .

- لا يجوز الشك في ان العراق خطط لخيار غزو الكويت منذ وقت طويل . فالذي حصل يوم الاجتياح اكثر صعوبة من ان يمكن إنجازه بين ليلة وضحاها إنما يتطلب تخطيطا مكثفاً من قبل الدولة الغازية بالإضافة الى تخطيط سلبيّ من قبل الدولة التي خططت للمؤامرة بحيث فُرضَ على الدولة التي ستُهاجم ألا تقوم بأي اجراء دفاعي حقيقي لكي يسهل على المهاجم بلوغ اربه على اسهل وجه يبرره المنطق . ويتوارد الى ذهننا إذ نذكر هذه النقطة كتاب لفؤاد الركابي اسمه " الحل الأوحد " يتحدث عن تفاصيل محاولة اغتيال الرئيس العراقي السابق عبد الكريم قاسم حيث شارك في تنفيذها الرئيس صدام حسين وكان إذاك نصيراً لحزب البعث. فمعظم هذا الكتاب يدور حول تخمر فكرة الاغتيال ثم التحضير الميداني لها ثم المعاناة من الطوارىء المختلفة التي كانت تظهر لتعيق عملية التنفيذ . ويصف الركابي توتر الأعصاب الشديد الذي تملك المتآمرين لمدة اسابيع عدة قبل وأثناء العملية . فإن كانت عملية فردية

تحتاج الى كل هذا التخطيط ، وان كانت بعد كل التحضير قد فشلت فهل يمكن لعملية احتلال دولة بكاملها ان تُنجز بدون تخطيط طويل الأمد؟

– وهذا يثبت بالتالي لمن يريد المنطق بأن الرئيس صدام لم يكن يستهدف إسرائيل . فلو كان يستهدفها لانقض عليها بكل ما يتوفر لديه منذ البدء . ولو قام بذلك لسارت وراءه الجماهير العربية بإندفاع وحماس يتخطى كل الرؤى لدى القيادات هناك . ولو فعل ذلك لتمكن من استخدام الهجوم الإسرائيلي الغادر على المفاعل النووي ذريعة لهجومه . ولكن لماذا نلجأ الى استخدام هذه القرينة لنفي عزمه على مهاجمة إسرائيل ؟ ألم يؤكد بنفسه في خطاب ١٩٩٠/٤/٢ الشهير بأنه لن يهجم على إسرائيل الا اذا بدأت هي بالعدوان ؟ وبالرغم من قناعتنا هذه لا نريد الايحاء ولا الايماء بأننا نشكك في وطنية الرئيس صدام . فهو في رأينا كان يرى امكان انزال الهزيمة بإسرائيل في مرحلة مقبلة اذا تمكن من تقوية مركزه في الخليج فيؤثر على عصب البترول ، وفي ذات الوقت يتابع النهضة العلمية الصناعية في العراق قافزاً به عن الخطوط الحمر التي لا تريد له واشنطن ولا الدول الصناعية المتقدمة الأخرى ان يتجاوزها .

– نعود بنظرنا الى الآراء والى وجهات نظر دول العالم في مجلس الأمن وفي الأمم المتحدة حول غزو العراق للكويت ونتدارس ما دار منها في داخل قاعات الأمم المتحدة او ما اذاعته حكومات معظم دول العالم مباشرة لنجد ان كل هؤلاء اكتشف فجأة بأنه لا يجوز مكافأة المعتدي وإنما يجب انزال اقصى العقوبات به . واكتشف هؤلاء ايضا بأنه لا يجوز للقوة بأن تسيطر على مسار العلاقات الدولية. ولقد ندبت الأكثرية الساحقة من تلك الدول القيم الإنسانية والأخلاقية التي يدوسها العراق . وتباكت على مبادىء العدل والقانون التي يُستهتر بها . وتذكرت فجأة كل تعاليم التسامح والمسالمة التي ورد ذكرها في مختلف الأديان السماوية وفي الاتفاقات الدولية منذ اقدم العصور الى مؤتمر باندونغ حتى اليوم . بل ان ممثل زائير تساءل في جلسة مجلس الأمن التي اصدرت القرار ٦٧٨ قائلاً : " هل تستطيع دولة كانت هي مستعمرةً ارتكاب اعمال مثل التي كانت تعاني منها ؟ " اننا لا نعترض على هذا التساؤل من ناحية المبدأ ولكن شريطة ان يكون ساري المفعول على الجميع وليس على العراق وحده . ولذلك نحن نتهم كل هؤلاء بالازدواجية في التقييم بل وبقبض الأثمان الباهظة لقاء اتخاذهم تلك المواقف المخزية . ونحن نسألهم كما نسأل ممثل زائير عن صوته وعن موقفه من

المذابح التي حصلت وما زالت تحصل في ارجاء العالم قبل وبعد إعتداء العراق على الكويت . وفي اي جحرٍ إختبأ كل هؤلاء يا ترى حين داست الولايات المتحدة على كل القيم والقوانين باعتدائها على بنما وعلى غرانادا وعلى ليبريا خلال قرابة عام واحد ؟ ونتساءل : ترى هل يدرك قادة العرب وقادة العالم الثالث ان الدفاع عن القيم الإنسانية لا يكتشفه الكبار الا لاستخدامه وسيلة لسحق الصغار وان القوى الكبرى تتعامى عن كل التجاوزات ان لم تكن لها مصلحة في ملاحقة فاعليها ؟ وهل يعتبرون فيُصلحون أبيضهم ام يستمرون في مسيرتهم الى النهاية السوداء التي يُراد لهم ان يسيروا إليها ؟

-كل دول العالم الممثلة في الأمم المتحدة وفي خارجها ، الصديق منها والخصم والعدو اجمع على مطالبة العراق بالإنسحاب لتفادي الكارثة . ولقد كثرت الرسائل التي تناشد الرئيس صدام ان ينسحب . ونختار منها على سبيل المثال لا الحصر كلمة للعاهل المغربي الحسن الثاني التي وجهها الى العراق بتاريخ١٢/١١/١٩٩٠ ولكننا نستبقها بجملة واحدة من خطابه قبل ذلك بيوم واحد حيث دعا الى عقد مؤتمر قمة عربية استثنائية فقال: " انـي اتوجه الى الملوك والرؤساء والأمراء ليتوجهوا هم بدورهم الى شعوبهم . فما هو اذن المنتظر ؟ ان المنتظر .. هو ان نعطي للسلم وللتعقل فرصة أخرى وأخيرة . لنجتمع في مؤتمر قمة على اساس ما قرره المجتمع الدولي ، فلا يمكن للعراق بأي حال من الأحوال – والتاريخ البعيد والقريب شاهد على ذلك – ان يشطب بجرة قلم على الدولة الكويتية ليجعلها اقليما من اقاليمه ، ولا يمكن كذلك ان يصبح الشعب الكويتي بين عشية وضحاها فاقدا هويته ليصبح بذاته وجوارحه وتفكيره ومواطنته ووطنيته عراقياً ، فهذا مستحيل سواء سلالياً او عقلياً او عدلاً او واقعياً . "

ثم ننتقل الى نص المناشدة حيث يقول العاهل المغربي مخاطباً الرئيس صدام:

" فهداك الله أخرج من هذه الورطة من الباب الواسع ومن باب الشرف ، ها انت قد ربطت بين المشكل وبين مصير القضية العربية الإسرائيلية ويكفيك ان الضمير العالمي قد استيقظ ويكفيك انه حتى الذين كانوا لا يقبلون بالمؤتمر الدولي يقولون به اليوم صباح مساء .

اما اذا انت ربطت زمنياً يا أخي صدام خروجك من الكويت بحل المشكلة العربية الإسرائيلية فستكون قد قبرتها الى ما لا نهاية له . اطلب منا جميعاً ، اطلب من اصدقائك وخصومك ، اطلب من النصارى ومن المسلمين ومن اليهود ، اطلب من جميع الأجناس في جميع القارات اطلب منهم التزاماً ادبياً التزام فضيلة ، كلمة شرف ..ميثاق شرف ، انه بمجرد ما يشرع في حل قضية العراق والكويت سيشرع في نظر قضية العرب وإسرائيل ، لا بد ان

يكون بينهما الارتباط الأدبي والمعنوي .. ارتباط الفضيلة وارتباط المساواة . لماذا تجند مجلس الأمن في ظرف ١٥ يوماً في قضية الكويت والعراق ولماذا ظل الرأي العام العالمي نائماً منذ ٤٠ سنة على جميع المقررات التي هي في صالح الفلسطينيين والأمة العربية ؟ فأرجوك أرجوك يا أخي صدام أرجوك ألا تربط هذه بتلك زمنياً فيكفيك وقد نجحت في هذا انك ربطت بينهما خلقياً ومعنوياً ومنهجياً ووفرْ علينا كارثة الحرب واترك أولادنا يلعبون كل صباح ويرضعون كإخوانهم في العالم ."

ان هذه الرسالة واحدة من العديد الذي وُجه الى الرئيس صدام . وان ننسى لا ننسى كلمة من رئيس تحرير مجلة الوطن العربي التي تصدر من باريس والتي كانت مدعومة ومحسوبة كليةً على العراق حيث قال ما معناه :" ان فضلك علينا كبير ، وان لحم اكتافنا من فضل العراق .. ولكن الموقف يدعوك الى الاستجابة والإنسحاب من اجل انقاذ إنجازاتك في العراق الحبيب .. "

وفي اجتماع جنيف اعلم بيكر زميله طارق عزيز بعزم واشنطن على سحب الدبلوماسيين الأميركيين في١٩٩١/١/١٢ مما يُعتبر قرينة تكاد لا تقبل الجدل على حتمية قيام الحرب . فلماذا لم يستجب العراق وينسحب ؟ وهل بقي لدى بغداد اية مؤشرات دفعتها الى التفاؤل فتقرر عدم الإنسحاب ؟

وينقل البزاز عن لسان الرئيس صدام قوله العاتب لميشيل فوزيل بتاريخ ١٩٩١/١/٥ : " ان الأميركان ولحد الآن يجرون معنا صلات اكثر من الفرنسيين ." فما هي ماهية الاتصالات مع بغداد ؟ ولماذا كُتب لها الفشل ؟ ويقول البزاز ومعه مؤلفون آخرون كثيرون ان العراق قرر الإستسلام للتحدي بعد ان ادرك ان الولايات المتحدة قررت الحرب مهما فعل العراق ، إن انسحب او لم ينسحب ! ولكن متى تبلورت هذه القناعة المحبطة لدى بغداد ؟ ولماذا لم تتصرف من ذلك المنطلق مضحيةً بقليل او كثير لئلا تأخذ ابعاد الدمار الحد الذي شاهدناه بعد حصول المجزرة ؟ اننا لا نستطيع الإنسجام مطلقا مع كل من يتهجم على الرئيس صدام حسين واصفاً اياه بالخيانة ولكننا نحس بضرورة طرح التساؤل الذي قاله جلال كشك توخيًا للإلمام بالموضوع من معظم جوانبه ولأننا نشارك جلال كشك في بعض لومه حين يكتب : " .. ثم ان الأمم تقاتل معارك خاسرة اذا فرضت عليها وفشلت كل محاولاتها لتجنبها ولكن ما من قائد وطني يقود امته عن سبق اصرار وتصميم لمعركة ليس فيها ذرة من احتمال للنصر .. .. ثم ان ما حدث هو عين ما يزعمون انه حاول تجنبه . فقد رفض قبل الحرب ان يستجيب للأمم المتحدة ونداءات الملوك والرؤساء العرب .. ولكنه بعد الحرب

انصاع لبوش ولقادة القوات الأجنبية في العراق .. فأيهما اكبر مذلة ؟ ... واذا قبلنا تفسير انه لم يصدق انهم سيحاربون .. فوقع في الفخ . فلماذا بعد ان وقع الضرب فعلاً .. لماذا استمر يرفض التسليم ويرفض كل عروض الوسطاء الى ان نفذ بوش هدفه كاملاً فإذا به يقبل كل الشروط السابقة واللاحقة . " [٢]

ان عدم استجابة العراق بعناد واصرار لنداءات كل العالم لأن ينسحب لا يمكن ان يكون الا نتيجة لتأكيدات وتطمينات تم تسريبها إليه حتى آخر لحظة . فبعد انقضاء فترة الإنذار في ١٩٩١/١/١٥ احتفلت بغداد مساء ١٩٩١/١/١٦ بعدم وقوع الحرب وأشعلت كل الأنوار المتوفرة وبدت في أجمل حللها ، وصلى بعض الناس صلاة الشكر بينما طلع وزير الإعلام العراقي لطيف نصيف الجاسم في أجهزة الإعلام ساخراً ومتحدياً القوات " "الرعديدة " التي لم تتجرأ على الاصطدام بالعراق . وبعد ساعات قليلة سقطت على بغداد وعلى كل العراق نار جهنم .. وسقط ايضاً بعض الطيارين الأميركيين اسرى في يد العراق فلم يتجرأ هذا الوزير الشجاع على أكلهم أحياء كما كان يُعلن قبل الحرب مما مكّن الإعلام الأميركي من ابراز كل العراقيين وكأنهم من أكلة لحوم البشر . وربما وصله في اللحظة المناسبة التهديد والتحذير بالطريقة التي يفهمها فتناسى كل كلمات العنف والتزم الهدوء .

– يقول الرسميون العراقيون بأن كل الأزمة والحرب كانت مؤامرة على العراق . ونحن متفقون معهم في ذلك ولكننا نعلق بالقول بأن هذا الإنطباع لم يتبلور بعد حلول الكارثة وإنما منذ الإنقلاب الجذري والمفاجيء في ردود الفعل الأميركية على عملية الاجتياح . فلماذا استمر العراق في اتباع خط المواجهة الخاسر ، ولماذا لم يغتنم العديد من الفرص التي سنحت فيملص من الفخ ؟ لا شك في انه كان سيدفع ثمناً ، ولكن هذا الثمن لم يكن ليبلغ تلك الأبعاد التي حصلت فيما بعد . ونعود بالضرورة مجدداً الى اعتماد العراق على قوته التي اراد بواسطتها ان يجعل من المعركة أماً للمعارك . فهل اطلقت القيادة العراقية هذا الوهم فصارت ضحية له ؟ وهل كانت تأمل حقاً ان تحظى بفرصة للانتصار ؟ وهل راجعت هذه القيادة ملفات حربها مع ايران لتستنتج ان الأعوام الثمانية من الحرب لم تمكنها من النصر على دولة محلية من العالم الثالث تماثلها في اعتمادها المصيري على استيراد السلاح ؟ وهل وضعت في الاعتبار انه لولا الدعم متعدد الجوانب والأوجه من القوى العالمية ومن قادة دول الخليج التي زودت الطرفين بالسلاح لكان لايران في الحرب شأن آخر ؟ فكيف توقعت القيادة احراز النصر على اسياد العالم في صناعة السلاح وفي أبيض أخرى لا حصر لها ؟

---

[٢] – كشك صفحة ٤٥٩–٤٦٠

– لاحظنا منذ احتلال الكويت كما لاحظ غيرنا تحولاً في تصرفات الرئيس صدام اليومية اذ اصبح يحرص على ابراز صوره وهو يصلي ، وصار يوقع بعض رسائله بتعبير :" صدام حسين المؤمن " كما رأينا في رسالته التي وجهها الى الرئيسين بوش وغورباتشوف. وهذا لا يتفق مع سلوكه الشخصي من قبل. وفي الكتاب الذي كرّسه الدكتور الماركسي المصري أمير اسكندر لوصف العناصر المضيئة في حياة الرئيس صدام حسين، والذي تم نشره على أفضل صورة بموازنة مالية عراقية، تباهى المؤلف بأن الرئيس العراقي يمثل العلمانية خير تمثيل. وهناك أحاديث علنية للرئيس العراقي في ندوات للقضاة العراقيين تثبت عدم التزامه بالقيم الاسلامية ذاك الالتزام المقنع او الذي يتناسب مع محاولة تثبيت نسبه الى الهاشميين.[٣]

لا شك في ان الإنقلاب نحو التدين المعتدل يشكل انحرافا نحو الأسمى . ولكننا في هذا الصدد نأخذ الرئيس صدام بكلمته التي قالها امام بعثة التلفزيون الألمانية التي أجرت معه حديثاً مطولاً بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٠ . فلما وجه المراسل إليه السؤال : " ألا تعتبرون ان الاصرار العراقي يُعتبر انتحاراً ؟ " اجاب صدام : " لا . . نحن مسلمون لا نؤمن بالإنتحار.. لأننا نؤمن بأن اللـه وحده سبحانه وتعالى هو الذي يلعب الدور في وفاتنا ولا يجوز ان يُنهي الإنسان حياته لأننا نعتبره في عمله هذا إنما يقتل نفساً عمداً.." فلماذا سلك اذن طريق الحرب التي كانت في عرف كل من أمسك بالقلم وجَمَعَ الواحدَ الى الواحدِ ليحصل على اثنين، انتحاراً صرفاً ؟

– لا نريد العودة الى التأكيد على أن نظام الرئيس صدام حسين قمعيّ عنيف. ولكن ما يثير انتباهنا واستغرابنا هو ترافق المظاهر القمعية للنظام مع عناصر ديمقراطية جداً في حديثه وفي حواراته مع سياسيين آخرين بل وفي عروضه على واشنطن بتنفيذ رغباتها التموينية بالبترول. ولكننا نختار في هذا المكان جملاً من حديثه مع المستشار الألماني فيلي براندت ومع الرئيس البريطاني السابق لنستخلص منها تساؤلات عن الطريقة التي تتضح حسبها

---

[٣] – انظر ابراهيم نافع ٦٩ – ٨٦. وحسن العلوي "دولة الاستعارة " صفحة ٧٣ – ٧٦ حيث يكتب:" إن علمانية صدام حسين صدام حسين تستمد أصولها أولاً من المشروع القومي العربي الذي أرسى أسسه ساطع الحصري، ومن كتابات ميشيل عفلق التغريبية [المقصود التي تدعو للحاق بالأساليب الغربية] فيمتزج الحصري وعفلق مع رغبة صدام حسين الشخصية في رؤية الاسلام خارج الحياة ورؤية المجتمع العراقي داخل المشروع التغريبي."

قرارات الرئيس صدام حسين. فتجاه المستشار الألماني قال ما نقتبسه من الصفحة الخامسة من البروتوكول لجلسة صباح الأربعاء الواقع في ٧/١١/١٩٩٠ :

"نحن من الذين يؤمنون، أو هكذا نعود أنفسنا أن نؤمن، أن الصواب ليس محصوراً في عقل واحد. فلكي يهتدى الى الحقيقة التي تقدم خدمة أعلى للإنسانية ينبغي أن تكون أرقى العقول وأكثرها خبرة، منفتحة على العقول الأخرى بما فيها العقول الأقل خبرة. وعلى هذا الأساس عندما طرحنا مبادرة ٨/١٢ لم نكن قد توقعنا أن يتطابق العالم معنا من أول لحظة في كل التفاصيل."

أما حديثه مع السيد هيث فنقتبس من الصفحة ٢١ من محضر جلسة قبل ظهر الأحد الواقع في ٢١/١٠/١٩٩٠ القول التالي:

" ونحن نعرف أن تسوية قضية فلسطين .. لا تعني بالضرورة أن يحصل كل طرف على كل ما يتمنى.. ولكن الذي يتصرف بمرونة تجاه قضية (س) ممكن أن يحصل على مكسب في قضية (ص)".

إننا لا نستطيع التوفيق بين هذا المضمون الديمقراطي الرائع وبين السياسة التي نفذها العراق تجاه حملة الرأي الآخر من المواطنين العراقيين الذين تواروا تحت الثرى لمجرد تبنيهم لآراء أخرى. فما هي الحقيقة الكامنة وراء شخصية الرئيس؟

– نعرج مرة أخرى على تصريح الأمير سلطان بتاريخ ٢١/١٠/١٩٩٠ الذي ذكرنا الفقرة الحساسة منه في مكان سابق من الكتاب لنجد انه شمل عرضا رائعاً وبسط أرضيةَ التراجع مع حفظ ماء الوجه امام بغداد . فتحدث عن " العراق الشقيق " وتحدث عن " حق اي عربي بأخذ حقه من أخيه العربي " بل نادى الى تنازلات بين العرب حتى وإن لم تكن حقاً ثابتاً ، ثم وصل الى بيت القصيد بما معناه ان لا حرج على الكويت لو منحت العراق اموالاً وتنازلت له عن المساحات التي يحتاجها من اجل المدخل على البحر . فإذا بالسياسة الأميركية تنسف مبادرة الأمير الذكية الرائعة نسفاً قبل ان تفعل اي مفعول . ولكن علينا ان نتساءل ايضاً: هل أمسك العراق" بإطار النجاة " بالكيفية الواجبة ؟ ألم يكن من الضروري قلب الدنيا إعلاميا والقيام بالاتصالات مع كل طرف مؤثر في الوطن العربي وفي خارجه لبعث الحياة في هذه المبادرة ؟

– لو تفحصنا بعمق وبحذر علمي المقولات الأميركية خلال الاسابيع الأخيرة التي سبقت الغزو العراقي وقارناها مع كل كلمة اطلقها الرئيس بوش او اي مسؤول أميركي بعد إنجاز الاحتلال لوجدنا تناقضا واضحا وضوح الشمس . فالمقولات الأولى قبل الغزو والتي تعترف الولايات المتحدة بتبادلها مع العراق فيها الود والرغبة في توثيق العلاقات . وفيها على سبيل

المثال رجاء رسمي الى العراق الا يغضب من تقرير لجنة حقوق الإنسان مؤكدةً ان هذه الإدانة حصلت بدون ارادة الرئيس بوش . ولكن ما ان تم الغزو حتى استأسد الرئيس الأميركي واعوانه وتغيرت لهجة تخاطبهم مع العراق ومع الأزمة قاطعةً كل جسور الحوار . ولكن الوضع الطبيعي لتصرفات الرجل الذي يحتل المركز الأول في العالم مثل الرئيس بوش تجاه " مذنب " او " شقي " من قادة العالم الثالث هو في توجيه كلمات هادئة ومتزنة تستفسر منه عما دفعه لارتكاب الذنب وتطلب منه العودة عن خطئه مع اعطائه الوعد بتحري الأسباب الموجبة التي يشكو منها بدلا من ان يفتعل الإنفعال والغضب فيبتر كل خيوط الحوار والتفاهم دفعة واحدة . ونحن نرى في غياب همزة الوصل المنطقية بين احتلال العراق للكويت وبين رد الفعل الأميركي دليلاً قاطعاً يثبت لكل ذي منطق سليم بأن الهدف الاساسي والمخطط له سلفاً في واشنطن هو سد طريق الرجعة على الرئيس صدام لضمان اندلاع الحرب . ويذكرنا الموقف الأميركي مع العراق بموقف الرئيس جون ف. كندي تجاه الاتحاد السوفياتي أثناء الأزمة الكوبية . فلقد هدد الرئيس كندي بالحرب النووية ولكنه ترك لرئيس الاتحاد السوفياتي خروشتشوف شقا يسمح له بالإنسحاب دون خسارة كل ماء الوجه . فانسحب السوفيات من قواعدهم في كوبا متفادين حربا سيخسرونها ان ربحوا وان خسروا . ولقد وثّق الرئيس كندي سرّ هذه الخطوة حين قال :" ان الحكمة الذهبية في علاج الأزمات هي ان يترك كل طرف لخصمه سبيلاً الى التراجع بكرامة وكبرياء ". وفي الحقيقة لو ان كنيدي لم يترك شق الباب مفتوحا ليتسلل الاتحاد السوفياتي بهدوء مختاراً التراجع الذي لا يخلو من قسط من مذلة ، لانفجر الوضع ولآل الأمر بين المعسكرين الى نتائج تكاد تدمر الجنس البشري على هذه الأرض . وهذا الشق في باب الأزمة الكويتية العراقية هو الذي احكمت ايصاده القيادة الأميركية على الفور وبكل استفزاز لكي تقوم الحرب .

كل مطلع على مقدار معقول من الثقافة العامة يعرف انه لو احيط عقرب بحلقة من النار لبَحَثَ عن ثغرة في الحلقة الملتهبة لينجو من الموت . وحين يتملكه اليأس ويفقد الأمل بالنجاة يلدغ نفسه بنفسه وينتحر . وهذا هو تقريبا ما خططته السياسة الأميركية للعراق مع فارق مميز اساسي : فالعراق لم ينجز مجرد انتحارٍ إنما انتظر الهجوم ليدافع عن نفسه على أمل أن ينزل اكبر قدر من الخسائر بالعدو . ولو انتحر قبل اندلاع الحرب لحزنت عليه واشنطن لأن انتحاره كان سيزيل السبب الموجب الذي سوف يبرر استهلاك الكميات الرهيبة من السلاح الهالك القديم على حساب عرب البترول .

– نوجه الى الرئيس العراقي اللوم من خلال التساؤل التالي : هل تصرف مع المواطنين الكويتيين بشكل يتناسب ويتوافق مع رغبته في جعلها محافظة تتكامل مع باقي العراق ؟ طبعاً لا وحتماً لا . ولو كان قد سعى الى الهدف الوحدوي لما عاثت فيها قواته فساداً بالشكل الذي حصل ولما كتم انفاس الكويتيين بشكل مؤلم . صحيح أن المحاكم العراقية أعدمت بعض أفراد الجيش العراقي الذين اقترفوا التجاوزات . ولكن هل اقتصرت التجاوزات على الأفراد المستضعفين الذين عوقبوا أم اشترك فيها مواطنون عراقيون أرفع شأناً من أن تكون قد طالتهم يد العدالة ؟ وصحيح أن عمليات النهب والسلب والإعتداء لم تقتصر على العراقيين إنما شارك فيها اعداد كبيرة ممن كانوا يسمون "اجانب "بل وشارك فيها أيضاً مواطنون من الكويت نفسها . ولكن فترة حكم العراقيين في الكويت إتصفت بالقسوة وبالعدوانية ، ولن يذكرها الكويتيون بالخير . ولم يعامل العراقيون الكويتيين معاملة الإخوة .

يميل العراقيون بالطبع إلى نفي هذه التجاوزات ولكن نظرة متفحصة إلى الوثائق المصورة التي صدرت عن دور النشر الكويتية والتي لا نريد الخوض في تفاصيلها تثبت الاساءات الحكومية العراقية ومنها إخلاء المستودعات الضخمة والعنابر الكبيرة من موجوداتها ، ونقل الودائع من المصارف وكل احتياطي الذهب إلى بغداد . كل ذلك لم يكن ليشعر الكويتيين بأنهم إخوة إنما مجرد ضحايا. ونختار من اعمال العدوان العراقي في الكويت عملية حرق الآبار لنمنحه قسطاً من الاهتمام متسائلين : لماذا احرق العراقيون النفط ولمصلحة من حصل ذلك ؟ . ولو تتبعنا آثار المستفيدين من حرق البترول لاكتشفنا أن الأميركيين هم المستفيد الاكبر. فحرق الآبار رفع من اسعار البترول عالمياً لصالح الشركات الأميركية الكبرى . وعمليات اطفائها ادت الى ثراء الشركة الأميركية " رد أدير " التي تعهدت ذلك .. وتباطأت في إنجاز عمليات الإطفاء لتستحلب أكبر مبالغ ممكنة من الكويت . ولو لم تثر حفيظة الناس في الكويت وفي الدول الأخرى التي حاولت شركات منها الحصول على تعهدات لإطفاء الآبار بأسعار منخفضة جداً لطال زمن إطفائها ولتوقف وصول النفط الكويتي الى السوق العالمية زمناً اطول بكثير .

لقد تضررت الكويت وكل المنطقة من السموم المنتشرة من حرق الآبار وتضررت من ضياع ثروة بترولية ثمينة حُرم منها المواطن الكويتي . فهل هذه هي الأهداف التي من أجلها أحرق العراق الآبار ؟ وهل يمكن للعراق أن يكون هدف من حرق الآبار خدمة الشركات الأميركية ؟ أم هل أراد مجرد الإنتقام من العائلة الحاكمة في الكويت ؟ ..أم هل ظن العراق أن إبعاد البترول الكويتي عن السوق العالمية سوف يؤدي إلى شح في أسواق الطلب

مما يضطر الدول المحتاجة للنفط إلى التفاهم مع العراق خلال وقت قصير فينكسر طوق الحصار المضروب عليه ؟ ..وإن كان ثمة أسباب أخرى اكثر وجاهة مما ذكرنا فإننا لم نتوصل إليها من خلال الإختراق الفكري للأحداث . والعراق استنكف عن اجابة أسئلتنا التي طرحناها على القادة العراقية بشكل رسمي وموثق .

– لو كانت القيادة العراقية صادقةً مع نفسها في أن الغزو كان من أجل إبعاد من تصفهم " بالحكام الفاسدين " لكان عليها اجلاءهم عن البلد ثم تسليم السلطة إلى المواطنين الكويتيين ثم الإنسحاب والعودة الى داخل حدودها. لكنها لم تفعل ذلك لأن هدفها كان شيئاً آخر ولأن عناصر المعارضة التي قامرت على التعاون معها لم تتجاوب إنما خذلتها لأنها لم تر في الحكم العراقي للكويت الحكم البديل الأفضل إنما فضلوا حكم شيوخهم السابقين على الاضطهاد العراقي الذي حصل. أفلم تحاول القيادة العراقية إقناع المواطن الكويتي المنتظم في حزب البعث فيصل الصانع بتشكيل حكومة ولما اعتذر ضغطت عليه ولما أصر على الإعتذار صار في عداد المفقودين؟ فالوحدة التي يقول العراق أنه سعى إليها هي في الأصل شعور ومطلب وطني يتغذى من هنيء العيش الذي لو رآه الكويتيون مستتباً في العراق لحنّوا إليه. إن العراق لم يتمكن في ان يكون القدوة التي تجتذب إليه الجماهير العربية. فالمواطن العراقي كان مكبوتاً يعيش في اجواء قهرٍ مما لم يكن ليشجع أي كويتي على الإنضواء تحت حكم العراق . قد يوافق المرء على أن تجاوزَ التَخلّفِ لن ينجّزه شعبٌ من العالم الثالث بدون قسطٍ من الضغط والكبت والتحمل . ولكن لهذا الشرط حدودٌ لا يجوز تجاوزها لئلا يكفر المواطن بفكرة الوحدة ان كانت تكلفه هذا القدر من الشدة ومن الحرمان ، وإن كان عرضة للموت اذا بدرت منه أية هفوة لا تتفق مع مزاج مسؤول نكرة ممن يدعمهم النظام.

– يبرر العراق غزو الكويت بأنه بإحتلالها ضرب ضلعاً من اضلاع التآمر الثلاثي الذي كان يتكون من إسرائيل والولايات المتحدة والكويت . لاشك في اننا من انصار فكرة وجود المؤامرة الأميركية على العراق والتي مارست الضغوط على الكويت لاستخدامها طعماً . ولكن متى كان امتضاغُ الطعمَ مع الصنارةِ ليَحميَ السمكَ من الإفلات ؟ ألم يكن من الاجدى لو أن العراق هرب من الطعم اللذيذ متفادياً الوقوع في الفخ ؟ هذا ونحن حين نضع في الحسبان الحجة العراقية بأن الكويت تشكل جزءاً من الوطن الأم نتساءل : متى أصبح احتلال العراق " لجزء منه " وسيلة تشبه احتلال إسرائيل للاراضي الفلسطينية ؟ . وكيف يمكن

لاحتلال الكل لجزء من ذاته أن يُستخدم وسيلةً للضغط على إسرائيل ؟ . وهل كانت إسرائيل لتحزن او لتتأثر أو لتسأل عن مصير الكويت ؟ . ألم تكن إسرائيل سوف تسعد لو ذهب الكل والجزء إلى الجحيم ؟ .

– لقد تعرضنا من قبل إلى أن الرئيس صدام حسين ظن أنه قادر على اقناع السلطة الأميركية العليا لكي تعتمده رجلها القوي في الخليج وأسهبنا في ايراد النقاط التي توضح كيف أن واشنطن "مدّت " له في خياله لتورطه ولتوقع به نهاية المطاف . ونحن نرى أنه كان على الرئيس صدام أن يدرك بأن الولايات المتحدة لا يمكن أن تسمح له بالسيطرة على مناطق الثروة البترولية بقوته الذاتية مهما استجاب للرغبات الأميركية حتى ولو صنع من نفسه عميلاً رسمياً لها بشكل سافر . فجمع السلطة في يد واحدة ، أياً كانت هذه اليد ، له محذور كبير بالنسبة للولايات المتحدة لأن اليد القوية غير خالدة وسوف تسقط في يوم من الأيام . فإذا حدث أن سقطت في غياب الاستعدادات الأميركية لما قد تتطور إليه الأمور فلربما يأتي "وريث " صعب المراس فيجد تحت إمرته الكادر المنظم والقوي والمتكامل جاهزاً فيسير في طريق مستقل مما سيحرج اصحاب القرار في واشنطن . واذا اتجه هذا " الوريث " نحو القوى العالمية الأخرى وفي يده ورقة اليد القوية المسيطرة على المنطقة كلها لوجد لديها أرضاً خصبة لأن تلك القوى العالمية هي الأخرى متربصة للحصول على فرصتها للخروج من تحت مخالب الإحتكارات البترولية الأميركية . فاليابان صامتة الآن . ولكن هل نسيت قنبلتي هيروشيما وناغازاكي الأميركيتين ؟ وهل ستبقى متعايشة مع الاضطهاد البترولي الذي تعاني منه ؟ وما هو موقف ألمانيا ايضاً التي لم تنس الهزيمة النكراء التي أنزلتها بها الولايات المتحدة وأجبرتها على الإستسلام الذليل دون قيد ولا شرط عام ١٩٤٥ . وكيف ستتصرف المانيا عالمياً بعد تحقيق وحدتها من جهة وبعد تكاملها موحدةً ضمن المجموعة الاوربية حيث ستكون لها الكلمة الأولى بفضل تقدمها الصناعي والتنظيمي ؟ إن الولايات المتحدة ترصد بحذر وبتخوف نشاط المهزومين السابقين . فلماذا تفسح لهم المجال للتمدد وتحشر نفسها "بين القبور" فتشاهد "المنامات الوحشة ؟" . ومن هذه المنطلقات نستنتج بالضرورة حرص السياسة الأميركية على استمرار التجزئة ومنع التكامل وتفادي الوحدة بين دول الخليج بل الحرص على تغذية النعرات الشخصية والعائلية بين مختلف رؤساء الدول هناك وتسجيل كل هفواتهم عليهم مع توثيقها بحيث يمكن إثارة شعوبهم عليهم او اثارتهم على بعضهم البعض إذا بدا بينهم في الافق أي تفاهم وحدوي .

يدفعنا المنطلق السابق الى التساؤل عن الأسباب التي جعلت واشنطن تُبقي على الرئيس صدام حسين. ونحن نستعمل تعبير " تُبقي " لأننا على ثقة من أن الولايات المتحدة كانت قادرة على تنحيته لو شاءت. والادعاء الذي نقوله يذكرنا بشدة بحادثة بسيطة ولكنها ذات معنى كبير وردت لدى عدد من الكتاب الأجانب وعلى رأسهم شوارزكوف . فقبل بدء الغارات الجوية قدم شوارزكوف قائمة من عدة مئات من الأهداف التي يريد البدء بتحطيمها في العراق الى الرئيس بوش. وكان بين هذه الأهداف التمثال الكبير للرئيس صدام والنصب التذكاري الضخم في بغداد. فإذا بالرئيس بوش يمسك القلم ويشطب على هذين الهدفين ويمنع الإغارة عليهما[٤] .وفي الواقع بقي الهدفان صامدين بالرغم من الغارات الرهيبة التي انزلتها القوات المتحالفة على العراق . ولو استمر تغلغل القوات الأميركية ومعها الفرنسية باتجاه بغداد ، ولو استمرت في تغذية التدخل الايراني او المدعوم ايرانياً خلال آخر ايام الحرب البرية لسقط الرئيس صدام حسين . فلماذا لم يستمر كل ذلك؟ اننا حين نجيب على هذا السؤال نعتمد على القرائن فنستقرؤها ثم نستنتج ما نراه اقرب الى المنطق والواقعية. ونبدأ بايجاز الفكرة التي ذكرناها قبل قليل في ان الولايات المتحدة حين تعمل وتخطط لقلب نظام حكم لم يعد يتفق مع مصالحها فإنها تختار الفرصة والتوقيت المناسبين وبحيث يكون ترتيب النظام البديل واضحا ومضموناً لها لئلا تقع في محاذير وصول اي حاكم جديد يفاجؤها بما لا يتفق مع مصالحها .فهل كان النظام البديل متوفراً في بغداد في ذلك الحين وفي تلك الظروف المضطربة ؟ ألم تكن وحدة الأرض العراقية مهددة اشد تهديد من خلال المعارضة الناقمة ومن خلال حركات انفصالية مدعومة خارجياً ومن خلال الجيش الذي بلغ التذمر في صفوفه اقصى الحدود وفي صفوف الشعب الذي عانى من عنف الرئيس العراقي الكثير ؟ نحن لا نقول بأن الولايات المتحدة مهتمة بوحدة العراق او انها حريصة على استمرار تلك الوحدة . ولكننا نعتقد بأن تفكيك اوصال العراق في ذلك الظرف كان سيشكل عامل ابهام غير محسوب

---

٤ – انظر ودورد صفحة ٣١١ حيث يقول ان المراجع العسكرية قدمت للرئيس بوش قائمة بالأهداف المرشحة للتدمير في العراق:" كان الرئيس قلقاً بشأن مجموعة واحدة من الأهداف ، وطلب الغاءها . وشملت نصب صدام وقوس النصر لكونها ذات قيمة نفسية كبيرة لدى الشعب العراقي باعتبارهما رمزين وطنيين ." ويكتب شوارزكوف على الصفحة ٢٥٣ :" كم كنت اتمنى لو انسف التمثال العملاق لصدام وقوس النصر في قلب مدينة بغداد ...لكن محامي البنتاجون اعترضوا على الفكرة بعد يومين. ويبرر

شوارزكوف عدم ضربها لأنها اهداف غير استراتيجية . فما هذا المنطق الملتوي ؟ وهل من الممكن التأثير على خصم في حرب بشكل أفضل من تحطيم معنوياته ؟ ويقولون انها أهداف غير استراتيجية . فهل اقتصرت أهداف ما يعادل ٢٠ قنبلة ذرية تم اسقاطها على العراق دون رحمة على أهداف استراتيجية ؟

النتائج بالنسبة لواشنطن مما جعلها تفضل استمرار تكامل العراق وخاصة بعد ان تم تحجيمه واستخدامه حسب الرغبات الأميركية .هذا ولا غرابة ابداً في أن استمرار وجود الرئيس صدام حسين في الحكم قمين بخدمة المصالح الأميركية خلال السنوات التي تلي الحرب .

وايران متحفزة للانتقام من العراق . فلو تمكنت من اجتياحه أو من تغيير نظام الحكم في بغداد لصالح فئة تخضع لايران لنهضت فئات عديدة في الكويت وفي كل مناطق الخليج الأخرى بما في ذلك شرقي السعودية فتؤيد ايران مما قد يسبب " وجع رأس " لواشنطن . إن العداء الشعبي الايراني " للشيطان الاكبر " حقيقي وله جذور عميقة . فايران لن تنسى بسرعة كيف ان المساعدات الأميركية للعراق فوتت على قواتها فرصة التهام العراق واحتلاله .

ولذلك بدا أن الإبقاء على حكم الرئيس صدام حسين يشكل جزءاً من عملية توازن حية ومستمرة . فالعراق يُستخدم كتهديد للخليج ولايران ان اقتضت مصالح الولايات المتحدة ذلك .فلو فكر اي حاكم خليجي بالتمرد على الارادة الأميركية او " مغازلة " زبائن اغراب للبترول لقيل لهم : " ها هو الرئيس صدام ما زال موجوداً ! يكفي أن ننفخ فيه عروقاً من قوة وأن نسمح له بالنشاط والحركة لتحيا كل احلامه في الخليج ."

وايران نفسها تُستخدم ضد العراق وضد السعودية والخليج إن اقتضى الأمر ذلك . والإبتزاز المستمر الناتج عن كل التناقضات يجري تمويله على حساب عرب البترول .

– يُرجع البزاز الهزيمة العراقية الى أسباب مختلفة اهمها ما يلخصه بقوله : " اعتمدت القيادة العراقية استراتيجية الدفاع وانتظار الضربة ، وترشحت عناصر هذه الاستراتيجية الى ادقّ مفاصل مؤسسات المجتمع ، بما فيها المؤسسة العسكرية ، عندما صار على الجميع ان ينتظروا خطوات الطرف المقابل ، ويصمموا على مقاسها نوع ردّ الفعل ومستواه . وحلّ ردّ الفعل بديلاً عن الفعل ، فالعراق دخل الكويت واستقر فيها ولكنه لم يطور خطواته . وكان ذلك يوحي في جانب منه بأنه ابقى الأبواب مفتوحة خلفه للتراجع. الا ان الذي حصل هو انه لم يظهر مرونة في التراجع . كما لم يظهر اي عزم على المضي الى الأمام ، بل انحسر في زاوية الموقف الدفاعي المستكن ، عسكريا ونفسيا وسياسيا وإعلاميا ، اذ ثمّة ضربة يوجهها الآخرون ، وعليه ان ينتظرها ، ثم يتلقاها ويتحمل نتائجها . "[٥]

---

[٥] – بزاز صفحة ٤٦٨

ولكننا لو دققنا فيما كتبه البزاز وقارناه بما حدث في الواقع لاكتشفنا هوة واسعة في منطق الأحداث مما يفرض علينا رفض تحليلاته . فالعراق لم ينتظر الضربة الأولى إنما هو الذي سدد تلك الضربة باحتلاله للكويت . وبذلك ترك هو للفريق الآخر موضوع رد الفعل . وهنا يكمن خلل اساسي في المخطط العراقي. فبما انه هو الذي قرر الهجوم ونفذه دون ان يستشير احداً فكان عليه هو ايضاً ان يُجري حسابات رد فعل الآخرين وأن يخطط للاحتمالين الاساسيين الوحيدين : فإما " تمرر " الولايات المتحدة ابتلاع الكويت وتغضّ الطرف عنه ، كما يتوقع ، واما ترفضه . فماذا خطط العراق لاحتمال الرفض ؟ لا شيْ ! ولو كان حضّر شيئاً لما قال البزاز ما قال. اليست اذن قيادته هي المسؤولة عن " القبوع في الزاوية " ترقباً لوقوع الضربة على رأسه ؟ الا يؤيد لنا ذلك مجددا ان العراق لا بد ان يكون قد حصل على " تطمينات " لا جدال عليها في ان الولايات المتحدة وافقت على ما خططه فجعله يطمئن فلا يجد حاجة للتخطيط لأي رد فعل آخر ؟ هنا نعود ثانية للتذكير بمجموعة القرائن التي اوردناها سابقاً والتي تثبت اعطاء واشنطن الضوء الأخضر للعراق . ونضيف إليها هنا قرينة اضافية وأساسية لم نمنحها قبل الآن حقها من التقويم كما يجب . ففي الفصل الثاني من الكتاب أوردنا تحت عنوان" القرائن التي سبقت الحرب " ما نوجزه فيما يلي :

- الحديث الودي الذي اجراه جون كيلي بتاريخ ١٩٩٠/٢/١٢ حيث قال للرئيس صدام بأن الولايات المتحدة تسعى الى توثيق العلاقات مع العراق لأنها ترى فيه " قوة معدلة " في المنطقة .

- كون العراق المستفيد الأول من برنامج القروض الأميركية التي تسهل له الحصول على الإنتاج الزراعي بشروط سهلة وحيث استفاد العراق خلالها بحصوله على انتاج أميركي " آخر " يحتاجه في أبيض استراتيجية أخرى .

- وصول وفد مجلس الشيوخ الأميركي برئاسة السناتور روبرت دول بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٢ حيث شدّد في الاعتذار للرئيس صدام عن برنامج صوت أميركا الذي أدان العراق وحيث قال دول : " صرح لي الرئيس بوش منذ ١٢ساعة فقط بأنه يبحث عن افضل العلاقات معكم وان حكومته تفتش عن امتن الروابط مع العراق .. الخ.." وفي تلك الجلسة تدخلت السفيرة غلاسبي وقالت : " استطيع التأكيد كسفيرة للولايات المتحدة ان هذه هي ، سيدي الرئيس ، السياسة الحقيقية للولايات المتحدة الأميركية . "

– وفي الخامس والعشرين من رمضان ارسل الرئيس بوش رسالة الود والصداقة والتهنئة الى الرئيس العراقي حيث أكّد على رجائه في ان تساهم الأواصر التي تربط الولايات المتحدة والعراق في تحقيق السلام وتعزيز الاستقرار في الخليج .

[نلاحظ انتقاء بوش لكلمات تبين اعتماد الولايات المتحدة على العراق في الاشراف على أمن الخليج .]

– وبعد التهنئة بشهر رمضان نرصد انقلاب موقف جون كيلي من صقر الى حمامة فأصبح يسعى الى خطب ودّ العراق .

– ثم جاء حديث السفيرة مع الرئيس العراقي ، هذا الحديث الذي يُجمع كل من بحثه على انه يشكل الضوء الأخضر الواضح الذي يحث العراق على احتلال الكويت .

وأخيرا جرت محاضرة جون كيلي بتاريخ ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠ حيث أكّد امام اللجنة الفرعية للكونغرس بأن الولايات المتحدة لن تتدخل فيما اذا اعتدى العراق على الكويت . ورأينا كيف ان إنما الـ بي بي سي البريطانية اذاعت نص المقابلة في برامجها العربية خشية الا يصل الخبر الى اسماع القيادة العراقية .

– وقبيل الغزو بأقل من يوم شاهدنا كيف تم استجواب جون كيلي أمام لجنة الكونغرس فأكّد ان الولايات المتحدة ليست مُلزمة ولا تفكر بالتدخل دفاعاً عن الكويت .

ولكن بالرغم من كل هذه الأضواء الخضراء لم يأمن العراق إليها تماماً ولم يتصرف الا بحذر شديد. ففي الساعة الواحدة من بعد ظهر ١٩٩٠/٨/١ ، اي بعد فشل مؤتمر جدة وقبل وصول الوفدين العراقي والكويتي عائدين من جدة الى بلديهما حررت الفرق العراقية سلاسل مدرعاتها واتجهت نحو الحدود الكويتية وتوقفت على بعد ثلاثة أميال من خط الحدود. ويذكر ودورد ذلك بقوله : " عندما وصل لانغ الى مكتبه حوالي الساعة السادسة صباحا من يوم الاربعاء الأول من آب ، كان بعض موظفيه بانتظاره فعرضوا عليه آخر الصور للحدود العراقية الكويتية والتي وصلت الى وكالة الاستخبارات الدفاعية قبل قليل . [اي ان الصور وصلت الى المخابرات الأميركية قبل الساعة السادسة من صباح ٩٠/٨/١ بتوقيت واشنطن ، اي قبيل الساعة الثانية بعد الظهر حسب التوقيت المحلي في الكويت ، وهذا ينطبق تماماً مع التسلسل الزمني .] كانت الفرق الثلاث قد فكّت السلسلة وتحركت باتجاه الحدود ألكويتية الى مسافة تبعد عنها ثلاثة أميال . كانت مذهلة، ومناورة عسكرية رائعة. اتخذت فرقة "حمورابي " و"توكلنا على الله " مواقع بالقرب من الطريق الرئيسي ذي المسارب الاربعة المؤدية الى وسط الكويت . مئات الدبابات كانت على الطريق جميعها موجهة الى الكويت , وبعيدة

بعضها عن بعض من ٥٠ الى ٧٥ ياردة . كان خط موت حقيقي يمتد اميالاً طويلة . وتحركت المدفعية خلف الدبابات ثم تحركت فرقة " المدينة المنورة " الى الجانب الغربي من الكويت , وكانت هذه الدبابات تشكل خطاً يمتد أميالاً . واتخذ قادة الدبابات مواقع قتالية تقليدية في نهاية الخط في منتصف كل فرقة . "[٦]

فما معنى هذه الخطوة المبكرة من قبل العراق ؟

قبل إنجاز هذا الاقتراب الواضح الذي لم يعد يحتمل اي تأويل وتبرير كان العراق يستطيع الإدعاء بأن المناورات التي تقوم بها وحداته تحمل صفة العمومية والتدريبية . اما الآن ، أي ظهر الأربعاء أول آب/اغسطس، فقد تحدد الاتجاه . فما هو التفسير والتبرير؟

نحن لم نفسرها الا على انها صيحة أخيرة خاطب بها الرئيس صدام حسين الرئيس بوش بأعلى صوت ممكن قائلاً : " يا عالم ، يا قوم ، يا واشنطن ، ، يا اجهزة إعلام .. لقد فهمت تجاوبكم الصامت مع مخطط دخولي الى الكويت ، وها انذا قد اقتربت من الحدود الى مسافة شديدة الوضوح ولكنها غير نهائية ، وها أنذا اقف متريثاً . فهل أخطأت في فهمي لاضوائكم الخضراء ؟. وهل لديكم اي اعتراض ؟. ان الوقت لم يصبح متأخراً بعد وما زلت استطيع التراجع إن ارتأيتم ذلك أو إن كان لكم اي اعتراض ... فهل اتابع مسيرتي ام هل اقوم " بلفلفة " الامر وانسحب مكتفياً باعتبار ما حصل مجرد تحذير الى عائلة آل الصباح ؟ . انني سوف ارتقب رد فعلكم فإن لم تشجبوا اقترابي الواضح والاستفزازي الى مسافة الأميال الثلاثة فلسوف اتابع الزحف " .

"وطنّشت " واشنطن وصمتت كالإسفنكس ولم تحاول ثني العراق عن عزمه لأنها بالفعل لم تهدف إلا الى تفجير المنطقة بحثاً عن مصالحها الحيوية غير عابئة بكل اصدقائها في المنطقة . هذا إن كانت تعتبرهم اصدقاء حقاً .

_ لا يجوز لنا أن نقفل ملف البترول إلا بعد الإشارة الى حقول مجنون العراقية التي تزخر بكميات هائلة من النفط . فخلال الحرب الايرانية العراقية دارت حول هذه الحقول اشرس المعارك بسبب الثروة الضخمة التي تكمن في جوفها . ويبدو أنه ساورت العراق بعد

---

٦ – ودورد صفحة ١٨٤ وصفحة ٢١٨ من النسخة الاصلية لكتاب ودورد بالانكليزية .وقد رجعنا في هذه النقطة بالذات الى الأصل الانكليزي لتفادي الوقوع في اي خطأ خاصة أن في ترجمة بولاق/عمار لهذه الفقرة خطيئة كبرى لأنهما يقولان بأن الفرق العراقية اخترقت الحدود الكويتية في الساعة المذكورة ووصلت الى مسافة ٣ أميال داخل الكويت.

انتهاء الحرب مع ايـران فكـرة التعـاون مـع شـركات يابانيـة لاستغلال تلـك الحقـول . إننـا لـم نحصل على توثيق قاطع يثبت حصول مفاوضات من هذا القبيل إنمـا نشـير الـى خـبر صـغير ورد في صحيفة الوطن الكويتية بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٩٠ في العدد رقـم ٥٥٢٧ علـى الصفحـة الأولى جاء فيه : " العراق ينفي اعتزامه بيع جـزر مجنـون . نفـى العـراق انبـاء تحدثـت عـن وجود خطط لبيع جزر مجنون الى جهات يابانية مقابل مبـالغ تصـل الـى ١٠٠ مليـار دولار . وقال وزير النفط العراقي عصام عبد الرحيم الجلبي فـي حديـث نشـرته مجلـة " الـف _ بـاء " العراقية الاسبوعية " أن العراق الذي أمم النفط ودفع الدم من اجل تحرير الأرض لايمكـن أن يفرط لابهذه الجزر ولا بأي شبر من الأراضي العراقية " . وتقدر كميات النفـط التـي تحتويهـا هذه الجزر التي تقع وسط هور الحويزة وفي الطرف الشرقي قرب الحدود مع ايـران بحوالـي ٣٠ بليون برميل من النفط الخام . "

فإذا ضربنا هذا الرقـم بــ ١٥ دولار للبرميل الواحد لبلغـت قيمـة هـذه الـثروة البترولية اربعمائة وخمسين بليون دولار. ونكرر المبلـغ بالأرقـام:" ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤٥٠ "دولاراً ! فهل كانت واشنطن لتترك هذه الثروة تتسرب بين اصابعها وتنتقل الى شركات عالمية منافسـة مكتوفة الأيدي ؟ . وهل كانت لتدع هذا المخطط يمر أمام ناظريتها فتقبل بدخول ياباني مفاجئ على خط البترول الحساس دون أن تسعى الى نسفه بكـل الوسـائل ومهمـا تكلـف الأمـر؟ . ألـم يدفعها هذا التهديد لمصالحها في عقر دارها الـى الاصـرار علـى سـحق التوجـه العراقـي نحـو الشرق الاقصى تماماً كما سحقت انريكو ماتيه الايطالي كما بيّنـا مـن قبـل ؟ هـذا ولقـد وجدنـا لدى البزاز مايدعم وجهة نظرنا حين تحـدث عـن زيـارة وفـد أميركـي الـى بغداد قبل انـدلاع الحرب بخمسة اسابيع فقال : " وقد أظهرت الشركات الأميركية في لحظة قرع طبول الحـرب استعدادها للتدخل لنزع فتيل الإنفجار واقامة نقطة تماس مستقرة مع نفط العراق ، عندما توجه وفد شركة Costal النفطية الساحلية برفقة جـون كونـالي وزيـر الخزانـة الاسبق ، لاستكشـاف امكانية الحصول على قرار عراقي باعطاء الافضلية من جهة ، وضمـان عـدم ارتفـاع اسـعار النفط بما يتجاوز الحد الذي رسمته الولايات المتحدة ، وكان من الصعب ان يعود الوفد الـذي زار بغداد في الاسبوع الأول مـن كـانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٠ ، وهـو يحمـل معـه تعهـداً بقبول طلباته لان توقيت التفاوض واسلوبه الاشتراطي كانا يُقيدان فرصـة النجـاح الـى اضيـق الحدود ". [٧]

---

[٧] - انظر بزاز صفحة ٤٧٩

ولكن البزاز التزم الكتمان عما حدث بعد ذلك فلم يتعرض للأسباب التي ادت الى فشل التفاهم مع وفد شركة كوستال . ولو تم التفاهم لأمكن انتزاع فتيل الحرب . فلماذا اثار البزاز شهيتنا نحو المعرفة ثم قطع بنا الحبل في منتصف البئر ؟. ولماذا لم يشرح ما حصل لنعرف نحن الحقيقة وليسجل التاريخ التفاصيل . لقد ترك البزاز جيوباً من الابهام او انه لم يُسمح له بالتعرض لها . وفي تلك الجيوب تكمن الدوافع وما ينتج عنها من وقائع. وهذا ضعف يُفرضُ فرضاً على الكاتب العربي في العصر الحديث . ولا يعود الضعف الى عدم توفر الامكانية الفكرية وإنما الى الضغط الذي يُمارس عليه دون ان يُترك لتفكيره اي مجال للإنطلاق. فالقيادات العربية تحاول ستر عيوبها خلف جدران مصطنعة من السرية وتتعامل مع شعوبها على انها اقل ذكاءً من ان تتمكن من استيعاب ما يحصل ولذلك تُمنع من أن تشارك في تقرير مصائر مجتمعاتها . والعجيب في امر هذه السرية انها موجهة للشعوب فقط بينما " الخصم " و " العدو " و " الخواجة " يعلمون بكل التفاصيل. ولكننا لاننسى ان نتابع ما قاله البزاز في ذات المكان حين كتب: " لقد كان النفط احد عناصر انهيار العلاقات العراقية – الأميركية، ولكنه قد يصبح احد أهم عناصر اعادة احياء هذه العلاقات. ولابد ان النفط وضمان استقرار محيطه الاقليمي وتدفقه واسعاره، يمكن ان يكون مدخلاً لصفقة دولية كبرى ، تعود بموجبها الكويت الى الولاية العراقية ، وهذا ما سيظل العراق يسعى إليه على الدوام ، بعد استنفاد الفائض المالي في الكويت ، واكمال التحكم بمستقبل نفطها ... وهذا افتراض ليس مستحيلاً ... انه اكثر من ممكن . في المدى المتوسط من الزمن ... "

اذن فالتفاهم العراقي مع اللوبي الأميركي للنفط كان وما زال مدرجاً في مخططات السياسية العراقية والأميركية على حد سواء . فلماذا لم يمكن إنجاز ذلك قبل الحرب مع وفد كوستال الذي وعد بتهدئة ايقاع الأحداث الغاضبة لتفادي الخراب العميم ؟ ترى ماهو الثمن الذي اشترطته مصالح البترول الأميركية والذي رفضه العراق ؟

– عالج البزاز مواضيع أخرى اعتبرها أسباباً ثانوية لهزيمة العراق . ولاننا لانرى ما رآه ولا نتفق مع الاستنتاجات التي توصل إليها صناع القرار السياسي العراقي ونقلها الينا في كتابه نجيب عليه . فهو يجد مثلاً احد أسباب الهزيمة في ان بريطانيا التي لا تكن الودّ للعراق (بسبب اعدام الجاسوس فرزاد بازوفت وبسبب رغبتها في تعطيل برنامج العراق الصناعي الطموح) هي التي دفعت الولايات المتحدة الى الحرب . يقول البزاز " وترى القيادة العراقية ان امريكا رغم قوتها وغناها لم تستطع حتى الآن ان تُثبت مقدرةً قياديةً ، كما

اظهرت بريطانيا من مقدرة قيادية عالمية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وان الدبلوماسية البريطانية مازالت هي التي توجه الدبلوماسية الأميركية " .[8]

ونحن لانتفق مع هذا الراي إطلاقاً لأن بريطانيا سقطت عن عرشها منذ ورطتها الولايات المتحدة في حرب السويس ثم وقفت ضدها مع مصر . والذي حصل بعد ذلك هو ان استسلمت السياسة البريطانية الى الولايات المتحدة واصبحت في احسن الاحوال تلعب دور الطابور الخامس الذي تستخدمه واشنطن في تعطيل إنطلاقة الوحدة الاوربية . ويتابع البزاز نقل ما كان يدور في ذهن المخططين العراقيين فيكتب : " وتشعر بغداد ان حكومة المحافظين ورئيستها مارغرت تاتشر لعبت دوراً حاسماً في دفع الرئيس الامريكي جورج بوش الى الخيار العسكري ضد العراق ، وان اجتماع (كولورادو) في الثالث من آب (اغسطس)١٩٩٠ بين بوش وتاتشر قرر في الساعات الاربع والعشرين الأول المضي حتى النهاية لسحق العراق ، وعدم الاكتفاء بانسحاب قواته من الكويت، وقطع الطريق على الحل السياسي، ورفض اي بديل وسط ، وان تاتشر خلقت قناعة لدى الرئيس الامريكي بانه مخدوع من جانب العراق وان لا لغة للتعامل مع بغداد غير استخدام القوة بحدودها القصوى ، وان فكرة تشكيل تحالف عسكري وسياسي دولي ضد العراق قد انطلقت من اجتماع (كولورادو) الى الحد الذي رأت فيه رئيسة الحكومة البريطانية ان ضرب العراق وتدمير جيشه وصناعته العسكرية وبنيته التحتية لا يحتاج الى غطاء من مجلس إليه ، وان بالامكان اللجوء الى العمل الفوري دون انتظار التحاق الجميع بهذا الخيار".

ونحن نرى فيما نقلهه البزاز عن تفكير صانعي السياسة العراقيين بهذا الصدد تجاوزاً بعيد المدى . فالحسم لم يكن بيد تاتشر. وما اندفعت في كولورادو بالشكل الذي حصل الا لعلمها بانها تسير في الاتجاه الذي يتفق مع الرياح التي تنفخها واشنطن والذي يتفق مع مصالح الجماعة المحيطة بها من صناعيين بريطانيين وتجار وسماسرة ومع مصالحها الشخصية من خلال نشاط ابنها الذي جنى عمولات ضخمة فاحت روائحها في مجلس العموم البريطاني وفي كل انحاء العالم . فقرار الحرب ضد العراق أميركي بحت . وقد تحدد هذا القرار كما اثبتنا من خلال القرائن التي لا تحصى في هذا الكتاب قبل غزو العراق للكويت بوقت طويل .

٨- انظر بزاز صفحة ٤٨١ _ ٤٨٢ .

- اعتمد العراق في حساباته عن الحرب المحتملة على عمليات ارهابية تزعج الولايات المتحدة وتنهكها مما يخفف وطأة الضغط عليه . يقول البزاز عن ذلك : " كان من المتوقع ، والمفترض ، ان تقع عمليات واسعة ضد المصالح الأميركية في الوطن العربي والعالم ، عند بدء الحرب ، تقوم بها منظمات وتجمعات كانت قد هددت انها ستقوم بها حال الشروع بالهجوم على العراق . ولكن الذي حصل هو ان هذه العمليات جاءت متبعثرة ومتناثرة ومحدودة النتائج ."

ان ما قاله البزاز في الاقتباس السابق حول عامل الارهاب يتفق كل الاتفاق مع التهديدات التي وجهها الرئيس صدام حسين مباشرة الى واشنطن كما رأينا في حديثه الواضح امام السفيرة غلاسبي وفي احاديث متعددة لمسؤولين عراقيين بمن فيهم طارق عزيز .

ثم يتعرض البزاز الى الأسباب، التي ادت الى فشل عمليات الارهاب ويعيدها الى سببين : الأول وجيه ومعقول . اما الثاني فمعقول ولكنه خطير الأبعاد ، فهو يقول:" ان مستوى الاجراءات الأمنية التي اتُخذت في دول اوربا والولايات المتحدة والدول الأخرى كانت من الدقة والصرامة بحيث قلّصت من امكانات القيام بمثل هذه العمليات. خاصة بعد تقييد سفر حملة بعض الجوازات المشكوك بها، وحجز بعض الرعايا العرب في بلدان اوربية، ومراقبة بعضهم الآخر. والسبب الثاني: ان بعض الأوساط اعطت وعداً لأطراف ثالثة من جهة ، وللادارة الأميركية من جهة أخرى حول عدم تسهيل وقوع اية عمليات مقابل الوعد بالاستجابة للمطالبة في مشاركة الجانب الفلسطيني في اي جهد لإقامة سلام في الشرق الأوسط. "

تكمن خطورة السبب الثاني في ان المؤلف يوجه الإتهام الى القيادة الفلسطينية بشكل يكاد يكون مباشراً بأنها تواطأت مع الولايات المتحدة على ما يتناقض مع وعودها للعراق . وهذا كلام خطير . ولنا رأي في ذلك يفرض علينا الاستطراد والخروج المؤقت والمحدود عن موضوعنا منطلقين من ان لإتهامات البزاز وجهة نظر ليست ببعيدة عن المعقول . فنحن لم نَعُدْ نستبعد وجود تفاهم أميركي فلسطيني حول عمليات الارهاب. ولا نستبعد ان يكون ذلك امكن حصوله من خلال تسرب طابور خامس ضمن صفوف القيادة الفلسطينية يعمل لصالح واشنطن بل ولصالح إسرائيل كما يقول الكثيرون . ولا نعتمد في اعتقادنا على حادثة كشف الجاسوس الفلسطيني عدنان ياسين عام ١٩٩٣ في تونس والذي تمكن الموساد من تجنيده ضد بلاده وإنما نعود الى عشرات السنين التي سبقت ذلك . ونبدأ بطرح ثلاثة مواضيع اساسية :

١- كان رئيس الوزارة الايطالية السابق بتينو كراكسي ، وكان آنذاك رئيس الحزب الايطالي الاشتراكي ، من القلائل في اوربا الذين وصلوا الى سدة الحكم واعلنوا أثناء اعتلائهم مراكز القرار في بلادهم عن تأييدهم لحق الفلسطينيين المشروع بالكفاح المسلح للحصول على حقوقهم الوطنية . وفي عهد هذا الرجل القريب من القضية الفلسطينية قامت فئة فلسطينية تابعة لأبو نضال بتاريخ ١٩٨٥/١٠/٩ بالاستيلاء على الباخرة السياحية الايطالية " أكيلي لاورو " وقتلت مُقعداً عجوزاً أميركياً يهودياً ورمت به في البحر وكأنما تُنفذ عقوبةً بالحكومة الايطالية لتعاطف الرئيس كراكسي مع فلسطين . ويدعي مرتكبو هذه العملية بأنهم انتقموا من خلالها للعملية الإسرائيلية بغارتها على مقر منظمة التحرير في تونس قبل ثمانية أيام . ولكن ما علاقة هذه الباخرة السياحية التابعة لبلد يدعم القضية الفلسطينية بجريمة إسرائيل في تونس ؟ فهل كان هدف ابو نضال الإنتقام من الإسرائيليين ام دعم السياسة الإسرائيلية التي ابرزت كل الفلسطينيين كإرهابيين لا يصح ان يعيرَ العالمُ قَضيَّتَهُم أدنى اهتمام ؟ ولكن الأغرب والأنكى من ذلك هو ما حصل بعد العملية الدموية حين سأل احد الصحفيين الرئيس كراكسي بشماتة واستفزاز : هل هم هؤلاء الذين دافعت عن قضيتهم وعن حقوقهم قبل ايام؟ فأجاب كراكسي بثبات الرجل :" إني أشجب هذا العمل الارهابي الشنيع ، ولكن ذلك لا يغير من المبدأ في حق الفلسطينيين بالكفاح المسلح في أرضهم." اذن فعملية الفلسطينيين هذه لم تقلب موقف هذا السياسي الجريء . بل انه صرح في خطاب له امام المجلس النيابي الايطالي بتاريخ ١٩٨٥/١١/٨ مؤيدا حق الشعب الفلسطيني المذكور وتابع بقوله: "حين نشطَ مازيني [بطل الوحدة الايطالية] من مكان اقامته في المنفى من أجل الوحدة الايطالية فكّر وخطّط لجرائم قتل سياسية من اجل تحقيق هدفه الوطني " وتابع كراكسي :" أنْ نَمنعَ حركةَ تحريرٍ من استخدام السلاح هو عمل يتساوى مع معارضة مجرى التاريخ ."

فكيف تُعاقب فئة من المقاومة الفلسطينية قائد بلد لا مثيل لجرأته بين السياسيين الأوربيين في تأييد حقوق الفلسطينيين بدلاً من دعم جهوده في صالح قضيتهم ؟

ولم تمض فترة أخرى على هذا التصريح الجريء حتى" كوفئت " ايطاليا بتاريخ ١٩٨٥/١٢/٢٤ بالهجوم الدموي على مكتب " العال " الإسرائيلية في مطار ليوناردو دافنتشي في روما ، وكأنما ذلك الارهاب الفلسطيني لم يهدف الى الدفاع عن القضية وإنما الى طعنها من الخلف وفي الصميم بانزال العقوبة على من يتعاطف معها .

٢ - كان المستشار اليهودي النمساوي برونو كرايسكي متعاطفا اشد التعاطف مع القضية الفلسطينية ومع شخص الرئيس ياسر عرفات بالذات . فهو الذي تولى ادخاله الى حلقة

القيادات في الدول الأوربية وهو الذي مهّد الى لقاء عرفات مع المستشار الألماني الراحل فيلي براندت والذي تبعته لقاءات أخرى مع رجالات اوربا الغربية . ولم ينطلق الراحل النمساوي حين فتح لعرفات ابواب اوربا الغربية من " خروج عن دينه اليهودي " ولا " حباً بالفلسطينيين " وإنما لأنه كان يدرك ان الحركة الصهيونية تعمل في نهاية المطاف في غير صالح اليهود . ولا ننسى ايضاً ان عواطف الشعب النمساوي لم تكن ابداً مع إسرائيل وإنما كانت معاديةً لها . ويدلنا على ذلك الكفاح المرير لهذا الشعب ضد إسرائيل التي فعلت المستحيل لاسقاط الرئيس الشرعي المنتخب كورت فالدهايم ، فنجحت ارادة الشعب النمساوي وترسخت الكراهية لإسرائيل .

ولذلك فقد كانت مفاجأة صاعقة حين قامت جماعة ابو نضال الفلسطينية في ذات يوم عملية مطار روما بالهجوم الدموي على مكتب " العال " في مطار " شفيخارت / فيينا " ، والذي سقط فيه العديد من القتلى والجرحى مما أساء الى القضية الفلسطينية اشد إساءة وجعل النمساويين يقولون : ان لدى إسرائيل كل الحق في ضرب الفلسطينيين " القتلة .. الهمج " .

٣ – وهناك حوادث أخرى يجدر بنا ذكرها ايضاً . ففي ٢٢ شباط/فبراير ١٩٧٣ اسقطت المقاتلات الإسرائيلية طائرة البوينج الليبية المدنية التي ضلّت طريقها فوق شبه جزيرة سيناء وقتل حوالي ٢٧٠ فردا ، وثارت ثائرة الإعلام العالمي ضد إسرائيل بالرغم من كل نشاطات الصهيونية لتهدئة الهبّة الغاضبة وللحدّ من الأذى الإعلامي الذي أصابها من بشاعة العملية . ولم تتوقف الحملة ضد إسرائيل الا بعد ايام قليلة حين قام فلسطينيو ابو نضال بمهاجمة السفارة السعودية في الخرطوم أثناء احتفال دبلوماسي وقتلوا ثلاثة من الدبلوماسيين الأجانب بمن فيهم السفير الأميركي والبلجيكي . وبذلك انصرف الإعلام العالمي عن جريمة إسرائيل وتحول متغنياً بجريمة الفلسطينيين .

ولا يجوز ان ننسى عمليتين قامت بهما جماعة ابو نضال في قبرص بتاريخ ١٩٨٢/٥/١١ بتفجير سيارة في وسط مدينة نيقوسيا القبرصية أدّت الى مقتل ومصرع ١٥ شخصاً من المواطنين اليونان ، وأخرى في ١٩٨٨/٧/١١ حيث هاجمت جماعة ابو نضال السفينة السياحية اليونانية " سيتي اوف بروس " بالرشاشات والمتفجرات فقتلوا وجرحوا العديد من السواح الذين لا علاقة لهم بالنزاع الفلسطيني الإسرائيلي على الإطلاق. وهذا مما ادى الى انقلاب الرأي العام اليوناني الى ما هو في غير صالح القضية الفلسطينية بحال من الأحوال بعد ان كانت اليونان من أخلص المدافعين عنها فيما قبل .

اننا نكرر تأكيد رفضنا للارهاب ولكننا نتساءل عن الدافع لاختيار هذه العمليات المشبوهة في دول تتعاطف مع الشعب الفلسطيني والتي لم تستفد منها شرعية القضية الفلسطينية وإنما العكس تماماً.[9]

بعد عرضنا للموضوعات آنفة الذكر نتساءل : لماذا لم يحصل منذ احتضنت الولايات المتحدة إسرائيل عام ١٩٤٨ اي حادث من هذا النوع في داخل الولايات المتحدة ؟ وهل كان ذلك مجرد صدفة ام لعدم توفر الامكانيات لتنفيذ ذلك ؟ وهل هناك دولة في العالم يمكن الحصول فيها على السلاح بسهولة وبغطاء من الشرعية اكثر مما هو في الولايات المتحدة ؟ نحن نؤكد دون قيد او شرط على رفضنا للارهاب وعلى أننا لا نرى فيه الا عاملاً مؤثراً ضد المصالح الوطنية العادلة . ونرى فيه عملاً غير إنساني يقلب القضية التي يُراد الدفاع عنها من صاحبة حق الى مسؤولةٍ ومُدانة . ولكن تساؤلنا يبقى مطروحاً بقوة لأن لعدم إنجاز اي عمل ارهابي في داخل الأراضي الأميركية ، وهي الخصم الصريح والفاعل والأقوى ضد القضية الفلسطينية ، بينما نُفِّذَ العديد منها في بلاد أخرى متعاطفة مع الأهداف الفلسطينية مؤشرات خطيرة الأبعاد تؤيد الفكرة التي اوردها البزاز في ان الفلسطينيين تفاهموا مع واشنطن على الالتزام بالهدوء الكلي أثناء الحملة على العراق . ويؤيد ما ذهبنا مع البزاز إليه وجود طابور خامس نشيط في صفوف المنظمة يؤثر على تخطيط العمليات الارهابية فيبعدها عن داخل الولايات المتحدة ويوجهها الى دول العالم الأخرى وخاصة في اوربا الغربية [10]. وبكلمات أخرى نستنتج ان الولايات المتحدة حرصت باستمرار دؤوب على استغلال كل

---

[9] – في عام ١٩٨٩ انسلخ عن منظمة ابو نضال رجلان من اهم اعوانه وهما عاطف ابو بكر وعبد الرحمن عزة لاكتشافهما عبثية ما يقوم به . وفي ١٩٨٩/١١/١ اصدر الرجلان بياناً مشتركا قالا فيه ما يفضح ممارسات ابو نضال . ومما قالاه نقتبس ما يلي :" لقد حارب شهداؤنا حروباً خاطئة . فلم يكن هناك ما يبرر العمليات الارهابية التي تمت في روما ، وفينا ، والسودان ، وأثينا ، وباريس ، وكراتشي بل ان ضررها فاق نفعها . كان لازما على شهدائنا ان يحاربوا في فلسطين ولكن ابو نضال تخلى عن الصراع العادل الحقيقي . لن نقبل أية حلول وسط مع جزار ملوث اليدين بدماء أشقائه." (بندقية للايجار صفحة ٤٢٠)

[10] – يتعرض رولان جاكار الى هذه النقطة فيكتب على الصفحة ١٩٠ :" ولم يعط صدام حسين الضوء الأخضر لعمليات ارهابية في الولايات المتحدة مع ان برمجتها كانت قد تمت للمرة الاولى . اذ وصلت اليه الكثير من الرسائل الواضحة التي تدل على انه في حالة قيام عمليات اعتداء على المصالح الأميركية ، خاصة فوق التراب الأميركي ، فإن الأميركيين سيعملون على تقديمه امام محكمة دولية وبأنهم سوف لن يترددوا في القيام بحملة تأديبية على ملجئه الخاص في بغداد ."

موقف سياسي تمكنت من تجنيده او إختراقه او التأثير عليه او السيطرة على قراراته لضرب " حليفتها اللدودة " اوربا من الظهر .

قد يقول البعض ان " البطل " الفلسطيني سرحان بشارة سرحان قام باغتيال ادوارد كنيدي في داخل مناطق السيادة الأميركية . ولكن هذا الحادث اكثر من مشبوه . وان الدوافع إليه حالكة السواد ، ولا يفسرها ابداً كون القاتل من فلسطين . فماذا استفادت القضية الفلسطينية من مقتل ادوارد كنيدي ؟ ومن هي المنظمة الفلسطينية التي ادعت وقوفها وراء عملية الاغتيال ؟ ترى هل نفذ سرحان جريمته لمصلحة فلسطين ام لمصلحة اصحاب الشأن في داخل الولايات المتحدة والذين قرروا منع وصول ادوارد كنيدي الى سدة الحكم مهما كلف الثمن ؟ فلو وصل الى الحكم لكَشَفَ الستار عن قتلة أخيه جون ف. كنيدي ولتمكن من الإنتقام له . اذن فعدم وصول ادوارد كنيدي الى الرئاسة لا يخدم القضية الفلسطينية في شيء وإنما يخدم القتلة الذين اغتالوا شقيقه من قبل ثم ألحقوه به بمسدس رجل فلسطيني لكي يَسهُل حرف الأنظار عن القتلة الحقيقيين ، تماما كما حصل لدى اغتيال جون ف. كنيدي حين وجهوا التهمة الى المسكين اوزوالد مبرزين علاقاته مع المخابرات السوفياتية لصرف الأنظار عن القتلة في داخل السلطة الأميركية .

وان استطردنا في بحث الفكرة التي نحن بصددها عن تفاهم قسم مؤثر من القيادة الفلسطينية مع واشنطن على الامتناع عن إنجاز عمليات ارهابية خلال فترة الحرب لاصطدمنا بالضرورة بحادثة مقتل القائدين الفلسطينيين المسؤولين عن الأمن الداخلي وعن مكافحة التجسس ، صلاح خلف (ابو اياد) وهايل عبد الحميد (ابو الهول) ومعهما فخري العمري ، وذلك قبل يوم واحد من انتهاء مدة الإنذار الموجه الى العراق على يد شاب فلسطيني اسمه حمزة ابو زيد اعترف بانه دُفع من ابي نضال لاغتيال الثلاثة [11]. وكان ابو الهول بالرغم من حذره قد ائتمن حمزة كواحد من حراسه الشخصيين واسكنه في داره في تونس .

---

[11] - حوكم حمزة وحُكم عليه بالاعدام ونُفّذ الحكم في اليمن. (بندقية للايجار " صفحة ٧٠). وقد أُعدم في الحقيقة على سطح مركب في عرض البحر لأن قادة اليمن لم يستحبوا مقتل فلسطيني على أرض اليمن. يتحدث باتريك سيل ، مؤلف هذا الكتاب عن دخائل المنظمة وعن جذور الخلاف بين ابي اياد والعراقيين والذي يعود الى ايام الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر ، الذي حاول احتواء الفلسطينيين دون قيد او شرط. وكان العراقيون قد وعدوا المنظمة بدعم حركة انقلاب على الملك حسين قبيل احداث ايلول الأسود عام ١٩٧٠ ولكنهم خذلوهم فتمكن الملك من استئصال شأفتهم . ويبين باتريك ، استنادا على أحاديث اجراها مع العديد من المسؤولين الفلسطينيين، ومنهم ابواياد نفسه ، ان الانشقاق بين الأخير وبين ابي نضال وصل الى حد اللاعودة ، بل الى إصدار الحكم المتبادل بالاعدام مع حصول محاولات متعددة من قبل الطرفين .

فمن هي الجهة المسؤولة عن القتل ؟ وهل اختير توقيت الجريمة صدفةً ؟ وهل يجوز ربط ذلك بعدم تنفيذ عمليات ارهابية ضد المصالح الأميركية ، او ان العكس هو الصحيح ؟ وهل لإنجاز عملية اغتيالهم في آخر لحظة قبل الهجوم على العراق هدف محدد يسعى الى إضعاف العراق ببث البلبلة في استراتيجيته والى هزّ الأسس التي اعتمد في تخطيطه عليها [١٢]. وهل جرّد الاغتيالُ العراقَ من احد اسلحته الهامة التي هدد بها الولايات المتحدة علنا وصراحةً ؟ وهل حدث الأغتيال في وقت متأخر بحيث لم يعد يستطيع خلاله ايجاد البديل له ولم يعد بامكانه اعادة اجراء حسابات الربح والخسارة فيتصرف حسب مايمليه عليه الواقع الجديد ؟

ورغبةً منا في سرد ما يؤيد وما يعارض التساؤل السابق يجب علينا ألا نغفل الاحتمال الذي شاع أمره في حينه من ان العراق كان وراء عملية الاغتيال . فكلا الرجلين اللذين اغتيلا كانا يعارضان الاحتلال العراقي للكويت . ويُنسب ايضا الى" ابو اياد " [١٣]انقلابه من منظمٍ فاعلٍ للحركات الارهابية الى ضد ذلك تماماً . وانقلبت قناعاته من سلوك طريق العنف الى طريق التفاهم مع اليهود ، وهذا ما عبر عنه الرئيس عرفات بوضوح تام أمام العالم بخطابه في هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٧٤/١١/١٣ حاملاً البندقية وغصن الزيتون . وبهذا الخطاب نال عرفات إعجاب العالم ولكنه دقّ ناقوس الخطر لدى التوسعيين الإسرائيليين

---

١٢ – يشير باتريك سيل الى ان الرئيس عرفات كان موجوداً في بغداد حين قُتل ابو اياد ويعلق على ذلك :" ففي بغداد كان عرفات يحاول جاهداً ابعاد صدام عن الحرب بعد أن أدرك خطورة الموقف في اللحظة الأخيرة بعد مشاركته له طول الوقت. فإذا نجح في اقناعه بالإنسحاب من الكويت او حتى الإدعاء فقط بأنه ينوي ذلك ، سيصعب على الإئتلاف في هذه الحالة مهاجمة العراق . بالإضافة لذلك إذا نُسِبَ لعرفات الفضل في إنهاء هذه الأزمة فإن وضع المنظمة المميز في تلك الأحوال سيضمن لها مكاناً على مائدة المباحثات العربية – الإسرائيلية. " ثم يتابع سيل استنتاجه قائلاً: "وأدّى [مقتل ابو اياد ورفاقه] الى تخلي عرفات عن جهوده الدبلوماسية ببغداد والعودة الى تونس للحداد على رفيقيه اللذين تم اغتيالهما ." (بندقية للايجار صفحة ٤٢٧)

١٣ – يدعي باتريك سيل أن:" ام ابو اياد يهودية وكان يثرثر بالعبرية مع الأولاد اليهود الذين هم من عمره عندما كانوا يلعبون على شواطيء تل ابيب ." (بندقية للايجار صفحة ٧٣) . ولم نجد تـأييداً لذلك. ولقد سألنا مراجع فلسطينية عديدة عن ذلك ومنهم صديق المدرسة الأخ فيصل أبو خضرا فأكد بأنه يعرف أبا أياد منذ ما قبل محنة عام ١٩٤٨ ، وأن باتريك سيل على خطأ. ولكن حتى لو كان الخبر صحيحاً لما تنافى مع وطنية هذا الرجل الذى راح ضحية التطرف الأعمى. فهو وامثاله من الفلسطينيين المعتدلين الذين جنحوا للتفاهم مع يهود اسرائيل كانوا أخطر اعداء الفكر التوسعي الاسرائيلي الذي كان يمثله مناحيم بيغن وآرييل شارون . فمقتل ابو اياد ، ومقتل مختلف " الحمائم الصادقة " من رجالات الفلسطينيين تم لصالح اسرائيل تحت شعاراتٍ كلماتِ حقٍ يُراد بها باطلٌ سافر.

لأن سلوك طريق التعايش لم يتفق مطلقاً مع طموحاتهم وخاصة مع نوايا المتطرف مناحيم بيجين الذي ظل حتى مماته يحلم بإسرائيل الكبرى . ويكتب سيل عن ذلك:" وفي مايو/ايار ١٩٧٧ تولى السلطة مناحيم بيجين وهو ارهابي ارجون السابق والبطل المتحمس لإسرائيل الكبرى . كان حلم حياته الأكبر ان يبتلع الضفة الغربية ...وبالنسبة له كان عرفات مشكلة كبيرة. فقائد المنظمة اصبح يريد التفاوض. ومعنى التفاوض بالنسبة لإسرائيل هو ضياع الضفة الغربية. اذن فأصبح هدف إسرائيل الرئيسي ان تُحَطِّمْ المنظمة بكل الوسائل الممكنة عن طريق تصعيد حملة دبلوماسية عالمية لعزلها والحط من قدرها وتحويلها الى شيطان رجيم ووأد اي حوار يمكن ان تقيمه المنظمة مع الولايات المتحدة . فالمعتدلون الفلسطينيون الذين يريدون التفاوض هم الخطر الحقيقي الذي يريد التخلص منه."[١٤] فلا عجب من ظهور الشبهات القوية حول ولاء ابي نضال لقضية شعبه بلجوئه الى عمليات قتل كل من يبرز في صفوف المنظمة ممن سعى نحو التعايش مع إسرائيل ومنهم : سعيد حمامي بتاريخ ١٩٧٨/١/٤ في لندن بيد كايد الحسين ، وعلي ياسين في الكويت بتاريخ ١٩٧٨/٦/١٥ ، وعز الدين قلق في باريس بتاريخ ١٩٧٨/٨/٣ على يد كايد الحسين ايضاً ، نعيم خضر بتاريخ ١٩٨١/٦/١ في بروكسل ، والدكتور عصام سرطاوي بتاريخ ١٩٨٣/٤/١٠ ، هذا الرجل المفكر الذي خسره الفلسطينيون بأيدٍ تدَّعي الوطنية ولكنها تعمل ضدها . لا يجوز لنا الصاق كل هذه الجرائم بأبو نضال مباشرة لوجود مؤشرات تفيد باشتراك الموساد في عدد منها وخاصة في مقتل نعيم خضر ، وهو مسيحي ، بل قس سابق كان يسعى الى طريق التعايش مع اليهود ، وقام باتصالات عديدة قبل مقتله لتفادي الغزو الإسرائيلي للبنان . لكن هذا الإتهام للموساد غير موثوق . ويكتب سيل عن ذلك:" أكّدت لي مصادر من داخل منظمة ابو نضال ما يلي:"مما لا شك فيه أنه لم يكن الرجل الذي قتل خضراً إسرائيليا بل كان عضواً في منظمة ابو نضال ، وكان اسمه عدنان الرشيدي (واسمه الكودي هشام حجة) ، وإن السلاح الذي قُتل به كان قد تم تهريبه الى بلجيكا بمعرفة تونسي هو محمد ابو الجاسم ، وسُلِّم الى عدنان الرشيدي عن طريق مجهول."[١٥] وهذه الصور من الواقع المرير تثبت لمن يريد الحقيقة تطابق اهداف الموساد مع إنجازات ابو نضال مما دفع كثيرين من المحللين الى الإعتقاد بعمالة أبو نضال للإسرائيليين . ويختتم سيل هذه الفكرة بقوله:" اذا كان ابو اياد مُحقّاً في إدعائه أن

---

[١٤] – بندقية للايجار صفحة ٨٥ – ٨٦

[١٥] – ذات المرجع صفحة ٢٣٨

ابو نضال كان عميلاً إسرائيلياً فإن الدليل على هذا ستظهره الظروف وسيبقى كذلك حتى تقرر إسرائيل أن تقص القصةَ من جانبها."[16]

ومن المعروف حصول صدام بين ابو اياد وبين الرئيس صدام حسين حين رافق الرئيس ياسر عرفات في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ الى بغداد في محاولة لاقناع العراق بضرورة الإنسحاب . فخلال الاجتماع المذكور تجرأ ابو اياد ووجه نقدا صريحاً الى الرئيس العراقي مما جعله يخرجه من الاجتماع . ويقول كوولي بأن الرئيس صدام اراد القاء القبض عليه لولا اصرار الرئيس عرفات على عدم مغادرة بغداد الا برفقة ابي اياد .[17] وهناك الكاتب الافرنسي رولان جاكار الذي يتعرض لعملية الاغتيال والى عمليات الارهاب الفلسطينية عموما بدقة ظاهرة محددا الأسماء والملابسات والأسباب . فهو يتحدث عن تطور السلبية والمجابهة بين النظام العراقي وبين اتجاه صلاح خلف فيذكر كيف أن شرائح واسعة من الفلسطينيين المقيمين في الكويت رفضت التعاون مع الجيش العراقي ضد المجتمع الكويتي فتعرضت لمعاملة عراقية سيئة. فاشتكى ممثلون عن هؤلاء الفلسطينيين الى المنظمة فاذا بصلاح خلف يمسك بالقضية وينتقد التصرفات العراقية مما اغضب الرئيس صدام شخصياً . وتضيف القيادة العراقية الى " السجل الأسود " لصلاح خلف سياسته التي تميل الى ايقاف عمليات الارهاب بما في ذلك تحجيم ابي نضال الذي ارتكب من عمليات الارهاب ما لا يحصى ، وبعضه مشبوه الأهداف كما رأينا . وربما كانتِ القشةُ التي " قَصَمَتْ ظهرَ استمرارِ صلاح خلف على قيد الحياة " الملاسنة العنيفة بينه وبين أخي صدام حسين ابراهيم سبعاوي التكريتي الذي كان يطالب المنظمة بالقيام بعمليات الارهاب ضد المصالح الأميركية واغتيال شخصيات مختلفة . وكان سبعاوي التكريتي قد حاول التوصل الى مصالحة بين صلاح خلف وبين ابي نضال للحفاظ على وحدة المنظمات الفلسطينية أثناء أزمة الخليج ولكن صلاح خلف رفض بشدة واستمر في خطه المبتعد عن الارهاب . بل انه حارب قبل ذلك مجموعة ابي نضال واخترقها وتمكن من جر بعض اعضائها الرئيسيين الى جانبه وعلى رأسهم رئيس الادارة السياسية السابق في منظمة ابي نضال ، عاطف ابو بكر .[18]

---

١٦ – ذات المرجع صفحة ٤٢٨

١٧ – جون كوولي صفحة ٣٥٦ .

١٨ – حين وصف باتريك سيل كيفية القتل كتب:" لقد ضرب حمزة ابو اياد في رأسه وصرع فخري العمري الذي كان يحاول الاختباء خلف أريكة وصاح حمزة في ابي اياد عدة مرات : " دع عاطف ابو بكر يساعدك الآن ." صفحة ٦٥ .

فهل أنجز العراقيون وابو نضال تصفية صلاح خلف لازالة " الموانع الفلسطينية " التي كانت تقف عقبة في وجه تنفيذ مخطط الارهاب الذي يُراد منه زعزعة الأمن في صفوف الأميركيين ؟

هذا وحين جرى استجواب قاتل القائدين الفلسطينين عن المرجع الذي دفعه الى فعلته أجاب : ابو نضال . وابو نضال كان في العراق . وما يثير تساؤلاً جانبياً لدينا في هذه الجريمة هو تواجد القتيلين الشهيدين على رأس قائمة الأهداف للمخابرات الإسرائيلية . اي ان قتلهم خدم تلك الأهداف المعادية للقضية الفلسطينية تماماً كمقتل من ذكرناهم قبل قليل من المعتدلين في القيادة الفلسطينية .

اذن فالعلاقة بين الاغتيال وبين الاحداث في الخليج موجودة ولكنها غير واضحة . ونرى ضرورة ذكرها لكيلا تضيع فتُنسى .

– نلتقط مرة أخرى ما جاء في خطاب الرئيس صدام عن محاولات مختلف سماسرة السلاح بيع العراق قنبلة ذرية ليرميها على ايران . ولقد رفض ذلك . هذه الفكرة تثير لدينا تداعي افكار لا يخلو من خطورة ، وخاصة حين نقرنه بما كتبه الدكتور برهان غليون من ان الدول المتقدمة ستدرك " أن من المستحيل اليوم ، مهما عظمت الوسائل العسكرية ، إخضاع ثلاثة ارباع البشرية بالقوة ."[١٩]

نبدأ تعليقنا على ملاحظة د. غليون الذي نكن لكتاباته اشد الاحترام بايراد موضوعتين :

الأولى تشير الى خشية وقلق العالم المتقدم من الإنفجار السكاني الذي يهدد توازن التعايش على الكرة الأرضية والذي يخرب التوازن الطبيعي عليها. وهذا الإنفجار ينتشر في دول العالم الثالث .

والثانية هي المثال المخيف عما يحدث في البرازيل في هذه الأيام من قتل منظم للأطفال المشردين وهم في أعمار بين السابعة والثالثة عشرة . فهؤلاء الأطفال برازيليون لا أهل لهم ولا يوجد من يرعاهم او يمنحهم ادنى مقومات الحياة . ولذلك صاروا يتجمعون في عصابات تهاجم كل ما يخطر على البال لضمان وجودهم .لقد اصبحوا عالة على المجتمع ولم تشفع لهم اعمارهم للنجاة من القتل البشع .

---

[١٩] – غليون صفحة ٨

فإن كانت دولة البرازيل او اية فئة من المجتمع البرازيلي هي التي ترتكب هذا العمل الوحشي ضد مواطنين برازيليين أطفال ، فهل من العجيب ان يرتكب المتقدمون اعمالاً مماثلة ضد من يصبحون عالة على البشرية جمعاء ؟ اننا نؤكد ان المتقدمين بأنانيتهم يشكلون سببا اساسيا في مآسي العالم الثالث ، ولكننا لا نتكلم هنا عن الأسباب والمسببين وإنما عما يمكن ان يكون .

– نحن الذين نوهنا في هذا الكتاب عن انه كان بامكان مؤتمر جدة تفادي الغزو فيما لو استجاب الكويتيون لمطالب العراق ، ونحن الذين تساءلنا عما اذا كان الشيخ سعد العبد الله الصباح تعمد إجهاض المؤتمر باشتراطه إنجاز ترسيم الحدود قبل منح العراق المليارات العشرة . ولكننا نحن ايضا الذين نتحفظ على ما ذكرناه متسائلين : هل يمكن ان يكون الرئيس صدام حسين قد أنجز تلك الخطوات والاستعدادات العسكرية الهائلة ليعود فيسحبها بهدوء وسلام لمجرد حصوله على بعض ما يطالب به في لقاء جدة ؟ نحن جزمنا وما زلنا نجزم بأن الاستعداد العسكري لمثل هذا الغزو لم يكن ابن ايام او مجرد اسابيع قليلة ، وإنما تدبير مدروس منذ امد طويل. فهل شرع العراق بهذا المخطط الضخم منذ العديد من الشهور لمجرد إنجاز " معاقبة الكويت " اذا تلكأت بعد عام او بعد نصف عام في التنازل عن القروض؟ تُرى ألم يقرر العراق من طرفه إنجاز الغزو ان استجابت الكويت او لم تستجب ؟ تُرى ألم يكن في جعبة العراق ما كان قميناً بنسف التفاهم الودي مع الكويت لو جنح الكويتيون الى سياسة العطاء ؟

ان تساؤلنا هذا لم يصدر صدفة ولا عبثاً وإنما بقي كامناً في نفوسنا تحت الرماد الى ان أنعشه حديثنا مع البزاز الذي طرحنا عليه هذا السؤال فأجابنا بقوله :" لقد وضعت اصبعك على الجرح ، ولكني لن ابحث الأمر على الهاتف وإنما انتظر ريثما نلتقي. " ومما زاد في وجاهة السؤال اتصالنا بالضابط الكويتي العميد الركن مطر سعيد مطر الذي سبق ان ذكرنا كتابه " خطة الغزو الآثم " وذكرنا ما كتبه الكاتب الفرنسي رولان جاكار عنه من أنه (العميد مطر) كان منذ شهر تموز/يونيو ١٩٨٩ في القنصلية الكويتية في البصرة حيث كان يعمل سراً تحت غطاء مصلحة جوازات السفر لتقصي التحركات العراقية . وقال جاكار ان العميد مطر وجه بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٥ ، اي قبل الغزو بستة أيام كاملة ، رسالة بالشيفرة الى رئاسة الأركان الكويتية يشير فيها الى التاريخ الدقيق للغزو ، اي ٢ /آب/اغسطس ١٩٩٠ . ويقول جاكار أن العميد مطر كانت له اتصالات على مستوى الحرس الجمهوري ذاته . ولدى اتصالنا

بالعميد عرفنا انه لم يقرأ ما كتبه عنه جاكار. فأرسلناه إليه ثم تحدثنا معه بعد اطلاعه على ذلك فأكد لنا صحة ما جاء لدى جاكار فيما يختص به . وأكد لنا في حديثه عدة إفكارَ أخرى . منها توقيت إختراق القوات العراقية للحدود الكويتية الذي تم في الحادية عشرة والنصف ، اي قبل نصف ساعة من حلول يوم ١٩٩٠/٨/٢ . اما الفكرة الأهم التي قالها لنا فهي أن وزارة الدفاع الكويتية انتدبته خصيصاً الى القنصلية في البصرة بهدف محدد هو رصد التحركات العراقية لأنه تخصص في بريطانيا في هذا الإختصاص . وكان يرسل الى رؤسائه بالتدريج ما يتجمع لديه من معلومات . وقال لنا ان كتابه الذي ذكرناه ليس سوى مضمون التقارير السرية التي ارسلها الى وزارته خلال عام قبل الغزو ولكن وزارة الدفاع الكويتية فرضت عليه سبكها باسلوب يأخذ الصفة الوثائقية لأنها لم تسمح بنشر تلك المعلومات الا بالشكل غير الوثائقي. وأكد لنا بدون اي تردد ان رسالة الشيفرة التي أرسلها بتاريخ ١٩٩٠/٧/٢٥ محدداً فيها يوم الهجوم هي حقيقية ، ولمّح باللوم المتردد ولكنه واضح أن المسؤولين في الكويت لم يعيروا تقاريره نصيبها من المصداقية بالرغم من انهم أوفدوه لهذا الهدف بالذات ، بينما صدقوا أقوال " الآخرين " الذين طمأنوا القيادات بأن الغزو لن يحصل . ولما سألناه عن الاحتمال بأن رسالته لم تصل الى أصحاب القرار أجابنا مؤكداً ان الرسالة وصلت ونوقشت .

لم يتكلم العميد مطر بشكل يوحي بأنه يريد اعطاء نفسه أهمية زائفة ، وإنما تحدث بنفسية الواثق من نفسه والذي يقف على أرض الواقع معبراً عن ألمه من أن " الغزو العراقي لم يكن مفاجأة وإنما تم الإعداد والتخطيط له قبل ثمانية أشهر من تنفيذه " ويتابع قائلاً:" أما الشعب الذي لا يعيش في ظل خطة شاملة للأمن القومي فهو الذي تأخذه مفاجأة العدوان "[20] ان عتب العميد مطر على حكومته أوضح من ان يحتاج الى اي ايضاح . وهذا يدفعنا الى التساؤل مجدداً : لماذا أُرسل العميد في تلك المهمة إن كان لن يُعمل بما تقتضيه نتائجها ؟ وهل تجاهلها أولي الأمر لشكوكهم بصحتها أم لأن واشنطن أعطتهم المؤشر المُلزم لهم بعدم اتخاذ خط الدفاع ؟

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الإمارات العربية أحسّت بالتهديد من قِبلِ العراق فطلبت بالحاح من واشنطن ارسال قوات أميركية فأرسلت بعد تباطؤ وتردد ما يهدىء من روعها . فرتّبت الإمارات أمر الإستعانة بالقوة الأميركية لرفد دفاعها المحليّ. ونحن لا نناقش استطاعة الإمارات من الإستفادة من القوة الأميركية الصغيرة في الدفاع عن نفسها أو عدمه وإنما نتساءل : كيف أعربت الإمارات عن تخوفها من العراق الذي يبعد عنها " نصف

---

٢٠ – خطة الغزو تلائم صفحة ٨

الألف من الكيلومترات " وقامت بإجراءات دفاع احترازية بينما الكويت التي تقبع " ضمن مخالب العراق " تُحجم عن إنجاز ذلك ؟ ألا يؤيد تساؤلنا ان هناك من فرض على القيادة الكويتية عدم اتخاذ ترتيبات الدفاع ؟

نعود من أجل الإجابة على السؤال الى العميد المطر الذي طرحنا عليه السؤال التالي: ألم يكن بإمكان القوات الكويتية تأخير التقدم العراقي لو قررت الدفاع ؟ فأجاب بأنه كان من الممكن للقوات الكويتية تأخير العراقيين لمدة اسبوع. وأشار الى أن قوات الجو الكويتية أفضل تجهيزاً مما لدى العراق ، وقال بأنه لو كانت الكويت قررت الدفاع بشراسة لتغير كل الوضع. ولكن العراق كان يعرف بعدم نية الكويتيين في الدفاع وكان يعرف أن الجيش الكويتي لم يُستنفر وإنما كان ضباطه في إجازات. والعميد الهاشم أكد في كتابه وجود الضباط في منازلهم وعلى شاطيء البحر.

فهل يوجد أي شك بأن الكويت كانت قد قررت سلفاً عدم الدفاع ؟

– نحن ابعد من ان نستطيع سبر اعماق الحقيقة ، خاصة ان اصحاب القرار يتكتمون بشدة تجاه "الرعايا العاديين البسطاء " الذين يعتبرونهم " اضعف عقلاً " من ان يستوعبوا عظائم الأمور . ولكننا نرى ان السياسة الأميركية وحدها هي التي تمكنت من تنفيذ سياستها . فهي ، في رأينا التي استطاعت اقناع الرئيس صدام بأن لا حرج عليه من ان يستولي على الكويت ، وهي التي شدّت من ظهر الكويتيين ومن عزمهم لئلا يتنازلوا عن اي شيء للعراق وأقنعتهم بعبثية الدفاع عن بلادهم امام هذا الغازي المتفوق والعنيف ، فإذا بطرفي النزاع العربيين ينفّذان الأرب الأميركي بأبعاده القصوى .

فمن جهة لم تتنازل الكويت عن شيء حتى آخر لحظة ، ولم تنفذ مخططات الدفاع المدروسة والموجودة والتي لو تم العمل بها لما توصل العراق الى هذا النجاح الرخيص. فالجيش الكويتي أفضل مما يُنسب إليه . بل إن العراق لو عرف بأن الكويت الصغيرة قررت الصمود وبذل الغالي والرخيص لدفاع بطوليّ لما انخرط في مغامرته بالرغم من ان النصر كان سيكون حليفه في نهاية الأمر ،

ومن جهة ثانية لم ينسحب العراق حتى آخر ثانية من النهاية المرة التي اصابت الشعب العراقي الضحية .

لقد احتاطت واشنطن لتنفيذ مخططها بوضع صمام أمان يضمن لها النجاح. فلو استجاب العراق للضغوط العربية فجنح الى الحل السلمي لاستمر الكويتيون في تصعيد التحدي

الذي يثير العراق . ولو استجاب الكويتيون للحلول الوسط لاستنتج العراقيون قوةً في موقفهم وضعفاً في موقف الكويتيين ولبالغوا في شد اوتار الأزمة حتى تتقطع .وبذلك اعفى طرفا النزاع واشنطن من ضرورة استخدام صمام الأمان .

* * *

مهما كانت آراؤنا في الرئيس صدام حسين في العصر الحاضر فإن اسمه في كتب التاريخ وفي ذاكرة الجماهير والاجيال سيقترن مع ايجابية وبطولة بالرغم من الهزيمة النكراء التي مُني بها مما فرض عليه الإستسلام دون قيد أوشرط. فهو بالنسبة إليهم القائد العربي الوحيد الذي فضل الاستمرار الإنتحاري العنيد في تحدي تلك القوة العظمى المسماة الولايات المتحدة، وذلك في وقت لم تعد فيه قوة عظمى أخرى تناوئها إنما اصبحت القوة الوحيدة التي تهيمن على العالم. فالهزيمة التي اصابت العراق مهما كانت قاسية فإنها تحمل في طياتها عناصر مضيئة من الكبرياء والنصر وخاصة حين نضع في عين الاعتبار الفارق النوعي بين القوتين المتحاربتين مثل ما هو عليه بين الولايات المتحدة ومعها التحالف العالمي والعراق. فالتناسب بينهما لايشبه حرب داوود وغوليات في التاريخ اليهودي، إنما كان بين مارد متوحش وبين طفل غض. ولن يضير الطفل أن هزمه هذا الوحش.[٢١]

أما عن الايجابيات التي أنجزها الرئيس صدام من أجل نهضة وتنظيم العراق وفي الدفاع البطولي عن الجناح الشرقي للامة العربية فهي أوضح من أن تحتاج الى شرح. لم يكن رفيقا تجاه شعبه في كل الاحوال إنما لجأ الى عنف شديد، ولكنه أنجز. أما أن يستحق لقب البطولة عما حدث في الحرب الثانية فهو أمر مشكوك فيه. فهل يجوز أن نقول أنه حارب حقا في الحرب الثانية ؟. إننا لو استثنينا معركة الخفجي ومعركة المدرعات الدفاعية للحرس الجمهوري في أواخر ايام الحرب لما وجدنا أية معركة على الإطلاق وإنما كنا شاهدنا مجزرة

٢١ – يقول كريم بقرادوني على الصفحة ٢٥٤ في هذا الصدد ما يحسن اقتباسه . فهو يكتب :" انّى تكن النهاية فقد دخل صدام حسين التاريخ العربي كباني العراق وحامي العروبة . ومهما تدمرت البنى والانجازات يبقى شيء ثابت وهو انه حوّل العراق من دولة مستضعفة الى دولة مهابة . ومهما تكن الذرائع والأسباب فإنه خسر عسكرياً بأسرع مما كان يتوقع أصدقاؤه ، لكن طروحاته قد تبقى أطول مما يظن أعداؤه . لقد أطلقت حرب الخليج العرب من سباتهم وبشكل دراماتيكي . وستتمسك الشعوب العربية ، والى زمن قد يطول ، بشعارات الزعيم العراقي الثلاثة : الاستقلال الوطني والحق الفلسطيني وتوزيع ثروة العرب على كل العرب . انه يجمع بين البداوة والحضارة ، ومزيج من العبقرية وجنون العظمة ، ومع فارق الزمان والمكان والسيرة والمسار فإنه في العرب بطرس الأكبر ."

جوية لم تسمح للعراق بالتقاط نفسه ولا برفع رأسه ليرى ماذا يتساقط عليه. ولانعتقد إلا أن كل المواطنين العرب أكانوا مع الرئيس صدام أو ضده كانوا يتمنون في سريرتهم شيئا من النصر للعراق بأن يُنزل بقوات التحالف وخاصة الأميركية منها ضربات موجعة تكبدهم من الضحايا والخسائر ما لايمكن للإعلام التستر عليه كاغراق قطعة بحرية من الصف الأول . إن ما كان لدينا من التفكير الواقعي عن الفارق العظيم بين قوة العراق وقوة المتآمرين عليه كان يدفعنا للشك في امكان ذلك، ولكن اصرار الرئيس العراقي على "أم المعارك" ونشره لها على كل موجات الاثير صوتا وصورة جعلتنا نتوقع أو نتمنى ولو في "دهاليز سريرتنا" أن يكون في جعبته سلاح أو وسيلة لانعرفها ستمكنه من انزال خسائر جسيمة بالقوات المعادية في بضعة معارك. ولكننا انتظرنا عبثاً ومُنينا بالإحباط وتساءلنا بأسى: لماذا يتحدث عن ام المعارك إن لم يكن يملك المضمون الفعلي الذي يسمح له باستخدام مثل هذه التعابير؟.

لقد عرفنا كما عرف كل العالم بأن الطائرات العراقية تسللت الى ايران أثناء الحرب لتستولي ايران على معظمها كتعويضات عن الحرب الفائتة. أي أن الطيران لم يحارب. ونحن بالأصل لم نتوقع أن ينجح طيران العراق المحدود في مقارعة اقوى اسلحة الطيران في العالم أجمع والمزودة بأحدث التقنيات من جهة والعارفة بكل مواطن ضعف العراق وبأماكن تواجد ما لديه. ولابد أن القيادة العراقية تعرف ذلك تماما. فلماذا الحديث عن القوة بصوت عال إن كانت النهاية بادية بهذا الوضوح؟.

لاشك في أن العراق كان يأمل في تعديل موازين الربح والخسارة من خلال المعركة البرية التي كان ينتظرها والتي طال الحديث عنها وحارت فيها الآراء. ونقتبس من البزاز ما يخص هذه النقطة مأخوذة عن حوار الرئيس صدام مع المبعوث السوفياتي بريماكوف:

" عاد بريماكوف الى موضوعه : المهم في هذه اللحظة ان تنطلق المبادرة من العراق قبل بدء المعارك البرية.

عندئذ قال الرئيس صدام حسين:

– أحب أن تعرف جيدا ان العراق قادر على الدفاع عن نفسه وحتى لو خرقوا الجبهة فاننا سنسحبهم الى المدن ونقاتلهم بكل سلاح.

علق بريماكوف : انا لاأشك في هذا ابدا وانني افهمه جيدا.

واصل الرئيس :

– هذا هو تصميمنا قبل أن تبدأ الحرب" [٢٢]

---

٢٢ – بزاز صفحة ٣٥٤–٣٥٥

ولكن المعركة البرية لم تندلـع بالشكل الـذي كـانت ترجـوه القيـادة العراقيـة. وكـانت الفرصـة الوحيدة المؤكدة تقريبا في حصول معركة برية حقيقية هي فـي بقـاء القـوات العراقيـة متحصنة في مدينة الكويت لأن واشنطن حملت على عاتقها تنظيف الكويت من العراقيين ولأن إخراجهم منها كان سيحتاج الى حرب شوارع من نقطة الى نقطة ومـن بيـت الـى بيـت إلا لـو اختار الأميركيون تحطيم كلّ المدينة على رؤوس كلّ من فيهـا. وهنـاك اقـوال لشـوارزكوف تؤكد على عدم رغبة قوات التحالف بحرب دموية أرضية يمكن ان تدمر الكويت . فـإن كـانوا قرروا حماية الكويت كان بامكانهم الوصول الى ذات النتيجة من خـلال إحكـام الحصـار علـى القوات العراقية في المدينة وقطع كل الامدادات عنها مما سيصيب الغـازي وضحايـا الغـزو معاً من جهة وسيطيل أمد الحرب ممـا يهـدد بفرط عقد التحالف خاصـةً بعـد تخمـر مشـاعر الجماهير العربية التي اصبحت شاهدة على المجزرة. ولكن العراق الذي كان ينتظـر المعركـة البرية التي ستمكنه من أن يصول ويجول في الحقل الذي تكمن فيه قوتـه سـحب معظـم قواتـه من الكويـت قبـل بـدء المعركـة البريـة بعدة ايام حسـب شـرح سـعد البزاز[٢٣]. وبالإنسـحاب المسبق اعفى الرئيس صدام قـوات التحـالف مـن خـوض المعركـة الشرسـة التـي كـان يريدهـا وتخلى عن الكويت بحيث لم تعد ثمة حاجة لقوى التحالف في ملاحقته الى داخل اراضيه.

نعود الآن الى المعركة البرية التي يصفها البزاز فيقول:

" فوقعت أول واكبر معركة منظمة اشتركت فيها الدبابـات الامريكيـة والعراقيـة وجهـا لوجـه، وبعـد سلسـلة اشـتباكات كـانت تجـري مـن مسـافات بعيدة. طـوال الايـام الاثنتيـن والاربعيـن الماضية، أما في جنوب العراق ، على المسافة الممتدة بين غرب البصرة وشمال الزبـير، فقد دارت معركة دبابات استمرت اربع ساعات، بـدأت عندمـا فتحت دبابـات T٧٢ التابعـة لفرقـة (المدينة المنورة) من الحرس جمهوري نيرانها على طلائع دبابات امريكيـة مـن نـوع M٦٠، واوقفتهـا بعـد اصابـة أول ثـلاث دبابـات، فانحسـر الإندفـاع الامريكـي الـذي آزرتـه دبابـات بريطانية، ثم عاود الطرفان الاشتباك في قتال جبهوي من مواضع قريبة، بحيث صـار بامكـان افراد من المشاة المساندين رؤية الجنود في الطرف المقابل، والقفز فوق الدبابات المحترقة.

ولم تتوقف تلك المعركة النظامية الأولى والأخيرة، على بر حرب الخليج، الاّ عندمـا تراجعت الدبابات الامريكية الى الخلف وتركت مسافة واسعة خارج مـدى إطـلاق النـار بعيـدا عن حافات دبابات الحرس الجمهوري."[٢٤]

---

[٢٣] - بزاز صفحة ٤١٢

[٢٤]- بزاز ص ٤١٣-٤١٤

ويتحدث شوارزكوف عن هذه المعركة فيكتب: " قام الفيلق السابع بمجابهة الحرس الجمهوري.. ولا غرابة في ان يقاتل الحرس الجمهوري بضراوة وهو متمسك بمواقعه."[٢٥]

ونحن ننطلق من صدق صورة المعركة كما وصفها البزاز. وإن شهادة شوارزكوف تؤيد الاستبسال العراقي. لذلك نتساءل : ما هو الدافع الذي كان سوف يجعل قوات التحالف تعرض نفسها للخطر في معارك برية خطرة إن كانت تستطيع الوصول الى كل مآربها العسكرية من خلال القصف الجوي؟. ونحن نعتقد بأن الولايات المتحدة كانت تخطط لاستمرار الحرب الجوية لفترة اطول خاصة بعد زوال اي خطر عليها من الدفاعات العراقية، وذلك لتزيد من قائمة الفواتير الموجهة الى عرب الخليج ، ولكي تدخل بعد ذلك القوات البرية الى عراقٍ لاحراك له . ولكن المبادرة السوفياتية الأخيرة احرجت واشنطن التي ربما خشيت بأن تتملص موسكو من تأييدها لما تفعله فتخرج عن الاجماع. ولهذا السبب قدّمت واشنطن ساعة الصفر للمعركة البرية بسرعة مسعورة ثم انهت الحرب تفادياً لتزايد اعداد الضحايا وفوتت على الرئيس صدام هذه الفرصة. ونحن نرى أن تكرار ذكر المعركة البرية والقاء الاضواء عليها طوال ايام الحرب الجوية لم يكن إلا بهدف دفع العراق للجلد ولتحمل المزيد من الأذى والدمار متأملا أن تأتي فرصته في المعركة البرية. ولما أتت أو يُفترض ان تأتي، جعلوا منها فقاعة من الصابون خيبت آمال العراق .

اننا لانريد تحطيم تمثال شغل مكانة واسعة في قلوب قطاع كبير من الجماهير العربية ولكننا في ذات الوقت لانستطيع القفز عن الوقائع التي تفرض نفسها ، فنحن كنا سوف نرى بطولة جديدة للرئيس صدام لو انسحب من الكويت قبل اندلاع الحرب قائلا للجماهير العربية على سبيل المثال: " لقد قامرت في لعبة " بوكر القوة " حتى الرمق الأخير آملا في تصدع عناصر المؤامرة على العراق، ولكنني فضلت التراجع، بل قبلت بما قد يسميه الحاقدون هزيمةً حقناً للدماء ودفعا للكارثة التي يريدون انزالها بنا . فنحن بالرغم من قوتنا لانبلغ ماأعدته الدول العظمى لتدمير العراق، ولذلك أُعلنُ من طرفي عن انسحاب غير مشروط لكل قواتنا من الكويت."

فإذا استثنينا فئات تريد للعراق الأذى وتضمر له السوء فلا نعتقد بوجود أي مواطن لديه قطميرٌ من تفكير سليم كان سيلومه على الإنسحاب وإنما سيفرحون وسيتنفسون الصعداء.

تكمن خطيئة الرئيس الاساسية فيما نرى في الطريقة التي اتبعها في محاولات الخروج على المعادلات التي وضعها العالم المتقدم لامتصاص رحيق الحياة من العالم الثالث

---

[٢٥]- شوارزكوف ص ٢٦٥

ولمنعه من النهضة والتقدم. ويبدو لنا أن هذه المعادلات بلغت مرحلة القداسة لدى العالم الأول. فدُوله تتفق بسرعة عجيبة بالرغم من كل التناقضات الكامنة فيه – حين ترى دولة ناشئة شب عودها وتريد كسر طوق التخلف وتسعى للنهوض فيُفْتَكُ بها قبل أن تبلغ اربها. ولما يزول خطرها تلتفت دُولهُ الى تسديد الضربات الى بعضها البعض لتصفية الخلافات الناشئة عن خصوماتها الداخلية. اليس هذا ما حصل مع علي باشا الكبير؟. أليس هذا ما أعترف به الوزير الفرنسي الإنسان بيير شفينمان؟.

وخطأ طريقة الرئيس صدام يكمن في إختياره للمجابهة العلنية بالقوة مستخدما في ذلك وسائط ووسائل واسلحة يستوردها جميعا من الخصم ما عدا النزر اليسير الذي لايمكن له قلب الموازين. وكان على الرئيس صدام أن يدرك بوعي أكبر حرص الخصم على عدم منحه من العلم والسلاح ما يجعله قريباً من أن يصبح خطرا عليه أو يستخدمه ضده بنجاح.

ونحن نرى أن علنية المجابهة والتظاهر الإعلامي بما ينجزه العراق أسوأ وأخطر من اعتماده على الاسلحة المشتراة من الغرب. ولو تابع العراق جهوده العلمية والصناعية بهدوء وصمت بعيدا عن التحدي فلربما كان الامل اكبر في الوصول الى شيء. ولقد سبق لشاه ايران أن سار حقا في طريق العلم والإصلاح، ولكنه تبجح بإنجازاته واعلن عن طموحاته، واستأسدَ متحدياً فأرداه التآمر الامريكي قتيلا.

لاشك في أن الغرب لم يكن ليترك العراق أو غير العراق ينهض، ويكسر الطوق، ويعبث بمعادلات المصالح العليا لأسياد الكون حتى وإن لجأ الى طريق التستر والصمت، وبالرغم من ذلك نُصِرُّ على رأينا من أن الصمت والتستر يشكلان الحل الناجح الوحيد الذي يحمل في طياته بصيصا من الأمل. وننطلق في رأينا من منطلقين: الأول هو أن المجابهة بالقوة العسكرية محكوم عليها بالفشل الذريع سلفا ولذلك فهي عمل يائس وخاسر خاصة انها تستنفد قدرات الدولة والشعب المالية والبشرية دون جدوى. والمنطلق الثاني يكمن في ان إعلان العالم الأول الحرب على دولة مثل العراق أو مثل مصر لمجرد انها تسعى الى أمنها الغذائي وتلتفت الى التقنية والتنظيم والنظافة سيكون أكثر صعوبة واحراجا للحكومات الغربية تجاه شعوبها . فحكومات الديمقراطيات الغربية تحتاج الىالدعم الإعلامي الشعبي. وهذه هي صفة يجب على العالم الثالث الاستفادة منها. فالشعب الأميركي نهض مع حكومته ضد العراق حين امكن ابراز الرئيس صدام حسين على انه عدو الشعب الأميركي رقم واحد. وكانت خطابات الرئيس صدام وكلمات وزير إعلامه الذي كان يريد أكل الطيارين الأميركيين أحياءً تحوي من النصوص المتفجرة ما يكفي لتغذية الإعلام الأميركي والعالمي المغرضين ليتمكنا

من تأليب الجماهير على العراق. ولو لم تتمكن اجهزة الإعلام من كسب الشعب الأميركي لتعثر مخطط الرئيس بوش. اننا ندرك طبعا أن جبهة الإعلام الغربي التآمري ضد دول العالم الفقير لن تخلو من طرق خبيثة لاستثارة الشعوب. ولكن بالرغم من ذلك فإن اتباع سياسة الصمت والتستر والتواضع ومضافا إليها بذل جهد اكبر في التاثير على الإعلام العالمي سوف تفعل فعلها في منع الأذى عن الدول الناهضة في العالم الثالث الى فترة اطول بكثير مما لو رفعت عقيرتها صياحا بكل صغيرة أو كبيرة تنجزها.

* * *

في كل كتابنا نندب حظنا بل نتطلع متطاولين الى تمثيل العالم الثالث الذي لم يُكلفنا ولم يفوضنا أن نمثّله فنندب حظه معنا ايضا شاكين باكين من ظلم السياسة الأميركية تجاهنا . فهل يجوز لنا أن نلوم الولايات المتحدة والغرب في كل ما يفعلونه ضدنا حرصا على مصالحهم؟. أليس هو متنبينا الذي قال:

والظلمُ من شيَمِ النفوسِ فإن تجد ذا عفةٍ فلعلةٍ لايظلمُ.

ليس الجواب بالسهل! وإن كنت صادقا مع نفسي لاعترفت بأن الحيرة تتملكني كليا فيما اجيب. فمن جهة اعطي الولايات المتحدة والغرب كل الحق في تخطيطاتهم التي تضمن مصالحهم وتُبعد عنهم شبح الأذى الى اطول فترة ممكنة من عمر التاريخ. ومن جهة أخرى الوم اساليبهم وتلاعبهم بكل القيم والمبادئ التي يتسترون وراءها واشجب لجوءهم الى الحلول الدموية الجماعية أو السكوت عن ارتكابها من قبل آخرين لحسابهم من اجل تثبيت فوقيتهم.

وفي بعض اللحظات اعطي الولايات المتحدة كل الحق في اتباع الطريقة التي تراها أنسب للحفاظ على مكانتها شريطة ألا تستخدم في سبيل ذلك الوسائل الدنيئة بعيدا عن كل القيم الإنسانية. واضرب على ذلك مثلا عمليات التنافس بين الشركات الضخمة التي تتجسس وتتآمر على بعضها البعض وتضع العراقيل في اسواق بعضها البعض دون أن يبلغ المكر مستوى أن تَغتالَ شركةٌ علماءَ أو مدراءَ شركةٍ أخرى لتتفادى منافستها.

لو كان حرص المتقدمين على سحق العالم الثالث شرطاً من شروط بقائهم او استتباب امن عيشهم لما ترددنا في احترام وسائلهم الممجوجة او لنقل تقبلها وتفهمها . اما ان

يسعوا الى تعطيل الرئة الأكبر في جسم البشرية من اجل استمرار فوقيتهم على حساب العالم الثالث فهو امر غير أخلاقي لا يحقق التعايش الآمن الذي تحتاجة بشرية اليوم . ولو سُئِلَتْ شعوبُهُم عنها لما أيدتها تلك الشعوب. فالإنسان الطبيعي ليس عدوانياً بالفطرة كما يحلو للبعض ان يدعي. هذا ولو كانت القيم التي يدافعون عن استمرارها هي القيم الأفضل لأبدينا شيئاً من التفهم ايضاً . ولكن هل هي افضل ؟ ألم يبلغ التفسخ الاجتماعي في الدول المتقدمة مبلغاً يصعب فيه ان نتصور استمرار نهوضه على مثل هذه الأسس ؟ اننا لن نختار موضوع الإباحية المريضة المفرطة والتي تتزايد باضطراد ، ولا مظاهر الشذوذ العجيبة التي هي أكثر انتشاراً مما نعتقد مثل ممارسة أخٍ وأبٍ الجنس مع الأخت/الابنة حيث حملت وولدت منهما ثلاث مرات بعلم الأم وتحت سمعها وبصرها ، وإنما نختار صورة شديدة الاعتدال ألا وهي عيد الأم ! فما هي خلفية هذا العيد الذي استنبطته مجتمعات الدول المتقدمة ؟ الا يدل على ان الأم اصبحت هامشية وثقيلة الظل على الأولاد الذين لا يجدون الوقت لرعايتها مما جعلهم يخترعون هذا اليوم/العيد ليزوروها ويكرموها فيه وليهملوها خلال بقية العام ؟ ان إتهام المتقدمين بالمادية لا يعني بالضرورة التهالك على جمع المال بأية وسيلة كانت وإنما الافتقار الى الشعور الاجتماعي الذي يربط وشائج العائلة دون وضع الممتلكات المادية في القدح المعلى . فالمرء في مجتمعات العالم الثالث يعيش قريبا من جيرانه عارفا لهم او على خلاف معهم في بعض الأحيان . ولكن الترابط حاصل. هذا ولا شك في ان مطالبة المتأخرين للمتقدمين بشيء من العدالة يتلازم مع واجبات عليهم تنفيذها تجاه العالم المتقدم . وربما أولها هو تحديد النسل الذي يشكل القنبلة الموقوتة للعصر الحاضر .

يقول الدكتور برهان غليون ، استاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة باريس ما يجدر اقتباسه لجمال مضمونه فهو يقول : "اذا لم نشأ ان نفهم السياسة كعمل ملائكي ، لا بد لنا ان ندرك ان التدخل العسكري للمتحالفين ، مثله مثل تدخل العراق في الكويت ، يخضع لحافز واحد هو المصلحة . والا كان علينا ان نؤمن ان وراء ارسال الولايات المتحدة أبناءها ليقتلوا في الخليج دافع واحد هو تقديم الديمقراطية والسلام للعرب على طبق من فضة . وهذا يعني الخلط بين السياسة والصدقة الدينية . ...فمفهوم المصلحة ليس من المفاهيم التي تستحق التشكيك او تقبل المناقشة . ان ما ينبغي ان يُشكك فيه ويستحق المناقشة هو مدى شرعية مصلحة من المصالح ، سواء فيما يتعلق بمحتواها او بالوسائل التي تستخدم في تحقيقها . فعلى ضوء موقف الأمم من هذين العنصرين وتحديدها لطبيعة مصالحها واسلوب تحقيقها يمكن ان نحكم على سلوكها ، من حيث أخلاقيته ومن حيث صلاحه السياسي . ... ان الحس السليم

يقضي بأن الحق لا يمكن ان يكون رديفا للعدالة ، وبالتالي حقا مشروعا ، الا بقدر ما يظهر ان تحقيقه لا يهدد المصالح الحيوية للأطراف الأخرى ، وان الوسائل التي يستخدمها لذلك تتناسب مع قيمة المصلحة المنشودة . ومن هنا ، مهما كانت مشروعيته الظاهرة ، لا يمكن لتحقيق الأمن لشعب من الشعوب ان يبرر تدمير شعب آخر او القضاء على امنه . ومهما كان حجم الرهان ، لا يمكن للغاية ان تبرر الوسيلة . وبغير ذلك لن يكون هناك معيار ممكن لضبط البحث عن المصلحة الخاصة سوى معيار القوة . وفي هذه الحالة فإن البحث عن المصلحة يتحول لا محالة الى اساس لخلق أوضاع من العداء المطلق او المفتوح ، وتفجير حرب طاحنة وشاملة لا تنتهي الا بموت الأطراف المتنازعة . انها حالة غياب اي قاعدة منظمة ، او بالأحرى انه نظام الفوضى . "[٢٦]

ولكني في آخر الأمر اطرح على نفسي هذا السؤال : ماذا كنت افعل لو كنت مكان الرئيس الأميركي؟. وهل كنت أرضخ والتزم بالمبادئ الحضارية التي ادعو إليها ؟ اعتقد صادقا بأن جوابي هو الايجاب. ولكن الكلامَ من المستوى الادنى ، حيث اتواجدُ ، لأسهلُ من كلامِ من يَتَرَبَّعُ على العرش.

اني اذ اتعرض لهذا السؤال فأجيب بذاك الجواب لا انطلق من شخصي وذاتي إنما اريد لكل مفكر أن يطرح على نفسه هذا السؤال ثم ليتعامل مع مجتمعه على هذا الاساس. فالمصالح الإقتصادية هامة جدا. والذود عنها واجب. ولكن الثروة ليست كل شيء.

ومهما كانت الاجوبة على التساؤل المطروح يجب على الأمة العربية والاسلامية وعلى العالم الثالث، وكلهم مستهدف، تَحمّل الألم والعمل الحثيث على النهوض بدءا من استتباب الأمن الغذائي ومتابعة العلم وتامين النظافة والتنظيم وسيادة القانون . فلو حصل أن حوصروا ومُنع عنهم كل شيء لأمكن لهم الاستمرار على قيد الحياة، وسوف يأتي اليوم الذي يكون لهم شأن آخر.

انها كلمات تبدو بسيطة ولكن تنفيذها يتطلب قوةً ذاتيةً تفوق التصور . وان التوصل الى مداها يحتاج الى رجال .

نحن متفائلون ، والتغني بالأمجاد لا يضير بل إنه ضروري شريطة ألا نجترها اجتراراً وألا نقبع على اعتابها مخدرين ثملين حتى فقدان الوعي ! والنهضة لا بد قادمة . فإن تخلينا عن كبت الفكر ، وإن تقبلنا احتمال كوننا على خطأ مع تقبل تصحيح ما نرتكبه من أخطاء ، وإن تقبّلنا ان يزيحنا عن كرسي القرار والحكم رجال آخرون يتقبلون بدورهم التنازل

---

٢٦ – برهان غليون ." ما بعد الخليج " صفحة ٤٧-٤٩

لنا ان إختارنا الشعب ، لوضعنا أقدامنا على طريق الصعود الى مستوى الأمم التي تستحق الحياة .

هل انتهت حرب الخليج ؟

كلا لم تنته، ولا يمكن لها أن تنتهي

- طالما العواطف حبلى بالغضب وبالمرارة
- وطالما النقمة والرغبة في الثأر محتقنة في نفوس طرفي النزاع
- وطالما أن العراق لم يحصل على المنفذ اللازم الكافي على مياه الخليج.

قد يبدو المطلب الأخير اليومَ شاذاً ولا يتناسب مع الحقائق الماثلة على أرض الواقع الذي يتلخص بوجود عراق " مهزوم " ومُقطَّع الأوصال ومُحاصر، ووجود كويت منتصرة. فلا المهزوم مهزوم، ولا المنتصر قادر على التمتع الحرّ والحقيقي بثمار النصر. فالعراق يرى نفسه ضحية لمؤامرة متقنة التحضير والتنفيذ بالرغم من سكوته الحالي. وهو حتى الآن لم يُلزم نفسه بشكل كامل بالحدود التي رسمتها لجنة الأمم المتحدة. إن العراق يترقب الفرصة لمعاودة الكرة بأسلوب مغاير حين تختلطُ أوراقُ لعبةِ المصالحِ العالميةِ من جديد فتنفرج فسحة تمكنه من ذلك.

والكويت أكثر تمرساً في شعاب السياسة من أن تطمئن الى وعود والتزامات الولايات المتحدة بالدفاع عنها. وهي تعرف أن القرارات الأميركية تُشرق وتَغرب طبقاً لمصالحها العليا غير عابئة بأشخاص أو بقيادات مهما كان الودّ بادياً في العلاقات الشخصية أو في الإعلام المنشور. وبالرغم من قناعتنا بأن القيادة الكويتية صاحية لمكر الأميركيين فإننا نحذر من أن المخططات المجهولة ربما تكون أكثر أذى للكويتيين من كل ما سبق. فكم من صديق لأميركا تمت التضحية به بالرغم من الرأي الذي كان سائداً بأن حدوث ذلك ضرب من المستحيل. وكم من ضحية للسياسة الأميركية كانت ترى ما حصل لغيرها ولكنها كانت تعتقد أن الأمور معها هي شيء آخر تماماً. ولذلك فإن الحكمة تكمن في التساهل وفي أخذ مواقف اللين في أزمة الكويت مع العراق.

لن يستتب هدوء ولا سلام في الخليج إن بقيت الآراء السائدة في الكويت متطرفة مثل التي قرأنا عنها في افتتاحيات هناك تُحَمّلُ اللوم على كل شعب العراق. فهل تناسى الكويتيون ضحايا الشعب العراقي ومعاناته دفاعا عن الرأي الآخر في داخل العراق؟

لقد بلغ شعور التأذي لدى الأكثرية الساحقة من الكويتيين مقداراً لم يدرك مداه الرئيس صدام حسين. ونعتقد أنه لم يُحِطْ بعد بحجم الأذى الذي أصابه شخصياً لدى مواطني الكويت الذين كانوا يكنون له محبة صادقة. لقد بلغ اليوم الرفض الكويتي الشعبي للقيادة العراقية ما يفيض عن رفض العائلة الحاكمة هناك. ولا نستبعد أن العائلة الحاكمة قد تستجيب على مضض لضغوطات سياسية عليا فتوافق على مفاوضات لوصل ما انقطع . أما أن ينسى المواطنون الكويتيون التجاوزات العراقية فهذا ما لن يحدث في وقت قريب.

ولن يكون ثمة سلام إن لم ينتقل العراق نقلةً نوعية في آلية الحكم في الداخل من جهة، وفي طبيعة نظرته الى الكويت من جهة أخرى. أما ما يختص بالداخل فيجب اجتثاث العنف والدموية واستئصال الأرضية الفكرية التي تشكل قاعدة له. وأما ما يختص بالكويت فيجب أن تراعي كل قيادة في العراق بأن الكويت أصبحت كيانا واقعياً رفيع الشأن محلياً وعالمياً. وإن الحديث عن الوحدة العربية تجاه الكويت أصبح لا يختلف بالواقع عن وحدة دولٍ عربية أخرى. هذا ويجب صرف النظر عن الصفات الشخصية التي يتحلى بها شيخ أو آخر. فالتصرفات الشخصية لا تشكل مقياساً صحيحاً لوطنية رجال الحكم. وهل رجال الحكم في العراق منزهون أو معصومون؟

لقد تمكنت عائلة الصباح من إنجاز خطوات تجعلها في مقدمة الدول العربية. وبرز منها رجال أعمال توصلوا قبل غيرهم الى حدّ التدخل الفاعل في الإقتصاد العالمي مما لم يرتح له الغرب. ولا يجوز إنكار الفرص الكبيرة التي أتاحتها الكويت لشريحة كبيرة من مواطني الدول العربية فجمعوا ثروات أتاحت لهم الانطلاق الخلاق في مواطنهم الأصلية ولا تقف الكويت وحدها في هذا الموقع وإنما يشاركها في ذلك كل دول الخليج . وليس من الوفاء في شيء أن ينعم المواطن العربي بما جمعه هناك ويتابع كيل الشتائم.

لا شك في أن إنجازات الكويت تختلف في نوعيتها عن إنجازات العراق. ولكن ما تعرّض له العراق خلال حربي الخليج، وفي الثانية على وجه التحديد يفرض علينا التساؤل المحق: هل تمثل الإنجازات العراقية الطريق الأفضل للتقدم على المدى البعيد؟

لقد برز العراق صناعياً في عدة مجالات وخاصة منها السلاح. ولكن الثمن المادي والإجتماعي الذي صُرِفَ من أجل ذلك كان بالغاً جداً. وقبل أن يحقق العراق أهدافه من التصنيع الثقيل والعسكري تعرّض لحرب شرسة أبادت كل القيم المادية التي تكلفها. ولن يكون من السهل عليه تعويضها لضخامة الأموال التي ستحتاجها، ولأن مصدرها هو ذات القوى التي باعتها سابقاً ثم حطمتها ، بل وأخذت أجراً هائلاً على إنجاز تحطيمها. ولكن الإنفصام

الإجتماعي الذي لازم النهضة الصناعية ورافقها استمر دون رحمة. وهو أكبر أثراً على النهضة الحقيقية من ضياع المال والمصانع. لقد أُصيب المجتمع العراقي خلال ما يزيد عن عقدين من السنين بالخوف والذعر وصار المواطن يخشى مجرد الهمس في سرِّهِ خوفاً من أن يُسمع همسه فيأتيه زوار الفجر ليأخذوه بعد تعذيب يفوق الوصف الى ظلام القبور. فهل يمكن للنهضة أن تأخذ أبعادها الصحيحة إن كان الإرهاب والإرعاب يشكلان ديدن الحكم ؟

أما الكويت فقد تقدمت في مجالات تستدعي من رؤساء الدول العربية مراجعة تقييمهم للسياسة المستقبلية. فلربما تشكل الطريقة الكويتية السبيل الأفضل لكسر الطوق العلمي والتنظيمي المضروب على الأمة العربية. فمن خلال جلوس مواطنين من الكويت في مجالس الإدارة لشركات عالمية أصبحوا قادرين على إلقاء نظرة الى داخل مؤسسات الحضارة في الدول المتقدمة. ولقد وصلت الكويت الى ذلك بدون إرهاب الشعب وبدون حرمانه ضروريات وكماليات الحياة. قد تكون الديمقراطية في الكويت منقوصة. ولكن أين هي الديمقراطية الأفضل ؟ ألا يُحسبُ لقادة الكويت أن الشعب يتمتع بالأمن وبالبحبوحة مع توفر الكرامة الفردية بشكل أفضل مما هو الأمر عليه في مواقع أخرى ؟ وهل يجوز لأحد أن يقارن النظام الحاكم في الكويت بالعدم الديمقراطي الذي يكتم أنفاس المواطنين في العراق فيجعلهم يتكتمون على قيم خلاقة تغلي في أفكارهم خشية أن يؤدي إعلانهم عنها الى سينٍ وجيمٍ تنتهيان بهم الى مصير أسود ؟

قد يقول قائل بأن ثراء الكويت مقترن بقلة عدد أفراد الكويتيين. ولكن من قال بأن العراق فقير ؟ إنه من أغنى بقاع الأرض. فثروته لا تقتصر على البترول، ولا على أراضٍ من أخصب بقاع الأرض وإنما توجد فيه ثروات جيولوجية دفينة لا حصر لها ولا ينقصها الا شعور المواطن العراقي بالطمأنينة ليفجر بفكره طاقات التقدم.

ليس من السهل أن ينسى المواطن الكويتي إساءات النظام العراقي خلال فترة الغزو. ولكن هل كانت ردود فعله تجاه الآخرين بعد انسحاب العراقيين أفضل مما عانوا هم منه ؟

وليس من السهل على المواطنين العراقيين أن يغفروا للنظام لديهم دمويته الحمراء. ولكن تناسي الإساءات يكون بحجم تقدم الشعوب. إن الحل لا يكمن في الحقد ولا في الثأر. فكلاهما لا يشكلان الأرضية الصالحة لخلاص الشعوب من الأزمات ، وإنما المصالحة بين الحاكم وشعبه وبين الجار والجار. فهل للصلح مكان ؟

إن من لا يستطيع تجاوز الحقد لا يستحق ممارسة الحكم.

وإن القوى الخارجية تتمنى ألا يكتشف العرب طريق المصالحة وتسهر هذه القوى على منع العرب من الوصول إليها...

فهل سوف تنتهي حرب الخليج ؟

المـــــراجع

١- اسيري ، د. عبد الرضا علي ." الكويت في السياسة الدولية المعاصرة " . الناشر غير مذكور . طُبع في مطابع القبس في الكويت عام ١٩٩٣

٢- اسكندر، مروان." غيوم فوق الكويت " الناشر شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. طبع في بيروت عام ١٩٩١ .

٣- بريماكوف ، يفجيني. " مهمات في بغداد ، الحرب التي كان يمكن الا تقع " تعريب يوسف سماحة . الناشر : شركة الأرض للنشر . ليماسول ، قبرص .

هذا وقارنا هذه الترجمة مع ترجمة اخرى لذات الكتاب تحت اسم " يوميات في حرب الخليج " اسم المعرب غير مذكور.الناشر : كومبيو للنشر . بيروت ١٩٩١

٤- البزاز، سعد ." حرب تلد اخرى "الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع . عمان ١٩٩٢

٥- بقرادوني، كريم." لعنة وطن – من حرب لبنان الى حرب الخليج " الناشر: عبر الشرق للمنشورات. بيروت ، غدراس ١٩٩١ .

٦- تكريتي، حردان." مذكرات سياسي عراقي " الناشر: الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، عام ١٩٩٠ .

٧- جاكار ، رولان ." الأوراق السرية لحرب الخليج " تعريب د . محمد مخلوف . الناشر : شركة الأرض للنشر – دار قرطبة . ليماسول قبرص ١٩٩١

٨- الحيدر ، عبد الله احمد عثمان ." ايام من الاحتلال " الناشر : مكتبة المنار الاسلامية . الكويت ، ١٩٩٢

٩- الحسن الثاني ، عاهل المغرب ." ذاكرة ملك . الناشر : الشرق الأوسط . عام ١٩٩٢ (هذا الكتاب هو حوار اجراه الكاتب الفرنسي المؤرخ اريك لوران مع الملك الحسن)

١٠- حمدان حمدان " الخليج بيننا ،" قطرة نفط بقطرة دم " الناشر : بيسان للنشر والتوزيع . بيروت ١٩٩٣

١١- حميدة ، بن سفيان . " وثائق حرب الخليج " الناشر : مؤسسات ع. الكريم بن عبد الله . تونس. بدون تاريخ . والمتوقع هو عام ١٩٩١

١٢- دياب ، وفائي." وثائق الاحتلال وحرب التحرير " الناشر : المؤسسة العربية الأوربية للصحافة والنشر .المكان غير مذكور ، ولكن ينبىء عنه اسم المطبعة في بيروت وقبرص : **Joseph Raidy Press**. عام ١٩٩١

١٣- الركابي، فؤاد." الحل الأوحد " الناشر : الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة . بدون تاريخ.

١٤- روت، يورجن. "صفقات السلاح المشبوهة. تعريب د. سامي ابو يحيى . الناشر : دار الشعب ، القاهرة ١٩٩٠ .

١٥- سالنجر، بيير - اريك لوران " الملف السري ، حرب الخليج " الناشر : اوليفية اوربان، باريس. الموزع : دار آزال للتوزيع والنشر. بيروت . عام ١٩٩١ .

١٦- سالنجر بيير - اريك لوران " الملف السري لحرب الخليج " تعريب محمد مستجير . الناشر : مطبعة مدبولي . القاهرة ١٩٩١ . هذا الكتاب هو نفس المرجع المذكور تحت الرقم السابق ولكننا وجدنا اختلافات ليست بالبسيطة بين الترجمتين .بل اننا قرأنا هذا الكتاب بالألمانية ايضاً ووجدنا خطأً ترجمة عن الأصل الانكليزي في نقطة هامة .

١٧- سراج، أحمد عبد الله ." يوميات الحرب في الخليج " الناشر : دار الريشة للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية ، عام ١٩٩١ . والكتاب يتألف من ثلاثة اجزاء .

١٨- السمان ، د. نبيل ." اميركا وخفايا حرب الخليج " الناشر غير مذكور. طُبع في عمان عام ١٩٩١ .

١٩- السمان، د. نبيل ." حرب المياه ". بدون ناشر وبدون مطبعة وبدون مكان وبدون تاريخ

٢٠- سيل، باتريك. " ابو نضال ، بندقية للايجار، المناضلون في خدمة الموساد " الناشر: الزهراء للاعلام العربي. القاهرة ١٩٩٢ .

٢١- الشافعي، محمد. " الفخ الأميركي " الناشر : دار الشباب العربي. القاهرة ١٩٩١ .

٢٢- شفينمان، جان بيير." حرب الخليج دفعتني للأستقالة " تعريب أحمد عبد الكريم الناشر : الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق ١٩٩١ .

٢٣- شوارتزكوف، نورمان." شوارتزكوف في الخليج " مذكرات العسكري الذي قاد الحملة العالمية ضد العراق. تعريب حسام الدين كساب متولي . الناشر : مكتبة مدبولي . القاهرة ١٩٩٣ .

٢٤- شيفرنادزة، ادوارد." سنوات هزت العالم " مذكرات . تعريب د. ايمان يحيى . الناشر : دار الكتاب العربي، دمشق - قاهرة . بدون تاريخ .

٢٥- الصباح، عذبى فهد الأحمد. " الوثائق تتحدث - محنة وجهاد الشعب الكويتي ." الناشر : دار سعاد الصباح . الكويت ١٩٩٢ .

٢٦- الصديق ، يوسف طاهر - نبيل عمامي حمدي ." الحريق الكبير " الناشر غير مذكور . طُبع في مطبعة الحمد للطباعة في تونس. بدون تاريخ.

٢٧- طلاس، العماد مصطفى." حرب تحرير الكويت " الناشر غير مذكور . يفترض انه نُشر في دار طلاس للنشر التي يملكها المؤلف. دمشق ١٩٩٣.

٢٨- العلوي ، حسن . " العراق دولة المنظمة السرية " الناشر : الشركة السعودية للأبحاث والنشر . طبع في مطابع الأهرام في القاهرة عام ١٩٩٠ أو ١٩٩١ . (العام غير مذكور ، ولكن التقديم كتبه المؤلف في لندن عام ١٩٩٠ .

٢٩- العلوي، حسن." دولة الاستعارة القومية " الناشر: دار الزوراء لندن ، عام ١٩٩٣

٣٠- عودة د.بطرس عودة " حرب الخليج . من المسؤول ؟ " الناشر: وكالة التوزيع الأردنية. عمان عام ١٩٩٢ .

٣١- عصاصة ، د. سامي. " عربدة سياسية " الناشر: المكتبة الأكاديمية ، القاهرة عام ١٩٨٨

٣٢- عصاصة، د.سامي." اسرار الانفصال - مصر..سوريا " الناشر : دار الشعب القاهرة ، ١٩٨٩ .

٣٣- عظمة، د. بشير." جيل الهزيمة "الناشر رياض الريس للكتب والنشر. لندن، عام ١٩٩١.

٣٤- غليون د. برهان. " ما بعد الخليج او عصر المواجهات الكبرى " الناشر : عيون المقالات . الدار البيضاء ١٩٩٢ .

٣٥- غروبارد، ستيفن." حرب السيد بوش " تعريب خالد ايوب وعبد الرحيم الفرا. الناشر : الأهلية للنشر والتوزيع. عمان ١٩٩٢ .

٣٦- غريش، آلان بالاشتراك مع دومينيك فيدال. " الخليج، مفاتيح لفهم حرب معلنة " تعريب ابراهيم العريس . الناشر: شركة الأرض للنشر. ليماسول /دار قرطبة ١٩٩١ .

٣٧- الفهد ، سليمان." شاهد على زمان الاحتلال العراقي " الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١ .

٣٨- كشك، محمد جلال . " الجنازة حارة " الناشر غير مذكور ولا مكان الطبع ايضاً. يُرجح ان المؤلف تولى العمليتين بنفسه ، ويرجح ان الطباعة في القاهرة .

٣٩- كلارك ، رامزي ." النار هذه المرة " تعريب مازن حماد . الناشر : الشركة الأردنية للصحافة والنشر .(الدستور) عمان ١٩٩٣.

٤٠- كمال، احمد عادل." الكويت جزء من الجزيرة العربية" الناشر : الزهراء للاعلام العربي. القاهرة عام١٩٩١ .

٤١- كوبلاند ، مايلز." لعبة الأمم "

٤٢- كوبلاند مايلز. اللاعب واللعبة " الناشر: دار الحمراء . بيروت ١٩٩٠ .

٤٣- كوولي، جون." الحصاد" تعريب عاشور الشامس. الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت ١٩٩٢ .

٤٤- لوثر، وليم." قصة المدفع العملاق " تعريب فؤاد حطيط . الناشر: دار عام ألفين . باريس ١٩٩٢ .

٤٥- لوران، ايريك ." عاصفة الصحراء " تعريب محمد مستجير. الناشر: مكتبة مدبولي . القاهرة عام١٩٩١.

٤٦- محمد، عبد العليم." حرب الخليج " الناشر: مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق . بيروت عام ١٩٩٣ .

٤٧- المطر، العميد الركن مطر سعيد." خطة الغزو الآثم " الناشر غير مذكور ولا مكان الطباعة ولا التاريخ. ومن المرجح ان الطبع تم في الكويت عام ١٩٩١ - ١٩٩٢ .

٤٨- مطر، فؤاد." موسوعة حرب الخليج - الوثائق " الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٩٤ .

٤٩- مطر، فؤاد" موسوعة حرب الخليج - اليوميات" ذات الناشر وذات التاريخ .

٥٠- نافع، ابراهيم." الفتنة الكبرى _ عاصفة الخليج " الناشر: مركز الأهرام للترجمة والنشر. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٣ .

٥١- الهاشم ، العقيد الركن د. محمد عبد الطيف ." ملاحم يوم الفداء الكويتي " الناشر غير مذكور. طُبع في مطابع الرسالة ، الكويت ١٩٩١ .

٥٢- الهاشم ، العميد الركن د. محمد عبد اللطيف." انعكاسات الغزو العراقي للكويت " الناشر غير مذكور. طُبع في مطبعة حكومة الكويت عام ١٩٩٣ .

٥٣- هيرش، سيمور. " الخيار شمشون " تعريب حسن صبري. الناشر دار الهلال ، القاهرة بدون تاريخ .

٥٤- هيكل، محمد حسنين." حرب الخليج ، اوهام القوة والنصر. الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر. القاهرة عام ١٩٩٢ .

٥٥- ودورد، بوب." القادة " تعريب عمر جولاق ومحمود العابد. الناشر الأهلية للنشر والتوزيع. عمان- دار الجيل ، بيروت ، عام ١٩٩١.

٥٦- ودورد، بوب " القادة " ذات المرجع السابق ولكن تعريب محمود برهوم . الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت ١٩٩١ .

٥٧- ولبر كرين ، ايفلاند."حبال من رمل" تعريب سهيل زكار. الناشر : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٨٥ .

مراجع اخرى :

- " نصوص الحرب - محضر مؤتمر جنيف " المؤسسة العربية للدراسات والنشر " بيروت ، ١٩٩٢ .

- " ترسيم الحدود الكويتية العراقية " اعداد لجنة من المختصين . الناشر : المركز الوطني لوثائق العدوان العراقي على الكويت . الكويت ، ١٩٩٢.

- " شهادة القلم - أزمة الكويت في عيون كتاب مصر" الناشر: المركز الاعلامي الكويتي ، دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- ميثاق هيئة الأمم المتحدة .

- ميثاق الجامعة العربية.

- محاضر جلسات مجلس الأمن للقرارات التي اتخذت ضد العراق .

هل انتهت حرب الخليج؟

قد يفتق هـذا الكتاب جروحـاً كثيرةً، لكن هذه الجروح لن تنـدمل قبل أن تتطهر حين تظهر معـالجـات نزيهة ومنصفـة بالمستـوى الذي يتـوافر عليـه الدكتور سـامي عصاصـة في كتابه الشامل والجريء «هل انتهت حرب الخليج؟».

يتعرض الدكتور عصـاصة إلى أهم الكتب التي تناولت الأزمة والحرب في الخليج ليناقش طروحـاتها ويتوصل إلى عرض سياسي وفكـري جديد يجعل من كتابـه مرجعاً ستعود إليه الأجيال من بعدُ في كل مرة أرادت فيها استقراء ما حدث في الخليج وما ترتب عليه الصراع فيه.

لقد أمضى المؤلف سنتين ونصف في البحث والاستقصاء زار خلالها معظم دول العالم المعنية بأحداث الخليج والتقى شخصيـات ذات صلة بتلك الأحداث ثم عاد ليضع حصيلة ما جمعه أمام أبصار القارىء العربي .. دون تحيّز لأحد، ودون توجس من أحد .. فهو جريء في جانب وشديد الدقة والموضوعية في جانب آخر .. ولذلك سيرى القارىء أنه يقول الكلمة التي تعذّر على سواه قولها ..

يورد المؤلف قبل البـدء بفصول الكتـاب مراسلاتـه مع بعض الملوك والـرؤساء العرب المعنيين بالأزمة، بالاضافة إلى تقييم لأهم المراجع التي تتناول حرب الخليج، مثل كتاب محمـد حسنين هيكل وكتاب سعد البـزاز وابراهيم نافع وحسن العلـوي ومراجع أخرى.

من هنا فإن نشر الكتاب يقدم خـدمة لا في الحاضر وحسب بل للمستقبل أيضاً .. بعد أن كان الدكتور عصاصة قد قدَّم من قبل كتابين سياسيّين توافرا على قدرٍ كبيرٍ من الدقـة والجرأة بحيث حفظا لـه صورة كاتـب لا هدف أمامـه غير تقديم قـراءة منصفة لأحداث عاصفة.

قد لا يُـرضي هذا الكتاب جميـع المتخاصمين .. لكنه سيُرضي حتماً الفـرد العربي الذي يبحث عن الحقيقة، وبعض الحقيقة مرّ.

الناشر

التوزيع


ص.ب: ٥٢٦١ - ١٣ - هاتف: ٣٥١٢٦٩
بيروت - لبنان